تاريخ الأدب العربي

تأليف

عمر فروخ

عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة
عضو المجمع العلمي العربي في دمشق
عضو جمعية البحوث الاسلامية في بومباي

الجزء الأول

الأدب القديم

من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية

١/٣٠٠٠/٧/٦٥
٢/٣٠٠٠/٢/٦٩
٣/٤٠٠٠/٦/٧٨
٤/٥٠٠٠/٤/٨١

الطبعة الرابعة

نيسان (ابريل) ١٩٨١

تـــاريخ الأدب العربي

للدكتور عمر فرّوخ



وقافيةٍ غيرِ أنسيّةٍ   قرَضْتُ منَ الشِّعرِ أمثالَها ،
شَرودٍ تلَمَّعُ في الخافِقَيْنِ ؛   إذا أُنْشِدَتْ قيلَ : مَنْ قالَها ؟

ص ٢٦٧   الحُصَيْن بنُ الحُمام المُرِّيّ

* * *

وإنّ الذي بيْني وبيْنَ بني أبي   وبينَ بني عمّي لَمُختَلِفٌ جِدّا :
فإنْ أكلوا لَحْمي وَفَرْتُ لُحومَهم ،   وإن هدَموا مَجْدي بَنَيْتُ لهم مجدا .
ولا أحمِلُ الحِقْدَ القديمَ علَيْهِمُ ،   وليس رئيسَ القَوْمِ مَنْ يَحمِلُ الحقدا.
لهم جُلّ مالي إنْ تَتابَعَ لي غِنىً ؛   وإن قلّ مالي لم أُكلِّفْهُمُ رِفْدا .

ص ٤٢٢   المُقَنَّعُ الكِنْديّ

فهرست تفصيلي للموضوعات



مقدّمة

هذا كتابٌ في **تاريخ الأدب العربيّ** يُقرِّبُ الموضوعَ للدارسين والباحثين ويَبْسُطُ ذخائرَ الجانب الوُجدانيّ من الأدب العربي للمُطالعين .

إنّ الكُتُبَ في تاريخ الأدبِ العربيِّ ليست قليلةً ، ولكنّها كلّها تَمُرّ في العصورِ فتختارُ عصراً تتكلّم عليه ثم تَضْرِبَ عليه مثلاً من بِضعة شعراءَ : ثلاثةٍ أو أربعةٍ أوِ اثْنَيْ عَشَرَ من الشعراء المعروفين عادةً في المعلّقات أو القريبين عادة من شعراءِ المعلّقات . ان هذا الكتابَ يتناول من الجاهليين وحدهم شُعراءَ كثيرين وخُطباءَ قليلين يزيدون كلهم على خمسين .

وأرجو ، إذا قيّض الله لهذا الكتاب أن يَتِمّ أن يكون فيه بضعُ مِئاتٍ من تراجمِ الشعراء والخطباء والكُتّاب والأدباء من ذوي الإنتاج الوُجدانيّ ، بالإضافة إلى المُقدّمات في نِطاقِ الأعصر السياسيةِ وخصائصِ الأعصر الأدبية .

ولقد حَفَزَني إلى وضعِ هذا الكتابِ حافزانِ أساسيّان أوّلُهما وأهمّهما أن يكونَ فيه مِنهاجٌ عربيٌ خالصٌ لا يأخذ من المِنهاج الفرنجيّ إلاّ ما نقص من المِنهاج العربي ثم كان ذا قيمةٍ صحيحةٍ في دراسةِ أدبِنا . ان نفراً من الدارسين للأدب العربي يُجْرون دِراساتِهم على الأسلوب الفَرَنْجي ؛ وكلّما وجدوا اختلافاً بين الأدبين — والاختلافُ بين كلّ أمرينِ موجودٌ معقول — أجالوا أقلامَهم وألْسِنَتَهم في الأدب العربي ومالوا على القديم من الأدب العربي يُريدونَ أن يَتَبدّلوا به الجديدَ من الأدبِ الفرنجي . أما أنا فلا أحْفِل في هذا الكتابِ إلاّ بالأدبِ الذي عاش . لقد عَرَفَتِ الجاهلية وعرف العصرانِ الأمويّ والعبّاسيّ ثم عرف العصر الأندلسي في الأدب أنواعاً كثيرة يسمّونها جديدة ثم ماتتْ ، فلا أنا حَفَلْتُ بهذه الانواع في الأدبِ القديم ولا أنا سأحْفِل بها كثيراً في الأدب المُعاصر . على أن الجَديدَ الجَديدَ سيَجِدُ مكانَه في هذا الكتابِ ما دامَ جيّداً لا يُخالف العبْقرية العَرَبية . وما دُمْتُ أنا لن أستطيعَ أن أضُمّ في

هذا الكتابِ جميعَ مَنْ نَثَرَ ونَظَمَ ، وما دام لا بُدَّ في التخيّر من الاستغناء عن نفرٍ كثيرين في كلّ عصر ، فلقد وَجَدتَ أن أستغني عن كل ما لم يَعِشْ في الأدب الوجداني ، على الرغم من أنّ اتّجاهاً سياسياً مُعيّناً أراده لأمرٍ لا صلةَ للأدب به .

وثاني الحافزَيْن أنني تعمّدت الإيجاز في استنْطاقِ المَصادرِ : يَضُمّ هذا الجُزءُ الأولُ أكثَرَ من مائة وسبعين ترجمة للشعراء والأدباء سوى المقدّمات للأعصر وللفنون ، فلو أنني أطلقتُ لقلمي العِنانَ في تقليب الألفاظ على وُجوهها المختلفة لوصلت إلى الصفحة الاولى بعدَ الألفِ قبلَ أن أغادرَ خِيامَ الشعراءِ الأوائلِ في الجاهلية .

يعتمد الباحثون في الأدب العربي ، منذ مَطْلَع القرنِ العشرين ، كتابَ بروكلمان [1] « تاريخ الأدب العربي » [2] للاهتداء إلى مَظانِّ البُحوثِ العربية المختلفة في كلّ فنّ من فنونِ المعرفة ، من الشعر إلى التاريخ والجغرافية ، إلى التفسير والحديث ، إلى الفلسفة والفلك : ان كتابَ بروكلمان جريدة إحصاء لكلّ من كَتَبَ ولجميع ما كُتِبَ باللغة العربية . ومن هذه الناحية لن يستطيعَ الباحثُ العربي أن يستغنيَ عن ذلك الجُهْد الجبّار ؛ وسيظلّ كتابُ بروكلمان دليلاً ثميناً في يد الباحثين في آداب اللغة العربية وفنونها مدّةً طويلة جداً .

في مطلع هذا القرن خطر لجرجي زيدان [3] أن ينقل جانباً من المادة التي كانت في الطبعة الأصلية من كتاب بروكلمان [4] إلى اللغة العربية ، خِدمةً لأبناء اللغة العربية من الذين لا يَعْرِفون اللغةَ الألمانية . ومَعَ أنّ عملَ جرجي زيدانَ كانَ أدنى مُستوىً من عملِ بروكلمان — على الرغم من أنّ الأولَ كان مُبتكراً شاقّاً لطريقٍ لم تُشَقّ من قَبْلُ وأنّ الثانيَ كان مُقلّداً وسائراً على

---

1 Carl Brockelmann .

2 Geschichte der arabischen Litteratur , 2 Bände , Leiden (E. J. Brill) 1943 — 1949 und 3 Supplementbände , Leiden (E. J. Brill) 1937 — 1942 .

3 جرجي زيدان (١٨٦١ – ١٩١٤ م) أنشأ مجلة الهلال في مصر ، سنة ١٨٩٢ م ، ألف عدداً من الكتب القيمة منها : تاريخ التمدن الاسلامي ، تاريخ آداب اللغة العربية ، روايات تاريخ الاسلام (غادة كربلاء ، شارل وعبد الرحمن ، العباسية أخت الرشيد ، الخ) ؛ وقد أدى في زمانه خدمة جليلة ، في مجلته وفي كتبه ، للثقافة العربية وللباحثين والناشئين العرب .

4 Geschichte der arabischen Litteratur , 2 Bände , Berlin (Felber) 1902 .

طريق قد شقّها غيرُه — فان كتاب جرجي زيدان « تاريخَ آداب اللغة العربية »[1] قد أدّى للباحثينَ العربِ ممّن يجهلون اللغةَ الألمانيةَ خِدمةً جليلةً.

كان لكتابِ بروكلمان خاصّةٌ عجيبةٌ : أوْرَدَ بروكلمان في كتابهِ القيّمِ تَراجِمَ الذين ألّفوا باللغةِ العربية في جميع العصور وفي جميعِ الفنون ، فكان بعضُ التراجم مُوجزاً لا تَزيدُ الترجمةُ منها أحياناً على أسطرٍ كما كان بعضُها الآخرُ مبسوطاً أحياناً أخرى في صفحةٍ أو صَفْحتين أو أكثرٍ . ولم يكن من خُطّةِ بروكلمان في تأليفِ كتابهِ أن يُورِدَ نُصوصاً للمؤلّف الذي يترجمُ له . غير أنه عُنِيَ عِنايةً خاصّةً بإثبات كلّ أثرٍ أدبيٍّ ، سواءٌ أكان ذلك الأثر الأدبي كتاباً أو ديواناً أو قصيدةً واحدة أو مقالةً ، وسواءٌ أكان ذلك الأثر مَطبوعاً أو مخطوطاً . فاذا كان ذلك الأثرُ مطبوعاً فان بروكلمان كان يُوردُ جميعَ طَبَعاتِه المعروفةِ ، بقطعِ النظرِ عن قيمةِ تلك الطَبَعات . وإذا كان ذلك الأثرُ لا يزالُ مَخطوطاً ، فإن بروكلمان كان يُثْبِتُ جميعَ ما يَعْرِفُ من نسخ ذلك الأثرِ المخطوط في كل مكتبةٍ من مَكْتبات العالمِ العربي والغربي (بقَدْرِ الطاقة والإمكان طَبْعاً) . ولم يَكْتَفِ بروكلمان بذلك ، بل كان يذكر كلّ كتابٍ نُشِرَ عن ذلك الأثر أو عن مؤلّفه وكلّ مقالٍ ظَهَرَ عنهما في مَجلات العالَمَيْنِ العربي والغربي . وكذلك كان من نهج بروكلمان أن يَسْتَعْرِضَ المصادرَ والمراجع[2] ، فكلّما وصل إلى مُصَنِّفٍ أو ذكر مُصَنَّفاً في موضعه المخصوص به أوْرَدَ بعد كل واحد منهما جميع المَظانّ التي ذُكِرَ فيها ذلك

---

[1] يتألف هذا الكتاب من أربعة أجزاء ، صدر للمرة الاولى (مصر ١٩١١ – ١٩١٤م) . وفي عام ١٩٥٧ عهدت دار الهلال الى الدكتور شوقي ضيف بالاشراف على اعادة طبع هذا الكتاب على ألا يتبدل شيء في متنه ، فاقتصر الدكتور شوقي ضيف على عدد من الحواشي تتعلق باضافة عدد من اسماء الكتب التي طبعت بعد وفاة جرجي زيدان . وربما جاء الدكتور شوقي ضيف بتعليق يسير على أشياء جاءت في المتن ثم أصبحت بحاجة الى تبديل أو توسيع أو حذف.

[2] يورد بروكلمان في العادة بعد ترجمة المؤلف أسماء المصادر والمراجع التي ترجمت للمؤلف أو ذكرت أشياء من آثاره (مع الاشارة طبعاً الى طبعاتها والى صفحاتها) ثم يسرد أسماء آثار ذلك المؤلف (مع ذكر أماكنها اذا كانت ، في ايامه ، لا تزال مخطوطة ، ثم مع ذكر أماكن طبعها وتاريخ طبعها اذا كانت قد طبعت) .

المُصنّـِف أو ذلك المُصنَّف ذِكراً مبسوطـاً أو مُوجزاً . وكثيراً ما نَجِدُ في كتاب بروكلمان أن المؤلفَ الفلاني أو الكتابَ الفلاني قـد وَرَدَ ذِكْرُه عَرَضاً في السطر كذا من الصفحة كذا من الكتاب كذا . ولا ريب في أن عملاً كعمل بروكلمان هذا عملٌ احتاجَ إلى جُهدٍ وصَبْرٍ عَجيبين – مع الافتراض بأن أفراداً كثيرين من طُلاّبِ بروكلمان ومن غيرهم كانوا يُعاونونه في ذلك ؛ ولكن هذا لا يَنْقُصُ من فضل بروكلمان ولا من قيمة كتابه شيئاً .

ثم ان عملاً كعمل بروكلمان في اتّساع نطاقه وتشعّب طرقه مُعرّض لتسرّب الأخطاء اليه – وقد كان فيه عدد كبير من الأخطاء فعلاً (ومثل هذه الاخطاء موجود في كلّ كتاب ، ولو كان أقل اتّساعاً في نطاقه من كتاب بروكلمان) . ولكن على الرّغم من هذه الأخطاء ، فان كتابَ بروكلمان سيظلّ عظيمَ الفائدةِ لا يستغني عنه باحثٌ مهما تعدّدت الكتب التي من نوعه .

غير أن جهودَ بروكلمان الأولى في اثبات المخطوطات والطبعات وفي إحصاء الأماكن التي ورد فيها كلام على كل مؤلّـِف وكل مؤلَّف من الكتب المخطوطة الأولى ومن الكتب المطبوعة كلّهـا قـد فَقَدَتِ اليومَ كثيراً من قيمتهـا العملية .

حينما بدأ بروكلمان إصدار الجزء الأول من كتابه في طبعته الواسعة الاولى [١]، كان الجانب الأوفر من التُراث العربي لا يزال مخطوطـاً مُبَعثَراً في مكتبات العالم لم يُطْبَعْ منه إلاّ قسم يسير . أما اليومَ فإن جانباً كَبيراً من المخطوطاتِ قد طُبِع ، وقد طُبِـعَ بعضُها طبعاً علمياً صحيحاً . في عام ١٣٦٣ للهجرة (١٩٤٤ م) ، مثلاً ، طبعت دار الكتب المصرية شرحَ ديوانِ زُهيرِ بن أبي سُلمى من صَنْعةِ الامامِ أبي العبّاس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني المعروف بلقب ثعْلب ؛ فاستعرضَ الذين حرّروا هذا الشرحَ جميعَ المخطوطاتِ الأمّهات، وهذا يغني الباحثين والدارسين (وجميع المطالعين طبعاً) عن تطلّب المخطوطات المختلفة في المكتبات المتفرّقة . وفي عام واحدٍ ، في سَنَةِ ١٣٨٣ للهجـرة

١ عام ١٩٠٢ ؛ راجع الصفحة ١٦ ، الحاشية ٣ .

(١٩٦٣ م) ، أخرجَ عبدُ السلام محمد هارونَ **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات** لأبي بكرٍ محمد بن القاسم الأنباري ، وأخرج محمد علي حمد الله **شرح المُعلّقات السبع** لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني . وقد ذكر عبد السلام هارون ومحمد علي حمد الله جميع المَظانّ التي تعين على درس المعلّقات السبع . وزاد محمد علي حمد الله على طبعته للمعلّقات السبع قائمة تذكر جميع طبعات المعلّقات بغير شرح أو بشرح للزَوْزني ولغير الزوزني ، سواءٌ أكانتْ تلك المُعلّقاتُ مطبوعةً مُفردةً معلّقةً معلّقةً أو مجموعةً سبعاً سبعاً أو عشراً عشراً . وبما أن قائمة حمد الله متأخرة في الزمن عن قائمة بروكلمان (ومستفيدةٌ منها) ، فقد حلّت الاولى مكانَ الأخيرة . ومثل هذا يُقال في طبَعاتِ الكتب الأخرى كالأغاني والأمالي والكامل للمبرّد ودواوين الشعراء ورسائل الأدباء وسواها .

من أجلِ ذلك اكتفيتُ أنا في هذا الكتاب بذكرِ المصادر والمراجع [١] المؤلّفةِ كتُباً وأضربتُ عن ذِكرِ البُحوث والمقالات . غير أنّني ذكَرْتُ أحياناً عدداً من البُحوث نُشِرَتْ في مجلّة المجمع العلمي العربي (دمشق) وفي عددٍ آخرَ من المجلاّت التي اتّفق لي أنْ عثَرْتُ فيها على مقالٍ مُفيدٍ ، وإنْ كنتُ لم آخذْ نفسي باستقصاء تلك البحوث . على أن الأمر يختلف في شأنِ الأدباء الذين ليس لهم كتابٌ مطبوع والذين لم ترِدْ لهم تراجِمُ وافيةٌ في أمّهاتِ المصادر والمراجع ، فانّني قد أشَرْتُ إلى عددٍ من أمّهات المصادر والمراجع التي وَرَدَ فيها ذِكرٌ لهم . أنا أعلمُ أن هذا يُخِلّ بالقاعدةِ التي رأيتُ أن أتبِعَها — إذ لا بدّ في كلّ عملٍ من قاعدةٍ موضوعة تُتّبَعُ — غير أنّني لم أكثِرْ من مخالفةِ القاعدةِ في هذا الكتابِ كيلا تَبْطُلَ تلك القاعدةُ بكثْرةِ المخالفة .

---

[١] المصدر هو الكتاب الذي وصل الينا من العصر الذي نريد دراسة أحواله . والمرجع هو الكتاب الذي تناول فيه مؤلفه أحوال عصر مضى (راجع تاريخ الجاهلية للمؤلف ، بيروت ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م ص ٩ — ٢٥) .

ولقد حرَصْتُ على أن أعوّضَ الدارسَ الباحثَ عمّا أغفلته من استقصاء أسماء الكُتُبِ ، فبعدَ أن ذكَرْتُ المصادرَ والمراجع التي لا غنَى عنها ، بعد كلِّ ترجمةٍ ، أتبَعْتُها بذكرِ مَظانِّ هذه التراجم في كتاب بروكلمان وفي « تاريخ آداب اللغة العربية » لجرجي زيدان ، إذا كان بروكلمان وزيدان قد ذكرا تلك التراجم . والدارس الباحث يستطيع حينئذ أن يَسْلُكَ من كتاب بروكلمان إلى ما يريد من أسماء المصادر والمراجع المطبوعة أو المخطوطة . أما الذي لا يعرف اللغة الألمانية فيَحْسُنُ أنْ يَرْجعَ إلى الجزء الأول من كتاب بروكلمان ، وقد نقل إلى اللغة العربية [1] ، وإلى كتاب « آداب اللغة العربية لزيدان أو إلى دائرة المعارف الاسلامية [2] أو إلى غير هذه المراجع المختلفة التي لا يجهلها الدارسون الباحثون .

أما الكُتُبُ المطبوعةُ التي أحْرِصُ على إثباتها بقَدْرِ الطاقةِ فهي الكتبُ الخاصةُ بأديبٍ أديبٍ ، وقد أورد كتاباً يضم تراجمَ قليلة . أمّا الكتبُ التي جُعِلَتْ عامّةً للمدارس أو كانت بُحوثُها وتراجِمُها مُوجزة ومَكْرورة من مصادرَ أو مراجعَ ككتاب تاريخِ الأدبِ العربي للمدارس الثانوية والعُليا لمؤلّفه أحمدَ حسنَ الزّياتِ [3] فقد أضربتُ عن ذِكرها حُبّاً بالاختصارِ ولأن ذكرَ مثلِ هذه الكتبِ قليلُ الجدوى في مثلِ هذا الكتاب . ولن يَضيرَ ذلك أحمدَ حسنَ الزيّات ولا المؤلّفينَ الذين هم من نَجْرِه في العِلم لأن لَه ولهم كتباً

---

١ نقله الى اللغة العربية (طبعة ١٩٠٢م) عبد الحليم النجار مصر (دار المعارف) ١٩٦١–١٩٦٢ .

٢ صدرت دائرة المعارف الاسلامية في أربعة أجزاء وبثلاث لغات : الألمانية والانكليزية والفرنسية
Leiden (E. J. Brill Ltd.) & London (Luzac & Co.) 1913 — 1934 .
وقد بدأ نقل دائرة المعارف الاسلامية هذه في مصر منذ عام ١٩٣٣ م الى اللغة العربية قام بذلك محمد ثابت الفندي وأحمد الشنتناوي وابراهيم زكي خورشيد . وبعد صدور المجلد الاول ، انسحب محمد ثابت الفندي فحل مكانه (ابتداء من المجلد الثاني) عبد الحميد يونس . وقد صدر من الطبعة العربية الى الآن أربعة عشر مجلداً تنتهي بالكلمة : الصين . في هذه الاثناء بدأ صدور طبعة جديدة من دائرة المعارف الاسلامية باللغات الاجنبية الثلاث ، فظهر منها الى الآن الجزء الاول (١٩٦٠ م) وبعض الجزء الثاني الى كلمة AL - GHAWR .
Leiden (E. J. Brill) & London (Luzac & Co.) 1960 etc .

٣ الطبعة السادسة ، مثلا ، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٣٥٤هـ = ١٩٣٥ م .

ستأتي في مواضيعِها الصحيحة . أمـا إذا كان هنالك كتابٌ ككتابٍ اسْمه « الآدابُ العربية وتاريخها » لجرجس كنعان (بيروت ١٩٣١) ، فمن احترام العلم ومن السَتْر على صاحبه ألاّ يُذْكر . ومثلُ هذا يُقال في كتابَيْ شعراءِ النصرانية قبلَ الاسلام وشعراءِ النصرانية بعد الاسلام للأب لويس شيخو ، وفي الكُتَيِّبات التي اشتُقّت منهما ، فإنّ هذه الكتب كلّها بُنِيَتْ على أساسٍ فاسدٍ ، وما بُنِيَ على فاسدٍ فهو فاسدٌ : كان الأبُ لويس شيخو (ت١٩٢٧) — صَنَعَ اللهُ به ما هو أهلُه — يُنَقِّبُ وينقّر ويُجهِد نفسه ولا هَمّ له إلا أن يُثْبِتَ أن شاعراً من الشعراءِ الجاهليين كان نَصرانيّا على مذهبٍ معلوم ؛ وما علينا نحنُ أن يكونَ هذا الشاعرُ نصرانياً أو وثنياً ما دام شاعراً مُجيداً . ذكر الأب لويس شيخو في كتابه شعراء النصرانية بعد الاسلام (ص ٥٠٣) رجلاً من مدينة حلب اسمه نعمة بن توما الحلبي فقال فيه : هذا أيضاً أحد نجوم تلك الثريّا .... اجتاز بيروت ووصف أحوالها وزار قنصلها الفرنساوي ، وهو يومئذ الشيخ نوفل الخازن ، .... وقد نظم في مدحها شعراً **لطيفاً** ، من ذلك قوله :

انح حصن البكر وادخل ضارعا	باتضاع يرفع المتّضعا
لذ بها تحظى بنصر عاجل	فاز مرء لحماها أسرعا
كم نحاها عائم في اثمه	وأتاها ضارعاً مستشفعا
فتزكّى من ذنوب جمّة	بانسحاق لبّه قد صدعا
فلكم مثلي أثيم قد حظي	منك بالغفران لمّا ضرعا

ان مثل هذا الهذْر السقيم لا يجوز أن يُرْوى . ومن العقوق للأدب وللعلم وللفضيلة أن تُؤلّف الكتب لتذكرَ أمثالَ هذا الناظم ثم تُهْمِلَ شعراءَ أفذاذاً لسببٍ من التمييز العُنْصري أو المذهبي أو العصبي .

ثم هنالك كتبٌ بعيدة عن العلم :

لقد غبرتْ بضعُ سنواتٍ عقَدَتْ في أثنائها الجامعة الاميركية في بيروت عدداً من مؤتمرات الدراسة لجمع أسماء المصادر والمراجع تحت إشراف لجنة كان اسْمَها

هيئةُ الدراسات العربية . كان المؤتمر العاشر في أيار (مايو) من عام ١٩٦٠ م وكان خاصاً بالأدب العربي « ودارت أبحاثه [1] على **ما أسهم به المؤلّفون العرب في المائة سنة الاخيرة** [2] **في دراسة الأدب العربي** » [3] .

لِنـأخُذِ البحثَ الأول ، وهو في « العصر الجاهلي » . بدأ صاحبُ البحث قائمةَ المصادرِ والمراجعِ تحت عنوان **المجموعات القديمة** : عدّ فيها أشعارَ الهُذَليِّين والأَصْمَعيّات وجَمْهرةَ أشعارِ العرب وديوانَ الحماسة ... والمُعلّقات السبعَ بشرحِ التبريزي والمعلّقاتِ السبعَ بشرح الزَوْزني . ثم ذكر ديوانَ أبي دُؤاد الأيادي (الجاهلي) جمعه وشرحه غوستاف غرونباوم [4] وأعاد تحقيقَه وشرحَه إحسانُ عبّاس .... وذكر بلوغَ الأربِ بشرح قصيدة من كلام العرب ، وهي قصيدةُ السَمَوْأل بن عاديا اليهودي (والكلام كله لجامع قائمة المصادر والمراجع) ، وذكر ديوان عامر بن الطفيل (الجاهلي) طَبْعَ مكتبةِ صادر (بيروت) ١٩٥٩ ، عن الطبعة الأوروبية (كذا) . وذكر أيضاً العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين (حرّره المستشرق الألماني آلورت وطبع في غرايفسوالد في ألمانية ثم نشرته مكتبة لوزاك في لندن في انكلترة) .

وأنهى صاحبُ البحث في « العصر الجاهلي » قائمةَ مصادرِه ومراجعِه بسبعٍ وعشرين مقالةً نُشِرَتِ اثْنتانِ منها في مجلّة المَجْمع العلمي العربي في دِمَشْق ، وأربعٌ في مجلّة المكشوف (بيروت) عُنوانُ واحدةٍ منها : **زهير قاضي صلح يصدر أحكامه شعراً** . ومن هذه المقالات واحدة لزكي مبارك في الرسالة (القاهرة) عنوانها : **جناية أحمد أمين على الأدب العربي** . ويبدو أن العرب

---

١ هكذا وردت (ص ٦) : « أبحاثه » بدل « بحوثه » .

٢ طبعت بحوث هذا المؤتمر في كتاب عنوانه : الأدب العربي في آثار الدارسين ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦١ م .

٣ الغاية من المؤتمرات التي عقدتها الجامعة الاميركية منذ عام ١٩٥٩ م جمع أسماء المصادر والمراجع التي ألفها المؤلفون العرب في المائة السنة الأخيرة (منذ عام ١٨٥٠ م ؟) في التاريخ والادب والعلم الخ . (مع دراسات لجهود الاقطار العربية المختلفة في ذلك) ليكون ثمت مجموعة جاهزة للعام الذي تحتفل فيه الجامعة الاميركية في بيروت بعيدها المئوي (١٩٦٧ م) .

٤ Gustav Grunebaum .

في المائة سنةً الأخيرة لم يكتبوا في العصر الجاهلي إلا سبعاً وعشرين مقالة أكثرها من الانشاء الخفيف للترويح عن أنفس القرّاء !

ولا أريدُ أن أذكرَ شيئاً عن التشويه في العصر العبّاسي لأن الأمر يتعلّق بي ، فلقد كان من سوء حظّي أن شاركتُ في المؤتمر العاشر هذا ، وبَنَيْتُ قائمةَ المصادر والمراجع المتعلّقة بالشعراء في النصف الثاني من العصر العبّاسي على ما كان قد بيّنه أعضاءُ هيئةِ الدراساتِ في وَرَقَةِ الدعوة . ولكنّ أعضاءَ هيئة الدراساتِ لمّا أخذوا قائمة المصادر والمراجع منّي **خلطوها بقائمةِ باحثٍ آخرَ** ثم حذفوا وزادوا وقدّموا وأخّروا وبدّلوا **من غير أن يسألوني رأيي أو يعلموني أنهم فعلوا ذلك** .

لا أريد أن أطيلَ في ذلك أكثرَ مما فعلتُ ، ولكنّي أريدُ أن أقولَ إنّ من غير الظُلْم أن نُهْمِلَ كِتاباً فيه مثلُ ذلك إذا أردنا أن نَسْتَفْتِيَ مجاميع المصادر والمراجع قبل أن نُعِدّ بحثاً أدبياً رَصيناً .

ما كنت أحبّ أن أفصّلَ ما فصّلتُ ، فالجامعةُ الاميركية في بيروتَ هي المعهدُ الذي تلقّيتُ فيه دروسي ، ولكنّي ذكرتُ كَلِمَةَ أرسطو في أستاذه أفلاطونَ لما خالفه في نِظامه الفلسفي وقال : « أفلاطونُ صديقٌ ، والحقّ صديقٌ ، ولكنّ الحقّ أصدق ! » والجامعة الاميركية عندي أعظمُ حُرْمَةً مِنَ الذي تولّى الاساءة إلى العِلم والأدبِ !

* * *

وفيما يلي عدد من كتب الفهارسِ وما يتعلّق بها مما لا يَكاد الباحثُ يَسْتَغْني عن مثله . ثم ان الباحثَ يستطيعُ من طريقِ هذه الكتبِ أن يَصِلَ إلى أمثالها من فهارسِ المكْتباتِ العامّةِ وفهارس المكتبات الخاصة . وفي ما يلي هذه الكتب :

— كتاب الفهرست لأبي الفرج محمّد بن اسحق النديم ليبزغ ۱۸۷۱ — ۱۸۷۲ م ؛ القاهرة ۱۳۳۸ ه ؛ بيروت (مكتبة خياط) ۱۹٦۰

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبد الله حاجي خليفة ، لندن ١٨٣٥ – ١٨٥٨ م ؛ ثم استانبول ١٩٤١ – ١٩٤٣ م .
- ايضاح المكنون على كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون لاسماعيل بن محمد أمين البغدادي ، جزءان ، استانبول ١٩٤٥ – ١٩٤٧ م .
- هداية العارفين إلى أسماء المؤلّفين وآثار المصنّفين ، لاسماعيل بن محمد أمين البغدادي ، استانبول ١٩٥١ م .
- فهرس المخطوطات المصوّرة لفؤاد السيّد ، القاهرة ١٩٥٤ م .
- فهرس الكتب الموجودة بالمكتبة الازهرية (الجزء الرابع : في اللغة ، الجزء الخامس : في الأدب والتاريخ وتقويم البلدان) ، القاهرة ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م .
- فهرس الكتب العربية الموجودة بالدار (دار الكتب المصرية) القاهرة ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٦ م وما بعدها .
- فهرس الخزانة التيمورية ، القاهرة ١٩٤٧ – ١٩٥٠ م .
- فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح (المغرب الأقصى) ، تأليف علّوش والرجراجي ، الرباط ١٩٥٨ م .
- معجم المطبوعات العربية والمعرّبة حتّى نهاية سنة ١٣٣٩ هـ = ١٩١٩ م ، تأليف يوسف الياس سركيس ، القاهرة ١٩٢٨ – ١٩٣٠ م .
- جامع التصانيف الحديثة التي طُبِعَتْ في البلاد الشرقية والغربية والاميركية ، تأليف يوسف اليان سركيس ، القاهرة ١٩٢٧ – ١٩٢٨ م .
- تذكرة النوادر من المخطوطات العربية ، رتّبت بأمر جمعية دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اباد الدكن (الهند) ١٣٥٠ هـ .
- دفتري كتبخانهٔ أيا صوفيا ، استانبول ١٣٠٤ هـ .

Arabic Books in the British Museum, by A. G. Ellis, 2 vols. London 1894 — 1901.

Catalogue of the Arabic Printed Books in the British Museum and Supplement.

Bibliographie des Ouvrages Arabes ou Relatifs aux Arabes publiés dans l'Europe chrétienne de 1801 à 1885, par Victor Chauvin, Liège 1892.

Verzeichnis der arabischen Handschriften der königlichen Bibliothek zu Berlin, Bände I — X, Berlin 1887 ff.

– مصادر الدراسة الأدبية ، تأليف يوسف أسعد داغر ، جزان، صيداء ١٩٥٠ – ١٩٥٦ م .

– خزائن الكتب العربية في الخافقين بقلم الفيكنت دي طرّازي ، مجلّدان ، بيروت ١٩٤٧ م .

– ارشاد الاعارب إلى تنسيق الكتب والمكاتب بقلم الفيكنت فيليب دي طرّازي ، بيروت ١٩٤٧ م .

– دليل الاعارب إلى علم الكتب وفنّ المكاتب ، تأليف يوسف أسعد داغر ، بيروت ١٩٤٧ م .

– فهارس المكتبة العربية في الخافقين ، تأليف يوسف أسعد داغر ، بيروت ١٩٤٧ م .

* * *

يتألف هذا الكتابُ من مقدّماتٍ للأعصر ومن تراجمَ . ففي مقدّمات الأعصرِ استعراضٌ لرؤوس الأحداثِ حتّى يكونَ منها اطارٌ يُوَقّعُ القارىءُ في نطاقه أزمانَ أصحابِ التراجم . وإذا كنت قد اتّخذتُ تعاقبَ الدول أساساً للانتقالِ من عصرٍ إلى عصرٍ فلأنّي أحببتُ أن أَستفيدَ من الوضوحِ في تعاقُبِ العصور . معَ العلم بأن عدداً من الخصائص الأدبية يظلّ مستمرّاً على الرّغم من انتهاء عصرٍ ومجيء عصرٍ آخرَ . ثم انّني أتكلّمُ بعد ذلك على الفنون

والخصائصِ الأدبية للعصر . ونُلاحظُ في الأدب العربي أن الشعر في كلّ عصرٍ أغلبُ على النثر .

وأما التراجمُ فهي منسوقةٌ في كلّ عصر نَسْقاً تاريخياً بحَسْبِ سِنِي الوَفَيات ، وان كانتْ سَنَةُ الوفاةِ ليست في بعض الاحيانِ أساساً صحيحاً للنَسَقِ التاريخي حينما تتفاوت الاعمارُ ، فقد تأخرَ لبيدُ بن ربيعةَ حتّى تُوُفّيَ في أيامِ عُثمانَ بنِ عفانٍ ، قَبلَ نفرٍ من الخطباءِ والشعراءِ ، فكان خليقاً أن يأتِيَ في النسقِ وراءهم ولكنّي رَفَعْتُه إلى العصر الجاهليّ حِرْصاً على وَحْدَةِ الخصائص الأدبية . غير أني أخرّت الخَنْساءَ إلى الاسلامِ ، وإن كانتْ خصائصُ رِثائِها لأخَوَيْها اللذين ماتا في الجاهليةِ جاهليةً . ان مثلَ هذا التَحكّمِ أمرٌ لا مَفَرّ منه في كثيرٍ من أحوالِ البشر .

وكلّ ترجمةٍ مقسومةٌ أربعةَ أقسامٍ : حياةَ الأديب — خصائصَه — المختار من آثاره — المصادرَ والمراجع لدراستهِ .

أما حياةُ صاحبِ الترجمة فقد حَرَصْتُ فيها على أن تكون جامعة ، لأنّ لأحداثِ حياةِ الانسانِ أثراً ظاهراً في سلوكه ونتاجه . على أني أدركُ أنه لم يتأتَ لي أن تكونَ جميعُ التراجم ، في قسمها التاريخي ، على مُستوىً واحدٍ من البسط أو التحقيق .

وأما القسم الثاني من الترجمة ففيه خصائصُ الأديبِ الفنّيّةُ والأدبية وفنونُه واستعراضُ آثارهِ ، سواءٌ أكانت مطبوعةً أو غير مطبوعةٍ ، بقدر الإمكان طبعاً . ولقد كان حِرْصي هنا على أن ألزم رأي النقّادِ القدماءِ ، لأنهم أقربُ إلى زمنِ الأدباء عادةً ولأنّهم — وهذا هو الأمر المفروض — يَجِبُ أن يكونوا قد عرَفوا من آثار هؤلاء أكثر مما نَعْرِفُ نحن اليومَ ، قبل أن يضيعَ جانبٌ كبيرٌ من تلك الآثار . غير أني لم أُهمِلْ كَرّ النظرِ في الآثار التي وصلتْ إلينا من نتاجِ أولئك الأدباء ثم التنبيهَ على ما خالف فيها آراءَ النقّاد القُدامى .

وتأتي المختارات من آثارِ الاديب في القسم الثالث . ولقدِ اتّخذت في الاختيارِ ثلاثةَ أسُسٍ : جودةَ المُختارِ وتمثيلَه لآثار الأديب المتنوّعة ثم شهرةَ ذلك المختار . ومع أن المألوفَ أن نُوليَ المكثرين في الإنتاج عِنايةً كبيرةً ، فانّني أفردتُ تَرْجماتٍ مستقلّةً لأدباءَ وشعراءَ مُقلّين جدّاً لأنّ في آثارِهم القليلةِ الباقيةِ لَمَحاتٍ ليست عند المكثرين . وهكذا سيجد القارىءُ في هذا الكتاب تراجمَ لشعراءَ لم تتعرّض لهم الكتب الموضوعة حديثاً .

وفي آثار الأدباءِ والشعراء ذخائرُ لا يُلقي القارىءُ لها بالاً في العادة لأن العنايةَ بطبعها مفقودة . من أجل ذلك حَرَصْت على أن تكون جميعُ المختارات مشكولةً شكلاً قريباً من الكمال ومنقوطةً (حتّى يَعْرِفَ القارىءُ فيها مواضعَ الوَصْل والفصل) : فلعلّ فاصلةً صغيرةً (،) أو علامةَ استفهام (؟) تَكْشِفُ معنىً عاش في الطبَعات القديمة غامضاً على القارىء العاديّ ؛ فأحببتُ أن أجْلُوَ عن تلك الآثارِ أسبابَ الغُموض .

بعدَئذٍ شرحتُ مُعْظَمَ هذه المختاراتِ شرحاً وافياً ، حيث الحاجةُ إلى الشرحِ الوافي ضرورةٌ لا بدّ منها . والشرحُ الوافي معناه الشرح اللغوي مَتْلُوّاً بالشرح الأدبي (في تبيان أوجه البلاغة) . ان الشرح اللغوي وحده لا يُبْدي أحياناً شيئاً من غَرَض الشاعر مثلاً ، فيجب أن نَعْلَمَ ما قَصَدَ الشاعرُ في نفسهِ قبل أن يَنْظُمَ بيتَ الشعر ، حيث لا يُفيدُنا معنى كلماتِ ذلك البيت من الشعر إذا نحن اكتفينا بنقل معاني ألفاظِ البيت من القاموس . والقاموس العربي ليس فيه كلّ المعاني ، فلعلّ شاعراً قديماً أو بَدَوِيّاً عَرَفَ لفظاً لم يَقَعْ لجامع القاموس أو غاب عن جامع القاموس . ثم يتّفق أن يستعمل الشاعر لفظاً في غير المعنى المألوف ، صواباً أو خطأ ، فلا بدّ من أن نعرف ذلك كلّه قبل أن نفهم بيت الشعر على الوجه الذي قصده قائله .

وربّما قال الشاعر قصيدةً أو ألقى الخطيب خُطبة في حالٍ مخصوصة ، فالألفاظُ والجُمَلُ التي تأتي مُنْثالةً في تلك الحال قد يأتي معناها مختلفاً في قصيدةِ شاعرٍ منها في قصيدةِ شاعرٍ آخرَ . فاذا نحن لم نَفْطَنْ لذلك ضاعت

علينا مُقاصِدُ الشاعر ومقاصد الخطيب . فالملابسات التاريخية والاجتماعية والشخصية كلّها ذات أثر في نتاج الاديب ، فالاشارة اليها ضرورية في كثير من الاحيان .

ولعلّ أحدَ الناس سيقولُ عنّي أنني تبسّطت في الشرح حيثُ لا يَجِدُ هو ضرورةً لذلك . هذا صحيحٌ في أحيان كثيرةٍ ، غير أن الذي فعلته أيضاً ضَروريّ . إن جانباً كبيراً من الناشئين لم يتلقّ في المدارسِ ثقافةً لُغَويّةً كافيةً ، وإنّ اختباري في التعليم قد دلّني على أن بعض الذين يتَصَدّوْنَ لتعليم اللّغَةِ والأدبِ ليسوا دائماً ذوي ثقافة لغوية أو أدبية وافية . ثمّ اننا كلّنا لم نكن في أول عهدِ اشتغالنا باللغة والأدب كما نحن اليوم من حيث الثقافةُ اللغويةُ والذوقُ الأدبيّ . فمن كان ذا ثقافةٍ لغوية واسعة وذوقٍ أدبي رفيع فلْيَمُرّ بالشروح التي يرى أنْ لا حاجةَ به اليها مرّ الكرام .

وفي المختارات نتقيّد عادة بالروايات القديمة . فاذا اتّفق أن وردت روايتانِ فمن حقّنا أن نختار أيّ الروايتين شئنا ، ما دُمْنا لا نستطيع أن نَجْزِمَ في أيّ الروايتين هي الروايةُ الصحيحة . على أننا نلاحظ أن نفراً من المؤلّفين القُدماءِ كانوا يتصرّفون في الروايات تصرّفاً شخصياً بَحْتاً . ان أبا الفرج الأصفهانيّ كان يُورد الابياتَ من القصيدة الواحدة على أنواع من الترتيب ، وربّما أوردها بألفاظ مختلفة . وحجّة الاصفهاني أن المغنّين كانوا يفعلون ذلك للملائمة (للملائمة اللحنِ للألفاظ وللأبيات) . ولعلّ نفراً من المؤلّفين كانوا يخطئون فيتبدّلون كلمةً بكلمةٍ أو يبدّلون مواقع الأبيات . ومع أننا لا نُجيز لأنفسنا الآنَ أن نَفْعَلَ مثلَ فِعْلهم ابتداءً ، فاننا نُرجّح روايةً على رواية في المتن (إذا وصلتْنا عن القدماء روايتانِ فأكثرُ) أو في الحاشيةِ (إذا وَجَدْنا أن هذا الترجيح يُفيدُ المعنى وُضوحاً) .

وفي المكان الرابع من الترجمة نورد المصادرَ والمراجع المتعلّقة بصاحب الترجمة مباشرة . نورد أولاً آثاره المطبوعة ، ولكن ليس من الضرورة أن نورد جميع طبعات كلّ كتابٍ له مطبوعٍ . وإذا كان الكتاب مطبوعاً طبعة علمية وضعنا

وراء اسم ذلك الكتاب اسم المحرر أو المحقّق له بين هلالين . ثم نضع في معظم الأحيان اسم دار النشر التي نشرت الكتاب أو اسم المطبعة بعد اسم البلد الذي طبع فيه الكتاب (وبين هلالين أيضاً) .

وبعد ذلك تأتي أسماء الكتب التي أُلِّفتْ في صاحب الترجمة (إذا كان ثمّت مثلُ هذه الكتب) .

وبما أنه ليس من الممكن أن نأتي بكلّ كتابٍ أُلِّف في هذا الشأن ، فلا بدّ من التخيّر . والتخيّر يتبدّى في صور مختلفة : فاذا كانت الكتب المؤلّفة في دراسة صاحب الترجمة قليلةً ، فان التخير قد يكون محدوداً جداً وقد يكون مفقوداً ، فأورد حينئذ جميع الكتب التي اتّفق لي الاطّلاع عليها ، إمّا بعد معرفةِ الكتاب نفسه أو بعد أن أراه في قائمة ما أو مَرْجِعٍ ما . واذا كان لدينا ديوان لشاعر قد استخرجه مستشرق موثوق أو دارس شرقي عالم ثم أثبتناه فلا علينا بعدئذٍ إذا تَرَكْنا طبعةً أو أكثر من طبعةٍ من ذلك الديوان — حينما تكون تلك الطبعة أو تلك الطبعات المتروكة قاصرةً مشوّهة . إن هذا الكتاب ليس جدولاً إحصائياً للمطبوعات ، ولكنّه دليلٌ في يد الدارس . ثم يحسن أن نَعْلَمَ أن ثمّت كُتُباً طُبِعَتْ طبعاً تِجارياً لا تُحقّق غايةً علمية أو أدبية ، وليس الاطّلاع عليها بزائدٍ في معلوماتِنا شيئاً .

وحينما يضع مؤلّفٌ كتاباً على شيء من البسط والسّعة فلا بدّ من أن تُوجَدَ فيه مآخذُ أصيلةٌ أو غير أصيلة . ليس من المعقول أن يكون المؤلّف عالماً بكلّ شيء : هنالك أشياءُ تغيب عن الدارس إمّا جهلاً منه أو غفلة . وقد ينشىء المؤلّف جملةً ثم يرى وهو يصحّح صفحات الكتاب أن المعنى يمكن أن يكون أوضح لو أن الجملة سِيقَتْ على نَهْجٍ آخرَ . وقد يُتاح للمؤلّف أن يُبدّل إنشاءه أو أن يَزيدَ فيه أو يَنْقُصَ منه في أثناء التصحيح ، ولكنّ ذلك غيرُ ممكن دائماً . ثم ان عملاً مثل هذا يكون في الزمن المتطاول ، والاعتماد في تأليفه وتصنيفه يكون على المصادر المختلفة . فهنالك مصادرُ قد يتعذرُ على المؤلّف أن يطّلع عليها فيستعيضُ بغيرِها عنها . أما الذي كان دائماً عَقَبَةً في سبيلي

فهو اعتمادي على مصادرَ كثيرةٍ لم تكن كلّها في مكتبتي ، فكان لا بدّ من استعارتها من مكتبة عامّة . في هذه الأثناء كانت تصدر طبعات جديدة من تلك المصادر ، بينما كنت أنا قد بدأت الاعتماد على مصدرٍ أقدمَ بالطبع عهداً ، فيتّفق ، اذن ، أن أرْجِعَ في مكانين مختلفين من هذا الكتاب إلى طبعتينِ مختلفتينِ من مصدرٍ واحدٍ . ومع أنني حَرَصْتَ جُهْدي على أن أشير إلى هذا الاعتماد على طبعة كنت قد اعتمدت غيرَها من قبلُ ، فلعلّي لم أفعلْ ذلك دائماً .

وبعد ، فهذا هو الجزءُ الأول من هذا الكتاب يَقِفُ دونَ قيامِ الدولةِ العباسية ؛ وسيكونُ الجزءُ الثاني في الادب العربي في المشرق في العصر العبّاسي وسَيَمْثُلُ للطبعِ ، ان شاءَ اللهُ ، في الخريفِ القادم أو في أول الشتاء .

بيروت ، الاربعاء في ٢٣ صفر ١٣٨٥ هـ .
٢٣–٦–١٩٦٥ م .
ــ الاحد ٢٣ شوال ١٣٨٨
١٩٦٩/١/١٢

ع . ف .

تمهيد

في اللغة والادب وخصائصهما
ثم في الاعصر السياسية والادبية

اللغة واللغات والدّهجات

اللغة وسيلة للتعبير عن العواطف والمقاصد والأفكار . ويكون التعبيرُ بالحركات الصادرة عن الانفعال ، وبالاشارات المقترنة بالرَّوية والارادة ، كما يكون التعبيرُ أيضاً بالأصوات . والإشارة قد تُؤدّي المعنى المقصود ، أحياناً ، أحسن مما تؤدّيه الأصوات بالالفاظ ، وان كان « الصوت هو آلةَ اللفظ ... ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً ولا منثوراً إلا بظهور الصوت »[1] .

وأداء الاصوات والالفاظ لا تَتَهيّأ لجميع الناس على السواء ، وعلى وجه واحد ، وذلك راجع إلى أحوال الحُنجرة وعَضَلات الفم وإلى حال اللسان من الصغر والكبر والدقّة والغلَظ وإلى حال الاسنان في تركيبها وترتيبها[2] . ومن الأصوات ما هو موجود عند أمم دون أخرى ، فالعين والغين الواضحة والحاء والخاء الواضحة أصوات في اللغات السامية . والكاف الفارسية موجودة في اللغات

1 البيان والتبيين ١ : ٧٧ — ٧٩ .

2 راجع البيان والتبيين ١ : ٥٨ وما بعدها . ويذكر الجاحظ (مثله ١ : ٦٥)عن الاصمعي : ليس للروم ضاد ، ولا للفرس ثاء ، ولا للسرياني ذال . وكذلك يقول (١ : ٧٠ — ٧٤) : الصقلبي يقلب الذال دالا ؛ والنبطي يجعل الزاي سيناً (كما نشاهد اليوم بين شمالي ألمانية وجنوبيها) ؛ والحبشي والسندي يجعلان الشين سيناً (ونشاهد مثل هذا بين اللغات السامية ، وبين الشعوب الجرمانية اليوم) .

السامية واللغات الآرية معاً ، ولكنها فُقِدت في اللغة العربية الفصحى . والثاء والذال هما ، فيما يبدو ، أصل التاء والدال . ولا تزال الثاء والذال موجودتين واضحتين في الانكليزية ومبهمتين في الاسبانية . أما الصاد والضاد والطاء والظاء فأصوات عامة عند الساميين وعند غير الساميين ، ولكننا لا نجد لها علامات (أحرفاً) في اللغات الأوروبية الحديثة [1] . وهنالك أصوات لا يؤديها العرب فقط كالباء والفاء الفارسيتين ، أو لا يؤدّيها الساميون كلهم كالنون الهندية والراء الصقلبية . وليس في العربية إلا المدود الثلاثة الواضحة : آ — أُو — إي . أما الفتحة المفخّمة وحرفا اللين المُمالَين في مظاهرها المختلفة فغير موجودة في اللغة العربية الفصحى ، ولكنّ بعضها [2] موجود في اللغات السامية .

والأصوات نوعان : الاصوات المُسْتَعْجِمة وهي الأصوات التي يُطلِقُها الانسانُ عادةً في أحوال الخوف والرّعب والجزَع وفي أحوال الفرح والحماسة والاعجاب والاشْمِئزاز ، أو في أحوال الاستصراخ والاسْتنجاد والاسْتِثارة . ويبدو أن للحيوان عموماً أصواتاً تُؤدي عنده ما تُؤدّيه الأصواتُ المستَعْجِمة عند الانسان . ثم هنالك الاصواتُ الفصيحة ، وهي الاصوات التي نشأت في الأمم المختلفة مرتبطةً بمعانٍ معينة . وكلّ لغةٍ فصيحةٌ عند أهلها ، وعند الذين يتعلمونها ، مستعجمةٌ عند غيرهم .

والعامّة ، كما يقول الجاحظ في البيان والتبيين (١ : ٢٠) ، أو الكافّة على الأصح ، يستخفّون ألفاظاً فيقتصرون على استعمالها ، من ذلك أنهم يستعملون **الجوع** مكان **السغَب** ، مع أن كلمة **الجوع** لم ترد في القرآن الكريم إلاّ مع العقاب . وكذلك **يفضّلون** كلمة **مطر** على كلمة **غيث** ، مع أن « الغيث » للنعمة والرحمة و « المطر » للعذاب والاهلاك .

ثم ان اللغة ، فوقَ ما هي أداةٌ للتعبير عن النفس وواسطة للتفاهم بين الناس ، **جامعٌ قوميّ** يشدّ بعضَ أفراد الأمة إلى بعض ويَرْبِطُ ماضيَهم بحاضرهم .

---

١ إن الحرف s في الكلمة son الانكليزية (ابن) والافرنسية (صوت) يلفظ صاداً لا سيناً . والحرف d في الكلمة الانكليزية mud والافرنسية donc يلفظ ضاداً لا دالا . وكذلك كلمة top الانكليزية و temps الافرنسية ، فان الحرف t فيهما يلفظ طاء لا تاء . والحرف المركب th في الكلمة الانكليزية thus يلفظ ظاء .

٢ نحو e , o , ü , ö , a ؛ واختلاف اللفظ في المدود (وخصوصاً في الانكليزية والهولندية والبرتغالية) كثير جداً .

واللغة عامل مهم في حياة الأمة وفي تَوارث خصائصها واستمرار حضارتها ، وفي بقاء تُراثها وتطور ثقافتها مستقلةً متميزة من كل ما عداها ، وذلك عنصر من عناصر بقائها هي .

واللغاتُ ثلاث طبقات : اللغات البائدة وهي اللغات التي نُسِيَتْ بذهاب الاقوام الذين كانوا يتكلمونها كلغات الأمم والشعوب التي شَهِدَتْ فجرَ التاريخ ثم لم تترك آثاراً . ويَلْحَقُ باللغات البائدة لغاتٌ بَقِيَ لنا منها ألفاظٌ وتراكيبُ وجملٌ متفرقةٌ كاللغة الفينيقية واللغة الفَهلوية (الفارسية القديمة) . وهنالك لغات مهجورة (ويسميها بعضهم لغات ميتةً) وهي اللغات التي ترك أهلُها التكلمَ بها فظلت محفوظةً في الكتب والمعابد كاللغات السَنْسكريتية (لغة قدماء الهنود) واليونانية واللاتينية والسُريانية . ثم هنالك اللغاتُ المشهورة (ويسميها بعضهم اللغات الحيةَ) وهي اللغات التي لها اليوم أقوام يتكلمونها كالعربية والفارسية والأُرْدية (إحدى لغاتِ باكستان) والتركية والانكليزية والفرنسية والالمانية والايطالية والروسية واليابانية وسواها .

وفي جميع اللغات المشهورة لَهَجاتٌ تخالف اللغةَ الفُصْحى المكتوبةَ قليلا أو كثيراً ، إما في سُقوط الاعرابِ أو في اللفظ والأداءِ أو في المفردات وفي بعض التركيب .

اللغة العربية

واكتسبتِ اللغة العربية اسْمها من الإعراب أو العُروبة أو العُروبيـة أي الفصاحةِ والوُضوح والبَيان . من أجل ذلك سمى العرب أنفسَهم عَرَباً وسمَّوا سائر الأمم عَجَماً (أي لا يُفهَمُ عنهم ما يقولون) . واللغة العربية أقدم اللغات الحية ، فليس ثمت في العالم لغةٌ مَحْكيةٌ أقدمُ منها . ولا تزال اللغة العربية تحتفظ بالاعراب تاماً كاملاً كما كان شأنُ جميع اللغات القديمة . أما مُعْظَمُ اللغات الأخرى فقد فَقَدَتِ الإعرابَ . ولكننا نجد الاعرابَ شبه تامٍ في اللغة الالمانية والايسلندية . ونجد بعض الاعراب في اللغة الدنمركية واللغة الروسية . وهناك آثار للاعراب في عدد من اللغات الباقية .

يبدو أن اللغة العربية انفصلت مع أخَواتها الشماليات من اللغة السامية الأم منذ

زمن بعيد جداً ، ثم عادت فانفصلت من المجموعة الشمالية أيضاً منذ زمن بعيد .
وإذا نحن اعتبرنا اللغة العربية وجدناها أكثرَ أخَواتها الساميات مفردات وأتمّها صِيَغاً وأكملها صرفاً ونحواً وأرقاها بياناً وبلاغة وأحسنها أسلوباً . من أجل ذلك لا نستبعد أن تكون اللغة العربية هي اللغة السامية الأم الفصحى [1] ، وأن سائر اللغات السامية ، من شمالية كالبابلية والكنعانية والآرامية ، ومن جنوبية كالحبشية والحِميرية ، لهجات . ومع كثرة الصِلات التي كانت بين عرب الشمال وعرب الجنوب ، منذ أقدم الأزمنة ، فان لغة حِمْيَر (اليمن) ابتعدت كثيراً عن اللغة المُضَرية (العربية الشمالية التي نزل بها القرآن الكريم) حتى قال أبو عمرو بن العلاء [2] ، منذ صدر الدولة العباسية : « ما لسان حِمْيَر وأقاصي اليمن بلساننا ولا عَرَبِيّتُهم بعربيّتنا » .

لغة مُضَرَ ولهجاتها

وكان جميع العرب الذين كانوا يسكنون النصف الشمالي من شبه الجزيرة ، في البحرين واليمامة ونجد والحجاز — سواء أكانوا ينتسبون إلى مُضَرَ أو إلى اليمن — يتكلّمون لغة واحدة وينظمون فيها أشعارهم . لقد رأينا شعراء الجاهلية من أي المواطن كانوا ، ينظمون قصائدهم بلغة واحدة في كل شيء ، ثم يحملون تلك القصائد ليُنشدوها في جميع أقسام بلاد العرب وفي العراق والشام ، حتى في اليمن نفسها ، مما يدل على أن لغة مضر كانت في الجاهلية اللغة العامة للعرب كلّهم .
على أن هذا لم يمنع أن يكون للعرب لَهَجاتٌ محلية مأنوسة في قبيلةٍ قبيلة . على أن معنى اللهجة هنا إنما هو استعمال ألفاظ مختلفة للمعنى الواحد في بعض الأحيان والمجيءُ بصيغ متباينة لتلك الألفاظ أحياناً . أما التركيب ، وأما النحو والمنطق اللغوي ، فكانت كلها واحدة . ففي الحجاز مثلاً كانوا يسهّلون الهمزة فيقولون : سال ، سل ، وكّد ، كلاك ؛ بينما كان أهل نجد يقولون : سأل ، اسأل ، أكّد ، كلأك . وكان أهل الحجاز يقولون : وعد (بمعنى : هدد) . وكان بعضهم يقول : سكّين ، بينما بعضهم الآخر كان يسمّي السكّين مُدْية .

---

1 راجع مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ٦ : ٥٢٩ — ٥٣٣ .
2 طبقات الشعراء ٤ — ٥ .

ولقد كانت هذه الألفاظ المختلفة في القبائل المختلفة مألوفة — على كَثْرة أو قِلّة — في جميع بلاد العرب ودائرةً على ألسنة شعراء الجاهلية . فلما جاء أصحاب المعاجم عَدّوا جميع هذه الألفاظ عربية عامة فضموها في معاجمهم من غير تفريق بينها ؛ **ومن هنا نشأت المترادفات الكثيرة** حتى رأينا للسيف ، في القاموس العربي ، ألف اسم . وحتى رأينا كلمة « خال » تدل على أربعين معنى .

وخضعت لغة مضر لما كانت قد خضعتْ له أخَواتها من قبل ، بعوامل من الهرم ومن إجحاف العوامل الأجنبية ، فبدأ فيها اللحن . قال أبو عمرو بن العلاء : « فَحْلانِ من الشعراء كانا يُقْوِيان (يخطئان في حركة الرويّ — الحرف الذي تبنى عليه القافية) : النابغة وبِشْر بن أبي خازم » [1] . ومثل هذا معروف عند امرئ القيس وعند غيره أيضاً . فإذا كان هؤلاء يَلْحَنون ، فما بالك بسائر أهل الجاهلية ؟

ونَزَل القرآن الكريم بلغة العرب التي كانوا ينظمون فيها شعرهم ويُلقون فيها خطبهم ويتخاطبون بها فيما بينهم . ومِصداق ذلك قوله تعالى في سورة إبراهيم : « وما أرسلنا من رسولٍ إلاّ بلسانِ قومه لِيُبَيِّنَ لهم » (١٤ : ٤) . وجاءت الصفة « مبين » نعتاً للسان العربي وللقرآن وللكتاب (القرآن) وللرسول اثنتا عشرة مرّة في القرآن الكريم منها : « ولقد نَعْلَمُ أنهم يقولون : إنّما يُعَلّمه بشرٌ ؛ لسانُ الذي يُلْحِدون اليه أعجميٌّ **وهذا لسان عربيّ مبين** » (١٦ : ١٠٣) . ومنها أيضاً : « نزل به الروح الامين على قلبك لتكونَ من المُنْذرين ، **بلسان عربي مبين** » (٢٦ : ١٩٤ — ١٩٦) . ومع نزول القرآن الكريم ، ولاهتمام المسلمين بتدوين كل آية عند نزولها ثم بالمحافظة على كل جملة ولفظة وحركة ووقف فيه ، وقفت لغة مضر عن التقهقر وحُفِظت إلى اليوم — كما كانت في عهد الرسول — لغة لنا فصحى صحيحة مأنوسة .

ومنذ الجاهلية دخل على اللغة العربية كلمات اعجمية لِمُسَمّياتٍ لم تكن عند العرب ثم طرأت عليهم فأخذوها بأسمائها . غير أن اللسان العربي استطاع أن يَصْقُلَ هذه الالفاظ الاعجمية حتى أصبح بعضها وكأنه عربي خالص : من هذه الألفاظ : قرطاس — درهم — دينار — سِجِلّ — برنس — كرسي — دِمَقْس — استَبْرَق — قصر . وهذه الكلمات الاعجمية دخلت في الشعر الجاهلي ،

---

[1] الشعر والشعراء ١٤٥ ، راجع ٢٩ .

وبعضها ورد في القرآن الكريم . وبينما كانت اللغة العربية تتمثّل هذه الألفاظ الاعجمية ، كان ثمت ألفاظ عربية خالصة تخرج من الاستعمال وتصبح غريبة ، بعد أن كانت دائرة في الشعر الجاهلي ، وبعد أن كان بعضها قد جاء في القرآن الكريم : من هذه الالفاظ [1] : الامّة (الحين) ، السِر (النكاح) ، الحُبُك (بضمتين : الغَمام ، السّحاب) ، الحَبِيّ (بفتح الحاء أو ضمها وبكسر الباء بعدها ياء مشددة : الغيم) ، الوصيد (الباب) ، الفَنَد (بفتحتين : الكذب) ، المِحال (بكسر الميم : المكر) ، الرب (السيد) ، أقنى (أرضى) ، الاذقان (الوجوه) ، تمكو (تصفر ، تهتز) ، الغرام (الانتقام ، العذاب الشديد) ، ران (غطّى) .

الكتابة والتدوين

ومع أن عرب الجاهلية لم يكونوا أهل كتابة ، فان الكتابة عندهم لم تكن نادرة كما يتخيّل بعضهم . لقد كان العرب يكتبون بينهم العقود والمواثيق ، ويكتبون الرسائل في بعض الأحوال . ويبدو أن الشعراء كانوا يدونون أشعارهم أيضاً [2] . ومع ان الكتابة كانت معروفة في الجاهلية فانها لم تكن مألوفة ، وخصوصاً في البادية .

انتشار اللحن بعد الاسلام

وكثر اللحن بعد الاسلام بعوامل كثيرة : منها اختلاط العرب بغيرهم من الروم والفرس والنَبيط ، بعد أن دخل هؤلاء في الاسلام ، وبعد أن نَزَل العرب بالفتح في الشام والعراق وفارس والهند وإفريقِيَةَ والاندَلُس . ومن أسباب اللحن سكنى المدن التي يكثر فيها الاعاجم ، ومنها كَثْرة الجواري في الحياة العربية ، وقد كُنّ عَجَميات أو مولّدات . ومنها تفشي الجهل بترك نفر

---

[1] جمهرة أشعار العرب ، ص ٣ وما بعدها .

[2] راجع بحثاً وافياً في كتاب « مصادر الشعر الجاهلي » للدكتور ناصر الدين الاسد (مصر ١٩٥٦) ، ص ٢٣ وما بعدها ؛ وراجع أيضاً « تاريخ الأدب العربي » تأليف الدكتور ريجيس بلاشير وتعريب الدكتور ابراهيم كيلاني ، الجزء الأول (دمشق ١٣٧٥ ﻫ = ١٩٥٦ م) ، ص ٧٠ — ٧٦ .

من أهل المدن دراسةَ اللغة والنحو . ومنها الجوازات في الشعر ، فقد كانت تبدأ اضطراراً ثم تعم بطول القراءة والرواية . وعم اللحن حتى أن الحجاج بن يوسف كان يُستدرك عليه اللحن بعد اللحن [1] . أما الخليفة الوليد بن عبد الملك فقد كان لحّاناً [2] .

وفي ما يلي مصادر ومراجع ممثّلة لرؤوس الموضوعات في دراسة اللغة العربية ، على سبيل الاشارة لا على الحصر أو الاستنفاد :

- فقه اللغة : دراسة اجتماعية تفصيلية لفصيلة اللغات الساميّة ، وخاصة اللغـة العربية ، تأليف علي عبد الباقي وافي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٤٤ م .
- الآداب السامية مع بحث مستفيض عن اللغة العربية وخصائصها ، تأليف محمد عطيّة الابراشي ، القاهرة ١٩٤٦ م .
- فقه اللغة وسرّ العربية لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ، باريس ١٨٦١ م — القاهرة ١٢٨٤ هـ — الخ ...
- الصاحبي في فقه اللغة العربية لأبي الحسين أحمد بن فارس (حقّقه وقدّم له مصطفى الشويمي) ، بيروت ١٩٦٣ م = ١٣٨٣ هـ .
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي (شرحه وضبطه .... : محمد أحمد جاد المولى ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي) ، نشرته دار احياء الكتب العربية ؛ جزءان ، الطبعة الأولى ، القاهرة (بلا تاريخ) .
- الكامل لأبي العبّاس محمد بن يزيد المبرّد (نشره رايت) ، لندن ١٨٧٤ — ١٨٩٢ م . (نشره محمد أبو الفضل والسيد شحاتة) ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (نشره عبد السلام محمد هارون) ، جزءان ، القاهرة ١٩٤٨ — ١٩٥٠ م .
- الامالي لأبي علي اسماعيل بن القاسم القالي ، القاهرة ١٩٢٦ م .
- رسالة الغفران لأبي العلاء المعرّي (نشرتها بنت الشاطئ) ، القاهرة .
- كتاب الامالي ، تأليف أبي عبد الله محمد بن العبّاس اليزيدي ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٦٧ هـ = ١٩٤٨ م .
- الألفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمذاني ، بيروت ١٨٨٥ م .

[1] طبقات الشعراء ٦ .
[2] ابن الاثير ٥ : ٤ .

– أدب الكاتب لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، القاهرة ١٣٥٥ هـ = ١٩٣٦م.
– اللغة ، تأليف يوسف فندريس ، ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصّاص ، القاهرة ١٩٥٠ م .
– العربية : دراسات في اللغة واللهجات والأساليب ، تأليف يوهان فوك [١] ، نقله إلى العربية عبد الحليم النجّار ، القاهرة ١٩٥١ م .
– علم اللغة ، تأليف علي عبد الواحد وافي ، القاهرة ١٩٤٤ م .
– كتاب المعاني الكبير لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، مجلّدان ، حيدر آباد الدكن ، ١٦٣٨ – ١٦٣٩ هـ = ١٩٤٩ – ١٩٥٠ م .
– كتاب الاضداد لمحمّد بن القاسم الانباري (عني بتحقيقه محمد أبو الفضل ابراهيم) ، الكويت ١٩٦٠ م .
– كتاب الإبدال لأبي الطيّب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (حقّقه وشرحه عزّ الدين التنوخي) ، دمشق ١٣٧٩ – ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠ –١٩٦١م .
– كتاب النوادر لأبي مسحل عبد الوهاب بن حريش (عني بتحقيقه الدكتور عزّة حسن) ، جزءان ، دمشق ١٣٨٠ – ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ – ١٩٦٢ م .
– الإتباع لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (حقّقه وشرحه .... عزالدين التنوخي) ، دمشق ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م .
– دراسات في فقه اللغة ، تأليف صبحي الصالح ، دمشق ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م.
– القاموس المحيط للفيروز ابادي .
– لسان العرب لابن منظور .
– تاج العروس من جواهر القاموس (تفصيل وشرح للقاموس المحيط) للمرتضى الزّبيدي ، المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٧ هـ .
– خصائص العربية ومنهجها الأصيل في التجديد ، تأليف محمد المبارك ، القاهرة ١٩٦٠ م .
– في الدراسات القرآنية واللغوية ، تأليف عبد الفتّاح اسماعيل شبلي ، القاهرة ١٩٥٧ م .

---

١ Arabiya : Untersuchung zur arabischen Sprach — und Stilgeschichte , von J. Fück Berlin 1950; Arabiya : recherches sur l'histoire de la langue et du style arabe , traduction par Claude Denizeau , Paris 1955 .

– الوسيلة الأدبية للعلوم العربية ، تأليف حسين بن أحمد المرصفي ، جزءان ، القاهرة ١٢٨٩ – ١٢٩٢ هـ .
– المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية ، تأليف حمزة فتح الله ، القاهرة ١٣١٢ هـ .
– تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية ، تأليف حفني ناصف ، القاهرة ١٩١٠م – القاهرة ١٩٥٨ م .
– تاريخ علوم اللغة ، تأليف طه الراوي ، بغداد ١٩٤٩ م .
– تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي (نشره محمد سعيد العريان) ، القاهرة ١٩٥٤ م .
– نظرات في اللغة والأدب ، تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني ، بيروت ١٩٢٧م.
– دقائق العربية ، تأليف أمين ناصر الدين ، بيروت ١٩٥٣ م .
– السماع والقياس ، تأليف أحمد تيمور ، القاهرة ١٩٥٥ م .
– القلسفة اللغوية والالفاظ العربية ، تأليف جرجي زيدان ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٢٣ م .
– ردّ العامّي إلى الفصيح ، تأليف أحمد رضا ، صيداء ١٩٥٢ م .
– مميّزات لغات العرب وتخريج اللغات العامية عليلها وفائدة ذلك لعلم التاريخ ، تأليف حفني ناصف ، القاهرة ١٩٥٧ .
– مقدّمة لدرس لغة العرب وكيف نضع المعجم الجديد ، تأليف عبد الله العلايلي بيروت (بلا تاريخ) .
– فلسفة اللغة العربية وتطوّرها ، تأليف جبر ضومط ، مصر ١٩٢٩ م .
– نشأة اللغة عند الانسان والطفل ، تأليف الدكتور علي عبد الواحد وافي ، القاهرة ١٩٤٧ م .
– اللغة والمجتمع ، تأليف الدكتور علي عبد الواحد وافي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥١ م .
– اللغة والدين والتقاليد في حياة الاستقلال ، تأليف زكي مبارك ، مصر ١٩٣٦ م .
– القومية الفصحى ، للدكتور عمر فرّوخ ، بيروت ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م .

- اللغة الشاعرة ومزايا الفن والتعبير في اللغة العربية ، تأليف عبّاس محمود العقّاد ، القاهرة ١٩٦٠ م .
- Les langues du monde. par un groupe de Linguistes sous la direction de A. Meillet et Marcel Cohen, nouvelle édition, Paris 1952.
- Beiträge zur arabischen Lexikographie, von Alfred von Kremer, Wien 1883 - 4.
- Lexikographischen Notizen nach neuen arabischen Quellen, von Alfred von Kremer, Wien 1879 - 1890.
- Volkssprache und Schriftsprache im alten Arabien, von Karl Vollers, Strassburg 1906.
- Langue et Litterature arabes, par Charles Pellat, Paris 1952.

الأدب وتاريخ الأدب

تدل كلمة أدب على معان متعددة منها دعوةُ الناس إلى مَأدُبَة (إلى طعام) ، ومنها تهذيبُ النفس وتعليمُها ، ومنها الحديثُ في المجالس العامة ، ومنها السلوك الحسن ، ومنها الكلام الحكيم الذي ينْطَوي على حِكْمَة أو مَوْعِظَة حسنة أو قول صائب . وأما المعنى المقصود هنا فهو الذي يطلق على **مجموع الكلام الجيّد المرويّ نثراً وشعراً** . والأديب هنا هو الذي يتذوق الأدب ويقْدِرُ على الانتاج الأدبي .

والأدب مَلَكَةٌ أو براعة راسخة في النفس كالبراعة في سائر الصناعات من الخياطة والنجارة وسواهما . ويرى ابن خَلْدون أن هذه البراعة في تذوّق الأدب وانتاجه وفي تَلَقّي اللغة الصحيحة والأساليب النقية الخالصة ترْجِعُ في الأصل إلى نُشوء الفرد مع أهل اللسان ومخالطته إياهم ، فإذا لم يستطع ذلك فعليه بكثْرة المطالعة لكلامهم وباستظهاره . يقول ابن خلدون[1] :

« ان حصول مَلَكَة اللسان العربي إنما هي بكَثْرة الحِفْظ من كلام العرب حتى يرتسمَ في خياله (في خيال الحافظ) المنوالُ الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسجُ هو عليه ويتَنَزّلُ بذلك منزلةَ **من نشأ معهم وخالط عباراتهم في كلامهم** حتى حصلت له الملكةُ المُسْتَقِرّةُ في العِبارة (في التعبير) عن المقاصد على نحو كلامهم » .

---

[1] مقدمة ابن خلدون (بيروت ١٩٠٠) ص ٥٦١ : راجع ٥٦٠ — ٥٦١ : ٥٧٤ — ٥٧٥ .

أما تاريخ الأدب فهو فنّ من فنون المعرفة يتعلّق بتعاقب أعصر الأدب وبتطور الخصائص الأدبية مع الإلمام بسِيَرِ الادباء وباحصاء إنتاجهم وبالتمييز بين خصائصهم .

المعنى واللفظ في الأدب

اختلف النقّاد في موقفهم من الأدب ، وخصوصاً فيما يتعلّق بالمعنى واللفظ . إن الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ = ٨٦٨ م) يرى « أن المعاني كثيرة متشعّبة ولكنّها مستورة في الصدور ، وإنما الفضل في الدلالة عليها باللفظ الحسن »[١] . ان اللفظ هو الذي يجعل المعنى أحلى في القلب وأحسن في العيون[٢] . أما أفضل الشعر عند ابن قُتيبة (ت ٢٧٦ هـ = ٨٨٩ م) فهو « ما حسن لفظه وجاد معناه »[٣] . وابن رشيق القيرواني (ت نحو ٤٦٣ هـ = ١٠٧٠ م) يميل[٤] إلى أن تكون معاني الشاعر كثيرةً جديدةً مبتكرةً ، وإلاّ لمَا كان له فضلٌ ولمَا جازَ لنا أن نسميَهُ شاعراً . على أن ابن رشيق يرى أيضاً أن من حق المعنى الجيد أن يكون في لفظ جيد .

أما ضياء الدين بن الاثير (ت ٦٣٧ هـ = ١٢٣٩ م) فكان أيضاً من أنصار المعاني الجديدة ولكن على أن تأتي في صُوَر شعرية أو صور بيَانية بارعة من تشابيهَ واستعارات وكِنايات . ثم إنه يرى أنّ تَلْبَسَ تلك المعاني القليلة والصورُ البيانية البارعة ألفاظاً سهلةً حُلوة مُوافقةً للمعاني لا تزيد عليها ولا تنقص عنها .

وأما عبدُ الرحمن بن خَلْدون (ت ٨٠٨ هـ = ١٤٠٦ م) فيخالف ابن رشيق وابن الاثير معاً إلاّ قليلاً . إنه يؤثر الأسلوب على المعاني ، إذ يرى أن للعرب أساليبَ يَنْهجونها في التعبير عن مقاصدهم ، فعلى الشاعر ألاّ يَحيدَ عن هذه الأساليب . ثم انه يكره المعاني المزدحمة ، لأن ازدحامها يُؤدّي إلى تعقيدها وغموضها . قال ابن خلدون (المقدمة ٥٧٥) : « وإنما المختارُ من الشعر ما كانت

١ البيان والتبيين ١ : ٧٥ وما بعدها .
٢ البيان والتبيين ١ : ٢٥٤ .
٣ الشعر والشعراء ٧ ، راجع ٢١ .
٤ العمدة (المكتبة التجارية ، مصر ١٣٥٣هـ = ١٩٣٤ م) ، ١ : ١٠٣ وما بعدها .

ألفاظه طبْقاً على معانيه أو أوْفى (أكثر من معانيه) . فان المعاني إذا كانت كثيرة كانت حشواً فاشتغل الذهنُ بالغوْص عليها (للاتيان بها) فضاع على الذوق فرصة إيفاء حق الشعر من البلاغة . ولا يكون الشعر سهلاً إلاّ إذا كانت معانيه (لقلتها ووضوحها) تسابق ألفاظه إلى الذهن . ولهذا كان شيوخنا [1] رحمهم الله يَعيبون شعرَ أبي بكر بن خَفَاجَةَ شاعر الاندلس لكثْرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد ، كما كانوا يَعيبون شعر المتنبي والمعرّي بعدم النسج على الأساليب العربية ... (فقد) كان الكثير ممن لَقِيناهُ من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية يَرَوْنَ أن نظم المتنبي والمَعَرّي ليس من الشعر في شيء لأنهما لم يَجْرِيَا على أساليب العرب [2] .

ولا ريب في أن الأدب هو الأدب الجيّدُ وَحْدَهُ ، وكل ما سواه فليس بأدب . فالأدب إذن هو المعنى المبتكر في اللفظ الفصيح والتعبير المتين والأسلوب البارع والخيال الواسع . وهكذا لا نَعُدّ الكلامَ المُتداوَلَ في أحاديثنا اليومية المألوفة ولا الكلامَ الدائر في الرسائل العادية من إخْوانيةٍ وتجارية ولا الكلام المستعمل في الصحف اليومية والكتب العلمية أدباً ، إلاّ أنْ يتأنّق المتكلم أو الكاتب فيه فيدخلَ ذلك الكلام حينئذ في نطاق الأدب على مقدار ما فيه من البراعة والتأنق .

الأدب نثر ونظم ....

والكلام الجيّد نوعان : نثر وشعر . أما النثر فهو الكلام الذي يجري على السليقة من غير الْتِزامِ وَزْن . وقد يدخل السَجْعُ والمُوازنة والتكلّفُ الكلامَ ثم يبقى نثراً ، إذا بقي مجرداً من الوزن . وأما النظم فهو الكلام الموزون المُقفّى. فإذا امتاز النظم بِجَوْدةِ المعاني وتَخَيّر الألفاظ ودقة التعبير ومتانة السَبْك وحُسْن الخيال مع التأثير في النفس فهو الشعر . وقدَ تكون هذه الخصائص في الكلام من غير أن يكون موزوناً ونظل نُسميه شعراً ، لأن الشعر في حقيقته ما خَلَبَ العقل واستولى على العاطفة واستهوى النفس . من أجل ذلك قال عربه

---

1 أساتذتنا .

2 مقدمة ابن خلدون ٥٧٥ ثم ٥٧٣ .

الجاهلية عن القُرْآنِ إنه شعرٌ وعن رسول الله إنه شاعر : والعرب الجاهليون لم يقصدوا أن القرآن كلام موزون مقفى ، بل نظروا إلى شدة أثره في النفس فقالوا عنه ما قالوا .

.... وكلاهما سابق في بابه

الكلام المنثور هو الكلام الطبيعي المألوف في الحياة اليومية ، وعلى ذلك كان الكلام المنثور أسبقَ في التعبير عن مقاصدِ الانسان وعن أفكاره . ثم حدَثَ الكلامُ الموزون في المناسبات العارِضَةِ في حياة الانسان كالحُداء (سوْقِ الابل) والرِثاء والتغني بالحب ، لأن الوزن والقافية يُضْفِيانِ على الكلام شيئاً من الموسيقى فيصبحُ أوقعَ في النفس وأشد تأثيراً في الجماعات . وبما أن الشعر يحتاج إلى شيء من التكلف والجُهْد فقد كان أقل من النثر فكثرت رغبة الناس فيه وفي روايته . ويبدو أن العرب اتخذوا الشعر سبيلاً إلى التعبير الفني عن عواطفهم قبل أن تنشأ عندهم براعة مماثلة في النثر .

والأدب من الفنون الجميلة لأنه يخضع في انتاجه لعنصر الخيال . ولقد عدّ الاقدمون في الفنون الجميلة الشعرَ والموسيقى والرقصَ والتمثيلَ والخطَابةَ والبلاغةَ والرسم والخط والنحت والنقش .

الترجيح وطبقات الشعراء

إن التمييز بين الكثير والقليل ، وبين الكبير والصغير ، وبين الأبيض والاسود ، وبين اللغة واللغة ، وبين الفنّ والفنّ ، وبين الجيّد الجيّد والرديء الرديء أمر سهل جداً . ولكنّ التمييز بين المتشابهين من فنّ واحد وترجيحَ أحدهما على الآخر أمر في غاية الصعوبة . وهكذا نشأ في تاريخ الأدب العربي فنّ عُرف باسم **طبقات الشعراء** ، ثم أصبحت كلمة **طبقات** عنواناً لكتب متعددة في تاريخ الأدب [1] وفي غير تاريخ الأدب [2] . وأغْرِم مؤرّخو الأدب خاصة بتقديم

[1] طبقات الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي ؛ الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء لأبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة ؛ طبقات الشعراء لابن المعتز .

[2] كتاب الطبقات الكبير لابن سعد (في تراجم الصحابة) .

بعض الشعراء على بعض ، وتضاربت آراؤهم في ذلك حتى أننا لا نجد لهم إجماعاً على أحد ، ولا على امرئ القيس [1] . وكان اختلاف النقاد في غير امرئ القيس أكثر ، قال ابن سلاّم (ص ٧٤) : « سمعت يونس بن حبيب يقول : **ما شَهِدتَ مشهداً قطّ ذُكر فيه جريرٌ والفرزدق وأجمعَ أهلُ المجلس على أحدهما** » .

وكان النقّاد يتّخذون لتفضيل شاعر على آخر مقاييسَ مختلفة : منهم من قدم الشاعر لتقدمه في الزمن . ومنهم من يُقدّم الشاعر لجَوْدة معناه ، أو لحسن لفظه . ومنهم من قدّم الشاعر لهوىً أو عصبيةٍ [2] . سئل بشار بن برد عن الاخطل والفرزدق وجرير فقال : « لم يكن الاخطل مثلهما ، ولكنّ رَبيعةَ تعصّبت له وأفرطت فيه » [3] . ومن النقاد من يختار الشعر (ويقدّم صاحبه) على خفّة الرويّ ، أو على غرابة المعنى ، أو على نبل قائله ، أو على نُدرته ، لأن صاحبه لم يقلْ غيره ، وعلى سوى ذلك [4] .

والترجيح لا يكون في تقديم شاعر على شاعر فقط ، بل يكون في ادراك خصائص الشعر نفسه ، والنثر أيضاً ، ومعرفة مرتبته في الاجادة . والعرب يسمّون هذا الفنّ « النَقْدَ » ، ويسمّونه أيضاً الترجيح لأن من شأنه أن يُرَجّح بين حقيقة ومجاز ، أو بين حقيقتين ، أو بين مجازين ، ويكون (المرجّح) ناظراً في ذلك كله إلى الصناعة الخطابية [5] . وبعض المعاصرين لنا يسمّون هذا الفنّ « نظرية الجمال » أو « الفنّ الجمالي » أو « النقد الجمالي » [6] ؛ ويحسن أن يسمّى النقد البديعي أو البديعيات أيضاً . ومهما جعلنا اسمه فانه يقوم على الادراك

١ طبقات الشعراء ١٦ وما بعد ؛ العمدة ١ : ٧٦ ؛ جمهرة أشعار العرب ٢٠ وما بعد . قال ابن سلام : « ما ينتهى إلى واحد يجتمع عليه (في الشعر) ، كما لا يجتمع على أشجع الناس وأخطب الناس وأجمل الناس » .

٢ كان الرواة يتعصبون لشعراء من أقطارهم (العمدة ١ : ٨٠) : « إن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس بن حجر ؛ وان أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى ؛ وان أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والنابغة » (طبقات الشعراء ١٦) .

٣ طبقات الشعراء ٨٦ .

٤ الشعر والشعراء ٥ وما بعدها . راجع العمدة ١ : ٩٣ وما بعدها .

٥ المثل السائر ٢٦ .

٦ والغربيون يسمون ذلك « استيتيك ، أستتكس » ويشتقون ذلك من كلمة يونانية هي « آيثيثسيس » ومعناها « الحس والادراك » .

المعنوي لقيمة النصوص الأدبية عند نقدها للمفاضلة بينها وترجيح بعضها على بعض . ولقد عبّر ابن سلاّم الجمحي عن هذا الادراك المعنوي للشعر خاصة بمثل مادي حينما قال (ص ٣) : « وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات .... ومن ذلك الجهبذة [١] بالدينار والدرهم لا تُعرف جودتهما بلون ولا مسّ ولا طراز ولا حسّ ولا صفة . ويعرفها الناقد عند المعاينة : يعرف بَهْرجها وزائفها وستوقها ومُفرّغها [٢] .... وكذلك البصر بالرقيق : توصف الجارية فيقال : « ناصعة اللون جيّدة الشَطْب نقية الثغر حسنة العين والأنف جيّدة النهود طريفة اللسان واردة [٣] الشعر ، فتكون بهذه الصفة بمائة دينار وبمائتي دينار ، وتكون (جارية) أخرى بألف دينار وأكثر لا يَجِد واصفها مزيداً على هذه الصفة » .

أصول البلاغة

ان الاصلَ الذي تدور عليه البلاغة هو **حسنُ استعمال المَجاز تشبيهاً واستعارةً والبراعةُ في الاتيان بالصناعة اللفظية** من جِناس وسَجْع وطِباق وتَوْرِيَةٍ وسواها **مع الايجاز** والوضوح ، لتأدية المعنى الجليل واضحاً بعبارة صحيحة فصيحة تُؤثّر في النفس وتعطي كل شعور في القائل أو وصف لبيئته حقّه من التعبير القوي المتين في نفس السامع .

واستحسن العرب **الكلمة الصحيحة** التي تؤدّي المعنى المقصود **والفصيحة** المأنوسة المألوفة الدائرة على الالسن في الكلام الجيد ، كما استحسنوا **التركيب المتين** الذي يجري على أسلوب العرب في نسق الجملة وفي التقديم والتأخير .

وكذلك **استحسنوا أن يكون التشبيه بعيداً والاستعارة قريبة** ، ذلك لأن أركان التشبيه (المشبه والمشبّه به وأداة التشبيه ووجه الشبه) تكون في العادة مذكورة كلها أو أكثرها في الجملة . فمهما كان التشبيه بعيداً فانه يظل ملموحاً . ولكن بما

---

١ الجهبذ (بكسر الجيم) : النقاد الخبير .

٢ البهرج : الباطل الرديء ؛ المفرغ : الدينار يثقب ويسحب من داخله شيء من الذهب ثم يملأ مكانه بمعدن آخر أرخص قيمة ؛ الزائف : ما كان فيه غش ، مخلوط بمعدن أقل قيمة ؛ ستوق : بهرج ملبس بالفضة (درهم يسك من النحاس أو الرصاص ثم يموه بالفضة) .

٣ الشطب : الطول ، القوام ؛ واردة الشعر : شعرها طويل مسترسل .

أن الاستعارة تقوم على حذف المشبه أو المشبّه به مع حذف أداة التشبيه ووجه الشبه، فانها إذا بَعُدَت غَمُضَت واستغلقت؛ وهذا مخالف لأصول البلاغة. فاذا قلنا فلان صخرة صماء أدركنا حالاً أن **صخرة** قد استعملت هنا **مجازاً**، لأننا نعلم أن الانسان لا يكون صخرة حقيقة، بل **كالصخرة**، وحينئذ يصبح معنى الجملة أن فلاناً جَلْد صبور في المصائب، أو أنه قاس القلب. وأما الاستعارة فتكون في الأفعال. فاذا نحن قلنا: «طلع البدر» أو «أضاء البدر» أو «خُسِف البدر»، فان البدر هنا هو الجِرْم السماوي المعروف، لأن الأفعال: طلع، أضاء، خسف، من طبيعة البدر. ولكن إذا قرأنا قول سعيد بن حميد (ت ٢٥٠ هـ): «وَعَدَ البدرُ بالزيارة ليلاً»، فلا يمكن أن نفهم من «البدر» هنا أنه الجِرم السماوي، لأن البدر الذي هو الجِرم السماوي ليس من طبيعته أن يَعِدَ أو يُخْلِفَ وَعْداً، فنَردّ الاستعارة هنا إلى تشبيه ونقول ان الشاعر عنى: «**وعدني** حبيب يشبه **البدر بالزيارة ليلاً**».

والعرب **لم يستحسنوا التجنيس بين أكثر من لفظتين** في الجملة الواحدة. فمما يستجاد من ذلك قول أبي تمام:

جلا **ظلمات الظلم** عن وجه أُمّةٍ   أضاء لها من كوكب **العدل** آفله.

فقد جانس بين **ظلمات** وبين **الظلم**، ثم طابق بين **الظلم** وبين **العدل**. ولكن يكره مثل قول أبي تمام أيضاً:

فاسلم سَلِمَتْ من الآفات ما **سَلِمَتْ**   **سِلام سَلْمى** ومهما أورق **السَلَمُ**.

(**سلمت** من السلامة والعافية، **والسِلام** جمع سَلِمة: الحجر؛ **وسلمى** اسم جبل، **والسلم** نوع من الشجر).

الفنون والاغراض

إن الأدب، سواء أكان شعراً أو نثراً، يعالج موضوعات كثاراً. وهذه الموضوعات تُصَنَّفُ ويسمى المتشابه منها صنوفاً [1] أو أبواباً [2] أو فنوناً.

١ العمدة ٢: ١٥٧.

٢ راجع التقسيم الذي اتبعه أبو تمام في ديوان الحماسة وغير أبي تمام.

والأصل في الأدب كله أن يكون فناً واحداً هو الوصف ، لأن التعبير في حقيقته وصف للأحوال الحسية والأحوال النفسية . ولذلك قال ابن رشيق في العمدة (٢: ٢٧٨) : « الشعر الا أقلّه راجعٌ إلى الوصف » . بَيْدَ أنه لم يكن ثمت بد من تجزئة هذه التسمية لاتّساع مدلول الوصف مطلقاً وشموله كلّ شيء تقريباً ، فنظر النقّاد إلى الموضوعات التي اتسعت اتساعاً كبيراً فسَمَّوا وصف الناس الاحياء مدحاً وهجاءً ، وسَمّوا وصف الأموات رِثاء ، وسَمَّوا وصف النساء خاصة غزَلاً . ثم انهم قسموا الكلام في المرأة قسمين ، فما كان منه في وصف أعضائها الظاهرة من حُسن وجهها وجمال قَدّها ولون شعرها واتساع عينيها أبقَوْا له اسمَ الغزل ، وما كان يتناول الشكوى من فراقها والتشوق إلى لقائها واظهار الحب لها سَمّوه «نسيباً» ، وان كان نفر من النقّاد ومؤرخي الأدب يجعل الغزل والتّشبيب والنسيب بمعنىً واحد [1] . وكذلك سَمّوا وصف الخمر خمريات ، ووصف الصيد طَرْدِيّات ، الخ ... وبقي الوصف المطلق متعلقاً بوصف الطبيعة ومظاهرها كوصف الخيل والليل والبرق والبحر والجنائن والقصور وما إلى ذلك [2] .

---

١ العمدة ٢ : ١١١ .

٢ للافرنج تقسيم آخر للفنون الأدبية ، قسموا الأدب قسمين : شعراً ونثراً ، كما فعل العرب . ثم انهم قسموا الشعر خاصة أربعة أنواع :

(أ) الشعر الغنائي ، ويقابل عندنا الشعر الوجداني وماجرى مجراه من الغزل والرثاء والهجاء والمدح والوصف والحكمة والزهد .

(ب) الشعر الملحمي ، ويقابله عندنا الحماسة والفخر . والملحمة عندهم قصة طويلة تصف حرباً وتنطوي على حب ، ويشترط أن يكون فيها خوارق وتدخل للآلهة ، وتكون الملحمة في العادة شعراً . وعندنا نحن ملحمات ، ولكن لا صلة لها بملاحم الافرنج . جمع أبو زيد القرشي في « جمهرة أشعار العرب » سبع قصائد سماها الملحمات ، هي للفرزدق وجرير والاخطل وراعي الابل وسواهم . ويبدو أن هذه التسمية عرفية لا تدل على نوع مخصوص من القصائد . أما ابن خلدون (المقدمة ٣٣٠ وما بعدها) فيطلق لفظ الملاحم على القصائد التي تتعلق بالاحداث التاريخية وبالاخبار عن الغيب (التنبؤ بالحوادث) .

(ج) الشعر المسرحي (التمثلي)، ويتألف من القصص المنظومة شعراً قائماً على الحوار لاخراج تلك القصص على المسرح . ولم يكن عند العرب شعر بهذا الوصف قبل أحمد شوقي (ت ١٣٥١ ه = ١٩٣٢ م) .

(د) الشعر التعليمي وهو الشعر الذي تنظم فيه فنون العلم والمعارف كالنحو والفقه والتاريخ تسهيلا لحفظها. هذا الفن قديم عرفه اليونان وعرفه العرب منذ العصر العباسي . وأكثر ما يكون الشعر التعليمي عند العرب من بحر الرجز .

ولقد عد ابن رشيق من هذه الفنون الأبواب التالية (ص ١١٠ – ١٨١)، وعالجها منسوقة على الوجه التالي : النسيب – المديح – الافتخار – الرثاء – الاقتضاء والاستنجاز – العتاب – الوعيد والانذار – الهجاء – الاعتذار – ما أشكل من المدح والهجاء، ثم ذكر باب الوصف (ص ٢٣٨ – ٢٨٥). وهنالك فنون لم يعدّها ابن رشيق مع أنها كانت معروفة في أيامه وقبل أيامه منها الخمريات – الادب (الكلم الجوامع أو الحكمة) – الطرديات – الزهد – الاخوانيات الخ ...

النثر خاصّة

ومعظم الفنون التي ترد في الشعر ترد في النثر أيضاً. على أن صدر النثر أرحب لاستيعاب المعاني ومناقشتها وتفريعها. ثم ان في النثر من الفنون ما لا يمكن وروده في الشعر كالمقامات والخطب والترسّل والتأليف العلمي الخالص.

الخصائص والميزات

الخصائص هي الأحوال التي ترافق الفنون الأدبية وتجعل كل أديب يختلف من سائر الأدباء في انتاجه الأدبي، كما تجعل كل نصّ أدبي يختلف من كل نصّ آخر، مثل فصاحة الألفاظ أو غرابتها، ومتانة التركيب أو ركاكته، ثم اختراع المعاني والمحسّنات المعنوية واللفظية وأثر الحضارة والبداوة وما شابه ذلك، مما سيأتي تفصيله في فصل تال.

عمود الشعر

قال المرزوقي (ت ٤٢١ هـ = ١٠٣٠ م) في مقدّمة شرح ديوان الحماسة (١ : ٨ – ١١) :

« .... الواجب أن يتبيّن ما هو **عمود الشعر** المعروف عند العرب ليتميّز تليدُ الصنعة من الطريف [١]، وقديم نظام القريض من الحديث، ولتُعرف مواطئُ أقدام المختارين فيما اختاروه ومراسم أقدام المزيّفين على ما زيّفوه [٢]،

---

١ التليد : القديم. الطريف : الجديد.

٢ اختاروه : فضلوه على غيره. زيفوه : أظهروا رداءته.

ويُعلم أيضاً فرق، ما بين المصنوع والمطبوع ، وفضيلة الأتيّ السمح على الأبيّ الصعب [1] . فنقول ، وبالله التوفيق :

« انهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته [1] وجزالة اللفظ واستقامته والاصابة في الوصف – ومن اجتماع هذه الاسباب الثلاثة كثرت سوائر الامثال وشوارد الابيات [2] – والمقاربة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخيّر من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما . فهذه سبعة أبواب هي **عمود الشعر** ، ولكل باب منها معيار .

« **فعيار المعنى** أن يُعرض على العقل الصحيح والفهم الثاقب ، فإذا انعطف عليه جنبتا القبول والاصطفاء مستأنساً بقرائنه خرج وافياً ، والا انتقص بمقدار شوبه ووحشته [3] . **وعيار اللفظ** الطبع والرواية والاستعمال . فما سلم مما يهجّنه عند العرض عليها فهو المختار المستقيم . وهذا في مفرداته وجملته مراعى ، لأن اللفظة تُستكرم بانفرادها ، فإذا ضامها ما لا يوافقها عادت الجملة هجيناً [4] .

وعيار الاصابة في الوصف الذكاء وحسن التمييز . فما وجداه صادقاً في العلوق ممازجاً في اللصوق يتعسّر الخروج عنه والتبرّؤ منه ، فذاك سيماء الاصابة فيه . ويروى عن عمر رضي الله عنه أنه قال في زهير : كان لا يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال . فتأمّل هذا الكلام فانه تفسير ما ذكرناه .

« **وعيار المقاربة في التشبيه** الفطنة وحسن التقدير . فأصدقه ما لا ينتقض عند العكس ، وأحسنه ما أُوقع بين شيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما ليبين وجه التشبيه بلا كلفة ، الا أن يكون المطلوب من التشبيه أشهرَ صفات المشبّه به وأملكها له ، لأنه حينئذ يدلّ على نفسه ويحميه من الغموض والالتباس – وقد قيل أقسام الشعر ثلاثة مثل سائر ، وتشبيه نادر ، واستعارة قريبة .

« **وعيار التحام أجزاء النظم** والتئامه على تخيّر من لذيذ الوزن الطبعُ واللسان. فما لم يتعثّر الطبع بأبنيته وعقوده ، ولم يتحبّس اللسان في فصوله ووصوله [5] ،

---

١ المعنى الشريف : معاني الاغراض الفخمة كالكرم والحماسة ووصف القصور والخمر .
٢ الابيات البارعة المعنى السهلة التركيب .
٣ شوب المعنى : مزجه بالمعنى الرديء . ووحشة المعنى : غرابته وجفائه (بعده عن ألوان الحضارة) .
٤ الهجين : المخلوط بما هو أدنى قيمة منه ؛ البعيد عن الصفاء والعروبة الاصيلة .
٥ الفصل : الوقوف عند انتهاء المعنى . الوصل : صلة المعنى بالمعنى .

بل استمرًا فيه واستسهلاه ، بلا مَلال ولا كَلال ، فذاك يوشك أن يكون القصيدة منه كالبيت ، والبيت كالكلمة تسالماً لأجزائه وتقارناً .... وإنما قلنا **على تخيّر من لذيذ الوزن** لأن لذيذه يطرب الطبع لإيقاعه ويمازجه بصفائه ، كما يطرب الفهم لصواب تركيبه واعتدال نظومه .

« **وعيار الاستعارة** الذهن والفطنة . وملاك الأمر تقريب التشبيه في الاصل حتى يتناسب المشبّه والمشبّه بـه .... **وعيار مشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية** طول الدربة ودوام المدارسة . فإذا حكما بحسن التباس بعضها ببعض ، لا جفاء في خلالهـا ولا نُبوّ ، ولا زيادة فيها ولا قصور ، وكان **اللفظ مقسوماً على رتب المعاني** : قد جُعل الاخص للأخصّ [1] والأخسّ للأخسّ ، **فهو البريء من العيب** . وأما **القافية** فيجب أن تكون كالموعود به المنتظَر **يتشوّفها** [2] المعنى بحقّه واللفظ بقسطه ، وإلا كانت قلقة في مقرّها مجتلبة لمستغن عنها [3] .

« فهذه الخصال هي **عمود الشعر عند العرب** . فمن لزمها بحقّها وبنى شعره عليها فهو عندهم المُفلق المعظّم والمحسن المقدم ، ومن لم يجمعها كلها ، فبقدر سُهمته منها [4] يكون نصيبه من التقدم والاحسان . **وهذا اجماع مأخوذ به ومتّبع نهجه حتى الآن** » .

في ما يلي عدد من الكتب الممثّلة لوجوه الأدب والنقد على سبيل الاشارة لا على الاحاطة ولا على سبيل الحصر والاستقصاء :

– أسرار البلاغة لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (نشره هلموت ريتّر) ، استانبول ١٩٥٤ م .
– أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، القاهرة ١٩٢٢ – ١٩٢٣ م .
– إعجاز القرآن لأبي بكر محمد بن الطّيب الباقلاّني (تحقيق أحمد صقر) ، القاهرة ١٩٥٤ م .

---

١ الاخص للأخص : اللفظ (الفخم) الموافق للمعنى (الفخم) . الأخس للأخس : اللفظ اللين للمعنى اللين .
٢ يتشوفها : يراها من بعد (يستطيع القارئ أن يعرفها من سياق البيت قبل أن يصل اليها) .
٣ مجتلبة لمستغن عنهـا : يؤتى بهـا لتّام الوزن ومناسبة حرف الروي ، من غير أن يكون المعنى محتاجاً اليها .
٤ السهمة (بالضم) : القرابة والنصيب ، أي بمقدر ما في شعره من هذه الخصائص تكون جودة شعره .

– دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (نشره محمد رشيد رضا) ، القاهرة ١٣٣١ هـ . – (نشره محمد تاويت) ، تطوان (بعد ١٩٥٠ م) .
– التشبيهات لأبي اسحق ابراهيم بن محمد بن أبي عون البغدادي (عني بتصحيحه محمد عبد المعيد خان) ، لندن ١٩٥٠ م .
– العمدة في صناعة الشعر ونقده لأبي عليّ الحسن بن رشيق ، القاهرة ١٩٢٥ م . القاهرة ١٩٥٥ م .
– قراضة الذهب لأبي عليّ الحسن بن رشيق ، القاهرة ١٩٢٦ م .
– سر الفصاحة لأبي محمد عبد الله بن محمد الخفاجي (تحقيق علي فودة) ، القاهرة ١٩٣٢ م .
– المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين أبي الفتح نصر الله بن محمد ابن الاثير (نشره محمد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة ١٩٣٩ م .
– نقد الشعر لأبي الفرج قدامة بن جعفر ، قسطنطينية ١٣٠٢ هـ – القاهرة ١٩٣٤ م . – ليدن ١٩٥٦ م .
– كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، الاستانة ١٣٢٠ هـ . – (نشره علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم) ، القاهرة ١٩٥٢ م .
– ديوان المعاني لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري ، القاهرة ١٣٥٢ هـ .
– الوساطة بين المتنبّي وخصومه لأبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني (تحقيق وشرح محمد ابي الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي) القاهرة ١٣٦٤هـ=١٩٤٥م.
– معاني الشعر لأبي عثمان سعيد بن هرون الاشناندي ، دمشق ١٩٢٢ م .
– الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء لأبي عبد الله محمد بن عِمران المرزباني ، القاهرة ١٣٤٣ هـ .
– فنّ الأدب ، لتوفيق الحكيم ، القاهرة ١٩٥٢ م .
– الاصول الفنيّة للأدب ، تأليف عبد الحميد حسن ، مصر ١٩٤٥ م .
– تاريخ علم الأدب عند الافرنج والعرب ، تأليف محمد روحي الخالدي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩١٢ م .

- الشعر وقضيته في الأدب العربي ، تأليف ابراهيم العريّض ، البحرين ١٩٥٥ م .
- فنّ الشعر ، تأليف احسان رشيد عبّاس ، بيروت ١٩٥٥ م .
- الشعر والفنون الجميلة ، تأليف ابراهيم العريّض ، القاهرة ١٩٥٢ م .
- كيف نتفهّم الشعر وكيف نتذوّقه ، لرضوان الشهّال ، بيروت ١٩٦٢ م .
- الفنّ ومذاهبه في الشعر العربي ، تأليف شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٤٣ و ١٩٤٥ - بيروت ١٩٥٦ م .
- الفنّ ومذاهبه في النثر العربي ، تأليف شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٤٦ - بيروت ١٩٥٦ م .
- الأدب وفنونه : دراسة ونقد ، تأليف عزّ الدين اسماعيل ، القاهرة ١٩٥٥ م.
- نظرية الأنواع الأدبية ، تأليف ش. فنسان (ترجمة حسن عدن) ، الجزء الأول ، الاسكندرية ١٩٥٤ م .
- فنون الأدب ، تأليف هنري باكلي تشارلتون ، (ترجمة زكي نجيب محمود) ، القاهرة ١٩٤٥ م .
- فنّ الشعر : عَروض الشعر العربي وقوافيه ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٤٩ م .
- الشعر والتجديد ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة (بعد ١٩٥٠م) .
- الشعر العربي بين التطوّر والجمود ، تأليف محمد عبد العزيز الكفراوي ، القاهرة ١٩٥٨ م .
- التطوّر والتجديد في الشعر العربي ، تأليف شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٢ م .
- حياة الشعر وأطواره ، تأليف محمد الشاذلي خزندار ، تونس ١٩٢٠ م .
- شعر الطبيعة في الأدب العربي ، تأليف سيّد نوفل ، مصر ١٩٤٥ م .
- الباب المرصود ، تأليف عمر فاخوري ، بيروت ١٩٣٨ م .
- دراسة الشعراء ، تأليف محمد حسن نائل المرصفي ، القاهرة ١٩٤٤ م .
- الطبع والصنعة في الأدب العربي ، تأليف محمد الهياري ، القاهرة ١٩٥٨ م .
- الاسس النفسية للابداع الفنّي في الشعر خاصّة ، تأليف مصطفى سويف ، مصر ١٩٥١ م .
- أوهام شعراء العرب في المعاني ، تأليف أحمد تيمور ، القاهرة ١٩٥٠ م .

– الخيال في الشعر العربي ، تأليف حسين محمد الخضر ، دمشق ١٩٢٢ م .
– الخيال الشعري عند العرب لأبي القاسم الشابّي ، تونس ١٩٣٠و١٩٦١ م .
– الرمزية في الأدب العربي ، تأليف درويش الجندي ، مصر ١٩٥٨ م .
– الرمزية والأدب العربي الحديث ، تأليف أنطوان غطّاس كرم ، بيروت ١٩٤٩ م .
– تحت راية القرآن : المعركة بين القديم والجديد ، تأليف مصطفى صادق الرافعي ، القاهرة ١٩٢٦ م .
– رسالة الأديب ، تأليف عبد الرحمن أبي قوس ، حلب ١٩٤٤ م .
– رسالة الشاعر ، تأليف ابراهيم الابياري ، القاهرة ١٩٤٩ م .
– الأدب الهادف ، تأليف محمود تيمور ، القاهرة ١٩٥٩ م .
– مقدمة لدراسة بلاغة العرب ، تأليف أحمد ضيف ، القاهرة ١٩٢١ م .
– مقدمة لدراسة النقد في الأدب العربي ، تأليف أنيس المقدسي ، طهران ١٩٥٨ م .
– قضيّة الأدب بين اللفظ والمعنى أو بين الاشكال والدلالات قديماً وحديثاً ، تأليف أحمد محمد عنبر ، القاهرة ١٩٥٤ م .
– أصول النقد الأدبي ، تأليف أحمد الشايب ، القاهرة ١٩٤٢ م . – ١٩٤٦ الخ
– النقد الأدبي : أصوله ومناهجه ، تأليف سيّد قطب ، القاهرة ١٩٥٤ م .
– النقد في الأدب العربي ، تأليف شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٤ م .
– الأسس المبتكرة لدراسة الأدب الجاهلي ، تأليف عبد العزيز مزروع ، القاهرة ١٩٥٠ م .
– أسس النقد الأدبي عند العرب ، تأليف أحمد أحمد بدوي ، القاهرة ١٩٥٨م.
– النقد المنهجي عند العرب ، تأليف محمد مندور ، مصر ١٩٤٨ م .
– دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث للهجرة ، تأليف بدوي أحمد طبانة ، القاهرة ١٩٥٤ م .
– تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع ، تأليف طه أحمد إبراهيم ، القاهرة ١٩٣٧ م .
– تاريخ القصة والنقد في الأدب العربي ، تأليف السباعي بيومي ، القاهرة ١٩٥٦ م .

- الأسلوب : دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ، تأليف أحمد الشايب ، مصر ١٩٤٥ م .
- النقد الجمالي وأثره في النقد العربي ، تأليف روز غريّب ، بيروت ١٩٥٢م.
- الاسس الجمالية في النقد العربي : عرض وتفسير ومقارنة ، تأليف عزّ الدين اسماعيل ، القاهرة ١٩٥٥ .
- النقد واللغة في رسالة الغفران ، تأليف أمجد طرابلسي ، دمشق ١٩٥١ م .
- البيان العربي : دراسة تاريخية فنيّة في أصول البلاغة العربية ، تأليف بدوي أحمد طبانة ، القاهرة ١٩٥٦ م .
- قواعد النقد الأدبي ، تأليف لاسل آبركرمبي (نقله إلى العربية محمد عوض محمد) ، مصر ١٩٤٤ م .
- منهج البحث في الأدب واللغة ، تأليف غوستاف لانسان ومابيه (ترجمة محمد مندور) ، بيروت ١٩٤٦ م .
- النقد الأدبي ومدارسه الحديثة ، تأليف ستانلي أدغار هايمن (ترجمة احسان عبّاس ومحمد يوسف نجم) ، بيروت ١٩٥٨ م .
- في أصول الأدب ، تأليف أحمد حسن الزيّات ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٤٦ م .
- مناهج الدراسة الأدبية ، تأليف الدكتور شكري فيصل ، القاهرة ١٩٥٣ م .
- طبيعة الشعر العربي للدكتور عبد الله الطّيب (مجموعة ١٩٦٢ — ١٩٦٣) ، ص ٢٥ — ٦٥ [١] .
- مذاهب الأدب للاستاذ محمود تيمور (م م ل ع) ١٤ : ١٤٧ — ١٥٩ [٢] .
- المذاهب المنحرفة للاستاذ أحمد حسن الزيّات (م م ل ع) ١٧ : ٧ — ١٠ .
- الشعر العربي والمذاهب الغربية المنحرفة لعبّاس محمود العقّاد (مجموعة ١٩٥٩— ١٩٦٠) ، ص ٢٥ — ١٤٧[١] .
- تاريخ نشوء الرجز وتطوّره ، للاستاذ بهجة الاثري (م م ع ع [٣] ، الجزء الثاني — ١٩٢٨) .

---

١ مجموعة البحوث والمحاضرات التي تلقى في مجمع اللغة العربية في القاهرة .
٢ مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة .
٣ مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق .

- ارتجال الشعر واجازته لأسعد خليل داغر (م م ع ع ، المجلد ١٣ ، ١٩٣٣ — ١٩٣٥) .
- من الأدب القديم الصميم لعبد القادر المغربي (م م ع ع ، المجلد ٢٨ ، ١٩٥٣) .
- كتب الأدب القديمة والحديثة لسليم الجندي (م م ع ع ، المجلد ١١ ، ١٩٣١) .
- تاريخ الأدب ونقده لشفيق جبري (م م ع ع ، المجلد ١٠ ، ١٩٣٠) .
- الادب ، ثقافة الذوق وتمازج الثقافات لشفيق جبري (في المكان نفسه) .
- السرقات الأدبية ، تأليف بدوي أحمد طبانة ، القاهرة ١٩٥٦م .
- مشكلة السرقات في النقد الأدبي ، تأليف محمد مصطفى هدّارة ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

الأعصُر الأدبيَّة عِند العرَب

تاريخ الأدب العربي قديم جداً ، ولكنّ أقدمَ ما وصل الينا من نصوص الأدب العربي لا يزيد عُمرُهُ على ألفٍ وستّمائةِ سنةٍ . هذه المدة مقسومة ، في تاريخ الأدب ، ثَلاثَ حِقَبٍ هي :

أ – **الادب القديم** من أقدم العصور الجاهلية إلى آخر العصر الأموي (نحو ٣٠٠ سنة) .

ب – **الادب المُحْدَث** من سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ، سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) ، إلى مطلع القرن التاسع عشر للميلاد .

ج – **الادب الحديث** من مطلع القرن التاسع عشر إلى اليوم .

وبما أن هذه الحِقَبَ طويلة جداً ، فقد قسمها مؤرخو الأدب العربي أعْصُراً قصيرة توافق الاعصر السياسية في تاريخ الاسلام ، وهي :

(١) العصر الجاهلي ، قبل الاسلام .

(٢) عصر المُخَضْرمين ، أو صدرُ الاسلام الأول : من ظهور الاسلام إلى آخر دولة الخلفاء الراشدين وقيام الدولة الأموية (٤٠ هـ ، ٦٦٠ م) .

(٣) العصر الأموي .

(٤) العصر العباسي الحِقبة الأولى : حِقبة بغداد
الحقبة الثانية : حقبة الدويلات
الحقبة الثالثة : الحقبة السلجوقية

(٥) العصر الاندلسي (المتاخر)

(٦) العصر المغولي

(٧) العصر العثماني

(٨) العصر الحديث : أدب النهضة العربية (١٨٠٠ – ١٨٧٥ م) ، الأدب المعاصر .

بلادُ العرب

أحوالها الطبيعيّة والاجتماعيّة

بلاد العرب شبهُ جزيرة تبلغ ثلاثة ملايين كيلومتر مربع . ومن الباحثين مَنْ يجعلها **جزيرة** لأن نهرَيِ الفرات والعاصي يعقدان لها عند اقترابهما في أعلى الشام حداً شمالياً من الماء . وهذا يُدخِلُ الشامَ كلها في بلاد العرب .

وسطح بلاد العرب شديد التفاوت ، **فالقسم الأعظم منه بادية** ، أي أرض تصلح للزراعة ولكن لا ماء فيها . ويتخلل **البوادي واحات** ومرتفعات تُنبت الزرع والنخيل . ثم هنالك **صَحارى** (أرض رملية لا تصلح للزراعة ولو وجد الماء) تتسع في الشمال حيث تدعى « النُفود » ، وفيها عدد من الواحات أشهرها « تيْماء » التي ذكرها امرؤ القيس . **وكذلك** تتسع هذه الصحارى اتساعاً أكبر في الجنوب حيث تدعى « الدَهْناء » (**الفلاة الواسعة**) أو الربع الخالي (بفتح الراء بمعنى المكان ، أو بضم الراء بمعنى الجزء من أربعة دلالةً على اتساعها) .

وتَنْهَدُ في شمالي شبه جزيرة العرب هضبة متسعة تدعى **نَجْداً** (المكان المرتفع) ، سطحها ذو انحدار تدريجي من الغرب الى الشرق . وتَحُدُّ نجداً من الغرب جبالٌ اسمها **الحِجاز** لأنها تَحْجِز (تَفْصِل) بين **تِهامة** (الأرض المنخفضة) على ساحل البحر الأحمر وبين نجد . أما من الشرق فتحده مرتفعات تفصل بينه وبين **البحرين** (شاطئ شبه جزيرة العرب على خليج البصرة) . وتتصل هضبة نجد في الشمال بالعراق والشام ، أما في الجنوب فتتصل **باليَمامة** . **وهضبة نجد هي المكان الذي نشأ فيه فحول الشعراء قبل الاسلام والذي اندفعت منه الفتوح العربية بعد ظهور الاسلام** لتنشر الدعوة في العالم ولتنشيء الدولة العربية ولتخلق الحضارة والثقافة اللتين تتمتّع بهما بلاد العرب اليوم وعدد من البلاد غير العربية أيضاً .

الحياة الاجتماعية (القبيلة والاسرة)

القبيلة أساس الحياة الاجتماعية . والقبيلة أسرة كبيرة يَرْبِطُ بعضَ أفرادها ببعض سَبَبٌ من القرابة أو الزواج . وربما انتسب شخص إلى قبيلة ما بالولاء أو الحِلْف فأصبح كأنه من تلك القبيلة نسباً ودماً . وكذلك ربما خلعت القبيلة أحد أفرادها إذا خرج على بعض مبادئها أو خالف مُثُلَها العُليا . وكان في القبيلة عبيد أيضاً . والعبد يكون في الأصل أسيراً أو مشترىً بالمال أو ابن أمَةٍ (جارية مُلِكَت بالسبي أو الشراء) .

أما **مقام المرأة** في الجاهلية فكان متّصلاً بالمحافظة على النسب الصريح الذي كان الجاهلي يعبّر عنه بلفظ الأعراض . ولم يكن مقام المرأة الجاهلية ، فيما عدا ذلك ، مقاماً مرموقاً . إن الغَزَواتِ المتواليةَ والحروبَ الطوالَ كانت تُقَصّر أعمارَ الذكور وتقلّل عددهم . من أجل ذلك كان عدد النساء في الجاهلية يزيد دائماً على عدد الرجال أضعافاً مضاعفة . فإذا أضفنا إلى ذلك مَدْرَكَ العِرْض عند البدوي الجاهلي خاصة وقسوة الحياة الاقتصادية ، وَضَحت لنا المشكلة التي تعرضت لها الحياة الاجتماعية يومذاك . والحلّ المحتومُ الذي قبلته الحياة الجاهلية : أن يجعل الرجل الواحد في عِصمته عدداً كبيراً من النساء حتى تظلّ الانساب معروفةً في عمودها المخصوص من الرجال . ولو قبل الجاهلي أن يَتْرُكَ النساء الزائدات على عدد الرجال يتصفّحْنَ وجوه الرجال لاختلطت الانساب وفَقَدَ البَدْوي الجاهلي الفخر الأعظم في حياته الاجتماعية .

من أجل ذلك ساد تعدّد الزوجات سيادة مطلقة ، وتعددت أيضاً أشكال الزواج : كان في الجاهلية زِواج المَهر (وهو الشكل الذي قبله الاسلام فيما بعد) وزواج السبي ، وزواج الاسترقاق (بالشراء) وزواج المُتعة (الزواج الموقّت) وزواج المَقْت (كان الرجل إذا مات ورث أولادُه نساءه ، على ألا يتزوج أحدُهم أمه التي ولدته) . وكان هنالك زواج الاستبضاع الذي لا يختلف من الزنا في شيء (وذلك أن يُعْجَبَ رجلٌ بفارسٍ أو بطل أو شريف فيسمح لإحدى نسائه أن تستبضع منه . ولا ريب في أن ذلكَ كان أمراً شاذاً جداً) . وإذا نحن اعتبرنا جميع هذه الأشكال رأينا أنها ترمي إلى أن يبقى النسل في كل قبيلة صريحاً معروفاً . حتى الاتصال بالبغايا في الجاهلية كان كثيراً ما ينحو هذا المنحى ، فان معاوية بن أبي سفيان قد استشهد قوماً على أن والده أبا سفيان كان

قد اتصل باحدى أصحاب الرايات (بامرأة بغيّ) في الجاهلية ، وكان اسمها سُمَيّة، وأنها حملت منه بزيادٍ المعروف بزيادِ بن أبيه . ثم ان معاوية استلحق زياداً بنسبه على أنه أخوه شرعاً .

وإذا نحن تأمّلنا الغزل في الجاهلية وجدناه أيضاً يسلك هذا المسلك : المحافظة على النسل صريحاً معروفاً : لم تكن البيئة الجاهلية تجيز التغزل بالعذارى ، حتى أنهم حرّموا على الفتى أن يتزوج فتاة تغزّل بها فشهرّها . وأكثر الغـزل الجاهلي في المتزوجات ، فقول امرئ القيس : « فمثلك حبلى قد طرقت ومرضعا » ، وقصة المنخّل اليشكري مع المتجردة امرأة النعمان ، وقول الأعشى : « وقـد أخالس رب البيت غفلته ... » كلها مصداق لذلك . ولا ريب في أن الجاهلي كان يتغزل بالعَذارى ، ولكنه كان أجرأ على المتزوجات .

الحياة الروحية

البدوي مُوحِّد ، ولكنه قليل الاحتفال بالعبادات وبالدين كله إذا كان آمناً على نفسه (يخاف الله في ساعات الضيق والفزع ، فإذا انكشفت غُمته عاد إلى الجُحود) . والاوثان كانت طارئة على بلاد العرب . ثم لما وقع الاضطهاد على اليهود والنصارى ، لجأت جَوالٍ منهم إلى بعض أقسام شبه الجزيرة ثم زالوا منها مع ظهور الاسلام .

وكان في الجاهلية أفراد متحنّفون كَثُرَ عددهم قبيل ظهور الاسلام ، ولكن لم يبلغوا إلى أن يكونوا جماعات . هؤلاء المتحنّفون أو الحُنفاء كانوا يبنون أعمالهم الخاصة والعامة على الاخلاق الكريمة وما يقضي به العقل العملي في الحياة . **وكانوا لا يَشْرَكون قومهم في حياتهم الجاهلية** . ان هؤلاء كانوا قد **حرّموا على أنفسهم الخمر وهجروا الأوثان** (على قلتها في بلاد العرب) **وتركوا الثأر والغزو** . ويبدو أنهم اعتقدوا بالله وحدَه وبحياة بعد الموت . وكان هؤلاء أيضاً قـد سلكوا سبيلاً من سُبُلِ الزهد ، ولكن لم يكن لهم عبادات معينـة يقومون بها .

أما الصورة الصحيحة لهؤلاء الحنفاء فيجب أن نطلبها في القرآن الكريم . لقد جاءت كلمة **حنيف** في الإفراد وكلمة **حنفاء** في الجمع اثنتي عشرة مرة في

القرآن الكريم [1] كلها تدور على أن **الحنيف** هو الشخص على مِلّة إبراهيم (وكان إبراهيم قبل موسى بزمن طويل). وتصف هذه الآيات الكريمة الرجل الحنيف على ملّة ابراهيم بأنه ليس يهودياً ولا نصرانياً ولا مُشْركاً بالله، ولكنّه على «**فِطرة الله التي فَطَرَ الناسَ عليها**» [2] : موحِّدٌ يعمل الصالحات. ويحسن الاستشهاد هنا بآيتين. جاء في سورة البقرة (٢ : ١٣٥ – ١٣٦) : «وقالوا : كونوا هُوداً أو نَصارى تهتدوا ؛ قلْ : بل مِلّةَ إبراهيمَ حنيفاً، **وما كان من المُشركين**. قولوا : آمَنّا باللهِ وما أُنزِلَ إلَيْنا وما أُنزِل إلى إبراهيمَ واسماعيلَ واسحاقَ ويعقوبَ والاسباطِ، وما أُوتِيَ موسى وعيسى **وما أُوتِيَ النبيّون من ربّهم، لا نُفرِّقُ بين أحد منهم، ونحن له مسلمون**». وهنالك موضع آخر فيه شيء من التفصيل. جاء في سورة الحجّ (٢٢ : ٣٠ – ٣١) : «ذلك، ومن يُعَظِّمْ حُرُماتِ الله (٢) فهو خيرٌ له عند ربّه، وأُحِلّتْ لكمُ الانعامُ إلاّ ما يُتلى عليكم. **فاجتَنِبوا الرِجْسَ من الاوثانِ، واجتنبوا قولَ الزور : حُنَفاءَ لله غيرَ مشركين به**».

وكان إلى جوانب الجوالي المسيحية واليهودية في بلاد العرب أفراد اعتنقوا اليهودية كالسموأل، فيما قيل، أو النصرانية كقَسّ بن ساعدة. أما فيما يتعلق بالنصرانية خاصة، فهنا موضع لملاحظتين : أولاهما أننا لا نجد للنصرانية أثراً في أدب هؤلاء. ليس في أدب هؤلاء ذكرٌ لِرُكنٍ من أركان النصرانية ولا لإشارة خاصة بالنصرانية، على ما نعرف اليوم من حال هذه الديانة، ولا لقَسَمٍ مسيحي على كثرة ما كان الجاهلي يقسم بالاوثان.

وأما الملاحظة الثانية فهي فرْع من الملاحظة الأولى : ما الشيعة النصرانية التي انتشرت بين هؤلاء العرب ؟ لا ريب في ان النصرانية تفرقت شيعاً كثيرة، منذ القرن الأول للميلاد [3]، وقد كانت كل هذه الشيع تتفرع من الجدال : أإلّه عيسى أم إنسان ؟ وإذا نحن استعرضنا النصوص التي يَزْعُم شيخو وأنداده

---

١ ٢ : ١٣٥ ؛ ٣ : ٦٧، ١٩٥ ؛ ٤ : ١٢٤ ؛ ٦ : ٧٩، ١٦٢ ؛ ١٠ : ١٠٥ ؛ ١٦ : ١٢٠، ١٢٣ ؛ ٢٢ : ٣١ ؛ ٣٠ : ٣٠ ؛ ٩٨ : ٥.

٢ سورة الروم ٣٠ : ٣٠.

٣ راجع ديوان البدع للمطران جرمانوس فرحات.

أنها لعربٍ نصارى ، لم نجد فيها شيئاً من ذلك . وكذلك النزاع الذي دار حول الطبيعة الواحدة في عيسى أو الطبيعتين ليس له أثر في آثار هؤلاء ، ولا غَرْوَ فان هذا النزاع بيزنطيٌّ في طبيعته بعيد كل البُعد عن العقلية العربية . وعلى كل ، فليس في ما بين أيدينا من النصوص الأدبية إشارة إلى ذلك ، من قرب أو من بُعد . وتَسَرُّبُ النصرانية إلى نفر من العرب لم يكن من الأهمية بحيث يصبح عنصراً من عناصر الحياة الجاهلية . قال بلاشير [1] : « ان قبائل جِذام وتَغْلِب وعاملة هي مسيحية ، ولكنها مسيحية سطحية . وان السرعة التي اعتنقت بها القبائل المذكورة الاسلام لدلالة على رقّة ايمانهم بالمسيحية . والخلاصة فانها (أي المسيحية) لم تُخلق من أجلهم لأنها جَهِلت بعض جوانب النفسية العربية ، ورأى الكثيرون منهم (من العرب) أنها ديانة دخيلة تحمل طابع الغزاة فلقيت مقاومة المغلوبين » .

ثم ان جميع الشواهد التي قيل إنها لشعراءَ نصارى ليس فيها سوى كلام في الزهد وذكر الله والموت ، مما ليس خاصاً بدين معيّن . حتى عَدِيّ بن زيد الذي كان نصرانياً على القطع لم يتضمّن شعره سوى هذه الأمور العامة التي تعمّ جميع الأديان . فالشيعة النصرانية التي لقيت شيئاً من الانتشار بين عدد من الأفراد العرب ، وفي بعض القبائل العربية ، كانت نصرانية بدائية قريباً جداً من التوحيد . وإذا جاز لي أن أتلبّس عقلية مستشرق من المستشرقين ثم أقبل أن يكون القرآن الكريم قد ذكر النصارى ذكراً حَسَناً تألّفاً لهم وجذباً لهم إلى الاسلام ، فانني أخرج بملاحظتين قيّمتين جداً ، لا أعتقد أن المستشرقين ، في الأصلِ ، قد قصدوا الوصول اليهما . أما الملاحظة الأولى فهي ان القرآن قد عاتب النصارى الذين يؤمنون بالتثليث والذين يَنْسِبون الألوهية إلى عيسى وأمه مريم . فالذين توجّه القرآن الكريم بالكلام اليهم ، إذن ، لم يقولوا بالتثليث ولا بألوهية المسيح . وأما المُلاحظة الثانية فهي أن هؤلاء النصارى الذين جاءوا ليعيشوا في شبه جزيرة العرب كانوا من الذين تحمّلوا اضطهاد الطبقات الحاكمة في بلاد الروم وفي البلاد التي كانت خاضعة للروم — . فلما جاء الاسلام بالمساواة بين جميع أتباعه ، ثم رأى هؤلاء النصارى أن العقيدة التي كانوا يؤمنون بها أقرب إلى الاسلام وبعيدة جداً عن النصرانية التي كانت قد أصبحت

---

١ تاريخ الأدب العربي لبلاشير ١ : ٦٩ .

الديانة الرسمية في الدولة البيزنطية وفي الكنيستين الشرقية والغربية ، اعتنقوا الاسلام بسهولة وسرعة .

البرّ

أما الجامع الروحي الذي كان ، في جميع شبه جزيرة العرب ، يجمع بين أفراد الأسرة ويجمع أيضاً بين أفراد القبيلة فكان البِرّ. وقد قام البر للجاهلي ، في البدو والحضر ، مقام الدين والرابطة الاجتماعية والاخلاق الشخصية ، يدلنا على ذلك قول النابغة في حديث الرجل والحية :

فلما وقاها اللهُ ضربةَ فأسهِ ، وللبرّ عينٌ لا تُغمّضُ ناظرهْ ،

أو قول عمرو بن كلثوم : « نَجُذّ رؤوسهم من غير بِرّ ... »

حتى طرفة الذي كان يَسْلُكُ في حياته وشعره مسلكاً شخصياً بعيداً عما توجبه البيئة الجاهلية ، فانّه لم يستطع أن يتخلّص من جامع البرّ هذا . ان أعمام طرفة منعوه إرثَه من أبيه ، وان أخاه معبداً كان يحتقره ويهزأ به ، وان ابن عمه مالكاً كان يلومه ويحرّض عليه . ومع ذلك فلم يجد طرفة من الممكن أن يخالف ما أوجبه البر لأهله ، بل قال وهو يتألّم في نفسه (من أهله وابن عمه خاصّة) :

وقرّبتُ بالقُربى ، وجَدّكَ ، إنّني	متى يَكُ أمرٌ للنكيثةِ أشهَدِ .
فلو كان مولايَ أمرأً هو غيرُه	لَفرّج كربي أو لأنظَرني غدي ؛
ولكنّ مولايَ امرؤٌ هو خانقي	على الشكر والتسآل أو أنا مُفتدي.
وظلم ذوي القُربى أشدّ مضاضة	على النفس من وقع الحُسام المُهنّد !
فذَرْني وخُلْقي ، إنني لك شاكرٌ	....

أما أجمع تعريف للبر فالآيةُ الكريمة (البقرة — ٢ : ١٧٩) :

« ليس البرّ أنْ تُولّوا وجوهكم قِبَلَ المَشْرقِ والمَغرِب ، ولكنّ **البِرّ مَن آمنَ** باللهِ واليومِ الآخرِ والملائكةِ والكتابِ والنبيّين ، **وآتى المالَ على** حُبّهِ ذَوي القُرْبَى واليَتامى والمَساكينَ وابنَ السبيلِ والسائلينَ وفي الرقابِ ، **وأقامَ الصلاةَ** وآتى الزكاةَ ، **والمُوفُونَ بِعَهْدِهِم** إذا عاهَدوا **والصابرين في**

البَأساءِ والضَرّاءِ وحينَ البَأسِ . أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المُتّقون » .

وكما فَرَضَتِ الحياةُ البَدْوية على الجاهليّ مَساويءَ من الغزو والثأر والحَميّة الجاهلية وَوأد الأولاد وشُرب الخمر أحياناً ولَعِبِ المَيْسِر ، فانها غَرَسَتْ فيه أيضاً مَحامدَ من الوفاء والكرم والنَجْدة والشجاعة والحِفاظ على العِرْض وعلى خير القبيلة ووَحْدتها . حتى المَيْسِرُ لم يكن شَراً كلُّه : كانتِ الإبِلُ التي تُنْحَرُ « ليَجْرِيَ عليها اللَعِبُ » تقسم بين الذين لا يَجِدون قوتاً حينما يشتدّ البردُ في البادية (وكان الميسر عادة من ملاهي الشتاء) . ولكنّ الميسرَ ، وان كان قد أنقذ أفراداً من الجوع والموت ، فانه قد أفقر نفراً من الأغنياء أو تحول إلى أُلْهِيَةٍ سيئة تقتل الوقت وتثير الاحقاد .

الحياة الاقتصادية

نجدٌ بادية في الاكثر . من أجل ذلك كان سكان نجد أهل رِحلة ينتقلون بإبِلِهِمْ وأنعامهم من مكان إلى آخر طلباً للماء والمرعى . وكان من أسباب معيشة البَدْوي الغزو ، وذلك أن يهاجم جماعة من البدو جماعة أخرى للاستيلاء على مواشيها غَصْباً . أما إذا استولى البدْوي على شيء وأهله غائبون فذلك هو السَرِقة .

أما الحَضَر فكانوا يسكنون القرى (المدن) ويعيشون على شيء من الزراعة في الاقل ، وعلى التجارة في الاكثر . وكانت متاجرهم من فارس والحبشة واليمن إلى الشام والعراق ومصر . وأشهر مدنهم التجارية كانت أمّ القُرى (مكة) والطائفَ ويَثْرِبَ ومَدْيَن ، وهذه في الحجاز ، ثم دُومة الجَنْدل في نجد ، وسواها .

ولم يكن الذين يعملون في الزراعة ، وفي الصناعة على الأخص ، يتمتّعون باحترامٍ ما ، فالاخطل لمّا أراد أن يهجوَ الانصار من أهل المدينة قال لهم : « وخذوا مَساحيَكم ، بني النجّار » ، دلالة على أنهم مزارعون . أما جرير فكان يُعيّر الفرزدق بأن أجداده بنو القَيْن ، سُمّوا بذلك لأنهم كانوا حَدّادين .

وكان الرِبا يَدُرّ على سُكان المدن أرباحاً طائلة : كان الربا فائدة فاحشةً

جداً . وقد كان البَدْويّ يستدين ثم لا يستطيع أن يَفِيَ بالربا وحدَه . وكم من دَينٍ قليلٍ أدّى المَدينُ عليه الربا عشراتِ السنين ثم أصبح بعد ذلك أكثر مما كان ! وأخيراً وضع الرسول (ألغى) ربا الجاهلية كلّه في خطبته في حجّة الوداع ، سنة ١٠ هـ (٦٣٢ م) . لقد كان الاحفاد يومذاك لا يزالون يُؤدّون الربا عن أجدادِهم ، وكان الدّين الأساسي لا يزال قيداً في الاعناق .

الحياة السياسية

كان للحياة السياسية في شبه جزيرة العرب قبل الاسلام ثلاثة مظاهر :

(أ) **الحكومة القبلية** وقد كانت رئاسةً **بالعصبية** ، وذلك أن تُقدّمَ القبيلة للحكم شخصاً منها كبيرَ السن عادة ، ولكنه قد يكون صغير السن إذا اجتمعت فيه الحكمة والغنى والعدل والوجاهة . وكان **شيخ القبيلة** يحكمها بالشُورى (باستشارة ذوي الرأي والوَجاهة) ، وحكمه في كل شيء غير مردود في قبيلته . أما إذا حدث خِلاف بين قبيلتين فالفصل في هذا الخلاف يكون بالتحكيم . وربما رفضت إحدى القَبيلتين الحُكْمَ ولجأت إلى الحرب .

(ب) وكان الحكم في **المدن التجارية** على مثال الحكم في المدن الفينيقية واليونانية القديمة : حَفْنَةٌ قوية من أهل المدينة من التجار والوجهاء يحكمون على هواهم ويقتسمون الغنائم على مقدار ماكان لكل واحد منهم من النفوذ المادي أو المعنوي .

(ج) **النفوذ الأجنبي** — كان الروم (البيزنطيون) والفرس أعداء لم تفتر الحرب بينهم منذ القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن السادس بعده ، اثني عشر قرناً . وكانوا في أثناء ذلك يتداولون السيطرة على العراق والشام . ففي القرن الرابع للميلاد وصل إلى جنوبي العراق قبائل يَمانية من بني لَخْم فشجعهم الفرس على أن يقيموا امارة في الحيرة ، قرب الكوفة على نهر الفرات ، وأن يكونوا لهم عيوناً وعَوْناً على أعدائهم الروم . وقد عُرِفَ هؤلاء باللخميين أو **المناذرة** لأنّ خمسة من ملوكهم كان اسم كل واحد منهم المنذر . فمن أوائل ملوكهم النُعْمان الاعور (الاول) باني قصر الخَوَرْنَق وقصر السَدير . ثم خلفه المُنْذر (الاول) بن النعمان عام ٤١٨م وحارب الرومَ إلى جانب أسياده الفرس ، عام ٤٢١ م، بعد ثلاث سنوات من توليه الامارة .

ولما جاء المنذر الاكبر (الثالث) بن ماء السماء نَصَبَ الحربَ **للغساسنة** ، وهم قبائل يمانية أيضاً وأبناء عم للمناذرة ومن الذين هجروا اليمن معهم في وقت واحد ، ولكن اتخذوا مُقامَهم في حُوران تحت جناح الروم .

ففي عام ٥٤٤ م سار المنذر الثالث ملك الحيرة لقتال الحارث الاعرج فهزمه ثم أسر ابنه وضحّاه للعُزّى [١] . وبعد عشر سنوات وقعت الحرب مرة أخرى بين الخصمين في معركة عرفت باسم يوم حليمة ، في جُنْد قاصرين (قنّسرين) جنوب حلب فاستطاع الحارث الغساني أن يَقبِض على خصمه المنذر ويذبحه بيده [٢] .

بعدئذ تولى امارة الحيرة عمرُو بن هند ، ابن المنذر الثالث وأشهر المناذرة ، فحكم خمسة عشر عاماً حتى قتله عمرو بن كلثوم في حادثة الصلح بين بني بكر وبني تَغْلِبَ ، عام ٥٦٩ م ، قبل مولد الرسول بعام واحد . أما آخر المناذرة فكان أبا قابوس النعمان بن المنذر . وأدرك أبو قابوس مع الايام أن أعمال عَدِيّ بن زيد – وكان عَدِيّ هذا آنذاك كاتباً من قبل الفرس في بلاط الحيرة – انما هي في مصلحة الفرس أكثر مما هي في مصلحة العرب ، بل أكثر مما هي في مصلحة المناذرة أنفسهم فسجنه ثم قتله في السجن . وغضب الفرس لمقتل عَدِيّ فأزالوا إمارة المناذرة وحكموا الحيرة حكماً مباشراً ، في مطلع القرن السابع للميلاد . وفي عام ٦١٣ م – بعد أن صدع الرسول بالدعوة بثلاثة أعوام – هاجم الفرسُ الرومَ في الشام وقضوا أيضاً على دولة الغساسنة .

في أواسط القرن الخامس للميلاد ضعف عدد من القبائل في نجد منهم بنو أسد وبنو غطَفان (عبس وذُبيان) وكِنانة وبكر بن وائل ، فاستطاع حسّان بن تُبّع ملك اليمن أن يغزوَها ويبسط حكمه عليها . وفي عام ٤٨٠ م أرسل حسّان رجلاً من بني كِندة اسمه حُجر آكل المرار ليحكم تلك القبائل باسمه . وهكذا نشأت دولة بني كندة في نجد ، وقد كانت أحسن صلة بدولة الغساسنة وعدوةً للمناذرة .

---

١ كان الجاهليون عموماً يعتقدون ان لله ثلاث بنات : اللات ومناة والعزى ، وان شفاعتهن مقبولة لدى الله .

٢ راجع العمدة ١ : ٤٢ .

وخلف حُجراً ابنُه عمرٌو ، ثم خلف عمراً ابنُه الحارثُ أعظم ملوك بني كندة . ولقد استمرت العداوة بين المناذرة وآل كندة على الرغم من أن المنذر الثالث بن ماء السماء تزوج ابنة الحارث بن عمرو . وفي نحو سنة ١٢٢ ق. ه. (٥٠٠ م) قسم الحارث الحكم على القبائل بين أولاده ، فأعطى حجراً الحكم على بني أسد ، وشُرَحبيل الحكم على بني بكر ، وسَلَمة الحكم على تغلب ، ومعديكرب الحكم على قيس وهوازن . وكان حجر ظالماً قاسياً جريئاً على أموال رعيته وأعراضها . ففي نحو ٩٢ ق. ه. كان قد عاد إلى بني أسد شيء من القوة فثاروا على حجر بقيادة علباء بن الحارث الكاهلي وقتلوه مع نفر من آل بيته ، ثم فر سائر أهل بيته من المعركة وزال حكم كندة عن بني أسد وعن نجد .

الحجاز خاصّة

كان تاريخ الحجاز تاريخَ مدينة مكّةَ ، وكان تاريخ مكّة في الحقيقة تاريخاً للنزاع على سِدانة الكعبة ، بيت الله المقدس ؛ وكان في سدانة الكعبة — أي خدمتها وحجابتها (السيطرة عليها) — وجاهةٌ وكسب .

لا ريب في أن الكعبة بناء قديم جداً ، وكذلك كانت بناء مقدّساً منذ أيامها الأولى . ولكن التاريخ المدني لا يَعْرِفَ أحداً مسيطراً عليها قبل جُرْهُم ، حتى أن زهيرَ بن أبي سُلمى لمّا أراد أن يُقْسم بالكعبة وبنائها لم تستطع ذاكرته أن تَرْقى إلى أبعد من جرهم :

فأقسمتُ بالبيت الذي طاف حوله رجال بَنَوْه من قُريشٍ وجُرهُمِ
يميناً ....

وجرهم حَيّ من اليمن ، من عرب الجنوب ، قيل إن إسماعيل تزوج فيهم فورثوا سدانة الكعبة منه .

وضعفت عَصَبية جرهمٍ بما تضعف به الدول : بالهرم الطبيعي ، وبالانغماس في الترف وبالاغترار بالقوة مما يُؤدي إلى الغَفْلة عن المنافسين والاستهانة بالخصوم ، فوثبت عليهم خُزاعة — وخزاعة أيضاً قبيلة من اليمن — واستبدت بسدانة البيت وبحكم مكّة . وفي أثناء هذا النزاع الطويل لم يكن لأهل

مكة أنفسهم شيء من الأمر . ولكن في منتصف القرن الخامس للميلاد كان بنو قريش — من أهل مكة ومن عرب الشمال — قد قَوُوا ، فاستطاع سيدهم قُصَيّ أن ينتزع الحكم على مكة من خُزاعة بعد قتال كان سِجالاً بين الفريقين مدة طويلة . وجمع قُصَيّ الحجابة (الاشراف على الكعبة) والسقاية (إسقاء الحجيج في المواسم) والرِفادة (اطعام الناس في الموسم) . وكذلك كان قُصي قد فرض على القادرين من قومه مقاديرَ من الميرة ليصنع منها طعاماً للحجيج في الموسم . وضم قُصَيّ اليه اللواء (القيادة في الحرب) أيضاً . ثم بنى قُصيّ بيتاً سكنه وسمّاه دار النَدْوة ، وأوجب على قريش ألا يقطعوا في أمر عام (كالحرب) أو خاص (كالتزويج) إلا في دار الندوة . « فحاز قُصَيّ شرف مكة كلّه » [1] .

وكان لقُصَيّ أربعة أبناء : عبد الدار وعبد مَناف وعبد العُزّى وعبدٌ ، فأورث كل ما كان في يده لعبد الدار . غير أن أبناء عبد مناف نازعوا أبناء عبد الدار في ذلك فانقسمت قريش وكادت أن تقع الحرب بين المختلفين . ثم عقدت قريش حِلْفاً (تسويةً) عُرِف باسم حلف المُطَيَّبين [2] : أُعطيَ فيه بنو عبد مَناف السقاية والرِفادة ، وبقيت الحِجابة والنَدوة واللواء في بني عبد الدار . وانتقلت السقاية والرفادة بالإرث إلى هاشم بن عبد مناف ، ثم إلى أخيه المطّلب بعدئذ ، ثم عادت إلى عبد المطّلب بن هاشم . في ذلك الحين كان اللواء في عِهْدة أمية بن عبد شَمس بن عبد مَناف .

الغزو الحبشيّ

كان عرب اليمن حَضَراً أرقى مدنيةً من عرب الشَمال الذين كانوا في مجموعهم بَدْواً . ولذلك كان النفوذ اليمني غالباً على عرب الشمال : كان الغساسنة في الشام من اليمن ، وكان المناذرة في العراق من اليمن . وكذلك كانت كِنْدة التي حكمت في نَجْد نحو جيلين (٤٨٠ — ٥٣٠ م) أسرة يمانية . ولم يكتف اليمنيون من عرب الشمال بذلك ، بل كانوا ينصبون على قبائل شَمالية كثيرة عُمّالاً لهم من وجهاء عرب الشمال يجمعون لهم الاتاوات من قبائلهم .

---

١ السيرة لابن هشام ٨٠ .

٢ ذلك لأن الاحلاف غمسوا أيديهم في الطيب على ألا ينكلوا ، جرياً على عادة جاهلية .

إلى جانب هذا النزاع بين عرب الجنوب وعرب الشمال كان هنالك الفرس والروم يتنازعون على السيطرة على عرب الجنوب وعرب الشمال معاً . ولقد كان حظ الفرس أكبر لقربهم من بلاد العرب ولتشابك أحوال المعاش بين الأمتين في التجارة ، ولتشابه الأحوال الروحية ، إذ كان العرب والفرس وثنيين بينما كان الروم نصارى .

وكان في الحبشة ، على الجانب الافريقي المقابل لليمن ، منذ ذلك الحين ، أقليّة مسيحية ، وكانت الأسرة الحاكمة منها . من أجل ذلك طَمِع الروم النصارى في أن ينازعوا الفرس الوثنيين وأن يوسّعوا نفوذهم بين عرب اليمن الوثنيين من وراء الأسرة المسيحية المالكة في الحبشة . وكانوا يتحيّنون لذلك الفرص . ويبدو ان الروم استطاعوا بمعاونة الاحباش الذين كانوا في اليمن ، بالسكنى والهجرة والتجارة ، وبمعونة النصارى الذين كانوا قد لجأوا من قبل إلى اليمن، أن يمدّوا نفوذهم إلى اليمن كلها . وبدا لتُبَّع ذي نواس [1] أن يضطهد النصارى ، وكان هو يهودياً فيما قيل ، لأسباب لا يَبْعُد أن تكون دينية وسياسية معاً ، فقتل منهم عدداً كبيراً .

وانتهز يوستينوس الاول [2] ملك الروم الفرصة وحرض إلنجاشي كلباً ملك الحبشة على غزو اليمن ، فاستطاع الأحباش أن يستولوا على اليمن ، سنة ٩٧ق.هـ. (٥٢٥ م) ويقضوا على أسرة التبابعة فيها . ثم طمع الاحباش بمدّ سلطانهم في بلاد العرب فسار القائد الحبشي ابرهة الاشرم من اليمن نحو مكة في جيش عظيم ، وكان في جيشه فِيَلَةٌ — ولم يكن العرب قد رَأَوْا في الجيوش فيلاً من قبلُ ، فسُمّيَ ذلك العامُ عامَ الفيل (٥٧٠ م) — . غير أن حملة أبْرَهة هذه لم يُكتبْ لها النجاح .

وفي عام الفيل وُلد محمّد صلى الله عليه وسلّم .

وفي ما يلي عدد من الكتب في جغرافية بلاد العرب وتاريخها والأحوال الحضارية فيها عامّة على سبيل الاشارة النافعة لا على سبيل الحصر والاستقصاء :

— صفة جزيرة العرب لأبي محمد الحسن بن أحمد الهمْداني ، القاهرة ١٩٥٣ م .
— معجم البلدان لياقوت الرومي (الحموي) ، القاهرة ١٣٢٤هـ = ١٩٠٦ م .

---

[1] تبع لقب لملوك اليمن .
[2] يوستينوس الأول (٥١٨ – ٥٢٧ م) جاء قبل يوستنيانوس الأول (٥٢٧ – ٥٦٥ م) .

– جزيرة العرب في القرن العشرين ، تأليف حافظ وهبه ، القاهرة ١٩٤٦ م .
– قلب جزيرة العرب ، تأليف فؤاد حمزة ، القاهرة ١٩٣٣ م .
– جغرافية شبه جزيرة العرب ، تأليف عمر رضا كحّاله ، دمشق ١٩٤٥ م .
– أسواق العرب في الجاهلية ، تأليف سعيد الافغاني ، دمشق ١٩٦٠ م .
– موقع سوق عكاظ لحمد الجاسر (م م ع ع ، المجلّد ٢٦ ، ١٩٥١) .
– تاريخ الرسل والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٦٠ م .
– تاريخ الكامل لأبي الحسن عليّ بن محمد بن الأثير ، القاهرة ١٣٠٣ هـ .
– مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبي الحسن عليّ بن الحسين المسعودي ، القاهرة (١٩٥٨م) .
– نهاية الارب في فنون العرب لأبي العبّاس أحمد بن عبد الوهّاب النويري ، القاهرة ١٩٢٣ – ١٩٥٥ م .
– كتاب المعمَّرين لأبي حاتم السجستاني ، ليدن ١٨٩٩ م .
– تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ، القاهرة ١٩٥٧ م .
– تاريخ العرب قبل الاسلام ، تأليف الدكتور جواد عليّ ، بغداد ١٣٦٩ – ١٣٧٨ هـ (١٩٥٠ – ١٩٥٩ م) .
– تاريخ الجاهلية ، تأليف الدكتور عمر فرّوخ ، بيروت ١٣٨٤هـ = ١٩٦٤ م .
– الروم وصلاتهم بالعرب للدكتور أسد رستم ، بيروت ١٩٥٥ – ١٩٥٦ م .
– جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي ، القاهرة ١٩٦١ م .
– معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، تأليف عمر رضا كحّالة ، دمشق ١٩٤٩ م .
– أنساب العرب القدماء ، تأليف جرجي زيدان ، القاهرة ١٩٢١ م .
– العصر الجاهلي ، تأليف الدكتور شوقي ضيف ، مصر ١٩٦٠ م .
– تاريخ ملوك الحيرة ، تأليف علي الاعظمي ، القاهرة ١٩٢٠ م .
– أمراء غسّان .... تأليف تيودور نولدكه ، نقله إلى العربية بندلي جوزي وقسطنطين زريق ، بيروت ١٩٣٣ م .
– أيام العرب في الجاهلية ، تأليف محمد أحمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أحمد أبي الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٤٢ م .

- عادات العرب في جاهليتهم ، تأليف محمود شكري الألوسي ، بيروت ١٩٢٤ م .
- بلوغ الأرب في محاولة معرفة أحوال العرب ، تأليف محمود شكري الألوسي (عني بنشره محمد بهجة الأثري) ، القاهرة ١٩٢٤ — ١٩٢٥ م .
- العرب وأطوارهم : طور العرب والعربية في أطوار الجاهلية ، تأليف محمد عبدالجواد الاصمعي ، القاهرة ١٣٣١ هـ .
- العصبية عند العرب في الجاهلية والاسلام ، تأليف علي مظهر ، القاهرة ١٩٢٣ م .
- المرأة في الشعر الجاهلي ، تأليف علي الهاشمي ، بغداد ١٩٦٠ م .
- القيان والغناء في العصر الجاهلي ، تأليف ناصر الدين الاسد، بيروت ١٩٦٠ م .
- صلة الجاهلية بالعالم القديم للشيخ فؤاد الخطيب (محاضرات المجمع العلمي العربي في دمشق ، ١٣٧٣ هـ = ١٩٥٤ م ، ٢ : ٤٣٤ — ٤٦٧) .
- عرب الجاهلية في مباذلهم (مثله ٢ : ١ — ٢٥) .
- ما ساهم بـه المؤرخون العرب في المئة سنة الأخيرة في دراسة التاريخ العربي وغيره ، أشرفت على اخراجه هيئة الدراسات العربية في الجامعة الاميركية ، بيروت ١٩٥٩ م .
- Die Ortsnamen in der altarabischen Poesie, von Ulrich Thilo, Wiesbaden 1958.
- Die Wohnsitze und Wanderungen der arabischen Stämme, von F. Wüstenfeld. Göttingen 1869.
- Genealogische Tabellen der arabischen Stämme und Familien, von F. Wüstenfeld, Göttingen 1852 - 3.
- Essai sur l'histoire des arabes, par Caussin de Perceval, Paris 1847.
- Geschichte der Perser und Araber zur Zeit der Sassaniden, von Theodor Nöldeke.
- Die Dynastie der Lahmiden in al-Hira, von G. Rothstein, Berlin 1899.
- Der Ghassanischen Fürsten aus dem Haus Gafna, von Theodor Nöldeke.
- The Kings of Kindah or the Family of Akil al-Mirâr, by Gunner Olinder, Lund 1927.
- l'Arabie occidentale, par Henri Lammens, Beyrouth 1928.
- Storia e cultura degli arabe fino allo morte di Maometto, por M. Guidi, Firenze 1951.

الحياة الأدبيّة في الجاهليّة

ازدهر نقد الأدب وكثر جمع الآثار الأدبية في العصر العباسي ، فلم يكن من المستغرب إذن أن يُسمّي نقاد الأدب ورواتُه في ذلك العصر كل ما سبق أيامهم من الآثار الأدبية باسم **الأدب القديم** . وعلى هذا ينقسم دور الأدب القديم ثلاثة أعصر : العصر الجاهلي ، عصر المخضرمين والعصر الأموي .

الجاهلية اسم أطلقه القرآن الكريم على العصر الذي سبق الاسلام ، لأن العرب في تلك الحقبة كانوا « أهل جاهلية » يعبد بعضهم الأوثان ويتنازعون فيما بينهم ويثأر بعضهم من بعض ، ويئدون أحياناً أولادهم . وكانوا يشربون الخمر ويجتمعون على الميسر (القمار) . وهكذا نرى أن الجاهلية كانت من الجهل الذي هو ضد الحلم ، لا من الجهل الذي هو ضد العلم . ان العرب كانوا على قسط وافر من العلوم والمعارف التي كانت معروفة في عصرهم كالفلك والطب واقتفاء الأثر . أما أدبهم فكان أرقى الآداب في أيامهم . ولا يزال هذا الأدب الجاهلي إلى اليوم من أبرع النماذج الأدبية .

الحياة الأدبية

الأدب العربي قديم النشأة جداً ، والشعر الذي وصل الينا من الجاهلية يمثل دوراً راقياً لا يمكن أن يكون الشعر قد بلغ اليه في أقل من ألفي سنة على الأقل . غير أنه لم يصل الينا من ذلك الشعر الأول شيء .

مواسم الشعر وأسواقه — اتسع نطاق الشعر في **الجاهلية** فلم يبق مقتصراً على التعبير عن الخيال والوجدان فحسب ، بل شَمِل ذكرَ المفاخر ووصف المعارك وتَعداد بعض الحوادث حتى سُمّي بحق « ديوان العرب » ، أي سجل تاريخهم . من أجل ذلك اقتُضي أن يُنشد في المجتمعات وفي الحفْل الغَفير ، فأخذ الشعراء يَؤمّون الأسواق الخاصة والاسواق العامة الكبرى لينشر كل واحد منهم محامد قومه أو يدل على براعة نفسه ، مع العلم بأن هذه الاسواق كانت في الاصل

للتجارة ، ثم جعل الناس يتخذونها مواسم قومية أو أدبية ، لاجتماع الناس فيها . وربما طلب أحدهم في أحد هـذه المواسم غريماً أو عرض فيها سيفاً أو فرساً كريماً للبيع ، أو أمّها يبحث عن امرأة يخطبها ، أو ليُشهد على عتق عبد يملكه .

أما الأسواق الصغرى فكانت كثاراً ، كل حيّ له سوق اسبوعيـة أو شهرية قـاصرة على أهل الحي ومَن جاورهم في الاغلب . أما الاسواق الكبرى فكانت أقل عـدداً وأطول أمـداً ، وكان الزمن الذي يفصل بين انعقادهـا أطول ، هو في الاغلب عـام واحد . وأما أشهر هذه الأسواق — أو المواسم — فثلاث : ذو المجاز قرب ينَبُع (وينبع ثغر مدينة الرسول) ، وذو المجنة (بفتح الميم أو كسرها) قرب مكة ، ثم عُكاظ وهي سوق في صحراء [1] بين نَخلة والطائف شرقَ مكة ، وكانت تبدأ مـع هلال ذي القَعْـدة وتستمر عشرين يومـاً تجتمع قبائل العرب فيهـا فيتعاكظون أي يتفـاخرون ويتناشدون .

الشعر : قدمه وكثرته

الشعر العربي قديم النشأة جداً . ولكن القسم الأوفر منه ضاع بعوامل مختلفة : بترك تدوينه [٢] ، وبهلاك نفر كثيرين من رواته في الفتوح بعد الاسلام ، وبتشاغل الناس عن روايته بالدين وبالفتوح . والاجماع بين النقّاد واقع على أن أول الشعر العربي الرجز [٣] .

ثم ان الشعراء أنفسهم كثار لا يحيط بهم العدّ . قال ابن قتيبة [٤] « والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والاسلام أكثر من أن يحيط بهم محيط » . ثم قال أيضاً (ص ٤ — ٥) : ولو قصدنا لذكر من لم يقل من الشعر إلا الشذّ اليسير لذكرنا أكثر الناس .

المعلقات — ومع الأيام زاد في الحياة الأدبية وجه جديد ، ذاك ان الشعراء

---

١ الصحراء (هنا) : الأرض الفضاء ، أي التي لا بناء فيها .

١ طبقات الشعراء ٤ ، ١٠ ؛ راجع جمهرة أشعار العرب ١١ — ١٤ .

٢ طبقات الشعراء ١١ ؛ الشعر والشعراء ٣٦ ؛ البيان والتبيين ٣ : ٦ ، ٤ : ٣٤ .

٣ الشعر والشعراء ٣ ؛ العمدة ١ : ٧ .

كانوا يتبارَون في سوق عكاظ امام أحد فحول الشعر — وقد ذكروا من هؤلاء النابغة — فمن حكم له انداده اختيرت قصيدته و « عُلقت » : قيل اعدّوها عِلْقاً أي شيئاً نفيساً ، وقيل كتبوها بالذهب وعلّقوها على جدران الكعبة، وقيل بل علقوها بالذهن أي حفظوها عن ظهر قلب .

وليس من المستبعد أن تكون المعلقات **قد دُوّنت وعلّقت في الكعبة** تصديقاً للروايات الكثيرة المتواترة في ذلك وجرياً على عادة الجاهليين في كتابة عهودهم ومواثيقهم وتعليقها في الكعبة نفسها [1] .

واختلف علماء الشعر في عدد المعلقات فمن مقلّل ومن مُكثّر [2] ، إلا ان جُمهور الرواة يجعلها ثمانيَ ، هي ، حسب ما اختاره أبو زيد القرشي ، لامرئ القيس (الكِندي) وزهير بن أبي سُلمي (المُزَني) والنابغة (الذُّبياني) والأعشى (القيسي) ولبيد بن ربيعة (العامري) وعمرو بن كلثوم (التغلبي) وطرفة بن العبد (البكري) وعنترة (العبسي) . ومنهم من يزيد عليها معلقة الحارث بنِ حِلّزة (البكري) وعَبِيد بن الابرص (الاسدي) .

مكانة الشاعر ومكانة الخطيب في الجاهلية :

قال ابن رشيق [3] : « كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ، وصُنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر [4] كما يصنعون في الاعراس ؛ ويتباشر الرجال والولدان ، لأنه (أي الشاعر) حماية لاعراضهم

---

١ راجع المناقشة القيمة التي خصها الدكتور ناصر الدين الاسد بهذا الموضوع في كتابه « مصادر الشعر الجاهلي » (ص ١٣٤ وما بعدها ، وخصوصاً ص ١٦٩ — ١٧٢) .

٢ قال أبو زيد القرشي (جمهرة أشعار العرب ٤٥) : « والقول عندنا ما قاله أبو عبيدة : امرؤ القيس ثم زهير والنابغة والأعشى ولبيد وعمرو (بن كلثوم) وطرفة ؛ وقال المفضل : هؤلاء أصحاب السبع الطوال التي تسميها العرب السموط ، فمن قال ان السبع لغيرهم فقد خالف ما أجمع عليه أهل العلم والمعرفة » . ويحسن أن نلاحظ أن نسخة الجمهرة المطبوعة تتضمن معلقة عنترة أيضاً . (راجع أيضاً العمدة ١ : ٧٨) .

أما أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني فقال في مقدمة شرح المعلقات السبع : « هذا شرح القصائد السبع أمليته على حد الايجاز والاقتصار ... » ثم نسقها كما يلي : امرؤ القيس — طرفة — زهير — لبيد — عمرو ابن كلثوم — عنترة — الحارث بن حلزة .

١ العمدة ١ : ٤٩ .

٢ المزهر (بكسر الميم وفتح الهاء) : العود الذي يعزف عليه .

وذَبٌّ عن أحسابهم واشادة بذكرهم ، وكانوا لا يهنّأون إلا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تُنتَج ... »

وقال الجاحظ : « والخطباء كثيرون ، في الجاهلية ، والشعراء أكثرَ منهم . ومَنْ يجمع الشعر والخطابة قليلٌ » [١] . ولقد « كان الشاعر أرفعَ قدراً من الخطيب ، وهم اليه أحوجُ لردّه مآثرهم عليهم وتذكيرهم بأيّامهم . فلمّا كثُر الشعراءُ وكثُر الشعر صار الخطيب أعظمَ قدراً من الشاعر » [٢] .

وجاء الجاحظ أيضاً بتفصيل أوفى في هذا الموضوع فقال : [٣] « كان الشاعر في الجاهلية يُقدَّم على الخطيب لفرْط حاجتهم إلى الشعر الذي يُقيّد عليهم مآثرَهم ويُفخّم شأنهم ويُهوّل على عدوّهم ومَنْ غزاهم ، ويُهيّب من فرسانهم ويُخوّف من كثرة عددهم ، فيَهابهم شاعر غيرهم ويُراقب شاعرَهم . فلمّا كثُر الشعر والشعراء ، واتّخذ (الشعراء) الشعرَ مكسبَةً ، ورحلوا بـه إلى السوقة وتسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر » .

خصائص الشعر الجاهلي

كانت البادية بيئةَ الشعر الجاهلي ، ولذلك كان الشعر مرآة للحياة البدوية ، يدور حول الجمل والطلل . ومع انـه قـد نبغ في المدن شعراءُ ، فان فحول الشعر كلهم كانوا من أهل الوَبَر (سكان الخيام : البدو) ، ولم يعـترف الجاهليون ولا علماء الشعر المسلمون بتقدم شاعر قَروي (مدني) على شعراء البادية .

وعلى هذا ينتظر أن نرى خصائص الشعر الجاهلي تدور حول البادية وما فيها إلا قليلاً من ألوان الحَضَر التي عرضت في شعر شعراءَ ذهبوا إلى بلاطات فارس والعراق والشام كالأعشى والنابغة مثلاً . فمن تلك الخصائص :

أولاً ـ الخصائص المعنوية

(أ) الصدق : الصدق في الشعر ان يعبر الشاعر عما يشعر به حقيقةً ممـا

---

٣ البيان والتبيين ١ : ٤٥ .

٤ البيان والتبيين ٤ : ٨٣ .

٥ البيان والتبيين ١ : ٢٤١ ؛ راجع العمدة ١ : ٦٦ .

يختلج في نفسه ، والا يتكلف في ايراده ، بقطع النظر عما إذا كانت الحوادث التي يذكرها قد وقعت أو لم تقع أو كان مبالغاً فيها . فليس من الضروري مثلاً ان يكون قول عمرو بن كلثوم :

ملأنا البر حتى ضاق عنـــا ، وماءُ البحر نملأُه سـفينا

صحيحاً (ونحن نعلم انه غير صحيح) . ولكن المهم ان عمراً كان يشعر هذا الشعور فجاء بيته هذا صادقاً في التعبير عن شعوره هو .

(ب) النزعة الوُجدانية — والشعر الجاهلي وجداني في الدرجة الأولى ، يصف نفس قائله وشعوره . حتى ان الشاعر القديم كان إذا عرض « لبحث موضوعي واقعي » ، كوصف الصيد والحرب أو كالحكمة والرثاء ، لونه بشعوره هو فانقلب الموضوع الواقعي في شعره موضوعاً وجدانياً .

والأدب في الحقيقة هو الانتاج الوجداني المطبوع . ووصف ابن قتيبة الشاعر المطبوع فقال فيه [1] هو « من سَمَح بالشعر واقتدر على القوافي ، وأراك في صدر بيته عَجُزَه ، وفي فاتحته خاتمتَه ، وتَبيّنتَ على شعره رَوْنق الطبع ووَشْيَ الغريزة ، وإذا امتُحِنَ (بانشاد شعره) لم يَتَلَعْثَمْ ولم يتزحّر [2] » . ولذلك كره النقاد أشعار العلماء إذ ليس فيها شيء جاء عن إسماح وسهولة كشعر الاصمعي وشعر ابن المقفّع وشعر الخليل (ابن أحمد) » ، وسواهم [3] . ولعلّهم من أجل ذلك أيضاً فضّلوا أشعار البدو على أشعار الحضر لِمَا في أشعار البدو من الطبع في القول والعَفْو في النظم ، ولما في أشعار الحَضَر من التكلّف بعوامل من العلم والمداراة وتعقّد الحياة الاجتماعية .

(ج) البساطة — ان الحياة الفطرية والبدوية والقدَم في الزمن عوامل تتضافر على جعل الشخصية الانسانية ساذجة بسيطة ، كذلك كانت البيئة الجاهلية ، وكذلك كان اثرها في الشعر الجاهلي .

جرى الشاعر الجاهلي على طبعه وسجيته فلم يتكلف القول في ما لم يشعر به ولا تكلف الاحاطة والشمول ولا التخريج والتعليل ولا التعقيد والمعاصاة في مـا

---

١ الشعر والشعراء ٢٦ ؛ راجع العمدة ١ : ١٠٨ وما بعدها .
٢ أحدث صوتاً كأنما يريد أن يخرج منه شيئاً بالجهد .
٣ الشعر والشعراء ١٠ — ١١ .

شعر به . إن الطبع والسجية والبساطة والصدق تتمثل كلها في قول عنترة يخاطب عبلة :

ولقد ذكرتُكِ والرماح نواهـلٌ مني وبيض الهند تقطرُ من دمي؛
فودِدتّ تقبيـل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم !

(د) القول الجامع — كانت الصفة الغالبة على الشعر الجاهلي انه « شعر وجداني » ، من أجل ذلك كان مَعرِضاً للآراء المفردة أكثر منه معالجةً مستفيضة لشؤون الحيـاة . ولقد مال العرب عموماً والجاهليون خصوصاً إلى استجماع القول حتى كان البيت الواحد من الشعر يجمع معانيَ تامة ، وحتى جعل الاقدمون يفتخرون بذلك . وقد أعجِب النقاد بقول امرئ القيس :

قفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزِل بسِقْط اللوى بين الدَخول فحَومل ،

وقالوا : انه وقف واستوقف، وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في بيت واحد !

(هـ) الاطالة والاستطراد — وكان يُحمد في الشاعر الجاهلي ان يكون « طويل النفَس » أي ان يطيل القصائد . وقد يخرج الشاعر أحيـاناً عن الموضوع الاساسي إلى موضوعات تتعلق بـه من قرب أو من بعد ، وهذا يُسمى الاستطراد .

وقد أثِرَ عن الجاهلية مقطعات قيل إن أكثرها كان في الأصل قصـائد طـوالاً ثم نُسي بعضها . ومع العلم اليقين ان الشاعر الجاهلي نظم مثل هـذه المقطعات ابتداءً ، فان الغالب على طبع الجاهلي انه كان يميل إلى اطالة القصائد .

(و) الخيال — وإذا كان اتساع أفق الصحراء قـد أدّى إلى اتساع خيال الشاعر الجاهلي ، فان هـذا الشاعر الجاهلي كان فطرياً بسيطـاً كبيئته . ولعلك لا تستغرب إذا علمت ان الشعراء الذين اتصلوا بالحَضَر كالاعشى وامرئ القيس والنابغـة كانوا في خيـالهم أوسع وأعمق وأدق كما ترى في معلقة امرئ القيس عند الكلام على البرق والمطر والسيل وعلى النبات الذي هاج بعد ذلك المطر .

ولا ريب في ان الخيال في الجاهلية كان لا يزال يعتمد على التشابيه والاستعارات أكثر من اعتماده على انتزاع الصور من الطبيعة .

ثانياً – الخصائص اللفظية

(أ) غرابة الألفاظ وجزالتها – إذا قرأنا نحن اليوم بعض الشعر الجاهلي وقعنا في أكثره على « كلمات غريبة » ، أي كلمات غير مألوفة في مخاطباتنا وكتاباتنا في عصرنا هذا . ويجب أن نشير إلى ان هذه الكلمات كانت يومذاك « فصيحة » أي مأنوسة مألوفة ، ذلك لأن ممارسة الجاهلي للحياة بين الخيام وعلى الإبل جعلت كل كلمة تتعلق بالخيام والابل مألوفة عنده . ولكن لما انقطع ما بيننا وبين هذا النوع من الحياة انقطعت الصلة بيننا وبين الكلمات الدالّة عليها وعلى أوجهها وأدواتها وآلاتها – على ما ترى في وصف طرفة للناقة في معلقته مثلاً . على ان الكلمة الغريبة قد تكون جميلة في اللفظ نحو رِئال (نعام) وقد تكون وَحْشية أو حوشية مستكرَهة في اللفظ ، نحو بُعاق (مطر) . والكلمة الجزلة هي الكلمة الفخمة التي تقع موقعها من الاستعمال .

(ب) متانة التركيب وبلاغة الأداء – والتركيب في الشعر الجاهلي متين ، أي صحيح يجري على قواعد اللغة العربية ، لا ضعف فيه من تقديم لفظ في غير محله أو تأخير لفظة إلى غير مكانها الذي تقتضيه أساليب العرب ، أو زيادة حشو لا فائدة فيه أو حذف لغير سبب نحوي .

وكذلك كانت تراكيبه بليغة ، أي تؤدّي المعاني المقصودة منها في الأحوال المناسبة إما حقيقة وإما مجازاً بتشابيه واستعارات وكنايات تفصح عن المعاني وتكسو الافكار قوة وبروزاً ، من غير تأثر بعجمة أو لحن عامي . وقد نجد في الشعر الجاهلي بضعة ألفاظ من الجناس والطباق ولكنها كلها غير مقصودة وإنما وقعت هنالك اتفاقاً ، ولعل شاعرها لم يفطن اليها .

(ج) العناية والتنقيح – وبما ان الجاهلي كان يجري في شعره على سجيته وطبعه فانه لم يتكلف عادةً في ما كان ينظمه بل كان يلقيه إلى الناس كما يخطر له ويدور في خياله . ولكنْ كان هنالك نفر يأخذون شعرهم بالعناية والتنقيح ، وقد سماهم رواة الأدب « عبيدَ الشعر » لأنهم يتكلفون اصلاحه (بعد نظمه) ويَشغَلون به حواسّهم وخواطرهم . وقد عدوا من هؤلاء النابغة وزهيراً والحُطيئة وطُفيلاً الغَنَوي . واشتهر من بينهم زهير بقصائده « الحوليات » ، أي التي كان يقضي حَولاً (عاماً) كاملاً في نظم كل واحدة منها وتنقيحها وعرضها على النَقَدَة (العمدة ١ : ١٠٨ ، ١١٢) .

وأراد الجاحظ **تعليل** ذلك فقال [1] : « ومن شعراء العرب مَنْ كان يدع القصيدة تمكث عنده حولاً كَريتاً (كاملاً) وزمناً طويلاً ، يردّد فيها نظره ويُجيل فيها عقله ويقلّب فيها رأيَه ، اتّهاماً لعقله وتَتبّعاً على عقله فيجعلُ عقله زماماً على رأيهِ ، ورأيَهُ عياراً على شعره **إشفاقاً على أدبه وإحرازاً**(صِيانة) **لما خوّله اللهُ تعالى من نعْمَتِه** . وكانوا يسمون تلك القصائد الحَوْليّاتِ والمُقَلّدات والمُنَقّحات **ليصيرَ قائلُها فَحْلاً خِنذيذاً وشاعراً مُفْلِقاً** .

اغراض الشعر وفنونه

الاغراض هي الموضوعات التي يتناولها الشاعر عَرَضاً في قصيدته ، وهي عادة « أمور ممهدة » للفنّ (الغرض الرئيسي) الذي يرمي اليه الشاعر . ولقد كان الوصف والنسيب في القصيدة الجاهلية غرضين رئيسيين . واغراض الشعر الجاهلي كثيرة منها :

١ — وصف الاطلال : يأتي الشاعر لزيارة حبيبته فيجد أهلها قد رحلوا بها عن المكان الذي عهدهم نازلين فيه ، فيقف على طَلَل الخيمة (المكان الذي كانت الخيمة منصوبة فيه) فيصفه ويصف ما حوله وينسِب بالحبيبة ويتشوق اليها .

٢ — وصف الراحلة : وكذلك يصف الشاعر الراحلة أو المطية (الناقة أو الفرس) التي يركبها للوصول إلى الحبيبة أو الممدوح ...

٣ — وصف الصيد : وتصيدَ الجاهلي لسببين : إما طلباً للمعاش كما كان يفعل صعاليك العرب ، أو طلباً للهو كما كان يفعل امرؤ القيس ، أو لأنه كان يخرج في حاشية الملوك الذين يذهبون إلى الصيد كالنابغة .

٤ — وصف الطبيعة : ويصف الشاعر عادة ما يراه في أثناء رحلته من صحراء أو أودية أو مطر أو رياح أو نهر أو مطر . وأشهر الوصافين في الجاهلية امرؤ القيس .

وأصاب ابن رشيق لما قال [2] : « الشعر إلاّ أقلّه راجع إلى الوصف ، ولا سبيل إلى حصره واستقصائه . وهو مناسب للتشبيه ومشتمل عليه وليس به ،

---

[1] البيان والتبيين ٢ : ٩ .

[2] العمدة ٢ : ٢٨٧ .

ولكنه كثيراً ما يأتي في أضعافه [1] . والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا (الوصف) اخبار عن حقيقة ، وأن ذلك (التشبيه) مجاز وتمثيل .

ومع الأيام تفرّع الوصف أبواباً في الشعر فأصبح وصفُ النساء غزلاً ، ووصف الخمرُ خمرياتٍ ، ووصفُ الصيد طرْداً . وهكذا إذا قلنا نحن اليوم « الوصف » عنَيْنا الوصفَ المطلق أو وصف الطبيعة بما فيها مِنْ حياة : نباتٍ وحَيَوانٍ أو من مواتٍ كالجبال والانهار والنجوم والأودية والثياب والهياكل وما سوى ذلك .

والوصف في كل شيء نوعان : **خيالي وحسّي** . فالوصف الخيالي يعتمد التشبيهَ والاستعارة ويحاول أن يستحضر الموصوف من الذاكرة . أما **الوصف الحسي فهو تصوير للموصوف** . ولا ريب في أن الوصف الحسي أبلغُ وأجود وأندر وأكثر صعوبةً من الوصف الخيالي . وقد ذكر أبو هلال العسكري الوصف فقال (ص ١٢٨) : « أجود الوصف ما يستوعب أكثرَ معاني الموصوف ، حتى كأنه يصور الموصوف لك فتراه نصب عينك » . وأورد ابن رشيق قولاً بارعاً لبعض معاصريه يقول فيه (٢: ٢٧٩) : « **أبلغ الوصف ما قلّبَ السمعَ بصراً** » .

٥ — الحماسة : وهي وصف المعارك والفخر بالنفس أو بالاسلاف . والحماسة أيضاً تتضمن المعاني التي تدل على « الصبر على الحوادث والتجلّد للأيام » وعلى « عدم المبالاة بما ينشأ عن التحول عن الإلف وترك الصديق والعشير ، لأن ترك الوطن والاخلال بالعشيرة ربما أدّى إلى التخاذل والتقاتل ، فالصبر عليه كالصبر على القتال » ، كما يقول التبريزي [2] .

٦ — الأدب : ويسمى الحِكمةَ أيضاً ، ذِكْرُ آراءٍ صائبة تصدق في الواقع أو توافق المنطق أو توجز نتائج الاختبار الطويل في ألفاظ يسيرة . وليس من الضروري أن ترد الحكمة على لسان العلماء والاذكياء وأصحاب الاختبار في الحياة **فقط** ، فلقد جرت أقوال من الحكمة البالغة على ألسن نفر من الجهال والأفدام والمشعبذين وصغار السنّ ومن لا يكادون يَبينون في كلامهم . والامثال على لسان الحيوان تدخل أيضاً في باب الحكمة ، وكذلك التزهيد والمواعظ [3] .

---

١ في تضاعيفه ، في أثنائه .

٢ راجع المثل السائر ٣٣ — ٣٦ .

٣ راجع العمدة ١ : ١٠١ .

٧ ـ الغزل تعبر عن عاطفة أصيلة في الانسان أصالةَ الحاجة الجنسية فيه . وتغزّل الجاهلي بالمرأة وحدها ، إلا أن غزله هذا جرى مجريين . : مجرى عفيفاً ومجرى صريحاً . أما الغزل العفيف فكان في البادية في الأكثر ، وكان عفيف المعنى ، عفيف اللفظ . وقل ما صرّح الشاعر المحبّ باسم حبيبته في الشعر . من أجل ذلك كان الغزل العفيف نسيباً يدور حول بثّ الشوق وتذكّر الأيام الماضية والرغبة في لقاء الحبيبة ، ويقل الغزل الصحيح (وصف الأعضاء الظاهرة في المرأة) في هذا النسيب . ويحسن أن نلاحظ أن الغزل كان يقال في المتزوّجات أكثر مما كان يقال في العذارى . حتّى ذلك الذي كان يقال في العذارى كان يجري في لفظ يدل على متزوّجة : أم الحويرث ، أم الرباب ، الخ . وكان إذا تغزّل المحب بحبيبته وصرح باسمها منعوه من الزواج بها ، وربما خلعوه وأخرجوه من القبيلة أو نفوه عنهم مرة واحدة .

والبدْوي الذي كان يسلك سبيل الغزل الصريح كان مغرماً بالصفات الجسمانية البارزة في المرأة : كان يحب المرأة الفخمة التي يضيق الباب عن جسمها والتي تَعجِز عن أن تنهض من الأرض إلاّ بمعونة جواريها . وكان الجاهليون يحبّون الحوَر (شدة البياض في بياض العين وشدة السواد في سوادها) . وكانوا يحبون الشعر الكثيف الوافر (الطويل) الاسود الجعد ، ويحبون الرأس البيضاوي الذي يكون فيه الخد أسيلاً (طويلاً) ، كما يكرهون اللون الأمهق (الذي لا يخالط بياضه حمرة أو صفرة) . وكذلك كانوا يحبون العنق الطويل .

وكان أهل الحَضَر يحبّون المرأة العبلة الرُعبوبة التي لا تبلغ في السمن مبلغ تلك التي يضيق الباب عنها . وذلك قول امرئ القيس في معلقته : « **مهفهفة بيضاء غير مفاضة** » .

وكان الجاهليون من أهل الحضَر يحبون أن يغامروا في سبيل الوصول إلى المرأة : فكانت المرأة المنيعة المتصوّنة المحاطة بالحراس والاسوار أحبّ اليهم من المرأة المبتذَلة ، بينما البدوي كان يفضّل الوصول إلى المرأة من أيسر سبيل .

والشاعر العفيف الغزِل سواءٌ ، أكان بدوياً أم حَضَرياً ، كان يغلب عليه الميل إلى امرأة واحدة يجد فيها نعيمه وشقاءه ، سواء أكانت هي تبادله حباً بحب أم لا تبادله ، كما رأينا في شأن عنترة مثلاً فقد وقف سعادته على الزواج بعبلة . ثم ان عبلة تزوّجت وظل هو يقول فيها الشعر ويتحبّب اليها .

٨ – الفخر . الفخر من توابع العصبية والحياة القبلية . وكان الشاعر يفتخر بقومه أولاً وبنفسه ثانية . ومقوّمات الفخر في الجاهلية كانت : شرف الاصل وكثرة العدد والشجاعة والكرم وما يتفرّع منها . ويزيد الفخر بالنفس على الفخر بالقبيلة « السيادة » ، وذلك أن يكون المفتخر بقومة قد أصبح سيداً في قومه ، وفي سنّ باكرة على الأخصّ . وكان البدوي خاصة يفتخر بالنجدة (الاسراع إلى معونة الآخرين من ذات يده أو ذات نفسه أو بسيفه) . وكان أيضاً يفتخر بشرب الخمر واسقائها (لأن الخمر كانت في الجاهلبة نادرة غالية الثمن) .

٩ – المدح . كان الجاهليون يمدحون بالمكارم التي كانوا يفتخرون بها . والمدح في الجاهلية كان فرقين : مديحاً للشكر وللاعجاب يغلب على أهل البادية كما نرى عند امرئ القيس وعند زهير بن أبي سلمى ، ثم مديحاً للتكسب يغلب على أهل الحَضَر وساكني الحضَر أو المتردّدين على الحضَر ، كما نرى عند النابغة والاعشى .

١٠ – الرثاء : والرثاء في الحقيقة مديح الميت . ولذلك نجد الجاهليين يرثون بالخصال التي كانوا يفتخرون بها ويمدحون . ولا ريب في أن رثاء الاقارب كان في العادة أقرب إلى العاطفة . ويتصل بالرثاء النواح ، وهو الشعر الذي كانت ينوح به النساء على الميت . ويبدو أن النواح كان في الجاهلية قد قطع شوطاً بعيداً من التقدم حتى أصبح فنّاً وصناعة وحرفة ، فقيل في أمثالهم : « ليست النائحة الثكلى كالمستأجَرة » .

١١ – وكذلك الهجاء كان نزعاً لتلك الصفات الحميدة عندهم عن المهجوّ ووصمَه بأضدادها : بضَعَة الأصل وقلة عدد القبيل وبالجبن والبخل . ولكن مما يَلفِت النظر **ان الجاهلي كان يهجو بالعيوب النفسية الخُلقية ولم يهج بالعيوب الجسمية الخَلقية .**

والهجاء بدوره كان فرقين أيضاً : هجاء قبليّاً ، وهو الاشهر والاكثر ، ثم هجاء شخصياً في الأقل . إن الحياة القبيلية كانت تستتبع أن يكون الهجاء – أو العداوة التي تقتضي الهجاء – قبلياً . ولكن لم يكن ثمت مفرّ من أن يخاطب الشاعر القبيلة المهجوّة بالتوجّه بالكلام إلى شاعرها . ألم يكن الشاعر هو الرافعَ لشأن القبيلة وممثلها ؟

والشاعر الجاهلي يطرق في معلقته عادة جميع هذه الأغراض ويمر بها مرّاً

خفيفاً . الا انه يتكئ على غرض واحد منها في الأكثر أو على غرضين يجعل منهما الموضوع الأساسي المقصود من المعلقة كلها كالغزل والفخر عند عنترة . أو كالغزل والوصف عند امرئ القيس أو كالاعتذار عند النابغة .

فنون الجاهلية

الفنّ « موضوع » مقصود لذاته يعالجه الشاعر بتوسع ، وقد يَقْصُرُ عليه القصيدة كلها أو أكثرها . وبكلمة أوضح : ان الغرض إذا تطور واتسع أصبح فناً . فالغزل مثلاً « غرض » إذا كان في أبيات قليلة ، وفي مطلع قصيدة في المديح مثلاً ، ولكنه « فن » إذا كان مقصوداً لذاته في قصيدة تامة أو شبه تامة ؛ وقد نسميه أيضاً باباً من أبواب الشعر .

شكل القصيدة الجاهلية

إذا رجعنا إلى القصائد الجاهلية الطوال ، والمعلقات منها على الأخص ، رأينا ان الشعراء يسيرون فيها على نهج مخصوص : يبدأون عادة بذكر الاطلال — وقد بدأ عمرو بن كلثوم مثلاً بوصف الخمر — ثم بذكر الحبيبة ، ثم ينتقل أحدهم إلى وصف الراحلة ثم إلى الطريق التي يسلكها . بعدئذ يخلص إلى المديح أو الفخر (إذا كان الفخر مقصوداً كما عند عنترة) . وقد يعود الشاعر إلى الحبيبة ثم إلى الخمر . وبعدئذ ينتهي بالحماسة (أو الفخر) أو بذكر شيء من الحكم (كما عند زهير) أو من الوصف (كما عند امرئ القيس) .

ويجدر بالملاحظة ان في القصيدة الجاهلية اغراضاً متعددة ، واحد منها مقصود لذاته (كالغزل عند امرئ القيس ، والحماسة عند عنترة ، والمديح عند زهير ، والاعتذار عند النابغة) .

هذا في المعلقات . أما في سائر القصائد الجاهلية فالأمر يختلف أحياناً اختلافاً ظاهراً . هنالك مقطعات في الأدب أو في الوصف أو الحماسة مستقلة بنفسها . وهنالك أيضاً قصائد تعالج موضوعاً واحداً كقصيدة عُروة بن الورد :

اقلّي عليّ اللومَ ، يا ابنةَ منذرٍ ونامي ، فان لم تشتهي النوم فاسهري .

فانها سبعة عشر بيتاً تدور حول فكرة واحدة وموضوع واحد ، هما ان امرأة

الشاعر تلومه لأن رزقه قليل ، فيبدي هو لها عذره ويقول لها إنه يود ألا يطلب الغنى إذا كان في الغنى مذلة له .

ذلك هو شكل القصيدة المألوف . ويبدو لنا أن الشعراء الذين كانوا يطمعون في الانشاد في عكاظ كي تعلّق قصائدهم إذا ظفرت برضا المحكّمين كانوا ينسجون قصائدهم على هذا المنوال الرسمي المألوف ، حتّى أصبح ذلك النسق المألوف في المعلّقات مرغوباً فيه وخصوصاً عند الممدوحين فتعلّق به الشعراء المدّاحون ثم احتفل به النقاد حتى غلب هذا الشكل المألوف للقصيدة على الشعر ، ثم ظننّا نحن أنه لم يكن للعرب إلا ذلك النسق التقليدي .

والواقع أن شعراء الجاهلية من غير أصحاب المعلّقات ومن غير المتعرّضين بشعرهم للمدح كانوا يسلكون في النظم مسلكاً طليقاً من القواعد التي سيطرت على المعلّقات والقصائد الشبيهة بالمعلّقات . حتّى أن شعراء المعلقات أنفسهم كانوا يتحرّرون من تلك القواعد والقيود في معظم أشعارهم الباقية .

وكان للعرب نوع من الشعر يسمّى الرجز [1] يصرّعون صدوره وأعجازه على رويّ واحد ، نحو :

دع المطايا تنسم الجنوبا إنّ لها لنبأ عجيبا ،
ما حملت إلاّ فتى كئيبا يُسرّ ممّا أعلنت نصيبا ...

وربّما كان لكلّ بيت في صدره وعجزه قافية مختلفة من قوافي الأبيات الأخرى في الارجوزة . وربّما كانت القصيدة من بحر الرجز وكان لأبياتها رويّ واحد ، كما يفعل في القصائد .

والرجز وزن من أوزان الشعر العربي الأصيلة ، وهو أقدم الأوزان العربية . ولقد أصاب بروكلمان [2] لمّا قال إنّه لا سبيل إلى الزعم بأن بحر الرجز نشأ عند العرب من تأثرهم باليونان ، وان كان ثمّت شبهاً شكليّاً ظاهراً (خارجياً) بين بحر الرجز العربي وبين الوزن اليوناني المعروف باسم أيامبي والذي يتألف المصراع فيه من أوتاد (والوتد لفظ مركّب من صوتين أحدهما قصير والآخر طويل نحو « علا » : عـ . . . . لا) .

---

١ راجع العمدة ١ : ٥٨ – ٦١ ؛ تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان ١ : ٦٥ – ٦٧ ؛ بروكلمان ١ : ٥٦ – ٥٧ ، الملحق ١ : ٢٢ – ٢٤ ، ٩٠ – ٩٢ ؛ دائرة المعارف الاسلامية (النسخة العربية) ، تحت كلمة ؛ رجز .
٢ بروكلمان ، الملحق ١ : ٢٣ .

صحة الشعر الجاهلي

تطرق الشك إلى صحة الشعر الجاهلي منذ أيام أئمة الشعر الأولين ، قال ابن سلاّم [1] : « فلمّا راجعت العرب رواية الشعر وذِكرَ أيامها ومآثرها استقلّ بعض العشائر شعر شعرائهم وما ذهب من ذكر وقائعهم . وكان قوم قلّت وقائعهم وأشعارهم ، وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائع والاشعار ، فقالوا على ألسن شعرائهم . ثم كانت الرواة بعد ، فزادوا في الاشعار . **وليس يُشكل على أهل العلم زيادة ذلك ، ولا ما وضع المولّدون** ؛ وانّما عضل [2] بهم أن يقول الرجل من أهل بادية — من ولد الشعراء أو الرجل ليس من ولدهم — فيُشْكل ذلك بعض الاشكال » .

ثم تناول المستشرقون هذا الشك فأفاضوا في الكلام عليه ، ومن المستشرقين تناوله كتّابنا المعاصرون لنا[3] . وإذا كان الشك قد تطرق إلى جميع ما يستند إلى الاخبار المروية — وخصوصاً ما كان قديماً — وإلى ما كان مدوّناً في بعض الأحيان — فليس من المستغرب أن يتطرق إلى الشعر الجاهلي أيضاً . فما خلاصة آراء الائمة من علماء الشعر في هذا البحث ؟

« الشعر الجاهلي » حقيقة تاريخية ، ولكن بما ان العرب لم يدوّنوا هذا الشعر بل اكتفوا بأن يتناقلوه خلفاً عن سلف وفي أزمنة متطاولة وفي أحوال مؤاتية أو غير مؤاتية فقد :

(١) نُسي بعضه فضاع .

(٢) نَسب الراوون بعض هذا الشعر ، عمداً أو سهواً ، إلى غير قائله .

(٣) رغب بعض الأفراد بالدفاع عن أنسابهم أو باختلاق أحساب لهم ولأسلافهم فعمدوا إلى نظم أبيات أو مقطعات أو قصائد ، أو أنهم سألوا بعض شعرائهم المعاصرين لهم مثل ذلك ثم نسبوه إلى شعراءَ متقدمين .

(٤) كذلك أراد نفر من اللغويين أن يستّروا خطأً وقعوا فيه فاختلقوا له

---

١ طبقات الشعراء (ليدن) ١٤ ، راجع ٣ – ٤ .

٢ معرفة الزيادة في الاشعار الصحيحة . عضل به : اشتد عليه ، صعب عليه .

٣ من أوفى ما كتب في هذا الموضوع وأرصنه الفصول : الثالث والرابع والخامس في كتاب « مصادر الشعر الجاهلي » للدكتور ناصر الدين الاسد ؛ وكذلك ما جاء في تاريخ الأدب العربي » تأليف بلاشير (١ : ٦٩ وما بعدها) .

شاهداً و « نحلوه » شاعراً قديماً أو دسّوه في قصيدة قديمة معروفة . وربما فعل بعض رواة التاريخ والحديث واللغة مثل ذلك . ولقد كان للنزاع بين الاحزاب السياسية على الاخص يد غير مشكورة في « نَحْل الشعر » .

وعلى هذا نشك نحن أيضاً في صحة بعض الشعر الجاهلي ، ولكن لا نشك فيه كلّه ولا نشك في الشعراء الجاهليين كذلك ، ذلك لأن « الناحل » يستطيع أن يقلّد البيت والبيتين والقصيدة والقصيدتين ، ولكنه لا يستطيع أن يخلق شاعراً ولا أن يتلبس بشخصية شاعر . وإذا استطاع أن يتلبس بشخصية شاعر واحد فهل يستطيع أن يتلبس بشخصيات مشاهير الشعراء أمثال امرئ القيس وطرفة وعنترة والاعشى معاً ؟ أضف إلى ذلك ان هنالك « اشارات متقاطعة » نراها في الدواوين المختلفة ، فنرى عَبيد بن الابرص يذكر معاصره امرأ القيس ثم نجد امرأ القيس يذكر فلاناً وفلاناً ، فكيف يتأتى لمن اختلق هذا الشعر — سواءٌ أكان فرداً أم كانوا نفراً — أن يُلمّوا بذلك كله ويوفقوا بينه ؟ ثم هنالك الاشارات المتأخرة في القرآن الكريم إلى الشعر الجاهلي ثم الاشارات في دواوين الشعراء الامويين والعباسيين إلى الشعراء الجاهليين بأسمائهم وخصائصهم ، كقول الفرزدق (ت ١١٠ هـ ، ٧٣٨ م) :

وهب القصائدَ لي النوابغُ إذ مضَوْا ، وابو يزيدَ وذو القروح وجَرْوَلُ ١
والفحل علقمةُ الذي كانت لـه حُلَلُ الملوك كلامُه لا يُنْحَلُ ٢
وأخو بني قيسٍ وهن قتلْنـه ، ومُهَلْهِل الشعراء ذاك الاول ٣
والاعشيان كلاهما ، ومُرَقِّش ، وأخو قضاعةَ قولُه يُتَمَثَّـل ٤
وأخو بني أسدٍ عَبِيدٌ إذ مضى ، وابو دؤادٍ قوله يُتَنَخَّـل ٥
وابنا ابي سُلمى زهيرٍ ، وابنـه ، وابن الفُرَيعة حين جَدَّ المِقول ٦

١ النابغة : لقب نفر من الشعراء ، منهم : النابغة الذبياني والنابغة الجعدي ونابغة بني شيبان . أبو يزيد (المخبل السعدي) وذو القروح (امرؤ القيس) وجرول (الحطيئة) .

٢ والفحل علقمة (علقمة بن عبدة) .

٣ أخو بني قيس (طرفة) والمهلهل (بن ربيعة) .

٤ الأعشى : لقب لنفر من الشعراء يزيدون على ستة عشر عداً ، منهم : الأعشى ميمون بن قيس ، وأعشى باهلة ، وأعشى ثعلبة وسواهم . وأخو قضاعة : ابو الطمحان القيني .

٥ عبيد بن الابرص وأبو دؤاد الأيادي .

٦ وابنا أبي سلمى (بجير وكعب) وزهير (بن أبي سلمى) وابنه (عقبة بن كعب بن زهير) وابن الفريعة (حسان بن ثابت) .

إلى آخر ما عدّد . حينئذ انتصب له جرير (ت ١١٠ ﻫ) ونقض عليه معانيه وعيره بترديد أسماء الشعراء الأقدمين :

حسب الفرزدق أن تُسَبّ مُجاشعٌ ويَعُدّ شعر مُرقش ومهلهِلِ .

يعني جرير بذلك ان الفرزدق لا يستطيع أن يدفع السُباب عن قبيلة مجاشع فينحرف إلى الافتخار بشعر قدماء الشعراء .

إذا كانت ثمت أبيات مدسوسة على الشعراء الجاهليين ، وإذا كانت هنالك قصائد قد نسبت سهواً أو عمداً إلى غير أصحابها أو غير زمانها ، فليس في ذلك كله ما يبرر الشك في الشعراء الجاهليين كلهم ولا في الشعر الجاهلي كله [١] .

النثر

الكلام نوعان مُرْسَل ومنظوم . فالمرسل هو الذي لا يتكلف قائله في إلقائه شيئاً ، وهو النثر العادي . وأما الكلام المنظوم فهو ثلاثة أجناس : الرسائل والخطب والشعر [٢] . فالكلام المنظوم هو الكلام الذي يخضع للعناية سواء أكان موزوناً أو لم يكن . ذلك لأن الكاتب يتأنّق في الرسالة والخطيب يتأنق في الخطبة كما يتأنق الشاعر في القصيدة [٣] .

وبعض النُقّاد يفضّل الكلامَ المنظوم على الكلام المنثور [٤] كابن رشيق وأبي هلال العسكري . أما ابن الاثير فيرى أن المنثورَ أشرفُ من المنظوم لأن أسباب النظم أكثر ومَيْدانه أوسعُ ، ولذلك كان عدد المجيدين من الشعراء أكبرَ من عدد المجيدين من الكُتّاب [٥] .

والنثر أقدم نشأة ودوَراناً على الألسن من الشعر . إلا أن النثر لما كثر أصبح مُبْتَذَلاً فلم يهتمّ العربُ بروايته كما اهتموا برواية الشعر ، حتى روى ابن رشيق قَوْلَ من قال (١ : ٨) إن « ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما

---

١ الشك في النصوص القديمة عام في تاريخ الأدب عند جميع الأمم ، راجع مثلا الشك في الياذة هوميروس (مقدمة الالياذة لسليمان البستاني) .

٢ الصناعتين ١٦١ .

٣ الصناعتين ٥٨ ، ١٣٧ — ١٣٩ .

٤ العمدة ١ : ٧ ، راجع ٨ .

٥ المثل السائر ٤٩٩ — ٥٥٠ .

تكلّمت به من جيد الموزون ، فلم يُحفَظْ من المنثور عُشرُهُ ولا ضاع من الموزون عشره » .

ومن خصائص النثر الجاهلي أنه كثير الفواصل والموازنة ، مقتصد في السجع قليل الصناعة . ويدور النثر الجاهلي على الحِكَم والامثال وعلى الخُطَبِ والوَصايا .

والخطابة قديمة وعامّة في جميع الأمم . ويروي الجاحظ أن الفرس أخطب الأمم كلها . والخطابة صعبة لحاجة الخطيب إلى البداهة والارتجال . والبدو أحسن خطباً من المولّدين ومن أهل المدن عامة ، لأن البدوي يجري على الطبع والسليقة ولا يتكلّف في شيء . وتكون الخطب طوالاً وقصاراً ، إلا أن القصار أفضل لأنها أسرع علوقاً بالذاكرة وأطول مكثاً فيها .

وفي أواخر العصر الجاهلي ارتفعت مكانة الخطيب وانحطّت مكانة الشاعر ، لأن نفراً من الشعراء كالنابغة والاعشى اتّخذوا الشعر مكسبة وتجارة .

وإذا كان الشك يتطرق إلى الشعر ، فان تطرقه إلى النثر أسرع وأكثر ، ذلك لأن النثر غير منظوم فيسهل التلاعب به على الألسن . وبما أننا لسنا على ثقة من أن جميع النصوص النثرية قد رويت لنا عن الجاهلية بلفظها الأول فقد أصبح **لِزاماً على من أراد أن يتعرّف إلى أساليب الجاهليين في نثرهم أن يتلمّسها في القرآن الكريم** ، فان حجة ذلك الآيةُ الكريمة : « وما أرسلنا مِنْ رسولٍ إلاّ بلسانِ قومه لِيُبَيِّنَ لهم (١٤ : ٤) » ، ففي القرآن الكريم جميع أساليب العرب .

ومن أوجه النثر في الجاهلية الأمثال والوصايا وسجع الكهّان :

أما الأمثال فهي جمل قصيرة وجيزة تدل على صحة الرأي وصدق الاختبار . وربما نشأ المثل من لفتة لشاعر في بيت من الشعر أو من برقة فكر لرجل في أثناء حديث فوافق ما ألفه الناس في حياتهم فأصبح قاعدة في السلوك الانساني (خيراً أو شراً) أو واقعاً لا مفرّ منه . ومع أن المثل قول حكيم على كلّ حال ، فانه غير الحكمة . ان الحكمة قول صائب في حال مخصوصة ، بينما المثل قول موافق للواقع يعمل الانسان به . فمن أمثال الجاهلية المختلفة المراتب : إنّك لا تجني من الشوك العنب (لا تنتظر الخير مما هو شرّ في نفسه) — البس لكلّ

حالة لبوسها — قبل الرمي يراش السهم (يجب أن يستعدّ المرء للأمر قبل أن يقدم عليه) — ربّ كلمة سلبت نعمة — كلّ فتاة بأبيها معجبة — تسمع بالمعيدي خير من أن تراه .

وأما الوصايا فهي من باب الخطب ، إلاّ أن الخطبة تقال في الحفل المجتمع بينما الوصية تقال للفرد . أوصت أعرابية ابنة لها تزوجت فقالت : أي بُنيّةُ ، انّكِ فارقتِ الجوّ الذي منه خرجت ، وخلّفتِ العشّ الذي منه درجت ، إلى بيت لم تعرفيه وقرين لم تألفيه . فاحملي عنّي عشر خصال تكن لكِ ذُخراً : أصحبيه بالقناعة وعاشريه بحسن السمع والطاعة ، الخ ...

وأما سجع الكهّان فانه أيضاً من باب الخطابة ولكن جمله أقصر [illegible] والسجع في فصول الكلام مطّرد لا تخلو جملة منه من سجعة ، ولذلك [illegible] سجع الكهّان» . ويقصد الكاهن إلى أن يطوف على كلامه غموض شامل حتّى يستنتج كلّ سامع من كلام الكاهن ما يريده هو . وتلك خاصة عامّة في كلام الكهّان عند جميع الامم . قال عزّى سلمة : «والارض والسماء ، والعفب وا[illegible]عاء ، واقعة ببقاء .... » .

مصادر ومراجع تتعلّق بهذا الفصل

— الحياة الادبية في العصر الجاهلي ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ١٩٤٩ .

— الأمثال في النثر العربي القديم ، تأليف عبد المجيد عابدين ، مصر ١٩٥٦ .

— الخطابة : أصولها وتاريخها في أزهر عصورها عند العرب ، تأليف محمد أبي زهرة ، القاهرة ١٩٣٤ .

— الخطابة ، تأليف محمد عبد الغني حسن ، القاهرة ١٩٥٥ .

— نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ، تأليف حسين نصّار ، مصر ١٩٥٤ .

— الوصف في الأدب العربي ، تأليف الدكتور سامي الدهان ، القاهرة ١٩٥٥ .

— الوصف في الشعر العربي ، تأليف عبد العظيم قنّاوي ، مصر ١٩٤٩ .

— الغزل في العصر الجاهلي ، تأليف أحمد محمد الحوفي ، القاهرة ١٩٥٠ .

— الغزل عند العرب ، تأليف حسان أبي رحاب ، مصر ١٩٤٧ .

- تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة ، تأليف شكري فيصل ، دمشق ١٩٥٩ .
- تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني ، تأليف أحمد الشايب ، القاهرة ١٩٤٥ .
- الهجاء والهجّاءون في الجاهلية ، تأليف محمد محمد حسن ، القاهرة ١٩٤٧ .
- تطوّر الخمريات في الشعر العربي من الجاهلية إلى أبي نواس ، تأليف جميل سعيد ، القاهرة ١٩٤٥ .
- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، تأليف يوسف خليف ، القاهرة ١٩٥٩ .
- شياطين الشعراء ، تأليف عبد الرزاق حميدة ، القاهرة ١٩٥٦ .
- الحرب في الشعر الجاهلي ، تأليف علي الجندي ، القاهرة ١٩٥٨ .

• • •

- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، تأليف ناصر الدين الاسد ، القاهرة ١٩٥٦ .
- بعث الشعر الجاهلي ، تأليف محمد مهدي البصير ، بغداد ١٩٣٩ .
- في الشعر الجاهلي ، تأليف طه حسين ، القاهرة ١٩٢٥ .

وقد أثار هذا الكتاب عاصفة من الاحتجاج والنقد ، فحذف المؤلّف منه عدداً من الأمور ولطّف عدداً من الجمل ثم أعاد طبعه (عام ١٩٢٧ م) باسم « في الأدب الجاهلي » . ثم طبع هذا الكتاب مراراً . ومن الردود عليه :

- تحت راية القرآن ، لمصطفى صادق الرافعي ، القاهرة ١٩٢٦ .
- نقد كتاب الشعر الجاهلي ، تأليف محمد فريد وجدي ، القاهرة ١٩٢٦ .
- نقض الشعر الجاهلي ، تأليف محمد الخضر التونسي ، مصر ١٩٤٥ هـ (١٩٢٦ - ١٩٢٧ م) .
- الشعر الجاهلي والرد عليه ، تأليف محمد حسين ، القاهرة ١٩٢٧ .
- النقد التحليلي « لكتاب في الشعر الجاهلي » ، تأليف أحمد محمد الغمراوي ، مصر ١٩٢٩ .

العَصْرُ الجاهليّ

مُعظَم الأدباء الذين وصلت الينا أخبارهم وآثارهم من الجاهليين شعراءُ ، ولكن لم يشتهر أحد منهم شهرة واضحة ثابتة قبل القرن السادس للميلاد . غير أن في كتب الأدب اشارات إلى نفر من الشعراء أقدم عهداً . قال ابن سلاّم [١] :

« ومن قديم الشعر الصحيح قول العنبر بن عمرو بن تميم :

قد رابني من دَلْوِيَ اضطرابُها والنأيُ في بهراءَ واغترابُها

إلاّ تَجِيءْ مَلْأَى يَجِيءْ قِرابها » .

وهي أشطر من الرجز ، والرَجَز عند جميع النقاد أقدم الشعر .

وكذلك ذكر ابن سلاّم أن سعداً ومالكاً ابني زيد مناة بن تميم من الشعراء القُدامى ، ومالك هذا هو الذي يقول في أخيه سعد البيت المشهور الذي أصبح عَجُزُهُ مثلاً [٢] :

أوردها سعدٌ ، وسعد مُشْتَمِلْ ، ما هكذا تُوردُ ، يا سعدُ ، الابل !

ومن ذلك ما ذكره ابن سلاّم أيضاً عن دُويد [٣] بن زيد بن نَهْد القُضاعي أنه قال لما حَضَرَتْه الوفاة [٤] :

اليوم يُبنى لدويدٍ بيتُ ، لو كان للدهر بِلًى أبليتُه .....

وروى الجاحظ في البيان والتبيين (٣ : ٣٢٨) لحُجر بن معاوية آكل المرار – الجد الثالث لامرئ القيس – أبياتاً هي :

ان مَنْ غرّه النساءُ بشيءٍ بعدَ هندٍ لجاهلٌ مغرور .

حُلوةُ العينِ واللسانِ ، ومرٌّ كلّ شيءٍ يُجِنّ منه الضمير .

---

١ طبقات الشعراء ١١ .

٢ طبقات الشعراء ١١ .

٣ ويقال ذويد ودريد .

٤ طبقات الشعراء ١١ ؛ الشعر والشعراء ٣٦ .

كل أنثى – وان بدتْ لك منها آيةُ الحب – حبُها خَيْتَعور [1] .

وآكل المرار يجب أن يكون قد بلغ أشُدَّه قبل انتصاف القرن الخامس للميلاد .

وجاء في ديوان امرئ القيس :

عوجا على الطلل المحل لعلّنا نبكي الديارَ كما بكى ابن حِذام .

وقد علّق ابن سلاّم [2] على هذا البيت بقوله : وابن حذام « رجل من طيّ لم نسمع شعره الذي بكى فيه ولا شعراً غيره له ، ولم نسمع ذكراً له إلاّ في هذا البيت الذي ذكره (فيه) امرؤ القيس » .

وهنالك شعر لكُليب بن ربيعة ثم للمُهَلْهِل خال امرئ القيس ولنفر من أعمام امرئ القيس ولغيرهم ممن عاصرهم أو سبقهم قليلاً . هذه الطبقة من الشعراء يجب أن تكون قد بلغت أشُدَّها في النصف الثاني من القرن الخامس للميلاد .

ولابن قتيبة في كتابه **الشعر والشعراء** مقدّمة نفيسة جداً في نطاق الشعراء الذين جمعهم في كتابه ، سأوجز في ما يلي معانيَها بألفاظه بعد أن أستغني عن الألفاظ التي لا حاجة اليها في هذا الايجاز وعن الأمور التي استطردَ اليها مما لا يفيدنا في هذا المقام :

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة :

هذا كتاب ألّفته في الشعراء : أخبرت فيه عن الشعراء وأزمانهم وأقدارهم وأحوالهم في أشعارهم و (عن) قبائلهم وأسماء آبائهم .... وعمّا يُستحسن من أخبار الرجل ويستجاد من شعره ، وأخبرت فيه عن أقسام الشعر وطبقاته وعن الوجوه التي يُختار الشعر عليها ويستحسن لها ...

وكان أكثر قصدي للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جلّ هذا أهلَ الأدب ، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي كتاب الله عزّ وجل وحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ....

ولعلّك تظنّ – رحمك الله – أنه يجب على من ألّف مثل كتابنا هذا ألاّ

---

١ خيتعور : المتلون لا يثبت على حال .

٢ طبقات الشعراء ١٣ .

يدع شاعراً قديماً ولا حديثاً إلاّ ذكره ودلّك عليه .... والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم ، في الجاهلية والاسلام ، أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراء عددهم واقف ... جاء فتيان إلى أبي ضمضم فأنشدهم لمائة شاعر كلّهم اسمه عمرو . فهذا ما حفظه أبو ضمضم ولم يكن بأروى الناس ، وما أقرب أن يكون من لا يعرفه (أبو ضمضم) من المسمّين بهذا الاسم أكثر ممن عرفه . هذا إلى من سقط شعره من شعر القبائل ولم يحمله الينا العلماء والنقلة ... وكان ثلاثة اخوة من بني سعد لم يأتوا الامصار فذهب رجزهم ، يقال لهم منذر ونذير ومنتذر أو منيذر ....

مصادر ومراجع تتعلّق بهذا الفصل

١ – مجاميع :

– شرح القصائد العشر للتبريزي ، كلكتّة ١٨٩٤ م ، القاهرة ١٣٤٣ هـ ، ١٣٥٢ هـ ، الخ .

– شرح المعلّقات العشر وأخبار قائليها لأحمد بن الأمين الشنقيطي ، القـاهرة ١٣٣٨ هـ ، الخ .

– السموط السبع الطوال من أشعار العرب ، مع شرح منتخب بقلم أ. ف. أرنولد ، ليبزغ ١٨٥٠ م .

– شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر محمد بن القاسم الانباري (تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون) القاهرة (دار المعارف) ١٩٦٣ م .

– شرح المعلّقات السبع لأبي عبد الله الحسن بن أحمد بن الحسين الزوزني [١] ، ضبطه وكتب مقدّمته وتراجمه وتعليقاته محمد علي حمد الله ، دمشق (المكتبة الاموية) ١٣٨٣ هـ ، ١٩٦٣ م .

– العقد الثمين من دواوين الشعراء الجاهليين (النابغة – عنترة – طرفة – وزهير – علقمة – امرئ القيس) ، بقلم فلهلم آلوارت ، لندن ١٨٧٠ .

– العقد الثمين من دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين (طرفة – زهير – امرئ

---

١ جمع الاستاذ محمد علي حمد الله (ص ٥٦ – ٦٤) ثبتاً بشراح المعلقات وبطبعاتها ، مشروحة أو بغير شرح ، مفردة أو مجموعة عشراً عشراً أو سبعاً سبعاً أو أقل من ذلك . وقد استغنيت بهذه الاشارة عن ايراد هذه الطبعات التي بلغت في احصاء الاستاذ حمد الله ثلاثاً وثمانين .

القيس) ، بيروت ١٨٨٦ م .
- خمسة دواوين العرب (النابغة - عروة بن الورد - الفرزدق - حاتم الطائي - علقمة الفحل) ، مصر ١٢٩٣ هـ ، بيروت ١٣٢٧ هـ .
- شرح اشعار الهذليين (نشره كوزيكارتن) ، لندن ١٨٥٤ .
- أشعار الهذليين للسكري (فلهاوزن) ، برلين ١٨٨٤ .
- مجموعة أشعار الهذليين (الجزء الثاني) اعتنى بنشرها يوسف هل ، ليبزج ١٩٣٣ .
- ديوان الهذليين ، القاهرة ١٩٤٥ - ١٩٥٠ .
- الطرائف الأدبية (ديوان الافوه الاودي - الشنفري ، تسع قصائد نادرة، الخ) لعبد العزيز الميمني ، القاهرة ١٩٣٧ .
- مجموع اشعار العرب (الاصمعيات وبعض قصائد لغوية) نشرها فلهلم آ لوارت، برلين ١٩٠٢ .
- الاصمعيات (تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون) ، مصر ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م .
- أراجيز العرب لمحمد توفيق البكري ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٤٦ هـ .
- المفضليات لأبي العباس بن محمد الضبي مع شرح الانباري (نشر تشارلس ليال) اكسفورد ١٩١٨ - ١٩٢٤ .
- المفضّليات (تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون) ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٢ .
- المفضّليات الخمس (شرح وتحقيق عبد السلام هارون) ، القاهرة ١٩٤٢ م .
- جمهرة أشعار العرب لأبي زيد بن أبي الخطّاب القرشيّ ، مصر ١٣٠٨ هـ ، ١٣٣٠ هـ ، الخ ، بيروت ١٩٦٤ م .
- الحماسة الصغرى والوحشيّات لأبي تمّام ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩١٠ م - (نشرها محمد محمود الرافعي) ، القاهرة ١٩٢٢ - (نشرها كمال مصطفى) ، القاهرة ١٩٢٩ م .
- كتاب الوحشيّات وهو الحماسة الصغرى لأبي تمّام حبيب بن أوس الطائي ، علّق عليه وحقّقه عبد العزيز الميمني الراجكوتي وزاد في حواشيه محمود محمد شاكر ، القاهرة (دار المعارف) ، ١٩٦٣ م .

– الحماسة لأبي عُبادة البحتري ، بيروت ١٩١٠م – القاهرة ١٩٢٢ ، ١٩٢٩ .
– كتاب الحماسة ، جمعها ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن محمد بن حمزة العلوي المعروف بابن الشجري ، حيدر آباد الدكن ١٣٤٥ هـ – القاهرة ١٣٠٦هـ– ١٩٢٥ م .
– الاشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والمخضرمين للخالديين ، القاهرة ١٩٥٨ .
– مختارات الطيالسي لجعفر بن محمد الطيالسي (نشر غاير) ، فيينا ١٩٢٩ .
– كتاب المكاثرة عند المذاكرة للطيالسي (نشر غاير) ، فيينا ١٩١٩ .
– النصف الأول من كتاب الزهرة ، تأليف أبي بكر محمد بن أبي سليمان الاصفهاني (اعتنى بنشره لويس نيكل بمساعدة ابراهيم طوقان) ، بيروت ١٩٣٢ م = ١٣٥١ هـ .
– مختارات الشعر الجاهلي (الشعراء الستّة) ، تأليف مصطفى السقّا ، القاهرة ١٩٣٠ م ، ١٩٤٨ م .
– أمثال العرب لأبي العباس المفضّل بن محمد الضبي ، القسطنطينية ١٣٠٠ هـ .
– جمهرة الامثال لأبي هلال العسكري ، القاهرة١٣١٠هـ (على هامش أمثال الميداني).
– مجمع الامثال لأحمد الميداني النيسابوري ، بولاق ١٢٨٤ ، القاهرة ١٣١٠هـ، ١٣٥٢ هـ ، الخ .
– فرائد اللآل في مجمع الأمثال للشيخ ابراهيم الاحدب ، بيروت ١٣١٢ هـ .
– جمهرة خطب العرب لأحمد صفوت (ثلاثة أجزاء) القاهرة ١٩٣٣ .
– جمهرة رسائل العرب لأحمد صفوت (أربعة أجزاء) ، القاهرة ١٩٣٧–١٩٣٨ .

٢ – مختارات من الشعر مع تراجم موجزة أو مفصّلة :

– طبقات الشعراء ، تأليف محمد بن سلاّم الجمحيّ (نشره يوسف هلّ) ليدن ١٩١٣ م – (شرحه محمود محمد شاكر) ، القاهرة (دار المعارف)١٩٥٢ م القاهرة .
– كتاب الشعر والشعراء ، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (نشره ده خوية) ، ليدن ١٩٠٢ م . ثم نشر مراراً ، القاهرة ١٣٢٢ ، ١٣٣٢ ، ١٢٦٤ – ١٣٦٦ هـ الخ ، ثمّ بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٤ م .
– طبقات الشعراء ، تأليف عبد الله بن المعتز (تحقيق عبد الستار أحمد فراج) ، القاهرة ١٩٥٦ .

– نزهة الالبّاء في طبقات الأدباء ، تأليف عبد الرحمن الانباري ، القاهرة
– تاريخ آداب العرب ، تأليف مصطفى صادق الرافعي ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩١١ ، الطبعة الثانية (باشراف محمد سعيد العريان) ، القاهرة ١٩٥٤ .
– أدب اللغة العربية ، تأليف محمد حسن المرصفي ، القاهرة ١٩٠٨ .
– تاريخ آداب اللغة العربية ، تأليف جرجي زيدان ، الجزء الأول (طبعة جديدة راجعها وعلّق عليها الدكتور شوقي ضيف) ، القاهرة ١٩٥٧ .
– تاريخ الأدب العربي ، تأليف أحمد حسن الزيات ، الطبعة الرابعة عشرة ، القاهرة ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م .
– أدباء العرب ، تأليف بطرس البستاني ، ثلاثة أجزاء ، بيروت ١٩٣٤م .
– الأدب العربي وتاريخه ، تأليف محمود مصطفى ، القاهرة ١٩٣٧ .
– تاريخ الأدب العربي ، تأليف بيومي السباعي ، ثلاثة أجزاء ، القاهرة ١٩٤٨ – ١٩٥٣ .
– الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ، تأليف محمد هاشم عطية ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٣٦ .
– تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ، تأليف نجيب محمد البهبيتي ، القاهرة ١٩٥٠ .
– تاريخ الأدب العربي ، تأليف كارل بروكلمان [١] (نقله إلى العربية عبد الحليم النجار) ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٥٩ .
– تاريخ الأدب العربي منذ نشوئه حتى أواخر القرن الخامس عشر للميلاد ، تأليف ريجيس بلاشير (نقله إلى العربية الدكتور ابراهيم الكيلاني) ، دمشق ١٩٥٦ .
– المنهاج في الأدب العربي وتاريخه ، تأليف الدكتور عمر فروخ ، ثلاثة أقسام ، بيروت ١٩٥٩ – ١٩٦٠ .
– خمسة شعراء جاهليون (مع مقدمة في خصائص الشعر الجاهلي وفنونه) ، تأليف الدكتور عمر فرّوخ ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م .

١ ان الاشارة بقولنا : بروكلمان ، الملحق هي الى النسخة الألمانية :
Geschichte der arabischen Litteratur, von Carl Brockelmann, 2 Bände, Leiden 1943, 1949; und 3 Supplementbände, Leiden 1937, 1938, 1942.

- رجال المعلّقات العشر ، تأليف الشيخ مصطفى الغلاييني ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٣٢ ه .
- الشعراء الجاهليون ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي ، مصر ١٩٤٥ .
- أعلام الشعر الجاهلي ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي وعبد السلام أبي النجا سرحان ، القاهرة ١٩٤٩ .
- أدب العرب في الشعر الجاهلي ، تأليف محمد يوسف دخيل ....
- دراسة الشعراء (امرئ القيس - الاعشى - النابغة - زهير - الحطيئة) ، بدأ تأليفه محمد حسن نائل المرصفي وقام باكماله ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي ، القاهرة ١٩٤٤ .
- شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام ، تأليف بشير يموت ، بيروت ١٩٣٤ .
- معلّقات العرب ، تأليف بدوي أحمد طبانه ، القاهرة ١٩٥٨ .
- دراسات في الأدب العربي ، تأليف غوستاف أدمون فون غرونبوم (ترجمة احسان عبّاس وأنيس فريحة ومحمد يوسف نجم وكمال يازجي) ، بيروت ١٩٥٩ .
- شعراء النصرانية قبل الاسلام ، تأليف الأب لويس شيخو ، بيروت ١٩٢٢ - ١٩٢٥ .
- الشعراء اليهود العرب ، تأليف المحامي مراد فرج ، الطبعة الثانية ، الاسكندرية ١٩٣٩ .

وفي ما يلي كتب لم يقصد أصحابها أن تكون كتب أدب خالص ، ولا هم اتّبعوا في تأليفها منهجاً معيّناً . غير أن فيها مادّة أدبية قيّمة ، وبعض هذه الكتب لا غنى عنها لمن يدرس الأدب وتاريخ الأدب :

- كتاب الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني (الاجزاء ١ - ١٦ دار الكتب ، القاهرة ١٣٤٥ ه = ١٩٢٧ م وما بعدها) ، الاجزاء ١٤ - ٢٠ بولاق ، الجزء ٢١ ليدن ١٩٠٥ م ، وقد طبع الجزء ٢١ ملحقاً بطبعة الحاج محمد ساسي المغربي ، مصر ١٣٢٣ه ، التي توافق طبعة بولاق في ترقيم الصفحات موافقة قريبة .

** ان كل جزء من طبعة دار الكتب مفهرس فهرسة مفصّلة . وهنالك فهرس مفصّل لطبعة بولاق صنعه إغناطيوس غويدي (ليدن ١٨٩٥ - ١٩٠٠م) .

وكذلك طبعت دار الثقافة في بيروت كتاب الاغاني كاملاً ثم أخرجت له (عام ١٩٦٤ م) فهرساً مفصلاً من عمل عبد الستار أحمد فراج .

- كتاب الحيوان ، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون) . سبعة أجزاء ، القاهرة ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م .
- الكامل في اللغة والأدب ، تأليف أبي العباس محمد بن يزيد الازدي المبرّد ، ليبزك ١٨٧٤ .
- الامالي ، تأليف أبي علي اسماعيل بن القاسم القالي ، بولاق ١٣٢٤ هـ .
- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي ، تأليف أبي عبيد الله عبد الله بن عبد العزيز البكري ، القاهرة ١٩٣٦ .
- كتاب عيون الاخبار ، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، القاهره ١٩٢٥ — ١٩٣٠ .
- كتاب المعارف ، تأليف أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، غوتنجن ١٨٥٠ .
- العقد الفريد ، تأليف أحمد بن محمد بن عبد ربه ، مصر ١٢٩٣هـ .
- نقائض جرير والاخطل (لمحمد بن حبيب) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٢٤ .
- نقائض جرير والفرزدق ، تأليف أبي عمرو بن المثنى (نشره بيفان) ، ليدن ١٩٠٥ — ١٩١٢ .
- نهاية الأرب في فنون العرب ، تأليف شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، القاهرة ١٩٢٣ — ١٩٣٣ .
- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، تأليف عبد الرحيم بن أحمد العباسي ، مصر ، ١٣١٦ هـ .
- زهر الآداب وثمر الالباب ، تأليف أبي اسحق الحصري القيرواني ، مصر ١٩٢٥ .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تأليف الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادي ، بولاق ١٢٩٩ .
- مصارع العشاق ، تأليف أبي محمد جعفر بن أحمد بن السراج ، القسطنطينية ١٣٠١ هـ .
- تزيين الاسواق بتفصيل أشواق العشاق ، تأليف داوود الانطاكي ، مصر ١٢٩١ هـ .

أعلام الجاهلية في الشعر والنثر

شعراء الجاهلية هم الشعراء الذين عاشوا قبل ظهور الاسلام ثم الشعراء الذين أدركوا الاسلام ولكن لم يُسلموا كالأعشى مثلاً ، مع أنه أعدّ قصيدة وجاء بها إلى الرسول ليَمْدَحَهُ بها ، كما تجد ذلك مبسوطاً في ترجمته .

الفِنْد الزِّمّانيّ

١ — هو الفِندُ الزِّمّانيّ [1] ، واسمه شَهْل بن شَيْبان بن مالك الحَنَفي من بني بكر بن وائل من أهل اليمامة . كان الفِنْدُ من فرسان ربيعةَ المشهورين المعدودين وسيّداً في قومه وقائداً لهم . وقد شَهِدَ الفند يوم التَحالق (يوم تَحْلاق اللِّمَم) من حرب البَسوس على رأس مدد من قومه نُصرةً لبني بكر على بني تَغْلِبَ .

ولعلّ وفاة الفند كانت عام ٩٢ قبل الهجرة (٥٣٠م) ، وقد زادت سنّه على مائة [2] .

٢ — شعر الفند قليل الغريب سهل عذب ، وأكثره في الحماسة التي يتخلّلها شيء من الحكمة .

٣ — المختار من شعره :

كان الفند الزِّمّانيّ قد اعتذر عن الاشتراك في حرب البسوس كيلا يقاتلَ قوماً

---

١ الفند (بكسر الفاء وسكون النون) : الجبل العظيم أو قطعة منه طولا (ويكون بفتح الفاء ايضاً) ، ولقب شهل (بفتح الشين) الزماني (بكسر الزاي وتشديد الميم) راجع القاموس المحيط ١ : ٣٢٤ .

٢ في الاعلام للزركلي (٣ : ٢٦٠) : ٧٠ ق. هـ. = ٥٥٢ م .

كانت بينه وبينهم قرابةٌ . ثم انه اضطُرَّ الى خوض الحرب وقال :

صَفَحْنا عن بني ذُهْلٍ وقُلنا : القومُ إخوانُ ،
عسى الأيّامُ أن يَرْجِعْـنَ أقواماً كما كانوا .
فلمّا صرّح الشرّ وأمسى وَهْو عُرْيانُ ،
ولم يبق سوى العُدوان دِنّاهم كما دانوا .
مَشَيْنا مِشْيَةَ الليث ، غدا ، والليث غَضبان ،
بضرب فيه تَوْهينٌ وتخضيع وإقران [1] ،
وطعنٍ كفم الزِقّ ، غذا ، والزق ملآن [2] .
وبعض الحلم ، عند الجهل ، للذلّة إذعان .
وفي الشرّ نجاة حيـن لا يُنجيك إحسان .

– وكان للفند في حرب البَسوس ، على كبر سنه ، مواقف رائعة : طعن مرّة طعنة شكّ بها رجلَين ، فقال :

أيا طعنةَ ما شيخٍ كبيرٍ يَفَنٍ بالِ [3] ،
تُقيم المأتم الاعلى على جَهد وإعوالِ [4] .
ولولا نُبْل عَوْضٍ في خُظُبّايَ وأوصالي [5] ،
لطاعنت صدور الخيـل طعناً ليس بالآلي [6] .
ترى الخيل على آثار مُهري في السنا العالي [7] .
ولا تُبْقي صروفُ الدهـر إنساناً على حالِ .
تَفَتَّيْتُ بها إذْ كَرِهَ الشِكّة أمثالي [8] .

---

١ وهنه : جعله واهناً (ضعيفاً) . تخضيع : إذلال . اقران : توالي (الطعن) .
٢ الزق : اناء من جلد للخمر . غذا : سال (كناية عن شدة الطعن) .
٣ « ما » زائدة ؛ « شيخ » مضافة إلى « طعنة » . يفن : الهرم البالي . – يتعجب من طعنة له شديدة بينما هو شيخ هرم .
٤ انها طعنة قاتلة ، تجمع النساء (في مأتم) للبكاء على قتيلهن بصوت عال (لأن المقتول رئيس) .
٥ لولا سهام عوض (سهام الدهر التي جعلني بها هرماً عاجزاً) . حظبى (بضم الحاء والظاء ثم باء مشددة بعدها ألف مقصورة) : الجسم . ويروي خصماتي (بضم فضم فتشديد) : والخصمة ما غلظ من الساعد والذراع .
٦ آل : مقصر ، (أي بلا فتور) .
٧ كان حصاني سابقاً الخيل وهي وراءه في الغبار الثائر (السنى في الأصل : البرق) .
٨ تفتيت : سلكت مسلك الفتى الشاب . الشكة : السلاح . اذ كره الشكة أمثالي : ان أمثالي (من الشيوخ يكرهون حمل السلاح لعجزهم عن الحرب) .

كجيب الدِفْنِس الوَرْهـا ءِ رِيعت بعد إجفال [1] .

٤ — » » الاغاني ٢٠ : ١٤٣ — ١٤٤ ، الحماسة ١ : ١٥ — ١٦ ، ٢١٤ — ٢١٥ .

الشنفرى الأزدي

٢ — الشَنْفَرَى يمني الأصل من بني أواس [2] من الأزد ؛ وهو شاعر صُعْلوك من العدّائين الفُتّاك الرّجيلين [3] ، كان يُضْرب به المثل في سرعة الركض ومَدى القفز . قيل كانت الخيل لا تلحقه ، وقيل قيست نزوة (قفزة) من نَزَواته فوُجدت واحدة وعشرين خطوة (ثمانية أمتار ونصف المتر) . وكان الشنفرى يغزو على رجليه وحدَه أو في نفر قليلين من الصعاليك العدّائين الفُتّاك أمثالِه كقريبه [4] تأبّط شرّاً ثم عامر بن الأخنس وعمرو بن برّاق ورجل اسمه المُسَيِّب وأسد بن جابر . وكذلك كان يضرب المثل به في الحِذق والدهاء .

ويبدو أن الشنفرى وقع في أسر بني سَلامان بن مُفْرِج من بني فَهْم (من قَيْس عَيْلان من عرب الشمال) ، اسره اسد بن جابر ، وهو صغير ، فنشأ فيهم كأنه واحد منهم . ثم انه عَرَف حقيقة أمره في حديث طويل . وقد قيل إنه أقسم أن يقتل مائةً من بني فَهْم لأنهم أسروه واستعبدوه وكتموا عنه حقيقة نسبه ، فقَتَل منهم تسعةً وتسعين ثم قُتل . فمر به رجل منهم فرفس جُثّته برجله احتقاراً له ، فقيل ان شظيّة من عظام الشنفرى المتناثرة دخلت رِجل الرَجُل الفَهْمي فمات متأثراً بالجرح الذي أحدثته ، فتم بذلك مائة قتيل من بني فَهْم .

٢ — والشنفرى شاعر صعلوك أكثر شعره في الحماسة والفخر ، وله شيء من الغزل . وبعض شعره حائر النسبة بينه وبين ابن اخته تأبّط شرّاً ، وقيل

---

١ هذا البيت وصف للطعنة في البيت الأول . هذه الطعنة واسعة كأنها مكان العنق من ثوب امرأة حمقاء انشق لسرعتها وقلة انتباهها .

٢ أواس (بفتح الهمزة) ، راجع الطرائف الأدبية لعبد العزيز الميمني ، ص ٣٢ .

٣ العداء : السريع العدو (بفتح العين وسكون الدال) : الجري ، الركض ؛ الفاتك : الشجاع الجريء على القتل ؛ الرجيل : الذي ليس لديه دابة يركبها فيسير على رجليه .

٤ في حياتي الشنفرى وتأبط شراً تداخل : ينسب الأمر إلى احدهما مرة وإلى الثاني مرة أخرى .

إن بعض شعره منحول . وللشنفرى القصيدة التي تُسمّى لاميّة العرب والتي تبلغ في الحسن والفصاحة مبلغاً عظيماً وتصوّر حياة الصعلوك تصويراً دقيقاً بارعاً .

٣ — المختار من شعره :

قال الشنفرى في التصعلك وقلة المبالاة بمصير الجسد بعد الموت :

فلا تَقْبُرُوني إن قبري مُحَرَّمٌ ... عليكم ؛ ولكن أبْشري أمَّ عامرِ [1] .
إذا احتملوا رأسي ، وفي الرأس أكثري ، ... وغُودر عند المُلْتقى ثَمَّ سائري [2] ،
هنالك لا أرجو حياةً تسرّني ... سَجيسَ الليالي مُبْسَلاً بالجرائر [3] .

— ومن لاميّة العرب :

أقيموا ، بني أمّي ، صدورَ مَطيّكم ... فإني إلى قوم سِواكم لأمْيَلُ [4] ،
فقد حُمّتِ الحاجاتُ والليلُ مُقْمِرٌ ... وشُدّت لطيّاتٍ مَطايا وأرْحُلُ [5] .
وفي الأرض مَنأىً للكريم عن الأذى ، ... وفيها لِمَن خافَ القِلى مُتَعَزَّل [6] .
ولي دونَكم أهلونَ : سِيدٌ عَمَلّس ... وأرقَطُ زُهلولٌ وعَرْفاءُ جَيْأل [7] .
همُ الاهلُ لا مستودَعُ السرِ ذائعٌ ... لديهم ، ولا الجاني بما جرّ يُخْذَل [8] .
وكلٌّ أبِيٌّ باسلٌ ، غير أنني ... إذا عَرَضت أولى الطرائد أبْسل [9] .

١ أم عامر : الضبع (أبشري بأن تأكلي من لحمي) .
٢ عند الملتقى : في مكان المعركة .
٣ ... سأبقى طول الدهر في عنقي الجرائم الكثيرة التي كنت قد ارتكبتها في حياتي .
٤ بني أمي : قومي . أقيموا صدور مطيكم : ارفعوها من مباركها ، ارحلوا . أميل : مائل ، محب ، (مفضلهم عليكم) .
٥ حمت الحاجات : قدرت ، تهيأت ، (وجب القيام بها) . مقمر : مضيء (فيه القمر منير) . الطية (بكسر الطاء وتشديد الياء) : النية ، المكان ، المقصود . شدت مطايا وارحل : شدت الرحال على المطايا : (هيئت النياق للسفر) .
٦ منأى : مكان ناء (بعيد) ، نجاة . القلى : الكره ، البغض .متعزل :مكان يعتزل الانسان فيه ويبتعد عن أذى الناس .
٧ سيد : ذئب . عملس : القوي على السير . أرقط : من كان في جلده قطع ملونة متجاورة (المقصود هنا : النمر) . الزهلول : الاملس . عرفاء : وحش ضار له شبه العرف (الضبع) . جيأل (صفة معرفة بغير ألف ولام وممنوعة من الصرف) : الضبع (التي تجمع صوفها) .
٨ الجاني : المعتدي ، مرتكب الجناية . جر : اعتدى ، ارتكب جرماً .
٩ الأبي : الذي يأبى الضيم والظلم . الباسل : الشجاع . الطرائد (هنا) : الفرسان التي تطرد (تتقاتل على ظهور الخيل) .

وإنْ مُدَّتِ الأيدي إلى الزاد لم أكن   بأعْجَلِهِم ،إذ أجْشَعُ القومِأعْجَلُ[1] .
وما ذاك إلاّ بسطةٌ عن تفضّلٍ   عليهم ، وكان الافضلَ المتفضّلِ .
وانّي كفاني فَقْدَ من ليس جازيا   بحُسْني ، ولا في قُربه مُتعَلّلُ[2] ،
ثلاثةُ أصحاب : فؤادٌ مُشَيَّعٌ ،   وأبيض إصليتٌ ، وصفراء عَيْطَل[3] .
ولست بمِهيافٍ يُعشّي سَوامَه   مُجَدَّعَةً سُقبانُها وَهْيَ بُهَّل[4] ؛
ولا جُبأٍ أكْهى مُرِبّ بعِرْسه   يُطالِعُها في شأنه كيفَ يفعل[5] ،
ولا خالفٍ دارِيّةٍ مُتَغَزِّلٍ   يروح ويغدو داهِناً يَتَكَحّل[6] .
أديمُ مِطالَ الجوعِ حتّى أميتَه ،   وأضرِبُ عنه الذكرَ صفحاً فأذهل[7] .
وأسْتَفّ تُرْبَ الأرض كيلا يرى له   عليّ من الطَّوْل امرؤٌ مُتَطَوِّل[8] .
ولولا اجتنابُ الذام لم يُلْفَ مشربٌ ،   يُعاش به ، إلاّ لَدَيّ ومأكل[9] ،
ولكنّ نفساً مُرّةً لا تُقيم بي   على الذُّل إلاّ ريثما أتحوّل .

— وللشنفرى قصيدة تائية اختارها المفضّل الضبّي في « المفضّليات » ، فيها غزل وحماسة ، فمنها في الغزل :

---

١ الجشع : النهم ، الطمع مع دناءة النفس .
٢ ليس جازياً بحسني : لا يثيب على صنع المعروف . ولا في قربه متعلل : ليس في مجاورته ... أو مصادقته نفع أو أمل بنفع .
٣ فؤاد مشيع : قلب جريء ، مقدام ، شجاع ، كأن له أشياعاً . وأبيض (سيف) إصليت (صقيل ؛ مصلت أي مجرد من غمده ، كناية عن كثرة القتال حتى أن هذا السيف لا يغمد) . وصفراء (قوس) عيطل (طويلة العنق) .
٤ المهياف : الذي يبعد بابله في طلب المرعى على غير علم فيعطشها . يعشي : يحبسها إلى العشي ، يؤخرها (فتجوع وتعطش على غير ارادة منه) . — المقصود : أنا بطيء العطش أذهب بسوامي (ابلي وغنمي) إلى الأماكن البعيدة ، على علم مني ، ولا أخشى عطشاً . مجدعة (من جدع بكسر الدال) : سيئة الغذاء . البهل جمع باهل : لا صرار عليها (ضرعها غير مصرور ، لا لبن فيها حتى يخشى من أن يرضعها فصيلها) . السقبان جمع سقب (بفتح السين وسكون القاف) : الذكر من ولد الناقة .
٥ الجبأ : الجبان . الاكهى : الابخر (المتغير ، الكريه رائحة الفم) . مرب بعرسه : مقيم قربها لايفارقها. يطالعها في أمره كيف يفعل : يستشيرها في كل أمر من أموره .
٦ خالف : لا خير فيه . دارية (مؤنث داري ، نسبة إلى دارين : مكان مشهور بالمسك) : يحب العطر فيعطر نفسه دائماً . متغزل : يلهو بمحادثة النساء . يروح ويغدو داهناً يتكحل : لا عمل له إلا التطيب (دهن بدنه بالطيب) ووضع الكحل في أجفانه (ولعل التاء في داري للمبالغة) .
٧ أجعل نفسي أنسي الجوع حتى لا أعود إلى الشعور به .
٨ الطول : التفضل على الآخرين مع المن عليهم (التبجح بالاحسان) .
٩ الذام : العيب ، العار . لولا أنني أريد أن أتجنب الذم والذلة لنعمت نفسي بجمع أنواع المطاعم والمشارب .

لقد أعجبتني لا سَقوطاً قِناعُها — إذا ما مشت ولا بذات تَلَفّتِ.
تبيت بُعيد النوم تُهدي عَبوقَها — لجارتها إذا الهدية قَلّتِ [1].
تَحِلّ بمَنْجاة من اللوم بيتَها، — إذا ما بيوتٌ بالمَذَمّة حُلّتِ [2].
كأن لها في الأرض نِسْياً تَقُصُّه — على أَمّها، وان تُكَلّمْكَ تَبْلَتِ [3].
أميمةُ لا يُخزي نَثاها حليلَها؛ — إذا ذُكِرَ النسوان عَفّت وجَلّتِ [4].
إذا هو أمسى، آبَ قُرّةَ عينِه — مآبَ السعيد، لم يَسَلْ أين ظَلّتِ [5].
فدقّت وجلّت واسبكرّت وأُكْمِلَتْ؛ — فلو جُنَّ انسانٌ من الحسن جُنّتِ [6].
فبِتْنا كأنّ البيت حُجِّرَ فوقَنا — برَيْحانة رِيحت عِشاءً وطُلّتِ [7].

٤ — أعجب العجب في شرح لامية العرب ..... للزمخشري وللمبرّد، القسطنطينية ١٣٠٠ هـ.

— مجموع من شعره في «الطرائف الأدبية»، تأليف عبد العزيز الميمني، القاهرة ١٩٣٧ م.

— نهاية الأرب في شرح لامية العرب لعطا الله بن أحمد المصري، القاهرة ١٣٢٨هـ.

في المفضليات (تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون) الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر ١٣٧١هـ=١٩٥٢م، ص ١٠٩. غبوق بالغين: ما يشرب (من الخمرة) بالعشي. وفي ليال (لندن): ان قرينة «بعيد النوم» تدل على ان الكلمة يجب أن تكون «عبوقها» (من عبق يعبق، بكسر الباء في الماضي وفتحها في المضارع: فاحت منه رائحة الطيب. غير أن القاموس لا يذكر صيغة «عبوق» (٣: ٢٦٠-٢٦١).
— لا تؤذي احداً حتى برائحة فمها (وهذه أقل الأشياء أذى للآخرين).

٢ تحل بيتها: تقر (بفتح القاف) فيه، لا تخرج منه كثيراً. بمنجاة من اللوم: بعيدة عن كل عمل يمكن أن يجلب اللوم عليها .... إذا كثرت الاعمال الداعية إلى اللوم في بيوت كثيرة.

٣ النسي: الشيء المنسي، المفقود. تقصه: تتتبع أثره (لتجده). على أمها (بفتح الهمزة): على قصدها، لا تلتفت إلى شيء آخر. بلت (القاموس ١: ١٤٣): قطع (؟). — إذا سارت خفضت رأسها (حياء، كأنها تطلب شيئاً ضاع منها) ولم تتلفت.

٤ نثاها (كرهها لزوجها، كلامها عن زوجها) لا يخزيه (لا يعيبه)؛ وإذا ذكرت في النساء كانت عفيفة جليلة (محترمة). الحليل: الزوج.

٥ دقت: كان قوامها نحيلا. جلت: كان جسمها عظيماً وقامتها مديدة. اسبكرت: طالت وامتدت؛ حسنت مشيتها ذهاباً واياباً. أكملت: كانت تامة الخلقة.

٦ بتنا: قضينا الليل. حجر فوقنا: استدار في سقف البيت الذي نسكنه، أحاط بنا. الريحان كل نبات طيب الرائحة، الآس. ريحت: أصابتها الريح. طلت: أصابها مطر خفيف (إذا حركت الريح الازهار انتشرت رائحة تلك الازهار بسرعة وبمقدار أكبر؛ وإذا أصابها المطر كانت أنفر وأكثر عطراً).

– تفريج الكُرَب عن قلوب أهل الأدب في معرفة لامية العرب لابن زكور المغربي .
– الاغاني ٢٠: ١٣٤ – ١٤٣ ؛ المفضّليات رقم ٢٠ ؛ الحماسة ١: ١٩٣ – ١٩٤ ؛ الوحشيّات رقم ٥٠ ؛ بروكلمان ١: ١٦ ، الملحق ١: ٥٢ – ٥٤ .

سعد بن مالك البكريّ

١ – هو سعد بن مالك بن ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة البكري ، جَدّ طرفةَ ابن العبد ، كان أحد سادات بكر بن وائل وفرسانها . لما قتل جسّاسُ بن مُرة كليبَ بن ربيعة أراد مرة بن ذُهل (والد جساس) أن يدفع ابنه ليُقتل بكليب ، تجنّباً للحرب . فقال سعد بن مالك لمُرّة : لا ، والله ، ما نعطي تغلب جسّاساً ، ولَنُقاتِلَنّ دونَه ! ثم نَشِبَت حرب البَسوس ، وكان لسعد بن مالك قدم ثابتة فيها . وقد قتل سعد في يوم قضة ، من حرب البسوس ، نحو عام ٩٢ ق. ه. (٥٣٠ م) .

٢ – سعد بن مالك شاعر مقلّ مجيد له أشعار في الحماسة مأثورة .

٣ – المختار من شعره :

– لمّا نَشِبت حرب البَسوس اعتزلها الحارث بن عُباد البكري[١] وقال : هذا أمر لا ناقة لي فيه ولا جمل – وكان الحارث بن عباد من أنجاد العرب (شجعانهم) – فقال سعد بن مالك يعيّره قعودَه عن الحرب :

يا بؤسَ للحرب التي وَضَعت أراهطَ فاستراحوا[٢] .
والحرب لا يَبقى لجا حِمِها التخيّلُ والمِراح[٣]
الا الفتى الصبّارُ في النّجَدات والفرس الوَقاح[٤] ؛

---

١ راجع تاريخ الجاهلية للمؤلف ، ص ١٠١ – ١٠٢ .
٢ ما أسوأ نتيجة الحرب التي تركها أراهط (جماعة من القادرين عليها) ليستريحوا من عنائها .
٣ الجاحم : الملتهب . التخيل : الخيلاء والزهو . المراح : النشاط والبطر . – لا تقاد الحرب بالخيلاء والبطر .
٤ لا يقوى عليها الا الفتى (التام الرجولة) . النجدات : الشدائد . الوقاح : الصلب الحافر (الذي تمت قوته) .

والنَّثْرة الحَصداء والـ بَيْض المكلّل والرماح [1] .
كَشَفَتْ [2] لهم عن ساقها ، وبدا من الشر الصُراح .
فالْهَمّ بَيْضاتُ الخدو ر هناك لا النَعَم المُراح [3] .
بئسَ الخلائفُ بعدنا : أولادُ يَشْكُرَ واللّقاح [4] .
مَنْ صَدّ عن نيرانها ، فأنا ابن قيس لا بَراحُ [5] !
صبراً ، بني قيس ، لها حتّى تُريحوا أو تُراحوا .
إن المُوائِل ، خوفَها ، يَعتاقه الأجلُ المُتاح [6] .
هيهاتِ ، حال الموتُ دو ن الفَوْتِ وانتُضِيَ السلاح [7].
كيف الحياة إذا خلت منّا الظواهر والبِطاح [8] ؟
أين الأعزّة والأسِنّة ، عند ذلك ، والسّماح !

٤ — ** الحماسة ١ : ١٩٧ — ٢٠٠ .

تأبّط شرّا

١ — تَأبّطَ شَرّاً لقب ثابت بن جابر الفَهْمي من قيس ، كان من أغْرِبَةِ العرب أسودَ لأن أمه كانت حَبَشية أو زَنجية ، وقيل بل كانت أمه من بني فَهْم أيضاً تدعى آمنة أو أمينة . وسبب لقبه أنه أخذ ذات يوم سيفاً تحت إبطه وخرج . فاتفق أن سئلت أمه عنه فقالت : لا أدري ، ولكنه تأبّط شَرّاً وخرج .

---

١ النثرة : الدرع الواسعة . الحصداء : المحكمة النسج . البيض المكلل : الخوذات المثبتة قطعها بالمسامير .
٢ كشفت الحرب عن ساقها : اشتدت .
٣ غايتنا في الحرب سبي النساء لا الابل التي نسوقها إلى مراحها (حظائرها) .
٤ الخلائف جمع خليفة : (هنا) الذي تتركه خلفك ليحرس بيتك وأهلك (الذي تخلف عن الحرب) . اللقاح (بفتح اللام) : بنو حنيفة .
٥ لا براح : لن أترك منزلي في هذه الحرب .
٦ الموائل : الذي يطلب الملجأ ليحتمي به . خوفها : من خوف الحرب . يعتاقه : يمنعه (من الاحتماء والنجاة) القدر المتاح (عمره المقدر المكتوب) .
٧ لم يبق مفر من الحرب .
٨ الظواهر : رؤوس الجبال .

وكان تأبّط شراً شاعراً بئيساً من الصعاليك حادّ البصر والسمع ، عدّاء يلحق بالخيل والظباء ، ويغزو على رجليه وحدَه . وتزوّجت أم تأبط شراً أبا كبيرٍ الهُذلي . ويبدو أن الزوجين الجديدين ضاقا ذَرْعاً بهذا الطفل الشرير فحاول أبو كبير قتله بضع مرات ، ولكن تأبط شراً كان يَقِظاً جداً . ويبدو أن تأبط شراً أدرك ذلك ، فأصبح طول عمره عَدُوّاً لبني هُذيل وبني رُجيلة .

والمُجْمَع عليه أن تأبط شراً مات قتلاً : قيل قُتل في معركة مع بني رجيلة في جبل نِمار من أرضهم ، وقيل أخرج حية من جُحرها فلدغته . وكذلك كانت هُذيل تدّعي قتله . وكان مقتله نحو عام ٩٢ ق. هـ. (٥٣٠ م) [1] ، بعد الشنفرى ، وكان أصغر سناً من الشنفرى .

٢ – تأبط شراً شاعر قديم وشعره في الحماسة والتصعلك ، وكان الجاحظ يشكّ في بعض شعره . وكذلك كان شعره وشعر خاله الشنفرى يتداخلان لتقارب خصائصهما وأغراضهما . ولتأبط شراً رثاء في الشنفرى .

٣ – المختار من شعره

– قال تأبّط شراً في التصعلك : يُشيد بابن عم له صعلوك اسمه شُمس (بضم الشين) بن مالك :

وإني لَمُهْدٍ من ثنائي فقاصدٌ ... به لابنِ عمِ الصدقِ شُمْسِ بن مالك ،

أهزّ به في نَدوة الحي عِطْفَه ... كما هز عِطفي بالهِجان الاوارك [1] .

قليلُ التشكّي للمُهِمّ يصيبُه ، ... كثير الهوى شتّى النوى والمسالك :

يظلّ بمَوماةٍ ويمسي بغيرها ... جَحيشاً ، ويَعْروري ظهور المهالك [2] .

ويَسْبِق وفدَ الريح من حيث يَنْتحي ... بمُنْخرقٍ من شَدّه المُتَدارك [3] .

إذا حاص عينيه كَرى النوم لم يَزَلْ ... له كالئٌ من قلب شَيْحان فاتك [4] .

---

١ في الاعلام للزركلي (٢ : ٨٠) : ٨٠ ق. هـ. = ٥٤٠ م .

١ أسره بمدحه في مجتمع القوم كما سرني بالنياق الاصيلة التي ترعى من شجر الاراك .

٢ الموماة : المفازة ، الصحراء . ظل : قضى النهار . يمسي : يكون في المساء . جحيشاً : وحيداً . اعرورى : ركب الدابة بلا سرج . يعروري ظهور المهالك : يقذف بنفسه في الأماكن الخطرة .

٣ يسبق وفد الريح : يسبق هبوب الريح . المنخرق : المكان الواسع . الشد : الركض . المتدارك : المتوالي .

٤ ينام نوماً خفيفاً ويظل قلبه يقظاً . كالئ : حافظ ، حارس . شيحان : حازم . فاتك : يفاجئ الناس بما يكرهون .

ويجعل عينيه رَبيئة قلبه إلى سَلّة من حدّ أخلَق صائك[1].
إذا هزّه في عظم قِرْن تهلّلتْ نواجذُ أفواه المنايا الضواحك[2].
يرى الوحشةَ الانسَ الانيس ، ويهتدي بحيث اهتدت أمّ النجوم الشوابكِ[3].

– وقال يفتخر :

لا شيءَ أسرعُ مني : ليس ذا عُذُرٍ وذا جَناح – بجنب الرَيْد – خفّاقِ[4]
ولا أقول ، إذا ما خُلّة صرمت: يا ويح نفسي من شوق وإشفاق[5]!
لكنّما عِوَلي – ان كنت ذا عِوَلٍ – على بصير بكسب الحمد سبّاق[6]:
سبّاق غاياتِ مجد في عشيرته ، مُرَجّعُ الصوت هَدّاً بين أرفاق[7] ،
حمّالُ ألويةٍ ، شهّاد أنديةٍ ، قوّال مُحكَمة ، جوّاب آفاق[8].
إنّي زعيم – إذا لم تتركوا عَذَلي – أن يسألَ الحيّ عني أهلَ آفاق[9].
ان يسألِ القومُ عنّي أهلَ معرفةٍ فلا يُخَبّرُهُمْ عن ثابت لاق[10].
سَدّدْ خِلالك من مال تُجمّعه حتّى تُلاقي الذي كلّ امرئٍ لاق[11].
لتَقرَعَنّ عليّ السنّ من ندمٍ إذا تذكّرت يوماً بعض أخلاقي!

٤ – «» الاغاني ١٨ : ٢٠٩ – ٢١٨ ؛ الاصمعيّات رقم ٣٧ ؛ المفضّليات رقم ١ ؛ الحماسة ١ : ٢٥ – ٢٧ ، ٣١ – ٣٢ ، ١٩٤ – ١٩٦ ؛ الوحشيات رقم ٢٠٨ ، بروكلمان ١ : ١٥ – ١٦ ، ملحق ١ : ٥٢ .

---

١ الربيئة : الرقيب . سل (السيف) : إخراجه من غمده . أخلق : أملس . صائك (من صنك) : شديد .

٢ إذا ضرب به بطلا مات (سر الموت من شدة الضرب والبراعة فيها) .

٣ يستأنس بالوحدة ، ولا يضل أبداً . أم النجوم : الشمس ، المجرة . الشوابك : النجوم .

٤ العذر جمع عذار : (هنا) اللجام ، أو ما كان على صفحتي وجه الدابة من اللجام . ذا عذر : (هنا) : الفرس . الريد : الجبل . ذا جناح خفاق : طائر سريع الطيران .

٥ الخلة (بضم الخاء) : المحبوبة . صرمت : قطعت ، هجرت .

٦ العول (بكسر العين وفتح الواو) : الاعتماد .

٧ رجع : ردد . هدا : بصوت غليظ ، شديد .

٨ حمال ألوية : قائد في الغزوات . شهاد أندية : له رأي مسموع في اجتماعات القبيلة . قوال محكمة : يقول الصدق والصواب .

٩ زعيم : ضامن . – ان لم تتركوا لومي (فسأهجركم هارباً منكم ، وحينئذ تحتاجون إلي) فتسألون عني أهل البلاد البعيدة .

١٠ ولو سألتم أعرف الناس (باقتصاص الأثر) لما وجدتم أحداً لقيني أو عرف مكاني .

١١ الخلال : الحاجة . – انفق على حاجاتك مما تستطيع جمعه من المال ، (واصبر) حتى تلاقي الموت .

المهلهـــل

١ – المُهَلْهِل هو أبو ليلى عَدِيّ بن رَبيعة من بني جُشَمِ بن بكر من بني تَغْلِبَ ، من أقدم الشعراء الذين وصلت الينا أخبارهم وأشعارهم ، فهو خال امرئ القيس وجَدّ عمرِو بن كُلثوم لأمّه .

وُلد المهلهل في بيت وجاهة ، وقد نشأ على اللهو والتعرّض للنساء حتى سمّي الزير (أي زير نساء ، وهو الذي يُكثِر الزيارةَ لهنّ) . ثم رَأسَ قومه وقادهم في حرب البَسوس على إثْر مقتل أخيه وائل .

وتوفيّ المهلهل عام ٩٢ ق. ﻫ. (٥٣٠ م) ، قيل أسيراً ، وقيل معتزلاً في البادية ، بعد أن تقدّمت به السن وخُولط في عقله .

٢ – المهلهل شاعر قديم مجيد محسن ، قيل هو أول من هلهل الشعر (أرقّه) – ولذلك قيل له «المهلهل» – وأول من قصّد (أطال) القصائد . والمقصود ، بلا ريب ، أنه كان من أوائل الذين فعلوا ذلك . وأغراض المهلهل هي الرثاء الوجداني لأخيه كليب ، في الدرجة الأولى ، ثم الحماسة . وله شيء من الغزل . وهو أحد أصحاب **المنتقيات السبع** في «جمهرة أشعار العرب» .

حرب البَسوس (بين بكر وتغلب) ١٣٠ – ٩٠ ق.ﻫ. (٤٩٥ – ٥٣٥م)

كان للمهلهل [١] أخ اسمه وائل سيد في قومه . وقد بلغ وائل من السلطة والقوة حداً خرج بـه إلى الاستبداد والظلم حتى كان يحمي مواقع المطر : إذا نزل المطر بأرض فسال عيناً أو نبت عشباً جاء وائل فألقى كليباً (جرو كلب) حيث نزل المطر ، فلا يستطيع أحد أن يستقي من مكان يسمع فيه عُواء ذلك الكليب أو يرعى غنمه فيه إلاّ باذن من وائل . من أجل ذلك عرف وائل بلقب **كليب وائل** أو باسم **كليب** اختصاراً .

وكان لكليب زوجة لها أخوة أحدهم جَسّاس بن مُرة الشيباني كانت ترعى إبِلُه وإبل كليب معاً . فاتفق ان نزل يوماً بجساس هذا قوم من أقاربه ومعهم ناقة اسمها البَسوس – وقيل بل البسوس اسم خالة جَسّاس – فَرَعَتْ مع إبل جَسّاس وإبل كليب في مكان واحد . ورأى كليب الناقة فعرف انها غريبة ولم يدر لِمَنْ هي ، فأطلق عليها سهماً فقتلها . فغضب أصحاب الناقة وعرّضوا

١ راجع تاريخ الجاهلية ، ص ٩٨ ، ١٠٠ وما بعدها.

بجسّاس واتهموه بأنه « لا يحمي جيرانه وضيوفه » . فثار جسّاس إلى كليب فقتله. فنشبت من جرّاء ذلك حرب عُرفت باسم حرب البَسوس دامت العداوة فيها (لا المعارك) نحو اربعين سنة . وكان آخرَ من قُتل فيها جساس نفسه ، نحو عام ٥٣٤ م .

٣ — المختار من شعره :

— اختار أبو تمّام في ديوان الحماسة من رثاء المهلهل لأخيه كليب :

نُبّئت أن النار بعدك أوقدت واستبّ بعدك ، يا كليبُ ، المجلسُ ،
وتكلموا في أمر كلّ عظيمة ، لو كنتَ شاهدَهم بها لم ينبسوا [١] .
وإذا تشاء رأيتَ وجهاً واضحاً وذراع باكية عليها بُرْنُسُ [٢] ،
تبكي عليك ، ولستُ لائم حُرّةٍ تأسى عليكَ بعبرةٍ وتَنَفّسُ [٣] .

— ومن مراثي مهلهل المشهورة في أخيه كليب :

أهاجَ قذاءَ عيني الإدّكارُ هدوءاً [٤] فالدموع لها انحدار .
وصار الليلُ مشتَمِلاً علينا كأنّ الليلَ ليسَ لهُ نهار .
وبتّ أراقبُ الجوزاءَ حتّى تقاربَ من أوائلها انحدار [٥] .
أقلّبُ مُقلتي في إثرِ قومٍ تباينت البلادُ بهم فغاروا .
دعوتك ، يا كليبُ ، فلم تجبني . وكيفَ يُجيبُني البلد القِفَار ؟
أجبْني ، يا كليب ، خلاكَ ذمّ (٦) ! لقد فُجِعتْ بفارسها نِزار .
وانكَ كنت تحلُمُ عن رجال وتعفو عنهمُ ولكَ اقتدارُ .
فلا تَبْعَدْ فكلّ سوف يَلْقَى شَعوباً يستدير بها المدار [٧] .
يعيشُ المرء عند بني أبيه ويوشك أن يصير بحيث صاروا .
كأني إذ نعى الناعي كليباً تطاير بين جَنبيّ الشّرار .

---

١ بحثوا في الأمور . ولو كنت أنت موجوداً لسكتوا هم وكان الرأي لك وحدك .
٢ واضح : ابيض . برنس : ثوب .
٣ تنفس : تتنفس ، تكثر التنفس تفريجاً لحزنها .
٤ الادكار : التذكر . هدوءاً : عند هدأة الليل ، أول الليل .
٥ اقترب غيابها .
٦ تنزهت عن كل شيء فيه ذم أو عيب ، خلوت من كل عيب .
٧ لا تبعد : تعبير يقال للميت ، لا تذهب عنا . شعوب : الموت .

فدُرْتُ ، وقد عَشِي بصري عليه   كما دارت بشاربها العُقارُ[١] .

٤ ــ المهلهل سيد ربيعة ، تأليف محمد فريد أبي حديد ، القاهرة ١٩٤٩ .
ــ المهلهل الزير سالم (قصة) كتبها حسن جوهر ، القاهرة (سلسلة اقرأ) ١٩٥٧ .

•• غ ٤ : ١٤٢ ــ ١٥١ (٥ : ٣٤ وما بعدها : حرب بكر وتغلب) ؛ الأصمعيّات رقم ٥٣ ، ٥٤ ؛ الحماسة ١ : ٣٩١ ــ ٣٩٢ .

عامر بن الظرب العدوانيّ

١ ــ هو عامر بن الظَرِب بن عمرو بن عبّاد بن يَشْكُر بن عَدْوانَ ، كان من الرؤساء والحكّام في قومه إياد ، يحكم في خلافاتهم . وكان معاصراً للحارث الغسّانيّ (٥٢٥ ــ ٥٦٩ م) ، وجَدّاً لعامر بن صعصعة لأمّه . ولمّا أسنّ عامر بن الظرب واعتراه النسيان أمر ابنته أن تقرع له العصا إذا هو فَهَّ (نَسِي وَعيّ أو عَجَز ، أخطأ) في الحكم أو جار عن القصد ، ولذلك كان يقال له ذو الحلم . وفي ذلك قال الحارث بن وَعلة[٢] :

وزعمتمُ أنْ لا حلومَ لنا ؛   ان العصا قُرعت لذي الحِلم !

ويبدو أن عامر بن الظرب تُوفّي نحو عام ٨٧ ق. ه. (٥٣٥ م) .

٢ ــ عامر بن الظرب من الشعراء ، ولكنه شُهر بالخطابة وكان من الخطباء البلغاء والحكماء البارعين .

٣ ــ المختار من آثاره :

ــ يا معشر عَدوانَ ، إن الخير ألوف عَزوف ، ولن يفارق صاحبه حتّى

---

١ عشي بصري : ضعف . العقار : الخمر .

٢ الحارث بن وعلة الجرمي (بكسر الجيم) ــ وهو غير الحارث بن وعلة الشيباني ــ هو الحارث بن وعلة ابن عبد الله بن الحارث من قضاعة بن مالك من حمير بن سبأ . كان الحارث هذا (غ ١٩ : ١٣٩ ــ ١٤١) من أنجاد قضاعة وأعلامها وشعرائها شهد يوم الكلاب (بضم الكاف) الثاني ، بعد ظهر الاسلام (راجع تاريخ الجاهلية للمؤلف ، ص ١٤٧ ــ ١٤٨) .

يفارقه (صاحبه) . واني لم أكن حكيماً حتّى اتّبعتُ الحكماء ، ولم أكن سيّدَكم حتى تَعبّدّت لكم .

– وخطب صعصعة بن معاوية إلى عامر بن الظرب ابنتَه عَمرة ، فقال له عامر :

يا صَعْصعة ، انك قد أتيتني تشتري منّي كَبِدي وأرحم ولد عندي . غير أني إن أطْلَبْتُك [1] أو رددتُك ، فالحسيب كُفْء الحسيب ، والزوج الصالح أبٌ بعد أب . قد أنكحتك مَخافةَ ألاّ أجدَ مثلك أفِرّ (به) من السِّرّ إلى العَلانية [2] : أنْصَحُ ابْناً ، وأودِعُ ضعيفاً قويّاً [3] . يا معشَر عَدْوانَ ، أخرجتُ من بين أظْهُرِكم كريمتَكم من غير رَغْبة ولا رَهْبة . أُقْسِمُ لولا قَسْمُ الحظوظ على قدر المَجْدود [4] لَما ترك الأول للآخر شيئاً يعيش به .

– لمّا حضرت الوفاةُ عامر بن الظرب قال لقومه ولمن كانوا حوله :

ان من جمع بين الحق والباطل لم يجتمعا له وكان الباطل أولى به . وان الحق لم يزل يَنْفُرُ من الباطل ، ولم يزل الباطل ينفر من الحق .

يا معشرَ عَدْوانٍ ، لا تشمتوا بالذلة (في غيركم) ، ولا تفرحوا بالعزة (في أنفسكم) . ان مع السفاهة الندامةَ ، والعقوبةُ نُكال وفيها ذَمامة [5] ، ولليد العليا العاقبة . والقَوَدُ [6] راحة لا عليك ولا لك . ومن طلب شيئاً وجده ، وإن لم يجده يوشك أن يقع قريباً منه .

– ومن حكمه :

الرأي نائمٌ والهوى يقظانُ ، فمن هنا يَغْلِبُ الهوى الرأيَ – اشكُرْ لِمَنْ أنعم عليك ، وأنْعِمْ على من شكر لك .

---

١ أطلبتك : أجبت طلبك .
٢ أفر من السر إلى العلانية : أريد أن تتزوجا علانية خوفاً من أن تتحابا سراً .
٣ استودعتك ابنتي (وهي ضعيفة ، وأنت قوي) .
٤ المجدود : ذو الحظ العظيم .
٥ ذمامة : عهد وكفالة .
٦ القود قتل القاتل قصاصاً له على جريمة القتل .

عمرو بن قميئة

١ – هو عمرو بن قَميئة بن ذَريح بن سعد بن مالك أحد بني ضُبيعة بن قيس بن ثعلبة من بني بكر بن وائل ، ثم هو ابن أخي المُرَقِّش الاكبر ، وعم المرقش الاصغر ، وعم والد طَرَفة بن العبد .

يَتِمَ عمرو من أبيه صغيراً فكفله عمّه مَرْثَد بن سعد . وكان عمرو جميلاً مديد القامة وافر الشعر فأحبته امرأة عمه . فلما أبى عليها ما تريد أرادت أن تنتقم منه فزعمت لزوجها أن عمراً ابتغاها . وخاف عمرو سطوة عمه فهرب إلى الحيرة ، ولجأ إلى المنذر بن ماء السماء (٥١٤ – ٥٥٤ م) ، ثم جعل ينظم الشعر في مدح عمه والتبرّي مما نسبته امرأة عمه اليه . ورضِي عمه عنه فعاد هو إلى قومه .

وكان عمرو بن قميئة في خدمة حُجر بن الحارث (والد امرئ القيس) ، فلمّا أزاد امرؤ القيس أن يذهب إلى بلاد الروم اصطحبه . ولمّا قال امرؤ القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدَرْبَ [1] دونه ، وأيقن أنّا لاحقان بقيصرا ،

كان يَعْني عمرو بن قميئة . ولعلّ لبكاء عمرو ما يُبرّره : كان عمرو يومذاك في نحو التسعين من عمره ، ولم يكن له مأرب شخصي من هذه الرحلة البعيدة في بلاد الروم . وتوفّي عمرو بن قميئة في أثناء هذه الرحلة ، نحو عام ٨٤ ق. ه. (٥٣٨ م) ، فسماه العرب عمراً الضائع [2] .

٢ – عمرو بن قميئة شاعر فَحْل ، ولكنه مُقِلّ ، وقد عده ابن سلاّم في الطبقة الثامنة من الشعراء الجاهليين . ويكثر في شعره مدح عمه مرثد والاعتذار اليه . وله أيضاً شيء من الفخر وشيء من الحكمة والغزل .

٣ – المختار من شعره :

– قال عمرو بن قميئة يذكر فعل الدهر في قواه :

---

١ الدرب : ممر بيلان (بين سورية وآسية الصغرى) .

٢ في الاعلام للزركلي (٥ : ٢٥٥) : ولد عمرو بن قميئة عام ١٨٠ ق. ه. (٤٤٨ م) وتوفي ٨٥ ق. ه. (٥٤٠ م) .

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى ، فكيف بمن يُرمى وليس بِرامِ [١] ؟
وأهلكني تأميل ما لست مُدركاً ، وتأميلُ عام بعد ذاك وعام [٢] .
إذا ما رآني الناس قالوا : ألم تكن جليداً حديثَ السن غير كَهام [٣] ؟
فلو أنني أرمي بنَبْل رميتها ، ولكنّني أرمي بغير سِهام .
على الراحتين مرة وعلى العصا أنوء ثلاثاً بعدَهُن قيامي .
كأنّيَ وقد جاوزت تسعين حِجّة خلعت بها عنّي عِذار لِجامي [٤] .

— ومن جيد شعره في جارته (زوجته) وفراقها له :

أرى جارتي خَفّت ، وخفّ نصيحها ؛ وحُبّ بها ! لولا الهوى وطموحُها [٥] .
فبِيني على نَجْم سَنيحٍ نحوسُه ، وأشأمُ طير الزاجرين سَنيحها [٦] .
فإن تَشْغَبي ، فالشَغْب منك سَجِيّة ، إذا شيمتي لم يُؤْتَ منها سجيحها [٧] .
أقارض أقواماً فأُوفي بقَرْضهم ، وعَفٌّ إذا أردى النفوسَ شحيحها [٨] .

— وقال في أثناء سفره مع امرئ القيس ، لما وصل إلى ساتيدما (شمال سورية ، في آسية الصغرى) يذكر بنته (بنت عمرو) ويقصد نفسه :

قد سألتني بنت عمرو عن الـ أرض التي تُنكِر أعلامَها [٩] .
لمّا رأتْ ساتيدما استعبرتْ ، لله درّ — اليوم — مَنْ لامها [١٠] .
تذكّرتْ أرضاً بها أهلُها : أخوالَها فيها وأعمامَها .

---

١ بنات الدهر : أحداثه ، خطوبه ومصائبه . ليس برام : ليس من شأنه أن يرمي ، عاجز عن الرماية .
٢ تأميل ما ليست مدركاً : الخلود (؟)
٣ الجليد : الصبور على الاحداث . كهام : (السيف) كليل ، لا يقطع ؛ عاجز .
٤ مرت الأعوام التسعين بسرعة (بمقدار ما يخلع الانسان اللجام من رأس دابته) .
٥ خفت (ارتحلت مسرعة) وارتحل أيضاً الذي نصح لها بالرحيل (؟). وما كان أحبها عندي، لولا ميلها مع الهوى ولولا بعد ما ترمي اليه .
٦ بيني : فارقي ، ارتحلي . على نجم سنيح نحوسه : نحسه مبارك عندي (مع أن فراق الزوجين أمر مكروه في العادة ، فان الشاعر يرى فيه خيراً له وبركة عليه) . الزاجر : الذي ينظر إلى طيران الطيور ليعلم أسنيح (مبارك) طيرانها على ما ينوي فعله أم بارح (نحس) . — يقول : إذا سنح الطير ودل على رجوعك إلي ، فان ذلك سيكون نحساً علي .
٧ من عادتك المشاغبة ؛ ومن أخلاقي السجيحة (اللينة ، الكريمة) أنه لم يؤت أحد منها (لم أوذه) .
٨ أنا عفيف بينما شح الكثيرين (طمعهم وحرصهم) يردي (يهلك) نفوسهم .
٩ الاعلام جمع علم (بفتح ففتح) : الجبل . تنكر أعلامها : استغربت مناظر البلاد .
١٠ استعبر : بكى . لله در من لامها اليوم (على هذه الرحلة) : لقد نصحني فلم اسمع منه .

– واختار له أبو تمام في «ديوان الحماسة» أربعة أبيات هي :

يا لَهْفَ نفسي على الشباب ! ولم أفْقُد به – إذ فَقَدتُه – أمَما [1]
إذ أسحب الرَّيْط والمُروط إلى أدنى تِجاري وأنفُض اللمما [2] .
لا تَغْبِطِ المرءَ أن يقال له أمسى فلانٌ لسِنّه حَكَما [3] .
ان سرّه طولُ عُمْرِه ، فلقد أضحى على الوجه طولُ ما سلما [4]

٤ – ديوان عمرو بن قميئة (نشره تشارلس ليال) ، كمبردج ١٩١٩ .
– ديوان عمرو بن قميئة ، بيروت .
** الاغاني ١٦ : ١٦٣ – ١٦٤ ، بروكلمان ، ملحق ١ : ٥٨ .

امرؤ القيس بن حُجر الكِنديّ

١ – كان جُنْدُج المعروف بلقبه : امرئ القيس أصغرَ أبناء حُجْر بن الحارث الملك على بني أسد ، فنشأ في نجد أميراً ثم ألِفَ التنقل مع نفر من أصحابه وأترابه في أحياء العرب للهو والصيد . ويذكرون أن أباه طرده لأنه كان يقول الشعر ولأنه كان ميالاً إلى القَصْف والفسق .

ولما قتل بنو أسد حجرَ بن الحارث فر امرؤ القيس في من فرّ من المعركة . أراد امرؤ القيس الأخذ بثأر أبيه فطاف في أحياء العرب يطلب المساعدة فلم يُعِنْهُ أحدٌ . فالتجأ إلى أخويه شُرَحبيل وسَلَمة فأعطياه قوماً يدرك بهم بعض ثأره ، فلم يتمّ له شيء . فقيل: سار إلى اليمن (موطن أهله) فلم يوفّق أيضاً .

وفي عام ٨٤ ق .هـ. (٥٣٨ م) سار امرؤ القيس إلى القسطنطينية ، قيل بكتاب توصية من الحارث أبي شَمِرٍ الغسّاني إلى القيصر يوستنيانوس الاول . وقيل

---

١ أمم : قريب ؛ قليل ؛ يسير .
٢ الريطة : ثوب من قطعة واحدة . المرط (بكسر الميم) : ثوب من حرير . تجار جمع تاجر : (هنا) بائع الخمر .
اللمم جمع لمة (بكسر اللام) : الشعر المجاور لشحمة الاذن . أسحب الريط ... وأنفض اللمم (أحرك رأسي حركة ترد شعري إلى مكانه) كناية عن الزهو والاعتزاز .
٣ أمسى لتقدمه في السن سيداً حاكماً أو حكماً (يؤخذ رأيه في الأمور) .
٤ أضحى على وجهه علامات تدل على تقدمه في السن (وشيخوخته وعجزه) .

أراد يوستنيانوس أن يساعد امرأ القيس بجيش يوطّد به نفوذ الروم على تخوم بلاد العرب في وجه الفرس . ولكن البرابرة كانوا في ذلك الحين يهدّدون تخوم الامبراطورية الرومية (البيزنطية) نفسها ، فلم يستطع قيصر مساعدة امرئ القيس . فعاد امرؤ القيس خائباً في شتاء عام ٨٢ ق. هـ. (٥٤٠ م) ، فلما وصل إلى مَقْرُبَة من مدينة أنقرة أصيب بالجُدَري ومات .

يوم دارة جلجل

سمع امرؤ القيس أن ابنة عمه فاطمة (عُنيزة) قد ذهبت مع صواحبَ لها إلى غدير في دارة جُلْجُل لِيَبْتَرِدْنَ (يغتسلن بالماء البارد) . فلَحِقَ بهن فأدركهن في الماء . فجمع ثيابهن ثم قال لهن : لن أعْطِيَ احداكن ثيابها إلاّ إذا خرجت هي (عارية) وأخذتها مني .

وأمسى العذارى وخِفْنَ البرد والتأخر عن أهلهن فبدأن يخرجن واحدةً واحدةً ويأخذن ثيابهن . وبَقِيَتْ عنيزة مترددة ، ثم أدركت أنّ امرأ القيس لن يَرْجِع عن عزمه فخرجت اليه وأخذت ثيابها منه .

عندئذ قام امرؤ القيس إلى ناقته وذبحها للعذارى فأكلن . ولما حان وقت الرجوع ولم يكن مع امرئ القيس ناقة يركبها اختار ان يركب مع عنيزة في هودجها .

٢ — امرؤ القيس أقدم الشعراء الذين وصلت الينا أخبارهم تامّة . وهو شاعر وجداني قدّمه النقاد على معاصريه من شعراء الجاهلية وعلى جميع الشعراء الذين جاءوا بعده . وهم يحتجون لذلك بأنه أول من وقف على الاطلال وأول من شبّه النساء بالغزلان والخيل بالعقبان ، وأول من وصف الليل والخيل والصيد . ثم هو واسع الخيال لتقلّبه في النعيم ولكثرة أسفاره في البادية والحضر .

وفنون امرئ القيس هي الغزل والنسيب والوصف وصف الطبيعة . أما نسيبه خاصة فرائق رقيق عذب . وامرؤ القيس يحسن تحديث المرأة ويصرّح في الغزل . ولامرئ القيس شيء من الرثاء والهجاء والمديح للشكر لا للتكسّب . وله رجز وقصيد .

٣ — المختار من شعره :

— نظم امرؤ القيس معلقته ليذكر حبه لابنة عمه وليذكر يوم دارة جلجل ، ومطلعها :

قِفَا نَبْكِ من ذِكْرَى حبيبٍ ومنزِلِ بسِقْطِ اللِوى بين الدَّخول فحوْمَلِ.

ثم يذكر امرؤ القيس يوم دارة جلجل . بعدئذ يخلص إلى وصف الليل ثم إلى وصف الحصان ووصف الصيد . وأخيراً يذكر البرق والمطر والسيل :

ألا رُبَّ يومٍ لكَ منهن صالحٌ ، ولا سيما يومٌ بِدارةِ جُلْجُلِ.
ويومَ دخلت الخِدرَ خدرَ عنيزةٍ ، فقالت : لك الويلات انك مُرْجلي [1] .
تقول ، وقد مالَ الغبيط [2] بنا معاً : عقَرْتَ بعيري ، يا امرأ القيس، فانزلِ !
فقلت لها : سيري وأرخي زمامه ، ولا تُبْعِديني من جنَاكِ المعلّل [3] .
أفاطمَ ، مهلاً ، بعضَ هذا التدلّل ؛ وان كنتِ قد ازمعت صَرمي فأجملي [4] .
أغرّكِ مني أنّ حبّكِ قاتلي ، وانكِ مهما تأمري القلب يفعلِ ؟
وليلٍ كموج البحر مُرخٍ سُدولَه علَيّ بأنواع الهموم ليبتلي [5] ،
فقلت لهُ ، لمّا تمطّى بِصُلْبِه وأردف أعجازاً وناءَ بكلكلِ [6] :
ألا أيها الليلُ الطويلُ ، ألا انجلي بصبح ؛ وما الإصباح منك بأمثل [7] !
فيا لك من ليلٍ كأن نجومه بكل مُغار الفتل شُدّت بِيَذْبُل [8] .
كأنّ الثُريّا عُلّقَت في مَصامها بأمراس كتّان إلى صُمِّ جَنْدَلِ [9] .
وقد اغتدي ، والطير في وُكُناتِها ، بمُنجردٍ قيْدِ الاوابد هيكلِ [10] ؛

---

[1] الخدر : الهودج. مرجلي: أي ستضطرني إلى أن أنزل وأمشي على رجلي؛ أو أنك ستكون فاضحي بين الرجال.
[2] الهودج .
[3] الزمام : اللجام . جناك المعلل : قبلاتك التي تأتي واحدة بعد واحدة يشتفى بها .
[4] يكفيك بعض هـذا الدلال علي ، وان كنت تحبين فراقي ، ففارقيني بالمعروف « اي اتركيني » .
[5] كموج البحر : مضطرب . سدول : ستائر . ابتلاء : اختبره وجربه .
[6] تمطى بصلبه : مد ظهره . الاعجاز : جمع عجز « بفتح العين وضم الجيم » : مؤخر الجسم . الكلكل : الصدر . – يشبه نزول الليل ببروك البعير : يسقط أولا على يديه ثم يثبت عجزه على الأرض وبعدئذ يكمل بروكه بوضع صدره على الأرض – يقصد ان الليل يأتي ببطء .
[7] انجلى الليل : ذهب . امثل : احسن .
[8] مغار الفتل : محكم الفتل . يذبل اسم جبل – كأن النجوم مربوطة بحبال فهي لا تتحرك من أماكنها ، إشارة إلى طول الليل .
[9] في مصامها : في موضعها . صم جندل : حجارة صلبة .
[10] اغتدى : خرج في الصباح . الوكنة : وكر الطائر . منجرد : « حصان » قليل الشعر . قيد الاوابد : يلحق الوحوش كأنها مقيدة به . هيكل : عظيم الجسم .

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبلٍ مُدبرٍ معاً ، كجُلمود صخرٍ حطّه السيل من علِ[1] .
يُزِلُّ الغلامَ الخِفَّ عن صهواته ويُلوي بأثواب العنيف المُثقّلِ[2] .
له أيطَلا ظبيٍ وساقا نَعامة وإرخاء سِرحان وتقريب تَتْفُلِ[3] .
فعنَّ لنا سِربٌ كأن نِعاجَه عَذارى دَوارٍ في مُلاء مُذيّلِ[4] .
فعادى عِداءً بين ثور ونعجة دِراكاً ، ولم يُنْضَح بماء فيُغْسَلِ[5] .
فظلّ طُهاة اللحم : من بين مُنْضِجٍ صفيفَ شِواء ، أو قديرٍ مُعَجّلِ[6] .
ورُحْنا يكاد الطَرْف يقْصُر دونه ، متى ما تَرَقَّ العين فيه تَسَهّلِ[7] .
فبات عليه سرجُه ولجامه ، وبات بعيني قائماً غير مُرسَلِ[8] .
أصاحِ ، ترى برقاً أريك وميضَه كلمع اليدين في حَبِيٍّ مكلّلِ[9] ؟
يُضيءُ سَناه أو مصابيحِ راهب أمال السليط بالذُبال المُفَتّلِ[10] ،
فأضحى يَسُحّ الماءَ حول كُتَيفة يَكُبّ على الأذقان دَوْحَ الكَنَهْبُلِ[11] .

---

١ مكر مفر (بالجر) : كثير الهجوم والرجوع . مقبل مدبر : حسن الركض ذاهباً وآيباً ، وهو لسرعته كالصخرة الصلبة التي يلقيها السيل من مكان مرتفع .

٢ سرعة هذا الحصان تجعل الغلام الخفيف يزلق عن ظهره فيقع ، أما الرجل القوي الثقيل فيثبت على ظهره ولكن أطراف أثوابه ترتفع في الهواء .

٣ ايطل : خصر . ارخاء : الجري السهل . سرحان : ذئب . تقريب : جري برفع اليدين معاً « قفزاً » . تتفل : ولد الثعلب – يصف فرسه بأحسن ما في هذه الحيوانات .

٤ عن : ظهر . سرب : قطيع . دوار : قيل صنم يدار حوله . ملاءة : ثوب . مذيل : له ذيل (بلون آخر) – يشبه بقر الوحش وهي بيض الظهور سود القوائم بآنسات يلبسن أثواباً بيض الاعالي سود الذيول .

٥ عادي . والى في الركض بينهما (والمراد بين كثير منها) الثور : ذكر بقر الوحش . النعجة : الشاة . دراكاً : تباعاً . لم ينضح بماء فيغسل : لم يعرق كثيراً .

٦ صفيف شواء : الذي يشوي اللحم . قدير : الذي يطبخ اللحم في القدر .

٧ ومع ذلك فقد ظل هذا الفرس مرتاحاً نشيطاً رافعاً رأسه حتى ان العين تتعب من التطلع إلى رأسه ، فاذا رفعت بصرك اليه اضطرت إلى أن تخفضه وشيكاً .

٨ بعيني : قريباً مني – وظل الفرس مسرجاً ملجماً واقفاً قرب خيمتي غير مرسل إلى المرعى (استعداداً لركوبه إذا فاجأتنا غارة) .

٩ وميض : لمعان . حبي مكلل : غيم متراكم . – اذا توالى البرق بلمعتين لمعتين شبه بلمع اليدين .

١٠ السليط : الزيت . الذبال : الفتيلة – لمعانه ضعيف (لبعده) ، يشبه البرق بقنديل الراهب الذي أوشك زيته أن ينضب فأماله الراهب حتى يتجمع الزيت في طرفه فتأخذ منه الفتيلة .

١١ كتيفة : اسم مكان في الجبل . يكب : يرمي . الاذقان : الوجوه . الدوح : الشجر العظيم . الكنهبل : نوع من عظام الشجر – ان شدة هذا المطر كانت تلقي الاشجار الكبار أرضاً .

وتَيماءَ لم يترك بها جِذع نخـلة ولا أُطُمـاً إلاّ مَشيداً بجندَل [1] .
كأن ثَبيراً في عرانـين وَبلِه كبيرُ أناس في بِجاد مُزَمّل [2] .
وألقى بصحراء الغبيطِ بَعَاعَــهُ نزولَ اليماني ذي العِياب المُحَمّل [3]
كأن السباع ، فيـه غَرقى عشيةً بأرجائه القُصوى ، أنابيش عُنْصُل [4]

— وقال امرؤ القيس وهو متوجّه إلى القسطنطينية ، ومعه رفيق لعله عمرو ابن قميئة :

أرى أمّ عمرٍو دمعُها قد تَحَدّرا بكاءً على عمرو ، وما كان أصبرا [5] !
إذا نحن سِرنا خمسَ عَشْرَةَ ليلـةً وراء الحَساء من مَدافع قَيْصرا [6] .
إذا قلتُ : هذا صاحب قد رَضيتُـه ، وقَرّتْ به العينانِ ، بُدِّلْتُ آخَرا .
كذلك جَدّي : ما أصاحبُ صاحبـاً من الناس إلاّ خـانني وتغيّرا .
وكنا أناساً قبـل غزوةِ قَرْمَـلٍ ورثنا الغنى والمجدَ أكبرَ أكبرا .
فدعْ ذا ، وسلّ الهمّ عنك بجَسْـرة ذَمولٍ إذا صام النهار وهجّرا [7] .
عليها فتىً لم تَحْمِلِ الأرضُ مثله أبرّ بميثـاقٍ وأوفـى وأصـبرا .
ولو شاء كان الغَزْوُ من أرضِ حِمْيَرٍ ولكنّه عَمْداً إلى الرومِ أنفرا .

---

[1] تيماء : قرية (مدينة) من أمهات القرى . اطم : حصن . مشيد بجندل : مبني بالحجارة الصلبة الضخمة—ان السيل جرف الاشجار والبيوت إلا ما كان منها حصوناً مبنية بالصخور .

[2] ثبير : اسم جبل . عرانين وبله : طغيان مطره . البجاد : ثوب مخطط أبيض فأسود . مزمل : ملتف ، وهي مجرورة على المجاورة « لأن الكلمة التي قبلها مباشرة مجرورة » وحقها الرفع لأنها نعت لكبير — يشبه الجبل بعد أن سال عليه المطر في أماكن مختلفة برجل يلبس بجاداً ، فالمكان الذي يسيل فيه الماء أبيض والذي لا يسيل فيه الماء اسود ، وذلك لأن البجاد من لباس كبار القوم .

[3] بعاعه : ثقله ، أي كل ما كان فيه (في السحاب من الماء) . العياب جمع عيبة : وعاء للامتعة — بعد سقوط المطر اعشبت الصحراء وأزهر عشبها فشبه الشاعر مـا انتشر فيها من العشب والزهر بالاثواب الكثيرة الألوان التي ينشرها (التاجر) اليماني (الآتي من اليمن) على الأرض ليعرضها على المشترين .

[4] أنابيش : أصول النبات المقتلعة بجذورهـا من الأرض . عنصل : بصل بري — ان الوحوش التي غرقت في السيل فماتت ظهرت بعد أن جف السيل كأنهـا أصول نبات أو اشجار مقتلعة من أماكنها وملقـاة هنا وهناك .

[5] بكت أم عمرو لما فارقها ابنها هذه المرة ؛ مع أنها كانت تصبر على فراقه كثيراً قبل ذلك . ويبدو أن الاشارة هنا إلى عمرو بن قميئة .

[6] يقصد أنه سار خمس عشرة ليلة حتى بلغ إلى الأرض التي يسيطر عليها قيصر . الحساء : مياه في شرق بـلاد العرب . مدافع : مساقط المياه من الجبال ، تلاع ، شلالات .

[7] الجسرة : النـاقة العظيمة . ذمول : سريعة . صام النهار وهجرا : إذا ارتفعت الشمس ثم صـار وقت الزوال (نصف النهار) ، فالعـادة أن الناقة لا تقوى على السفر في مثل ذلك الوقت .

تذكّرتُ أهلي الصالحين وقد أتت ، على خَمَلى ، خُوصُ الركاب وأوْجَرا [1] .
فلمّا بَدَتْ حَورانُ ، والآلُ دونَها ، نَظَرْتَ فلم تَنْظُرْ بعينيك منظرا [2] .
تَقَطّعَ أسبابُ اللُّبانَة والهوى عَشِيّةَ جاوزْنا حَماةَ وشَيْزَرا [3] .
بكى صاحبي لمّا رأى الدّرْبَ دونَه وأيْقَنَ أنّا لاحقان بقَيْصرا [4] ؛
فقلتُ له : لا تَبْكِ عينُك ، إنّما نُحاولُ مُلْكاً أو نموتَ فنُعْذرا !

– قال ابن رشيق (العمدة ١ : ٦٤) : وكانت العرب لا تتكسّب بالشعر ، وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أو مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقها إلا بالشكر إعظاماً لها ، كما قال امرؤ القيس يمدح بني تيم رهط المُعلّى :

أقرّ حشا امرئ القيس بن حجر بنو تيم مصابيح الظلام ،

لأن المعلّى أحسن اليه وأجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء .... وقال امرؤالقيس أيضاً لسعد بن الضباب :

سأجزيك الذي دافعتَ عنّي ، وما يَجزيك عنّي غيرُ شكري .

٤– شرح ديوان امرئ القيس للبطليوسي ، مصر ١٢٨٢ هـ = ١٨٦٥ م .
– شرح ديوان رئيس الشعراء أبي الحارث المشهور بامرئ القيس الكندي ، مصر (الخيرية) ١٣٠٧ هـ .
– شرح ديوان امرئ القيس ومعه أخبار المراقسة وأشعارهم ... (السندوبي) . القاهرة (المطبعة الرحمانية) ١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م .
– ديوان امرئ القيس (محمد أبي الفضل إبراهيم) القاهرة (المعارف) ١٩٥٨ .
– ديوان امرئ القيس بن حجر الكندي ، بيروت (صادر) ١٩٥٨ .
– أحسن السبك في شرح قفا نبك ، تأليف محمد يارجنك بهادر ، حيدر آباد ١٣٦٠ هـ .
** زعامة الشعر الجاهلي بين امرئ القيس وعديّ بن زيد ، تأليف عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة ١٩٣٤ .

١ خوص الركاب : المطايا (النوق ، الخيل) التي تسير في أشد ساعات النهار حرا (يبدو أن امرأ القيس كان جاداً في الوصول إلى القسطنطينية في وقت قصير) . – لما وصلنا إلى خملى وأوجر ...
٢ الآل : السراب . الآل دونها : أصبحت عنا بعيدة . حوران : جبل وسهل في الشام .
٣ حماة وشيزر : بلدتان بين حمص وحلب من شمالي الشام .
٤ الدرب : مضيق بيلان (ممر في جبال الامانوس) بين الشام وبلاد الروم (آسية الصغرى) .

– امرؤ القيس ، تأليف رئيف خوري ، بيروت ١٩٣٤ .
– امرؤ القيس ، تأليف سليم الجندي ، دمشق ١٩٣٦ .
– الملك الضِلّيل ، تأليف محمد فريد أبي حديد ، القاهرة (المعارف) ١٩٤٤ .
– الشوامخ ، تأليف محمد صبري ، الجزء الأول (امرؤ القيس) القاهرة ١٩٤٤ .
– امرؤ القيس بن حجر ، تأليف محمد حسن علاء الدين ، القدس ١٩٤٦ .
– امرؤ القيس ، تأليف محمد العروسي المطوي ، تونس ١٩٥٥ .
– أمير الشعر في العصر القديم : امرؤ القيس ، تأليف محمد صالح سمك ، القاهرة ١٩٢٩ .
– امرؤ القيس كبير شعراء الجاهلية ، تأليف رضوان الشهّال ، بيروت ١٩٦٢ .
– القيصر وامرؤ القيس لنجيب الارمنازي (م م ع ع ، المجلد ١٧ ، ١٩٤٢) .
– بروكلمان ١ : ١٥ ، الملحق ١ : ٤٨ – ٥٠ .

ابو دؤاد الايادى

١ – هو ابو دُؤاد جارية بن حُمران الحجّاج بن بحر بن عِصام بن مُنبّه ابن حُذاقة بن زهير بن إياد بن نِزار بن مَعدّ .

كان أبو دؤاد يربّي الخيل لنفسه ويتعهّدها لغيره ، وقد كان مُشرفاً على خيل المنذر بن ماء السماء (ت ٥٥٤ م) ، وعلى هذا يكون أبو دؤاد الإيادي قديماً قبل طَرَفَةَ بن العبد (ت ٥٥ قبل الهجرة = ٥٦٧ م) ، ولكن بعد امرئ القيس (ت ٥٤٠ م) .

وكان أبو دؤاد يعمل أيضاً في التجارة فيرسل أبناءه بتجارات إلى الشام ، من العراق في الأغلب .

٢ – أبو دؤاد الأيادي شاعر جاهلي قديم ، ولكنّ الرواة أهملوا شعره لأن في شعره عيوباً من اللفظ والتركيب : فألفاظه مثلاً غير نجدية فهو يذكر اليَنْجوج (العود ، عود الطيب) والمَيْسناني (نسبة إلى ميسان : منطقة بين واسط والبصرة) . ومن تراكيبه الشاذّة : « سوف ، حقّاً ، تبليهم الأيّام » . وذلك كلّه

راجع إلى ان معظم مقامه كان في سواد العراق (حول الحيرة) ، في الجنوب (غ ١٦ : ٣٧٩) .

وأبو دؤاد أوصف شعراء الجاهلية والاسلام للخيل خاصة ، وهو يجيد وصف الإبل ووصف الثور . وله أشياءُ من الفخر والمديح والرثاء والعتاب والغزل والحكمة . إلاّ أن أكثر أشعاره في وصف الخيل .

٣ – المختار من شعره :

– قال أبو دؤاد الايادي يذكر مصير الاوّلين ويُورد شيئاً من العتاب والحكمة :

.... وأتاني تقحمُ كعبٍ لي المَنْـ	ـطِقَ ، إنّ النكيثة الإقحام[١] ،
في نظام ما كنت فيه ، فلا َيحْزُنْـ	ـكَ شيء ، لكلّ حسناء ذام[٢] !
لا أعدّ الإقتار ُعدما ، ولكـنْ	فَقْدُ من قد ُرزئتُه الإعدام[٣] :
من رجال من الاقارب فادوا	من ُحذاقٍ هم الرؤوس العِظام[٤] !
ورجال أبوهم وأبي عمـ	ـرو وكعب بيض الوجوه جِسام.
وشباب كأنّهم أسْدُ غيـل	خالطت فَرْط حَدّهم أحلام ،
وكهول بنى لهم أوّلوهـم	مأثُرات يَهابها الأقـوام[٥] .
ُسلـّطَ الدهرُ والمنونُ عليهـم ،	فلهم فيَ صدى المقابر هـام[٦] .
وكذاكم مصير كلّ أنـاس	سوف ، حقاً – ُتبليهمُ الأيّام.
فعلى إثْرهم َتساقَطُ نفسـي	حسَراتٍ ، وذِكْرهم لي سَقام[٧] .

١ بلغني عن كعب بن مامة أنه يذمني من غير سبب و من غير أن كان بيننا عداوة سابقة . هذه النكيثة (الخلف : مخالفة ما كان بيننا من الولاء) اقحام : سبيل صعبة المسلك .

٢ في نظام ما كنت فيه : نسب إلي أشياء وجعلني في مرتبة أقوام لست منهم . فلا يحزنك شيء : لا تحزن من ذلك (يخاطب نفسه) . لكل حسناء ذام : في كل امرأة جميلة ذام (عيب ، جانب من القبح) ؛ يمكن أن يكون في أنا أيضاً نقص (على كثرة فضائلي) .

٣ ليست قلة المال في رأيي اعداماً (فقراً) ، ولكن موت رؤساء الأسرة والقوم فقر حقيقي .

٤ فادوا : ماتوا . حذاق : قبيلة من اياد .

٥ الغيل : الاجمة (والاسود التي تكون في الآجام تكون ضارية جداً !) . لهؤلاء الشباب ، مع ما يتصفون به من الحدة وطيش الشباب والغضب ، أحلام (عقول راجحة) .

٦ في الخرافات الجاهلية أن الانسان إذا قتل ولم يؤخذ بثأره خرجت من رأسه هامة (طائر) وأخذت تصيح : « اسقوني » ، حتى يثأر له .

٧ ان نفسي على أثرهم (بعدهم ، بعد موتهم) تتفتت (تتألم من الحزن) .

— وقال في الأدب (الحكمة) :

حاولت حين صَرَمْتَني ، والمرءُ يَعْجِزُ ، لا مَحالَهْ [1].
والدهر يلعب بالفتى — والدهر أرْوَغُ من ثُعاله [2] —
والمرءُ يَكْسِبُ مالَه ، والشحّ يُورِثُه الكَلاله [3] .
والعبد يُقْرَعُ بالعصا ، والحرّ تكفيه المَخاله [4] .
والسَكْتُ خير للفتى ؛ فالحَيْن من بعض المقالة [5] .

٤ — الاغاني ١٦ : ٣٧٣ — ٣٨١ ، الاصمعيّات رقم ٦٥ و ٦٦ (ص ٢١٣ — ٢٢١).
— بائية أبي دؤاد الايادي (راجع ديوان حُميد بن ثور) ...

عَبِيد بن الابرص الاسديّ

١ — عَبِيد بن الابرص شاعر قديم وُلِد نحو ٤٥٥ للميلاد ونشأ في قومه بني أسد في نجد ، وكان شاعرهم . وشَهِد عَبِيد تملّك حُجر بن الحارث الكِندي على بني أسد ، سنة ١٢٢ قبل الهجرة (٥٠٠ م) ، فاختار أن يتّصل به ويُنادمه . وفي سنة ٩٢ ق. هـ. (٥٣٠ م) عادَ شيء من القوةِ إلى بني أسد فأبَوْا أن يَسْتقر حكم حُجر فيهم فأعْلَنوا عِصْيانهم بالامتناع عن أداء الاتاوة (الضرائب) ، فسار إليهم حُجرٌ وأساء معاملتهم ثم قتل نفراً من رؤسائهم وشَرّد طائفة منهم عن نجد إلى تِهامة (ساحل البحر الأحمر) ، لكنه عاد فعفا عنهم بشفاعة عبيدٍ الذي كان في المُشَرّدين أيضاً . فلمّا رجع المشرّدون ، بعد بضعة أيّام ، انضموا إلى اخوانهم وحاربوا حُجْراً بقيادة عَلباء بن الحارث الكاهلي وقتلوه . وبذلك انتهى حكم كندة على بني أسد .

١ حينما صرمتني (قطعتني : عاديتني) حاولت (أن أعيدك إلى صداقتي) . ولكن هنالك أشياء كثار يعجز المرء عن تحقيقها بلا شك .
٢ أروغ : أشد مكراً وخداعاً . ثعالة : الثعلب .
٣ يقضي الانسان (البخيل) دهره يجمع المال ثم يموت فيورث كلالة (الكلالة : الانسان الذي لم يتزوج فيرثه اذا مات أقاربه من غير ولده) .
٤ المخالة : العلامة ، الاشارة ، الظن (من نفسه) . وفي رواية : المقالة : الكلمة ، النصيحة .
٥ السكت : السكوت . الحين : الموت . المقالة : الكلام ، الاقوال .

وكان عَبيد بن الابرص يتردّد على بلاط المناذرة في الحيرة ، ثم زاد تردّده هذا بعد مقتل حُجر . ولعلّ صِلة امرئ القيس بن حُجر بعَبيد بن الابرص لم تبدأ قبل ثورة بني أسد على حكم كِندة ومقتل حُجر . أمّا وفاة عَبِيد فيجب أن تكون قد وقَعَتْ نحو عام ٧٧ ق. هـ. (٥٤٥م) ، أو بعد ذلك بقليل .

٢ – عَبيد بن الابرص شاعر مكثر ومن المقدمين في شعراء الجاهلية . ولكن قلة شعره في أيدينا جعلته عند ابن سلاّم في الطبقة الرابعة (طبقات الشعراء ٣٠) . وبرع عَبيد في الفخر والوصفِ والحكمةِ والرثاء . وله شيء من الغزل الرائق أُعجِب به الجاحظ (البيان والتبيين ، ١:٢٣٦) . وشعره سهل واضح .

٣ – المختار من شعره :

– لعبيد قصيدة عدها أبو زيد القرشيِ في المجهرات وألحقهـا التبريزي بالمعلّقات ، مطلعها :

أقفر من أهله مَلْحوبُ فالقُطَبِيّات فالـذّنوب .

وقد جاء فيها :

تصبو ، وأنّى لكَ التصابي ؛ أنّى ، وقد راعَكَ المشيـب !
فكل ذي نعمة مَخْلوس ، وكل ذي أمـل مكذوب .
وكل ذي غَيْبـة يَؤوب ، وغـائب الموت لا يؤوب .
من يَسْألِ الناسَ يَحْرُمُوهُ ، وسـائلُ الله لا يَخيبُ !
أفْلِـحْ بمـا شئتَ : قـد يُبْلَـغُ بالضَعْفِ وقد يُخْدَع الاريب .
ساعد بأرض إذا كنتَ بهـا ولا تقل : إنني غريـب ؛
قد يُوصل النازح النائي ، وقد يُقْطَع ذو السُهمة القريب .

– بعد مقتل حُجر جعل امرؤ القيس يهدّد بني أسد بأخذ الثأر منهم لأبيه ثم يفتخر عليهم بأنه قَتَلَ سَراتهم (وجهاءهم) يوم مَقْتل أبيه حجر . فردّ عليه عَبِيد يذكر أن بني كِندة يومذاك هربوا من بني أسد ، وهرب معهم أحلافهم من بني غسّان ، بعد أن قُتل منهم جماعة كثيرة . ولو أن امرأ القيس لم يفرّ لقُتل أيضاً :

يا ذا المخوّفَنـا بقتـ ـل أبيه إذلالاً وَحينا [١] ،

[١] .... الذي يهددنا بالاذلال والحين (الموت) .

أزعمت أنك قد قتلـــ ـت سَراتنا ؟ كَذِبا ومَيْنا[1] .
هـلا على حُجر بن أم قَطـام تبكي لا علينا !
هـلا سألت جموع كِنـ ـدةَ يومَ وَلَّوْا : أين أينا ؟
أيـامَ نَضْرِبُ هامَهم ببواتـرٍ حتى انحَنَيْنا .
وجمـوع غسّانَ الملو كِ أتَيْنَهم وقدِ انطوينا[2] .
نحن الاولى فاجمعْ جمو عَك ثم وجّههم إلينا .
ولقد أبحنا مـا حميـ ـتَ ، ولا مُبيح لما حَمَيْنا .
هذا ، ولو قَدَرَت عليـ ـك رِماحُ قومي ما انتهينـا[3]
حتى تَنوشَكَ نَوْشَةً عاداتُهنَّ إذا انتوينـا[4] .
لا يبلـغُ البـاني – ولو رفع الدعـائمَ – ما بَنَيْنا .
كم من رئيسٍ قـد قتلـ ـناه ، وضيمٍ قـد أبَيْنا !
إنّـا – لعَمْرُكَ – مـا يُضـام حليفُنا أبـداً لدينا .

– لمّا شاخ عَبيد وافتقر جعلتْ زوجته (وكانت هي أيضاً قد شاخت) ، تتكرّهه ، فقال عَبيد فيها :

تلك عِرسي غَضْبى تُريد زِيالي ، ألِبَيْنٍ تريـد أم لـدَلالٍ[5] ؟
إن يكنْ طِبَّكِ الفراقُ فلا أحْفِـل أن تَعْطفي صدورَ الجِمـال[6] :
أو يكن طبك الدلالُ ، فـلو في سالف الدهر والليـالي الخَوالي[7] ؛
كنتِ بيضاءَ كالمَهـاة ، وإذ آ تيكِ نَشوانَ مُرْخِيـاً أذيـالي !
فاتركي مَطّ حاجبَيْك وعيشي مَعَنـا بالرجـاء والتأمال .
زَعَمَتْ أنني كَبِرْتُ ، وأنّي قَلّ مالي ، وضَنّ عنّي المَوالي ،
وصحا باطلي ، وأصبحتُ شيخاً لا يُوائي أمثـالَها أمثالي .

---

١ .... ذلك كذب ومين (كذب) من باب التوكيد .
٢ لما وصلنا(وصلت سيوفنا)في القتال إلى بني غسان(أحلاف امرئ القيس) كانت سيوفنا قد تعوجت من القتال.
٣ لو وصلت اليك رماحنا (لو لم تهرب) لما انتهت عنك (لما وقفت دون قتلك) .
٤ ناش : تناول (قتل) . انتوى : نوى ، قصد .
٥ الزيال : المفارقة . البين : الفراق (عن كره أو رضى) .
٦ طبك : دواؤك ، مـا يشفيك أو يوافقك . أن تعطفي صدور الجمال (كناية عن المخالفة في السير ، الفراق) .
٧ لو فعلت ذلك حينا كان دلالك لا يزال محتملا ، منذ زمن طويل (حينا كنت لاتزالين شابة) .....

ان تَرَيْنِي تغيَّرَ الرأسُ مني ، وعلا الشيبُ مَفرِقي وقَذالي [1] .
فبِما أدخُلُ الخِباءَ على مهضومةِ الكَشْحِ طَفْلةٍ كالغزال [2] .
فتعاطَيْتَ جيدَها ، ثم مالت مَيَلانَ القضيبِ بين الرمال .
ثم قالت : فِدىً لنفسِكَ نفسي ، وفِداءٌ لمالِ اهلِكَ مالي !

٤ — ديوان عبيد بن الابرص (تشارلس ليال) ، ليدن ١٩١٣ .
— ديوان عبيد بن الابرص (الدكتور حسين نصار) القاهرة (البابي الحلبي) ١٩٥٧ .
— ديوان عبيد بن الابرص ، بيروت (صادر) ١٩٥٨ .
•• بروكلمان ١ : ١٧ — ١٨ ، الملحق ١ : ٥٤ .

الحارث بن عُبَاد [3] البكريّ

١ — هو أبو المنذر الحارث بن عُبَاد بن قيس بن ثعلبة البكري ، من أهل العراق . كان الحارث من سادات العرب وحكمائها وشُجعانها . اختلف في شبابه مع مَعْمَر بن سوّار غلام الفُضيل بن عِمران السَدوسي على سُقيا الإبِل فقتل مَعْمَراً والفُضيل ، فثارت بذلك الحرب بين سدوس وبين بكر وتغلب ثم اتسعت واشتدّت . وقتل في هذه الحرب عُبَاد ، والد الحارث ، فتولى الحارث رئاسة قومه .

ولمّا نَشِبَتْ حرب البَسوس اعتزلها الحارث بن عباد زمناً حتى أسرف المُهَلْهِلُ في القتل وقتل بُجير بن الحارث بن عباد (او ابن أخيه) غدراً في غير معركة . فحزن الحارث بن عُباد ودخل الحرب يوم قَضّة ، أو يوم تَحْلاق اللِمَم ، فدارت الدائرة على تَغْلِبَ .

وكانت وفاة الحارث بن عُبَاد نحو عام ٧٢ ق. هـ. (٥٥٠ م) .

---

١ المفرق : مقدم الرأس .القذال : مؤخر الرأس .
٢ مهضومة الكشح : نحيفة الخصر . طفلة (بفتح الطاء) : المرأة اللينة .
٣ عباد (بضم العين ومن غير شدة على الباء) ، قال ابو تمام (الديوان ، بيروت ، طبعة محيي الدين الخياط ، ١٣٢٣ هـ ، ص ١٣٣) :
كم وقعة لي في الهوى مشهورة ما كنت فيها الحارث بن عباد !

٢ – الحارث بن عُباد من فحول شعراء الجاهلية ؛ وشعره سهل قليل الغريب ، وأكثره – ان صَحّ كل ما لدينا منه – في الحماسة والفخر والرثاء .

٣ – المختار من شعره :

– في أثناء حرب البسوس أرسل الحارث بن عباد ابنه بُجيراً (أو ابن أخيه على الاصح) برسالة إلى مهلهل يسأله فيها أن يكفّ عن عناده في الاستمرار في الحرب . ثم قال له : اقتل بُجيراً إذا شئت بثأر أخيك كليب على شرط أن تقف الحرب . فقتل المهلهل بُجيراً ثم استمرّ في الحرب . فقال الحارث [1] :

قَرِّبا مَرْبَطَ النَعامَةِ منّي   لَقِحَتْ حرب وائل عن حِيال [2] .
لا بُجيرٌ أغنى فتيلاً ، ولا رَهطُ   كُليب تَزاجروا عن ضَلال .
لم أكن من جُناتِها – عَلِمَ اللهُ –   وإني بحَرِّها اليوم صالِ [3] .

وقيل إن هذه الأبيات هي الثابتة على القطع ؛ ولكنّ في الروايات أبياتاً مثلها ، منها :

أصبحتْ وائلٌ تَعِجّ من الحَـرْ   ب عَجيجَ الجِمال بالاثقال .
قد تجنّبتُ وائلاً كي يُفيقوا ،   فأبت تَغلِبٌ عليّ اعتزالي ،
وأشابوا ذؤابتي ببُجير :   قتلوه ظلماً بغير قتال .
قرّبا مَرْبط النعامة منّي [4]   لاعتناق الأبطال بالابطال .
رب جيش لَقيتُه يُمْطِر المو   تَ على هيكل خفيف الجلال.
سائلوا كِندةَ الكرامَ وبكراً ،   واسألوا مَذْحِجاً وحَيّ هلال .

---

١ راجع تفصيل ذلك في تاريخ الجاهلية للمؤلف ، ص ١٠١ – ١٠٢ .

٢ النعامة : فرس للحارث بن عباد . قربا مربط الفرس مني (كناية عن الاستعداد للحرب) . لقحت (بكسر القاف) تلقح (بفتح القاف) : حملت ، أصبحت حبلى . الحيال في القاموس : جمع حائل : حبلى . والمعنى يقتضي أن يقال : في الوقت المناسب .

٣ لم أكن من جناتها : من باعثيها ومسببيها . صلي بالنار : أصابه حرها ؛ وهنا (آذته الحرب) .

٤ يكرر الحارث بن عباد هذا الشطر كثيراً .

المرقّش الأكبر

١ – المُرَقِّش الأكبر لقب عَوْف[1] بن سعد بن مالك أحد بني قيس بن ثعلبة من بكر بن وائل ، وكانت مساكن قومه بنواحي هَجَر من شرقيّ شبه جزيرة العرب . ويبدو أن المُرَقّش الاكبر وُلدَ في اليمن نحو عام ٥٠٠ م ثم نشأ في العراق وتعلّم القراءة والخطّ في صباه . وفي عام ٥٢٤ م اتصل المُرَقّش الاكبر بالحارث بن أبي شَمِر الغسّاني ونادمه ومدحه ، فاتخذه الحارث كاتباً .

ولمّا نَشِبَتْ حربُ البَسوس (نحو ٥٣٢ – ٥٧٢ م) أبلى المرقّش الاكبر فيها بلاء حسناً ، وكان أبوه قائد قومه فيها .

كان المرقّش الاكبر من عشّاق العرب المشهورين ، أحبّ في صباه ابنة عمه أسماء بنت عوف ، ولكن عمه تعنّت في مطالبه ثم زوّج أسماء برجل من بني مُراد فضَنِيَ المرقّش الاكبر وتوفّي نحو عام ٧٠ ق. ه. (٥٥٢ م) .

٢ – المُرَقّش الاكبر شاعر مقلّ ، ثم ضاع بعض شعره أيضاً . أما أشهر شعره وأحسنه فالغزل . وقد اختار له المفضّل الضبيّ في « المفضّليّات » اثنتي عشرة قصيدة ومقطوعة في الغزل والحماسة والفخر ووصف الأبل .

٣ – المختار من شعره :

– قال المُرقّش الاكبر في الغزل ، من قصيدة من شعره المتأخر :

سَرى ليلاً خَيالٌ من سُليمى ... فأرّقني وأصحابي هُجود[2] .
فبِتّ أدير أمري كلّ حال، ... وأرقُب أهلَها وهُمُ بعيد[3] .
على أن قد سما طَرفي لنار ... يُشَبّ لها بذي الأرطى وَقود[4] ؛
حواليْها مَهاً جُمّ التراقي ... وآرام وغِزلان رُقود[5] .

---

١ قيل أيضاً : عمرو .

٢ أرقه الأمر : منعه النوم . الهجود : النوم ، المقصود (هنا) : نيام .

٣ ادير أمري كل حال : أقلب النظر في أمري وحالي ؛ اتطلب مخرجاً مما أنا فيه .

٤ طرفي : بصري . الارطى : نوع من الشجر . ذو الارطى : اسم مكان (مكان نزول أهل الحبيبة) .

٥ جم جمع أجم ، جماء ، مجموم : من كانت عظامه غير بارزة . التراقي : العظام في أعلى الصدر (يقصد أن النسوة اللواتي ينعتهن بدينات غير بارزات العظام) . المها :(بقر الوحش، نوع من الغزلان) والآرام (الغزلان البيض) . والغزلان كناية عن النساء .

نواعمُ لا تُعالج بؤسَ عيش ، أوانس لا تَروح ولا تَرود [1] .
يرحن معاً بِطاءَ المشي بُدّاً عليهنّ المجاسد والبُرود [2] ؛
سكنّ ببلدة وسكنتُ أخرى ، وقُطِّعت المواثق والعهود .
فما بالي أفي ويُخان عهدي ، وما بالي أصاد ولا أصيد ؟
وربّ أسيلة الخدّين بِكر مُنعّمة لها فَرع وجيد [3] ،
وذو أشُر شتيتُ النبت عذبٌ نَقيّ اللّون برّاقٌ برود [4] ؛
لَهَوْت بها زماناً من شبابي وزارتها النّجائب والقصيد [5] .
أناسٌ كلما أخلقت وصلاً عَناني منهم وصل جديد [6] .

٤ — ** المفضليّات رقم ٤٥ الى ٥٤ ، ١٢٨ ، ١٢٩ .
غ ٥ : ١٨٩ — ١٩٥ (٦ : ١٢٧ — ١٤٢) ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٥١ ؛
زيدان ١ : ١٥٦ — ١٥٨ .

---

١ نواعم : ناعمات ، ملس الاجسام (لصغر سنهن) لا يعالجن بؤس عيش : غنيات ، ولا يقمن بخدمة أنفسهن ، بل يخدمهن خدم لهن . أوانس جمع آنسة : الفتاة الصغيرة الجميلة التي يأنس الرجل بها في الغزل من غير المباشرة (معنى جاهلي) . لا تراح : لا يرجع الراعي بها في المساء إلى المبيت (كالغنم ، كناية عن أنهن لا يعملن في كسب العيش) . ترود : تطلب المرعى والماء .
٢ بد جمع بداء : الممتلئة الجسم ، كثيرة اللحم . المجاسد جمع مجسد (بضم الميم وفتح السين) : الثوب المصبوغ بالجساد (بكسر الجيم) ، أو الجسد (الزعفران ، وهو أصفر اللون) ، كناية عن الغنى . والمجسد أيضاً الشعار (بكسر الشين) : ثوب يلبس مما يلي البدن . البرد (بضم الباء) : الثوب الذي يلبس ظاهراً يغطي الجسم .
٣ أسيلة الخدين : طويلة الوجه (من صفات الساميين ، ومن الجمال المحبوب عند العرب) . لها فرع : شعر (طويل) وجيد : عنق (طويل) .
٤ اشر : حزوز في الاسنان (وتكون ظاهرة في أسنان الصغار) . شتيت النبت : أسنانها متفرقة . برود بارد . ذو أشر : الفم .
٥ النجيبة : الناقة السريعة . القصيد : الشعر (زرتها ونظمت فيها الشعر ، متغزلا) .
٦ أخلق : أبلى ، لبسه حتى صار قديماً . عناه : أهمه ، دعته نفسه اليه . — كلما وصلتها مرة (وبظني أنني سأكتفي) دعاني وجه جديد من جمالها إلى وصل آخر .

قبيصة بن نعيم

كان قَبيصة بن نُعيم من رجالات بني أسد معاصراً لامرئ القيس وأصغر منه سنّاً ، فيما يبدو .

بعد أن قُتل حُجر خَطَب قَبيصة بين يدي امرئ القيس (٥٣٠ م) فقال :

إنّك ، في المحل والقَدْر والمعرفة ـ بتصرّفِ أمور الدهر وما تُحدثه أيّامُـه وتتنقّل بـه أحواله ـ بحيث لا تحتاج إلى تبصيرِ واعظ ولا تذكرة مجرّب . ولك من سؤدد مَنْصِبِك وشرف أعراقك وكرم أصلك في العرب (ما) يحتمل ما حُمِل عليه من إقالة العَثْرة والرجوع عن الهفوة . وقد كان الذي كان من الخطب الجليل : عمّت رزيّته نِزاراً واليمن ، ولم تُخَصَّصْ به كِندةُ دوننا ...

* غ (بولاق) ٨ : ٧٦ (٩ : ١٠٣ ـ ١٠٥) .

زُهير بن جناب الكلبي

١ ـ زُهير بن جَناب من بني قُضاعة من كلب ، من عرب الجنوب اليمانية ، كان أميراً وسيداً في قومه وفارساً شجاعاً كثير الغزو مظفّراً . وكان ملوك اليمن ـ ومن ورائهم ملوك الحبشة ، ومن وراء هؤلاء ملوك الروم ـ ذوي نفوذ في شمالي بلاد العرب فأقاموا زهير بن جناب عاملاً على بكرٍ وتَغْلِبَ يجمع الاتاوة منهما . وكان زهير قاسياً عاتياً في جمع الاتاوة ، فاعتدى عليه رجل من بني تَيْم اللات وطعنه طعنة غير بالغة . فلما شُفِيَ زهير سار بجموع كثيفة من قومه على بكر وتغلب ، قبل حرب البَسوس ، وأكثر فيهم القتل وأسر جماعة من رؤسائهم وفرسانهم فيهم كُليب والمُهَلْهِلُ أبناء ربيعةَ المشهوران . فاجتمع بنو بكر وبنو تَغْلِب وقدّموا ربيعةَ بن مُرة (والد كُليب والمُهَلْهِل) وساروا بقيادته لمحاربة زهير بن جناب وقومه فهزموه ومزّقوا جيشه واستنقذوا الأسرى والأموال . وبَقِيَ ربيعة بن مرة سيداً على بكر وتَغْلِب إلى وفاته ، فخلفه ابنه كُلَيْب . وغزا كُلَيب بني مَذْحِجٍ ، قوم زهير ، استمراراً في الثأر منهم ، وقاتلهم في يوم خَزازى الذي انتصر فيه عرب الشمال على عرب

الجنوب ، ثم أخذوا يتخلّصون بعده من سلطة اليمن . ويبدو أن جميع هذه الأحداث كانت في أوائل القرن السادس للميلاد .

وأسنّ زهير بن جناب وكُفّ بصَرُه وأدرك أبرهَةَ الحبشي لما غزا اليمن (٩٨ ق. هـ. ، ٥٣٠ م) كما أدرك الحارث الجفني (٥٢٩ — ٥٦٩ م) ونادمه زمناً . ويبدو أن وفاة زهير كانت نحو عام ٦٢ ق. هـ. * (٥٦٠ م) أو قبل ذلك بقليل .

٢ — وشعر زهير بن جناب سهل ، بالاضافة إلى شعر معاصريه ، وأغراضه الحاسمة والحكمة . وله خطب أيضاً .

٣ — المختار من شعره :

— قال زهير بن جناب لما طال عمره (طبقات الشعراء ١٢ — ١٣) :

أبَنيّ ، إنْ أهْلِكْ فإنّي قد بَنَيْتُ لكم بَنيّهْ [١] ،
وجعلتكم أبناء سا دات زِنادُكم وَرِيّهْ [٢] .
من كلّ ما نال الفتى قد نِلْتُه إلاّ التحيّهْ [٣] .
والموت خير للفتى — فلْيَهْلِكَنْ وبه بَقيّهْ [٤] —
من أن يُرى الشيخَ البَجالَ ، وقد يُهادى بالعَشيّهْ [٥] .

— وقيل : له البيت المشهور :

إذا قالت حَذامِ فصدّقوها ، فانّ القولَ ما قالت حَذامِ .

— وقال زهير بن جناب يوم قاتل بكراً وتَغْلب وانتصر عليهم وأسر كليب بن ربيعة وأخاه المهلهل :

أين أين الفرارُ من حَذَرِ المو ت إذ يتّقون بالاسلابِ !

---

* في الاعلام للزركلي (٣ : ٨٧) : ٦٠ ق. هـ. (٥٦٤ م) .

١ البنية : البناء ؛ البناء الشريف ، المقصود : الجاه . والبنية : الكعبة .

٢ الزناد : الحديدة التي يقدح بها النار من الحجر . ورية : قادرة على القدح (رأيكم صائب وأمركم نافذ) .

٣ التحية : البقاء ، الخلود ؛ الملك .

٤ الموت خير إذا مات الانسان وهو لا يزال فيه بقية من شباب .

٥ الشيخ : الكبير في السن . البجال : المبجل ، المحترم ، السيد العظيم . يهادى : يعان على المسير لعجزه .

إذ أسرنا مُهَلْهِلاً وأخاه ؛ وابنُ عمرو في القيد وابن شِهاب.
وسَبَيْنا من تَغْلِبٍ كل بيضا ءَ كنور الضُحى بَرود الرُضاب .
وْيحَكم ، وِيحكم ! أُبِيحَ حِماكم يا بني تَغْلِبٍ ؛ أنا ابن الرَضاب !
واستدارت رَحَى المَنون عليهم بليوث من عامر وجَنــاب .
فهم بين هاربٍ ليس يألو ، وقتيلٍ مُعفَّرٍ في التراب [1] .

٤ – ** غ (الساسي) ٢١ : ٦٣ – ٦٨ ؛ زيدان ١ : ١٣٧ – ١٣٨ .

الأفوه الأودي

١ – الأفْوَهُ الأَوْديّ هو صَلاة بن عمرو بن مالك بن عَوف بن الحارث من سعد العشيرة من بني مَذْحِج من اليمن . ويقال أيضاً الأفوه الأزدي . وكان يُكْنَى أبا ربيعة ، و «الأفوه» لقب غَلَبَ عليه .

وكان الأفوه سيّداً في قومه وقائدَهم في قِتالِ بني عامر ، ولعلّ وفاته كانت ٥٦٠ م .

٢ – الأفوه من مشاهيرِ الشعراء القدماء في الجاهلية ، وكان يُنْحَلُ الشعر لشهرته وتقدّمه . مِنْ أجلِ ذلك يَشُكّ الجاحظ في شعره [2] . وأكثر شعره في الحكمة والحماسة . وهو معدود في الشعراء الحكماء .

٣ – المختار من شعره :

– من مشهور الحكمة في الشعر الجاهلي قول الأفوه الأوْديّ :

والبيت لا يُبْتَنَى إلاّ له عَمَدٌ ؛ ولا عِمادَ إذا لم تُرْسَ أوتادُ .
فإنْ تَجَمّع أوتادٌ وأعمدةٌ وساكنٌ بلغوا الأمر الذي كادوا [3] .
لا يَصْلُحُ الناسُ فوضى لا سَراةَ لهم، ولا سَراةَ إذا جُهّالهم سادوا .
تُهْدى الأمور بأهلِ الرأي ما صَلَحَتْ، فإن تَوَلّوْا فبالأشرار تنقاد .

---

١ ألا ، يألو : قصر ، أبطأ (في محاولة الهرب والنجاة) .
٢ الحيوان ٦ : ٢٨٠ .
٣ كادوا : حاولوا ، أرادوا .

وقال في الحكمة والحماسة من قصيدة مطلعها :

إن تَرَيْ رأسِيَ فيه قَـــزَعٌ وشَواتي خَلّةٌ فيها دُوارُ [١] .

وهي قصيدة كان الرسول قد نهى عن روايتها لما فيها من تفضيل اليمن (عرب الجنوب) على مضر (عرب الشمال) مما يثير العداوة والنزاع بين العرب . قال الأفوه فيها :

يا بني هاجَر ، ساءت خُطّــةً أنْ ترُوموا النِّصفَ منا وتُجارُ [٢] .

ان يَجُلْ مُهْرِيَ فيكم جولــةً فعليــه الكرّ فيكم والغِوارُ [٣] .

نحن أوْدٌ ، ولأودٍ سُنّــةٌ شرفٌ ليس لنا عنها قِصارُ [٤] ،

سنّةٌ أوْرَثَناهــا مَذْحِــجٌ قبل أن يُنْسَبَ للناس نزارُ [٥] .

نحن قُدْنا الخيل حتى انقطعــت شُدُنُ الافلاءِ عنها والمِهارُ [٦] :

كلّمــا سِرنا تركنــا مَنْزِلاً فيه شتّى من سِباع الأرض غاروا [٧] .

وترى الطيرُ – على آثارنــا – رأيَ عينٍ ثقةً أن ستُمارُ [٨] .

مُلْكُنا مُلْكُ لَقاحٍ أوّلٌ ، وأبونا من بني أوْد خِيــارُ [٩] .

---

١ القزع : غيم متفرق (أبيض ؟ ، كناية عن الشيب) . الشواة : قحف (بكسر القاف) الرأس أو جلدة الرأس . خلة : (قليلة الشعر) . الدوار : صداع في الرأس يفقد الانسان توازنه من جرائه .

٢ بنو هاجر : بنو اسماعيل بن ابراهيم من زوجته هاجر (عرب الشمال : مضر) . النصف : الانتصاف ، الاخذ بالحق ، الانتقام . تجار : تكونون في جواركم (نعيش تحت سلطتكم) .

٣ الكر فيكم : الهجوم عليكم . الغوار : التوغل في صفوف العدو (في الحرب) . – ان جولة قصيرة أقوم بها فيكم على مهري (الصغير السن) كافية لأن أهزمكم وأثخن القتل فيكم .

٤ ليس لنا عنها قصار : لا نرجع عنها .

٥ نحن كنا معروفين بالشجاعة والقوة منذ أيام أبينا مذحج (من أسلاف عرب الجنوب) قبل أن يدري الناس أن ثمت شخصاً اسمه نزار (من أسلاف عرب الشمال) .

٦ شدن (بضم فضم) جمع شدن (بفتح ففتح) : الظبي الصغير . الافلاء جمع فلو (بكسر الفاء) : ولد الفرس . المهر : الحصان الصغير . – يقول : نحن أبعدنا في الغزو حتى عجزت الخيل الصغيرة (النشيطة القوية عن السير) .

٧ حتى السباع (الوحوش) ، وكانت شتى (مختلفة الاجناس) ، فانها كانت تهرب منا كلما اقتحمنا عليها الارض التي كانت هي فيها .

٨ – وكانت الطير تتبعنا على يقين بأنها ستمار (ستجد ميرة : طعاما) من الاعداء الذين سنكثر القتل فيهم .

٩ اللقاح (بفتح اللام) القوم في الجاهلية لم يخضعوا للملوك ولا استطاع ملك أن يسبي منهم أحدا . أول : منذ أول الدهر . أبونا (سلفنا) من بني أود خيار (الناس : أحسن الناس) .

ولقد كنتم حديثاً زَمَعاً وذُنابى حيث يَحتَلّ الصغارُ[1]
عنكمُ في الأرض ! إنّا مَذحِجٌ ، ورُوَيْداً يَفْضَحُ الليلَ النهارُ[2] .

إن إيراد هذه الأبيات هنا إنما هو للدلالة على الاتجاه الذي اتجهه الاسلام لما منع رواية القصائد التي تثير الاحقاد وتؤدي إلى الحرب .

٤ – ديوان الافوه الأودي : « الطرائف » (عبد العزيز الميمني) ، القاهرة ١٩٣٧ .

* غ ١٢ : ١٦٩ – ١٧٠ ؛ بروكلمان ، ملحق ١ : ٥٧ ؛ زيدان ١ : ١٣٤ – ١٣٥ .

طرفة بن العبد

١ – طَرَفة لقب . أمّا اسمه فهو عمرو بن العبد بن سفيان من بني سعد ابن مالك بن ضُبيعة من بكر بن وائل . وأمّه وردة بنت عبد العُزى[3] من بني ضُبيعة بن ربيعة بن نزار . وكان قوم طرفة ينزلونَ بالبحرين (شماليّ شرقيّ بلاد العرب على خليج البصرة) . وكان لطرفة – فيما نعلم من شعره – أخٌ شقيق اسمه مَعْبد ، وأخوات إحداهن الخِرنق بنت بدر بن مالك ، من أمه وردة ، وكانت شاعرة . وكذلك كان له ابن عم اسمه مالك . ولم تكن صلته بأخيه وبابن عمه حسنة .

ويتِمَ طرفة من أبيه صغيراً فأبى أعمامه من بني سعد بن مالك أن يقسموا له نصيبه من إرثِ أبيه وظلموه حقّه فنشأ مع أمه في بؤس .

قال طرفة الشعر شاباً وتعرض به مدحاً وهجاء . وكان أكثر تعرضه لبلاط الحيرة ، فيقال إنّ طرفة كان يرعى إبِلاً له ولأخيه ، وكان كثيراً ما يلهو عنها بنظم الشعر ، فقال له أخوه : « لِمَ لا تستريح بإبلك (ترجع بها في الليلِ إلى معاطنها) ؟ – تُرى أنها إن أخِذتْ منك تردّها بشعرك هذا ؟ » . قال

---

١ الزمعة (بفتح ففتح) : قرن صغير أو شعرات في مؤخرة رجل الشاة أو الارنب (شيء لا قيمة له). ذنابى : ذنب (تبع للآخرين) . يحتل (يستقر) . الصغار (الذلة) .

٢ عنكم في الارض : ابتعدوا الى مكان قصي في الارض . نحن مذحج (حكام الارض). يفضح الليل النهار : يبين الحق (ترون أن السلطان لنا لا لكم) .

٣ راجع الشعر والشعراء ، ص ٨٦ السطر ١٢ .

طرفة : فإني لا أخرج بها أبداً حتى تعلم ان شعري سيردها إن أُخذت . فتركها (طرفة) فأخذها أناس من مُضَر . فادعى (طرفة) جوار عمرو وقابوس ابنَي المنذر الثالث ملك الحيرة ، وكانا لا يزالان أميرين ، وقال يخاطبهما :

أعمرُو بن هند ، ما ترى رأيَ صِرمة [1] لها سبب ترعى به الماء والشجرْ .
وكان لها جاران ، قابوسُ منهما وعمروٌ ، ولم استرْعِها الشمسَ والقمرْ .

فعوّضه هذان ، فيما قيل ، إبلاً مكانها .

واشترك طرفة في حرب البَسوس ، وكان معاصراً للمنذر الثالث (٥١٤ — ٥٤٤ م) ولابنه عمرو بن هند . وكذلك كان صديقاً لعمرو بن مامة ، أخي عمرو بن هند لأبيه . فلمّا تولّى عمرو بن هند ملك الحيرة ، ولم يكن قدبقي بينه وبين طرفة مودّة ، سافر طرفة وعمرو بن مامة بتجارة لهما إلى اليمن ومكثا هنالك بضع سنوات ، ثم انهما قُتلا ، في أثناء رجوعهما ، نحو عام ٦٢ ق. ه. (٥٦٠ م) ، وطرفة في نحو الثلاثين من عمره .

٢ — طرفة شاعر مقلّ ، ولكنه بلغ من جودة الشعر بحداثة سنّه ما بلغه شعراءُ آخرون بكثرة شعرهم وطول أعمارهم . وهو من أصحاب المعلّقات المقدّمين باجماع الآراء . وشعر طرفة بدويّ خالص كثير الغريب متين التركيب مع شيء من الابهام أحياناً . وقد برع طرفة في الحماسة والفخر والهجاء ، وفي الحكمة خاصة . ويزيد في قيمة حِكَمه أنها مستمدة من حياته هو ومن معاملة أهله له . وأكثر حِكَمه في الحياة والموت : يرى طرفة أن الحياة فرصة سانحة يجدر بالانسان أن يستفيد منها ، إذ ليس بعد الموت — عنده — حياة أخرى . وهو كثير اللوم للأغنياء الذين لا يتمتّعون في حياتهم بأموالهم . ولطرفة في معلّقته وصف في الناقة هو أوفى ما وصل الينا من الجاهلية في بابه . أما غزله في المعلقة فماديّ بحت .

وقالوا : « طرفةُ أشعرُهم واحدةً » يَقْصِدون أن معلّقته تَفْضُلُ كل قصيدة أخرى إذا نحن قارنّا معلّقته بأية قصيدة واحدة لغيره من الشعراء . غير أن معلّقةَ طرفة ، على هذا الأساس ، لا يمكن أن تكون أفضلَ من عدد من القصائد لشاعرٍ آخرَ .

---

١ صرمة : قطعة من الابل .

٢ قصة مقتل طرفة في البحرين على يد المعكبر (انظر تحت ١٥٦) مصنوعة .

٣ – المختار من شعره :

– قال طرفة يذكر ظلم أعمامه له في ميراث أبيه :

ما تَنْظرونَ بمال وردةَ فيكمُ ؟ صَغُرَ البَنونَ ، ورَهْطُ وردةَ غيّبُ.
قد يَبْعثُ الأمرَ العظيمَ صغيرُه حتّى تظلّ له الدماءُ تَصبّبُ .
والظلم فرّق بين حيّيْ وائلٍ ؛ بَكْرٌ تُساقيها المنايا تَغْلِبُ !

– وكان طرفة ينادم عمرو بن هند ، فيما قيل ، ثم وقعت بينهما نفرة فحجب عمرُو بن هند طرفةَ ، فقال طرفة يهجوه وأخاه قابوسَ :

فليتَ لنا مكان المَلْكِ عمروٍ رَغوثاً حولَ قُبّتنا تَخورُ[1] .
لَعَمْرُكَ ، ان قابوسَ بن هندٍ لَيَخْلُطُ مُلْكَه نُوكٌ كثير[2] .

– ومن جيّد شعر طرفة في الحكمة ، في أثناء هجاء لعبد عمرو بن بِشر زوج أخته الخِرْنِق :

وأعلمُ عِلماً ليس بالظنّ أنه إذا ذلّ مولى المرء فهو ذليلُ .
وإن لسان المرء – ما لم تكن له حَصاةٌ[3] – على عَوْراته لَدليلُ .
وان امْرَأً ، لم يَعْفُ يوماً فُكاهةً لِمَنْ لم يُرِدْ سوءاً بها – لَجهولُ[4] .

– وكان طرفة في سجنه فقال يذكر اخوانه الذين تَخلّوْا عنه :

أسلمني قومي ولم يَغْضَبوا ، لسَوْءَةٍ حلّتْ بهم فادِحَهْ .
كم من خليلٍ كنتُ خالَلْتُه لا تَرَكَ الله لَهُ واضحه[5] ،
كُلّهمُ أروغُ من ثعلبٍ . ما أشبهَ الليلةَ بالبارحَهْ !

– وقال في انتحال الشعر :

ولا أُغيرُ على الاشعارِ أسْرِقُها ؛ غَنيتُ عنها . وشرّ الناس مَنْ سرقا !

---

١ الرغوث : المرضعة(بقره) . القبة : الخيمة الكبيرة من جلد (تكون للملوك والاغنياء) . تخور : تثغو ، تحدث صوتاً (ويكون الخوار للبقر والغنم والظباء – القاموس ٢ : ٢٤ – ٢٥) . وفي رواية : تدور (الشعر والشعراء ٩١) .

٢ قابوس بن المنذر بن هند شقيق عمرو بن هند (أخوه لابيه وأمه) . النوك : الحمق .

٣ حصاة : عقل .

٤ ان الذي لا يفرق بين الهجاء والفكاهة (الجد والهزل) أو لا يغفر فكاهة بريئة لرجل جاهل .

٥ الواضحة : البيضاء (المقصود هنا : سن واحدة الاسنان في الفم) .

وإنّ أحسنَ بيتٍ أنتَ قائلُه بيتٌ يُقال ، إذا أنشدتَه : صدقا!

– قال طرفة معلّقته ليبسط شكواه من أهله ويعلن آراءه في الحياة ، كما ضمّنها بعض ما كان يفتخر به الجاهلي عادة من الشجاعة والكرم . وتُعَدّ معلّقة طرفة من أدلّ القصائد على خصائص الشعر الجاهلي وعلى العقلية الجاهلية البدوية :

لِخَوْلَةَ أطلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهمَدِ تلوح كباقي الوشم في ظاهرِ اليدِ [1].
وُقوفاً بها صحبي عليّ مَطِيّهم يقولون : « لا تَهْلِكْ أسى وتجلّدِ » .
إذا القوم قالوا : « من فتى ؟ » خِلْتُ انني عُنيت فلم أكْسَلْ ولم أتبلّد .
ولَسْتُ بحلاّلِ التِلاع مخافةً ، ولكن متى يسترْفدِ القوم أرفِد [2] .
فانْ تبغِني في حَلْقةِ القوم تلقَني وان تقْتَنِصْني في الحوانيتِ تصطد [3] .
وان يلتقِ الحيّ الجميعُ تُلاقني إلى ذِرْوة البيت الكريم المصمّد [4] .
متى تأتِني أصبَحْك كأساً رَوِيّة وان كنتَ عنها ذا غنى فاغنَ وازدد [5].
نَدَاماي بِيضٌ كالنجوم وقَيْنَةٌ تروح إلينا بين بُرد ومُجْسَد [6] .
وما زال تَشرابي الخمُورَ ولذتي وبيعي وانفاقي طريفي ومُتلَدي [7] .
إلى أن تحامتني العشيرةُ كلها وأُفردت إفرادَ البعير المعبّد [8] .

---

١ كبقاء اثر الوشم على ظهر اليد التي نفرت عروقها وتعرج جلدها ، (حينما يتقدم الانسان في السن : غير واضحة) .

٢ أي لا أسكن التلاع وهي مجاري المياه من رؤوس التلال ، ولكن إذا جاء طالب رفد (عطاء) أعطيته (لا أهرب من اكرام الضيوف) .

٣ حلقة القوم : ناديهم . الحانوت مكان بيع الخمر ، (يعني تجدني مع اشراف القوم وتجدني في محلات اللهو) .

٤ المصمد : المقصود (يعني إذا انتمى الناس إلى انسابهم فانني أنتمي إلى أشرف البيوت) .

٥ أصبحك : اسقيك (الخمر) صباحاً . روية : تروي . ثم يقول : وإذا كنت ذا مال يغنيك عن الحاجة الى كأس خمر مني فهذا لا يمنع من ان تقبل مني ما اكرمك به .

٦ النديم : الذي يشرب الخمر معك . القينة : التي تسقي الشاربين الخمر وتغنيهم . البرد : الثوب الأبيض المجسد : الثوب المصبوغ بالزعفران (يعني يلبس ثوبين أبيض ومصبوغاً) .

٧ الطريف والمتلد : المال المكتسب والموروث .

٨ تحامتني : اجتنبتني . المعبد : المدهون بالقطران « لأنه اجرب » .

«رأيت بني غَبراءَ لا يُنكرونني ، ولا أهلُ هذاك الطِراف الممدّد [1] .
ألا أيّهذا اللائمي أشهدَ الوغى وان احضُر اللذات هل أنت مخلِدي [2] ؟
فان كنتَ لا تستطيع دفع منيّتي فدعني أبادرْها بما ملكت يدي !
فلولا ثلاثٌ هُنّ من لذّة الفتى وجدّك لم أحفِل متى قام عُوّدي [3] :
فمنهن سبقي العاذلاتِ بِشَربة كُمَيْتٍ متى ما تُعلَ بالماء تُزبد [4] .
وكَرّي ، إذا نادى المُضاف ، مجنَّباً كسيد الغضا — نبّهته — المتورد [5] .
وتقصيرُ يوم الدّجن ، والدجنُ مُعْجِب ، ببَهكنة تحت الخباء المعمّد [6]
فذَرْني أروّي هامتي في حياتها ، ستعلم إن متنا غداً أيّنا الصدي [7] .
كريم يروّي نفسه في حياته مخافة شِرب في الممات مُصرّد [8] .
لعمرُك ان الموت ما أخطأ الفتى لَكالطِوَل المُرخى وثِنْياه باليد [9] ،
متى ما يشأ يوماً يقُدْه لحتفه ومن يكُ في حبل المنية ينقد [10] .
أرى قبر نَحّام بخيلٍ بماله كقبر غَويّ في البَطالة مفسد [11] :
ترى جُثوتين من تراب عليهما صفائحُ صُمّ من صفيح مُنضّد [12] .
ارى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدّد [13] .

١ غبراء : الأرض . بنو غبراء : الفقراء . الطراف : الخيمة من جلد . أهل الطراف : الأغنياء .
٢ يا أيها الذي يلومني على الذهاب إلى القتال وعلى التمتع بالملذات ، هل تستطيع أن تخلدني في الدنيا (إذا أنا لم أفعل ذلك) .
٣ أحفل : أهتم . العود جمع عائد : الذي يزور المريض . قام عودي : مت (لأن المريض إذا أوشك أن يموت خرج العائدون من عنده) .
٤ العاذلات : اللائمات . كميت : خمر حمراء ، يصفها بأنها اذ مزجت بالماء علاها الزبد .
٥ كري : اسراعي . مجنباً : قائداً فرسي معي لأحمل الضيف عليها. السيد : الذئب . الغضا : نوع من الشجر ، والذئاب التي تألف الغضا تكون ضارية . المتورد : الذاهب إلى الماء (العطشان) .
٦ الدجن : المطر . معجب : يعجب (منه من رآه لشدته) . بهكنة : امرأة كاملة الخلقة . المعمد : المرفوع على عمد (خيمة كبيرة) .
٧ الصدي : العطشان .
٨ مصرد : قليل .
٩ الطول : الحبل . ثنياه : طرفاه .
١٠ يشبه الانسان في يد الموت بالحيوان المربوط بحبل ، وهو مرسل يرعى ، فمتى شاء الموت جذب الانسان اليه.
١١ نحام : الذي يتنحنح حينما يسأله أحد معروفاً .
١٢ الجثوة : الكومة . منضد : مرفوع (على القبر) .
١٣ يعتام : يختار . العقيلة : (هنا) خيرة المال . الفاحش : السيء الخلق . المتشدد : البخيل . — الموت يأتي على كل نفس .

اری الموت أعدادَ النفوس ولا اری بعيداً غداً . ما أقرب اليومَ من غد !

اری العيش كنزاً ناقصاً كل ليلـة وما تَنْقُصِ الايامُ والدهرُ ينفـد [1]

فما لي اراني وابنَ عمّيَ مالكاً متى ادنُ منـه يَنأ عني ويبعُد ؛

يلوم ، ولا ادري عـلامَ يلومني ، كما لامني في الحيّ قُرط بن أعبَـد [2] .

وآيسني مـن كل خير طلبتـه كأنا وضعناه إلى رمس مُلْحَـد [3] .

فلو كـان مولايَ امرأ هو غـيرُه لفرّج كربي أو لأنظرني غـدي [4] .

ولكنّ مولاي امروٌ هو خـانقي على الشكر والتسآل أو أنا مفتدي [5] .

وُظلمُ ذوي القربى أشدّ مضـاضة على النفس من وقع الحسام المهنّد [6] !

فذرني وخُلقي إنني لك شاكـرٌ ولو حلّ بيّتي نائياً عند ضرغد [7] .

أنا الرجل الضَرْبُ الذي تعرِفونـه خَشاشٌ كرأس الحيّة المتوقّد [8] .

فـآليْت لا ينفكّ كَشحي بِطـانـة لعضْبٍ رقيق الشفرتين مُهنّـد [9] .

حُسام إذا ما قمت منتصِراً بـه كفى العودَ منه البدءُ ليس بمِعْضد [10]

---

١ ما : اسم شرط في محل نصب مفعول بـه – العمر كالمال الذي تأخذ منه كل يوم شيئاً لنفقتك . ومهما كان عمرك طويلا فانه يفنى مع الأيام .

٢ ابن عمي يلومني كما يلومني الغرباء (كقرط بن اعبد مثلا) .

٣ كأننا دفنا الخير .

٤ مولاي : ابن عمي (يقصد ابن عمه مالكاً) . امرؤ هو غيره : مسهر ابن اصرم فيما قالوا . لفرج كربي : اعانني على مـا أنا فيه من الغم. لأنظرني غدي : تأنى علي وصبر حتّى أستطيع أن أفعل ما يريد في المستقبل .

٥ يقصد : ولكن ابن عمي يجبرني على ان أشكره وان أسأله دائماً (حتّى يعطيني من المال الذي هو لي عنده) او انه يرضى إذا نا افتديت نفسي منه بمالي (أي إذا تركت له مالي الذي هو عنده) .

٦ مضاضة : ألم وحرقة . الحسام : السيف القاطع . المهند : صنع الهند .

٧ أي دعني أعيش كما أحب . وسأظل شاكراً لك على كل حال حتّى ولو ابتعدت عنك كثيراً . ضرغد : اسم مكان (يفهم منه انه بعيد عن مكان سكنى الشاعر) .

٨ الضرب : الخفيف (الحركة) . خشاش : ذو مضاء في الأمور . المتوقد . الذكي النشيط .

٩ آلى : اقسم . كشحي : جانبي أي خصري . بطانة : ما يكون تحت الثوب . عضب : قاطع – اقسمت الا يفارقني السيف .

١٠ معضد : سيف تمتحن بـه الشجر (مقص الشجر) . كفى العود من البدء : تكفي منه الضربـة الأولى لتفعل فعلها .

أخي ثِقَةٍ لا ينثني عن ضريبة ، إذا قيل : « مهلاً » ، قال حاجزه : «قَدي»[1].
إذا ابتدر القومُ السلاحَ وجدتَني منيعاً إذا بُلّت بقائمه يدي [2] .
فان مِتّ فانعيني بما أنا أهله وشُقّي عليّ الجيبَ ، يا ابنةَ معْبد [3] .
ولا تجعليني كامرئٍ ليْسَ همّه كهمّي ولا يُغني غَنائي ومشهدي [4] ،
بَطيءٍ عن الجُلّى سريعٍ إلى الخنا ذليلٍ ، بأجماع الرجالِ مُلهّد [5] .
فلو كنت وغلاً في الرجال لضرّني عداوة ذي الأصحاب والمتوحد [6] .
ولكن نفى عني الرجالَ جَراءتي عليهم ، وإقدامي وصدقي ومَحتِدي [7].
لعُمرك : ما أمري علي بغُمّة نهاري ؛ ولا ليلي عليّ بسرمد [8] .
ستبدي لك الأيام ما كنتَ جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تُزوّد[9]،
ويأتيك بالأخبار من لم تَبِعْ له بَتاتاً ولم تضرِبْ له وقت موعد [10] .
لعمرك ، ما الأيّام إلاّ مُعارةٌ ؛ فما اسطعت من معروفها فتزوّد [11] .
عن المرء لا تسأل وابصِرْ قرينَه ، فان القرين بالمقارِنِ مُقتد(ي) .

٤ – ديوان طرفة بن العبد (طبعة ضياء الدين الخالدي) ، فينا ١٨٨٠ م .
ديوان طرفة بن العبد (طبعة Seligsohn) باريس ١٩٠١ م .
ديوان طرفة بن العبد (الشنقيطي) ، القاهرة ١٩٠٩ م .
ديوان طرفة بن العبد ، بيروت (صادر) ١٩٥٣ م .

---

١ يقطع كل ما أصابه ولا يرتد عنه . وإذا أراد الضارب به ان يتراجع في ضربته يقول المضروب به : حسبي (يعني : كفتني هذه الضربة أو الجزء من الضربة : قتلت) .
٢ منيعاً : لا يوصل اليه . بلت : ظفرت به وتمكنت منه .
٣ يخاطب ابنة أخيه فيقول لها : إذا مت فاذكريني بما استحق واحزني علي .
٤ ولا تعامليني كرجل ليست له همتي . يغني : يفيد ويدفع الحوادث . المشهد : حضور القتال وغيره .
٥ بطيء نعت امرئ . الخنا : القبيح من القول والعمل . باجماع الرجال ملهد : يطردونه عنهم ، وهم يدفعونه بأيديهم .
٦ الوغل : الضعيف الخامل . المتوحد : المنفرد (يقصد عداوة الجماعة والافراد) .
٧ المحتد : كرم الأصل .
٨ غمة : حيرة . سرمد : ابدي – لا تتملكني الحيرة في اعمالي نهاراً ولا يطول علي الليل (لأنني أجد مخرجاً من كل هم أو مصاب ينزل بي) .
٩ تزوده : تعطيه زاداً (طعاماً أو اجرا) .
١٠ لم تبع له بتاتاً : لم تشتر له طعاماً (لم تعطه اجراً) .
١١ ايام الحياة عارية (شيء مستعار) لن تدوم لك فاستفد منها ما استطعت .

ديوان طرفة بن العبد (تحقيق وتحليل ونقد لعلي الجندي)، القاهرة ١٩٥٨.
شرح معلّقة طرفة للأنباري (و. ريشر)، قسطنطينية ١٣٢٩ هـ.
* * أعلام الشعر العربي (طرفة)، تأليف محمد بن عبد المنعم خفاجي وعبد السلام أبي النجا سرحان، القاهرة ١٩٤٩ م.
معلّقة طرفة بن العبد لعبد القادر المغربي (م م ع ع، المجلّد الأول ١٩٢١ م.
= محاضرات المجمع العلمي العربي ١ : ١ وما بعدها).
بروكلمان ١ : ١٤ — ١٥، الملحق ١ : ٤٥ — ٤٦.

عمرو بن كلثوم التغلبيّ

١ — عَمْرو بن كُلثوم بن مالك بن عَتّاب من بني تَغْلِبَ، وأمّه أيضاً تَغْلَبيّة، فهي بنت المُهَلْهِل الشاعر. وكانت مساكن تغلب في الجزيرة الفُراتية من أعالي (شماليّ) الشام والعراق.

وُلد عمرو بن كلثوم في مطلع القرن السادس للميلاد وساد قومه صغيراً — زعموا ابنَ خَمْسَ عَشْرَةَ سنة — وكان فارساً شجاعاً ذا حَميّة مُعْجَباً بنفسه. وكان عمرو بن كلثوم يزور عمرو بن هند ملك الحيرة (٥٥٤ — ٥٧٠م) وينشده الشعر ولكن لا يمدحه. ويبدو أن شيئاً من الوَحْشة قد وقع بين ابن كلثوم وابن هند منذ ذلك الحين، ثم اتفق أن قَتَلَ عمرو بنُ كلثوم عمرَو بنَ هند، في حديث طويل، عام ٥٢ ق. هـ. (٥٧٠ م)، في العام الذي وُلد فيه محمد رسول الله.

عمرو بن كلثوم من المُعَمَّرين، ولعلّه أوفى على المائة ثم مات قبل انتهاء القرن السادس للميلاد *.

نزاع بكر وتغلب بعد صلح البسوس

لم تنته العداوة من جرّاء حرب البَسوس بتوقف المعارك. فلما جاء عمرو ابن هند (٥٥٤ م) رغب في حسم النزاع بين بكر وتغلب فجمع بينهم ثم أخذ من كل قبيلة مائة رجل جعلهم عنده رهائنَ، فكانوا أبداً معه يرحلون برحيله

* في الاعلام للزركلي (٥ : ٢٥٦) : ٤٠ ق. هـ. (٥٨٤ م).

وينزلون بنزوله ويغزون معه . وإذا اتفق أن غدرت إحدى القبيلتين فقتلت أحداً من أفراد القبيلة الأخرى أقاد عمرُو بن هند ذلك المقتول من رهائن القبيلة المعتدية .

في ذات يوم أرسل عمرو بن هند جماعة من الرهائن التي في يديه ، من بني بكر وبني تغلب ، في أمر من أموره ، فنزلوا ، في طريقهم ، بالطرفة وهي لبني شيبان وبني تيم اللات أحلاف بني بكر . فقيل ان بني شَيْبان وبني تَيْم اللات أجلَوُا التَغْلَبيين عن الماء فمات التَغلَبيون عطشاً ؛ وقيل بل أصابت الجماعة كلّهم ريح السّموم فاتّفق أن هلك التغلبيون وسَلِمَ البكريون منهم . فغضب بنو تَغْلِبَ وطلبوا دِيَاتِ أبنائهم من بكر – بحُجة أن أحلافاً لبكر كانوا السبب في الكارثة – فأبى البكريون ذلك بحجة أنهم غير مسؤولين عن ضَلال التغلبيين وعن ريح السّموم أو عن أعمال أحلافهم ، إنْ صَحّتْ دعوى تَغْلِبَ على احلافهم . وكادت الحرب تعود من جديد . فعمد عمرو بن هند إلى التوفيق بين القبيلتين فجمع أشرافهما وساداتهما في مجالس متعددة كان آخرها الجلسة التي قيلت فيها معلّقة عمرو بن كلثوم ومعلّقة الحارث بن حِلِّزة ، فيما يُروى .

٢ – عمرو بن كلثوم شاعر مطبوع مُقِلّ ، وصل الينا من شعره معلّقته وبضع مقطّعات . ويُقال إن معلّقته كانت تبلغ ألف بيت ، ولكن لم يصلنا منها إلاّ عُشْرُها أو أقل قليلاً . والمعلّقة تَرْجِعُ إلى زمنين منفصلين : نُظم بعضها قبل مقتل عمر بن هند ، ونظم بعضها بعد مقتله بزمن يسير ؛ وهي تدور على الحماسة والفخر : يفتخر فيها الشاعر بقومه ، ويكثر فيها من مخاطبة عمرو بن هند بالوعيد ، ثم يذكر يوم خَزازى . وفيها شيء من الغزل ووصف الخمر ومن الحكمة .

٣ – المختار من معلقته :

أبا هندٍ فلا تَعْجَلْ علينا ... وأنظِرْنا نُخبّرْكَ اليقينا ١ :

بأنّا نُورد الراياتِ بيضاً ... ونصدرهن حُمْراً قد رَوِينا ٢ .

---

١ ابا هند : يا عمرو بن هند .

٢ نأخذ راياتنا إلى الحرب بيضا ثم نرجع بها حمراً من دم الاعداء .

وأيّام لنا غُرّ طِوالٍ عصَينا المَلْكَ فيها ان نَدينا [1] .
بأيّ مَشيئةٍ ، عمرَو بنَ هندٍ ، نكونُ لقيْلهم فيها قَطينا [2] ؟
بأي مشيئةٍ ، عمرو بن هندٍ ، تطيع بنا الوشاة وتزدرينَا [3] ؟
تهدّدنا وتوعدنا ، رويداً ! متى كُنّا لأمّكَ مُقتَوينَا [4] ؟
فان قنَاتنَا ، يا عمرُو ، أعيَتْ على الاعداء قبلك أن تلينا [5] .
ونحن غَداةَ أوقد في خَزازى رَفَدْنا فوق رِفد الرافدينا [6] .
وكُنّا الأيْمنينَ إذِ التَقَيْنا ، وكان الايسرينَ بنو أبينَا .
فصالوا صولةً في مَن يليهم [7] وصُلْنا صولةً في مَنْ يلينا [7] .
فآبوا بالنِهابِ وبالسبايا ، وأبْنَا بالملوك مُصفَّدينا [8] !
إليكم ، يا بني بكر ، اليكم ، ألمّا تعلموا منّا اليقينَا [9] ؟
وقد علِم القبائلُ — غيرَ فخر — إذا قُبَبٌ بأبْطَحِها بُنينَا [10] ،
بأنّا العاصمون إذا أُطعِنَا ، وانّا العارمون إذا عُصينَا [11] ،
وأنّا المطعمون إذا قَدَرْنا ، وأنّا المهلكون إذا ابتُلينَا [12] ،
وأنّا المانعونَ لِما أردنا ، وأنّا النّازلون بحيث شينَا .
ونشرب — إن وردنا الماء — صفواً ، ويشرب غيرنا كدراً وطينَا .

---

١ أيام : معارك . غر : بيض، نصرنا فيها . طوال : مشهورة — حاربنا الملوك حتى لا نخضع لهم .
٢ القيل : الملك أو الرئيس . القطين: الخادم. — الاصل في عمرو ان تكون مرفوعة، ولكن الرواية جاءت بفتحها .
٣ ازدرى : احتقر .
٤ مقتوون : متخذون (بفتح الخاء) للخدمة .
٥ نفوسنا لم تذل للملوك قبلك حتى تذل لك الآن .
٦ خزازى اسم جبل ومعركة من معارك العرب . غداة اوقد في خزازى : في يوم معركة خزازى ، أوقد بنو تغلب نارين على جبل خزازى ليعلموا قومهم بكثرة عدد خصومهم بني بكر . رفد :ساعد — ساعدنا (نزاراً على اليمن) أكثر مما يستطيع أحد غيرنا أن يساعد (في الحرب) .
٧ صال : هجم . يلي : يقرب من .
٨ مصفدون : مقيدون بالا صفاد .
٩ اليكم .. : ابتعدوا عنا ، اتركوا منافستنا ، ألم تعرفوا بعد قوتنا في الحرب ؟
١٠ القبة : الخيمة من جلد ، وتكون للملوك والرؤساء . الابطح : الارض المستوية .
١١ من اطاعنا عصمناه (دافعنا عنه وحميناه) ، ومن عصانا عرمنا عليه (قوينا عليهم ، ظلمناه ، قتلناه) .
١٢ قدرنا : طبخنا (في القدر) . ابتلى : جرب — من جرب حربنا هلك .

علـى آثارنا بيضٌ حسانٌ نُحاذر أن تُقسَّمَ أو تهونـا [1] :
ظعـائنُ من بني جُشَمِ بن بكر خلَطْنَ بميسَمٍ حسباً ودينـا [2]
يقُتْنَ جيـادنا ويقلن : « لستم بُعولتَنا إذا لم تمنعونا » [3] .
إذا لم نحمهنّ فلا بقينـا لشيءٍ بعدهنّ ولا حيينا !
إذا ما المَلْكُ سام النّاس خسفاً أبَيْنـا أن نُقرّ الذلّ فينـا [4] .
ألا لا يجهَلَنْ أحـدٌ علينـا فنجهَلَ فوق جهل الجاهلينا [5] !
ألا لا يحسَبِ الاعـداء أنّـا تضعضعْنا وأنّا قـد ونينا [6] .
كأنّا ، والسيوفُ مُسلّلاتٌ ، ولدْنا النّـاسَ طرّاً أجمعينا [7] .
إذا بلغ الفِطامَ لنـا صبيٌّ تخرّ له الجبـابرُ ساجدينـا !
ملأنـا البر حتّى ضاق عنّـا ، وظَهرُ البحر نملأه سفينـا .
لنـا الدنيا ومن أضحى عليهـا ونبطُشُ حين نبطش قادرينا .

٤ – ديوان عمرو بن كلثوم (كرنكو) بيروت ١٩٢٢ .
** غ (بولاق) ٩ : ١٨١ – ١٨٥ (١١ : ٤٢ – ٥٩) ، بروكلمان ، ملحق ١ : ٥١ – ٥٢ ؛ زيدان ١ : ١٢٢ – ١٢٤ .

المرقّش الاصغر

١ – المرقّش الاصغر لقب ربيعة بن سفيان بن سعد (وهو ابنِ أخي المرقّش الاكبر) ، وقد كان كعمّه من سادات قومه ومن الذين أبلَوُا البلاءَ الحسن في حربِ البَسوس . وكان المرقّش الأصغر جميلاً وعاشقاً مغامراً قليل الغيْرة . وكان له مع فاطمة بنت المنذر الثالث ملك الحيرة (٥١٤ – ٥٥٤ م) وأخت

١ بيض : نساء . نحاذر ان تقسم : نخاف ان يأسرهن الاعداء فيقسمن بين المتحاربين . تهون : تذل ، يعتدى على اعراضهن .
٢ الظعينة : المرأة ، ميسم (بكسر الميم): علامة (جمال، حسن) – اضفن إلى جمالهن شرف النسب والحسب .
٣ يقتن جيادنا : يعلفن (يطعمن) خيولنا . تمنعونا : تحافظون علينا ، تحموننا .
٤ إذا الملك ظلم كل الناس فنحن وحدنا لا نقبل بظلمه .
٥ الجهل (هنا) ضد الحلم – إذا سفه أحد علينا زدنا عليه في السفاهة .
٦ ونى يني : ضعف .
٧ إذا سللنا سيوفنا في الحرب شعرنا كأننا ولدنا جميع الناس ، أي كأنهم كلهم أولادنا يجب علينا أن نحميهم ، ونحن نستطيع ذلك .

عمرو بن هند (٥٥٤ – ٥٧٠ م) قصة غرام طويلة .

وكانت وفاة المرقِّش الأصغر في نحو عام ٥٧٠ م ، في الستين من عمره في الأغلب .

٢ – كان المرقّش الأصغر شاعراً مشهوراً حسن الشعر ، وكان أشعر من عمه ، وقد برَعَ في الغزلِ والخمر والحماسة والفخر . وكذلك كانت له أبياتٌ جيادٌ في الحكمة والصداقة خاصة . وهو من شعراء جمهرة العرب ، اختار له أبو زيد القرشي قصيدة في المنتقيات السبع ، واختار له المفضّل الضبّيّ خمس قصائد في المفضّليّات .

٣ – المختار من شعره :

– قال المرقِّش الأصغر يستطرد من وصف الخمر إلى ريح فم حبيبته :

وما قهوةٌ صهباءُ كالمسك ريحُها تُعلّ على الناجود طوراً وتُقدحُ [١] ،
ثوَتْ في سَواء الدَّنّ عشرينَ حِجةً يُطان عليها قَرمد وتُروّح [٢] ،
سباها رِجالٌ من يهود تباعدوا بجيلانَ يدنيها إلى السوق مُربح [٣] ،
بأطيبَ من فيها إذا جئت طارقاً من الليل ؛ بل فوها ألذّ وأنضح [٤] .

– كان للمرقِّش الاصغر ابن عم يُقال له جناب بن عوف لا يُؤْثر (يفضّل) عليه أحداً ، وكان المرقّش الاصغر لا يكتمه شيئاً من أمره . فألحّ جناب على المرقّش أن يخلفه ليلة عند صاحبته فاطمة . فامتنع المرقّش زماناً ثم قبل . فغضبت فاطمة ؛ ثم استحيا هو من نفسه ومن صاحبته وعضّ على أبهامه أسفاً فقطعها . وقد قال المرقّش الاصغر يعتذر إلى فاطمة ويظهر الندم :

أفاطمَ ، لو أن النساء ببلدة وأنتِ بأخرى لاتبَعتُكِ هائماً .

---

١ قهوة : خمر . صهباء : شقراء اللون . تقدح : يغترف منها .
٢ ثوت في سواء الدن : مكثت في أسفل الدن . حجة : سنة . يطان عليها قرمد : تطين بالطين . تروح : يتشقق طينها لتتنفس الريح .
٣ جيلان مقاطعة بفارس . المربح : الذي يدفع فيها ثمناً غالياً يجعل أصحابها يحملونها من جيلان البعيدة طمعاً بالربح الوفير منه .
٤ أنضح : أطيب .

متى ما يشأ ذو الودّ يَصْرِمْ خليلَــه ... ويَعْبَدْ عليه لا مَحالةَ ظالما [1] .
وآلى جَنــاب حلْفَةً فأطعته ، ... فنفسَك وَلّ اللومَ ان كنت لائما [2] .
فَمَنْ يَلْقَ خيراً يحمَد الناسُ أمره، ... ومن يَغْوَ لا يَعْدَم على الغيّ نادما .
ألم ترَ أن المرء يَجْذِمُ كفّه ... ويَجْشَمُ من لوم الصديق المجاشما [3] ؟

– قال يجمع بين الفخر والحكمة :

آذنتْ جــارتي بوشك رحيل ... باكراً جاهرت بخَطْب جليلِ [4] :
أزمعــت بالفراق لمّــا رأتني ... أتلفُ المــال لا يَذُمّ دخيلي [5] .
اربعــي ، إنمـــا يَريبك مني ... إرثُ مجد وجِدُ لُبّ أصيل [6] .
عجباً مــا عَجِبْتُ للعاقدِ المــا ... لِ وريبُ الزمان جَمّ الخبول [7] .
ويضيـــع الـــذي يصير اليه ... من شقاء أو مُلْك خُلْد بَجيل [8]
أجمل العيش أنّ رزقَك آتٍ ؛ ... لا يردّ الترقيحُ شَرْوَى فَتيل [9] .

– المفضليات رقم ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ؛
الأصمعيات رقم ٥٢ ؛
غ (بولاق) ٥ : ١٨٩ ، ١٩٣ – ١٩٥ (٦ : ١٢٧ ، ١٣٦ – ١٣٩) ، ١٣ : ٨٧ ؛
بروكلمان ، الملحق ١ : ٥١ .

---

١ صرم يصرم (بفتح الراء في الماضي وكسرها في المضارع) : قطع ، فارق . يعبد (بكسر الباء في الماضي وفتحها في المضارع) : غضب .
٢ آلى : أقسم .
٣ يجشم : يركب الاخطار والصعاب .
٤ جارتي : زوجتي . وشك : قرب . آذنت : أنذرت ، أعلمت . جاهرت بخطب جليل : أعلنت أمراً عظيماً .
٥ أزمعت : نوت ، عزمت على . لا يذم دخيلي : لئلا يذمني المستجير بي أو يلومني ضيفي .
٦ اربعي : اهدئي ، استقري ، اطمئني . – ان الذي يجعلك تشكين في تصرفي جهلك بأني أريد أن أحافظ (بالكرم) على مجد ورثته ، وأنني أصدر في ذلك عن عقل .
٧ أعجب مــا أعجب له الرجل يدخر المــال (الذي يبخل بــه على نفسه) ، وهو يرى أن الزمان جم (كثير) الخبول (كناية عن المصائب والاحداث) الهاجمة عليه (وعلى ماله بالهلاك والتلف والضياع) .
٨ إذا نزلت المصائب بجامع المال أو بالمال نفسه ضاع شقاء الانسان (جهده) الذي أنفقه في جمع ذلك المال ، وضاع ما كان يؤمله من ملك خلد (باق) بجيل (محترم ، مكرم) .
٩ الترقيح : اصلاح المــال والقيام عليه (وتنميته) . الفتيل : غشاء مفتول كالخيط يكون في شق نواة التمر .

أوس بن حارثة

كان أوس بن حارثة بن لأم الطائي من الحكماء ، وكان معاصراً لبشر بن أبي خازم (نحو ٥٠٥ — ٥٩٠ م) وأسنّ منه . قال ابن قتيبة :

« كان بِشر ، في أول أمره ، يهجو أوس بن حارثة بن لأم ، فأسرته بنو نَبْهان من طيّ ، فركب أوس اليهم واستوهبه منهم — وكان قد نَذَرَ لَيَحرِقَنّه إن قَدَر عليه — فوهبوه له . فقالت له أمه سُعدى . قبّح اللهُ رأيَك ، أكرمِ الرجل وخَلِّ عنه ، فانه لا يمحو ما قال غيرُ لسانه .

وعفا أوسٌ عن بشر ، فمدح بشرٌ أوساً بست قصائد بعد أن كان قد هجاه بست قصائد .

وكان أوس من حكماء العرب وحلمائهم ؛ قيل لمّا حَضَرته الوفاةُ نصح ابنه مالكاً فقال له :

يا مالكُ ، المنيّةُ ولا الدنيّة ؛ والنارُ ولا العار ! والعتابُ قبل العقابِ ؛ والتجلّد لا التبلّد [1] . واعلم أن القبر خير من الفقر . ومِنْ كَرَمِ الكريم الدفاعُ عن الحريم . ومن قلّ ذلّ . وخير الغنى القناعة ، وشرّ الفقر الضَّراعة [2] .

** غ (بولاق) ٩ : ١٤٩ ، ١٥٠ (١٠ : ٢٩٤ ، ٢٩٨) ، ١٦ : ١٠١ .

الخرنق بنت بدر

١ — الخِرْنِق بنت بدر هي أخت طرفة بن العبد لأمه وردة بنت عبد العُزّى أختِ المتلمّس الشاعر . ويبدو أنها كانت أسنّ منه . وتزوجت الخرنق عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مَرْثَد سيّد بني أسد ، ولكن لم تكن سعيدة في صحبته فشكته إلى أخيها فهجاه . وعاشت الخرنق بعد أخيها وزوجها ، وكان زوجها قد قُتل في غارة له على بني أسد يوم قُلاب . أما الخرنق فقد توفيت نحو عام ٥٧٠ م ، أو بعد ذلك ، نحو عام ٥٨٠ م بعد عمرو بن هند .

---

١ التبلد : الصبر مع المسكنة .

٢ الضراعة : الذل .

٢ – والخرنق بنت بدر شاعرة مطبوعة لم يصلنا من شعرها إلا قليل . وأكثر شعرها في الرثاء وفي الهجاء والفخر والوصف ، ولها شيء من الحكمة .

٣ – المختار من شعرها :

– لمّا قُتل طرفة وبلغ خبر مقتله إلى أخته الخرنق رثته ، وقد ذكرت في البيت الأول أن أخاها ساد قومه وهو ابن ست وعشرين سنة ، ثم أشارت في البيت الثاني أنه مات في غيبة عن قومه (في رحلته إلى اليمن) .

عَدَدْنا له سِتّاً وعشرين حِجةً، فلمّا توفّاها استوى سيداً ضَخْما [١].
فُجِعْنا بـه لمّـا رَجَوْنا إيابـه . على خير حالٍ ، لا وليداً ولا قحما [٢] .

– وغضب عمرو بن هند ملك الحيرة على زوجها عبد عمرو فنفاه عن العراق حيث كان يعيش مع أهله في سَعة من العيش ، فقالت الخرنق تهجو عمرو ابن هند :

ألا من مُبلِغٌ عمرَو بن هنـد وقـد لا تَعْدَمُ الحسناء ذاما [٣] .
كما أخرجتنا من أرض صِدْقٍ ترى فيهـا لِمُغْتَبِطٍ مُقامـا .
كما قالت فتاة الحيّ ، لماً أحسّ جَنانها جيشاً لهامـا [٤] ،
لوالدهـا – وأرأتـه بليـل قَطاً ؛ ولَقَلّ ما سَرّى ظلامـا [٥] :
ألستَ ترى القطـا متواتراتٍ ؟ ولو تُرِكَ القطا ليلا لَناما !

– وقالت الخرنق ترثي زوجها عبد عمرو بن بِشر ونفراً آخرين من قومه سقطوا معه قتلى في يوم قُلاب .

ألا آليتُ آسى بعد بشر على حيّ يموت ولا صـديق [٦] ؛

---

١ حجة : سنة . توفاها : استوفاها ، أتمها .
٢ فجعنا به : ثكلناه (مات) . ايابه . رجوعه . قحماً : طاعناً في السن .
٣ ذام : عيب ، نقص . لا تعدم الحسناء ذاماً : لا تخلو الحسناء من عيب (وهذا مثل) .
٤ اللهام (بضم اللام) : العظيم .
٥ القطا : طير سريع الطيران . متواترات : يلحق بعضها بعضاً بكثرة . ولو ترك القطا ليلا لنام : لو لم يزعج الناس هذا الطير لما طار ليلا (مثل يضرب للرجل الذي لا يزال في حركة وعمل لأنه مضطر إلى ذلك) .
٦ آلى : أقسم . أسي (بكسر السين وفتح الياء) ، يأسى : حزن . آليت آسى : آليت لا آسى .

وبعد الخير علقمةَ بن بشر ، إذا نَزَتِ النفوس إلى الحلوق[1] .
وبعد بني ضبيعــة حول بشر ، كما مــال الجُذوع من الحريق[2] .
فكم بقلابَ من أوصال خرْقٍ أخي ثقـة وجُمْجمة فليق[3] .
نَدامى للملوك إذا لَقُوهم حُبوا وسُقوا بكأسهم الرحيق[4] .

– وقالت في ذلك أيضاً :

لا يَبْعَدَنْ قومي الـذين هـمُ سُمّ العُداة وآفة الجَـزْرِ[5] ،
النــازلون بكلّ مُعـتركٍ والطيّبون مَعـاقدِ الأُزر[6] ،
والخـالطونَ لُجينَهم بنُضارهم، وذوي الغنى منهم بذي الفقـر[7] .
ان يَشْربوا يَهَبوا ، وان يَذَروا يتواعظوا عن منطـق الهُجْر[8] .

٤ – ديوان الخرنق أخت طرفة ، بيروت ١٨٨٩ .
ديوان الخرنق (Vollers) ليبزغ ١٩٠٣ .
بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٧ – ٤٨ ، زيدان ١ : ١٦٧ .

عبد المطّلب بن هاشم

هو شَيْبَةُ أو عبد المطّلب بن هاشم جدّ محمّد رسول الله ، وكان سيّد بني هاشم في زمنه وسيّد قريش كلها وكبيرها .

ويبدو أن ولادة عبد المطلب كانت في المدينة عام ١٢٥ ق. هـ. (٥٠٠ م) . وقيل بل وُلد في مكّة ونشأ في المدينة . أما وفاته فكانت في عام ٤٥ ق. هـ. (٥٧٨ م) ، يوم كان محمد رسول الله في الثامنةِ من عُمُره .

١ إذا نزت (علت) النفوس إلى الحلوق (– اذا كادت النفوس تزهق) .
٢ كان بنو ضبيعة يتساقطون قتلى بسرعة .
٣ كم في (معركة) قلاب من أوصال (أعضاء) خرق (جواد ، كريم) مقطعة . أخي ثقة : موثوق وجمجمة فليق (مفلوقة ، مشدوخة) .
٤ كان هؤلاء القتلى ندامى للملوك (أنداداً لهم) ، وكان الملوك يحبونهم (يعطونهم الجوائز والصلات) ، ويسقونهم بكؤوسهم ...
٥ لا يبعدن : تعبير يقـال في ندب الميت . سم العداة : شجعان . آفة الجزر : كرماء يكثرون ذبح الابل .
٦ الطيبون معاقد الازر : (كناية عن العفة) .
٧ اللجين : الفضة . النضار : الذهب . – يجودون بالفضة والذهب ، ويؤاسون الفقراء بمال الأغنياء .
٨ إذا شربوا الخمر كثرت هباتهم . وان يذروا (يدعوا ، يتركوا) : إذا لم يعطوا ، فانهم يتناهون عـن الكلام القبيح .

في عام ٥٧٠ م هاجم أَبْرَهَةُ الحبشي مكّة يريد أن يهدم الكعبة ، وكان معه جيش كبير وفِيَلَةٌ ، ولم يكن العرب قد عرفوا بعدُ الفيلة في الحرب ، فسمَّوْا ذلك العام عام الفيل ؛ وهو العام الذي وُلد فيه محمّدٌ رسولُ الله . وكان أبَرْهَة قد سرّح قطعة من جيشه فأغار على تِهامة (ساحل الحجاز على البحر الأحمر) واستولي على أموال أهل تِهامة من قريش وغيرهم ، وكان في هذه الأموال مائتا بعير لعبد المطلب . ودخل عبد المطلب على أبرهة ، فسأله أبرهة (بوساطة التَرْجُمان) عمّا يريد . فقال عبد المطّلب : « **حاجَتي أن يَرُدَّ عليّ الملك** [1] **مائتي بعير أصابها لي** » . فقال أبرهة للترجمان : قل له : « **قد كنتَ أعجبتني حين رأيتُك ثم زَهِدتُ فيك حين كلّمتني . أتكلّمني في مائتي بعير أصبتها لك وتتركُ بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلّمني فيه ؟** » فقال له عبد المطّلب : « **اني أنا ربّ الإبِل ، وان للبيت ربّاً سيمنعه** » .. فردّ أبرهة على عبد المطّلب الإبل ، وظل مُصِرّاً على أن يهدم الكعبة — وكان الروم وراء الحبشة في هذه الغزوة لنشر النصرانية في بلاد العرب — فيقال إن عبد المطّلب خرج من عند أبرهة ثم ذهب إلى الكعبة وأمسك بحلْقة بابها ثم أنشد :

لاهُمَّ ، ان العبدَ يمنع رَحْلَه فامْنَعْ حِلالَكْ [2] .
لا يَغْلِبَنَّ صليبُهم ومِحالهم عَدْواً مِحالَك [3]
إن كنت تاركَهم وقِبْلَتَنا فأمْرٌ ما بدا لك [4] !

الحارث بن حِلِّزة اليَشْكريّ

١ — كان الحارث بن حِلِّزَةَ من بني يَشْكُرَ بن بكر بن وائل من أهل العراق ، وكان سيّداً في قومه . وشهد الحارثُ عمرَو بن كلثوم ينشد معلّقته

[1] كان ابرهة حاكماً على اليمن من قبل الحبشة وقائداً للجيش الذي غزا مكة ؛ ومخاطبته بلقب الملك هنا جارية على عادة عرب الجاهلية الذين كان الملك عندهم لا يزيد على شيخ القبيلة .

[2] لاهم : اللهم ، يا رب ! الرحل : المسكن ، الأثاث الذي في بيت الإنسان ، الأثاث الذي يحمله الانسان معه إذا انتقل من مكان إلى آخر . الحلال : متاع الرجل (كناية عن الكعبة ، بيت الله) .

[3] المحال : المكر . عدواً : اعتداء .

[4] فأمر ما بدا لك : لغرض في نفسك ؛ أنت وشأنك .

عند عمرو بن هند في أمر النزاع بين بكر وتَغْلِبَ بعد صلح البَسوس ، فردّ عليه واستمال عمرو بن هند فحكم عمرو بن هند لبكر على تغلب وردّ الرهائن التي كانت في يده من بكر للحارث بن حِلّزة . وقيل إن عمرو بن هند مال في الحكم إلى بني بكر لأن الحارث تقرّب بمعلّقته اليه ومدَحَه ؛ أما عمرو بن كلثوم فنفّر عمرو بن هند بما ساق في قصيدته من الفخر بقومه وبما حشاها من التعريض بالملوك والظالمين ، ثم بعمرو بن هند نفسه تعريضاً صريحاً .

وكان الحارث بن حِلّزة من المعمَّرين ، وكانت وفاته نحو عام ٤٢ ق. هـ. (٥٨٠ م) .

٢ – الحارث بن حِلّزة شاعر مشهور من أصحاب المعلّقات ، ولكنه مقلّ . وقد شُهر بمعلّقته وحدها ، قيل ارتجلها في حضرة عمرو بن هند . وشعر الحارث سهل رائق حتى قيل ان معلّقته منحولة لحسن ديباجتها وفصاحة ألفاظها وسهولة تعابيرها . وأغراض الحارث في شعره تدور في الاكثر على الفخر والحماسة ، وفيها شيء من الحكمة ومن حسن المناقشة والتعليل.

٣ – المختار من شعره :

– قال الحارث في الحكمة :

فضَعي قِناعك ، ان ريب الدهر قد أفنى مَعَدّا [١] .
فلَكَمْ رأيتُ مَعاشراً قد جمّعوا مالاً ووُلدا ،
وهم رَبابٌ حائرٌ لا يُسْمِع الآذانَ رَعْدا [٢] .
عِيشي بجَدّ لا يَضُرْكِ النُّوكُ ما لاقيتِ جَدّا [٣] .
والنوك خير في ظِلالِ العيش مِمّن عاش كدّا [٤] !

– من المعلّقة :

آذنتنا بِبَيْنِها أسماء . رُبّ ثاوٍ يُمَلّ منه الثَّواءُ [٥] .

---

١ ارفعي الستر عن وجهك (ابرزي للناس سافرة) حزناً على الابطال من بني معد .
٢ رباب : غمام ، سحاب . حائر الخ : سحاب خفيف لا يمطر .
٣ و ٤ الجد : الحظ . النوك : الحمق . الكد : الجهد (بضم الجيم) . – العيش الرغيد مع الحمق خير من العقل مع السعي والتعب ومع شظف العيش . ما لاقيت : ما دمت تلاقين .
٥ اخبرتنا اسماء انها سترحل عنا ، ورب مقيم (غيرها) يمل منه المكان الذي يقيم فيه .

ثم يَعرِض الحارث لخلاف بكر وتغلب بعد أن عقدوا الصلح بعد حرب البَسوس . وهو يذكر تحامل بني تغلب عليهم ويتنصّل من تهمة الاعتداء على تغلب :

أن إخوانَنا الاراقم يَغْلُـو ... نَ علينا في قِيلِهِمْ إحفاء [1] :
يَخلِطون البريءَ منا بذي الذنـ ... ـب ، وما ينفعُ الخليَّ الخلاءُ [2] .
زعَموا ان كلَّ مَنْ ضرب العيـ ... ـر مُوالٍ لنا وانّا الوَلاء [3] .
أجمعوا أمرَهم بليلٍ ، فلمّا ... أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء [4] :
من مُنادٍ ومن مُجيبٍ ومن تَصْـ ... ـهال خيلٍ خِلالَ ذاك رُغاء [5] .
أيّها الناطق المُرَقِّشُ عنّا ... عند عمرٍو ، وهل لذاك بقاء [6] ؟
لا تَخَلْنا على غَراتك ، إنّا ... قبلُ ما قد وشى بنا الاعداء [7] !
فبَقِينا على الشَناءة تَنْميـ ... ـنا حُصون وعِزّةٌ قعساء [8] .
مَلِكٌ مُقْسِطٌ وأفضلُ من يمـ ... ـشي ، ومن دون ما لديه الثناء [9] .
أيّما خطةٍ أردتم فأدّو ... ها إلينا تشفي بها الأملاء [10] .
لا يُقيم العزيز بالبلد السَهْـ ... ـل ولا ينفعُ الذليلَ النّجاء [11] .

---

[1] الاراقم : حي من تغلب . يغلون علينا : يبالغون في اتهامنا . القيل : القول ، احفاء : إلحاح ، تحامل .

[2] الخلي : البريء . يعدوننا كلنا مذنبين ، حتى البريء منا لا تنفعه براءته .

[3] في الاصل : العير بفتح العين : الحمار ، ولا معنى له على الرغم مما تمحل له الزوزني في « شرح المعلقات السبع »وغيره من الوجوه. ولعل الصواب العير بكسر العين : القافلة (قا٢ : ٩٨) وحينئذ يستقيم المعنى لأن الخلاف بين بكر وتغلب عند عمرو بن هند كان يدور حول هلاك الرهائن من بني تغلب. وكان عمرو بن هند وجههم مع الرهائن من بني بكر في شأن له فهلك التغلبيون . راجع أيضاً سورة يوسف (١٢ : ٨٢) : « واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها» . موال لنا : قريب لنا ، نحن من حزبه . انا الولاء : اننا أصحاب ولائهم والمسؤولون عن أعمالهم الضامنون لجرائمهم .

[4] هم دبروا هذا الأمر في الخفاء واختلقوا علينا هذه التهمة ، ولما أصبح الصباح أخذوا يلوحون بها .

[5] اختلطت أصوات الناس بأصوات الخيل والابل .

[6] المرقش : المزوق : الكاذب . عمرو : عمرو بن هند . بقاء : ثبات ، صحة .

[7] لا تظن ان اغراءك الملك بنا يخيفنا ، فقبلك وشى بنا كثيرون فلم يضرونا .

[8] ولقد بقينا على رغم بغض الناس لنا يرتفع شأننا وتحمينا حصوننا وشجاعتنا .

[9] مقسط : عادل . ومن دون ما لديه الثناء : الثناء لا يفي بأعماله الكريمة والصالحة . الثناء (بكسر الثاء) ايضاً : كتاب فيه اخبار بني اسرائيل (قا ٤ : ٣٠٩) ، اي إن قوله صادق !

[10] الاملاء جمع ملأ : الاشراف . – اعرضوا على اشرافنا كل مشكلة تعرض لكم وهم يجدون لها حلا .

[11] القوي المعتز لا يسكن في البلد السهل – حيث يسهل ظلمه واستعباده – النجاء : الخروج ، الهرب – والذليل اينما ذهب يبقى ذليلا .

ليس يُنجي الذي يوائل منا   رأسُ طَوْدٍ أو حَرّةٌ رَجْلاء [1] .
ملكٌ أضرعَ البريــة لا يو   جد فيها لِما لديه كِفـاء [2] ،
كتكاليف قومِنا إذ غزا المُنْـ   ـذرُ ، هل نحن لابن هند رعاء [3] ؟
ما أصابوا من تَغْلَبِيٍّ فمطلو   لٌ ، عليه – إذا أصيب – العَفاء [4] .

* * *

أيّها النــاطق المبلّـغُ عنـــا   عند عمرو ، وهل لذاك انتهاء [5] ؟
فاتركوا الطَيْخ والتَعاشي ، فإمّـــا   تَتعاشَوْا ففي التعاشي الداء [6] .
واذكروا حِلْفَ ذي المَجاز وما   قُدّمَ فيه : العهودُ والكُفَلاء [7]
حذرَ الجَوْر والتعدّي ؛ وهل ينـْ   ـقُضُ ما في المهارق الاهواء [8] ؟
واعلموا أنّنا وإيّاكُمُ – فيـــ   ـما اشترطنا يومَ اختلفنا – سواء [9] !
أعلينا جُناحُ كِنْدَةَ أن يغـْـــ   ـنمَ غازيهمُ ومنا الجزاء [10] !
ليس منـا المُضَرَّبون ، ولا قيـــ   ـسٌ ولا جَنْدَلٌ ولا الحَذّاء [11] .
ام جَنـايا بني عَتيق ؟ فإنّـا   منكمُ إنْ غـدرتمُ لَبَراءُ [12] .

٤ – ديوان شعر الحارث بن حِلّزة (كرنكو) ، بيروت (الكاثوليكية) ١٩٢٢ .

** بروكلمان ، الملحق ١ : ٥١ ؛ زيدان ١ : ١٢٤ – ١٢٣٥ .

---

١ ان الذي يهرب خوفاً منا إلى رأس جبل أو إلى أرض حرة (بركانية) رجلاء (خشنة يترجل فيها) ، أي لا تسير فيها الخيل والابل ... لا ينجو .

٢ اضرع البرية : ملك الناس وساسهم واقتدر عليهم وليس له مثيل فيها (؟)

٣ التكاليف : المشقات . لما غزا المنذر أغزى قومنا معه فتحملوا مشاق كثاراً . – أنحن وحدنا رعية لعمرو ابن هند ؟

٤ إذا قتل رجل من تغلب طل (بضم الطاء) دمه – هدر فلم يأخذ أحد بثأره – ، أما بنو بكر (قوم الحارث) فيأخذون بثأر قتلاهم .

٥ أيها الناطق ... ألا تنتهي عن تبليغ الاخبار ، أي الوشاية بنا .

٦ الطيخ : التكبر . التعاشي : التعامي .

٧ ذو المجاز : المكان الذي عقد فيه عمرو بن كلثوم الصلح بين بكر وتغلب . العهود : المواثيــق . الكفلاء : الرهائن .

٨ المهارق (الورق) احذروا الظلم والتعدي فان العهود المكتوبة لا يجوز ان تخالف .

٩ الشروط التي اتفقنا عليها تلزمكم كما تلزمنا .

١٠ اتغزوكم كندة وتغنم منك ثم تريدون ان تأخذوا ثأركم منا نحن .

١١ و ١٢ لا الذين اعتدي عليهم كانوا منا ولا الذين اعتدوا ، فاذا أردتم أن تغدروا فاننا نتبرأ منكم .

المسيب بن علس

١ – كان المُسَيَّب ، وهو زهير بن عَلَس بن مالك بن عمرو من بني مالك بن ضبيعة البكري ، من أهل العراق . وكان المسيّب خالَ الأعشى ميمون ابن قيس ، وكان الأعشى راوية له .

والمُسَيَّب بن عَلَس جاهلي لم يُدرك الإسلام ، كان معاصراً لعمرو بن هند، وقد التقى بطرفة والمتلمّس عنده ، أو في طِريقه اليه . ورَحَل المسيّب بشعره يتكسّب من العرب ومن الفرس : قيل مدح بعض الاعاجم فأعطاه . ثم انه أتى عدوّاً له من الاعاجم يسأله فدسّ له سمّاً فمات ، نحو عام ٤٢ ق. ه. (٥٨٠ م) .

٢ – المسيّب شاعر مشهور من فحول الشعراء المعدودين في بني بكر . وهو شاعر مقلّ مجيد ، وأغراضه تدور على المدح في الأكثر وعلى الرثاء والحكمة ، وله غزل رائق ووصف بارع للنحل واللؤلؤ . وشعره عذب سهل .

٣ – المختار من شعره :

– قال المسيّب بن عَلَس يمدح القعقاع :

أرحلتَ من سَلمى بغير مَتـاعِ ... قبل العُطاس ورُعتَها بوَداعِ [١] ؟
من غير مَقْلِيَةٍ ، وانّ حبالَهـا ... ليست بأرْمامٍ ولا أقطـاعِ [٢] .

ومنها :

فلأَهْدِيَنّ مع الرياح قصيـدةً ... منّي مُغَلْغَلَةً إلى القَعْقاعِ [٣] ،
تَرِدُ المياهَ فمـا تزالُ غريبـةً ... في القوم بين تمثّلٍ وسَماعِ [٤] .
وإذا الملوك تدافعت أركانُهـا ... أفضلتَ فوق أكفّهِـم بذِراعِ .

---

١ المتاع : الزاد ، الطعام (المقصود هنا : توديع المحبوبة) . العطاس : الصبح . رعتها بوداع : رحلت من غير أن أعلمها بذلك ، فارتاعت لما علمت .

٢ فارقتها من غير بغضة . والمودة التي كانت بيني وبينها لا تزال سليمة (لا متهرئة ولا مقطعة) .

٣ رسالة مغلغلة محمولة من بلد إلى بلد (القاموس ٤ : ٢٦) .

٤ ترد المياه (الاماكن التي يجتمع الناس فيها في البادية) فيراها الناس غريبة فيكثرون من سماعها وانشادها .

وَلأنتَ أجودُ من خَليج مُفْعَمٍ مُتراكم الآذيِّ ذي دُفّاع [1].
ولأنتَ أشجعُ في الأعادي كلّها من مُخْدِرٍ ليثٍ مُعيدِ وِقاع [2].
ولذلِكُمْ زعمتْ تميمٌ أنه أهلُ السَّماحة والنَّدى والباع !

– ويستحسن ابن قتيبة (الشعر والشعراء ٨٢) قول المسيّب بن علَس في المديح :

تبيتُ الملوك على عَتْبِها ، وشَيْبانُ ان غَضبت تُعْتَبُ [3].
وكالشهد بالراح أخلاقُهم ، وأحلامهم منهمُ أعذب [4].
وكالمسك طيب مناماتِهم ، وريّا قبورهِمُ أطيبُ [5].

٤ – ** المفضليات ، رقم ١١ .

المتلمّس

١ – المُتَلَمِّس هو جَرير بن عبد العُزّى ، ويقال ابن عبد المسيح [6] ، من بني ضُبيعة بن مالك . وهو معاصر لعمر بن هند ، ملك الحيرة ، وكان ينادمه . وقد اشتهرت في أخبار الأدب **رسالة المتلمّس** : رَوَوْا أنّ عمرو بن هند غضب على المتلمّس وعلى ابن أخته طرفة بعد أن كانا ينادمانه فكتب لكلّ واحد منهما رسالة إلى المُكَعْبِر ، عاملهِ على البحرين ، وأوهمهما أنه أمر لهما في الرسالتين بجائزتين . فيقال إنّ المتلمّس شكّ في ذلك فدفع رسالته إلى صبي من صبيان الحيرة قرأها له فإذا فيها أمر بقتله ، فشقّها وألقاها في النهر . ثم انه قال لطرفة : ما في رسالتك إلاّ كالذي في رسالتي ، فلم يقتنع طرفة بذلك ، بل تابع طريقه إلى البحرين فقتله المُكَعْبِر هناك في حديث طويل مصنوع [7] .

١ الخليج : النهر . مفعم : مملوء ، ممتلئ . الآذي : الامواج . دفاع : تيار .
٢ المخدر : الليث الذي يعيش في الأجمة (كأنها له خدر) . معيد (مكرر) وقاع (وقائعه وافتراسه) .
٣ عتبها : غضبها . تعتب : يعتذر اليها وتسترضى .
٤ الشهد (بفتح الشين أو كسرها أو ضمها) : العسل ما دام في الشمع .
٥ المنامات : جمع منامة : موضع النوم . ريا : رائحة .
٦ الشعر والشعراء ٨٦ .
٧ في الشعر والشعراء (ص ٩١) أن عامل عمرو بن هند على البحرين كان الربيع بن حوثرة ، أو ربيعة بن الحارث العبدي (غ ٢١ : ١٢٥) .

وأما المتلمّس فانه فرّ من العراق إلى الشام لاجئاً إلى الغساسنة . ثم عاش عندهم حتّى أسَنّ ؛ ومات نحو عام ٤٢ ق. هـ. (٥٨٠ م) ، وكان له ابن شاعر اسمه عبد المنان أدرك الاسلام (غ ٢١ : ١٢٢) .

٢ – المتلمّس شاعر مقلّ مجيد ، قيل أشعر المقلّين في الجاهلية ثلاثة : المتلمّس والمسيّب بن علَس والحصين بن الُحمام المرّيّ . وكان المتلمّس شاعر بني ربيعة في زمنه . أما فنونه فهي الهجاء ، وقد هجا عمرو بن هند فأكثر وأفحش ، ثم الحكمة وله فيها أبيات شوارد : بارعة مبتكرة واضحة المعنى . وله أيضاً عتاب كثير وفخر .

٣ – المختار من شعره :

– كان **المتلمّس** ينتسب إلى ضبيعة بن نِزار ، ولكنّه كان يعيش في أخواله بني يَشْكُر حتّى كادوا يغلِبون على نسبه . وقد سأل **عمرُو بن هند** ذات يوم **الحارثَ بن التوأم اليشكري** عن نسب المتلمّس فقال الحارث : أواناً يزْعُم أنه من بني يَشْكُر ، وآناً يزعم أنه من بني ضبيعة . فقال عمرو بن هند : ما أراه الاّ كالساقط بين الفِراشين . فقال المتلمّس يهجو عمرو بن هند ويعاتب خاله الحارث :

يُعيّرني أمّي رجال ، ولا أرى ... أخا كرمٍ إلاّ بأن يتكرّما .
ومَنْ يكُ ذا عرض كريم فلم يَصُن ... له حسباً كان اللئيمَ المذمّما .
أحارثُ ، إنّا لو تُساط دماؤنا ... تَزايَلْنَ حتّى لا يَمَسّ دمٌ دما[1] .
أمُنْتَفِلاً من آل بُهثةَ خِلتني ؟ ... ألا إنّني منهم وإن كنت أينَما[2] !
ألا إنّني منهم ، وعِرضِيَ عِرْضُهم، ... كذي الأنف يحمي أنفه أن يصلّما[3] .
لذي الحلم قبل اليوم ما تُقرَع العصا ، ... وما عُلّم الانسان إلا ليَعْلَما * !
وكنّا إذا الجبّار صعّر خدّه ... أقَمْنا له من مَيْله فتقوّما[4] .
فلو غيرُ أخوالي أرادوا نقيصتي ... جعلت لهم فوق العرانين مِيسما[5] .

١ ساط : مزج . تزايل : تفرق . * راجع فوق ، ص ١١٢ .
٢ انتفل : تبرأ من الشيء ، أنكره .
٣ يصلم : يستأصل ، يقتلع الشيء من أصله . جدع الانف واستئصاله كناية عن الذل .
٤ صعر خده : أمال عنقه تكبرا .
٥ جعلت لهم فوق العرانين (جمع عرنين : الانف) ميسم : علامة (كناية عن الاذلال) .

وما كنتُ إلاّ مثلَ قاطعِ كفّـه	بكفٍّ له أخرى فأصبح أجذما [1] .
فلمّا استقاد الكفُّ بالكفِّ لم يجِـدْ	له دَرَكـاً في أن تَبين فأحجما [2] .
يداه أصابت هذ. حتْفَ هذه ،	فلم تجد الأخرى عليهـا مقدّمـا .
فأطرق إطراق الشُجاع ، ولو يرى	مَساغاً لنابَيْه الشجاع لصمّما [3] .

٤ ــ أشعار المتلمّس (ed. K. Vollers) ، ليبزغ ١٩٠٣ .

** الاغاني ٢١ : ١٢٠ ــ ١٢٢ ، ١٢٥ ــ ١٢٧ ، ١٢٩ وما بعدها متفرّقاً . راجع الاجزاء ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، المفضّليات رقم ٩٢ (ص ٢٨٥ ــ ٢٨٨) ، بروكلمان ، الملحق ١ : ٤٦ ــ ٤٧ ؛ زيدان ١ : ١٨٠ ــ ١٨١.

الاسود بن يعفر

١ ــ هو الاسود بن يَعْفُرَ بن عبد الاسود بن جَندل بن نَهشل بن دارم من بني تميم ، وأمه رُهْم بنت العبّاب ؛ كان متزوّجاً امرأة من بني نَهد سباها في غارة . وكان الاسود مولعاً بالقمار قد أضاع فيه ماله ، فكانت أمه تنصحه بأن يترك القمار فلم يتركه ، فرغبت إلى الذين يلاعبونه أن يكفّوا عن ملاعبته فغضب من ذلك .

ويبدو أن الاسود بن يعفر لم يكن مقيماً في مكان يستقلّ به ، بل كـان يُجاور الأقوام : جاور بني قيس بن ثعلبة ثم بني مرّة بن عباد بالقاعة (شرقي بلاد العرب) وغيرهم .

واتّصل الاسود بن يعفر بمسروق بن المنذر بن سلمى بن نَهشل فكان مسروق يعطيه ويبرّه ، ومات مسروق فرثاه الاسود . وكذلك حَظِيَ عند النعمان ابن المنذر .

وقد أسَنّ الاسود بن يَعْفُر ثم كفّ بصره قبل أن يتوفى (نحو ٥٨٥ م).

---

١ أجذم : مقطوع اليد .
٢ استقاد وأقاد : اقتص ، عاقب بالقتل أو (هنا) بقطع العضو المعتدي . دركاً في أن تبين : الاقتصاص من اليد المعتدية يتبعها باليد المقطوعة .
٣ أطرق : فكر . الشجاع : الحية السوداء . اطراق الشجاع : اطالة الاطراق (كناية عن اطالة التفكير) . لصمما : للدغ نفسه (قتل نفسه ، انتحر) .

٢ – الاسود بن يَعْفُر شاعر غيرُ مُكثِرٍ ولكنه فصيح مجيد ، وفي شعره غناء ؛ وقصائده طِوال . وفي شعره مدح ورثاء ، وكان شديد الهجاء بارعاً فيه حتّى سمّي ذا الآثار لأنه ما هجا أحداً إلاّ ترك فيه آثاراً (ألزمه الهجاء وأضرّ به) . وهو بارع أيضاً في الأدب (الحكمة) . وقد اختار المفضّل الضبّي للأسود قصيدتين ، إحدى هاتين القصيدتين « نام الخليّ وما أحِسّ رقادي » ، وهي معدودة من مختار أشعار العرب وحكمها .

٣ – المختار من شعره :

– قال الاسود بن يعفر يذكر شبابه ويبث أشجان نفسه ويذكر الموت والأمم التي سبقت ثم زالت :

نام الخَلِيّ وما أُحِسّ رُقادي، والهمّ مُحتَضِرٌ لَدَيّ وِسادي [١]

من غيرِ ما سُقمٍ ؛ ولكنّ شفّني همّ أراه قد أصاب فؤادي .

ومن الحوادث ، لا أبا لك ، أنني ضُرِبَتْ عليّ الأرضُ بالأسداد[٢].

ولقد علمتُ ، سوى الذي نَبّأتني ، ان السبيلَ سبيلُ ذي الأعواد [٣] .

إن المنيّةَ والحتوفَ كلاهُما يُوفي المَخارمَ يَرْقُبان سوادي [٤] ،

لن يَرْضَيا مني وفاءَ رهينةٍ ، من دون نفسي ، طارفي وتِلادي [٥] .

ماذا أؤمّل بعدَ آل مُحرّقٍ ، تركوا منازلَهم ، وبعد إياد [٦] :

أهلِ الخَوَرْنَق والسَّدير وبارق والقصر ذي الشُرُفات من سِنداد [٧]

أرضاً تَخَيّرها لدارِ أبيهِمُ كعبُ بن مامةَ وابنُ أمِ دُؤادِ .

---

١ الخلي : الذي لم يعشق ، الذي لا هموم له . ما أحس رقادي : لا أجد سبيلا إلى النوم (لكثرة همومي) . محتضر لدى وسادي : ملازم لي حاضر عند مخدتي التي أنام عليها .

٢ ضربت علي الأرض بالاسداد : قامت دوني سدود لا أستطيع أن أتصرف في الحياة بحرية ، لأنه كان قد عمي في آخر حياته .

٣ أن السبيل سبيل ذي الاعواد : ان طريق النـاس كلهم الموت (الاعواد يحمل عليها الميت : التابوت) .

٤ الحتف (الموت) يوفي (يعلو) المخارم (الطرق في الجبال = يستطيع الموت في أن ينفذ إلى الانسان من كل طريق مهما كانت صعبة) . السواد : شخص الانسان . يرقبان سوادي . المنية والحتف يرصداني حتى يأخذا نفسي .

٥ وهما لا يقبلان مالي الطريف والتليد (الجديد والقديم = كل ما أملك) بدلا عن نفسي .

٦ آل محرق : المناذرة (كانوا ملوكاً فماتوا ، فكيف أرجو أن أنجو أنا من الموت) .

٧ الخورنق والسدير : قصران . بارق وسنداد : نهران .

جرتِ الرياحُ على مكان ديارِهِـمْ   فكأنّهم كانوا على ميعـاد[1] !
نزلوا بأنْقَرَةَ يسيلُ عَلَيْهِـمُ   ماءُ الفُراتِ يجيء من أطواد[2] ،
فإذا النعيم وكلّ مـا يُلْهى بـه   يوماً يصير إلى بِلَىً ونَفاد .

٤ — •• غ (دار الكتب) ١٣ : ١٤ — ٢٨ ، المفضليات رقم ٥٥ ، ١٢٥ .

المُثقِّب العبديّ

١ — هو أبو عمرو عائذ بن مِحْصَن بن ثعلبة من بني نُكرةَ بن عبد القيس من بني أسد بن ربيعة بن نزار . وكانت مساكن قومه في البحرين .

كان المُثَقِّب سيّداً في قومه مصلحاً لأنه ممن قاموا بالصلح بين بني بكر وبني تغلب بعد حرب البَسوس . وعاصر المثقّب عمرو بن هند ثم شهد بضع سنوات من ملك أبي قابوس (٥٨٠ — ٦٠٢ م) . وكانت وفاته نحو عام ٣٥ ق.ه (٥٨٧ م) . وهو أقدم من النابغة .

٢ — المثقّب العبدي شاعر مجيد غريب الألفاظ متين التركيب جداً ، ولكن شعره يَصَحُ أحياناً ويَسْهُل . أمـا أغراض شعره فتدور على المدح والفخـر والحكمة . ويبرز في شعره الطرد ، ووصف الراحلة والثور خاصة .

٣ — المختار من شعره

— للمثقّب قصيدة بارعة مدحها ابن سلّام[3] ، وقال فيها ابن قتيبة[4] : « كان أبو عمرُو بن العلاء يستجيد هذه القصيدة ويقول : لو كان الشعر مثلَها لَوَجَبَ على الناس أن يتعلّموه » . وقد اختارها المفضّل الضبّيّ في « المفضّليات » (رقم ٧٦) والقصيدة طويلة منها :

---

١ جرت الرياح على مكان ديارهم : عفت عليهم الرياح ، أزالتهم عن مساكنهم ، ذهبت بهم = ماتوا . فكأنهم كانوا على ميعاد (مع الموت) .

٢ أنقرة : بلد قرب الحيرة (غير أنقرة التي في آسية الصغرى) . الاطواد جمع طود : الجبل . يسيل عليهم ماء (نهر) الفرات (كناية عن الخصب والنعيم) .

٣ راجع طبقات الشعراء ص ٧٠ .   ٤ الشعر والشعراء (بيروت) ١ : ٣١١ .

أفاطمَ ، قبلَ بَيْنِكِ ، متّعيني ؛ ومَنْعُكِ ما سألتُ كأن تَبيني [1] .
فلا تَعِدي مَواعِدَ كاذباتٍ تَمُرّ بها رياحُ الصيف دوني .
فإنّي لو تُخالفني شِمالي ، خِلافَكِ ، ما وصلت بها يميني [2] ،
اذنْ لقَطَعْتُها ولقلت : بيني ؛ كذلك أجتوي من يجتويني [3] .
لِمَنْ ظُعُنٌ تُطالع من صُبيب فما خرجتْ من الوادي لِحِين [4] .
ظَهَرْنَ بكِلّة وسَدَلْنَ أخرى ، وثَقّبْنَ الوصاوصَ للعيون [5] .
فقلت لبعضهنّ ، وشُدّ رَحلي لِهاجرة نَصَبْتُ لها جبيني :
لعلّكِ ان صرمت الحبل منّي كذاك أكون مصحِبتي قَروني [6] .
فسَلِّ الهمّ عنك بذات لَوْث عُذافرةٍ كمِطْرَقَةِ القُيُون [7] .

وهنا يأتي أربعة عشر بيتاً في وصف الراحلة ، ثمّ يقول الشاعر عن راحلته :

إذا ما قمتُ أرْحَلُها بليلٍ تَأوّهُ * آهَةَ الرجل الحزين ،
تقول إذا دَرَأْتُ لها وَضيني : أهذا دِينُه أبداً وديني [8] :
أكلَّ الدهرِ حِلٌّ وارتحالٌ ؟ أما يُبْقي عليّ وما يَقيني [9] !
فأبْقى باطلي والجِدّ منها كدُكّان الدرابِنَةِ المَطين [10] .

وهنا يلتفت المثقّب إلى عِتاب الملك عمرو بن هند مع شيء من الصراحة

---

١ البين : الفراق . التمتيع : التنويل ، ادخال السرور على الانسان بقضاء حاجته . ومنعك ما سألت كأن تبيني : إذا لم تجيبيني إلى ما طلبت منك فكأنك قد فارقتني .

٢ خلافك : مثل خلافك لي .

٣ اجتوى : كره . ٤ صبيب (بالصاد وبالضاد) .

٥ الكلة : الستر على المرأة . ظهرن بكلة وسدلن أخرى : رفعن جانباً من الستر وأرخين جانباً آخر منه . ثم جعلن في وصاوصهن (جمع وصواص : البرقع الصغير ، كناية عن صغر سنهن) ثقوباً (حتى ينظرن من خلالها) . وبهذا البيت سمي الشاعر « المثقب » (بكسر القاف المشددة) .

٦ ان صرمت حبلي (قطعت صلتك بي ، هجرتني) ، أفعل أنا كذلك وأكتفي بأن أكون مصاحباً لنفسي ، عائشاً منفرداً (القرون والقرينة ، بفتح القاف فيهما : النفس) .

٧ اللوث : الشد (الركض) . عذافرة : الشديدة القوية . القيون جمع قين : الحداد . * تتأوه .

٨ درأ الوضين : شد حزام (الدابة ، استعداداً للرحلة) . دينه : عادته . والمقصود بهذا الاستفهام الانكاري مذكور في البيت التالي .

٩ يبقي علي : يوفر شيئاً من نشاطي . وقاه يقيه : حفظه ، حماه (من الأذى) ، دفع الشر عنه .

١٠ باطلي : رحلتي في طلب اللهو . الجد منها : جدها وجهدها في السير . دكان : مكان مرتفع قليلا للجلوس . الدرابنة (جمع دربان ، بالفارسية) : بواب . مطين : مطلي بالطين . — المقصود : ان كثرة رحلاتي تركتها (من الهزال) بلا سنام ، فأصبح ظهرها مستوياً (لا سنام عليه) كأنه الدكان الذي يجلس عليه البوابون .

والخشونة المألوفتين في البدو :

إلى عمرٍو ، ومن عمرٍو أتتني ، أخي النَجدَات والحِلْم الرصين :
فإمّا أنْ تكونَ أخي بحقٍّ فأعرِفَ منك غَثّي من سَميني ،
وإلاّ فاطّرِحْني واتّخِذْني عَدوّاً أتّقيك وتَتّقيني !
وما أدري إذا يَمّمْتُ وجهاً أريدُ الخيرَ أيّهما يَليني :
أألخيرُ الذي أنا أبْتغيهِ ، أمِ الشرُّ الذي هو يبتغيني ؟

— وللمثقّب قصيدة بارعة فصيحة الألفاظ سهلة التّراكيب فيها فخر بنفسه منها :

لا تَقولنّ ، إذا ما لم تُرِدْ أن تُتِمّ الوعدَ في شيء : نعم !
حَسَنٌ قولُ نعمْ من بعد لا ، وقبيحٌ قول لا بعد نعم .
ان لا بعد نعم فاحشةٌ ، فَبِلا ابْدأ إذا خفت الندم .
وإذا قلتَ نعم فاصبرْ لها بنَجاز القول ، ان الخُلْفَ ذم [1].

وهنا يلتفت المثقّب إلى الفخر بنفسه :

لا تَراني راتعاً ، في مجلس ، في لحوم الناس كالسَبْع الضَرِم [2] .
ان شرّ الناس من يَكْشُرُ لي حينَ يَلْقاني ، وان غِبْتُ شَتَمْ .
وكلامٍ سيّءٍ قد وَقَرَتْ أذُني عنه ، وما بي من صَمَم [3] .
فتَعزّيْتُ خشاةً أنْ يَرى جاهلٌ أني كما كان زَعَم [4].
ولَبَعضُ الصَفْح والإعراضِ عن ذي الخَنا أبقى، وان كان ظَلَم [5] .
لا يبالي ، طيّبَ النفسِ به ، تَلَفَ المالِ إذا العِرض سَلِم [6].

٤ — ديوان المثقّب العبدي (نشره محمد حسين بن آل ياسين) ، بغداد ١٩٥٦ .

---

١ بنجاز القول : الوفاء بالوعد (في المثل : أنجز حر ما وعد) .

٢ راتعاً في لحوم الناس : يغتابهم (قال الله تعالى : « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً » ، أي يغتابه : يذكره بما يكره — سورة الحجرات ، ٤٩ : ١٢) . السبع : الحيوان الآكل اللحم . الضرم : النهم .

٣ وقرت اذني عنه (منه) : أصبح فيها وقر (ثقل) عن سماعه .

٤ تعزيت تصبرت ، احتملت . خشاة (خشية من أن) يرى (يظن) الجاهل (ب) أني كما زعم(ادعى).

٥ الخنا : القول والعمل القبيحان .

٦ لا يبالي ، وهو طيب النفس ، في الصفح (العفو) والاعراض (التجاهل) إذا خسر مادياً ، ما دام عرضه سليماً (كرامته موفورة محفوظة)

بشر بن أبي خازم الأسدى

١ – هو بِشر بن أبي خازم عمرو بن عوف بن حميريّ بن ناشرة بن أسامة بن والبة بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد ، يبدو انه أدرك عَبيد ابن الأبرص وشهد معه مقتل حُجر بن الحارث (٥٣٠ م) ، والد امرئ القيس ، ثم أدرك النعمان الثالث أبا قابوس (٥٨٠ – ٦٠٢ م) .

وكان بِشْر فارساً وبطلاً شُجاعاً شهد الحرب بين بني أسد وبين بني طيّ ثم أدرك الحلف بعد تلك الحرب بين القبيلتين . وشهد بِشْر أيضاً يوم النسار (نحو ٥٧٥ م) ثم يوم الجفار في العام التالي وخاضهما وقال فيهما الاشعار .

كان بِشر في أول أمره يهجو أوس بن حارثة بن لأم الطائي ، ثم اتّفق أن وقَعَ بِشر أسيراً في يد أوس فأطلقه أوس في حديث طويل وأكرمه فانقلب بشر يمدحه : مدحه بستّ قصائد (الديوان ٢٥) ينقض بها القصائد الستّ التي كان قد هجاه بها (راجع ص ١٤٨) . ولمّا توفّي أوس رثاه بِشر .

وقُتِل بِشر في غارة على بني صعصعة بن معاوية عام نحو ٣٢ ق. هـ. (٥٩٠ م) ، بعد أن أسنّ كثيراً فيما يبدو .

٢ – كان بِشر بن أبي خازم من كبار شعراء بني أسد ومشاهيرهم ، ولكنّ شعره الذي وصلَ إلينا غير كثير . وشعره متين السبك بدوي المنحى . وقد اختار أبو زيد القرشي لبشر بن أبي خازم قصيدة عدّها في المجمهرات ، واختار المفضّل الضبّيّ هذه القصيدة نفسها مع ثلاث أخر في « المفضّليات » . ولبشر مدح وهجاء ورثاء ، وقد رثى نفسه يوم جرح وأيقن أنه ميّت . وله أيضاً حماسة وشيء من الحكمة والوصف ، منه وصف للسفينة ووصف للخيل . وفي شعره شبه بشعر عنترة أحياناً .

٣ – المختار من شعره :

– من مجمهرة بشر بن أبي خازم :

لِمَنِ الديارُ غَشِيتُها بالأنْعُم   تبدو معالمها كلون الارقم[١] –

---

١ غشيتها : جئت اليها . الانعم : اسم مكان . الارقم : حية فيها سواد وبياض .

لَعِبَت بها ريح الصَبا فتنكّرت   إلا بقيّةَ نُؤيها المتهدّم [1] .
دار لبيضاءِ العوارضِ طَفْلةٍ   مهضومة الكشحين ريّا المِعْصم [2] .
سائل تميماً في الحروب وعامراً ،   وهل المُجرّب مثلُ من لم يعلم؟
غَضِبت تميمٌ أن تُقتّل عامرٌ ،   يوم النسار ، فأُعقِبوا بالصَيْلم [3] .
نَعلو القوانسَ بالسيوف ونعتزي ،   والخيلُ مُشْعَلَةُ النحورِ من الدم [4] ؛
يَخْرُجْنَ من خَلَل الغُبار عوابساً   خَبَبَ السِباع بكل أكلفَ ضَيْغم [5] .
أقْصَدْنَ حُجراً قبل ذلك والقنا   شَرَعٌ اليه ، وقد أكبّ على الفم [6] .
ولقد خَبَطْنَ بني كِلاب خبطةً   ألحَقْنَهم بدعائم المُتَخيّم [7] .
وصلقْنَ كعباً قبل ذلك صلقة   بقَناً تَعاوَرُهُ الاكفّ مُقَوّم [8] .
حتّى سقيناهم بكأسٍ مُرّةٍ   مَكْروهةٍ حسواتُها كالعَلْقم [9] .

– ومن قصيدة لبشر بن أبي خازم فيها غزل وحماسة وحكمة :

ألا ظعنت لِطِيّتِها إدامُ ،   وكلُّ وصالِ غانية رِمامُ [10] .
جددتَ بحبّها وهَزَلت حتى   كَبِرت وقيل : إنّك مُستهام .

---

١ النؤي : الخندق يحفر حول الخيمة ملاصقاً لها ، وله جانب مرتفع يمنع دخول الماء اليها .
٢ العارضة : صفحة الوجه . طفلة : لينة الملمس . مهضومة الكشحين : نحيلة الخصر . ريا المعصم : ممتلئة الزنود من اللحم .
٣ النسار يوم (معركة) انتصر فيه بنو أسد على بني عامر بن صعصعة أحلاف بني تميم . الصيلم في الأصل الداهية ، الأمر الشديد (بمعركة أشد من معركة النسار) .
٤ نعلو : (نرفع السيوف فوق) ، القوانس : (جمع قونسة : الخوذة) ، ونعتزي : (نفتخر بذكر قومنا في المعارك) ؛ وقد كثر الدم على صدور الخيل حتى كأن النار تشتعل على صدور الخيل .
٥ كانت الخيل عوابس من شدة المعركة . الخبب : الجري . الضيغم : الاسد (الفارس البطل) . الاكلف : الذي يخالط السواد فيه البياض (اشارة إلى غبار الحرب على ذلك الفارس) .
٦ أقصدن حجراً (أصبن منه مقتلا) . حجر : والد امرئ القيس . قبل ذلك : قبل يوم النسار . القنا شرع اليه : الرماح مشرعة اليه ، موجهة اليه . أكب على الفم : سقط على وجهه (قتيلا) .
٧ خبطن بني كلاب : (السيوف) ضربت بني كلاب فانهزموا إلى دعائم المتخيم (إلى أعمدة خيامهم) كناية عن شدة الهزيمة .
٨ صلق وسلق : ضرب (بالعصا أو بالرمح) . القنا جمع قناة : الرمح . تعاوره ، تتعاوره ، (تتداوله ، يتنقل بين الأيدي – كناية عن اشتداد المعركة) . مقوم : مستقيم ، مثقف (كناية عن جودة الرماح) .
٩ الحسوة : ما يأخذه الانسان بفمه من المرق (كناية عن الطعن المتلاحق) . العلقم . نبات مر .
١٠ ظعنت : رحلت . الطية : المقصد ، وجهة السفر . ادام اسم المحبوبة . رمام : بال ، متهرئ . – وصال الغواني لا يدوم .

وقد تغنّى بنا – حيناً – ونغنى بها ، والدهر ليسَ لهُ دوام .
لياليَ تستبيك بذي غروبٍ كأنّ رضابه – وهْنا – مُدام [1] .
ألا أبلغْ بني سعدٍ رسولاً ومولاهم ، فقد حُلِبتْ صُرام [2] :
نسومكم الرشاد ، ونحن قوم – لتارك وُدّنا – في الحرب ذام [3] .
ألم ترَ أن طول الدهر يُسلي ويُنسي مثلَ ما نُسيتْ جُذام [4] .
وكانوا قومنا فبغَوْا علينا فسُقْناهم إلى البلد الشآم [5] .
وكنّا دونَهم حِصْناً حصيناً لنا الرأس المقدّم والسنام ،
وقالوا : لن تُقيموا إن ظَعَنّا ، فكان لنا – وقد ظَعَنوا – مُقام .

– ديوان بِشر بن أبي خازم (الدكتور عزة حسن) ، دمشق ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠.
* بروكلمان ، الملحق ١ : ٥٨ .

ذو الاصبع العَدْوانيّ

١ – اسمه حُرثان ، وهو من بني الظَرِب بن عمرو من بني يَشْكُر بن عَدْوان ، وإنّما كان لقبَه ذو الاصبع : قيل إن حيّة نَهشتْ إبهام قدمه فقطعها ، وقيل بل كانت له اصبع زائدة في رجله . وكان ذو الاصبع فارساً معدوداً فكانت له وقائع مشهورة . وقد أسنّ جدّاً حتى خرف ، وكانت وفاته نحو عام ٢٥ ق . هـ . (٥٩٥ م) .

٢ – ذو الاصبع من قدماء الشعراء في الجاهلية ، وهو شاعر وجداني أكثر

---

١ الغروب : الخطوط الظاهرة في الاسنان (في أيام الطفولة)، كناية عن الشباب. بذي غروب: أسنان (يقصد الفم). الرضاب : الريق ما دام في الفم . وهنا : بعد نصف الليل (والعادة أن تتغير رائحة الفم في الليل) . مدام : خمر .

٢ مولاهم : حليفهم، أحلافهم. صرام: آخر اللبن في ضرع الناقة . حلبت صرام (أي استنفدنا النصائح لكم في تجنب الحرب) ، كما نرى في البيت التالي .

٣ ذام : عيب (إذا حاربناكم هزمناكم فجلبتم العار على أنفسكم) .

٤ جذام : قبيلة قديمة من بني معد بن عدنان (أقدم جدود العرب المعروفين) .

٥ في هذا البيت اقواء (الميم مكسورة ويجب أن تكون مضمومة) . كانوا قومنا : أحلافنا وأصدقاءنا ، فسقناهم (أجليناهم من ديارهم) إلى البلد الشآمي (الشمالي) .

شعره في الفخر والحماسة والحكمة ، وله شيء من الطرد (في وصف السهام خاصة) . وشعره سهل التركيب ظاهر المعاني . وله وصاة إلى ابنه أسيد في نثر جيد .

٣ ــ المختار من شعره :

ــ كان فرعا بني عَدوان (بنو ناجي بن يَشْكُر وبنو عوف بن سعد) مختلفين يتقاتلان حتّى كادا أن يتفانيا . وكان لذي الاصبع ابن عم يعاديه ويؤلّب عليه الاعداء . فقال ذو الاصبع يلوم قومه ويقرّع ابن عمه في شيء من الفخر بنفسه وخلقه ومن التهكّم على ابن عمه وقوم ابن عمه :

لِيَ ابنُ عمّ ، على ما كان من خُلُقٍ ، مختلفان : فأقْليه ويَقْليني [١] .
أَزْرى بنا أننا شالت نَعامَتُنا فخالني دونه ، بل خلته دوني [٢] .
لاهِ ابنُ عمك، لا أفضلتَ في حَسَبٍ عنّي ، ولا أنت دَيّاني فتَخْزوني [٣] .
ولاَ تَقوتُ عيالي يومَ مَسْغَبَةٍ ، ولا بنفسك في العَزّاء تكفيني [٤] .
فان تُرِدْ عَرَضَ الدنيا بمنقصتي ، فان ذلك ممّا ليس يُشجيني [٥] .
لولا أواصرُ قُربى لستَ تحفظُها ، ورهبةُ الله في مَنْ لا يُعاديني ،
اذن بَرَيْتُك بَرْياً لا انجبار له ؛ إنّي رأيتُك لا تنفكّ تبريني .
إن الذي يَقْبِض الدنيا ويبسُطُها إن كان أغناك عنّي سوف يُغنيني .
ماذا عليّ ، وإن كنتم ذَوي رَحِمي ، ألاّ أحبَّكم إن لم تُحبّوني ؟
لو تشربونَ دَمي لم يَرْوَ شاربُكم ، ولا دماؤكم جَمْعا تُرَوّيني !
يا عمرو ، إلاّ تَدَعْ شتمي ومَنْقَصَتي أضْرِبْكَ حتّى تقولَ الهامةُ : اسقوني [٦] .

١ قلاه يقليه : كرهه ، أبغضه .
٢ أزرى بنا : عابنا ، نقص من قدرنا . شالت نعامتنا : افتقرنا ، تفرق أمرنا . بل خلته دوني (غ ٣ : ١٠٤) . في المفضليات : وخلته دوني .
٣ لاه : لله ، ما أحسنه ! الديان : القاضي الحاكم في أعمال الناس . تخزوني : تحملني بالقهر على ما تريد .
٤ المسغبة : الجوع . العزاء : السنة الماحلة الشديدة .
٥ إذا كنت لا تستطيع أن تكسب عيشك إلا بذمي والانتقاص مني فافعل ، فان ذلك حينئذ لا يحزنني .
٦ زعم الجاهليون أن الرجل إذا قتل ولم يؤخذ بثأره خرجت من رأسه هامة (طائر خرافي) ، تظل تصيح : « اسقوني (دماً) » حتّى يؤخذ بثأره . (يقصد الشاعر : أقتلك ولا يؤخذ بثأرك) .

عنّي إليك : فما أمّي براعيــةٍ ترعى المَخاضَ ، ولا رأيي بمَغْبون [1] .
إنّي أبيٌّ أبيٌّ ذو مُحافظةٍ ، وابنُ أبيٍ أبيٍ من أبيّينِ .
عَفٌ يَؤوس :إذا ما خفت من بلدٍ هُونا ، فلستُ بوقّافٍ على الهون .
كلُّ امرئٍ صائرٌ يوماً لشيمته ، وان تخلّق أخلاقاً إلى حين !
إنّي ، لَعَمْرُكَ ، ما بابي بذي غَلَقٍ عن الصديق ، ولا خيري بمَمْنون ،
ولا لساني على الادنى بمنطلقٍ بالفاحشاتِ ، ولا فَتْكي بمأمون .
وأنتم مَعْشَرٌ زَيْدٌ على مائةٍ فأجْمعوا أمرَكم طُرّاً فكيدوني [2] .
فإنْ عَلِمْتُم سبيلَ الرُشْدِ فانطلقوا ، وإن جَهِلْتُم سبيلَ الرشد فأْتوني !

٤ — الأصمعيات رقم ١٨ ، المفضّليات رقم ٢٩ ، ٣١ ، ٣١ مكرر .
غ (بولاق)٣:٢-١١ (٣:٨٩ — ١٠٩) .

صخر بن عمروٍ الشريد

١ — هو صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد من بني سُليم بن منصور من قيس عَيْلان ، كان رجلاً شجاعاً وسيّداً في قومه كريماً .

كان بنو خُفاف وبنو عَوف من بني سُليم متساندين (متحالفين) فاجتمع صخر بن عمرو في بني خفاف وأنس بن عبّاس الرَعْليّ في بني عوف وغَزَوَا قوماً من بني أسد بن خُزيمة وانتصرا عليهم . وسبى صخرٌ في تلك الغزوة بُدَيْلَةَ الأسديةَ واتّخذها زوجة له . ثم ان بني أسد بن خزيمة لحقوا ببني عوف وبني خفاف وأدركوهم في مكان اسمه ذو الأثْل . واستطاع أبو ثور ربيعة بن ثور الاسدي أن يطعن صخراً طعنة دخل بها عدد من حلَقات الدِرع في جسم صخر . وقيل اندمل الجُرح على هذه الحلقات مدّة ثم شُقّ عنها ، وقيل بن جَوِيَ (فسد) جرح صخرٍ فاعتلّ منه نحو عام ثم مات . ودفن صخر في أرض بني سُليم قرب المدينة عند جبل اسمه عَسِيب .

٢ — يبدو أن صخر بن عمرو الشريد كان شاعراً مقلاّ جداً ، غير أن شعره

---

[1] عني اليك : دعني ، اعلم مني . المخاض : النياق الصغيرة ....
[2] زيد على مائة : أكثر من مائة . كاده : مكر به .

وجداني سهلٌ عذبٌ ، ثم يبدو أن فنّه الرئيسي كان الفخر .

٣ ـ المختار من شعره :

ـ قيل ان امرأة سألت سلمى زوجة صخر (وقيل بل سألت زوجتَه الأخرى بُديلة الاسدية) عن حال صخر فقالت لها : لا حيّ فيُرْجى ولا ميْتَ فيُنْعى . وكانت أمه إذا سئلت عنه قالت : أصبح بنعمة الله سالماً . وقد قال صخر يصف تلك الحال :

أرى أمّ صخرٍ ما تَجفّ دموعُها ، وملّت سُليمى مَضْجَعي ومكاني .
وما كنتُ أخشى أن أكون جنازة عليكِ ؛ ومن يَغْتَرّ بالحَدَثان [1] !
فأيّ امرئٍ ساوى بأمٍّ حَليلةً فلا عاش إلاّ في شقاً وهَوانِ [2] .
أهمّ بأمرِ الحَزْمِ لو أستطيعُه وقد حيلَ بين العَيْر والنَزَوان [3] .
لعمري ، لقد أيقظتُ من كان نائماً وأسمعتُ من كانت له أذنانِ [4] .
فلو ان حَيّاً فائتُ الموتِ فاته أخو الحرب فوق القارح العَدَوان[5].

٤ ـ غ ١٥ : ٧٧ ـ ٧٩ ؛ الاصمعيات رقم ٤٧ (ص ١٦٣ ـ ١٦٤)

المنخّل اليشكريّ

١ ـ هو المُنخّل بن مسعود بن عامر بن ربيعة من بني يَشْكُرَ من بكر ابن وائل ، وكان جميلاً غَزِلاً مُغامراً ذا مكائدَ : كان يحب هند بنت المنذر (أخت عمرو بن هند) ، وكان يتّهم بامرأة لعمرو بن هند. أما حبّة للمتجردة (امرأة النعمان بن المنذر أبي قابوس) فمشهور جدّاً . ويبدو أن المنخّل هو

---

١ جنازة : أمر ثقيل على الناس ، يتأففون منه ويعجزون عن احتماله . يغتر بالحدثان : تخدعه الحوادث (يظن أنه يسلم من الحوادث والمصائب) .
٢ الحليلة : الزوجة .
٣ لعله يعني في هذا البيت قتل امرأته التي كانت تقول القول المذكور في مقدمة هذه الابيات . حيل بين العير (حمار الوحش) والنزوان (الوثوب على أتثاه) ، يقصد أنه أصبح عاجزاً عما يريد .
٤ لعله في هذا البيت يحرض بعض أهله على ما عجز هو عنه .
٥ لو كانت النجاة من الموت ممكنة بسبيل من السبل لنجا منه الذي يركب فرساً قوياً سريعاً (بفراره من المعارك حينما يبدو له أن الموت قريب منه) .

الذي أوقع بين النابغة والنعمان ، قيل حتى يستقل بمنادمته . ومات المنخّل قتلاً أو غيلة نحو عام ٥٩٧ م. ولا سبيل للأخذ بقول ابن قتيبة (ص ٢٣٩) من أن عمرو بن هند هو قاتل المنخّل .

٢ ــ المنخّل شاعر مقلّ اختار له أبو تمام في « الحماسة » قصيدة فيها غزل صريح وخمر وفيها حماسة ، ويبدو أنه قالها في هند بنت المنذر .

٣ ــ المختار من شعره :

إن كنتِ عاذلتي فسيري — نحوَ العراق ولا تحوري .
لا تسألي عن جُلّ ما — لي ، وانظري كرمي وخيري .
وفوارسٍ كأوارِ حــ — ـرِ النار أحلاسِ الذكور[1] ،
شَدّوا دوابرَ بَيْضِهم — في كل محكمة القتير[2] ،
واستلأموا وتلبّبوا ؛ — ان التلَبّبَ للمُغير[3] .
وعلى الجيادِ المُضْمَرا — تِ فوارسٌ مثل الصقور .
ولقد دخلتُ على الفتا — ةِ الخدْرَ في اليوم المَطير :
الكاعبِ الحسناء تَرْ — فُلُ في الدمَقْسِ وفي الحرير .
فدفعتها فتدافعت — مَشْيَ القَطاةِ إلى الغدير[4] ،
ولثمتُها فتَنَفّسَتْ — كتنفّس الظبي الغَرير[5] .
فدنت وقالت : « يا مُنَخّلُ ، ما بجسْمك من حَرور ! »
« ما شفّ جسمي غيرُ حُبّكِ ، فاهدئي عنّي وسيري » .
وأحبّها وتُحبّني ، — ويُحبّ ناقتَها بعيري .
ولقد شربتُ من المُدا — مة بالصغير وبالكبير[6] .
فإذا انتشيتُ فانني — ربّ الخَوَرْنق والسَدير[7] .

---

١ رب فوارس منا لهم توهج النار من اندفاعهم أحلاس الذكور (ملازمون لظهور الخيل) .
٢ ربطوا بيضهم (خوذاتهم) بدروعهم(خوفاً من سقوطها عند جري الخيل).محكمة القتير : كثيفة غبار الحرب.
٣ استلأم : لبس اللأمة (الدرع) . تلبب : تحزم (استعداداً للهجوم والاغارة) .
٤ القطاة : طائر سريع يقصد الماء من مكان بعيد (يقصد : استجابت لي بسرعة) .
٥ الظبي الغرير : الغزال الصغير (تنفست بسرعة) .
٦ بالقدح الصغير وبالقدح الكبير .
٧ انتشى:سكر.الخورنق والسدير : قصران للنعمان (يقصد : أصبحت كالنعمان ، ملكاً) .

وإذا صَحَوْتُ فــانّــني رب الشُويهةِ والبعير [1] .
يا هندُ ، مَــنْ لمتيّــمٍ - يا هند - للعاني الأسير ؟

٤ - الأصمعيّات رقم ١٤ .
غ (بولاق) ٩:١٦٦ (١١ : ١٤ - ١٥) ، ١٨:١٥٢ - ١٥٦ ؛ زيدان ١ : ١٨٢ - ١٨٣ .

اوس بن حجر

١ - أوْس بن حَجَر بن عَتّاب من بني نُمير بن تميم ، وأصله مــن البحرين . وقــد تطوّف أوْس في نجد والعراق ، وخصوصاً في بَلاط الحيرة . وهو الذي حضّ عمرو بن هند على الأخذِ بثأرِ أبيه المنذر بن ماء السماء ، وكان الحارث بن جَبَلة الغسّانيّ قد قتله في المعركة المعروفة بيوم حليمة (٥٥٤ م) لأن أباه حَجَراً قتل أيضاً في ذلك اليوم .

وانقطع أوْس إلى أبي دُليجة فُضالة بن كَلَدة الاسدي يمدحه ، ثم رثاه لما مات . وعاصر أوسٌ طفيلَ بن مالك ووصف هربه يوم السوبان . وكان أوس قد تزوّج أم زهير بن أبي سلمى . وعاش أوس دهراً طويلاً ، ثم مات ، فيما يبدو ، قبيل ظهور الاسلام .

٢ - كان أوس بن حَجَر من فحول الجاهلية ، ومن الذين يأخذون شعرهم بالاصلاح والتنقيح . وكان أوس غَزِلاً مُغْرَماً بالنساء يجيد الغزل . واشتهر أيضاً بالطَرْد (وصف الصيد والحُمُر ، ووصف السلاحِ ولا سيما القوس) ، وكان يمدح تكسباً ويمدح للشكر ويحسن الرثاء ويكثر القول في الحكمة، وخصوصاً في مكارم الاخلاق . وكان أوس يرى أن الاستعداد للحرب من الصواب . وقد كان الشعراء يأخذون أبياتاً له ويتداولون معانيَهُ ، وتبدو معظم خصائص أوس ابن حَجَر واضحة عند زهير بن أبي سلمى ، وكان زهير راويةً له .

---

[1] الشويهة : الشاة الصغيرة (كناية عن الفقر والمسكنة) .

٣ – المختار من شعره :

– قال أوس بن حجر يرثي فضالة بن كلدة :

أيتُها النفسُ ، أجملي جزَعاً ، ان الذي تكرهين قد وقعا .
إن الذي جمع السماحةَ والنجْـ ـدة والحزم والقوى جُمعَا
أودى ، وهلْ تَنْفع الاشامة مِنْ شيء لِمَنْ قد يحاول النزَعا [١] :
الالمعيّ الذي يَظُنّ لك الظنّ كأنْ قد رأى وقد سَمِعا ؛
المُخلِفُ المُتلف المُرزّأ لم يُمتَع بضعف ولم يمتْ طبَعا [٢].

– ومن حكمه الرائعة في تقريع قومه :

ورِثْنا المجد عن آباء صدْقٍ أسأنا في ديارِهِمُ الصنيعا .
إذا الحَسَبُ الرفيعُ تواكلتْهُ بُناةُ السوء أوشك أن يَضيعا [٣].

– وقال يذكر الثورَ والكلابُ تتبعه (وقد ألمّ النابغة بمعانيه وألفاظه في ذلك) :

ففاتَهُنّ ، وأزْمَعْنَ اللحاقَ به كأنهنّ بجَنْبَيه الزنابيرُ .
حتى إذا قلتُ نالتْهُ أوائلُها – ولو يَشاء لنَجّته المثابير [٤] –
كرّ عليها ، ولم يَفْشَلْ ، يُمارسها كأنّه بِتَواليهنّ مسرور [٥] .
يَشُلّها بذَليقٍ حدُّهُ سَلِبٍ ، كأنّه حين يعلوهن موْتور [٦] .
ثمّ استمرّ يُباري ظلّه جَذِلاً كأنّه مَرْزُبانٌ ، فاز ، محبور [٧] .

---

١ الجمع جمع جمعة : مجموع . – جمع منها جمعاً كثيراً .
٢ الا شامة : صدق الحملة في الحرب . لمن يحاول النزعا : الحائن (من حان موته) .
٣ تواكلوا : اتكل بعضهم على بعض . – إذا اعتمد كل انسان على غيره في المحافظة على المجد لم يحفظه أحد فيتعرض للضياع .
٤ الشطر الأول أخذه النابغة . المثابير ....
٥ فشل : ضعف . يمارسها : يعانيها ، ينازلها ، يقاتلها. كان مسروراً بتواليها عليه واحداً بعد واحد وبالتغلب عليها (كأنه في رياضة يفوز فيها) .
٦ يشلها : يرفعها . ذليق : (قرن) حاد . حده سلب (بفتح السين وكسر اللام) : طرفه يتحرك بسرعة (كناية عن اثخانه الجراح فيها) .
٧ استمر : تابع طريقه (نجا من الكلاب) . يبارى ظله : يعدو بسرعة . المرزبان : رئيس الفرس ، حاكم عسكري في فارس .

– وله قصيدة مشهورة طواها على فخر وحكمة ووصف للسلاحِ وحضٍّ على الاستعداد للحرب :

ولا أعتِبُ ابنَ العمّ ان كان ظالما ، وأغفر منه الجهلَ ان كان أجهلا [1].
وإن قال لي : « ماذا ترى » ؟ يستشيرني ، يَجِدْني ابنُ عمي مِخلَطَ الامر مِزْيَلا [2]
أقيم بدار الحزم ما دام حزمُها ؛ وأحرى إذا حالت بأن أتحوّلا [3].
وإني امرؤ أعددتّ للحَرب – بعدما رأيت لها ناباً من الشر أعضلا [4] –
أصمَّ رُدَيْنِيّاً كأنّ كعوبَه نَوَى القَسْبِ عَرّاصا مُزَجّا مُنصَّلا [5] ،
وأبيضَ هِندِيّاً كأن غِراره تلألؤُ برق في حُبِيِّ تَكَلّلا [6].
فذاك عَتادي في الحروب إذا التظت ، وأردفُ بأسٌ من حروب وأعجلا .
فانّي رأيت الناس الا أقلّهم خِفافَ العهودِ يكثِرون التنقّلا .
وهم لمُقِلِّ المال أولاد علّة ، وان كان محضاً في العمومة مُخْوِلا .
وليس أخوك الدائمُ العهدِ بالذي يَذُمّك ان ولّى ويُرضيك مُقبِلا ،
ولكنّه النائي إذا كنتَ آمناً ، وصاحبُك الأدنى إذا الأمر أعضلا.

٤ – ديوان أوس بن حَجَر (جمع اشعاره ونقلها إلى اللغة الالمانية رودولف غاير) ... ١٨٩٢ .
ديوان اوس بن حَجَر (تحقيق وشرح يوسف نجم) ، بيروت ١٩٦٠

* بروكلمان ١ :١٨ – ١٩ ، الملحق ١ :٥٥ .

---

١ أعتبه : عاتبه ، رضي عنه ، عفا عنه .
٢ مخلط مزيل (كلاهما بوزن مفعل بكسر الميم وفتح العين) : فاتق راتق(بصير بالامور قادر عليها، يضر وينفع) .
٣ اقيم بالمكان الذي أستطيع أن أكون ذا رأي (حازم) فيه ؛ والاليق بي إذا تبدلت الحال في ذلك المكان أن انتقل منه .
٤ أعضل : شديد .
٥ أصم : (رمح) قصبته مصمته (مملوءة ، قصبة فارسية) . رديني : نسبة إلى ردينى (امرأة اشتهرت بتثقيف الرماح ، أي تقويمها) . الكعوب : العقد التي في القصب. نوى (بزر)القسب (التمر اليابس). عراصا : لدناً ، ليناً . مزجا : له زج (بكسر الزاي) : حديدة في أسفله . منصلا : له نصل (سنان في رأسه) ؛ يقصد رمحا جديداً كاملا .
٦ أبيض هندي : سيف . غراره : حده . حبي (بفتح الحاء أو ضمها وبكسر الباء بعدها ياء مشددة) : السحاب ، الغيم . تكلل : كان بعضه فوق بعض .

قسّ بن ساعدة الإياديّ

هو قَسّ بن ساعدة بن عمرو بن عَدِيّ من بني إياد ، كان أُسْقُفَ نَجْران كثيرَ الزهد في الدنيا : يقال إنه فَقَدَ أخوين له ودفنهما بيده ، فحمله ذلك على الانصراف عن الدنيا مرةً واحدة . وكان قَسّ بن ساعدة يَحْضُرُ عكاظ ويخطب في التزهيد والتخويف . ويبدو أيضاً أنه كان يزور بلاد الروم .

وتوفّي قَسّ بن ساعدة نحو عام ٢٢ ق. هـ. (٦٠٠ م) .

مختارات من شعره ونثره :

قيل إن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى قَسّ بن ساعدة يخطب في سوق عُكاظ ويقول [١] : أيّها الناسُ ، اجتمعوا واسمعوا وعُوا . من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آت .... آياتٌ مُحْكَمات : مطر ونبات ، وآباء وأمّهات ، وذاهب وآت ، ضوء وظلام ، وبِرّ وآثام ، لِباس ومركب ، ومطعم ومشرب ، ونجوم تمور ، وبحور لا تغور [٢] ، وسقف مرفوع ، وليل داج ، وسماء ذات أبراج [٣] . ما لي أرى الناس يموتون ولا يَرْجِعون : أرَضُوا بالمُقام فأقاموا ، أم حُبسوا فناموا ؟... يا معشرَ إياد ، أين ثمودُ وعاد ، وأين الآباء والأجداد ؟ أين المعروف الذي لم يُشْكَر ، والظلم الذي لم يُنكرْ ؟ ....

في الذاهبين الأوّليـــ ـــن من القرون لنا بَصائِرْ .
لمـا رأيت مـــوارداً للموت ليس لها مصادر ،
ورأيت قومي نحوهـا يمضي الاصاغر والاكابر —
لا يَرْجِعُ المـاضي ولا يبقى من الباقين غابِرْ [٤] —
أيقنتُ أني ، لا مَحـا لةَ ، حيث صار القوم صائر !

غ ١٤ : ٤١ — ٤٤ .

---

١ من البيان والتبيين ١ : ٣٠٨ — ٣٠٩ .
٢ مار يمور : يتحرك . يغور : يذهب ماؤه ، ينضب .
٣ داج مظلم . ابراج : منازل الكواكب في السماء .
٤ غابر : باق .

حاجب بن زرارة

كان حاجب بن زُرارة بن عُدُس من بني دارم بن تميم ، وكان فارساً شجاعاً وسيّداً في قومه . ولكن أخاه لَقيطاً كان أبرز منه ، واليه كانت قيادةُ تميم حتى سقط قتيلاً في يوم شِعْب جبَلة ، نحو عام ٥٥٣ م . وفي ذلك اليوم أيضاً وقع حاجب أسيراً (الكامل ١٣٠ ، راجع ١٢٩ ، ٢٧٣ — ٢٧٤ ، غ ، دار الكتب ١١ : ١٥٠ — ٥٢) .

واشتهر حاجب بن زرارة بوفادته على كسرى الأول أنوشروان (٥٣١ — ٥٧٩ م) في شأن مراعي بني تميم على ضِفاف الفرات : كان بنو تميم مُعْتَدّين بأنفسهم لكَثْرة عددهم ولشَوْكتهم ، فكانوا لا يكتفون بالمراعي التي خصّهم كسرى بها ، بل يَعْتدون على المراعي الخاصّة بغيرهم . من أجل ذلك منع كسرى بني تميم من ارتياد ريف العراق كله ، فأخذهم القحط وكادوا يَهْلِكون . فوَفَد حاجب بن زرارة على كسرى يطلب منه السماح لبني تميم بالرعي في ريف العراق ، فطلب كسرى منه ضَماناً بألاّ يَعودَ بنو تميم إلى الاعتداء على المراعي المخصوصة بجيرانهم ، فأعطاه حاجب قوسه رهناً ؛ ووفتْ بنو تميم بما تعهّدَ به حاجب .

وأدركَ حاجب بن زرارة يوم النِسار بين بني أسد وبني تميم وانهزم هارباً فعيّره بذلك بشر بن أبي خازم .

وكان حاجب بن زرارة حكيماً مشهوراً وخطيباً بارعاً ، وصف ابن أخيه القعقاعَ بن مَعْبد بن زرارة يوماً فقال :

« والله ، ما القعقاعُ برطبٍ فيُعصَر ولا يابساً فيكسرَ » .

ورَوَوْا أن حاجب بن زرارة قال عند كسرى :

« قد علمت العرب أنّا فَرْع دِعامتها وقادة زَحْفها . لأنّا أكثر الناس عديداً ، وأنجبهم طُرّاً وليدا . وإنّا أعطاهم للجزيل وأحملهم للثقيل » .

وكان لحاجب شعر (غ ١٠ : ٢٠ = ١١ : ٩٨ — ١٠٢) .

---

١ الاعلام للزركلي ٢ : ١٥٣ ؛ راجع الاصابة ١ : ٢٧٣ ، ٢ : ١٨٧ .

قيل إن حاجب بن زُرارة خَطَبَ عند كسرى ، في المدائن [1] ، يفتخر بالعرب :

وَرِيَ زَنْدُكَ ، وعَلَتْ يَدُكَ ، وهيبَ سُلْطانُكَ . إن العرب أمّة قد غَلُظَتْ أكبادُها ، واستَحْصَدَتْ مِرّتها ، ومُنِعَتْ دَرّتها ، وهي لك وامقةٌ ما تألَفْتَها ، مُسترسلةٌ ما لاينْتَها ، سامعةٌ ما سامحتَها [2] . وهيَ العَلْقَمُ مَرارةً ، والصابُ غَضاضةً ، والعسل حَلاوةً ، والماء الزلالُ سَلاسَةً . ونحن وفودُها اليك ، وألْسنَتُها لَدَيك : ذِمّتُنا محفوظة ، وأحسابنا ممنوعة [3] ، وعشائرنا فينا سامعةٌ مُطيعة . أنْ نَؤُبْ ، لَكَ حامدينَ خيراً ، فلَكَ بذلكَ عمومُ مَحْمَدَتِنا ، وان نَذُمّ لم نُخَصّ بالذمّ دونها [3] .

طُفَيْلُ الغَنَويّ

١ — هو أبو قُرّان طُفيلُ بن عَوْفِ بن ضُبيسِ بن دُليف بن كعب بن عوف بن كعب بن جِلاّن بن غَنْم بن غَنِيّ بن أعْصُر .

كانت قبيلة غنيّ قبيلةً صغيرة من قيسٍ لا تَقْدِر على أن تدْفع الغارات عن نفسها فعاشت في جوار بني جعفرِ بن كلابٍ أقوى قبائل بني عامر عَصَبيّةً . ولم يَثْبُتْ بنو غنيّ في مكان واحد : كانتْ مساكنُهم الأولى قريبة من مكّةَ ثم رَحَلوا إلى نجد ونَزلوا في جوارِ بني جعفر بن كلاب ، إلى الجنوب الشرقي من جبال طيِّءٍ ، على مَقْرُبَةٍ من مدينة حائلٍ اليومَ . وكان بين بني غنيّ

١ كانت المدائن العاصمة الشتوية للفرس ، وهي اليوم على نحو عشرين ميلا شرق بغداد .

٢ ورى زندك : لا زال زندك (الزند : الحديدة تقدح بها النار من الحجارة) قادراً على اشعال النار ، لا زلت موفقاً صائب الرأي . استحصدت مرتها : استحكمت قوتها وعظمت . ومنعت (بالبناء للمجهول) درتها : قل لبنها ، أمحلت بلادها (؟) . وامقة : محبة . تألفتها : أحببتها ، أحسنت اليها . مسترسلة : مستمرة .

٣ العلقم والصاب : نبات مر . غضاضة : احتمال الذل والمكروه (يشق على الانسان أن يصبر على عداوتنا) . ذمتنا محفوظة : قومنا الذين نتكلم باسمهم يقرونا على ما نقول . أحسابنا ممنوعة : أعمالنا (ومقامنا في قومنا) محمية ، مدافع عنها ، لا يشك أحد فيها . ان نؤب ..... الخ : ان مدحناك عند قومنا مدحوك هم أيضاً ، وان ذممناك لم نكن وحدنا الذين ذممناك (بل تذمك عشائرنا أيضاً) ؛ او : إن نذم (لأننا لم ننجح عندك) فان قومنا سيذمونك ايضاً .

وبين طيّء غارات أشهرها وأعظمها يوم المُحَجَّر ، وقد شَهِدَ طفيلٌ هذا اليومَ .

ثم نَشَبَتِ العداوةُ بين بني غنيّ وبني جعفر بن كلاب لمّا قتل رجل من بني غنيّ رَجُلاً من بني عامر هو عُروة الرحّال ، قُبيل عام ٥٨٥ م.[1] من أجل ذلك ترك بنو غني جوار بني جعفر بن كلاب ورحلوا متّجهين نحو الشرق حتّى نزلوا جَنوبَ اليمامة ونزلوا في جوار بني سعد بن عوف (في قَوّ ورَمْلة عالج وخَبْت) . ثم انهم عادوا إلى ديارهم السابقة على مقربة من العراق . ولقد شَهِدَ طفيلٌ كلّ هذه المشاهد .

كان طفيل الغَنَوي شجاعاً فارساً وكان يتعهّد تربية الخيل وتضميرها لأهلها (بأجْر) . وهو بلا شك شاعر جاهلي ، ويبدو أنه شهد نهاية القرن السادس للميلاد وتوفّي قبل الإسلام ، وكان أسَنّ من النابغة .

٢ – طُفيل الغَنَوِيّ شاعر جاهليّ من الشعراء الفحول المعدودين ، وقد أخذ منه (قلّده وأخذ من معانيه) شعراءُ كثيرون منهم النابغةُ وزهيرٌ . وكان الأصمعي يقول : طُفيل عندي في بعض شعره أشعر من امرئ القيس . أما فنون شعره فهي الأدب (الحكمة) والفخر والحماسة والمدح والرثاء والوصف والغزل . وقد كان يُجيد وصفَ الخيل حتى سمّوهُ «زيد الخيل» لكثرة وصفه للخيل ، كما سُمّي «المُحَبِّر» لحسن وصفه إيّاها .

٣ – المختار من شعره :

– قال طفيلٌ الغَنَوِيُّ في الفخر :

وبيتٍ تَهُبّ الريحُ في حَجَراته ... بأرضٍ فضاء بابُه لم يُحَجَّب[2]

سماوته أسمال بُرْدٍ مُحَبَّرٍ ... وصهوته من أتْحَمِيٍّ مُعَصَّب[3]

---

[1] ان الذي قتل عروة الرحال كان البراض (بتشديد الراء) بن قيس الكناني (راجع تاريخ الجاهلية للمؤلف ، ص ١٣٠ – ١٣١) .

[2] الحجرات جمع حجرة (بفتح الحاء) : الناحية – البيت واسع إلى درجة أن الريح تهب فيه كما تهب في الأمكنة المكشوفة) . أرض فضاء : أرض واسعة لا بناء فيها . بابه لم يحجب : لم يوضع عليه حجاب ، حاجب أو يقفل (كناية عن الكرم) .

[3] سماوته : أعلاه ، سقفه . الأسمال : الثياب الخلقة (بفتح الخاء وكسر اللام) المتهرئة . البرد : الثوب يلبس فوق غيره . محبر : ثوب فيه وشي (يقصد: سقوف بيوتنا مصنوعة من بقايا أثوابنا الحريرية الموشية ، =

وأطنابُه أرسان جُرْدٍ كأنّها صدور القنا من بادئ ومُعَقَّب[1] ،
نَصَبْتُ على قَوْمٍ تُدِرّ رِماحهم عروقَ الاعادي من غرير وأشيب[2] !

— وقال يرثي نَفَراً من قومه :

تأوّبَني هَمّ من الليلِ مُنْصِبُ ، وجاء من الأخبار ما لا أكذّبُ[3] ؛
تَتابَعْنَ حتّى لم تكن ليَ ريبةٌ ، ولم يك عَمّا خبّروا مُتَعقَّب[4] .
وكان هُريم من سِنان خليفةً وحصنٍ ومن أسماءَ ، لمّا تغيّبوا[5] .
أشمّ طويل الساعدين كأنّه فَنيقُ هِجانٍ في يديه مُركَّب[6] .
كواكبُ دَجْنٍ كلّما انْقضّ كوكبٌ بدا — وانْجلَى عنه الدُجُنّةُ — كوكب[7]
لَعَمْري ، لقد خَلّى ابن جندعَ ثُلمة ؛ ومن أين — إنْ لم يَرْأبِ اللهُ — تُرْأب[8] !

= كناية عن سعة ثيابهم وكثرتها (أو مصنوعة من ثيابنا التي استغنينا عن لبسها وأصبحنا نعدها نحن أسمالا) بينما هي جديدة متينة (لأننا لا نلبس الثياب مدة طويلة) . صهوته : المكان الذي نجلس عليه في بيوتنا (تشبيهاً له بصهوة الحصان) . الاتحمي : برد (ثوب) حرير مخطط بصفرة (رقيق النسج !) . معصب : مشدود بعصائب من حرير !

١ الاطناب : قطع من خشب ترز في الأرض وتشد اليها أطراف الخيمة . أرسان جرد : (مربوطة) بأرسان خيل (بحبال جديدة ومتينة كانت أرسان لخيولنا ثم استغنينا عنها وهي لاتزال جديدة متينة). كأنها صدور القنا (الرماح) : لا تزال ملساء لأنها جديدة . البادئ : الحصان الذي غزا للمرة الأولى . المعقب : الحصان الذي ذهب إلى الغزو مرة بعد مرة .

٢ أنزلت فيه قوما شجعانا يتغلبون في الحرب على الشبان (الاشداء) وعلى الشيوخ (الحكماء) !

٣ تأوبني : جاءني مرة بعد مرة . منصب : متعب ، شديد . خبر لا يكذب : خبر الموت .

٤ تتابعن : توالت الاخبار واحداً بعد واحد . حتى لم تكن لي ريبة : حتى انتفى كل شك . متعقب : بحث للتحقق من صحة الخبر أو كذبه .

٥ كان هريم بن سنان يرجى أن يسود قومه بعد أبيه سنان وبعد حصن بن يربوع واسماء بن واقد (من قوم الشاعر طفيل الغنوي) ، وكان بنو عبس قد قتلوا هريماً . لما تغيبوا : بعد ان ماتوا .

٦ أشم : عالي قصبة الانف (كناية عن الشرف وكرم الاصل) . طويل الساعدين : قادر على أن يصل بالرمح أو السيف إلى أعدائه في المعركة (من غير أن يصلوا هم اليه — لطول ساعديه وقصر سواعدهم) . كأنما فنيق: (كأنما له يداً جمل كريم الأصل !)

٧ كواكب دجن (يوم ذي غيم ، مظلم) : رجال وجهاء في قومهم ، كرام ، شجعان . كلما انقض كوكب : كلما مات أو قتل سيد منهم . بدا كوكب : ظهر فيهم سيد جديد . انجلى عنه الدجنة (الظلام) : ظهر من حيث لا ينتظر الناس أن يظهر .

٨ لقد خلى ابن جندع ثغرة : ترك بموته منفذاً إلى قومنا لا يستطيع أحد أن يسده أو يدافع عنه . ومن أين.... : وإذا لم يسد الله هذه الثغرة (بضم الثاء) فلن يستطيع أحد أن يسدها .

ندامايَ أمْسَوْا قد تَخَلَّيْتُ عنهمُ ، فكيف ألَذّ الخمرَ أم كيف أشربُ[1] !
مَضَوْا سَلَفاً قَصْدَ السبيلِ عَلَيْهِمُ ؛ وصَرفُ المنايا بالرجال تَقَلَّبُ[2] .

— وله في الرثاء أيضاً :

وما أنا بالمُسْتَنْكِرِ البَيْنَ ، إنّني بذي لَطَفِ الجيران قِدْماً مُفَجَّعُ[3] .
جَديرٌ به من كلّ حيّ صَحِبْتُهُمْ ، إذا أنَسٌ عَزّوا عليَّ تَصَدّعوا[4] .
وإنّيَ بالمولى الذي ليس نافعي — ولا ضائري فُقْدانُه — لَمُمَتَّعُ[5] .

٤ — ديوان طفيل الغنوي (حرّره فريتس كرنكو) ، لندن ١٩٢٧ م .

** غ ١٥ : ٣٤٩ — ٣٥٥ ، الوحشيّات ، بروكلمان ؛ الملحق ١ : ٥٩ .

النابغة الذبياني

١ — النابغة هو زِياد بن مُعاوية بن سعد بن ذُبيان ، ولذلك يُعرف بالنابغة الذبياني تمييزاً له من النابغة الجَعْدي ونابغة بني شَيْبان وسواهما . وقيل : سُمّيَ النابغةَ لأنه قال الشعر بعد أن تقدمت به السن .

اتصل النابغة ببلاط الحيرة في نحو عام ٩٢ ق. ه. (٥٣٠ م) ، في نحو العام الذي توفي فيه المُهَلْهِل ، ليمدح المنذر بن ماء السماء . ولكن لمّا جاء عمرو بن هند إلى عرش الحيرة (٦٨ ق. ه. = ٥٥٤ م) وقعت بينه وبين النابغة

---

١ كانوا ندماناً لي ثم أجبرني الموت على أن أتخلى عنهم . لذ الشارب (فاعل) الخمر (مفعول به) : وجد طعمها لذيذاً .

٢ مضوا سلفاً : ذهبوا (ماتوا) من قبل . قصد السبيل : في السبيل (الطريق) المقدر على جميع الناس . وصرف المنايا بالرجال تقلب : الموت يتقلب في اللعب بالناس (يقدم بعضم على بعض : قد يموت الصغير قبل الكبير والسقيم قبل الصحيح) .

٣ لا أستنكر (أستغرب) البين : البعاد ، الموت . لطف الجيران : الجيران الذين كنت على وفاق في الحياة معهم . قدماً : منذ زمن قديم. مفجع : ثاكل ، فاقد (تعودت منذ زمن قديم أن يموت أصدقائي وأهلي واحد بعد واحد ، فاذا مات أحد من جديد فلا أستغرب أبداً) .

٤ جدير به : خليق به ، يصاب به (بالموت) . إذا أنس .... : كلما اتصلت المودة بيني وبين نفر من الناس تصدعوا (تشققوا ، شقهم الموت عني وفصلهم ، ماتوا) .

٥ غير أن الاشخاص الذين لا تنفعني حياتهم ولا يضرني موتهم يبقون حولي أحياء !

وحشة ، فغادر النابغة الحيرة متوجهاً إلى جِلّق (حُوران) ليمدح الغساسنة ، ثم تُوُفّيَ عمرو بن هند (٥٣ ق. هـ. = ٥٦٩م) فعاد النابغة إلى الحيرة واتّصل بالنعمان أبي قابوس فمدحه وحَظِيَ عنده ونال من عطاياه شيئاً كثيراً .

ثم اتّفقَ أنْ غَضِبَ النعمان أبو قابوس أيضاً على النابغة : قيل إن النابغة وصف المُتَجَرِّدَةَ زوجةَ أبي قابوس ، وقيل بل اتّصل بأبي قابوس أن النابغة هجاه ، وقيل بل كان ذلك كلّه وشاية . وخاف النابغة فهَرَبَ من الحيرة إلى بلاط الغساسنة وانقطع إلى عمرو بن الحارث وأخيه النعمان يمدحهما ، فزاد ذلك في غضبِ أبي قابوس وأرسلَ إليه يُعاتبه بقوله : « إنّكَ صِرتَ إلى قومٍ قَتَلوْا جَدّي فأقمت فيهم تمدحهم ! » ثم إنّ نفس النابغة نازعته إلى عطايا النعمان أبي قابوس فأخَذَ بمدحه والاعتذار اليه . ولكن النعمان لم يرضَ عنه .

وتوفّي النابغة في سنة ١٨ ق. هـ. (٦٠٤م) ، قبل النعمان أبي قابوس بثلاث سنوات ، وكان قد أسنّ جداً .

٢ — النابغة شاعر حضري لأنّه عاش أكثر حياته في بلاط المناذرة وبلاط الغساسنة ، من أجل ذلك تجد في شعره رقّة الحضارة من فصاحة في اللفظ وعذوبة وسهولة في التّركيب ، بالاضافة إلى شعراء البادية كامرئ القيس وطرفة . واحتج من قدّم النابغة على غيره من شعراء الجاهلية بأنه كان أوضحهم معنىً ، وأبعدهم غايةً (أي أنه يتطلب معانيَ جديدة بعيدة عن تلك التي ألفها الشعراء » كثير الفائدة (أي انه كثير المعاني في قليل من التراكيب) . وزاد ابن رشيق فقال (١ : ٨١ — ٨٢) : « كان أحسنَهم ديباجةَ شعرٍ ، وأكثرهم رونق كلام ، وأذهبهم في فنون الشعر ، وأكثرهم طويلة جيدة (أي ان قصائده الطوال جياد) وأحسنهم مدحاً وهجاء وفخراً وصفة (وصفاً) .. وكان زهير والنابغة من عبيد الشعر ، ... يتكلّفان إصلاحه ويشغَلان به حواسّهما وخواطرهما ... بالتنقيح والتثقيف » .

واشتهر النابغة بالمديح والاعتذار ، وهما فنّان حَضَريان . ولقد تكَسّب بالشعر وألحف في التكسّب حتى سقط في عيون معاصريه وفي عيون النقّاد . وكذلك أذل نفسه في اعتذاره للنعمان ، ولكنه خلق في الشعر العربي فنّاً جديداً .

وكذلك برع النابغة في الأوصاف البدوية (كوصف الحية) وفي الأوصاف الحضَرية خاصّة (كوصف العيد والصّيد للّهوِ ، ووصف السفر في النهر ووصف الجيش الذاهب إلى الحرب) . وله هجاء قبَلي وشيء من الحكمة المستجادة .

ورثاء النابغة قليل ولا عاطفةَ فيه اذ هو باب من أبواب مديحه يحاول أن يتكسّب به أيضاً . وغزله تقليديّ يأتي في مطالع القصائد . وله مَثَلَ الرجل والحية ، وهو من القَصَصِ الخُرافي الذي يَقِلّ في الشعر الجاهليّ .

٣ – المختار من شعره :

– لمّا هَرب النابغة من النعمان جاء إلى جلّق فمدح عمرو بن الحارث الغسّاني بقصيدة عرّض فيها بالمناذرة ، وخصوصاً في ذكر يوم حليمة : يومَ ذبح الحارث الغسّاني خصمه المنذرَ الثالث ملك الحيرة :

كِليني لهمٍّ ، يا أُميمةَ ، ناصبِ وليل أقاسيه بطيء الكواكب [١] .
تطاول حتى قلت ليس بمنقضٍ وليسَ الذي يَهْدي النجوم بآيب [٢] .
عليّ لعمرو نعمةٌ ، بعد نعمةٍ لوالده ، ليست بذات عقارب [٣] .
وثِقت له بالنصر إذْ قيلَ قد غزتْ كتائبُ من غسّانَ غير أشائب [٤] ..
إذا ما غزوْا بالجيش حلّقَ فوقهم عصائبُ طيرٍ تَهتدي بعصائب [٥] ،
جوانحَ قد أيقنّ أنّ قبيلهُ ، إذا ما التقى الجمعان ، أولُ غالب [٦] .
ولا عَيْبَ فيهم غير أنّ سيوفهم بهنّ فُلولٌ من قِراع الكتائب [٧] .
تُورِّثْنَ من أزمان يوم حليمةٍ إلى اليوم قد جُرِّبْنَ كلّ التجارِب [٨] .

١ كليني : اتركيني ، دعيني . حق (اميمة) ان تكون مبنية على الضم لأنها منادى مقصود بالنداء ولكنها رويت بالفتح (راجع الاغاني ١١ : ١٦ – ١٧) ناصب : منصب ، متعب . بطيء الكواكب : طويل، لا تغرب نجومه بسرعة .
٢ التي تهدي النجوم : النجوم التي تطلع « تظهر » في أول الليل . آيب : راجع إلى مسقط رأسه « غائب » .
٣ لم يلحقها منّ ولا أذى .
٤ اشائب : اخلاط – يقصد ان الغازين هم من بني غسان فقط .
٥ عصائب جمع عصبة : جماعة .
٦ جوانح : مائلات .
٧ فلول : ثلوم . القراع : القتال .
٨ يوم حليمة معركة انتصر فيها الغساسنة على المناذرة في سهل قنسرين (شمالي سورية) .

لهم شيمةٌ لم يُعطِها اللهُ غيْرَهُم ... من الجود والاحلام غير عوازب [1] .
محلّتهم ذات الإله ، ودينهم ... قويمٌ فما يرجون غير العواقب [2] .
رقاق النعال طيّبٌ حُجزاتُهم ... يُحيّون بالرّيحان يوم السباسب [3] :
تُحيّيهم بيض الولائد بينهم ... وأكسية الأضريج فوق المشاجب [4] .
يصونون أجساداً قديماً نعيمُها ... بخالصة الأردان خضر المناكب [5] .
ولا يحسَبونَ الخير لا شرّ بعده ، ... ولا يحسبون الشرّ ضربة لازب [6]

— وقال النابغة يمدح النعمان أبا قابوس ويعتذر اليه ويبرّر زيارته لبلاط الغساسنة :

أتاني ، أبيْتَ اللعنَ ، انك لُمْتَني ؛ ... وتلك التي أهتمّ منها وانصَبُ !
فبِتّ كأنّ العائدات فرشْنَ لي ... هِراساً به يُعلى فراشي ويُقشَب [7] .
حلَفْتُ ، فلم أترك لنفسكَ ريبة ... — وليْس وراء الله للمرء مذهب —
لئن كنتَ قد بُلّغتَ عني خيانةً ... لَمُبْلغك الواشي أغشّ وأكذبُ .
ولكنني كنت امرَأً لي جانب ... من الأرض فيه مُستَراد ومذهب :
ملوك وإخوان إذا ما أتيتُهم ... أحكّم في أموالهم وأقرّبُ ،
كفعلك في قوم أراك اصطفيتهم ... فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا .
فلا تترُكنّي بالوعيد كأنني ... إلى الناس مَطْليّ به القارُ اجرب :
ألم ترَ ان الله أعطاك سُورة ... ترى كل مَلْك دونها يتذبذب [8] ؟

---

١ شيمة : عادة . الاحلام : العقول . عوازب : بعيدون .

٢ محلتهم ذات الاله : سلوكهم يرضي الله — ؟.. العواقب : العواقب الحميدة .

٣ رقاق النعال : كناية عن الغنى والنعمة ، لا يجعلون نعالهم صفيقة بل رقيقة . حجزاتهم : ما يحجز بين بيوتهم ، كناية عن العفاف . السباسب : عيد الشعانين .

٤ الولائد جمع وليدة : الجارية . الأضريج : الحرير الاحمر ، الارجوان . المشجب : ما تعلق عليه الثياب — يعني انهم يوم عيدهم ينشرون اثواب الحرير (يزينون بها بيوتهم) وتقف الجواري لتحيتهم عند مرورهم .

٥ خالصة الاردان : اطرافها بيضاء . خضر المناكب : اكتافها خضراء .

٦ هم يعلمون ان الخير لا يدوم وان الشر لا يدوم (الاحوال تتبدل دائماً) .

٧ العائدات : الزائرات في المرض . الهراس : نبت له شوك . يقشب : يخلط ويجدد — أتألم كأني نائم على فراش من شوك .

٨ سورة : منزلة . يتذبذب : يضطرب — يجهد الملوك ان يبلغوا منزلتك فلا يستطيعون .

فإنّك شمس والملوك كواكــب إذا طلعت لم يبدُ منهنّ كوكــب !
ولستَ بمُسْتَبْقٍ اخـاً لا تلُمّـه على شعَث . أيّ الرجال المهذّب ؟
فان أكُ مظلوماً فعبدٌ ظلمتـه ، وان تكُ ذا عُتبى فمثلك يُعْتِبُ [1] !

— نظم النابغة معلّقته بعد أن فارق النعمان بن المنذر أبا قابوس إلى بلاط الغساسنة (٣٢ ق. هـ. = ٥٩٠م) ، ومطلعها :

يا دارَ ميّةَ بالعَلياءِ فالسنَدِ ، أقوتْ وطال عليها سالفُ الابد [2] .

شبّه فيها ناقته بالثور الوحشي . وبعد أن وصف معركة الثور الوحشي مع كلاب الصيد خلَص إلى مديح النعمان والاعتذار اليه :

كأن رَحلِي ، وقد زال النهارُ بنـا يومَ الجليل ، على مُستأنِسٍ وحِدِ [3] ،
فارتاع من صوت كَلاّب فبات لـه طَوْعَ الشوامت من خوف ومن صَرِد [4] .
فبثّهن عليـه ، واستمرّ بـه صُمْعُ الكُعوب بَريئات من الحرَد [5] .
وكان ضُمران منه حيث يوزِعُـه طعنَ المُعارك، عند المُحْجَر، النَجُدِ [6] .
شكّ الفَريصة بالمِدرى فـأنفذهـا شكّ المبيطر اذ يشفي من العَضَـدِ [7] ،

---

١ العتبى : الرضى — انا عبدك ، فان كنت قد ظلمتني فقد قبلت انا منك هذا الظلم ؛ وإن كنت أنا مذنباً فمثلك من يعفو .
٢ خلت من أهلها .
٣ زال النهار : أصبح الوقت بعد الظهر . الوحد : الحيوان المتوحش العائش في البرية . المستأنس : المقترب من مكان الانس ، من الحضر (ويكون عادة كثير النفور مضطرباً) . الجليل : اسم موضع .
٤ ارتاع : خاف . الكلاب : الذي يصطاد بالكلاب . طوع الشوامت : أي يطيع قوائمه ، يقف عليها ولايستطيع أن يتحرك أو يهرب لما يشعر به من الخوف والبرد .
٥ فبثهن عليه : ارسل الكلاب عليه . استمر بـه صمع الكعوب : استمرت قوائمه ثابتة في مكانه (لم يهرب) . الصمع جمع اصمع : ضامر . الكعوب جمع كعب : مفصل العظـام . بريئات من الحرد : لا اعوجاج فيهـا . يقال للكلاب صمع الكعوب ، أي صغارها (القاموس ٣ : ٥٢) .
٦ ضمران : اسم علم على كلب . يوزعه : يدفعه عنه . المحجر : المأزق، المكان الضيق (في الحرب) . النجد: الشجاع ، وهي نعت للمعارك — حينما ادرك ضمران الثور في مكان ضيق لا يستطيع ان ينجو منه ، أخذ الثور يطعن الكلب بقرنيه ليبعده عنه .
٧ الفريصة : العضلة التي بين الكتف والخاصرة . المدرى : القرن . انفذه : جعل القرن يدخل من جـانب فيخرج من الجانب الآخر . المبيطر : طبيب الدواب . العضد : مرض يصيب الدواب فيداوى بانفـاذ ميل من جـانب إلى جـانب في صدر الدابة ثم بادخـال مصران في ذلك المكان فيخرج من طرفيه صديد مدة معينة .

كأنه خارجاً من جنب صفحته سفّودُ شَربٍ نَسُوه عند مُفتأد [١] .
فظلّ يعجُمُ أعلى الرَّوْق مُنقبضاً في حالك اللون صَدْقٍ غيرَ ذي أوَد [٢] .
لما رأى واشِقٌ إقعاص صاحبهِ ، ولا سبيلَ إلى عَقْلٍ ولا قَوَد [٣] ،
قالت له النفس: « إني لا أرى طمعاً . وإنّ مولاك لم يسلمْ ولم يَصِدِ » [٤] .
فتلك تُبلغني النُعمانَ — إن له فضلاً على الناس في الادنى وفي البُعُد [٥] .
فلا لعَمْرُ الذي مسّحت كعبتَه . وما هُريق على الانصاب من جَسَد [٦] ،
ما قلتُ من سيّءٍ مما أتيتَ به ، إذاً فلا رفعَتْ سوْطي إليّ يدي [٧] !
أُنبئْتُ أنّ أبا قابوسَ أوعدني . ولا قرارَ على زأرٍ من الاسد [٨] .
مَهْلاً ، فِداءٌ لك الاقوامُ كلهُمُ وما أُثَمّرُ من مالٍ ومن ولد ،
لا تقذِفَنّي بركُنٍ لا كَفاءَ له وان تأثّفك الاعداء بالرِفَد [٩] .
فما الفراتُ ، وان جاشتْ غواربُه ترمي أواذيّه العَبرين بالزَبَد [١٠] ،
يَمُدّه كل وادٍ مُتْرَعٍ لَجِبٍ فيه حُطام من اليَنبوت والخضَد [١١] ،
يوماً بأجودَ منه سَيْبَ نافلةٍ ، ولا يَحولُ عَطاءُ اليوم دون غد [١٢] .

١ الشرب : الذين يشربون الخمر معاً . مفتأد : مكان شي اللحم – يشبه الكلب المشكوك بقرن الثور كقطعة اللحم الكبيرة المشكوكة بسيخ حديد .
٢ يعجم : يعض . الروق : القرن . منقبضاً : ملتوياً . حالك : اسود . صدق : صلب ، بجدّ .
٣ واشق : اسم علم على كلب . اقعاص : موت . العقل : الدية . القود : قتل القاتل بالمقتول .
٤ طمعاً : طمعاً بصيد هذا الثور . مولاك : سيدك وصاحبك .
٥ تلك ، أي الناقة التي لها مثل هذه الصفات . في الادنى وفي البعد : الاقربين والابعدين .
٦ اقسم بالذي مسحت كعبته (بيدي أو بالدم تبركاً) ، أي بالله . هريق : فعل ماض مبني للمجهول من هراق (سكب ، صب) . الجسد : الدم .
٧ مما أتيت به : ما نقله الواشون اليك . فلا رفعت سوطي إلي يدي : دعوة على يده بالشلل .
٨ اوعد : توعد ، تهدد . – لا اطمئنان مع سماع صوت الاسد .
٩ لا تقذفني بركن لا كفاء له : لا تجعل خصمي مقتدراً لا طاقة لأحد به (لا تكن أنت خصمي) . كفاء : مثيل، نظير . تأثفك : أحاط بك . الاعداء : اعدائي . الرفد : المظاهرة ومساعدة بعضهم بعضاً للوشاية بي عندك .
١٠ جاشت : اضطربت . الغوارب : اعالي الموج . الأواذي : الامواج . العبرين (بالفتح أو الكسر) : الشطين .
١١ يمده : يصب فيه . واد : (هنا) السيل الجاري في الوادي . حطام : قطع (جرفها السيل) . الينبوت : نوع من الشجر . الخضد : النبات والأغصان المتكسرة .
١٢ سيب نافلة : العطاء الزائد . –ثم هو اذا اعطى اليوم لا يمنع عطاءه غداً .

٤ – ديوان النابغة الذبياني (نشره ديرنبورغ) باريس ١٨٦٩م؛ وتكملته، باريس ١٨٩٩.

ديوان النابغة الذبياني ، القاهرة (المطبعة الوهبية) ١٢٩٣ هـ .

ديوان النابغة الذبياني (صحّحه وحل غريب ألفاظه الشيخ عبد الرحمن سلام) بيروت (المكتبة الأهلية) ١٩٢٩ م .

ديوان النابغة الذبياني ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٥١ هـ .

ديوان النابغة الذبياني ، بيروت (مطبعة صادر) ، ١٩٦٠ م .

ديوان النابغة الذبياني ، ١٣٧٩ م .

•• التوضيح والبيان عن شعر نابغة ذبيان (لمحمد أدهم) ، القاهرة ١٩١٠م .

توضيح البيان عن شعر النابغة الذبياني (لمحمد أدهم) ، القاهرة ١٣٢٨ هـ = ١٩٥١م .

النابغة الذبياني ، تأليف سليم الجندي ، دمشق ١٩٤٥ م .

النابغة الذبياني ، تأليف عمر الدسوقي ، القاهرة ١٩٤٩ م .

النابغة الذبياني ، تأليف محمد زكي العشماوي ، القاهرة ١٩٦٠ م .

النابغة : سياسته وفنّه ونفسيته ، تأليف ايليا سليم حاوي ، بيروت ١٩٦٠ م .

بروكلمان ١ : ١٣ ، الملحق ١ : ٤٥ .

عدي بن زيد

١ – عَدِيّ بْنُ زيد بن حَماد بن أيوب من العِباد ، وهم نصارى الحيرة . وكانت أُسرة عدي مقرّبة إلى البلاط الفارسي للخدمات التي كانت تؤدّيها للفرس في بلاط المناذرة . وكان حمادٌ جَدّ عدي أولَ من تعلم الكتابة من أفراد تلك الأسرة ثم أصبح كاتباً للنعمان الأكبر الاعور . وكان زيدٌ والد عدي يتولى بعض أقسام البريد لكسرى أنو شروان . ثم أصبح عديّ نفسه كاتباً في ديوانِ كسرى . وبعد مقتل عدي دخل ابنه زيد أيضاً في خدمة الفرس .

وُلِدَ عديٌّ في الحيرة ، وفيها نشأ وتعلم العربية والفارسية . وفي عام ٥٧٩ م (٥٣ ق. هـ.) بعثه كسرى أنو شروان رسولاً إلى طيباريوس الثاني ملك الروم

(٥٧٨ — ٥٨٢ م) . ويبدو أن عدياً زار في أثناء رجوعه من القسطنطينية مدينة دمشق .

وأدرك النعمان الثالث أبو قابوس (٥٨٥ — ٦٠٧ م) أن أعمال عَدِيّ بن زيد كانت في مصلحة الفرس أكثر مما كانت في مصلحة العرب ، بل أكثر مما كانت في مصلحة المناذرة أنفسهم ، فحبسه ثم قتله في السجن عام ٦٠٤ م ، قبل ظهور الاسلام بست سنوات . وكان مقتل عدي سبباً من أسباب النفور بين الفرس والمناذرة ، بل سبباً في سقوط دولة المناذرة على يد الفرس .

٢ — لم يكن عدي بن زيد من فحول الشعراء لأنه كان قروياً (من أهل المدن) ؛ والتقدم في الشعر كان دائماً لأهل البادية . ثم ان عدياً سكن الحيرة والمدائن وبلاد فارس نفسها فثقل لسانه وغلبت عليه اللكنة « فكان العلماء لا يرَوْن شعره حُجّة » . أما شعره فقريب المعاني غير متين التركيب ، وأكثره يدور حول الزهد في أمور الدنيا وحول التزهيد فيها . وله شيء في الخمر أحسن أسلوباً وأرق ديباجة من شعره في الزهد .

٣ — المختار من شعره :

— قال عديّ في الحكمة والزهد والتزهيد في الدنيا :

أعاذلُ ، إن الجهلَ من لَذّة الفتى ... وإنّ المنايا للرجال بمَرْصَدِ .
أعاذلُ ، ما أدنى الرشادَ من الفتى ... وأبعدَه منه إذا لم يُسَدَّد !
أعاذلُ ، ما يُدريك أن مَنِيّتي ... إلى ساعة في اليوم أو في ضُحى الغد ؟
كفى زاجراً للمرءِ أيامُ دهرِه ... تَروحُ له بالواعظات وتغتدي .

— ومر عدي بن زيد مع النعمان على بعض المقابر ، فقال للنعمان : أتدري ما تقول هذه القبور ؟ فقال النعمان : لا . قال عدي : انها تقول :

من رآنا فليحدّثْ نفسه ... انه أوفى على قرن [1] زوال .
رُبَّ قومٍ قد أناخوا عندنا ... يشربون الخمر بالماء الزُلال
ثم أضْحَوْا عصف الدهر بهم ؛ ... وكذاك الدهر يودي [2] بالرجال.

---

١ قرن زوال : طرف حياته — سيموت .
٢ يهلك .

– وقال عديّ أيضاً :

ايها الشامت المُعَيِّـرُ بالدهـ ـر ، أأنت المبرّأ الموفورُ[1] ؟
ام لديك العهد الوثيق من الـ أيّام ؟ بل أنت جاهل مغرور .
من رأيتَ المنونُ خلّدْن ، أم من ذا عليه من ان يُضام خفير[2] ؟
أين كِسرى كسرى الملوك انوشر وانُ ، أم اين قبلَه سابور ؟
وبنو الاصفر[3] الكرام ُملوك الـ ـروم لم يبق منهمُ مذكور .
وتذكّرْ رَبَّ الخورْنَقِ[4] إذ أشـ ـرف يوماً وللهدى تفكير .
سرّه مالُه وكثْرة ما يملك والبحر مُعرضاً والسدير[5] ،
فارْعوى قلبه فقال : وما غِبـ ـطةُ حيّ إلى الممات يصير[6] ؟
ثم بعد الفلاح والملك والإمّـة[7] وارتهمُ هناك القبور .
ثم صاروا كأنهم ورق جفْـ ـفَ فألوتْ به الصّبا والدّبور[8].

– غ بولاق ٢ : ١٧ – ٣٤ (٢ : ٩٥ – ١٤٦) .

حاتم الطائيّ

١ – حاتِمٌ الطائيّ أو حاتمُ طيّ هو حاتمُ بنُ عبد الله بن سعد الطائي ، وأمه عَنْبة بنت عفيف من طيّءٍ أيضاً . ونشأ حاتم كريماً ، فقد ورث الكرم إلى حد الاسراف من والدته التي كانت غنية وكريمة مبذرة . أما والده فكان مُمْسِكاً بعض الامساك . ولقد غطّى كرم حاتم ومُروءته وحِلمه على شعره وعلى سائر أحداث حياته أيضاً .

وكان حاتمٌ صغير السن حينما كان عَبيد بن الابرص والنابغة الذبياني يذهبان

١ المبرأ : الذي لا يصيبه المرض أو الموت . الموفور : المحفوظ (لا يموت) .
٢ المنون : الموت . خلدن : تركن حياً . من ان يضام خفير : من يحميه من الضيم و الذل و تقلب الأيام.
٣ ملوك الروم .
٤ الخورنق : قصر .
٥ البحر معرضاً . يظهر النهر أمامه واسعاً . السدير قصر .
٦ ومع ذلك فقد اعتبر وعلم أن الحياة لا قيمة لها ما دام مصير الانسان إلى الموت .
٧ الامة (بكسر الهمزة) : النعمة .
٨ الصبا والدبور (بفتح الصاد والدال واهمال البائين) : ريح الشرق وريح الجنوب (بفتح الجيم) . ألوي به : أهلكه .

إلى النعمان . وقد تزوج حاتم مرتين : تزوج نَوارَ أو النَّوارَ ، وكانت تلوم حاتماً على كرمه ، ثم تزوج مَاوِيَّة بنت عفزر من بنات ملوك اليمن ، وكانت تحب الكرم والكرماء ؛ وخلّف من الأولاد ثلاثة : عبد الله وعديّا وسَفّانة . ويبدو ان حاتماً عاش نحو ستين سنة وتوفّي نحو عام ١٥ ق. ه. (٦٠٧ م) [١] ، قبل ظهور الاسلام .

٢ – شِعْر حاتم فصيح الالفاظ سهل التراكيب جداً . وأغراضه الفخر بكرمه وعفّته ثم الحماسة . وينتثر في قصائده شيء من الحكمة .

٣ – المختار من شعره :

– قال حاتم يبدي رأيه في المال وفي الفقر والغنى ، وهذا جانب من فخره بنفسه :

أمَاوِيّ ، إن المال غادٍ ورائحٌ ، ويبقى من المال الأحاديث والذكرُ .
أمَاوِيّ ، إني لا أقول لسائل ، إذا جاء يوماً : حَلّ في مالنا نَزْرُ [٢] .
أماويّ ، ما يُغني الثَراء عن الفتى إذا حَشْرَجت يوماً وضاق بها الصدر [٣] .
أماويّ ، إن يُصْبِحْ صَدايَ بقَفْرة من الأرض – لا ماءٌ لديّ ولا خمر –
تَرَيْ أن ما أنفقت لم يكُ ضَرّني ، وأن يَدي ممّا بَخِلْتُ به صفرْ .
وقد علِمَ الاقوامَ لو أن حاتماً أراد ثَراء المال كان له وَفْر .
عُنِينا زماناً بالتَصَعْلُك والغِنى ، كما الدهر في أيامة العُسْر واليُسْر .
فما زادنا بَغْياً على ذي قَرابة غِنانا ، ولا أزْرى بأحسابنا الفقر [٤] .
وما ضرّ جاراً ، يا ابنةَ القوم ، – فاعلمي – يُجاورنا ألاّ يكونَ له سِتْر :
بِعَيْنَيّ عن جارات قومِيَ غفلةٌ ، وفي السمع منّي عن حديثهم وَقْر !

– وقال حاتم يُجري قواعدَ الكرم على قَلوصه (ناقته) في أبيات اختارها أبو تمام في « الحماسة » :

١ في الاعلام للزركلي (   ) : ت حاتم طي ٤٦ ق. ه = ٥٧٨م .
٢ نزر : قلة .
٣ حشرجت النفس : قرب خروجها (دنا موت صاحبها) .
٤ ازرى : عاب .

وما أنا بالساعي بفضل زِمامهـا لتشربَ ماء الحوض قبل الركائب ؛
وما أنا بالطاوي حقيبةَ رَحلهـا لأبعثها خِفّـاً وأترُكَ صاحبي .
إذا كنتَ رَبّاً للقلوص فلا تَدَعْ رفيقَكَ يمشي خلفَها غير راكب :
أنِخْهـا فأرْدِفْه ، فإن حملَتْكُما فذاك ، وإنْ كان العِقابُ فعاقبِ [1] .

– ومن قوله في مُشاركة الناس طعامَه ، وهو أيضاً من مختارات « حماسة أبي تمّام » :

أيا ابنةَ عبدِ الله وابنةَ مالك ، ويا بنت ذي البُردَيْنِ والفرس الوَرْد [2] ،
إذا مـا صنعتِ الزاد فالتمسي لَـه أكيلاً ، فاني لست آكِلَهُ وحدي :
أخاً طارقاً أو جارَ بيت ، فـانني أخاف مَذَمّاتِ الأحاديث من بعدي .
واني لَعَبْدُ الضيف ما دام ثاوياً ، وما فيَّ إلاّ تلك من شِيمة العبد !

– وقال حاتم :

فأقسمت لا أمشي إلى سِرِ جـارة يَدَ الدهر : ما دام الحمامُ يُغَرِّدُ [3] ،
ولا أشتري مـالاً بغـدرٍ علمته ؛ ألا كلّ مال خالط الغَدْرُ أنكد .
إذا كان بعضُ المالِ ربّاً لأهلِه، فاني – بحمد الله – مالي مُعبَّدُ [4] .
يُفَكّ به العاني ، ويُؤكلُ طَيِّباً ، ويُعطى إذا منّ البخيل المُصَرِّد [5] .
إذا ما البخيل الخَبّ أخمد نـاره أقول لمن يَصْلى بناريَ : أوقِدوا [6] !

٤ – ديوان حاتم الطائي وأخباره (رزق الله حسون) ، لندن ١٨٧٢ .
ديوان حاتم الطائي ، بيروت ١٨٨٨ .
ديوان حاتم الطائي (كرم بستاني) ، بيروت (صادر) ١٩٥٣ .

---

١ اجعل ناقتك نبرك ثم أركب رفيقك خلفك ، إذا استطاعت الناقة أن تحملكما معاً ؛ وإلا فاركب أنت مسافة ثم دعه يركب مسافة .
٢ البردين : الثوبين . الورد : الاحمر (كناية عن الغنى والشجاعة) .
٣ سر جارة : سترها ، بيتها (والسر أيضاً النكاح) . يد الدهر : طول الدهر .
٤ معبد : عبد لي .
٥ إذا من البخيل المصرد : إذا أعطى قليلا ثم من على الذي أعطاه .
٦ إذا أطفأ البخيل ناره حتى لا يهتدي الضيوف اليه ، أقول أنا للضيوف الذين هم حول ناري : زيدوا في ايقاد النار (حتى يهتدي بها ضيوف آخرون) . الخب (بالفتح أو الكسر) : مصدر هو نعت للخيل .

ديوان حاتم مع ديوان الخنساء سنة ١٣٢٦ ثم ١٣٤٨ (بلا ذكر لمكان الطبع) .

** بروكلمان ، الملحق ١ : ٥٥ .

جران العود النَّمِريّ

١ – هو جِران العَوْد الحارث بن عامر[١] ، لُقّب عامرٌ جران العود لأنه كان قد اتّخذ جلداً من جران (عنق) العَوْد (الجمل المسنّ) ليضرب به امرأتيه .

كان جران العود خِدْناً وتِبْعاً لعُروة بن عُتبة المعروف بعروة الرحّال [٢] ، فعلى هذا يكون جران العود من أهل النصف الثاني من القرن السادس الميلادي ، ولعلّه أدرك السنوات الأولى من القرن السابع . وإذا نحن اعتبرنا أسماء الأماكن التي وردت في أشعار جران العود وجدنا أنه كان من أهل العالية ، في الشمال الغربي من نجد ، قريباً من الحجاز .

يبدو أن جران العود قد تزوّج مراراً ، وأنه قد جمّع بين امرأتين . ولكنّه لم يكن سعيداً في زواجه قطّ . ومع ذلك فقد جرّب حظّه مرّة أخرى وكانت قد تقدّمت به السن ، إذ قال (ديوان ٤٨) :

لولا حُميدة ما هـام الفؤاد ، ولا رجّيت وصل الغواني آخر العمُرِ !

٢ – جران العود شاعر جاهليّ جيّد الشعر حسن التشبيه فصيح العبارة لطيف المعاني : ألفاظه في الأكثر فصيحة وشعره سهل عذب ، والغريب من ألفاظه يأتي عادة في القوافي . وهو شاعر وجداني مَرح خفيف الروح يمزج الجدّ بالهزل. وفنونه الغزل والوصف . وغزله صريح بريء الألفاظ غير بريئ الاشارة . ثم هو أمين على جاراته ، إنه يقول (ديوان ٢٨) :

فما أنا للمطيّة بابن عمّ ، ولا للجارة الدُنيا بزيرِ [٣] .

---

١ اسمه الحارث لا المستورد ، كما ذكر الجوهري خطأ (القاموس ٤ : ٢٠٩) ، وجران العود المستورد شاعر آخر من بني عقيل عاش في الاسلام (تاج العروس ٩ : ١٦١) . الخدن : الصديق . التبع : الذي لا يفارق صاحبه .

٢ راجع تاريخ الجاهلية للمؤلف ١٣٠ – ١٣١ .

٣ لا أشفق على المطية (بل أذبحها للضيوف لأني كريم) ، ولا أقوم بزيارات عاطفية لجاراتي القريبات من مكان سكني .

ويَلْفِتُ النظرَ في ديوان جران العود كثرةُ وصفه للنجوم وصحّة وصفه لها ، قال مثلاً (ديوان ٤٣ — ٤٤) :

ويمّمن الركاب بنات نعش ، وفينا [١] عن مغاربها ازورار :
نجوم يرعوين إلى نجـوم كما فاءت إلى الرُبَـع الظؤار [٢] !

ومن المستغرب جداً أن يكون في شعره ألفاظ وتراكيب ومدارك تشبه أن تكون اسلامية مثل النشور ، وموعدك الحشر (ديوان ٢٥ ، ٣٠) ، باذن الله (ديوان ٥٧) أو كقوله مثلاً (ديوان ٤٦) :

إذا نادى المنادي بات يبكـي حِذار الصبح لو نفع الحذار ،

أو كقوله (ديوان ٢٢) :

ولمّـا رأين الصبـح بادر ضوءه دبيب قطا البطحاء أو هنّ أقطف [٣]
وأدركن أعجازاً من الليل [٤] بعدمـا **أقام الصلاة** العـابد المتحنّف .
وما أبْنَ حتى **قُلْنَ : يا ليت أنّنا ترابٌ، وليت الأرضَ بالناس تُخْسَفُ!**

فكأنّ جران العود ينظر هنا إلى قوله تعالى في سورة النبأ : « وقال الكافر : يا ليتني كنت تراباً » (٧٨ : ٤٠) وإلى قوله تعالى : « إن نشأ نخسفْ بهم الأرض » (٣٤ : ٩ ، راجع أيضاً ٢٨ : ٨١ ، ٢٩ : ٤٠ ، ٧٦ : ١٦) .

---

١ كذا في الاصل . ولعل الصواب « وفيها » . — ان بنات نعش الكبرى (المعروفة أيضاً باسم الدب الاكبر) من الخنّان (أي النجوم التي لا تغيب) ، وهي تدور حول الجدي (نجم القطب الشمالي) من الشرق إلى الغرب ، وكلما وصلت بنات نعش الكبرى إلى أقصى مجراها في الغرب وظن الرائي أنهـا ستغيب وراء الأفق الغربي كسائر النجوم ازورت (مالت) عن الغرب راجعة في الدوران نحو الشرق . وهذا المعنى يؤيده البيت التالي . ومعنى الشطر الاول غامض .

٢ يرعوين : يرجعن ، يعدن . فاء : رجع ، انقلب ، عاد . الربع : الفصيل (الجمل الصغير) الذي ينتج (بالبناء للمجهول : يولد) في أول الربيع . الظؤار جمع ظئر : المرضع (يتفق في حياة الحيوان أن تعطف ناقتان أو أكثر على ولد واحد يسرعن بين الحين والحين اليه مرة واحـدة . وقـد شبه الشاعر دوران الخنان حول الجدي (نجم القطب الشمالي) بتراكض النوق نحو فصيل واحد ، والتشبيه دقيق جـداً وبارع أيضاً .

٣ لما رأين أن ضوء الصبح قد بادر (عجل ، أسرع) كدبيب القطا (نوع من الطير) ، أي قليلا قليلا ، أو هن (أي القطا) أقطف (أقصر خطاً) . — يقصد أن ضوء الصبح كان ينتشر بسرعة .

٤ أعجازاً من الليل : الاقسام الأخيرة من الليل .

أترى أن ألفاظ جران العود وتراكيبه وافقت ما جاء في القرآن الكريم ؟ أم ترى أن جران العود عاش حتّى نزل القرآن فتأثّر بآياته ؟ أم ترى أن الرواة نسبوا شيئاً من شعر المستورد جران العود العقيلي الاسلامي إلى الحارث جران العود النمري الجاهلي ؟

٣ – المختار من شعره :

– لجران العود قصيدة يصف فيها ما لَقِيَهُ في زواجه من المتاعب ، بعد أن كان قد أُغرِم بامرأة لجمالها ودفع لآلها مَهراً كبيراً ثم تزوّجها على امرأة كانت عنده . وموضوع هذه القصيدة من الموضوعات النادرة في الشعر العربي . وفي القصيدة شيء من المرح وكثير من حسن التصوير وصحّة التعبير ، من هذه القصيدة (الأولى في الديوان المطبوع) :

ألا لا يَغُرّنّ امرَأً نَوْفَلِيّةٌ على الرأس، بعدي ، أو تَرائبُ وُضّحُ[١] ؛
ولا فاحمٌ يُسقَى الدِهانَ كأنّه أساوِدُ يَزْهاها لعَيْنَيْكَ أبْطَحُ[٢] ،
وأذنابُ خيلٍ عُلّقتْ في عَقيصةٍ تَرى قُرْطَها من تحتها يَتَطَوّحُ[٣] .
فإنّ الفتى المغرورَ يُعطي تِلادَهُ ويُعطي الثّنا من مالهِ ثم يُفْضَحُ[٤] .
ويغدو بمِسحاحٍ كأنّ عِظامَها محاجِنُ أعراها اللحاءَ المُشبّحُ[٥] .

---

١ نوفلية : شيء تضعه المرأة على رأسها ثم تختمر عليه (حتى يبدو شعرها أكثر حجماً وأكثر ارتفاعاً) . التريبة : جانب الصدر . وضح : بيض . – يجب ألا يغترّ الانسان بالجمال في المرأة (بالجمال الاصطناعي والجمال الطبيعي) .

٢ فاحم : (شعر) أسود شديد السواد . الدهان جمع دهن : زيت يدهن أو يمسح به الشعر حتى يبدو لامعاً ويأخذ شكلا معيناً . أساود جمع أسود : حية كبيرة سوداء . يزهاها : (يبديها على أطول ما تكون) الابطح : المكان المستوي في بطن الوادي . – يقصد أن شعرها الاسود طويل وافر .

٣ عقيصة : الشعر المجموع على شكل مكور . أذناب خيل : كأذناب خيل (ضفائر شعرها كثيفة وطويلة كذنب الحصان) . القرط : نوع من الحلى تعلقه المرأة في أذنيها . يتطوح : يتأرجح . (يقصد : عنقها طويل حتى أن قرطيها يتأرجحان عاليين فوق كتفيها) .

٤ الشاب المخدوع بجمال امرأة يضحي تلاده (كل مال جمعه في الماضي) . ويعطي الثنا : (ما يجمعه من المال حديثاً) . ثم يفضح : تكشف مساوئه (يظهر أنه جاهل بالأمور) .

٥ ويغدو : يذهب (يحصل في مقابل ما خسره على امرأة) مسحاح (سريعة المشي – وذلك عيب في النساء) . كأن عظامها (إذا رأها فيما بعد بغير الثياب التي تلبسها للتزين) محاجن جمع محجن (بكسر الميم وفتح الحاء)=

فتلك التي حكّمتُ في المال أهلَها ؛ وما كلّ مُبتاعٍ من الناس يَرْبح!
لقدكان لي عن ضَرّتَيْنِ — عَدِمْتُني — وعمّا ألاقي . منهما مُتزَحْزَح .
هما الغولُ والسِعلاة ، حَلْقِيَ منهما مُخَدّشُ ما بين التراقي مُجرّح [1] .
تُداوِرني في البيت حتى تَكبُّني ، وعَيْنِيَ من نحو الهِراوة تَلْمح [2].
وقد عوّدتْني الوَقْذَ ، ثمّ تَجرُّني إلى الماء مَغْشِيّاً عليّ أُرنّح [3] .
ولم أرَ كالموقوذِ تُرجى حياتُه إذا لم يَرُعْه الماءُ ساعةَ يُنْضَحُ [4] .
أقول لنفسي : أين كانت ؟ وقد أرى رجالاً قياماً والنساء تُسبّح [5] .
خُذا نصفَ مالي واتركا لي نصفَه وبِينا بذمٍّ ، فالتعزّبُ أرْوح [6]!
ألاقي الخَنا والبَرْحَ من أم حازمٍ، وما كنت ألقى من رُزَيْنَةَ أبْرح [7].
تُصبّر عَيْنَيْها وتَعْصِبُ رأسَها وتغدو غُدُوّ الذئبِ والبومُ يَضْبَح [8] .
ترى رأسها في كلّ مَبْدىً ومَحْضَرٍ شعاليلَ لم يُمْشَطْ ولا هو يُسْرَحُ [9] .
وان سرّحته كان مثل عقارب تشول بأذناب قصار وترمح [10] .

= عصا معقوف طرفها . أعراها اللحاء المشبح : سلخ المشبح (الذي يقشر أو يسلخ قشر الأغصان عن الاغصان) قشرها .

1 السعلاة : أنثى الغول . التراقي : جمع ترقوة (بفتح التاء وضم القاف) : مقدم الحلق في أعلى الصدر .

2 كبه : صرعه ، ألقاه أرضاً على وجهه . داوره : لاوصه (أداره ، ركض خلفه ، انتهز فيه فرصة) . الهراوة : العصا الغليظة .

3 الوقذ : الموت أو الاغماء من شدة الضرب .

4 والموقوذ يعود إلى الوعي حينما يرش الماء على وجهه .

5 أين كانت ؟ : أين كانت نفسي (ما الذي حدث لي ؟) . سبح : (تعجب مما يرى) .

6 بينا (مثنى فعل الامر بيني) : اذهبا طالقتين (يا زوجتيّ) . بذم : مذمومتين لأني كرهت الحياة معكما . التعزب : البقاء بلا زواج . أروح : أهون على النفس .

7 الخنا : الكلام القبيح . البرح : الأذى ، الألم .

8 تصبر عينيها (تجعل حولهما صبغاً) . وتغدو (تنهض إلي باكراً تشاتمني) غدو الذئب (كما ينهض الذئب من نومه عطشان جائعاً ليقع على أول فريسة يلقاها) . والبوم يضبح : بينما لا تزال البومة تنعق (أي باكراً جداً لأن البوم ينعق في الليل ويسكت مع بزوغ نور الفجر) .

9 في كل مبدى (في البادية والقرى) ومحضر (في الحضر : المدن) ، يقصد في كل مكان وكل زمان (لأن الناس يقضون الربيعين ، أي الربيع والخريف في البادية) . شعاليل جمع شعلول (الشعر المشعث المنفوش) .

10 وان سرحت شعرها بدا خصلا ناشزة مرتفعة كأنها العقارب التي ترفع أذنابها تريد أن تلسع بها من يقترب منها . تشول : ترفع . ترمح : تضرب من خلفها .

وَلَمّا التقينا غُدْوَةً طال بيننا سِبابٌ وقَذْفٌ بالحجارة مِطْرَح .
أُجَلّي إليها من بعيد ، وأتقي حِجارتها حقاً ولا أتمزّح [1] .
عَمَدْت لِعَوْد فالتَحَيْتُ جِرانَه ، ولَلْكَيْس أمضى في الأمور وأنْجَح [2] .
خُذا حَذَراً ، يا خُلّتَيّ ، فإنني رأيت جِرانَ العَوْد قد كان يَصْلُح [3] .

٤ – ديوان جران العود النمري ، القاهرة (دار الكتب) ١٣٥٠ هـ = ١٩٣١ م .
** بروكلمان ، الملحق ١ : ٥٧ .

عبد قيس بن خفاف البرجمي

١ – هو أبو جُبيل عبد قيس بن خُفاف البُرْجُمي من بني عمرو بن حنظلة ، من البراجم وهم قوم من بني تميم .

كان عبد قيس بن خفاف شريفاً عظيماً في قومه وشجاعاً ، وقد كان معاصراً لحاتم الطائي وللنابغة الذبياني وللنعمان بن المنذر . ويبدو أنه عاش حتّى طعن في السنّ .

٢ – كان عبد قيس بن خفاف شاعراً حكيماً كثير التجارب . ومن أغراض شعره الفخر والمدح والحكمة ، وكان يفتخر بالحماسة وبالخلق النبيل ويوصي بهما .

٣ – المختار من شعره :

– قال عبد قيس بن خفاف البرجمي ينصح ابنه جُبيلاً ويوصيه بمكارم الأخلاق :

أجُبيلُ ، إنّ أباك كارب يومه ، فاذا دُعيتَ إلى العظائم فافعلِ [4] .

١ أجلي اليها : انظر من بعيد حتى أعرف مكانها . ثم أتقي حجارتها . أحمي نفسي من الحجارة التي تقذفني بها .

٢ العود : الجمل الكبير في السن . التحيت : سلخت. جرانه : جلدة عنقه (لأجعل منها سوطاً ، هذه الجلدة تكون عادة قاسية) . الكيس : العقل والبصر في الأمور .

٣ الخلة : الزوجة .

٤ كارب (اقترب) يومه : حان موته . العظائم : الأمور العظيمة (الكريمة) .

أوصيك إيصاءَ امرئٍ لك ناصحٍ … طَبِنٍ بريْبِ الدهر غير مُغفَّل[1] :
اللهُ فاتّقه وأوْفِ بنَذْرِه ، … وإذا حَلَفْتَ مُمارياً فتَحلَّل[2] .
والضيفُ أكرِمْهُ فإنّ مَبيتَهُ … حقّ ، ولا تكُ لُعْنَةً للنُّزَّل ،
واعلمْ بأن الضيف مُخْبِرُ أهلِه … بمَبيتِ ليلته وان لم يُسأَل .
وصِلِ المُواصل ما صفا لك ودّه ، … واحذر حِبالَ الخائن المُتبَذّل .
واترك محلّ السوء لا تحلُلْ به ، … وإذا نبا بك منزل فتحوّل .
وإذا هَمَمْتَ بأمر شرّ فاتّئدْ ، … وإذا هممت بأمر خير فافعل[3] .
وإذا افتقرت فلا تكن مُتَخَشّعاً … ترجو الفواضلَ عند غير المُفْضِل .
واستَغْنِ ما أغناك ربّك بالغِنى ، … وإذا تُصِبْكَ خَصاصة فتجمّل[4] .
وإذا تشاجر في فؤادك مرّةً … أمران فاعْمِدْ للأعفّ الأجمل !

— وقال يمدح حاتماً الطائيّ :

يعيش الندى ما عاش حاتم طيّء ، … وان مات قامت للسخاء مآتمُ
يُنادين : مات الجود معك فلا نرى … مجيباً له ما حام في الجوّ حائم .
وقال رجال : أنهب العامَ مالَه ، … فقلت لهم : إنّي بذلك عالم !

٤ — ديوان

** غ ٨ : ٢٤٦ — ٢٤٧ ، الاصمعيّات رقم ٨٧ و ٨٨ (ص ٢٦٨ — ٢٧٠) ، المفضّليات ، رقم ١١٦ و ١١٧ (ص ٣٨٢ — ٣٨٦) .

زهير بن ابي سُلمى

١ — يَنْسِبُ الناسُ زهيراً إلى مُزينة[5] ، ومزينة هي بنت كعب بن ربوة وأم عمرو بن أُدّ إحدى جدّات زهير لأبيه .

---

١ طبن : فطن ، خبير .
٢ حلفت مارياً : أقسمت يميناً (مجادلا وأنت تعرف أنك لست على الحق) . تحلل : تخلص من تلك اليمين الكاذبة بأن تتوب من مثلها وتنفق شيئاً من مالك كفارة .
٣ اتئد : تمهل (فلعلك لا تفعله) . فافعل : فافعل أمر الخير بسرعة .
٤ الخصاصة : الفقر والحاجة .
٥ الشعر والشعراء ٥٧ .

كان أبو سُلمى ، واسمه ربيعة بن رياح ، قد تزوّج امرأة من بني سهم ابن مرّة بن عوف بن سعد بن ذُبيان هي أخت بَشامة بن الغدير الشاعر . ويبدو أن أبا سُلمى اختلف وشيكاً مع أصهاره[1] على اثر غارة على بني طيّء ظُلِم حقّه في غنائمها ، فاحتمل بأهله وعاد إلى أقاربَ له من بني عبد الله بن غَطَفان كانوا يَنْزِلون في الحاجر (جَنوب الرياض اليوم) من أرض نجد .

وُلد زهير بن أبي سُلمى في الحاجر ، في نحو عام ٥٢٠ م ، وهناك نشأ ، ولكنه يَتِم من أبيه باكراً فتزوجت أمه أوسَ بن حَجَر . وعُنِيَ أوس بزهير فجعله راوية له .

وتزوّج زهير امرأة اسمها ليلى في الأغلب وكُنيتها أم أوفى ورُزق منها عدداً من الأولاد ماتوا كلهم صغاراً . ولعل حب زهير للذرية جعله يكره أم أوفى ، فطلّقها وتزوّج كَبْشة بنت عمّار بن سُحيم أحد بني عبد الله بن غطفان فرزق منها ولديه كَعباً وبُجيراً . وكانت كبشة ، فيما يبدو ، ضعيفة الرأي مبذّرة صَلِفة فلَقِيَ منها عَنتاً كثيراً ، فأراد — بعد عشرين عاماً — أن يعود إلى أم أوفى ، ولكنّ أم أوفى لم تقبل .

وعُمِّر زهير طويلاً — نحو تسعين عاماً — وتوفّي قبل مبعث رسول الله ، قبل عام ٦١٠ م .

٢ — زهير أحد الثلاثة المقدَّمين على سائر شعراء الجاهلية : امرئ القيس وزهيرٍ والنابغةِ . والنقّاد مجمعون على نقل رأي عمر بن الخطاب في زهير : « كانَ لا يعاظل (لا يدخل بعض الكلام في بعض) ، وكان يتجنّب وحشي الكلام ، ولم يمدح أحداً إلاّ بما فيه » . وقال ابن سلاّم الجُمَحيّ : « ان من قدّم زهيراً احتجّ بأنه كان أحسنَ (الشعراء) شعرا ، وأبعدَهم من سُخف وأجمعَهم لكثير من المعاني في قليل من الألفاظ » . وبرع زهير في المديح وفي الحكمة خاصة . وكان زهير يتوكأ على أوس بن حجر في كثير من شعره[2] .

وعُنيَ زهير بشعره فكان كثير التنقيح والتهذيب له حتّى زعموا أنه كان

---

١ في ديوان زهير : « كان من أمر أبي سلمى (والد زهير) — وخاله أسعد بن الغدير بن سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان — أن خرج أسعد بن الغدير وابنه كعب ، في ناس من بني مرة يغيرون على طيء ومعهم أبو سلمى ... » (ص١) .

٢ العمدة ١ : ٨١ .

ينظم القصيدة في أربعة أشهر ، وينقّحها في أربعة أشهر ، ثم يَعْرِضها على أصحابه في أربعة أشهر فيَتِمُّ له ذلك في حَوْل (عام) كامل . من أجل ذلك عرفت قصائده بالحوليات .

ولقد كَثُرَتِ الحكمةُ في شعر زهير ثم توالتْ في قصائده أحيانا ، كما ترى في آخر المعلّقة مثلا ؛ ولكنّ الحكمة ظلت عنده غرضاً ولم تصبح فنّا مستقلا قائما بنفسه .

٣ – المختار من شعره :

– المعلّقة وسبب نظمها :

في عام ٥٤ ق. هـ. (٥٦٨ م) اجتمع نفر وتذاكروا الخيلَ فانتَهوْا إلى أن يُنْزِلَ قيسُ بن زهير العبسي داحساً والغبراء (فرسين له مذكراً ومؤنثة) ، ويُجري رجل من غطفان فرسين أيضاً . وكان الهدف ذات الإصاد ، والحَكَمُ رجلاً من ثعلبة . واعترض ناس من فَزارة من غطفان داحساً مرتين ، ومع ذلك فقد وصل داحسٌ مُصَلّياً (ثانياً) وجاءت الغبراء مُجَلّيةً سابقة . وطلب العبسيون حقهم من الرهان فأباه عليهم الفَزاريون ، فَنَشِبَت حرب عرفت باسم حرب داحس والغبراء دامت – أو دامت العداوة بسببها على الأصح – أربعين عاماً .

وكان في بني غَيْظ بن مرّة بن عَوف بن سعد بن ذبيان من بني غطفان رجلان : الحارثُ بن عوف وهَرِمُ بن سِنان ساءهما هذا العِداء والدمُ المسفوك في القبيلة فسَعَيَا في الصلح على أن يَدْفعا دِيَاتِ القَتْلَى الذين لم يتّفق أن ثأرَ لهم قومهم ، فانتهت تلك الحرب عام ١١ ق. هـ. (٦٠٨ م) قبل الاسلام بعامين .

وكان وردُ بن حابس العبسيّ قد قَتَلَ ، قبل الصلح ، هَرِمَ بن ضَمْضَم المُرّي فتشاجرت عبس وذبيان حيناً ، ثم سكت الُحصين بن ضمضم أخو هرم ابن ضمضم بعد أن أضمر في نفسه أن يأخذ بثأر أخيه . واتّفق أن نزل رجل عبسي ، بعد الصلح ، بالحصين بن ضمضم ضيفاً فقتله الحصين . وكادت الحرب تعود بين الفريقين لولا أن احتمل الحارث بن عوف دِيَةَ العبسي . فقال زهير

ابن أبي سُلمى معلّقته يمدح فيها الحارثَ وهَرِماً ويذكر صلح داحس والغبراء وأمر الحصين بن ضمضم ويصوّر أهوال الحرب ويزيّن السلام ويدعو اليه . فمما يُختار من المعلقة :

أمِنْ أمّ أوْفَى دِمنةٌ ، لم تَكلّم ، بحَومانة الدرّاج فالمتثلّم ؟
وقفت بها من بعد عشرين حجةً فلأْياً عرَفْت الدار بعد توهُّم [1] :
تذكرني الاحلامَ ليلى ، ومن تَطُف عليه خيالاتُ الأحبّة يحلُم [2] .
سعى ساعياً غَيظِ بن مُرّة بعدما تبزّل ما بين العشيرة بالدم [3] .
فاقسمت بالبيْت الذي طاف حوله رجال ، بَنَوْهُ ، من قريش وجُرهُم [4]
يميناً : لنعْمَ السيّدان وُجدتما على كل حال من سَحيل ومُبرَم [5] .
تداركتما عَبْساً وذُبيان بعد ما تفانوْا ودقّوا بينهم عِطْر مَنْشَم [6] .
وقد قلتما : « إن نُدْرِكِ السّلم واسعاً بمال ومعروف من الأمر نسلم ! »
فاصبحتما منها على خير موطن بعيدَيْن فيها من عُقُوق ومأثم ،
عظيمين في عُليا مَعَدّ هُديتما ، ومن يَستَبِح كنزاً من المجد يَعْظُم !
فأصبح يجري فيهمُ من تِلادكم مغانمُ شتى من إفال مُزنّم [7] .
تُعفّى الكلوم بالمئينَ فاصبحت يُنَجّمُها من ليْس فيها بمُجرِم [8] .
ينجّمَها قوم لقوم غرامةً ولم يُهَريقوا بينَهم مِلءَ محجَم [9] .
ألا أبلغ الأحلاف عني رسالة وذبيان : هل أقسمتُمُ كل مُقسَم [10] ؟

---

١ حجة : سنة . لأياً : مشقة وبطء . توهم : ظن (ما عرفت مكان الدار بالتأكيد) .

٢ يحلم : يرى طيف حبيبته في منامه .

٣ الساعيان : المصلحان (الحارث بن عوف وهرم بن سنان) . تبزل : تشقق (يعني بعد ان فرق القتال بين القبيلة الواحدة : غطفان ، أي عبس وذبيان) .

٤ البيت : الكعبة .

٥ السحيل ضد المبرم : الحبل المفتول جداً (يعني في الرخاء وفي الشدة) .

٦ تفانوا : أفنى بعضهم بعضاً . دقوا بينهم عطر منشم : اشتدوا في قتل بعضهم بعضاً (اما تخريج هذا المثل فله روايات مختلفة) .

٧ التلاد : الاموال الموروثة . الافال : أولاد الابل . مزنم : جعلت له علامة في اذنه دلالة على أصله.

٨ تعفى : تمسح ، تمحى . الكلوم : الجروح . المئون : جمع مائة (أي بمائة جمل لكل قتيل) . ينجم : يدفع في وقت معين . مجرم : مذنب .

٩ ... : ولم يسفكوا من الدم مقدار محجم (اناء صغير يستخرج به الدم من الجسم بعد تشطيبه بالموسى) .

١٠ الاحلاف : المتحالفون وهم هنا بنو اسد وغطفان .

فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما في صدوركم ... ليخفى . ومَهْما يُكتَمِ اللهَ يَعْلَمِ :
يُؤخَّرْ فيوضعْ في كتاب فيُدَّخر ... ليوم الحساب ، أو يُعَجَّل فيُنقَم .
وما الحرب إلا ما علمتم وذُقتمُ ... وما هو عنها بالحديث المرجَّم [1] .
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتَضْرَ إذا ضرَّيتموها فتَضرَم [2] .
لَعمري ، لنِعْمَ الحيّ ، جرّ عليهمُ ... بما لا يؤاتيهم حُصَينُ بن ضَمْضَم [3] .
وكان طوى كَشْحاً على مُستكِنّة ... فلا هو أبداها ولم يتقدَّمِ [4] .
وقال : «سأقضي حاجتي ثم أتّقي ... عدُوّي بألف من ورائي مُلْجَم» [5] .
فشدّ ، ولم يُفْزِع بيوتاً كثيرةً ، ... لدى حيث ألقَتْ رَحْلَها أمّ قَشْعَم [6] :
لدى أسد شاكي السلاح مُقَذَّف ... له لِبَدٌ أظفارُه لم تُقلَّم [7] ،
جَريء متى يُظْلَمْ يُعاقِبْ بظُلْمه ... سريعاً ، وإلاّ يُبْدَ بالظُّلْم يَظْلِم [8]
لَعمرُكَ ما جرَّتْ عليهم رِماحُهم ... دَمَ ابنِ نَهيك أو قتيلِ المُثَلَّم [9] ،
ولا شاركَتْ في الحربِ في دَمِ نَوْفَلٍ ... ولا وَهَبٍ منها ولا ابن المُحزَّم [10] .

---

١ المرجم : المظنون ، المأخوذ بالظن .

٢ تضرى : تهيج . ضرى النار : أججها ، وضع فيها وقوداً . تضرم : تشتعل بشدة .

٣ جر عليهم : جنى عليهم . يؤاتيهم : يوافقهم ، يفيدهم .

٤ الكشح : الجانب ، الخاصرة – طوى كشحاً : كتم . مستكنة : ضغينة (مكتومة) . ثم لم يتقدم إلى حضور الاجتماع ليطلب دية أخيه أو ليأخذها .

٥ سأقضي حاجتي : سآخذ بثأري . أتقي عدوي : أحتمي من عدوي . بالف .. ملجم : الف حصان (المقصود بألف من الفرسان) .

٦ شد : هجم (وقتل العبسي) ، ونال وطره . لم يفزع بيوتاً كثيرة : لم يشعر كثيرون بما صنع ، لم يلفت اليه الأنظار .

٧ شاكي السلاح : مسلح تسليحاً تاماً . مقذف : يقذف به كثيراً إلى المعارك (ذو اختبار في الحرب) . اللبدة : شعر ينبت حول رقبة الاسد . له لبد : لبدته تامة ، كناية عن تمام بلوغه وقوته . اظفاره لم تقلم : لم تضعف قوته بعد ، لا يزال فتياً .

٨ إذا اعتدى عليه أحد رد اعتداءه وانتقم منه ، وإذا لم يبدأه بالاعتداء اعتدى هو عليه لعزة نفسه وقوته ، وذلك كان من المثل العليا عند الجاهليين . – وفي هذين البيتين والابيات التي تليهما وصف للحارث بن عوف وهرم بن سنان .

٩ ان رماح الحارث بن عوف وهرم بن سنان (اللذين يدفعان ديات جميع القتلى من مالهما الخاص) لم تقتل ابن نهيك ولا الذي قتل في المكان المعروف باسم المثلم .

١٠ ورماحهما لم تقتل نوفلا ولا وهباً العبسي ولا ابن المحزم (بفتح الزاي المشددة أو بكسرها—ويروى المخزم بالخاء المعجمة والزاي معاً) .

فكلاً أراهم أصبحوا يَعْقِلونهم ... عُلالةَ ألف بعدَ ألف مُصتَّم [1] :
سَئمتُ تكاليف الحياة ، ومن يعشْ ... ثمانين حولاً – لا أبا لكَ – يسأمِ !
رأيتُ المنايا خبطَ عشواءَ ، من تُصبْ ... تُمته ، ومن تُخطِئْ يُعمَّرْ فيهرَم [2]
وأعلم ما في اليوم والأمس قبلَهُ ، ... ولكنني عن علم ما في غدٍ عمِ [3] .
ومَنْ لا يُصانعْ في أمور كثيرةٍ ... يُضرَّسْ بأنيابٍ ويوطأْ بمَنْسِم [4] .
ومن يكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفضلِه ... على قومه يُستغْنَ عنهُ ويُذمَمِ .
ومن يجعل المعروفَ من دون عِرضه ... يَفِرْهُ ، ومن لا يتّقِ الشتمَ يُشتمِ [5] .
ومن لا يَذُدْ عن حوضه بسلاحه ... يُهدَّمْ ،ومن لا يَظْلِمِ الناس يُظلم [6] .
ومن هاب أسبابَ المنايا ينَلْنَهُ ... وإن يرقَ أسبابَ السماء بسُلَّمِ [7] .
ومن يَغتربْ يَحْسَبْ عدوّاً صديقه، ... ومن لا يُكرِّمْ نفسه لا يُكرَّمِ .
ومهما تكن عند امرئٍ من خَليقة ، ... وان خالها تَخْفى على الناس ، تُعلَمِ .
ومن يَجعلِ المعروفَ في غيرِ أهله ... يكن حمدُهُ ذمّاً عليه ويَنْدَمِ .
وكائنْ ترى من صامت لك مُعْجِبٍ ، ... زيادتُه أو نقصُه في التكلّمِ [8] .
لسانُ الفتى نصفٌ ، ونصفٌ فؤاده . ... فلم يبقَ إلاّ صورةُ اللحمِ والدم .

– كان عمرو بن هند ملك الحيرة قد قتل حُذيفة بن بدر بن عمرو الفَزاري من بني غَطَفان . واتفق أن نَشِبَتِ الحرب في غطفان فانتهز عمرو بن هند

---

١ ومع ذلك فقد دفعوا ديات جميع هؤلاء القتلى اقساطاً من ابل صحيحة الخلقة . يعقلونه : يدفعون ديته . علالة : شيئاً فشيئاً . الف بعد الف : في كل عام الف جمل (لمدة ثلاث سنوات) . مصتم : تام الخلقة .

٢ رأيت الموت يتناول الناس من غير تمييز بينهم كما تمشي الناقة العشواء (الضعيفة البصر) : فمن اتفق له حادث موت مات صغيراً أو شاباً ، ومن لم يتفق له ذلك عاش حتى يهرم .

٣ عم : اعمى .

٤ يصانع : يداري . يضرس : يمضغ . يوطأ بمنسم : يداس بأرجل الابل .

٥ من يبذل ماله ليصون عرضه يبق عرضه موفوراً (كريماً مصوناً) . يتقي : يتجنب .

٦ من لم يدافع عن حوض الماء (كناية عن المال والعرض ، لأن الماء أثمن شيء في الصحراء والبادية معاً) بالسلاح ، يهدم حوضه (لكثرة من يجيء اليه للاستقاء منه). ومن لا يعتدي على الناس (يحاربهم) اعتدى الناس عليه . الظلم (حسب معناه في الجاهلية) هو أن تبدأ الآخرين بالحرب .

٧ من حاول أن يتجنب الحوادث التي تؤدي عادة إلى الموت (كالحرب والسفر والمرض) نالته تلك الحوادث ولو صعد إلى السماء .

٨ ربما أبصرت رجلا صامتاً فأعجبك ، فاذا تكلم زاد مقامه في عينك أو نقصت قيمته عندك .

الفرصة وأراد أن يبسط سلطانه على غطفان ، فأرسل إلى حِصْنِ بن حذيفة — وكان سيداً في قومه — أن ادخل في مملكتي وأنا أمدك بخيل (لقتال خصومك) . فأرسل حصن إلى عمرو بن هند يقول : « ما كنتُ قطّ أفرغَ مني لحربكَ الآن وأكثرَ عُدّة » ، ثم تجهّز وسار لملاقاته . فصدّ عنه عمرو بن هند وكره قتاله . فقال زهير يمدح حصناً ويذكر أمر عمرو بن هند :

صحا القلبُ عن سلمى وأقْصَرَ باطلُهُ ، وعُرّيَ أفراسُ الصبا ورواحلُهْ .
وقال العَذارى : إنما أنت عَمّنا ، وكان الشبابُ كالخليط نُزايلُه [1] .
فأصْبَحْنَ مـا يَعْرِفْنَ إلاّ خَليقتي والا سوادَ الرأس والشيبُ شامله [2] .
وذي نِعمـةٍ تَمّمْتُهـا وشكرْتُها وخَصمٍ يكاد يَغْلِبُ الحقّ باطله [3] .
دفعتَ بمعروفٍ من القول صائبٍ ، إذا مـا أضلّ القـائلين مفاصله .
وذي خَطَلٍ في القول يَحْسَبُ أنه مُصيبٌ ، فما يُلْمِمْ به فهو قائله ؛
عبَـأتُ له حِلمي وأكرمت غيرَه ، وأعرضتُ عنه وهو بادٍ مقاتله [4] .
وأبيضَ فيّاضٍ يـداه غَمامـةٌ على مُعْتَفيه ما تُغِبّ فواضلـه ،
أخي ثِقَةٍ لا تُتْلِفُ الخمرُ مالَه ، ولكنّه قد يُتْلِفُ المـالَ نائلُهْ [5] .
تراه إذا ما جِئتَه مُتَهَلّـلاً كأنّكَ تُعطيه الذي أنتَ سائلـه .
وذي نَسَبٍ نـاءٍ بعيدٍ وصلتـه بمال ، وما يَدْري بأنك واصله [6] .
حُذيفةُ يُنْميه وبَدرٌ كلاهُمـا إلى باذخٍ يعلو على من يُطـاوله [7] .
ومَنْ مِثلُ حِصْنٍ في الحروب ومثلُه لإنكارِ ضيمٍ أو لأمرٍ يحـاوله ؟
أبى الضيمَ والنّعمانُ يَحْرِقُ نابَهُ عليه ، فأفضى والسيوف مَعاقلـه .

---

[1] إنما أنت عمنا : أصبحت مسناً . — كنا نخالطك (نصاحبك) في الشباب ، فلما فارقك الشباب فارقناك ، لأنا في الحقيقة كنا نصحب شبابك .

[2] أصبحن لا يذكرن إلا حالي يوم كنت شاباً ، أما الآن فقد عم الشيب رأسي .

[3] أكرمت نفسي عن الرد عليه . بادية مقاتلة : أستطيع أن أتغلب عليه ، أن أصيبه في مقتل منه .

[4] نعمتان : نعمة (لي على غيري) تممتها ، ونعمة (لغيري علي)

[5] النائل : الشخص الذي ينال المال منه .

[6] ما كان يظن أنك ستعطيه مالا .

[7] حذيفة وبدر : والد الشاعر وجده . ينميه : يرفعه في المجد أو النسب . انه ينتسب إلى حذيفة وبدر . الباذخ : العالي (النسب الشريف) .

٤ – شرح ديوان زهير بن أبي سلمى (النعساني) ، القاهرة (الخانجي)١٣٢٣هـ.
ديوان زهير بن ابي سلمى ، شرح الاعلم الشنتمري (النعساني) ، مصر (المكتبة التجارية) ، بلا تاريخ .
شرح ديوان زهير بن أبي سلمى للإمام ثعلب ، القاهرة (دار الكتب) ١٣٦٣هـ = ١٩٤٤م .
ديوان زهير بن أبي سلمى ، بيروت (صادر) ١٩٦٠ .
** بروكلمان ١ : ١٥ .

أكثم بن صيفيّ

كان ابو حَيدة أو أبو الحفاد أكْثَمُ بن رياح بن الحارث بن مُحاسن بن صَيْفِيّ من أهل الحجاز وأحد حكماء العرب ، قيل كان الملوك والرؤساء يستزيرونه لسماع حِكَمِه ونصائحه .

قالوا : لما ظهر الإسلام أرسل أكثم بن صيفيّ رجلين يسألان الرسول عن نسبه وعمّا جاء به ، فأخبرهما بما سألا ثم تلا عليهما قول الله تعالى : « إنّ الله يَأمُرُ بِالعَدْلِ والاحْسان وإيتاء ذي القُرْبَى ، ويَنْهَى عَنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ والبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لعَلَّكُمْ تَذَكّرون »[1] . فلما رَجَعا إلى أكثمَ بذلك قال أكثم : يا قومُ ، انه يأمر بمكارم الاخلاق وينهى عن ملائمها .

وتوفّي أكثم بن صيفي عام ١٠ ق. هـ. (٦١٢م) على الشِرْك ، وكان قد أسنّ كثيراً .

كان أكثم بن صيفيّ من الخطباء البلغاء والحُكّام الرؤساء[2] يُضْرب فيه المثل باصالة الرأي ونُبْل العِظة . فمن أقواله :

– الكرم حسن الفِطنة وحسن التغافل ، واللؤم سوء الفطنة وسوء التغافل .
– تَباذلوا[3] تَحابّوا .
– تباعدوا في الديار تقاربوا في المودّة .

---

١ ١٦ (النحل) : ٩٠ .
٢ الحكام الرؤساء : الذين بلغوا في الحكم بين الناس مبلغ الرئاسة .
٣ تباذلوا : ليبذل بعضكم لبعض (من ذات نفسه ومن ذات يده) تنتج بينكم المحبة .

– تناءَوا في الديار وتواصلوا في المَزار .
– تناءَوا في الديار ولا تباغضوا ، فان من يجتمع يتقعقع عَمَدُه .
ومن وصية لأكثم بن صيفيّ يَعِظ فيها قومه :

يا بني تميم ، لا يفوتَنّكم وعظي ان فاتكم الدهر بنفسي [1] . ان بين حَيْزومي وصدري لَكلاماً لا أجد له مواقع إلا أسماعكم ، ولا مَقارّ إلا قلوبكم فتلقّوه بأسماع مُصْغِية وقلوب واعية تَحْمَدوا مَغَبّته [2] . الهوى يقظان والعقل نائم ، والشهوات مُطلقة ، والحزم مَعْقول ، والنفسَ مهملة ، والرويّة مقيّدة [3] . ومصارع الرجال تحت بروق الطمع . ومن سَلَكَ الجدَد أمِن العثار [4] . ولن يعدم الحسود أن يتعب قلبه ويَشغَل فكره ويؤرِّث غيظه ، ولا تُجاوِزُ مضرّته نفسَه [5] .

قيل إن أكثم بن صيفيّ عزّى عمرو بن هند عن أخيه فقال :

إن أهل هذه الديار سَفْر لا يحلّون عقد الرحال إلاّ في غيرها [6] . وقد أتاك ما ليس بمردود عنك ، وارتحل عنك ما ليس براجع اليك ، وأقام معك من سيظعن عنك ويدعك [7] . واعلم أن الدنيا ثلاثة أيام : فأمس عظة وشاهد عدل فجعَك بنفسه وأبقى لك وعليك حكمته ، واليوم غنيمة وصديق أتاك ولم تأته ، طالت عليك غيبته وستسرع عنك رحلته ، وغداً لا تدري ما أهله ، وسيأتيك ان وجدك . فما أحسن الشكر للمنعم والتسليم للقادر ! وقد مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفروع بعد أصولها ؟ وأعلم أن أعظم من المصيبة سوء الخلف منا ؛ وخير من الخير معطيه ، وشرّ من الشر فاعله .

---

١ ان أخذني الدهر (ان مت) فلا تفوتنكم النصيحة مني (ان خسرتموني فلا تخسروا نصائحي) .
٢ الحيزوم : مقدم الشيء ، الفم . مقار جمع مقر : مكان . مصغية : مائلة ، منتبهة . واعية : حافظة . تحمدوا مغبته : تكن عاقبته عليكم حسنة .
٣ مطلقة : حرة تسلك أين شاءت . معقول : مربوط . الروية : التفكير مع التأني . مقيدة : مربوطة .
٤ طمع الانسان يقوده (أحياناً) إلى الهلاك . « من سلك الجدد (من سار في الطريق الواضح) أمن العثار » مثل .
٥ أرث غيظه : ضرمه ، زاد في ايقاده .
٦ السفر (بسكون الفاء) : جماعة المسافرين معاً . هذه الدار : الدنيا . يحلون عقد الرحال في غيرها : ينزلون ، يستقرون في الآخرة .
٧ وقد أتاك (أي الموت) . وارتحل عنك (أي أخوك الذي مات) . يظعن : يرتحل . يدع : يترك، يفارق .

قيس بن الخطيم

١ – هو قيس بن الخَطيم بن عَديّ بن عمرو بن سَواد من الأوس من أهل يَثْرِب (المدينة) . نشأ قيس بن الخطيم أيِّداً قَوِيّ الساعدين ويَتَم من أبيه وهو صغير : قَتَل أباه رجلٌ من عبد قيس . وكذلك مات جده عدي قتيلاً ، قتله رجل من بني عمرو بن عامر . وأخذ قيس بن الخطيم على نفسه أن يثأر لأبيه وجَدّه فما زال يَجدّ حتى ظَفِر بقاتل أبيه في يثرب وبقاتل جده في ذي المَجاز .

لما ثار النزاع في يثرب بين الأوس والخزرج نصر قيس بن الخطيم قومه الأوس بلسانه وبسيفه . ولمّا ملّ أهل يثرب النزاع واتصلوا بالرسول يريدون الدخول في الاسلام لعلّ الاسلام يجمع بينهم ويقضي على خلافاتهم ، كان قيس ابن الخطيم في من عَرَضَ الرسولُ عليهم الاسلامَ . ولم يُسْلِمْ قيسٌ ، ولكن امرأته حوّاءَ بنت يزيد أسلمت (غ ٣ : ١٠) .

وقُتل قيس بن الخطيم في قول صاحب الاغاني (٣ : ١٠ ، السطر الثالث من أسفل) قبل الهجرة .

٢ – قيس بن الخطيم شاعر مكثر مجيد حسن الديباجة ، وهو أشعر أهل المدينة في الجاهلية . وأغراض شعره الفخر والحماسة والغزل وله وصف فيه صور بَدْوية وصور حضرية .

٣ – المختار من شعره :

– قال قيس بن الخطيم بعد أن ثأر لأبيه الخطيم من قاتله ابن عبد القيس وبعد أن ثأر لجده :

طَعَنْتُ ابن عبد القيس طعنةَ ثائر ... لها نَفَذٌ لولا الشعاعُ أضاءها [1] .
ملكتُ بها كفّي فأنْهَرْتُ فَتْقَها ... يرى قائم من دونها ما وراءها [2] .

* في الاعلام للزركلي (٦ : ٥٥) : توفي قيس بن الخطيم ٢ ق. هـ. = ٦٢٠ م .

[1] الثائر : الآخذ بالثأر . لما طعنته نفذ رمحي فيه من جانب إلى جانب ؛ ولولا الشعاع (الدم المتفق من منفذ الطعنة) لاستطاع الرائي أن يرى من خلالها .

[2] تمكنت من الرمح الذي طعنته به فجعلت الشق فيه مثل النهر .

وكنت امرأً لا أسمع الدهرَ سُبّـة   أسبّ بهـا الا كشفتُ غِطاءها .
فإنّيَ في الحرب الضروس موكّـل   بإقـدام نفسٍ مـا أريد بقاءها .
متى يأتِ هذا الموتُ لا تُلْفَ حاجـة   لنفسي إلاّ قـد قَضَيْتُ قَضاءهـا .
ثأرت عَدِيّـاً والخطيمَ ، فلم أُضِعْ   وَلاية أشياخٍ جُعِلْتُ إزاءهـا .

– وله إحدى المُنْتَقَيات الثماني في « جمهرة أشعار العرب » ، منها :

أتَعْرِفُ رسماً كالطِراز المذَهّب   لِعَمْرَةَ وحشاً غيرَ موقف راكبِ[1].
تَبَدّتْ لنا كالشمس تحت غَمامة   بدا حاجبٌ منها وضنّت بحاجب.
ولم أرها إلاّ ثَلاثاً على مِنَى ،   وعَهْدي بهـا عَذراءَ ذاتَ ذوائب :
دعوتُ بني عَوْفٍ لحَقْنِ دمائهم ،   فلمّا أبَوْا سامحتُ في حرب حاطب[2] ؛
وكنتُ امْرَأً لا أبعث الحرب ظالماً ،   فلما أبَوْا أشعلتُ من كل جانب .
إذا لم يكن عن غاية الحرب مَدْفَعٌ   فأهلاً بها ، إذ لم تَزَلْ في المَراحب .
ومنّا الذي آلى ثلاثين حِجّةً   عن الخَمْر حتى زاركم بالكتائب[3].
ولمـا هَبَطْنا السهلَ قال أميرنـا :   حَرامٌ علينا الخَمْرُ مـا لم نضارب.
فتابعـه منا رجـالٌ أعِـزّةٌ ،   فما رَجَعوا حتّى احلّت لشارب .
أطاعت بنو عَوْف أميراً نَهاهم   عن السلم حتّى كان أول واجب[4] .
قتلناكمُ يوم الفِجار وقبلَه ،   ويوم بُعاثٍ ذاك يوم التغالب .
رَضِيتُ لعَوْفٍ أن تقولَ نساؤهم ،   ويَهْزأنَ منهم : ليتنا لم نُحارب !

٤ – ديوان قيس بن الخطيم عن ابن السكّيت وغيره (حقّقه وعلّق عليه ناصر الدين الأسد) ، القاهرة ١٩٦٢ م .
ديوان قيس بن الخطيم (حقّقه ابراهيم السامرّائي وأحمد مطلوب) ، بغداد ١٩٦٢ م .

* بروكلمان ١ : ١٩ ، الملحق ١ : ٥٦ .

---

١ غير موقف راكب واحد (يعني نفسه في وقوفه على اطلالها) .
٢ كنت أشفق على بني حاطب من الحرب ؛ فلما أبوا السلم الذي عرضته عليهم سمحت نفسي بحربهم .
٣ آلى : أقسم (امتنع ثلاثين سنة عن شرب الخمر حتى تمكن من أن يغزوكم) .
٤ نهاهم أميرهم عن السلم ، فكان أول واجب (ساقط في المعركة قتيلا) .

عبد يغوث الحارثيّ

١ ـ هو عبد يَغوث بن صَلاءة من بني الحارث بن كعب من كَهلان ، من اليمن (عرب الجنوب) . كان عبد يَغوث رجلاً عظيم الجسم جميلاً ، وكان كريماً وفارساً معدوداً وسيّداً في قومه ، قاد قومَه يوم الكُلاب الثاني * على بني تميم وأحلافهم فقُتِل وأُسِرَ من قومه عددٌ كبير . ثم وقع هو في الاسر ، أسره شخص من بني عُمير بن عبد شمس ، من بني التَيم من قريش .

أراد عبد يَغوث أن يفتدي نفسه بمائة من الإبل ، ولكن بني التَيْم أبَوْا وقالوا : قُتِلَ فارسُنا النعمان بن جسّاس ، ولم يقتل من بني الحارث فارس معدود ، فلا بُدّ من قَتلِ عبد يَغوث بالنعمان . فكان مقتل عبد يَغوث في عام ٦١٣م ، قبل الهجرة بنحو عشر سنين .

٢ ـ عبد يَغوث من فحول الشعراء ، وهو شاعر مُقِلّ ، وشعرُه وُجْداني سهل .

٣ ـ المختار من شعره :

لمّا عزم بنو التَيْم على قَتلِ عبد يَغوث شدّوا لسانه بنِسْعة ، قيل مَخافةَ أن يَهجُوَهم [١] . ومع ذلك فقد وصلت الينا هذه القصيدة الرائعة يحاول الشاعر أن يُقنع بها آسريه باطلاق سراحه ، ثم يلتفت إلى قومه فيخبرهم عن بَلائه في الحرب ويفتخر بنفسه ويبرّر أسره . قال الجاحظ [٢] : « ما قرأت في الشعر كشعر عبد يَغوث بن صَلاءة الحارثي وطرفة بن العبد وهُدْبة (بن خَشْرمٍ العُذري) ، فإن شعرهم في الخوف لا يقصّر عن شعرهم في الأمن ، وهذا قليل جداً » . أما قصيدة عبد يغوث فهي :

---

* تاريخ الجاهلية ١٤٧ ـ ١٤٨ .

١ بلغ من خوف العرب من الهجاء ، كما يقول الجاحظ (البيان والتبيين ٤ : ٤٥) : « أنهم إذا أسر الشاعر أخذوا عليه المواثيق ، وربما شدوا لسانه بنسعة (قطعة رفيعة من جلد) ، كما صنعوا بعبد يغوث حينما أسرته بنو تيم يوم الكلاب » .

٢ الحيوان ٧ : ١٥٧ ؛ راجع البيان والتبيين ٢ : ٢٦٨ .

أَلا لا تَلوماني ، كفى اللَّوْمَ ما بيا ، فما لكما في اللوم خيرٌ ولا ليا !
أَلَمْ تعلما أن المَلامةَ نفعُهـا قليلٌ ، وما لَوْمي أخي من شِماليا [1] .
فيا راكباً ، إمّا عَرَضْتَ فبَلِّغَنْ نَداماي من نَجْرانَ أن لا تَلاقيا [2] :
أبا كَرِبٍ والايْهَمَيْنِ كليهمـا وقيساً بأعلى حَضْرَمَوْتَ اليمانيا [3] .
جَزَى اللهُ قومي بالكُلاب مَلامةً : صريحهم والآخرين المواليـا [4] .
ولو شئتُ نَجّتني من الخيل نَهْدَةٌ ترى خلفَها الحُوّ الجِياد تَواليـا [5] ،
ولكنّني أحمي ذِمارَ أبيكُمُ ، وكان الرماحُ يَخْتَطِفْنَ المُحاميا [6] .
أقولُ وقد شَدّوا لِساني بنِسْعَةٍ : أمَعْشَرَ تَيْمٍ ، أطلقوا عن لِسانيا ؛
أمعشر تيمٍ ، قد ملكتُمْ فأسْجِحُوا ، فان أخاكم لم يكن من بَوائِيا [7] .
فإنْ تَقْتُلوني تقتلوا بِيَ سَيِّداً ، وان تُطْلِقوني تَحْرُبوني بِماليا [8] .
أحقاً ، عبادَ اللهِ ، أن لست سامعاً نشيدَ الرِعاء المُعْزِبين المَتاليا [9] .
وتَضْحَكُ مني شَيْخَةٌ عَبْشَمِيَّةٌ ، كأنْ لم تَرَيْ قبلي أسيراً يَمانيا [10] !
وظلّ نِساء الحيّ حَوْلِيَ رُكَّـداً يُراوِدْنَ مني ما تُريد نِسائيا [11] .

---

١ شمال : عادة .
٢ « راكباً » منادى منصوب غير مقصود بالنداء (أي راكب اتفق) . عرضت : أتيت العارض (اليمامة) . نجران : موضع باليمن .
٣ ابو كرب : بشر بن علقمة بن الحارث . الايهمان : الاسود بن علقمة بن الحارث والعاقب عبد المسيح بن الابيض ؛ وقيس : هو ابن معدي كرب والد الاشعث بن قيس الكندي (المفضليات ١٥٧) .
٤ الصريح : بنو الحارث . الموالي : موالي بني الحارث (حلفاؤهم) .
٥ نهدة : فرس مرتفعة الصدر (دلالة على الفتوة والنشاط) . الحو جمع أحوى وحواء : الفرس الحمراء المائل لونها إلى السواد . تواليا : يتلو بعضها بعضاً (وراء فرسي) . — لو شئت النجاة بنفسي لهربت على فرس فتية سريعة لا تدركها الخيل .
٦ الذمار : الشرف ، العرض ، ما يجب على الانسان أن يدافع عنه .
٧ ملكتم : اقتدرتم (علي) فاسجحوا : تكرموا (أطلقوا سراحي) . « ملكت فاسجح » مثل . فان أخاكم (فارسكم النعمان بن جساس الذي قتل في المعركة) لم يكن من بوائي (لم أكن غريمه ، لم أقتله أنا) .
٨ تحربوني بماليا : تسلبوني ماليا (كناية عن استعداده لافتداء نفسه بكل ما يملك) .
٩ المعزب : البعيد عن أماكن السكنى . المتالي جمع متلوة : الناقة يتلوها (يتبعها) ولدها . و « المتاليا » مفعول به من اسم الفاعل « المعزبين » .
١٠ شيخة : عجوز . عبشمية : من بني عبد شمس (من قيس ، من عرب الشمال). تري مجزومة بحرف الجزم لم ، وعلامة جزمها حذف النون . وفي البيت التفات من الغائب إلى المخاطب .
١١ ركد جمع راكدة : هادئة ، ساكنة ، مستلقية .

وقد علِمتْ عِرسي مُليكةُ أنّني ... أنا الليثُ معْدُوّاً عليه وعاديا [1] .
وقد كنتُ نحّارَ الجَزُورِ ومُعْمِلَ الـ ... ـمَطيّ ، وأمضي حيث لا حيَّ ماضيا [2] .
وأنْحرُ للشَّرْبِ الكِرام مطيّتي ، ... وأصْدعَ بين القَيْنتَيْنِ رِدائيا [3] .
وكنت إذا ما الخيل شَمّصَها القنـا ... لَبيقاً بتصريفِ القناةِ بنانيـا [4] .
وعاديةٍ سَوْمَ الجَراد وزَعْتهـا ... بكفّي وقـد أنْحَوْا إليَّ العَواليا [5] .
كأنّيَ لم أركبْ جَواداً ولم أقلْ ... لخَيْليَ : كُرّي نَفّسي عن رجاليا [6] ،
ولم أسْبَأ الزِّقَّ الرَّويَّ ولم أقـل ... لأيْسارِ صَدْقٍ :أعْظِموا ضوءَ ناريا [7] !

٤ — ** المفضّليات رقم ٣٠ (ص ٥٥ — ١٥٨) .
غ ١٢ : ١٥٣ — ١٥٤ ، ١٥ : ٧٣ — ٧٩ ، ١٩ : ١٤١ .

عنترة بن شدّاد

١ — عَنْتَرَةُ عربيّ من جهة الأبِ ، فهو من بني عبس ، أبناء عمّ بني ذُبيان وخصومهم في وقت واحد . أما أمّه فجارية حَبَشية اسمها زُبيبة . فهو من أجل ذلك هَجين (مختلط النسب) أسود ، ولذلك لم يُلْحِقَهُ أبوه به (بنسب بني عبس) . نشأ عنترة في نجد عبداً يرعى الإبِلَ محتقراً في عين والده وأعمامه ولكنه نشأ شديداً بطّاشاً شجاعاً ، كريم النفس كثير الوفاء . وأحبّ عنترة منذ صغره عَبْلَةَ ، ابنة عمه مالكٍ ، ثم طمع بأن يَبْتَنيَ بها .

---

١ أنا الليث معدواً علي (ادفع الذين يهجمون علي) وعادياً (أنزل الأذى بمن أهجم عليه) .
٢ أذبح الابل ، وأبعد أسفاري ، وأصل إلى حيث لا يستطيع أحد أن يصل .
٣ الشرب : الذين يشربون الخمر معاً . « أصدع بين القينتين ردائيا » : (من الطرب، وأعطي لكل قينة نصفه) .
٤ شمصها ، نفرهـا : جعلها تجفل وتحرن . القنا : الرماح (في الحرب) . لبيقا .... : أحسن الطعن بالرماح .
٥ عادية : خيل هاجمة . سوم الجراد : كثيرة كثرة الجراد . وزعتها : صددتها ، رددتها ، هزمتها . بكفي : بدفاعي وحدي . انحى اليه . وجه اليه . العوالي : الرماح .
٦ كري نفسي عن رجاليا : اهجمي وخففي ضغط العدو عن المحاربين المشاة .
٧ أسبأ : اشترى . الزق الروي : وعاء الخمر المملوء . أيسار صدق : الرجال الذين ييسرون (يقترعون بالقداح) باسمي على الابل ثم يفرقونها في الناس . أعظموا ضوء ناريا (حتى يأتي اليها ضيوف كثيرون).

ولكنّ عمه كان كثير التعَنّت فلم يرضَ أن يزوّج ابنته بعبدٍ أسود . وأدرك آل عنترة بأسَ ابنهم وشجاعته فأحبّوا أن يستغلوهمـا في حرب أعـدائهم وخصومهم فكانوا يحرّضونه دائماً على خوض المعارك ويمنّونه مقابل ذلك أن يزوجوه بعبلة . فإذا انجلت المعركة وأدرك العبسيون ثأرهم أو نالوا مآربهم حرموا عنترة من الغنيمة ونكثوا عهدهم اليه بزواج عبلة .

وأخيراً أغار حي من العرب على بني عبس غارة حملوا فيها كل شيء ، وسبَوْا عبلة أيضاً . فلما جاءه أبوه يستثيره لخوض الحرب أبى وقال لـه : « العبد لا يحسن الكر ، بل يحسن الحِلاب والصَرّ[1] » . فقال له أبوه : « كرّ ، يا عنترةُ ، وأنت حر » . فلحق عنترة بالمغيرين واسترد منهم كل ما سلبوه . ويظهر ان أباه استلحقه بعد هذه الحادثة بنسبه ، ولكنّ عمّه مالكاً لم يرض أن يزوجه عبلة .

وعُمِّرَ عنترة طويلاً ، وكانت له أيام مشهورات في حرب داحس والغبراء . وحارب أيضاً الفرس في يوم ذي قار (عام البِعثة ، ٦١٠م) فلما وصل خبر تلك المعركة إلى الرسول قال : « هذا أول يوم أخذت فيه العرب من العجم بحق ! »

وبعد بضع سنوات خاض العبسيون معركة مع بني طيّ ، سقط فيها عنترة قتيلاً عام ٨ ق. هـ. (٦١٤م) ، قتله الاسد الرهيص جبّار بن عمرٍو الطائي . ولعلّ عنترة مات عَزَباً ، ثم هو لم يتزوج عبلة ، فعبلة تزوجها رجل غيره .

٢ — اشتهر عنترة بفنين من فنون الشعر : بالغزل والحماسة .أما غزله فعفيف حلوٌ في بعض الاحيان خَشِنٌ في بعضها الآخر . وعنترة لا يجيد تحديث المحبوبة لأنه يحاول أن يجتذبها بذكر وقائعه أمامها وبتخويفها من عواقب ضربه وطعنه على أهلها .

واشتهر عنترة بالحماسة خاصة . وحماسته قسمان : اولهما حوادثه هو ، وهي حوادث مفردة قتل فيها فلاناً أو فلاناً ، وثانيهما هجومه في قومه بني عبس على الاعداء . ويبدو من مراجعة قصائد عنترة في الحماسة انه يتناول فيها جميـع أبواب الشجاعة والقتل وصور القوة والبطش . ولا شك في ان الرواة قد أضافوا إلى عنترة أقوالاً كثيرة .

---

١ الصر : ربط ضرع الناقة بعد حلبها .

وقيل : كان عنترةُ يقول البيتَ والبيتين فقط ثم كانت المعلّقة أولَ قصيدة قالها . والذي يبدو لي أن قومَه لم يكونوا يَحفِلون بشعره ثم حَفَلوا به بعد أنْ قال المعلّقة وأجاد قولها .

٣ — المختار من شعره :

— نظم عنترة معلقته في أعقاب حرب داحس والغبراء ليعاتب عبلة ويفتخر أمامها بشجاعته وكرمه ، وليعاتب أباه وعمّه اللذين ضنّا بعبلة زوجاً له . ويذكر عنترة مقتل ضمضمٍ المرّيّ ويزدري بابني ضمضمٍ الحصينِ وهرمٍ (راجع معلقة زهير) :

هَلْ غادَرَ الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ ، أم هلْ عَرَفْتَ الدار بعد تَوَهُّمِ [1] ؟

ثم قال عنترة يخاطب عبلة :

إن تُغدفي دوني القناعَ فإنني طَبٌّ بأخذ الفارس المُسْتَلْئِم [2] :
أثني عليّ بما علمتِ فانني سهلٌ مُخالقتي إذا لم أظْلَم [3] .
فاذا ظُلمت فانّ ظلمي باسلٌ مُرٌّ مذاقته كطعم العلقم [4] .
ولقد شربتُ من المدامة ، بعدما ركَدَ الهَواجرُ ، بالمَشوف المُعلَم [5]
بزجاجةٍ صفراءَ ذاتِ أسرّة قُرنت بازهرَ في الشِمال مُفَدَّم [6] .
فاذا شَربتُ فانني مُستهلكٌ مالي ، وعِرْضي وافرٌ لم يُكْلَم [7]

---

١ متردم : المكان الذي تهرأ في الثوب ثم اصلح برقعة . — يقولون : قصد عنترة ان الاقدمين أتوا على جميع معاني الشعر فقالوها قبله — . وعندي ان متردم « بكسر الدال » . المتهدم — والمعنى : هل ترك الشعراء طللا لم يقفوا بعد عليه ، والدليل على ذلك قوله : ام هل عرفت الدار بعد توهم ، فهو لم يعرف طلل عبلة بالتأكيد بل توهمه توهماً .

٢ اغدف القناع : اسدله على الوجه . طب : حاذق ، خبير . المستلئم : اللابس اللأمة (الدرع) — انا أتغلب على البطل الذي يلبس درعاً ، أفلا اتغلب على امرأة تسدل على وجهها قناعاً ؟

٣ سهل مخالقتي : معاشرتي سهلة .

٤ باسل : كريه . العلقم : نبات مر .

٥ المدامة : الخمر . ركد الهواجر : سكن الحر . المشوف المعلم : « الدينار » المجلو الذي فيه كتابة ونقش بارزان (بدينار جديد) .

٦ اسرة : خطوط . ازهر : (ابريق) من فضة ابيض براق . مفدم : عليه الفدام (المصفاة) .

٧ وافر : موفور ، كامل . يكلم : يجرح .

وإذا صَحَوْتُ فما أُقَصِّر عن ندىً، وكما علمتِ شمائلي وتكرّمي [1] .
هلاّ سألتِ الخيل ، يا ابنة مالكٍ ، إن كنتِ جاهلة بما لم تَعلَمي ؟
يُخبرْكِ من شهِد الوقيعةَ أنني أغشى الوغى وأعِفّ عند المغنم .
ومدجّج كَرِهَ الكُماةُ نِزاله لا مُمْعنٍ هرباً ولا مُستَسلم [2] ،
جادت يداي له بعاجل طعنةٍ بمثقّف صَدْقِ الكعوب مقوّم [3] ،
فشككتُ بالرمح الأصمّ ثيابَه . ليسَ الكريم على القنا بمحرّمِ !
فتركته جَزَرَ السباعِ يَنُشْنَهُ يَقْضُمنَ حُسْنَ بنانه والمِعْصَم [4] .
عهدي بـه مَدّ النهـارِ كـأنما خُضِبَ البَنانُ ورأسه بالعِظلَم [5] .
بطلٌ كأنّ ثيـابه في سَرْحـة يُحذى نِعالَ السِبْت ، ليس بتوأم [6] .
ولقد ذكرتك والرماح نواهـلٌ مني ، وبيضُ الهند تقطر من دمي [7] .
فودِدتُ تقبيل السيوف لأنهـا لمعت كبـارق ثغرك المتبسّم .

ثم يلتفت إلى موقف أبيه عمرو منه ويخلُص إلى الفخر بنفسه :

نُبّئتُ عمراً غيرَ شاكرِ نعمتي . والكفرُ مَخبَثَةٌ لنفس المنعِم [8] !
ولقد حفِظْتُ وصاة عمي بالضُحى إذ تَقلِص الشفتان عن وَضَح الفم [9]

---

١ الندى : الكرم . الشمائل : الاخلاق الجميلة .
٢ المدجج : الكثير السلاح . الكماة جمع كمي : البطل التام السلاح . – الابطال يكرهون مقاتلة هذا الفارس لأنه عنيد في القتال : إما أن يقتل خصمه أو أن يموت (لا يهرب ولا يستسلم) .
٣ المثقف : الرمح المقوم (المستقيم) . صدق الكعوب : قوي العقد (يكون الرمح من قناة أو قصبة فارسية ، فيجب أن تكون القناة ناضجة شديدة مكان العقد) .
٤ فتركته جزر السباع : تركته مقتولا في الفلاة لتأكله السباع (الحيوانات الآكلة للحم) . يقضم : يقطع باطراف الاسنان . يقضمن حسن بنانه (رؤوس أصابعه) والمعصم (ما بين الكف والساعد) : يشوهن جماله .
٥ مد النهار : طول النهار . العظلم : شجر أحمر . – لا أزال أذكر انه بقي طول النهار ملقى على الأرض مضرجاً بدمه .
٦ كأن ثيابه في سرحة (شجرة طويلة) : كناية عن طول قامة هذا البطل. يحذى نعال السبت: يلبس حذاءمن جلد رقيق مدبوغ (كناية عن غناه) . ليس بتوام : لا مثيل له (في شجاعته) .
٧ نواهل : شاربات (من دمي) . بيض الهند : السيوف .
٨ اخبرت ان عمراً (اباه ؟) لا يعترف بافعالي في الحرب . والكفر مخبثة لنفس المنعم : ان الجحود يمنع المحسن من معاودة احسانه .
٩ الوصاة : الوصية . عمي : (لعله مالك ابو عبلة) . الضحى : الصباح . تقلص الشفتان عن وضح الفم : تتقلص الشفتان لشدة البرد فتبدو الاسنان .

في حَوْمة الموت التي لا يشتكي غمَراتِها الابطالُ غيرَ تغمغم [1] .
إذ يتّقون بيَ الأسنّةَ ، لم أخِمْ عنها ، ولكني تضايق مُقْدمِي [2] .
لما رأيت القوم أقبل جمعهم يتذامرون ، كررت غيرَ مُذمّم [3] .
يَدعون : عنترَ ! والرماح كأنها أشْطانُ بئرٍ في لَبان الأدهم [4] .
ما زلت أرميهم بثُغرة نَحره ولَبانه ، حتى تَسَرْبل بالدم [5] .
فازْورّ من وَقْع القَنا بلَبانه وشكا إليّ بعبرة وتحمحم [6] .
لو كان يدري ما المحاورةُ اشتكى ، ولَكان – لو علِم الكلام – مكلّمي .
ولقد شفى نفسي وأبرأ سُقْمَها قِيلُ الفوارس : « وَيك، عنترَ، أقدِم » [7]
ولقد خَشِيت بأن أموتَ ولم تَدُرْ للحرب دائرةٌ على ابنَي ضَمضَم [8] ،
الشاتمَيْ عِرْضي ولم اشتُمْهما والناذرَين إذا لم الْقَهما دمي [9] .
إنْ يفعلا فلقد تركتُ اباهما جَزَرَ السِباع وكلِ نَسْر قَشْعم [10] .

٤ – ديوان عنترة ، القاهرة (هندية) ١٨٩٨ .

منية النفس في أشعار عنترة العبسي (اسكندر آغا) بيروت ١٨٦٤ .

شرح ديوان عنترة بن شداد المعروف بمنية النفس في أشعار عنتر عبس ، القاهرة .

ديوان عنترة بن شداد (محمد العناني) القاهرة ١٣١٥ ثم ١٣٢٩ ﻫ.

---

١ حومة الموت : المعركة . غمراتها : شدائدها . تغمغم : صوت غير مفهوم . – عملت بوصية عمي في خوض هذه المعركة الشديدة في هذا البرد الشديد (لأفوز بعبلة) .

٢ يتقون بي الاسنة : يقفون خلفي حتى لا تصيبهم الرماح . خام ، يخيم : جبن ، تراجع . تضايق مقدمي : ان كثرة الفرسان أمامي منعت حصاني من ان يتقدم .

٣ يتذامرون : يحض بعضهم بعضاً . كررت : هجمت . غير مذم : غير مذموم .

٤ ينادون : يا عنترة ! بينما كانت الرماح تتوالى على صدر حصاني الأسود كما تتوالى الاشطان (الحبال) نازلة وصاعدة في البئر (لاستقاء الماء) .

٥ ثغرة نحره : مقدمة صدر الحصان . تسربل . اكتسى .

٦ ازور : مال . عبرة : دمعة ، بكاء . تحمحم : صوت متقطع .

٧ قيل : قول . ويك : انتبه !

٨ خفت أن أموت قبل أن أقتل هرماً والحصين ابني ضمضم .

٩ اللذين ... يتوعداني بالقتل ما داما بعيدين عني ، فاذا رأياني خافا مني . ويروى : والناذرين إذا لقيتها دمي – يقصد انهما يقولان : إذا رأيناه فسنقتله .

١٠ ولو قتلاني لما اهتممت لانني قتلت اباهما من قبل .

شرح ديوان عنترة بن شداد (أمين سعيد) القاهرة (التجارية) بلا تاريخ .
شرح ديوان عنترة بن شداد للبطليوسي (عبد المنعم شبلي وابراهيم الابياري)، القاهرة (التجارية) بلا تاريخ .
ديوان عنترة ، بيروت (دار بيروت) ١٩٥٨ .
** أبو الفوارس عنترة بن شداد ، تأليف محمد فريد أبو حديد ، القاهرة ١٩٤٨ .
عنترة بن شداد ، تأليف حسن جوهر ومحمد أحمد برانق وأمين أحمد العطار ، القاهرة (المعارف) بلا تاريخ .
فارس بني عبس ، تأليف حسن عبد الله القرشي ، القاهرة ١٩٥٧ .
Antara , von Thorbecke , Leipzig 1867 .
بروكلمان ١ : ١٤ — ١٥ .
عنترة (رواية تمثيلية) لأحمد شوقي ، القاهرة ١٩٣٢ .
عنترة (رواية تمثيلية) لشكري غانم ، تعريب إلياس أبي شبكة ، بيروت (بلا تاريخ) .
عنترة (رواية تمثيلية) لشكري غانم ، تعريب إلياس غالي ، مراجعة صالح الأشتر ، دمشق (بلا تاريخ) .

عروة بن الورد

١ — هو ابو نجد (القاموس ١ : ٣٤٠ س) عُروة بن الورد من بني عبس ، ولكنّ أمه من بني نَهد من غير ذوي الانساب المشهورة . كان والد عروة من الفرسان الذين خاضوا حرب داحس والغبراء . وكذلك كان عروة نفسه فارساً شجاعاً ، ولكن صُعلوكاً (فقيراً مغامراً) . وقد كان مقدّماً على الصعاليك لفروسيته وشجاعته ولكرمه ، فقد كان يقوم بأمرهم إذا أخفقوا في غزوة ويَعولهم إذا لم يكن عندهم معاش ، حتى سمّي عروة الصعاليك . وقد فضله بعضهم على حاتم في الكرم[١] .

---

١ راجع الأغاني ٣ : ٧٤ س ، ٧٨ — ٧٩ .

وكذلك كان عروة كريم الاخلاق عفيفاً صادقاً وفيّاً بالعهود . وكان قد سبى امرأة من بني كنانة ، من أهل يثرب ، في إحدى غزواته ، اسمها سلمى في الاغلب وكنيتها أم وهب ، فاتخذها زوجة ورزق منها أولاداً ؛ ولكنّها فارقته في حديث طويل .

وتوفّي عروة بن الورد نحو عام ٧ ق. هـ. (٦١٥م) * .

٢ – شعر عروة بن الورد بَدْوي الخصائص وأكثره في التَصَعْلُك والفخر ، وبعضه في الحماسة والنسيب ، وقد اختار له أبو تمام خمس مقطّعات في « الحماسة » .

٣ – المختار من شعره :

– قال عروة بن الورد في الحث على الاغتراب في طلب الغنى :

ذَريني للغِنى أسعى ، فإنّي رأيتُ الناسَ شرُّهم الفقيرُ ،
وأبعدُهم وأهونهم عليهم ، وإن أمسى له حسب وخير .
ويُقصيه النَديُّ ، وتَزْدريه حليلتُه ، ويَنْهَرُهُ الصغير [1] .
ويُلقى ذو الغنى وله جلال يكاد فؤاد صاحبه يطير ؛
قليل ذَنْبُه ، والذنب جَمٌّ . ولكنْ للغنى ربٌّ غفور .

– وله في مثل ذلك :

إذا المرء لم يَطْلُبْ معاشاً لنفسه شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا ،
وصار على الادنَيْنِ كَلاًّ ، وأوشكت صِلاتُ ذوي القُربى له أن تَنَكّرا [2]
وما طالب الحاجات من كل وُجهة من الناس إلا من أجدّ وشَمّرا .
فسِرْ في بلاد الله والتمسِ الغنى تَعِشْ ذا يسار أو تموتَ فتُعذَرا !

٤ – شرح ديوان عروة بن الورد لابن السكّيت ، القاهرة ١٩٢٣ م .
شرح ديوان عروة بن الورد العبسي لابن السكّيت ، الجزائر ١٩٢٦ م .

---

* في الاعلام للزركلي (٥ : ١٨) : توفي عروة بن الورد ٣٠ ق. هـ=٥٩٤ م .

١ الندي : النادي ، مجتمع القوم . الحليلة : الزوجة .

٢ الادنين : الاقارب . الكل (بفتح الكاف) : العاجز الذي لا يهتدي لخير ولا نفع منه .

ديوان عروة بن الورد والسموأل ، بيروت (دار بيروت) .
** بروكلمان ١ : ١٦ – ١٧ ، الملحق ١ : ٥٤ .

علقمة بن عبدة

١ – عَلْقَمَةُ بن عَبْدَةَ بن النُعمان من بني ربيعة بن مالك من بني تميم . وهو يُعرف أيضاً بلقب **علقمة الفحل** تمييزاً له من رجل من قومه يلقّب بعلقمة الخصيّ اسمه علقمة بن سهل .

وكان علقمة الفحل معاصراً لامرئ القيس (ت ٥٤٠ م) وللحارث بن جَبَلة أبي شَمِرٍ الغسّانيّ (٥٢٩ – ٥٦٩ م) ثم عاش حتى عاصر النعمان أبا قابوس واتّصل ببَلاط جلّقَ وبَلاط الحيرة اتّصالا يسيراً . وعُمّر بعد ذلك طويلاً إلى أن مات عام ٦٢٥م ، بعد الهجرة بثلاث سنوات[1] .

٢ – كان علقمة شاعراً بدوياً ، قلّ أن ألف الحَضَر . واشتهر بالطرد (وبوصف الفرس والنعامة خاصة) ، وله شيء من المدح والغزل والحكمة . قال ابن سلاّم : « ولابن عبدة ثلاث روائع جياد لا يفوقهن شعر » .

٣ – المختار من شعره :

كان لعلقمة الفحل أخ اسمه شأس أسره الحارث بن أبي شمر الغسّاني مع سبعين رجلاً من بني تميم ، فقال علقمة يمدح الحارث ويشفع اليه بالأسرى . وهذه القصيدة هي ثانية القصائد الثلاث اللواتي استجادهن ابن سلاّم :

طحا بك قلبٌ في الحسان طَروبُ   بُعيد الشبابِ عَصْرَ حان مَشيبُ[2] :
يكلّفني لَيْلى ، وقد شطّ وَلْيُها   وعادت عوادٍ بيننا وخطوب[3] .
منعّمةٌ ما يُستطاع كلامها ،   على بابها من أن تُزار رقيب .

---

١ يثبت الزركلي وفاة علقمة في سنة ٢٠ ق. هـ. = ٦٠٣ م ، ويشك في بقائه حياً إلى عام ٦٢٥ م (الحاشية الثانية من العمود الايمن) .

٢ طحا بك : أمعن ، ذهب إلى أكثر مما يجب أن يذهب . طروب : كثير التأثر (حزناً أو فرحاً) .

٣ يكلفني (قلبي الذهاب إلى) ليلى وقد بعد وليها (جوارها ، مسكنها) وعادت (ترددت ، كثرت) عواد (مشاغل الحياة) وخطوب (مصائب وأحداث) .

إذا غاب عنها البَعْلُ لم تُفْشِ سِرّه ، وتُرضي غيابَ البعلِ حين يَؤوب [1]

فلا تَعْدِلي بيني وبين مغمّرٍ ، سقتك رَوايا المزن حين تَصوب [2]!

فان تسألوني بالنساء فانني بصير بأدواء النساء طبيب :

إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله فليس له في ودِّهنّ نصيب .

يرِدْنَ ثَراء المال حيث وجدنَهُ ، وشَرْخ الشباب عندهنّ عجيب .

فدعْها وسلِّ الهمّ عنك بجَسْرة كهمّك فيها بالرِداف خَبيب [3] .

إلى الحارث الوهّاب أعملت ناقتي لكَلْكلها والقُصْرَيَيْنِ وَجيب [4] .

لتُبلّغني دار امرئ كان نائياً ، فقد قَرّبتني من نداك قَروب [5] .

هداني اليك الفَرْقَدان ولاحِبٌ له فوق أصواءِ المِتان عُلوب [6] .

فلا تحرمني نائلاً عن جَنابة فاني امرؤ وسط القباب غريب [7] .

وأنت امرؤ أفضت اليك أمانتي ، وقبلَك ربّتني – فضِعْتُ – رُبوب [8] .

فأدّت بنو كعبِ بن عَوْفٍ ربيبها ، وغودر في بعض الجنود رَبيبُ [9] .

فقاتلتهم حتى اتّقوكَ بكَبْشهم وقد حان من شمس النهار غُروب [10] .

---

١ ... إذا عاد زوجها من غيبة لم يجد ما يسوءه (منْ سلوكها في أثناء غيابه) .

٢ المغمر : القليل الاختبار . روايا : غيوم تحمل ماء (غيوم ماطرة) . صاب المطر يصوب : سقط بشدة .

٣ الجسرة : الناقة الصلبة القوية ، العظيمة الجسم . كهمك : (تقدر ان تبلغك كل ما) يهمك (ما تحتاج اليه ، أو ما تأمل أن تناله) . بالرداف خبيب : تستطيع أن تسرع ولو اردفت عليها وراءك راكباً آخر .

٤ تسمع من كلكلها (أعلى صدرها) ومن القصريين (الضلعان الاخيران في القفص أسفل الصدر) وجيباً (خفقاناً ، لسرعتها وشدة سيرها) . اعمل الناقة : أجهدها في السير .

٥ ناء : بعيد . قروب : (قادرة على تقريب المسافات ، سريعة وقادرة على المسافات الطويلة) .

٦ الفرقدان : نجمان . هداني اليك الفرقدان : سرت اليك ليلا (لشدة حاجتي اليك) . لا حب : الطريق الواضح أصواء جمع صوة (بضم الصاد وتشديد الواو المفتوحة) : حجارة تنصب على جوانب الطرق لتكون علامات للدلالة على المسافات من مكان إلى آخر . المتان : الأرض الغليظة . علوب : آثار . لا ريب في ان الشاعر كان يصف طريقاً رومانية ؛ ويبدو أنه لم يسر من قبل على مثلها .

٧ نائل : عطاء . عن جنابة : عن بعد عنك (لم أزرك من قبل) . القباب : خيام الملوك . فاني امرؤ وسط القباب غريب : أنا لم أتعود زيارة الملوك .

٨ أفضت اليك أماني : أصبحت حاجتي وأمنيّ عندك ، أصبح اعتمادي عليك . ربتني فضعت ربوب : تعهدني ربوب ، أرباب ، ملوك فضاعت آمالي عندهم .

٩ هنا يشير الشاعر إلى انتصار الحارث بن أبي شمر الغساني ومقتل المنذر بن ماء السماء اللخمي .

١٠ الكبش : قائد القوم ، الملك (المنذر الذي قتل في ذلك اليوم ، يوم أباغ) .

تَخَشْخَشُ أبدانُ الحديدِ عليهمُ كماخَشْخَشَتْ يَبْسَ الحصادجَنوب[1].
وقاتل عن غسّان أهل حِفاظِها وهِنْب وقَاسٌ جالدت وشَبيب[2].
وأنت امرؤ آثارُه في عدوّه من البؤس والنُّعْمى لهنّ نُدوب[3].
وفي كل حيٍّ قد خبَطْتَ بنعمة فحقّ لشأسٍ من نَداك ذَنوب[4].

٤ – ديوان علقمة الفحل ، القاهرة ١٢٩٣ ثم ١٣٢٤هـ .
شعر علقمة الفحل (ألبرت سوسين Socin) لايبزيغ ١٨٦٧ .
شرح ديوان علقمة بن عبدة التميمي المشهور بعلقمة الفحل للأعلم الشنتمري (محمد بن شنب) الجزائر ١٩٢٥ .
ديوان علقمة الفحل (أحمد صقر) ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .

* بروكلمان ١ : ١٥ ، الملحق ١ : ٤٨ .

امية بن أبي الصلت

١ – هو أميّةُ بن أبي الصَلْت بن أبي ربيعة بن عَوف من ثَقيف من بكر بن هَوازن ، وأمه رُقَيّة بنت عبد شمس بن عبد مَناف .

كان أمية تاجراً من أهل الطائف ينتقل بتجارته بين الشام واليمن .

ومال أمية من أول أمره إلى التَحَنّف : هجر عبادة الاوثان وترك شرب الخمر واعتقد بوجود الله من غير أن يكون له فروض معينة في العبادة . وكاد أمية أن يسْلمَ لما جاء الاسلام ، ولكنّ موقفَ قومه ثقيفٍ من الاسلام أملى عليه العداء للرسول وللمسلمين ، فكان يُحرّض على قتال الرسول . ولما انتصر المسلمون على مشركي مكة في غزوة بَدْرٍ ، في رَمَضانَ من سنة ٢ للهجرة

١ (يتساقطون فيسمع لدروعهم صوت، كما يسمع صوت النبات اليابس في الريح: يتساقطون بسرعة وكثرة) .
٢ قاتل عن غسان أهل حفاظها : بنو غسان أنفسهم . هنب وقاس وشبيب : قبائل من اليمن موالية لغسان. جالد : قاتل .
٣ الندوب : آثار الجراح . – لحروبك ولعطاياك آثار في عدوك أيضاً .
٤ لقد أنعمت على كل قبيلة بنعمة ما (من غير معرفة سابقة) ، فيحق اذن لأخي شأس بذنوب (بدلو من ما فضلك : بنصيب من تفضلك ، باطلاق سراحه) .

(٦٢٤ م) ، رثى أمية الذين قُتلوا من المشركين في تلك الغزوة. ويبدو أن أمية توفّي في السنة السابعة أو الثامنة للهجرة (٦٢٩ م) ، قبل فتح الطائف * .

٢ – ضاع القسم الأوفر من شعر أميّة ، ولم يثبت له على القطع سوى قصيدته في رثاء قتلى بدر من المشركين . وكان أميّة يحكي في شعره قصص الأنبياء على ما جاء في التوراة ويذكر الله والحشر ويأتي بالألفاظ والتعابير على غير مألوف العرب ، ولذلك كان اللغويّون لا يحتجّون بشعره . وشعره كثير التكلّف ضعيف البناء قليل الرونق قلق الالفاظ . أما أغراضه في شعره الباقي بين أيدينا – صحيحاً ومنحولاً – فهي المدح والهجاء والرثاء وشيء من الحكمة وكثير من الزهد والتزهيد ومن الكلام في الله والآخرة .

٣ – المختار من شعره :

– قال أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جُدعان :

أأذكرُ حاجتي أم قد كفاني حياؤك ؟ إن شيمتَك الحياءُ ؛
وعلمُك بالامور وأنت قَرم لك الحسبُ المُهذّب والسّناء .
كريم لا يغيّره صباحٌ عن الخلُق السَنيّ ولا مساء .
إذا أثْنى عليك المرء يوماً كفاه من تَعَرّضه الحياء .
تُباري الريحَ مَكْرُمَةً ومجداً إذا ما الكلب أحْجَره الشتاء .
فهل تخفى السماء على بصير ؟ وهل بالشمس طالعةً خفاء !

– وقال يرثي قتلى معركة بدر (٢ هـ = ٦٢٤ م) من المشركين :

ألاّ بكيتَ على الكرا م بني الكرام أولي المَمادحْ[١] !
كم بين بدر والعَقَنْقَلِ من مَرازِبَةٍ جَحاجحْ[٢] .
شُمْطٌ وشُبّانٌ بهـا ليلٌ مَغاويرٌ وَحاوح[٣] .
أولا تَرَوْنَ كما أرى ، وقدِ استبانَ لكلّ لامحْ

---

* في الاعلام للزركلي (١ : ٣٦٤) : توفي أمية ٥ ق. هـ=٦١٦ م .
١ ألا : هلا (للحض على البكاء) .
٢ المرازبة جمع مرزبان : الفارس الحاكم في المملكة الفارسية (دلالة على علو مقامه) .
٣ المغوار : الشديد الهجمة على العدو . الوحواح : الحديد النفس القوي . البهلول (بضم الباء) : السيد .

أنْ قد تغيّر وجهُ مكة فَهْيَ مُوحِشة الأباطِحْ .
من كل بِطْرِيقٍ لبطريق نقيّ الوجه واضح[1] :
القائلين الآمرين الفاعلين لكل صالح ؛
خذَلَتْهُمْ فئةٌ وهم يَحْمون عَوْرات الفضائح ،
الضاربين التَقْدُمِيّة بالمُهَنّدةَ الصفائح .
ولقد عَناني صَوْتُهم من بين مُسْتَسْقٍ وصائح .
لله درّ بني عليٍّ أيّمٍ منهم وناكح[2] ،
إن لم يغيروا غارةً شعواءَ تُحْجِرُ كلّ نابح[3]
بالمُقْرَبات المُبْعِدات الطامحات مع الطوامح[4] !

— واشتهر أمية بن أبي الصلت بقصائده التي يذكر فيها الله والآخرة مما عرفه من الخرافات الوثنية ومن التوراة والانجيل . وكثير مما ينسب إلى أمية بن أبي الصلت في هذا الباب ضعيف النسج لا رونق له :

مجّدوا الله فهو للمجد أهل ؛ ربُّنا في السماء أمسى كبيراً ،
ذلك المنشئُ الحجارة والمو تى ، وأحياهُمُ وكان قديراً ؛
بالبناء الأعلى الذي سبق النا س وسوّى فوق السماء سريراً
شرجعا لا ينـاله بصر النا س ترى دونه الملائك سورا .
خلق النخل مُصعدات تراها تقصف اليابسات والمخضورا ،
وأسودا عوادياً وفيولاً وسباعاً والنمل والخنزيرا .

— ومما ينسب اليه من الشعر في الآخرة :

وسِيقَ المجرمون وهم عُراة إلى ذات المقامع والنَكال ،
فنادَوْا ويْلَها ويْلاً طويلا وعجّوا في سَلاسلها الطِوال .
فليسوا ميّتين فيستريحوا ، وكلّهم بحَرّ النار صال .

---

[1] البطريق : القائد في الجيش الرومي . واضح : أبيض .
[2] ما أحسن المحاربين من بني علي . الايم : الذي ماتت امرأته . الناكح : المتزوج . – يقصد جميع بني علي .
[3] الشعواء : الشديدة . تحجر كل نابح : تدفع كل كلب إلى الاختباء في حجره (بيته) .
[4] المقربات (بضم الميم وفتح الراء): الخيل التي تربط قريبة من صاحبها مهيأة للقتال. المبعدات (بكسر العين): التي تستطيع الاغارة إلى مكان بعيد . الطامح : الطامع ، البعيد الغاية .

وحل المتّقون بدار صِدق وعيش ناعم تحت الظلال ،
لهم ما يشتهونَ وما تَمَنّوْا من الأفراح فيها والكمال .

٤ — ديوان أمية بن أبي الصلت ليبزغ ١٩١١ .
ديوان أمية بن أبي الصلت (بشير يموت) ، بيروت (الأهلية) ١٣٥٢هـ= ١٩٣٤ م .

* غ بولاق ٣ : ١٨٦ — ١٩٢ (٤ : ١٢٠ — ١٣٣) ، ١٦ : ٧١ — ٨١ .
بروكلمان ، الملحق ١ : ٥٥ — ٥٦ .

عامر بن الطفيل

١ — هو عامر بن الطُّفيل بن مالك بن جعفر من بني عامر بن صعصعة من قيس عَيلان ، وأمّه كَبشة بنت عُروة الرَحّال بن عُتبة بن مالك بن جعفر .

وُلد عامر بن الطفيل بُعيد يوم شِعْب جَبَلَة ، في نحو سنة ٦٧ ق. هـ. (٥٥٥ م) في نجد ونشأ فارساً شجاعاً . ثم انه ساد قومه وأصبح قائدهم في الغَزَوات فخاض معاركَ كثاراً في الجاهلية منها يوم (معركة) فَيْف الريح . في تلك المعركة طعنه مُسْهِر بن يزيد الحارثي طعنة ذهبت باحدى عينيه .

في صفر من سنة ٤ (تموز ٦٢٥) بعث الرسول أربعين رجلاً من المسلمين لدعوة أهل نجد إلى الاسلام ، فلمّا صاروا ببِئر مَعونة ، بين أرض بني عامر وأرض بني سُليم ، عدا عليهم عامر بن الطفيل في جماعة من رِعْل وذَكوان — وهما قبيلتان من بني سُليم — فاستُشْهِد المسلمون كلّهم . ثم ان عامراً جاء في سنة ٨ أو ٩ هـ (٦٢٩م) على رأس وفد من بني عامر فيهم أرْبَدُ بن قيس ، أخو لَبيد الشاعر من أمّه ، إلى المدينة . فعرض الرسول الاسلام على عامر وأربد فلم يُسلما . ويبدو أن عامرَ بن الطفيل توفّي في أثناء رجوعه هذا من المدينة بعد أن طُعِنَ (أصابه الطاعون) في عنقه ، في نحو الثالثة والستين من العمر . وكان عامر عَقيماً لم يُعقب أولاداً .

٢ — عامر بن الطفيل شاعر فحل مُجيد برع في الحماسة والفخر يتَخَلّلهما

شيء من الحكمة . وكذلك وقع شيء من الهجاء بين عامر بن الطفيل وبين النابغة الذبياني .

٣ - المختار من شعره :

- قال عامر بن الطفيل يفتخر ويذكر فرسه يوم فيف الريح وذهاب عينه :

لقد علمت عُليا هَوازنَ أنّني أنا الفرس الحامي حقيقة جَعْفَرِ .
وقد علم المزنوق أني أكُرّه على جمعهم كرّ المَنيح المشهّر [١] .
إذا ازْورّ من وقع الرماح زجرتُه وقلت له : ارْجِعْ مُقْبلاً غير مُدبر !
وأنبأته أن الفِرارَ خِزايةٌ على المرء ما لم يَبْلُ جُهْداً ويُعْذَر.
ألستَ ترى أرماحهم فيّ شُرّعاً ، وأنْت حِصان ماجد العِرق فاصْبِرِ.
لعَمْري ، وما عمري عليّ بهيّنٍ ، لقد شان حرّ الوجه طعنةُ مُسْهِرِ .
فبئس الفتى ان كان أعور عاقراً جباناً ، فما عُذري لدى كل مَحْضَر ؟
وقد علموا أني أكرّ عليهمُ عشيّة فَيْفِ الريح كرّ المُدوّر [٢] .
أقول لنفسٍ لا يُجاد بمثلها : أقلّي المُزاح ، انّني غير مُقْصر .

- ومن فخره بقومه :

وما الأرضُ إلا قيسُ عَيْلانَ أهلُها لهم ساحتاها : سهلُها وحزومُها [٣].
وقد نال آفاقَ السموات مجدُنا ، لنا الصَحْوُ من آفاقها وغيومها .

- وقال يفتخر بنفسه :

فإنّي ، وان كنت ابنَ فارس عامرٍ وسيّدَها المشهورَ في كلّ موكبِ ،
فما سوّدَتْني عامرٌ عن وِراثة ، أبَى الله أن أسمو بأمٍّ ولا أب !

---

١ المزنوق : فرس عامر بن الطفيل. المنيح(بفتح الميم) : قدح (بكسر القاف)من قداح (بكسر القاف) الميسر (بفتح الميم) لا نصيب له ولكن يتفاءلون به فيجعلونه دائماً مع سائر القداح ، ولذلك يكثر خروجه (من الوعاء الذي فيه القداح) ورده (إلى ذلك الوعاء) . كنى عامر بن الطفيل بذلك عن كثرة كر حصانه وفره .

٢ المدور لعله الذي يدور حول الخيمة (يقصد بسرعة وبسهولة) .

٣ الحزوم جمع حزم : الأرض القاسية ، الصعبة .

ولكنّني أحْمي حِماها ، وأتّقي أذاها ، وأرمي من رماها بمِنْكَبِ[1]

— وله في الحكمة :

قضى الله في بعض المواقف للفتى بِرُشدٍ ، وفي بعض الهوى ما يحاذِرُ[2] .
ألم تعلمي أني إذا الألْفُ قادني إلى الجَوْر لا أنقاد والألْف جائر[3] .

٤ — ديوان عامر بن الطفيل (تشارلس ليال) ، ليدن ١٩١٣ .
ديوان عامر بن الطفيل ، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٩ .
المفضّليات رقم ١٠٦ (ص ٣٦٠ — ٣٦٤) ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٥٧ — ٥٨ .

الأعشى ميمون بن قيس

١ — هو مَيْمون بن قَيْس بن جَنْدل بن شَراحيل بن عَوف بن سعد بن ضُبيعة بن قيس بن ثَعلبة من بني بكر بن وائل ، وكان يُكْنَى أبا بَصيرٍ لأنه كان ضعيف البصر فاشتهر بلقبه الذي أصبح عَلَماً عليه : الأعشى ، دون سائر الأعْشَيْنَ .

وُلِدَ الأعْشى * في دَرْنةِ مَنْفوحةَ باليَمامة، فهو على ذلك من أهل القُرى (المدن) . ويبدو أن عَشاه (أو عَشاوته : سوء بصره في الليل والنهار) قد حمله على أن يستغلّ موهبته الشعرية في التكسّب وحدَه . من أجل ذلك تطوّف الأعْشى بشعره في جميع أنحاء شبه جزيرة العرب : مدح عامر بن الطُفيل في نجد ومدح سلامة ذا فائِشٍ الحِمْيَريّ والاسودَ العَنْسي (أحد الذين ادّعَوُا النبوّة) في اليمن ، ومدح هَوْذة بن علي النصراني في شرقيّ شبه جزيرة العرب ، ومدح شُريح بن السَمَوْأل بن عاديا الغسّاني صاحب الحصن الابلق في تيماء (شرق الحجاز) ، وكان السموأل بن عاديا يهودياً . وأعد الأعشى قصيدة في

---

١ أرمي من رماها بمنكب : أهجم عليه ، أقاتله . * نحو عام ٥٧٠ م .
٢ في بعض الهوى ما يحاذر : في بعض ما تهواه النفس ما يحذر منه (ما يخاف منه) .
٣ لا انقاد للجائرين ولو كانوا كثيري العدد (ألف رجل) .

مدح رسول الله ووفد بها إلى الحجاز . وكان أيضاً يفد على ملوك فارس يمدحهم (غ ٩ : ١١٩) .

وشَغَلَ الأعشى وقتَه الباقيَ بالمغامرات في سبيل المرأة وفي سبيل الخمر .

وفَدَ الأعشى في آخر أيامه على الحجاز بقصيدة في مدح الرسول ، فخاف مشركو قريش أن يزيد مدح الأعشى للرسول في سرعة انتشار الاسلام فساوموه على أن يدفعوا إليه مائة جملٍ إذا هو ترك إنشاد هذه القصيدة بين يَدَي الرسول. وقبل الأعشى بما عرضه أبو سفيان (زعيم مشركي مكّة) عليه وعاد أدراجَه . ولكن الأعشى لم يكد يصل إلى درنا (أو درنة منفوحة) حتّى توفّي من أثر سَقْطةٍ عن ناقته ، في آخر السنة ٧ هـ (أوائل ٦٢٩م) .

٢ — كان الأعشى شاعراً كبيراً مكثراً ذا تأثير عظيم بشعره ، إلاّ أنه كان قد حَطّ من قَدْرِ نفسه بالتكسّب بشعره من كلّ وجه : لقد مدح هَوْذَةَ بن عليّ الحنفي بعد أن تآمر هوذةُ مع باذانَ الفارسي (نائب كسرى أبرَوِيز على اليمن) للغدر ببني تميمٍ العرب يوم الصَفْقة ، عام ٦١٣م [١] . فهو في هذا الباب مثل النابغة [٢] .

على أن الأعشى كان من الشعراء المقدّمين في الجاهلية يُطيل القصائد ويُجيد ويتصرّف في معظم فنون الشعر . وهو ميّال إلى البحور القصار المطربة . غير أن شعره متفاوت يرتفع حيناً ثم ينخفض حيناً آخر وخصوصاً حين يُبالغ في التكلّف وحيثُ يُكثِرُ من استعمال الكلمات الفارسية في أبياته . أما فيما عدا ذلك فشعره وُجداني عَذْب سائرٌ على الألسنة حتّى سمّي صنّاجة العرب . ومع أن الأعشى لم يدخلْ في الاسلام فانه قد ذكر في شعره المتأخر عدداً من المدارك والالفاظ الاسلامية ، نحو : صلّى عليها وزمزما ، ... على شاهدي (لساني) ، يا شاهد الله (الواحد من الملائكة) فاشهد !

أما فنون الأعشى فمنها المديح الذي كان يرفع الممدوح ويسير على الألسن ويؤثر في الناس وان كان مديحاً تقليدياً لا ابتكار فيه . وللأعشى قصّة مع المحلّق الكلابي تُروَى بوجوه مختلفة وفي حديث طويل خلاصته أن المحلّق هذا كان مِئناثاً فقيراً فعَنَسَتْ بناته . واتّفق أن مرّ الأعشى بأرض كان ينزل فيها

---

١ راجع تاريخ الجاهلية ١٤٦ — ١٤٧ .

٢ راجع فوق ، ص ١٧٩ .

المحلّق فأكرمه المحلّق على الرُّغم من فقره الشديد إكراماً عظيماً .
وفَطِنَ الأعشى لما قصد المحلّق فمدحه بأبيات بارعة . فما انقضى العام حتّى كانت بنات المحلّق كلّهن قد تَزَوّجْنَ .

ثم ان الأعشى قد بسط القول في الخمر فتوالت الأبيات في وصفها في القصيدة الواحدة ، واستطرد الأعشى إلى وصف مجالس الشراب وإلى أثر الخمر في الشاربين . غير أن الخمر لم تُصْبِحْ في شعر الأعشى فنّاً قائماً بنفسه ، وان كانت قد أصبحت عنده غرضاً بارزاً جداً من أغراض القصيدة .

وللأعشى أيضاً هجاء مؤلم وغزل ماديّ صريح ، وطرد (وصف للحُمُرِ الوحشية خاصة) .

٣ – المختار من شعره :

– من خمريات الأعشى المُستجادة قوله :

وصهباءَ صِرفٍ كلون الفُصو ... ص باكرت في الصبح سوّارها [١] .
فطوراً تميل بنا مُرّةً ، ... وطوراً نُعالج إمرارها [٢] .
تكاد تُنَشّي ولما تُذَقْ ، ... وتُغْشي المفاصلَ إفتارها [٣] .
تَدِبّ لها فَتْرَةٌ في العِظامِ ... وتُغشي الذوائبَ فَوّارَها [٤] .
تمزّزتها في بني قابيا ، ... وكنت على العلم مختارَها [٥] .
إذا سُمتُ بائعَها حقّه ... عَنُفتُ وأغضبت تُجّارها [٦] .

– وللاعشى في الخمر أبيات تشبه أن تكون من الشعر المحْدث ، منظومة في بحور مرقصة بالاضافة إلى ما عرفنا في الجاهلية ، منها :

---

١ صهباء : خمر . صرف : بلا مزج . الفص : الحجر الكريم يوضع في الخاتم من (الياقوت الأحمر) . سوار شديد . – قمت باكراً وشربت خمراً حادة شديدة الاسكار .
٢ مرة تسكرنا ومرة نمنع اسكارها لنا بأكل البقل (؟)
٣ تكاد تسكرنا قبل أن نذوقها ، ثم هي تجعل مفاصلنا خدرة .
٤ نشعر بأثرها يسير قليلا قليلا في أجسامنا حتى يبلغ العظام ، وإذا صبت في الكأس فارت فتطاير رشاشها وأصاب ضفائرنا (شعرنا) .
٥ تمزز الشراب : تمصص ، شربه على مهل . بنو قابيا : المجتمعون لشرب الخمر .
٦ إذا ماكست صاحبها (اردت أن أسقط شيئاً من الثمن) عدني جلفاً وغضب (لأنها خمر جيدة تظل رخيصة مهما غلا ثمنها) .

فقُمنا ، ولمّا يَصِحْ ديكُنا ، إلى خمرةٍ عند جَدّادِها [1] .
فقلت له : هذه هاتِها بأدْماءَ في حبل مُقتادِها [2] !
فقام فصبّ لنا قهوةً تسكّننا بعد ارعادِها [3] ،
كُميتاً تَكَشّف عن حُمْرةٍ إذا صرّحتْ بعد إزبادِها [4] .
فجالَ علينا بإبريقه مُخَضّب كفّ بفُرصادِها [5] .
فرُحنا تُنَعّمنا نَشْوةٌ تخور بنا بعد قُصّادِها [6] .

— من معلّقة الأعشى وفيها مديح للأسود بن المنذر :

ما بكاءُ الكبير بالاطلالِ ، وسؤالي ؟ وما ترد سؤالي .
دِمْنَةٌ قَفْرةٌ تَعاوَرُها الصيف بريحين من صَباً وَشمالِ .
.... لا تَشكّيْ إليّ ، وانتجعي الاسودَ أهلَ النّدى وأهْلَ الفَعّال [7]
فَرْعُ نَبْعٍ ، يهتزّ في غُصُنِ المجد ، غزيرَ النّدى شَديد المِحال [8] .
عنده البِرّ والتُقى وأسَى الشّق وحَمْلٌ للمُعْضلات الثِقال [9] ،
وصِلاتُ الارحام – قد علم النا سُ – وفكٌّ الأسرى من الاغلال ،
وهوان النفس الكريمة للذكْر ، إذا ما التَقتْ صدور العوالي [10] .
أنت خير من ألفِ ألفٍ من القوم إذا ما كَبَتْ وجُوه الرِجال !
أرْيَحِيٌّ صَلْتٌ يظلّ لهُ القوم وقُوفاً قيامَهم للهِلال [11] .
إن يُعاقِبْ يكن غَراماً ، وان يُعْطِ جزيلاً فإنّه لا يبالي [12] .

---

١ الجداد : بائع الخمر .
٢ اخترت خابية وقلت له هات هذه بغبارها وكما جاءك بها الذي يجرها (اشترى الخابية كلها) .
٣ قهوة : خمر . – الخمر شديدة تضطرب وتجيش في الاناء ولكن إذا شربناها سكنا لأنها تخدرنا .
٤ لونها مائل إلى الحمرة ، فاذا تلاشى الزبد الذي يطفو على وجهها ظهرت حمراء .
٥ الفرصاد : التوت الشامي . مخضب كف بفرصادها : غلام صغير (السن) إذا حمل اناء الخمر « وكان من زجاج » ظهرت يده كأنها مخضبة بالتوت الشامي ، لبياض يده وملاستها ولينها .
٦ تخور بنا بعد قصادها (؟)
٧ الفعال (بفتح الفاء) العمل الحميد .
٨ النبع : شجر صلب تصنع منه الرماح . المحال : المكر والبأس .
٩ أسى الشق : حسم الخلاف في القبيلة . القدرة على التوفيق بين المختلفين .
١٠ العوالي : الرماح . – يقصد في الحرب . للذكر : في سبيل الذكر الحسن .
١١ اريحي : كثير الكرم . صلت : ماض في الأمور . رؤيته عندهم تدعو إلى السرور كرؤية هلال العيد .
١٢ الغرام : العذاب الشديد .

كلَّ يوم يسوق خيلاً إلى خيـ ـل دراكاً غداة غبَّ الصيال [١] .
.... فلئن لاح في المفارقِ شيبٌ، يآلَ بكرٍ ، وأنكرتني الفوالي [٢] ،
فلقد كنت في الشباب أباري ، حين أعدو مع الطماح ، ظلالي [٣] .
أبغض الخائن الكذوب وأبدي وصل حبلِ العُمَيْثَلِ الوَصّال [٤] .
ولقد أستبي الفتاةَ فتعصي كلَّ واشٍ يريدُ صَرْمَ حبالي .

— وللأعشى قصيدة عدّها بعضهم في المعلّقات :

وَدِّعْ هُريرةَ ، ان الرَّكْبَ مرتحلُ ، وهل تُطيقُ وَداعاً ، أيّها الرجلُ ؟
غَرّاءُ فَرْعاءُ مصقولٌ عوارضُها تمشي الهُوينا كما يَمشي الوَجِي الوَحِلِ [٥] .
كأن مِشْيَتَها من بيت جارتها مرَّ السَحابة : لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ .

ثم يلتفت الأعشى إلى نفسه يفتخر بصباه ويصف مجالس الخمر التي كان يعتادها :

صَدّتْ هريرةُ عنّا ما تكلّمُنا ، جهلاً بأم خُليد حبلَ من تَصِلِ [٦] .
قالت هريرة ، لما جئتُ زائرَها : ويلي عليك وويلي منك ، يا رجلُ !
وقد أقود الصِبا يوماً فيتبعني ، وقد يصاحبني ذو الشِرّة الغَزِلُ .
في فِتْيَةٍ كسيوف الهند قد علموا أنْ ليس يَدْفَعُ عن ذي الحيلة الحِيَلُ [٧] .
نازعتهم قُضُبَ الرَيْحانِ متّكئاً وقهوةً مُزّة راووُقُها خَضِلِ [٨] .

---

١ دراكاً : متوالية . الصيال : القتال .

٢ الفوالي جمع فالية : المرأة التي تفلي الشعر .

٣ الطاح : (هنا) الامعان في الرغبات . أباري ظلالي : سريع في الوصول إلى رغباتي .

٤ العميثل : السيد الكريم . الوصال : المتين الصداقة .

٥ غراء : بيضاء . فرعاء : وافرة الشعر . عوارض جمع عارض : جانب الوجه . مصقول (أملس) كناية عن أنها شابة . الوجي : الحافي (التعب من المشي) . الوحل : الساقط في الوحل . .

٦ إنها تجهل قيمتي وحقيقتي .

٧ كسيوف الهند : في انتصاب القامة والمضاء في الأمور .

٨ قضب الريحان : أغصان نبت طيب الرائحة . ان مجالس الخمر تزين بالزهر (يقصد : شربت الخمر مع جماعة) . القهوة : الخمر المطبوخة بالنار . مزة : حادة الطعم ، من صفات الخمر الجيدة . الراووق : اناء تروق فيه الخمر وتصب منه . خضل : ندي ، رطب ، لا يجف لكثرة استعماله .

ومُسْتجيبٍ تَخالُ الصَنْجَ يَسمعُـه ... إذا تُرَجِّعُ فيه القَيْنَةُ الفُضُل [1]،
والساحباتِ ذيولَ الرَيْطِ آونةً ، ... والرافلاتِ على أعجازها العِجَل [2] .
من كل ذلك يومٌ قد لَهَوْتُ بـه؛ ... وفي التجارِب طولُ اللهو والغَزَل [3] .
فقلت للشَرْبِ في دَرنا ، وقد ثَملوا : ... شِيموا ؛ وكيفَ يَشيم الشارب الثَمِل [4]؟

وأخيراً يلتفت إلى أبي ثُبَيتٍ يزيدَ الشَيْبانيِّ يُقَرِّعه ويهدِّده :

أبلغْ يزيدَ بني شيبان مألُـكَةً ... أبا ثبيت : أما تَنفكُّ تأتكِل [5]؟
تُغْري بنا رهطَ مسعود وإخوتَـه ... يوم اللقاء فتُردي ثم تعتـزل [6] :
كناطحٍ صخرةً يوماً ليُوهِنَهـا ... فلم يضِرْها ؛ وأوْهى قرنَه الوَعِل [7] !
لا تَقْعُدَنَّ — وقد أكَّلتها حطبـاً — ... تعوذ من شرِّها يومـاً وتبتهـل
سائلْ بني أسد عنّا ، فقد علمـوا ... أن سوف يأتيك من أنبائنا شكل [8] .
واسأل قُشَيراً وعبد الله كلَّهم، ... واسألْ ربيعةَ عنّا كيف نفتعـل .
إنّا نقـاتلهم حتّى نقتِّلهـم ... عنـد اللقاء ، وان جاروا وان جهلوا .
كلاّ ، زعمتم بأنّا لا نقاتلُكم ؛ ... إنّا لأمثالكم ، يا قومنا ، قُتُلُ !
قالوا : الطِرادُ ، فقلنا : تلك عادتُنا ؛ ... أو تَنزِلون ، فانّا مَعْشَرٌ نُزُل [9] !

---

١ مستجيب : يقصد عود يجيب الصنج (آلة من نحاس ينقر عليها) . رجع (بالتضعيف ، تشديد الجيم) : ردد الصوت في الغناء . القينة : الجارية المغنية . الفضل : التي تلبس ثياباً خفيفة تكشف عن بعض جسمها . — يسكت العود إذا كان النقر على الصنج مستمراً . فاذا بطل النقر على الصنج بدأ العزف على العود . فكأنه العود استمع إلى الصنج ثم أجابه .

٢ الريط جمع ريطة : ثوب من حرير . الساحبات ذيول الريط : يلبسن ثياباً من حرير سابغة (وافية ، وطويلة الأذيال) . الرافلة : الفتاة التي تجر ثوبها وتتبختر في مشيتها . الأعجاز جمع عجز (بفتح فضم) : الردف ، مؤخر البدن . العجل جمع عجلة (بالكسر) : المزادة (وعاء صغير للماء) . يقصد أنهن سمينات كأنهن يحملن مزادات على أوراكهن لكثرة لحمهن (وكان ذلك من صفات الجمال في الجاهلية) .

٣ قد نلت في شبابي من جميع أنواع اللهو .

٤ الشرب : الذين يشربون الخمر معاً . درنا : قرية باليمامة ولد فيها الاعشى وتوفي . شيموا : انظروا بعيداً . الثمل : السكران :

٥ مألكة : رسالة . ائتكل : هاج وغضب .

٦ تردي : تهلك (تدفع القوم إلى الهلاك ثم تعتزل أنت الحرب) .

٧ الوعل : تيس الجبل . إذا نطح الوعل صخرة تكسر قرن الوعل وبقيت الصخرة على حالها .

٨ شكل (بفتح ففتح) : أشكال ، أنواع (؟) — اختلاف .

٩ إذا أردتم الحرب مطاردة على ظهور الخيل أو نزولا جثيـاً (بضم الجيم وكسر التاء وتشديد الياء) على الركب ، فكلاهما عندنا سيان .

– من مديح المحلّق :

لَعَمْري ، لقد لاحتْ عيونٌ كثيرةٌ ... إلى ضوءِ نـارٍ باليَفاعِ [1] تَحرَّقُ ،

تُشَبّ لِمَقْرورَيْنِ يَصْطَلِيانِها ... وبات على النار النّدَى والمُحَلّقُ [2] .

رَضيعَيْ لِبانِ ثَدْيِ أمّ تَقاسَما ... بأسْحَمَ داجٍ : عَوْضُ لا نَتَفَرَّقُ [3]

ترى الجود يجري ظاهراً فوق وجهه ... كما زان مَتْنَ الهُنْدُوانيّ رَوْنق .

يداه يَدا صِدْقٍ : فكفٌّ مُبيدَةٌ ... وكفٌّ – إذا ما ضُنّ بالمال – تُنْفِقُ !

– من القصيدة التي كان الأعشى قد أعدّها في مديح الرسول ولم يُنْشِدْها بين يَدَيِ الرسول :

ألمْ تَغْتَمِضْ عيناكَ ليلةَ أرْمَدا ... وبِتَّ كما بات السليمُ مُسَهَّداً [4] !

ولكنْ أرى الدهرَ الذي هو خائن ... إذا أصلحت كفّايَ عاد فأفسدا :

شبابٌ وشيبٌ وافتقارٌ وثَروة ، ... فلِلّه هذا الدهرُ كيف تَرَدَّدا .

وما زِلتْ أبغي المالَ مُذْ أنا يافِعٌ ... وليداً وكَهْلاً ، حين شِبْتُ ، وأمْرَدا .

ألا أيّها ذا السائلي أينَ يَمَّمَتْ [5] ... فإنّ لها في أهل يَثْرِبَ موعدا .

فآلَيْتُ لا أرثي لها من كَلالَةٍ ... ولا من حَفاً حتى تزور محمّدا [6] .

نبيٌّ يرى ما لا تَرَوْنَ ، وذِكْرُهُ ... أغار – لعَمْري – في البلاد وأنْجَدا [7] .

---

[1] اليفاع جمع يفع (بفتح ففتح) : التل، المكان المرتفع ؛ والنار التي تشعل في المكان المرتفع كناية عن الكرم .

[2] المقرور : الذي ألح عليه البرد .

[3] اللبان (بالكسر) : اللبن ، الحليب . تقاسما : أقسم كل واحد منهما لصاحبه يميناً . بأسحم داج : بالليل الاسود . عوض : أبداً .

[4] أرمد (فعل ماض) الله عين الانسان : أصابها بالرمد (بفتح ففتح) بمرض تحمر به وتقذى . والارمد (اسم أو صفة تقوم مقام الاسم) : الذي أصيب بالرمد . فعلى التقدير الاول يكون معنى الشطر الأول :.. ليلة أصبت (بالبناء للمجهول) بالرمد . وعلى التقدير الثاني ، وهو أفضل ، يكون المعنى : ألم تغتمض عيناك في ليلة مثل ليلة الارمد . السليم : المريض يسمى سليماً تفاؤلا بشفائه . مسهداً : مؤرقاً لا يستطيع النوم .

[5] أين يممت : أين قصدت (وأين تقصد) ، أي الناقة .

[6] آليت : أقسمت . لا أرثي لها (لا أرحمها ، لا أشفق عليها) من كلالة (تعب) ولا من حفا (رقة جلد خف الناقة من كثرة الجري) .

[7] أغار وأنجد : سار في الاودية وعلى الجبال (في كل مكان) .

متى ما تُناخيْ عند باب ابن هاشم ِ تُراحيْ وتَلْقَيْ من فواضله يدا [1] .
له صَدَقاتٌ ما تَغِبُّ ونائلٌ . وليس عطاءُ اليوم ِ بمَنْعُه غدا [2] .
إذا أنتَ لم تَرْحَلْ بزاد من التقى ولاقيتَ بعد الموت من قد تزوّدا [3] ،
نَدِمْتَ على ألاّ تكونَ كمِثْله فترُصِدَ للأمرِ الذي كان أرصدا [4] .

٤ – الصبح المنير في شعر أبي بصير (رودولف جاير) يانة ١٩٢٧ – ١٩٢٨ .
ديوان الأعشى الكبير (بشرح وتعليق محمد محمد حسين) ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٥٠ ، بيروت (المكتب الشرقي) ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م .
ديوان الأعشى ، بيروت (دار بيروت) ١٩٦٠ .
•• أبو بصير ميمون بن قيس الأعشى (في أعلام الشعر الجاهلي) ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي وعبد السلام أبي النجا سرحان ، القاهرة ١٩٤٩ .

دريد بن الصمّة

١ – دُرَيْدٌ لقبه ، والصِمّة لقب أبيه . أما عمود نسبه فهو : أبو عمرو مُعاوية بن الحارث بن معاوية بن بكر بن عَلقمة بن غَزيّة بن جُشَم بن معاوية ابن بكر بن هَوازن من قيس عَيْلان ، ويُكنى أيضاً أبا قُرّة . وكانت أمه رَيْحانة بنت معْدي كَرِب .

نشأ دريد في أسرة من الفرسان الشجعان : كان أبوه قائد بني جشم في يوم نخلة في حرب الفِجار (٣٨ ق. هـ. = ٥٨٤م) وقُتل في معركة تالية . وكان هو

١ أناخ الرجل الجمل : جعله يبرك (إذا انتهى مسيره ، وصل إلى غايته) . تراحين : يسمح (بالبناء للمجهول) لك بأن تخلدي إلى الراحة . وتلقين من فواضله (أياديه،وجوه كرمه ، كثرة عطائه) . وفواضل المال ما يأتيك من غلته ومرافقه . يد : نعمة ، عطاء .
٢ الصدقة : العطاء الذي يقوم بـه صاحبه تطوعاً . لا تغب : لا تكون يوماً وتنقطع يوماً آخر (بل هي دائمة) . النائل : العطاء .
٣ إذا أنت لم ترحل (عن هـذه الدنيا بالموت) بزاد من التقى (بقدر عظيم من الاعمال الصالحة) و (ثم) لاقيت بعد الموت من قـد تزود (من يتنعم بالأعمـال الصالحة الـتي كان قـد قام بهـا في الدنيا) .
٤ فترصد : تعد ، تهيىء .

فارسَ بني جشم وسيدهم وقائدهم في الغزوات . وكان له أربعة أخوة أشقّاء . عبد الله وعبد يَغوث وقيس وخـــالد ، وكانوا كلهم من الفرسان المعدودين وقد قتلوا في المعارك في حياته هو . أما خاله عمرو بن معدي كرب فهو من الفرسان الشجعان المعدودين في الجاهلية والاسلام .

غزا دريد مائة غزوة ، فيما قيل ، يَهُمّنا منها ثَلاثٌ :

بعد حرب الفِجار ومقتل الصمة (٣٢ ق. هـ. = ٥٩٠م) نشبت حرب بين بني كِنانة وبني سُلَيم ، فانضمّ دريد ببني جشم إلى بني سُلَيم . وفي هذه الحرب وقع دريد أسيراً .

وكان دريد مع أخيه عبد الله في غارة على بني غَطَفان يوم اللِوى ، فظفر عبد الله بغطفانَ وعاد بغنائم كثيرة . فلما سار غير بعيد قال لأصحابه : « انزلوا بنا هنا نُريح » . فنصحه أخوه دريد ألاّ يفعل وحذّره من ارتداد غَطَفان عليه . فأبى عبد الله إلاّ النزولَ . فلم يكن إلاّ قليل حتّى عاد بنو غَطَفان بمدد عظيم ولَحِقوا بعبد الله وأصحابه بمُنْعَرَج اللوى وهزموهم واستردوا ما كان عبد الله قد غنمه منهم . وسقط عبد الله في هذه الأثناء قتيلاً .

وحزن دريد على أخيه حزناً شديداً ورثاه بمَراثٍ كثيرة ، ولم يترك غزو بني غطفان حتّى قَتل جماعة منهم ولم يرهم يَفُون بأخيه . ولمّا لامته امرأته أمّ مَعْبد على إسرافه في الأخذ بالثأر وفي الحزن طلّقها .

وجاء الاسلام فلم يُسلمْ دريد . فلما سار بنو هوازن يوم حُنين لقتال المسلمين أخرجوا دريداً معهم ، وكان يومذاك شيخاً هَرِماً فانياً أعمى لا بقيّةَ فيه ولكنهم أرادوا أن يستضيئوا برأيه . وانهزم المسلمون في أول الأمر ، ثم حَزَموا أمرهم وكرّوا على هوازن فهزموهم هزيمة منكرة . وقتل دريد في هذه المعركة مشركاً ، سنة ٨ هـ (٦٣٠م) .

٢ — كان دريد شاعراً مكثراً ، ولكنّ أكثر شعره كان في رثاء اخوته وفي الحماسة ، مع شيء من المدح ومن الهجاء القبلي . وكان له أيضاً شيء من الغزل قال بعضه في الخنساء قبل أن خطبها . فلما رفضت الزواج به هجاها [1] . ودريد أشعر الشعراء الفرسان .

---

١ راجع غ ١٠ : ٢٢ .

٣ – المختار من شعره :

– قال دريدٌ يرثي أخاه عارضاً (وكان اسمه عبد الله) . في هذه القصيدة يُبرِّر دريد طاعته لقومه (في النزول بعد المعركة في منعرج اللوى) بأنه واحد من قومه يُصيبون فيصيب معهم ويخطئون فيخطئُ معهم (مع أنه كان واثقاً من أن ذلك كان خطأ) :

نصحتُ لعارضٍ وأصحاب عارضٍ ورهط بني السوداء والقوم شُهَّدي [١] .
فقلت لهم : ظُنّوا بألفيْ مُدجَّجٍ سَراتُهمو في الفارسيِّ المُسَرَّد [٢] !
فلما عَصَوْني كنتُ فيهم ، وقد أرى غَوايتَهم وأنني غيرُ مهتدِ .
أمرتهمو أمري بمنعرج اللوى [٣] فلم يَستبينوا النُصحَ إلا ضُحى الغد .
وهل أنا إلا مِن غَزيّةَ : إن غَوَتْ غَوَيتُ ، وان تَرْشُدْ غزيةُ أرشُد [٤] .
تَنادَوا فقالوا : أردتِ الخيلُ فارساً ! فقلت : أعبدُ الله ذلكم الرَّدي [٥] ؟
فجئتُ اليه والرماح تَنوشه كوقع الصياصي في النسيج الممدَّد [٦] .
فطاعنت عنه الخيلَ حتى تَنَفّستْ وحتى علاني حالك اللون أسودي [٧]
قِتالَ امْرئٍ آسى أخاه بنفسه ، ويعلم ان المرء غير مخلَّدِ .
فان يكُ عبدالله خلّى مكانه فما كان وقّافاً ولا طائش اليد .
قليلُ التّشكّي للمصيبات حافظٌ من اليوم أعقابَ الاحاديث في غد .
وطيِّب نفسي أنني لم أقلْ له : كَذَبْتَ ، ولم أبخل بما ملكت يدي .

٤ – •• الاصمعيّات رقم ٢٨ ، ٣٩ .

الحماسة ٧١٢ ، ٨٢٢ ، ١٧٥٧ .

غ ٩ : ٢ – ٢٠ (١٠ : ٣ – ٤) ، ١٤ : ١٣٤–١٣٦ ، ١٦ : ١٤١–١٤٢ .

بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٣٨ .

---

١ نصحت للذاهبين إلى الحرب الا يفعلوا .
٢ السراة : الوجهاء ، سادة القوم . الفارسي المسرد : الدروع المنسوجة – نسجاً جيداً – ان اعداءكم الفا رجل كاملو عدة الحرب ، أكثر منكم عدداً وسلاحاً .
٣ منعرج اللوي : مستدار الرمل ، اسم مكان – لما وصلنا إلى ذلك المكان قبل أن ندخل المعركة أمرتهم بالرجوع فلم يعرفوا صواب رأيي إلا في اليوم التالي بعد أن هزموا في المعركة .
٤ أنا من قومي لا أعصيهم فان ضلوا ضللت معهم وان اهتدوا اهتديت معهم .
٥ أردى : قتل ، أهلك . الردي : القتيل .
٦ تنوشه : تمزقه . الصياصي جمع صيصة : (المكوك) – كانت الرماح تمزقه بكثرة وبسرعة .
٧ تنفست : تفرقت . الاسودي : الاسود . حالك اللون اسودي : غبار الحرب .

لبيد بن ربيعة

٢ — هو أبو عَقيل لَبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كِلاب العامريّ ؛ وأمه تامر بنت زُنْباع من بني عبس ، تزوّجها أولاً جَزْء بن خالد بن جعفر فولدت له عمْراً المعروفَ بلقب أربد ، ثم تزوّجها ربيعة بن مالك فولدت له لَبيداً بين عام ٥٤٠ وعام ٥٤٥م . ثم ان ربيعة قُتل في يوم ذي علَق الذي كان قبل يوم شِعْب جَبَلَةَ ، ولَبيدٌ يومَ مقتل أبيه في السنوات الأولى من طُفولته الأولى ، فكَفَله أعمامه وأشهرهم أبو بَراء عامر بن مالك المشهور بلقب مُلاعب الأسِنّة .

ونشأ لَبيد في نعمة من العيش فقد كان أبوه من الأغنياء الكرماء حتّى اكتسب لقب « ربيعة المُقتِرين »[1] و « ربيع المقترين » . ثم نَعِمَ أيضاً بمثل تلك النعمة في كِفالة أعمامه . غير أن تلك النعمة لم تدم طويلاً فقد وقع شقاق بين فرعين من بني عامر فغُلِبَ بنو جعفر ، رهط لَبيد ، على أمرهم ثم تركوا ديارهم في نجد وانتقلوا جَنوباً ونزلوا في أرض كانت خاضعة لليمن .

ويبدو أنه بعد أن انجابت تلك الغُمّة عن رهطِ لَبيدٍ عاد لَبيدٌ وقومه إلى مساكنهم الأولى واتّصل لَبيد بالنعمان بن المنذر أبي قابوس الذي جاء إلى عرش الحيرة نحو عام ٥٨٠ م . وفي بلاط النعمان تعرّض لَبيد لهجاء نفر من الشعراء ، ولكننا لا نعلم المدى الذي جال فيه لَبيد في الردّ على هؤلاء الشعراء .

على أن الجانب المهمّ من حياة لبيد كان في الاسلام .

في جُمادي الآخرة من سنة ٨ هـ (تشرين الأول — اكتوبر ٦٢٩) وفَدَ على الرسول جماعة من بني عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد أخو لَبيد . ولكنّ الله لم يشرح صدور هؤلاء للاسلام . وقد اتّفق أن توفي عامر بن الطُّفيل بعد أيام ، ثم قُتل أربد بعد بضعة أيام أخر : قيل سقطت عليه صاعقة فأحرقته ، وقيل بل أكله الكلب (الاسد ، الذئب) .

وفي العام التالي جاء وفد آخر من بني عامر إلى المدينة ، وكان فيهم لَبيد ،

---

[1] المقتر : الفقير ، والذي لا يفي كسبه إلا بشيء يسير من حاجاته .

فأسلم أعضاء الوفد كلّهم في هذه المرة . ولقد أسلم لَبيد وهاجر [1] وسكن في المدينة . ولكنّ اسلامَ لَبيدٍ لم يَحْسُنْ منذ أول الأمر فقد عدّه مؤرخو الاسلام في المؤلّفة قلوبهم [2] .

ولمّا بُنيت البصرة والكوفة في سنة ١٤ هـ (٦٣٥م) ، في أيام عمر بن الخطّاب ، انتقل لَبيد إلى الكوفة وسكنها وكَتب اسمه في ديوانها ، وكان عطاؤه ألْفَيْ درهمٍ في العام — ولعلّ ذلك كان استمراراً لما كان يتناوله من بيت المال يوم كان في صِنف المؤلّفة قلوبهم . وفي الكوفة توفّي لَبيد بين سنة ٣٥ و ٣٨ هـ (٦٦٥ — ٦٦٩م) في أواخر خِلافة عثمان بن عفّان .

٢ — لَبيد من شعراء الجاهلية الاشراف المجيدين . ومن أصحاب المعلّقات باجماع الرواة ، فقد عُدّ في أصحاب المعلّقات السبع [3] . وكان لَبيد في الجاهلية خيرَ شاعر لقومه يمدحهم ويرثيهم ويعدّ أيّامَهم ووقائعهم وفرسانهم . وشعره فخم شريف المعاني يدور أكثره على الحماسة والفخر والمديح والرثاء والوصف ، وله معلّقة بدْوية الخصائص . وشعره قصيد ورجَز (البيان والتبيين ٤ : ٨٤) ، وله خطب .

انقسم الرواة والنقّاد في شأن لبيد ، منهم من يزعم أن لَبيداً لم يقل في الاسلام شعراً [4] ، ومنهم من يقول إن شِعر لَبيد في الاسلام كان كثيراً .

أجمعت المصادر على أن لبيداً قال في الاسلام (أو لم يقل في الاسلام إلا) :

الحمدُ للهِ إذ لم يأتِـني أجلي ... حتّى اكتسيتُ من الاسلامِ سِربالا .

قالوا فلما بلغ سبعاً وسبعين سنة من العمر قال (غ ١٤ : ٩٤) :

قامت تَشَكّى إليّ النفس مُجْهِشَةً ... وقد حَمَلْتُكَ سبعاً بعد سبعينا ؛
فان تُزادي ثَلاثاً تَبلُغي أملاً ، ... وفي الثـلاث وَفـاء للثمانينا .

---

١ انتقل إلى المدينة اقتداء بالرسول والمسلمين الأولين وترك السكنى في البادية .

٢ المؤلفـة قلوبهم هم الذين يعطون (بضم الياء وفتح الطاء) شيئاً من المال حتى يسالموا الاسلام (إذا لم يكونوا قد اسلموا) أو حتى يثبتوا على الاسلام .

٣ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليـات لأبي بكر محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٨ هـ) ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٥١٧ — ٥٩٧ ؛ شرح المعلقات السبع للزوزني (ت ٤٨٦ هـ) ، دمشق ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م .

٤ يقف محمد علي حمد الله في صف هؤلاء . (راجع شرح المعلقات للزوزني ٢٠١ — ٢٠٢) .

ولِلبيدٍ أبيات رَوَوْها عنه بعد أن بلغ التسعين ثم بلغ المائة (غ ١٤ : ٩٤ ، ١٠٠ ، راجع ٩٧) . وله بعد أن جاوز المائة ، فيما رَوَوْا (غ ١٤: ٩٤، ١٠٠) البيت المشهور :

ولقد سَئِمْتُ من الحياةِ وطولِهـا   وسؤال هذا الناسِ : كيف لَبيدُ ؟

وقُتِلَ أربدُ قبل أن يدخل لبيد في الاسلام ببضعة أشهر فرثاه لَبيدٌ بعدد كبير من القصائد : رثاه بقوله : « ألا ذهب المُحافظ والمحامي » ، وهي قصيدة طويلة (غ ١٥ : ١٣٩) ، ورثاه بقوله (غ ١٥ : ١٣٩ — ١٤٠) :

ما إن تَعَدّى المَنونُ من أحدٍ :   لا والدٍ مُشْفِقٍ ولا وَلَدِ !

ثم رثاه بعد ذلك بقصائد **يطول الخبر بذكرها** . ومما رثاه به وفيه غناء قوله : « بَلينا ، وما تبلى النجوم الطوالع » (غ ١٥ : ١٤٠) . ومما رثاه به أيضاً قوله ، **وهي من مختار مراثيه** : « طرب الفؤاد وليته لم يطرب » (غ ١٥ : ١٤٠ — ١٤١) .

ولما حَضَرَتْ لَبيداً الوفاةُ أوصى ابن أخٍ له ، ولم يكن للبيد ولد ذَكَرٌ ، بحُسْن دفنه ؛ ثم أنشد قصيدة طويلة منها :

وإذا دفنتَ أبـاك فـاجْـ   ـعَلْ فوقه خشباً وطينا .

ومن هذه القصيدة سبعة أبيات تغنّى (غ ١٤ : ١٠١) .

بعدئذ أنشد في ابنتيه أبياتاً فيها غناء مطلعها [1] :

تمنّى ابنتاي أن يعيش أبوهما ،   وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر .

إلا أن فيض قريحة لَبيد بالشعر كان في الجاهلية ، أما الشعر الذي قاله في الاسلام ، على كثرته ، فلم يجر على المنهج المألوف الممدوح يومذاك ، ثم انه جاء عرضاً في حياته : لم يتكسّب به ولم يفاخر ، ولا وقف شعره في سبيل الدعوة الاسلامية ، كما كان شأن حسان بن ثابت وعبد الله بن رَواحة وكعب ابن مالك . بهذا المعنى لا نزال نعد لَبيداً في شعراء الجاهلية .

---

١ غ ١٤ : ١٠١ . راجع في شعر لبيد في الاسلام وما قاله في رثاء أخيه لبيد « الشعر والشعراء » ١٤٩ ، راجع ١٥١ — ١٥٣ ؛ سيرة ابن هشام ٢٤٣ — ٢٤٤ ، ٣٦٦ ، ٩٤٠ — ٩٤٣ .

٣ – المختار من شعره

– من معلّقة لَبيدٍ ، ومطلعها :

عَفَتِ الديارُ مَحِلُّها ومُقامُها بِمِنًى تَأبّدَ غَوْلها فرِجامُها [١] .

وبعد أن يُسهب لبيدٌ في وصف الاطلال والظعائن ، في خمسة عشر بيتاً ، يتناول الكلامَ على حبيبته نَوار :

بل ما تَذَكّرُ من نَوارَ وقد نأتْ وتقطّعتْ أسبابُها ورِمامها [٢] .

مُرّيّةٌ حلّتْ بفَيْدَ وجاورتْ أهل الحِجازِ ، فأين منك مَرامها [٣] ؟

فاقطع لُبانةَ من تعرّضَ وصلُه ، ولَشَرُّ واصلِ خُلّةٍ صَرّامها [٤] .

ثم انه يصف ناقته وطريقه ويطيل إلى أن يتناول الكلام على نفسه :

أقضي اللُّبانةَ لا أفرِّطُ ريبةً أو أن يلومَ بحاجة لوّامُها [٥] .

أوَلَمْ تكنْ تَدري نَوارُ بأنّني وصّال عَقْد حبائلٍ جَذّامها [٦] .

تَرّاكُ أمكنةٍ إذا لم أرْضَها أو يَرْتَبِطْ بعضَ النفوسِ حِمامها [٧] .

بل أنتِ لا تَدرينَ كم من ليلةٍ طَلْقٍ لذيذٍ لَهْوُها ونِدامها [٨]

قد بِتُّ سامَرَها وغايةِ تاجرٍ وَفَيْتُ إذ رُفِعَتْ وعزّ مُدامها [٩] .

---

١ عفت الديار : امحت آثارها . محلها ومقامها : ما كانت الاقامة فيه قصيرة وطويلة . منى : موضع بحمى ضرية . تأبد : توحش (عاش منفرداً بعيداً عن العمران) . الغول و الرجام جبلان .

٢ الاسباب : الحبال ، الصلات . الرمام جمع رمة : قطعة من حبل متهرئة (تقطعت الصلات القوية والضعيفة) .

٣ مرية : من بني مرة . فيد : اسم مكان . أين منك مرامها (مطلبها) : كيف تستطيع الوصول اليها ؟

٤ استغن عن صداقة الذين يصادقونك لمصلحتهم ثم يقطعونك إذا لم يبق لهم حاجة اليك ؛ وهؤلاء شر الناس .

٥ أقضي الحاجات (أقوم بواجبي) ولا أدع لأحد سبيلا إلى لومي .

٦ نوار تعلم أني قادر على إقامة الصلات متى شئت وعلى جذمها (قطعها) متى شئت .

٧ أو يرتبط بعض النفوس حمامها : أو أموت فلا أستطيع حينئذ أن أترك الأرض (التي لا ترضيني) .

٨ الندام : الندماء ، المنادمة .

٩ سهرت تلك الليلة ، وكنت قد وصلت فاذا تاجر (بائع خمر) قد رفع غاية (راية ، وكان ذلك علامة على بائعي الخمر) . وعز (غلا) مدامها (ثمن خمرها) .

أغلي السِّباء بكل أدْكَنَ عــاتقٍ أو جَوْنة قُدِحَتْ وفُضَّ خِتامها [1]
باكرتُ حاجتَها الدجاجَ بسُحرةٍ لأُعَلَّ منها حين هَبَّ نِيامها [2].
ولقد حَمَيْتُ الخيلَ تَحمِلُ شِكّتي فُرُطٌ وِشاحي ، إذ غدوت ، لِجامها [3]؛
حتى إذا ألقتْ يداً في كافرٍ وأجنَّ عَوْراتِ الثُّغور ظَلامها .
أسهلتُ ، وانتصبتْ كجِذعِ مُنيفة جرداءَ يَحْصَرُ دونَها جُرّامها [4] .

وأخيراً يفتخر لَبيد بقومه : بجاههم وكرمهم :

إنّا إذا التَقَتِ المَجامعُ لم يَزَلْ منّا لِزازُ عظيمة جَشّامها [5] ،
من مَعْشرٍ سنّت لهم آباؤهم ، ولكلِّ قوم سُنّةٌ وإمامها .
لا يَطْبَعون ولا يَبور فِعالهم ، إذ لا تَميل مع الهوى أحلامها [6] .
فاقْنَعْ بما قسم المليكُ ، فإنما قَسَمَ الخلائقَ بيننا عَلّامها .
وإذا الامانةُ قُسِمَتْ في مَعْشرٍ أوفى بأعظمِ حَظّنا قَسّامها [7] .
فهُمُ السُّعاةُ إذا العشيرة أُفْظِعَت ، وهمُ فوارِسُها وهمْ حُكّامها .
وهمُ ربيعٌ للمجاورِ فيهمُ والمُرْمِلاتِ إذا تطاول عامها [8] .

١ أغلي السباء : أبذل وأزيد في السباء (شراء الخمر) حتى لا يستطيع أحد غيري أن يشتريها . ادكن عاتق : زق (وعاء) خمر أسمر اللون لتقادم الزمن عليه . الجونة : الخابية السوداء (لتقادم الزمن عليها) . قدحت : خرق جانبها (كانت العادة أن تخرق الخابية من جانبها ؛ تحت وسطها ؛ إذ لو فتحوها من رأسها لطار ثاني أكسيد الكربون منها ، وأصبحت الخمرة « شراب العنب ») . فض ختامها : أزيل ما كان عليها من الليف والقار والنسيج مما تلف به الخابية حتى يقل وصول الحرارة إلى جوفها .

٢ شربتها باكراً قبل صياح الديوك . اعل منها : أشرب منها شيئاً بعد شيء .

٣ الشكة : السلاح الكامل . فرط : فرس سريعة تتقدم الخيل في جريها . غدوت : بكرت . وشاحي لجامها أضع لجامها على كتفي (قريباً مني) استعداداً للركوب في كل وقت . • كافر : الليل .

٤ أسهلت (نزلت إلى السهل) وانتصبت فرمي (رفعت عنقها) كجذع (نخلة) منيفة (عالية) . عنق فرسه أجرد (قليل الشعر) يشبه جذع النخلة إذ أصبح مع طوله أملس فيصعب حينئذ على الجرام (جمع جارم : الذي يتسلق النخلة ليقطف ثمرها) .

٥ المجامع جمع مجمع : نادي القوم . — إذا اجتمعت القبائل للتشاور كان منا لزاز العظائم (الذي يتصدى للمشاكل العظيمة) جشامها (الذي يتجشم : يحاول ويعاني) حلها .

٦ يطبعون : يفسدون . يبور فعالهم : لا تهلك أفعالهم (تذهب سدى) .

٧ المليك والعلام من أسماء الله الحسنى . إن الله هو الذي قسم المعايش (والمراتب) بين الخلائق .

٨ أرمل الرجل : افتقر (امتلأ وعاؤه بالرمل لأنه يكون مهملا فيتراكم الرمل فيه شيئاً فشيئاً) . تطاول عامها . طال الجدب عليها واشتد .

– وقال لَبيد يرثي أخاه أربد :

بَلِينا وما تبلى النجوم الطوالـعُ، وتبقى الديار بعدنا والمصانعُ [1].
وقد كنْتُ في اكنَاف جار مَضنّـة ففارقني جـار بأرْبَـدَ نافـع .
فلا جَزَعٌ إن فرّق الدهر بيننَـا ؛ فكل امرئٍ يوماً بـه الدهر فـاجعُ .
وما النّاس إلاّ كالديار – وأهلها بها يوم خلّوْها وراحوا – بلاقـعُ .
وما المرء إلاّ كالشهاب وضوئـه يحور رماداً بعد إذ هو ساطـع [2].
وما المـال والاهلون إلاّ ودائـعٌ ؛ ولا بُدّ يوماً أن تُرَدّ الودائـع .
وما النّاسُ إلاّ عاملان : فعامـل يُتَبِّر ما يبني وآخر رافـع [3].
فمنْهم سعيد آخذ بنصيبه، ومنْهم شقيّ بالمعيشة قانع [4].
لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى ولا زاجرات الطير ما الله صانـع [5].

٤ – معلّقة لبيد (نشرها دي ساسي) ، مطبوعة مع كتاب كليلة ودمنة ، باريس ١٨١٦ م .
ديوان لبيد العامريّ (نشره الشيخ يوسف ضياء الدين الخالدي المقدسي) ، فينّا ١٢٩٧ هـ = ١٨٨٠م .
ديوان لبيد (بتحقيق A. Huber ، نشره بروكلمان) ، ليدن ١٨٩١م .
شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري (حقّقه وقدّم له الدكتور احسان عبّاس) ، الكويت ١٩٦٢ م .

• لَبيد بن ربيعة العامري ، تأليف يحيى الجبوري ، بغداد ١٩٦٤ .
بروكلمان ١ : ٢٩ – ٣٠ ، الملحق ١ : ٦٤ – ٦٥ .

---

١ المصانع : القصور ؛ بناء يجمع فيه الماء .
٢ يكون الشهاب (النيزك) مضيئاً جداً وهو ساقط في طبقات الهواء ، ثم يحترق ويتلاشى . وكذلك الانسان يكون حياً ثم يموت .
٣ يتبر : يهدم ، يدمر . رافع : بان (من يبني) .
٤ بالمعيشة قانع : خامل يكتفي من الحياة بأن يأكل ويشرب وينام .
٥ الطرق بالحصا وزجر الطير من اعمال استطلاع المستقبل . ان هذا كله لا يدل على المستقبل، والله لم يهب علم الغيب لأحد من خلقه .

صَدْرُ الإسْلامِ الأوّل

ظهور الاسلام – عصر الخلفاء الراشدين

في عام ٥٢٥ م (٩٧ ق. ه.) احتل الاحباش اليمن. وبعد خمسين عاماً سار أبْرَهَةُ الأشرم، والي اليمن من قِبَلِ ملك الحبشة، بجيش كثيف على مكة وحاصرها عام ٥٧٠ م، ولكنّه ارتد عنها منهزماً. وكان في جيش أبرهة فِيَلَةٌ – ولم يكن أهل مكّة رأوْا فيلاً في الجيوش من قبلُ – فَسَمَّوْا ذلك العام عام الفيل.

في ذلك العام وُلِدَ محمدٌ بن عبدِ الله بن عبد المطلب بن هاشم في مكّة ونشأ فيها يتيماً، فقد تُوُفِّيَ أبوه قبلَ أن يُولَدَ هو، ثم تُوُفِّيَتْ أمّه وهو في السادسة من عمره. وفي الخامسة والعشرين من عمره تزوج محمد عليه السلام خَدِيجةَ بنت خُوَيْلِدٍ، إحدى مُوسِرات مكة ومن التجار المشهورين فيها. ولمّا بلغ الاربعين من عمره اختاره الله لأداء رسالته وبعثه رسولاً إلى الناس أجمعين.

وصدع محمد صلى الله عليه وسلم بالاسلام ودعا الناس في مكة إلى توحيد الله ثلاثَ عَشْرَةَ سنَةً من غير أن يزيد المسلمون فيها على سبعين شخصاً كانوا يعيشون في ضيق واضطهاد. ثم أمر اللهُ رسولَه بالهِجْرة إلى يَثْرِبَ فهاجر اليها هو ومن معه عام ٦٢٢ للميلاد، فتلقاه أهل يثرب بالتَرْحاب ودخلوا في الاسلام، ثم غيّروا اسم مدينتهم وجعلوه «مدينة الرسول». ومع الأيام اختصر الناس الاسم فأصبح «المدينة»[١]. وتعدّ الهجرة إلى المدينة مبدأ للتأريخ الاسلامي.

وفي المدينة أصبح الاسلام دولةً والمسلمون أمةً. وحاول المشركون في مكة بالاتفاق مع يهود المدينة أن يحاربوا المسلمين، ولكن المسلمين انتصروا على أعدائهم

١ يبدو ان الاسم «المدينة» كان علماً على «يثرب» قبل الاسلام، ولكن لم يكن يومذاك مشهوراً.

في معارك كثيرة أشهرها غزوة بدر (سنة ٢ هـ = ٦٢٤ م) وغزوة الخندق (سنة ٥ هـ) وغزوة حُنين (سنة ٨ هـ). وفي تلك السنة، ولكن قبل غزوة حنين، فتح المسلمون مكة وعمّ الاسلام شبهَ جزيرة العرب. وفي سنة ١١ هـ (٦٣٢ م) لَحِقَ محمدٌ صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى بعد أن قضي ثلاثاً وعشرين سنة يؤدي رسالة ربه.

والاسلام بما فيه من عقائدَ وشرائعَ وآدابٍ مُستَمَدٌّ من القرآن الكريم. والقرآن الكريم هو مجموع الآيات والسور التي أُوحِيَتْ إلى رسول الله مُنَجَّمةً (متفرقة) في مدى ثلاث وعشرين سنة. أما كلام الرسول الذي كان يشرح تلك العقائد والشرائع والآداب فيُسَمّى الحديثَ.

كان محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً وقائداً وحاكماً، فلمّا توفي لم يكن للمسلمين بُدٌّ مِنَ اختيار حاكم يقوم على تنفيذ أمور دينهم ثم يقوم بأمور دنياهم، فبايعوا أبا بكرٍ عبدَ الله بن أبي قُحافَة خليفةً عليهم. فقضى أبو بكر سنتين في الخلافة حارب في أثنائهما العرب الذي ارتدوا (أي ثاروا على السلطة المركزية في المدينة)، وبعث الجيوش للفتح ولانقاذ العرب الذين كانوا يعيشون في العراق والشام تحت نِير الفرس والروم. ولم يكن القرآن الكريم مجموعاً فجمعه أبو بكر في مصحف واحد[1].

وبعد أبي بكر جاء عمر بن الخطاب ومكث في الخلافة عَشْرَ سنينَ فتح العرب في أثنائها العراق والشام ومصر وفارس. وفي أيام عمر اتخذت الدولة الاسلامية شكلها الواضح وأصبحت دولة مرهوبة الجانب. وتآمر الفرس والروم على عمر لأنه أزال امبراطوريتيهما فدسوا اليه أبا لؤلؤةَ المجوسيَّ الفارسيَّ فقتله (٢٣ هـ = ٦٤٤ م).

وبعد عمر تولى الخلافة عُثمانُ بن عفّانٍ الامويّ فاتسعت الفتوح في أيامه

---

١ القرآن هو كتاب الله المثبت في المصاحف. والمصحف هو الصحف (الاوراق) المجموعة المجلدة في كتاب واحد.

كان القرآن محفوظاً في صدور الرجال؛ وكان جميعه مدوناً على الترتيب الموجود حالياً في المصاحف: سورة سورة وآية آية في كل سورة. ولكن كان عند بعض الصحابة سور معدودة وعند بعضهم الآخر سور معدودة أخرى، ويبدو ان نفراً من الصحابة كان عندهم مصاحف تامة على ترتيب اتفق لهم (راجع الفهرست، ليبزغ، ص ٢٤ – ٤٨). أما الجمع الذي كان في أيام أبي بكر فمعناه ان السور كلها «جمعت» في مصحف واحد على الترتيب الذي كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أقره.

في مصر وليبية وفي البحر . وأعاد عثمان جمع القرآن الكريم ورتّب سوره على النحو الذي هو في المصاحف اليوم . ثم نقم الناس على عثمان لأن قومه بني امية تسلّطوا على الدولة . وحاصر الثائرون عثمان في بيته في المدينة . وحاول عثمان أن يُصلح ما فسد من الأمور فلم يتأتّ له ذلك . واضطرب الأمر عليه فقتله الثائرون (آخر سنة ٣٥ هـ = منتصف عام ٦٥٦ م) ، بعد أن تولّى الخلافة اثْنَتَيْ عشْرَةَ سنَةً .

ثم تولّى الخلافة عليّ بن أبي طالب فاستمر الاضطراب وتوقّفت الفتوح ، بعد أن نَشِبَ الخلاف بين عليّ وبين والي الشام مُعاويةَ بن أبي سُفيان . بعدئذ انقسم أشياع الإمام عليّ أنفسهم فأصبحوا : الشيعةَ (الذين ناصروا الإمام عليّاً ووقفوا موقف العِداء من خصومه) والخوارجَ (الذين عدّوا النزاع بين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وبين والي الشام معاوية بن أبي سفيان نزاعاً سياسياً ثم عادَوْا معاوية وعلياً معاً) . وحاول الخوارج قتل عليّ ومعاوية وعمرَو ابنَ العاص لأنهم كانوا — في رأي الخوارج — سبباً للخلاف بين المسلمين ؛ فلم يتأتّ لهم إلاّ قتلُ عليّ (٤٠هـ = ٦٦١ م) .

المجتمع الاسلامي

الاسلام دين وحركة في وقت واحد ، ولقد عُنِيَ الاسلامُ بِهداية المسلمين وتَزْكِيَةِ نفوسِهم كما عُنِيَ بإصلاح أحوالهم وتنظيم حياتهم العامة في الدولة وتنظيم حياتهم الخاصة في الأسرة .

وكانت أُولى ثَمَرات الاسلام القضاءُ على العصبية القبلية ، ذلك الرباطِ الذي كان في الجاهلية يشد الفرد إلى الفرد ويشد الجماعة إلى الجماعة على أساس من القرابة العِرْقية . ولمّا جاء الاسلام ودخل فيه العرب والعجم والروم والنبيط تبدّل الاسلام بالعصبية الجاهلية التي هي أساس « القبيلة » جامعةً روحية هي « الأمّة » .

قوّض الاسلام الحدود التي كانت قائمة في الجاهلية بين الطبقات الاجتماعية : ألغى الرقّ وجعل المسلمين إخوة لا فضلَ لأحدهم على الآخر إلاّ بالتقوى . وكذلك شَجَبَ الاسلام الفروقَ الاجتماعية وحاول القضاء عليها بالزكاة : وذلك بأن جعل للفقراء حقّاً في أموال الاغنياء ، فالزكاة في الاسلام ليست صدقة

يتبرع بهـا الغني للفقير ، بل هي حقّ للفقير يقتضيه من الغنيّ بوساطة الدولة . ثم ان الاسلام حثّ الأغنياء على الصدقـات المختلفة فوق ما أوجب عليهم من الزكاة .

أما المؤسّسة الاجتماعية التي تبدّلت تبدّلاً جذرياً فهي الأسرة . فالأب لم يَبْقَ رَبّاً للأسرة بمعنى «مالكها» يتّخذ الزَوْجاتِ كيف يشاء ويبيع أولاده أو يجعلهم رهائنَ عند خصومه أو قَوَداً [1] ، بل بمعنى «القائم على شؤونها» . ونظّم الاسلام الزواج والطلاق بعد أن كانا فوضى . ولم تكن المرأة في الجاهلية ترث ، ولا كان الأب والأمّ يرثان ، فقسَم الاسلام للفتاة نصف ما قسم لشقيقها من الأرث ثم جعل للأبوين نصيباً مفروضاً في ثروات أولادهما .

وحرَص الاسلام على مكارم الأخلاق الشخصية والاجتماعية : فكل ما أدّى إلى ضرر في الفرد أو تخلخلٍ في البيئة الاجتماعية هو في الاسلام حرام أو مكروه على نسبة ما فيه من الضرر . فالكذب والغش والنميمة والخمر والزنا كلها داخلة في هذا الباب . وكذلك العصبية والثأر والحميّة الجاهلية والاسراف في الكرم والتكبّر وما يشبهها مكروهة كلّها .

وبعد أن شدّ الاسلام الجماعة الاسلامية بأواصرَ من الرحمة والحقوق والدين نظّم علاقاتِهم مَعَ غيرهم من الأمم والشعوب . ان غير المسلمين في نظر الاسلام قسمان : أهلُ كتابٍ (أصحاب دين سماوي) كالنصارى واليهود ، ثم كفّار (لا كتابَ لهم ، لا دينَ سماوياً لهم) . أما أهل الكتاب فكان لهم حالان يختلفون بهما في الدولة الاسلامية من المسلمين :

(أ) يدفعون جزية مقطوعة (بين دينار وأربعة دنانير في العام حسب درجات غناهم) ثم لا يذهبون إلى الجهاد والفتح .

(ب) ولم يكن أهل الكتاب يَتَوَلّوْنَ الخلافة ولا القضاء بين المسلمين .

وأما **الكفّار** فكانوا أهل حَرْبٍ أو **دار حرب** ، ولم يكن لهم ، في العصر الذي نعالجه ، مكان في الدولة الاسلامية ، وكان قتالهم واجباً . ويحسن أن نذكر أنه كان في هذا العصر طبقة من **المؤلّفةِ قلوبـُهم** (وهم **أفرادٌ** من أهل الكتاب ومن المسلمين أيضاً كانوا يحسّنون سلوكهم في الدولة الاسلامية إذا تناولوا مبالغ من المال) . أما الذين كانوا يظهرون الاسلام ويبطنون الكيد للمسلمين فهم **المنافقون** .

---

[1] يسمح بقتلهم ثأراً لآخرين قتلوا من خصومهم .

ومعَ ظهور الاسلام اتجه المسلمون اتجاهاً عقلياً جديداً : ابتعدوا عن الخرافات التي كانت لهم في الجاهلية ثم أخذوا بالمنطق والتفكير عند معالجة الأمور واجتهدوا في طلب العلم ، مما نجده مبسوطاً في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف .

وبخروج العرب بالاسلام إلى الفتح بدأ اختلاط العرب بغيرهم من الأمم وبدأت الحياة الحضرية تتسع وترسَخ . ولكن آثار ذلك كله لا تَتضَحُ إلاّ في العصر الأمويّ .

القرآن الكريم والحديث الشريف

إن تبدّل خصائص الأدب في الاسلام عمّا كانت عليه في الجاهلية راجعٌ إلى أثر القرآن الكريم والحديث الشريف . **القرآن كلام الله القديم الموجودُ رسمُه في المصاحف** ، وقد أُوحِيَ به إلى مُحمّدٍ صلّى الله عليه وسلّم مُنَجّماً في ثلاث وعشرينَ سَنَةً ، هي مدة الدعوة الاسلامية من حياة الرسول. وفي **القرآن مائةٌ وأربعَ عَشْرَةَ سورةً** جَمَعَتْ تاريخَ الدعوة والتشريعَ الذي جاء به الاسلام والاسسَ الأخلاقية . وفي القرآن أصدق صورة للحياة الفكرية والاجتماعية والأدبية للعصر الجاهلي . أما **الحديث فهو كلام الرسول** ، وهو شرح وتفصيل لما جاء موجزاً أو مُجْمَلاً في القرآن .

وسُوَر القرآن منها القِصار كسورة الاخلاص ، وهي السورة الثانية عشرة بعد المائة في المصحف : « قُلْ : هوَ اللهُ أحدٌ . اللهُ الصَمَدُ . لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ، ولم يكُنْ لَهُ كُفُوًاً أحَدٌ » . وكذلك منها الطِوال كسورة البقرة وسورة آلِ عِمْران وسورة النساء ، وهي السور الثانية والثالثة والرابعة في المصحف . وسور القرآن قسمان : سور مكية نَزَلت في مكة وسور مدنية نَزَلت في المدينة . وقد **جَمَعَ القرآنُ أساليب العرب** في الجاهلية وعصر الدعوة بجميع خصائصها ، حتى في الجانب الخيالي منها ، مما دعا العرب إلى أن يقولوا عن القرآن إنه شعر وعن الرسول إنه شاعر . فمن أسلوب القرآن الخطابي المنطوي على وَعيدٍ سورة المَسَدِ التي نزلت في عبد العُزّى بن عبد المطّلب ، عمّ الرسول ، وكان عبد العزّى وامرأته يكرهان الرسول ويؤذيانه (السورة ١١١) : « تَبّتْ يَدا أبي لَهَبٍ وتَبّ . ما أغْنى عَنْه مالُه وما كَسَبَ .

سَيَصْلَى ناراً ذاتَ لَهَبٍ . وامرأتُه حَمّالةَ الحَطَبِ ، في جِيدِها حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ [1] » .

ومن الأسلوب القصصي الممزوج بشيء من الحُوار والوصف حديث نوح وابنه (١١ : ٤١ – ٤٣ ، سورة هود) : « وقالَ اركبوا فيها ، بِسْمِ اللهِ مَجراها ومُرساها ، ان ربّي لَغَفُورٌ رَحيم ، وهي تجري بهم في مَوْجٍ كالجبال . ونادى نوحٌ ابْنَه ، وكان في مَعْزِلٍ : يا بُنَيّ ، اركب معنا [2] ، ولا تكنْ مع الكافرين . قال : سآوي إلى جبلٍ يَعْصِمُني من الماء . قال : لا عاصِمَ اليومَ مِنْ أمرِ الله الا مَنْ رَحِمَ ! وحالَ بينهما الموجُ فكان من المُغْرَقين » .

وفي القرآن أيضاً أسلوب مبسوط فيه مناقشة وتحليل كحديث اليهود مع المسلمين الأولين (٢ : ٧٤ – ٧٧ سورة البقرة) : « ثم قَسَتْ قُلوبُكم مِنْ بَعْدِ ذلك فَهِيَ كالحِجارةِ أو أشدُّ قَسْوَةً . وإنّ مِنَ الحِجارة لَمَا يَتَفَجَّرُ منه الانهارُ ، وإنّ منها لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ منه الماء ، وان منها لَمَا يَهْبِطُ من خَشْيَةِ الله . وما الله بغافلٍ عمّا تَعْمَلونَ . أفتَطْمَعونَ أنْ يُؤمنوا لَكُم – وقد كانَ فَريقٌ منهم يَسْمَعونَ كلامَ الله ثم يُحَرِّفونَهُ من بعد ما عَقَلوهُ وهُمْ يَعْلَمون ؟ وإذا لَقُوا الّذينَ آمَنوا قالوا : آمَنّا . وإذا خَلاَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ قالوا : أتُحَدِّثونهم بِما فَتَحَ اللهُ بِهِ عَلَيْكُم لِيُحاجّوكم بِهِ عِنْدَ رَبِّكم ، أفلا تَعْقِلون ؟ أوَلا يَعْلَمونَ أنّ اللهَ يعلمُ ما يُسِرّونَ وما يُعْلِنون ! »

أما الحديث فالغالب أنه رُويَ بمعانيه لا بألفاظه .

أ) من أحاديثه صلى الله عليه وسلم :

– أوتيتُ جَوامعَ الكَلِم .

– الخَلْق كُلُّهم عِيالُ الله فأحبّهم إليه أنفعُهم لعياله .

– بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق .

– الدالّ على الخير كفاعله ، والدالّ على الشرّ كفاعله .

– لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى يُحِبّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه .

---

١ المسد : الليف .

٢ تلفظ : اركم معنا (لأن فيها إشماماً بين الباء في « اركب » وميم « معنا ») .

– إنّ من الشعر لَحِكْمةً ، وإنّ من البيان لَسِحْراً .
– الصبر عند الصدمة الأولى .
– إنّ قوماً ركبوا في سفينة فاقتسموا ، فصارَ لكل رجل منهم موضع . فنقر رجل منهم موضعه بفأس . فقالوا له : ما تَصْنَعُ ؟ قال : هو مكاني أصنع فيه ما أشاء ! فان أخذوا على يده نجا ونَجَوْا ، وإن تركوه هَلَكَ وهلكوا .

ب) لمّا خرج رسول الله سنة ٦ هـ (٦٢٨ م) إلى مكة للحج جاءه سُهيل ابن عمرو مبعوثاً من قريش في طلب الصلح (وكانوا يظنون أن الرسول قادم للفتح) . فأملى رسول الله كتاب الصلح على عليّ بن أبي طالب كما يلي :

هذا ما صالح عليه محمدُ بن عبد الله سُهيلَ بن عمرٍو : اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عَشْرَ سِنِينَ يأمن فيهن الناس ويَكُفّ بعضُهم عن بعض . على أن من أتى محمّداً من قُريشٍ بغير اذن وَليّه رَدّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمّد لم يردّوه عليه . وأن بيننا عَيْبَةً مكفوفة [١] ؛ وأنه لا إسلال ولا إغلالَ [٢] . وأنه من أحب أن يَدْخُلَ في عَقد محمدٍ وعهدِه [٣] دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عهد قريشٍ وعهدهم دخل فيه .

جـ – خطبة الوَداع للرسول (من سيرة ابن هشام ٩٦٨ – ٩٧٠) ، سنة ١٠ هـ :

أيّها الناسُ ، اسمعوا قولي فاني لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعدَ عامي هذا بهذا الموقف أبداً . أيّها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرامٌ إلى أنْ تَلْقَوْا ربّكم كَحُرْمةِ يومِكم هذا [٤] وكحُرْمةِ شهركم هذا . وانكم ستَلْقَوْنَ ربّكم فيَسْألُكم عن أعمالكم ، وقد بَلّغتُ . فمَنْ كانت عنده أمانة فَلْيُؤدِّها إلى مَنِ ائتمنه عليها ، وان كلّ رِباً موضوعٌ [٥] ، ولكنّ لكم

١ العيبة : موضع سر الرجل . عيبة مكفوفة : الشر بيننا مكفوف ، موادعة (سلم) ، مكافة عن الحرب .
٢ اسلال ، السرقة (الخفية) . الاغلال : الخيانة .
٣ أن يدخل في الاسلام .
٤ شهر ذى الحجة (شهر الحج) .
٥ ملغى ، باطل .

رؤوسَ أموالِكم لا تَظْلِمون ولا تُظْلَمون . قضى الله أنْ لا رباً ، وان ربَا عباسِ بن عبد المطّلب* موضوع كلّه ، وان كل دمٍ [1] كان في الجاهلية موضوع ....

أما بعد ، أيّها الناس ، فإنّ الشيطان قد يَئِسَ من أن يُعْبَدَ بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إنْ يُطعَ فيما سوى ذلك فقد رَضِيَ به مما تحقِرونه من أعمالكم . أيّها الناس ، ان النَسِيءَ [2] زيادةٌ في الكُفر يُحِلّونه عاماً ويُحَرّمونه عاماً ليُواطئوا عِدّةَ ما حرّم الله فيُحلّوا ما حرّم الله ويُحَرّموا ما حلّل الله ؛ وان الزمان قدِ استدار كهيئته يومَ خَلَقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ : ان عِدّةَ الشهور عند الله اثنا عَشَرَ شَهْراً منها أربعةٌ حُرُمٌ : ثلاثةٌ مُتَوالِيةٌ [3] ورَجَبُ مُضَرَ الذي بين جُمادى وشَعبان .

أما بعد أيّها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقّاً ، ولهنّ عليكم حقاً ....

أيّها الناس اسمعوا قولي واعقِلوه تَعْلَمُنّ أن كل مسلم أخٌ للمسلم ، وان المسلمين إخوةٌ فلا يَحِلّ لأمرئ من أخيه إلاّ ما أعطاه عن طِيبِ نفس منه فلا تَظْلِمُنّ أنفسَكم . اللهمّ هل بلّغتُ ؟ (فقال الناس) : نَعَمْ ! (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم) : اللهمّ اشْهَدْ !

في المصادر والمراجع :

– إعجاز القرآن ، تأليف أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاّني (تحقيق أحمد صقر) ، القاهرة ١٣١٥ هـ .
– اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، تأليف مصطفى صادق الرافعي (طبعة محمد سعيد العريان) ، القاهرة ١٩٤٠ م .
– من بلاغة القرآن ، تأليف أحمد أحمد بدوي ، القاهرة ١٩٥٠ م .
– ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان ، تأليف محمد بن ابراهيم بن الوزير ، القاهرة ١٩٣١ م .

---

١ دم : ثأر (مطالبة بقتل القاتل) . * توفي سنة ٣٢ هـ .

٢ النسيء : المواطئة (التوفيق) بين السنة القمرية والعام الشمسي بأن يزاد على كل سنة قمرية ثالثة شهر واحد (لأن السنة القمرية تنقص عن العام الشمسي نحو أحد عشر يوماً) .

٣ ذو القعدة وذو الحجة والمحرم .

– القصص الفنّي في القرآن ، تأليف محمد خلف الله ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٧ م .
– مشاهد القيامة في القرآن ، تأليف سيد قطب ، القاهرة ١٩٤٧ م .
– أثر القرآن في تطوّر النقد الأدبي إلى آخر القرن الرابع الهجري ، تأليف محمد زغلول سلام ، القاهرة ١٩٥٢ م .

* * *

– القرآن المجيد (تنزيله وأسلوبه ... الخ) ، تأليف محمد عزّة دروزه ، صيدا وبيروت ، بلا تاريخ .
– عصر النبي وبيئته قبل البعثة ، تأليف محمد عزّة دروزه ، دمشق ١٣٦٥ هـ = ١٩٤٦ م .
– المعجزة الخالدة ، تأليف هبة الدين الحسني الشهرستاني ، بغداد ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م ثم ١٣٧١ هـ = ١٩٥١ م .
– من توجيهات الاسلام لفضيلة الاستاذ شيخ الجامع الازهر محمود شلتوت ، القاهرة ١٣٧٩ هـ = ١٩٥٩ م .
– بين الاسلام والنُظُم المعاصرة ، تأليف أبي الأعلى المودودي (نقله عن الاردية محمد عاصم الحداد) ، دمشق ١٣٧٥ هـ .
– اشتراكية الاسلام ، تأليف الدكتور مصطفى السباعي ، دمشق ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م .
– الاسلام والتكافل المادي في المجتمع ، تأليف حسن خالد ، بيروت ١٩٥٩ م .
– الاسلام والديمقراطية ، تأليف محمد علي علوبة ، القاهرة ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠م.
– نظرية الاسلام الخلقية ، تأليف أبي الاعلى المودودي ، دمشق ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦ م .
– الأسس الأخلاقية للحركة الاسلامية ، تأليف أبي الاعلى المودودي (تعريب محمد عاصم الحداد) دمشق ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٦ م .
– الاسلام والعلاقات الدولية (في السلم والحرب) ، تأليف محمود شلتوت ، القاهرة ١٣٧٠ هـ ، ١٩٥١ م .

اق والمنافقون في عهد رسول الله ، تأليف ابراهيم سالم ، القاهرة ١٩٤٨ م .
– السياسة الاسلامية في عهد النبوة ، تأليف عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة ....
– قيام الدولة العربية الاسلامية في حياة محمد ، تأليف محمد جمال الدين سرور ، القاهرة ١٩٥٦ م .
– المعاهدات والمحالفات في عهد الرسول ، تأليف حسن خطاب الوزير ، القاهرة ١٩٣٠ م .
– كشف الغمة في مدح سيد الامة (مختصر من سيرة ابن هشام وغيرها) ، تأليف محمود سامي البارودي ، القاهرة ١٣٥٥ هـ .

أثر الاسلام في الأدب

إذا اعتبرنا الشعرَ الجاهليّ كلّه ، لا المعلّقاتِ وحدَها ، رأينا أن الشعر في الصدر الأول من الاسلام لا يختلف كثيراً ، في أسلوبه ، منه في الجاهلية . أما في المعاني والاغراض فقد كان الفرق بين العصرين كبيراً جداً : هجر الشعراء المسلمون الأغراض الوثنية : القَسَمَ بالأوثان ، والكلام في العصبيات ، والفخر بالخمر وبالثأر إلا قليلاً ، ثم أحلّوا مكانها المعانيَ الاسلامية مثل التوحيد والتقوى والجهاد والجنة . أما فيما يتعلّق بالأسلوب خاصة فقد كان للقرآن الكريم أثر ظاهر في الألفاظ والتراكيب . ولقد ساعد القرآن على توحيد لغة المخاطبة بين المسلمين في جميع أقسام شبه جزيرة العرب . ولا ريب في أن هذا الأثر كان يَقْوَى مع الأيام حتى بلغ ما بلغ اليه في أيامنا هذه .

وقلّ الشعر في صدر الاسلام الأول بعوامل كثار (كما سيأتي في الكلام على ازدهار الخطابة) . من تلك العوامل نَهْيُ الرسول صلى الله عليه وسلّم عن رواية الشعر الذي يذكر الاعراض ويثير كوامن الاحقاد ويشيد بالعصبيات والانساب [1] .

في المصادر والمراجع :

في المصادر والمراجع (القرآن الكريم والحديث الشريف) :

– جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، لمحمد بن جرير الطبري (محمود محمّد

[1] راجع البيان والتبيين ١ : ٢٧٣ ؛ راجع أيضاً تحت ، ص ٢٥٥، ٢٥٧ .

شاكر) ، القاهرة (دار المعارف) ١٣٧٤ ـ ١٣٧٨ هـ .
ـ الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٣٣ ـ ١٩٥٠ م .
ـ الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ، مصر (بولاق) ١٢٨١ هـ .
ـ مجمع البيان في تفسير القرآن ، للطبرسي (عني بطبعه أحمد عارف الزين) ، صيداء (مطبعة العرفان) ١٩٣٦ م .
ـ النشر في القراءات العشر ، لشمس الدين محمد بن محمد الجزري ، دمشق (مطبعة التوفيق) ١٣٤٥ هـ .
ـ المصحف المفسّر (وضع هذا التفسير محمد فريد وجدي ، وقد استمدّه من أقوال أهل السنّة وأقطاب المفسّرين وجعله خالياً من المصطلحات الفنيّة) ، القاهرة (مطابع الشعب) ١٣٧٧ هـ .
ـ تفصيل آيات القرآن الحكيم ، وضعه بالفرنسية جول لابوم ونقله إلى العربية محمّد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) بعد ١٩٣٠ م .
ـ أوائل السور في القرآن الكريم ، تأليف عليّ نصوح الطاهر ، عمّان ١٩٥٤ م .
ـ غريب القرآن للسجستاني (مصطفى عناني) ، القاهرة (المطبعة الرحمانية) ١٣٤٢ هـ .
ـ تحفة الاريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيّان الأندلسي ، حماة (مكتبة عنوان النجاح) ١٣٤٥ هـ .
ـ اللغات في القرآن لأبي محمد اسماعيل بن عمرو الحدّاد (صلاح الدين المنجّد) القاهرة (مطبعة الرسالة) ١٩٤٦ م .
ـ المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني ، القاهرة (البابي الحلبي) ١٣٢٤ هـ .
ـ المتوكّلي في ما ورد في القرآن باللغة الحبشية والفارسية والهندية والتّركية الخ ، للسيوطي ، دمشق (مكتبة القدسي والبدير) ١٣٤٨ هـ .
ـ الاصل والبيان لمعرّب القرآن ، تأليف حمزة فتح الله ، مصر (مطبعة مصر) بلا تاريخ .
ـ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (أحمد صقر) ، القاهرة (دار احياء الكتب

العربية) ١٩٥٨ م .
- معجم غريب القرآن لمحمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة ١٩٥٠ م .
- معجم ألفاظ القرآن الكريم (أعدّه مجمع اللغة العربية) ، القاهرة ١٩٥٣ م .
- قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية ، تأليف محمد اسماعيل ابراهيم ، القاهرة (دار الفكر) ١٩٦١ م .
- مجاز القرآن لأبي عبيدة مَعْمر بن المثنّى (محمد فؤاد سزكين) ، القاهرة (الخانجي) ١٩٥٤ م .
- تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضيّ ، طهران (مطبعة مجلس الشورى) ١٣٧٢ هـ .
- تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضيّ ، بغداد (المكتبة العلمية) ١٩٥٥ م .
- لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ، القاهرة (البابي الحلبي) ، الطبعة الثانية ١٩٥٤ م .
- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم لأبي جعفر محمد بن أحمد النحّاس ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٧٣ هـ .
- مذاهب التفسير الاسلامي ، تأليف أجنتس جولدتسهر (ترجمة عبد الحليم النجّار) ، القاهرة (الخانجي) ١٩٥٥ م .
- مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، القاهرة (دار إحياء الكتب العربية) ١٣٧٢ - ١٣٧٨ هـ .
- ثلاث رسائل في اعجاز القرآن للرمّاني والخطّابي وعبد القاهر الجرجاني (محمّد خلف الله ومحمد زغلول سلاّم) ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٥ م .
- التصوير الفنّيّ في القرآن ، تأليف سيّد قطب ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٤٥ م .
- الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ، القاهرة (مطبعة عثمان عبد الرازق) ١٣٠٦ هـ .
- تاريخ القرآن ، تأليف أبي عبد الله الزنجاني ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٥ م .

– النظم الفنّي في القرآن ، تأليف عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة (مكتبة الآداب) بعد ١٩٥٠ م .
– نجوم الفرقان في أطراف القرآن (ترتيب فاوغل) ليبزيغ ١٨٤٢ م .
– المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، لمحمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة (دار الكتب) ١٣٦٤ هـ .

إن كتب التاريخ العامّة وكتب الجغرافية ومجاميع الشعر والنثر وكتب الأدب العامّة التي فيها اشارات إلى الأدب الجاهليّ والشعراء الجاهليين وكتب تاريخ الأدب كلّها مصادر ومراجع لدراسة الأدب المخضرم . ثم يزاد على هذه كلّها الكتب الخاصة بالعصر المخضرم :

– القرآن الكريم .
– فتح الرحمن لطالب آيات القرآن ، ترتيب علمي زاده فيض الله الحسني المقدسي ، بيروت ١٣٣٢ هـ .
– غريب القرآن لأبي بكر السجستاني (صحّحه بدر الدين النعساني) ، مصر ١٩٠٧ م .
– المحكم في نقط المصاحف ، ألّفه أبو عمر عثمان بن سعيد الداني (عني بتحقيقه الدكتور عزّة حسن) ، دمشق (وزارة الثقافة والارشاد) ١٣٧٩ هـ ، ١٩٦٠ م .

– الموطّأ لمالك بن أنس (صحّحه ورقّمه الخ محمد فؤاد عبد الباقي) ، القاهرة (البابي الحلبي) ، ١٣٧٠ هـ = ١٩٥١ م .
– كتاب السنّة لأحمد بن حنبل ، مكّة ١٣٤٩ هـ .
– صحيح مسلم .
– سنن ابن ماجة .
– سنن أبي داوود .
– صحيح الترمذي ، بولاق ١٢٩٢ م .

---

١ الغاية من المصادر هنا ذكر أسماء الكتب التي لا بد من معرفتها من غير استقصاء . ثم ان لهذه المصادر طبعات متعددة أو مشهورة .

- سنن الدارمي .
- سنن النسائي .
- زاد المعاد في هدى خير العباد ... لابن قيّم الجوزية ، القاهرة (المطبعة المصرية) ، بلا تاريخ .
- زاد المسلم في ما اتفق عليه البخاري ومسلم ، جمعه حبيب الله الشنقيطي ، مصر (دار إحياء الكتب العربية) بلا تاريخ .
- اللؤلؤ والمرجان في ما اتفق عليه الشيخان (البخاري ومسلم) ، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة (البابي الحلبي) .
- صحيح مسلم بشرح النووي ، القاهرة ١٣٢٩ — ١٣٣٠ هـ .
- عمدة الباري في شرح صحيح البخاري لأبي محمد محمود بن أحمد العيني القاهرة (ادارة المطبعة المنيرية) بلا تاريخ .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لشهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني ، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣١٩ — ١٣٢٩ هـ . ثم القاهرة (البابي الحلبي) ١٩٥٩ م .
- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ، تأليف جمال الدين محمد بن محمد القاسمي ، دمشق ١٩٢٥ م .
- المسند لأحمد بن حنبل (شرحه ووضع فهارسه أحمد محمّد شاكر) ، القاهرة (دار المعارف (١٩٤٧ — ١٩٥٦ م .
- الجامع الصحيح للبخاري ، القاهرة (المطبعة الخيرية) ١٣١٩ — ١٣٢٩ هـ .
- صحيح البخاري ، بولاق (المطبعة الاميرية) ١٣١٤ هـ .
- اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ، القاهرة (المكتبة الحسينية المصرية) ١٣٥٢ هـ .
- حسن الأثر في ما فيه ضعف واختلاف من حديث وخبر وأثر ، تصنيف محمد بن درويش الحوت ، بيروت (مطبعة الكشّاف) ١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م .
- الفائق في غريب الحديث للزمخشري (ضبطه علي محمد البجاوي ومحمّد أبو الفضل ابراهيم) ، القاهرة (دار احياء الكتب العربية) ١٩٤٥ — ١٩٤٨ م .
- النهاية في غريب الحديث والأثر لأبي السعادات مبارك بن محمد بن الأثير ،

القاهرة (المطبعة العثمانية) ١٣١١ هـ .
– تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ، القاهرة (مطبعة كردستان العلميـــة) ١٣٢٦ هـ .
– مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ، حيدر آباد الدكن (دائرة المعارف العثمانية) ١٣٦٢ هـ .
– كتاب الاعتبار في بيان الناسخ والمنسوخ من الآثار لأبي بكر محمد بن موسى الحـازمي ، حيدر آباد الدكن (دائرة المعارف العثمانية) ١٣٥٩ هـ .
– علوم الحديث لأبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن صلاح ، حلب (المطبعة العلمية) ١٩٣١ م .
– مفتاح كنوز السنّة (وضعه آرنت يان فنسنك ونقله إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي) ، القاهرة (مطبعة مصر) ١٩٣٤ م .
– المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (وضعه أ. ي. ونسنك) ، ليدن ١٩٣٣ – ١٩٥٥ م .
– فتوح البلدان للبلاذري .
– فجر الاسلام ، تأليف أحمد أمين ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م .
– الكتاب الكامل لأبي العبّاس محمد بن يزيد المبرّد (رايط) ، ليبزيغ ١٨٧٤– ١٨٩٢ م .
– الامالي لأبي علي اسماعيل بن القاسم القالي ، مصر (بولاق) ١٣٢٤ هـ . ثم القاهرة (دار الكتب) .
– العبر في أخبار من غبر للحافظ الذهبي (بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد) الجزء الأول ، الكويت ١٩٦٠ م .
– معجم الأدباء أو ارشاد الاريب إلى معرفة الأديب ، لياقوت الحموي ، القاهرة (دار المأمون) ١٣٣٩هـ .
– وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلّكان ، مصر (بولاق) ١٢٩٩ هـ ، ثم مصر (مطبعة الوطن ، ثلاثة أجزاء) ١٢٩٩ هـ ، الخ .
– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي ، مصر (مطبعة السعادة) ١٣٢٦ هـ .

– حركة الفتح الاسلامي في القرن الأول ، تأليف الدكتور شكري فيصل ، مصر ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م .
– المجتمعات الاسلامية في القرن الأول ، تأليف شكري فيصل ، القاهرة ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢ م .
– الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ١٩٤٩ م .
– الحياة العربية في المائة سنة الأولى التي مرت بعد وفاة النبي العربي ، تأليف جبرائيل جبور ، بيروت ١٩٣٤ م .

— Das Bild des Frühislam in der arabischen Dichtung von der Higra bis zum Tode Umars (1—23 d. H. 622—644 C. E.) Leipzig 1937

– سيرة ابن هشام .
– كتاب الطبقات الكبير ، تأليف ابن سعد كاتب الواقدي .
– أسد الغابة في معرفة الصحابة ، تأليف عزّ الدين بن الاثير .
– الاصابة في تمييز الصحابة ، تأليف ابن حجر العسقلاني .
– الاستيعاب في معرفة الصحاب لابن عبد البر .
– حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة ، الجزء الأول ، تأليف علي فهمي ، استانبول ١٣٢٤ هـ .
– ديوان امرئ القيس ، ومعه أخبار المراقسة في الجاهلية والاسلام ، تأليف حسن السندوبي ، القاهرة ١٩٣٢ ثم ١٩٣٩ ثم ١٩٥٣ م .
– شرح أشعار الهذليين (طبعة كوزيغارتن) ، لندن ١٨٥٤ م .
– مجموعة أشعار الهذليين (اعتنى بنشرها يوسف هل) ، ليبزج ١٩٣٣ م .
– دروس الأدب (عصر النبي والراشدين والأمويين) ، تأليف خلدون الكناني ، دمشق ١٩٤٠ م .
– شعراء النصرانية بعد الاسلام ، تأليف لويس شيخو ، بيروت ١٩٢٤ م .
– الشعراء اليهود العرب ، تأليف مراد فرج ، الاسكندرية ١٩٣٩ م .
– شعر المخضرمين وأثر الاسلام فيه ، تأليف يحيى الجبوري ، بغداد (مكتبة النهضة) ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م .

– دراسات في الادب الاسلامي ، تأليف محمد أحمد خلف الله ، القاهرة ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .
– المحبّر لمحمّد بن حبيب ، حيدر آباد الدكن ١٣٦١ هـ .
– الاسلام والشعر تأليف يحيى الجبوري ، بغداد ١٩٦٤ م .
– تطوّر الاساليب النثرية ، تأليف أنيس المقدسي ، بيروت (مطبعة سركيس) ١٩٣٥ م . ثم بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٦٤ م .
– جمهرة خطب العرب ، جمعها أحمد زكي صفوت ، القاهرة (البابي الحلبي) ١٩٣٣ م .
– الخطابة : اصولها وتاريخها في أزهى عصورها ، تأليف محمد أبي زهرة ، القاهرة ١٩٣٤ م .

* * *

– المدائح النبوية ، تأليف زكي مبارك ، القاهرة (البابي الحلبي) ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥ م .
– كتاب شرح أشعار الهذليين ، صنعه أبو سعيد الحسن بن الحسين السكّري (حقّقه عبد الستّار أحمد فرّاج) ، القاهرة (دار العروبة) .
– ديوان الهذليين : القسم الأول ، القاهرة (دار الكتب) ١٣٦٤ هـ = ١٩٤٥ م ؛ القسم الثالث ، القاهرة (دار الكتب) ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م .
– التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكّري ، لأبي الفتح عثمان ابن جنّيّ (أحمد ناجي القيسيّ ، خديجة عبد الرازق الحديثي ، أحمد مطلوب) ، بغداد ١٣٨١ هـ = ١٩٦٢ م .

النثر والشعر
في صدر الإسلام

إن النثر الذي وصل الينا من الجاهلية نَزْرٌ جداً (فلقد كان احتفال الرُّواةِ بالشعر أعظم ، مع أن الشعر الذي وصل الينا من الجاهلية أيضاً لم يكن كثيراً) . وإذا نحن اعتبرنا الفصول (الكلم الجوامع من الجمل القصار) والتَوْقيعات (ما كان الخلفاء يُثبتونه من الجمل القصار في أعقاب الرسائل التي ترد اليهم من الولاة ومن سائر الناس ليُجيزوا ما في هذه الرسائل أو ليُبطلوه) ثم قارنّاها بما رُوِيَ لنا من النثر الجاهلي (من الامثال والخطب والوصايا) ثم عرضنا هذه الموازنة على أساليب التعبير عن الاغراض المختلفة في القرآن الكريم ، أدركنا وشيكاً أن هذا النثر الاسلامي الأول كان استمراراً للنثر الجاهليّ ؛ وإن كان النثر الاسلاميّ الأول يختلف من النثر الجاهليّ في أمور :

أ ـ كان هذا النثر الاسلاميّ الذي وصل الينا أكبر مقداراً وأوسع مدى : هنالك ، إلى جانب أحاديث رسول الله ، خطب رسول الله وخطب الخلفاء الراشدين وخطب قادة الجيوش ، بالاضافة إلى الروايات التي حَمَلَت الينا قَدْراً كبيراً من اللغة والأدب والتاريخ والقَصَص .

ب ـ ان هذا النثر الذي جاء الينا من صدر الاسلام كان مَوْثوقَ الرواية ثَبَتاً أكثر من النثر الذي وصل الينا من الجاهلية .

ج ـ ثم ان هذا النثر كان ، بطبيعة الحال ، شديد التأثر في أغراضه وأساليبه بالقرآن الكريم من وجهين : كان في الدرجة الأولى أفصح ألفاظاً وأسهل تركيباً وأعذب تعبيراً ، وأما من الجهة الثانية فقد كان أمتن سبكاً وأبرع دلالة وآنق ديباجة لأن الناثرين كانوا قد تأثروا ببلاغة القرآن الكريم التي كانت تجري في أساليبَ متعدّدةٍ بتعدّد الاغراض من ترغيب وترهيب ، ومن وعد ووعيد ،

ومن سرد وقصص ، ومن وصف وتشريع . ثم ان العرب كانوا قد جعلوا النثر ميدان براعتهم في التعبير عن المقاصد والمعاني ، بعد أن كانوا قد انصرفوا عن الشعر كثيراً أو قليلاً .

د ــ أما الكتابة الفنيّة فلم يُروَ لنا شيءٌ منها عن الجاهلية ، ولا كان في صدر الاسلام شيء كثير منها ، فيما نحسَبُ ، ذلك لأن الرسائل التي وصلت الينا من ذلك العصر كانت في معظمها **خُطَباً مُدَوّنَةً** ، وقد كان الفارق بينها وبين الخطب ، في الواقع ، قليلاً جداً .

الخطابة : ازدهارها وخصائصها

يجب أن نلاحظ أن الأدب المخضرم فقَدَ كثيراً من الاغراض والمعاني الجاهلية وتبدّل بها أغراضاً ومعانِيَ اسلامية ، أما أسلوبه فبقي جاهلياً في الاكثر . وكذلك قل الشعر في هذا العصر وكثر النثر ، وازدهرت الخطابة .

أما **قلة الشعر** في هذا العصر فتَرْجِعُ إلى الأسباب التالية :

(أ) سقوط منزلة الشعراء لتكسبهم بالشعر وخضوعهم في سبيل ذلك للممدوحين . قال ابن رشيق (١ : ٦٦) : « كان الشاعر في مبتدأ الأمر أرفعَ منزِلَةً من الخطيب لحاجة (العرب) إلى الشعر في تخليد المآثر وحماية العشيرة. فلما تكسّبوا به وجعلوه طُعمةً وتناولوا به الأعراض ، وجعله الأعشى متْجَراً، صارت الخطابة فوق الشعر (راجع ١ : ٢٦ ــ ٢٧ ، ٦٤ ــ ٦٥) .

(ب) ان نفراً من الشعراء الذين كانوا لا يزالون على الشرك ، أمثال عبد الله ابن الزِّبَعْرَى وكَعْبِ بن زهير وأبي سفيان بن الحارث*، هَجَوُا الرسول ، فأمر الرسول بترك روايةِ شعرِهم ولعَنَهم [1] .

(ج) وظل نفر من الشعراء يتعرضون بالهجاء القبلي لخصومهم فيثيرون الاحقاد، أو يفحشون في الغزل فيُلقونَ العداوة بين الأفراد والأسر ، فمنع الرسول والخلفاء الراشدون القول في هذين الفنين .

(د) وبُهِر العرب ببلاغة القرآن ، وملأت نفوسَهم عقائدُ الاسلام وآدابُه وشَغَلَتْهُمُ الفتوحُ فصرفهم ذلك كله عن قول الشعر وروايته إلا قليلاً .

١ جمهرة اشعار العرب ١٤ . * توفي سنة ٢٠ هـ .

وأما **ازدهار الخطابة** فكان لحاجة الاسلام إلى الخطابة ، في سبيل « الدعوة إلى الدين والأمر بالمعروف والنَهْيِ عن المُنكر ... وتحميس الجند » . ثُمّ حدثت حاجة الخلفاء والأمراء (في الجيش) والولاة اليها لإعلان سياسة الدولة وتبليغ أوامرها . فكان الرسول صلّى الله عليه وسلّم والخلفاء الراشدون وأمراء الجيوش وولاة الامصار والقضاة من الخطباء ضرورة . غير أن بعضهم كان أخطب من بعض ، فعلي بن أبي طالب كان خطيباً موهوباً فوقَ عثمان بن عفّان وعمرَ بن الخطاب ، ولا غَرْوُ فكلام علي يأتي في مراتب البلاغة بعد القرآن والحديث .

واختلفت أغراض الخطابة ومعانيها في الاسلام منها في الجاهلية ، كما اتفق في الشعر . ولكن أسلوبها ظل – كما ظل أسلوب الشعر أيضاً – جاهلياً : قِصَراً في الخطب وايجازاً في الجمل مع شيء كثير من الموازنة وشيء قليل من السجع . يضاف إلى ذلك اقْتباس أو تضمين للامثال والاشعار . وزاد الخطباء في الاسلام الاستشهادَ بآيات من القرآن الكريم وبأحاديث لرسول الله .

وكانت غايةَ الخطابة التأثيرُ البلاغي من طريق الالفاظ والتراكيب التي تمس العاطفة وتذكّر بالمُثُل العليا وتُذْكي شُعلة الدين في النفوس **في الجموع الحاشدة لا الاقناع البُرهاني الذي يحتكم فيه المتناظران إلى العقل والمنطق .**

الشعر خاصة

والشعر الذي وصل الينا من صدر الاسلام الأول قليل جداً . وإذا كان من غير المُنْكَرِ أن يكون قسم من ذلك الشعر قد ظلّ جاهليّاً في كل شيء ، فان من غير المستغرب أيضاً أن نجد أن قسماً آخر منه قد أصبح **إسلاميّاً** في أغراضه : قلّ فيه المديح ، وقلّت المبالغة في ذلك المديح ، وكذلك قلّ فيه الهجاء ، ثم قلّ الافحاش في ذلك الهجاء . ومثل ذلك جرى في الغزل والنسيب إلى حدّ . وكَثُرَ في هذا الشعر الاسلامي الأول الرثاءُ للشهداء والتمدّح بالاسلام. وكثر في ذلك الشعر كلّه ضربُ الأمثالِ وإيراد الحكَم والقَصْدُ إلى المواعظ مما يحث على مكارم الأخلاق وعلى التمسّك بالآداب التي كانت مُثُلاً عليا حتّى في أيام الجاهلية . وكلّ ذلك كان تأثّراً بالقرآن الكريم وبالحديث الشريف . وتطوّر الهجاء القَبَلي من هجاء يُوري الأحقاد ويُثير النفوس إلى نقاش سياسي

بين شعراء الاحزاب المختلفين ، يتخلّل ذلك النقاشَ تهديدٌ جاهليّ قديم كقول حسان في توعّد أشياع عليٍّ بعد مقتل عثمان :

لَتَسْمَعَنّ وشيكاً في ديارِهُم : اللهُ أكبرُ ، يا ثاراتِ عُثمانا !

أما الفنّ الشعري الجديد الذي كان بعدَ أن لم يكن فهو فنّ **البديعيّات** (القصائد التي نُظِمت في مديح الرسول) وأشهرها قصيدة : « بانت سعاد » لكَعْبِ بن زهير .

غير أن إنعام النظر في أسلوب شعر المخضرمين يدلّنا على أن الجانب الاقلّ منه كان قد بقي على نسجه المتين الجاهليّ كشعر الُحطيئة وبعض شعر حسّان . أما الجانب الاكبر منه فقد أصبح أضعف نسجاً وأقلّ براعة وأكثر تحلّخلاً لضيق المجال الوُجداني الذي كان للجاهليين من قبلُ : لمّا نهى الاسلام عن المفاخرات والمنافرات ووَزَعَ عن الغزل والهجاء وثبّط عن المبالغة والمغالاة ، فَقَدَ الشعراءُ الميادينَ الرحيبة التي كانوا يُجْرون فيها ألسنتهم في الجاهلية ثم ذهبتِ القيودُ الجديدة بالطرق المعبّدة التي كان الشعراء يسلُكونها في الجاهلية ، وخصوصاً حينما جعل المخضرمون يتكلّفون شق طرق جديدة يَنْهَجون عليها في نظم الاغراض المستحدثة .

النقد

كان النقد في صدر الاسلام ، كما كان في الجاهلية ، آراءً عارضة في محاسن الشعر ومساوئه وفي تقديم بعض الشعراء على بعض ، كما سنرى مثلاً في تحكيم عمر بن الخطّاب لحسّان بن ثابت في نزاع الزِبْرقان بن بدر والحطيئة (راجع ترجمة الحطيئة) . ولم يكن **علم النقد** قد نَبَعَ بعد ، ولا كان النقد نفسه قد بدأ يتناول النثر . إن ذلك كلّه كان من نتاج العصر العبّاسيّ .

الاسلام والشعر خاصّة

زعم نفر من المستشرقين أن الاسلام انتشر بين العرب انتشاراً جغرافياً سياسياً منذ انتصار الاسلام الحربي في شبه الجزيرة ، ولكنّ الاسلام الثقافي لم يجد

طريقه إلى قلوب المسلمين إلاّ في العصر العباسيّ [1] . وقد كانت حجّتهم أن الشعر العربي الأوّل كان خالياً من الصور الاسلامية المختلفة .

وبالرجوع إلى الشعر العربي يتبيّن أن حجّة المستشرقين لم تكن تستند إلى أساس ، فان الألفاظ الاسلامية والمدارك الاسلامية وجدت طريقَها إلى الشعر العربي منذ الهِجرة على الأقلّ . وهذا لا يعني أن المسلمين الذين أسلموا قبل الهجرة ثم اتّفق لهم أن قالوا شعراً لم يظهر أثر الاسلام في شعرهم ، ولكنّ المسلمين قبل الهجرة كانوا قِلّةً ولم يكن ثمّت مناسباتٌ تقتضي قول الشعر كالّتي كانت بعد الهجرة .

ان ديوان حسّان بن ثابت — وقد كان حسّان قد دخل في الاسلام وأصبح شاعراً للرسول منذ أيام الهجرة الأولى — مملوء بالألفاظ والاغراض الاسلامية . ثم ان الاسلام بعد أن أصبح ، بالهجرة من مكّةَ إلى المدينة ، « دولةً » تُرهِبُ المشركين العرب ، ثار الشعراء من المشركين كعبد الله بن الزِّبَعْرَى وكَعْبِ بن زُهير وأبي سُفيان بن الحارث إلى هجاء الرسول وإلى التعرّض للاسلام . ولقد انبرى الشعراء من المسلمين الأوّلين كحسّان بن ثابت وعبد الله بن رَواحة وكعب بن مالك إلى الردّ على الشعراء المشركين وإلى نُصرة الاسلام . فمنذ السنة الأولى للهجرة نجد أن الشعراء قد أخذوا يستعملون في أشعارهم أسماء الله الحسنى من تلك الّتي كانت معروفة في الجاهلية ، نحو : الله ، اللهمّ ، رب ، الرحمن الخ استعمالاً اسلامياً . ومنذ العام الثاني للهجرة أخذ الشعراء يُوردون في أشعارهم أسماءً لله لم تعرف قبل نزول القرآن ، نحو : رؤوفٍ ، ذي العرش ، الواهبِ ، الرزاق ، العزيزِ ، الغفور ، الوهّاب ، مولى المؤمنين ، الواحد ، الصّمَد ، عالمِ الغيبِ ، ذي الجلال . ففي السنة الثالثة للهجرة مثلاً قال حسّان بن ثابت :

مُحمّدٌ ، والعزيزُ اللهُ يُخبِره　　　بما تُكِنّ سَريراتُ الأقاويل .

وكذلك استعمل حسّان بن ثابت كلمة « رسول » بِمَعْنَيَيْها : معناها اللُغويِّ القديمِ ومعناها الاسلامي الجديد في بيتين مُتَواليَيْنِ لمّا قال :

---

[1] للتوسع في هذا الموضوع راجع Das Bild des Fruehislâm (انظر قائمة المصادر والمراجع ، ص ٢٥٢) .

ألا أبلـغ خُزاعيّـاً رسولاً بأن الذمّ يَغْسِله الوفاءُ .
وبايعتَ الرسولَ وكانَ خيراً إلى خيرٍ ، وأدّاك الثّراء .

ويقول عبد الله بن رَواحة ، والمعنى اسلامي بَحْتٌ :

أنت النبيّ ، ومن يُحْرَمْ شَفاعتَــهُ يومَ الحساب فقد أزْرى به القَدَرُ .

وفي السنة الثانية للهجرة قال عبد الله بن جَحْشٍ الاسديّ يُشير إلى حادث الهجرة وإلى أن المشركين تآمروا على رسول الله فأذن الله لرسوله بالهجرة من مكّة إلى المدينة (وهو في ذلك يشير إلى ما ورد في القرآن الكريم) :

.... وإخراجُكم من مسجدِ الله أهلَــهُ لِئلاّ يُرى لله في البيت ساجد !

الشعراء والخطباء

في صدر الإسلام

يُعرَفُ الأدب في صدر الاسلام الاول ، في عصر الرسول وعصر الخلفاء الراشدين ، بالادب المُخَضْرَمِ لأن أهله عاشوا في عصرين فشهدوا الجاهلية والاسلام . أما الشعراء المخضرمون خاصة فهم الذين نظموا الشعر في الجاهلية ثم أسلموا وظلوا ينظمون الشعر . ان لبيداً رجل مخضرم لأنه عاش في الجاهلية والاسلام ، ولكنّ الرواة والنقّاد يَعدّونه في الشعراء الجاهليين لأن الجانب الأوفر والابرع من شعر كان من نتاج الجاهلية ، مع أن القاعدة العامّة كان يجب أن نجعله في المخضرمين . أما الأعشى فانه شاعر جاهليّ لا خلاف في ذلك : انه أدرك الاسلام ونظم في الاسلام شعراً وأعدّ قصيدة يمدح بها رسول الله ، ولكنّه ظلّ مشركاً . وأما كعب بن زهير وعبد الله بن رَواحة والخنساء وأبو ذُؤيب الهُذَلي ومالك بن الرَيْب التميمي وحسّان بن ثابت والحُطيئة فهم شعراء مُخَضرَمون عاشوا في الجاهلية ثم لمّا جاء الاسلام أسلموا . وقد قال هؤلاء الشعر في العصرين كليهما . وسنعد في المخضرمين نفراً أدركوا العصر الأموي ولكن معظم نشاطهم كان في عصر الخلفاء الراشدين كالخليل بن أحمد والخنساء والاحنف بن قيس .

عبدالله بن رواحة

١ — هو عبد الله بن رَواحة بن امرئ القيس [١] من بني مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخَزْرج ، وأمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة من الخزرج

١ هو غير أبي شجرة عبد الله بن رواحة بن عبد العزى السلمي (الشعر والشعراء ١٩٧) .

أيضاً . وكان عظيم القدر في الجاهلية سيداً .

أسلم عبد الله بن رواحة وشهد بَيْعة العقبة الثانية (آذار ٦٢٢ م) وكان أحد النقباء الاثني عشر ، ثم عمل على نشر الاسلام في المدينة ، فأصبح عظيم القدر أثيراً عند الرسول . ولقد زاد في مكانته أنه كان يَخُطّ فاتخذه الرسول كاتباً . وكذلك كان شاعراً يرد على المشركين هجاءهم لرسول الله وتهجّمهم على الاسلام .

وكان لعبد الله بن رواحة مقدرة عسكرية ظاهرة . شهد مع رسول الله معركة بدرٍ الكبرى (رمضان ٢ هـ = نيسان ٦٢٢ م) ، ولم يشهد بدراً الصغرى (ذي القعدة من سنة ٤ هـ = نيسان ٦٢٤ م) لأن الرسول استخلفه مكانه على المدينة . ثم شهد معركة أحُد والخندق والحُديبية وما بعدها حتى استُشهِد في مُوْتة .

في جُمادي الاولى من سنة ٨ هـ (أيلول ٦٢٩ م) جهّز الرسول سريّة [1] إلى مؤتة قوامها ثلاثة آلاف رجل لسبر قوة الدفاع الرومي (البيزنطي) في الشام . وكان الرسول يدرك أهمية هذه الحملة والخطر الذي يمكن أن تتعرض له فجعل لها ثلاثة أمراء (قوّاد) : زيد بن حارثة ، فإن أصيب (قتل) فيكون مكانه جعفر بن أبي طالب ، فان أصيب فعبد الله بن رواحة . واتّفق أن كان هِرَقْلُ امبراطور الروم في البلقاء (شرق الاردنّ) من أرض الشام ، راجعاً من قتال الفرس ، في مائة الف . ثم انضم اليه مائة الف من عرب الشام من بني لَخم وجُذام والقَيْن وبهراء وبَلِيّ . وكان المسلمون قد أصبحوا في مَعان ولم يبقَ لهم مَفَرّ من القتال فانحازوا إلى قرية مؤتة وأقاموا فيها خطوط قتالهم . ولكن القوتين لم تكونا متكافئتين فاستُشْهِد عدد كبير من المسلمين . كما استشهد زيد بن حارثة ثم جعفر بن عبد المطلب ثم عبد الله بن رواحة .

ووجد المسلمون أن لا فائدة من الاستمرار في القتال فأجمعوا على خالد بن الوليد وولّوه عليهم ، فانسحب خالد بمن بقي من الجيش .

٢ — عبد الله بن رواحة من الشعراء والرُجّاز المحسنين المجيدين ، وهو من طبقة حسّان بن ثابت وكعب بن مالك . وقد كان في الجاهلية يناقض قيس

---

[1] السرية (بفتح السين وكسر الراء وتشديد الياء)غزوة لم يكن الرسول فيها .

ابن الخطيم ، أما في الاسلام فكان يمدح الرسول ويردّ على شعراء المشركين .

٣ – المختار من شعره

– قال عبد الله بن رواحة يرثي نافع بن بُديل (بالتصغير) ، وقد استُشْهِدَ في بئر مَعونة (٤ هـ) :

رَحِمَ اللهُ نافعَ بن بُديلٍ رحمَةَ المُبتغي ثوابَ الجهادِ ؛
صابرٌ صادقٌ وفيٌّ ، إذا ما أكثرَ القومُ قال قولَ السَّداد [١] .

– وقال يهجو أبا سفيان ، بعد غزوة بدر الثانية (سنة ٤ هـ) :

وَعَدْنا أبا سُفيان بدراً فلم نَجِدْ لميعادِه صِدْقاً ، وما كان وافيا .
تركنا بها أوصال عُتبَةَ وابنِه ، وعَمْراً أبا جهلٍ تركناه ثاويا [٢] .
عَصَيْتُم رسولَ الله ، أفٍّ لدينكم وأمركمُ السَّيْءِ الذي كان غاويا .
فاني ، وان عَنّفتموني ، لقائلٌ : فِدىً لرسولِ الله أهلي وماليا !
أطعناه لم نَعْدِلْهُ فينا بغيرِه شِهاباً لنا في ظُلمة الليل هاديا [٣] .

– وقال في أثناء غزوة مؤتة :

جلبنا الخيلَ من أجإٍ وفُرعٍ تُغَرَّ من الحشيش لها العُكوم [٤] .
حَذَوْناها من الصَّوّان سِبْتاً أزَلَّ كأنَّ صفحته أديم [٥] .
أقامت ليلتين على مُعانٍ فأعْقِبَ بعد فَتْرتها جُموم [٦] .

---

١ إذا قال الناس قولا كثيراً (قليل الصواب) قال هو قولا (قليلا) كثير الصواب .

٢ تركنا بها أوصال الخ : قتلنا عتبة بن أبي سفيان . أبو جهل هو عمرو بن هشام بن المغيرة . ثاوياً : باقياً (ميتاً) .

٣ لم نعدله : لم نعدل به أحداً (لم نجد له شبيهاً) .

٤ أجأ : جبل في بلاد طيء . فرع (بالضم) : مكان قرب المدينة . تغر : تملأ . العكوم جمع عكم : الحزمة أو العدل (بكسر العين) .

٥ حذوناها : جعلنا لها حذاء . السبت : النعل الرقيق . أزل : أملس لا يعلق به شيء . الأديم : الجلد ، الأرض المستوية . – يقول : جعلنا الخيل تسير على أرض من الصوان (الحجارة القاسية الصلبة) (التي يصعب المسير عليها) كأنها تسير على أرض مستوية يسهل السير فيها .

٦ الفترة : الفتور (التعب) . جموم ، يقصد جماماً (بالفتح) : الراحة ، استعادة النشاط .

فرُحْنا والجيادُ مُسَوَّماتٌ تَنَفّسُ من مَناخرِها السَّمومُ[1] .
فلا وأبي ، مآبُ لَنَأتيَنْها ، وإن كانت بها عربٌ وروم .
فعبّأنا أعِنَّتَها فجاءت عوابسَ والغُبارُ لها بَريمُ[2] ،
بِذي لَجَبٍ كأنّ البَيْضَ فيه إذا برزت قَوانِسُها النجومُ[3] .
فَراضيَةٌ المعيشةِ طَلَّقَتْها أسنّتُنا فتَنْكِحُ أو تَئيمُ[4] .

٤ — « شاعر على سرير من ذهب » ، تأليف محمد جميل سلطان ، دمشق (مطبعة الجامعة السورية) ١٩٤٩ م .

أبو بكر الصِّدّيق

هو أبو بكرٍ عبد الله بن أبي قُحافة[5] بن عامر بن كعب بن سعد ابن تَيم بن مُرّة بن كعب بن لُؤيّ من فِهر من قريش . وأمه أم الخير سَلمى بنت صخر بن عامر قُرَشية تَيْمية .

وُلِدَ أبو بكر عام ٥٥ ق. هـ. (٥٦٨ م) في مكّة في أسرة وجيهة فشبّ ذا مكانة في قومه عارفاً بالانساب مسموع القول . وكان يعمل في التجارة ، ولذلك كان على شيء من اليَسار . أما في صفاته الجسمانية فكان مديداً أجْنأ (مائل الظهر) نحيفاً معروق الوجه حادّ الوِسام غائر العينين ناتئ الجبهة . وأما في نفسه فكان مُحَبّباً إلى الناس سهلَ المعاشرة حسن المجالسة ذا خلق ومعروف .

---

١ — مع أن خيلنا مسومة (معدة للحرب ومعودة الحرب) فان نفسها أصبح حاراً (تعبت) .

٢ فعبأنا أعنتها : رتبنا صفوفها للحرب (العنان : الرسن ، اللجام) . البريم ما كان له لونان : أكدر. — كثر غبار الحرب على الخيل حتى تبدل لونها .

٣ اللجب : كثرة الصوت . بذي لجب : في جيش كثير العدد تحدث فيه أصوات كثيرة . البيضة : الخوذة ، حديد يلبس في الرأس . القوانس : أعلى البيض . — قوانسها تلمع كأنها النجوم (لاشتداد الظلام من كثافة غبار الحرب) .

٤ — رب امرأة (من الاعداء) كانت راضية بمعيشتها مع زوجها فجئنا نحن فسبيناها أي أسرناها (إذا كانت شابة) ثم تزوجناها ؛ أو قتلنا زوجها فأصبحت أيما (أرملة) ، إذا كانت مسنة .

٥ كان اسم أبي بكر قبل الاسلام « عبد الكعبة » فسماه الرسول « عبد الله » . وأبو قحافة اسمه عثمان .

لمّا نزل الوحي على الرسول كان أبو بكر أسرعَ الناس إلى الاسلام ، بعد خديجة وعلي بن أبي طالب . ثم انه مضى يدعو أصحابه إلى الاسلام ، فأسلم على يديه عُثمان بن عفّانٍ وطَلحة بن عُبيد الله والزُبير بن العوّام وسعد بن أبي وقّاص وعبد الرحمن بن عوف . ولمّا كان الإسْراء [1] ، في السنة الأولى قبل الهجرة ، صدّق أبو بكر الرسول كلَّ ما قاله الرسول فسمّاه الرسول « الصِدّيق ». ولمّا كانت الهجرة خرج الرسول بصحبة أبي بكر مُتَخَفّيَيْنِ واختبأا في غار ثَوْرٍ [2] ريثما يهدأ عنهما الطلب . واتفق أن مرّ المشركون بالغار فاستشعر أبو بكر شيئاً من الخوف منهم ، ففي هذه المناسبة نزل قوله تعالى [3] : « إلاّ تَنْصروه فقد نَصَره الله إذْ أخرَجه الذين كفروا ثانيَ اثْنَيْنِ ، إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه : لا تَحْزَنْ ، إن الله معنا . فأنزل الله سكينتَه عليه وأيّده بجنود لم تَرَوْها .... »

وبعد وفاة الرسول اختار المسلمون أبا بكر خليفة فقضى في الخلافة سنتين من ١١ إلى ١٣ للهجرة (٦٣٢ – ٦٣٤ م) فحدثت في أيامه الرِدّةُ (عصيان العرب على السلطة المركزية في المدينة) فأخمدها بسرعة ورد العرب إلى الطاعة . وفي أيامه بدأت الفتوح في العراق والشام . وأبو بكر هو أول من جمع القرآن في مُصْحَفٍ واحد ، وقد كان قبل ذلك متفرقاً في الصحف عند نفر من الصحابة وفي صدور القرّاء .

المختار من كلامه

– خطب أبو بكر الناسَ يومَ تولّى الخلافةَ فقال :

أيها الناسُ ، إنّي وُلّيتُ عليكم ولست بخيركم ، فان رأيتموني على حق فأعينوني ، وان رأيتموني على باطل فسدّدوني . أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم ، فإذا عَصَيْتُه فلا طاعةَ لي عليكم . ألا ان أقواكم عندي الضعيفُ حتى آخذَ الحقَ له ، وأضعفكم عندي القويُّ حتى آخذ الحق منه .

---

١ الاسراء هو انتقال الرسول ذات ليلة من مكة إلى القدس ، قال قوم بالروح ، وقال آخرون بالروح والجسم معاً . ٢ جنوب مكة .
٣ ٧ (التوبة) : ٤٠ .

– ومن خطبة له يوم السقيفة (يوم انتخابه)وقد أراد الأنصار أن يكون الخليفة منهم :

.... وأنتم ، يا معشرَ الانصار ، من لا يُنْكَرُ فضلُهم في الدين ولا سابقتُهم في الاسلام : رَضِيَكُمُ الله أنصاراً لدينه ورسوله ، وجعل اليكم هِجرته . وفيكم جُلّة [1] أزواجه وأصحابه . فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم أحد . فنحن الأمراء ، وأنتم الوزراء : لا تُفتاتون [2] بمشورة ولا تُقضى دونكم الأمور .

** ابو بكر الصديق ، تأليف محمد حسين هيكل ، القاهرة (مصر) ١٩٤٣ م .

– عبقرية الصدّيق ، تأليف عباس محمود العقاد ، القاهرة (المعارف) ١٩٤٣ م، ثم ١٩٥١ م .

– أبو بكر ، تأليف الشبراوي المرسي عبد الله ، القاهرة (الاعتماد) ١٩٥٨ .

الحصين بن الحمام المرّي

١ – هو الُحصين بن الُحمام المُرّي بن ربيعة بن مُساب بن حَرام بن وائل ابن سهم بن مرّة بن عَوْف بن سعد بن ذُبيان ، كان سيّد بني سهم ومقدّمهم ، وقد لُقّب « مانع الضيم » ، وكان من أوفياء العرب ؛ إلاّ أنه كان في الجاهلية ممن يُدمنون شرب الخمر . ويبدو أن الحصين بن الحمام كان من معاصري النابغة الذبياني ثم أدرك الاسلام وكان من صَحابة رسول الله . وكان للحصين ابن أدرك خلافة معاون بن أبي سفيان .

ويبدو أن الحصين بن الحمام لم يعش في الاسلام طويلاً ، فقد توفّي في بعض أسفاره ، ولعلّ وفاته كانت في مطلع خلافة عمر .

٢ – الحصين بن الحمام من الشعراء المُقِلّين ، ولكن من المشهورين المجيدين . وشعره وجداني متين أكثره في الفخر والحماسة ، وفي عتاب قومه . وله شيء من الرثاء . وفي شعره المتأخر معانٍ اسلامية .

---

١ معظم ، أكابر .

٢ لا يفتات (بالبناء للمجهول) : لا يعمل (شيء) دون أمره (القاموس ١ : ١٥٤) .

٣ – المختار من شعره

– كان يوم « دارة موضوع » بين بني سعد بن ذبيان وبين بني سهم بن مرّة ، وكان الحصين بن الحمام قائد بني سهم . فلمّا انتصر في ذلك اليوم قال :

جزى الله أفناءَ العشيرةِ كلّها بدارةِ موضوعٍ عُقوقاً ومأثما [١] .
ولمّا رأيت الودَّ ليسَ بنافعي ، وان كان يوماً ذا كواكبَ مُظلما [٢] ،
صبرنا – وكان الصبر فينا سَجيّةً – بأسيافنا يقطعن كفّاً ومِعْصما :
يُفلّقْنَ هاماً من رجالٍ أعزّةٍ علينا ، وهم كانوا أعقَّ وأظلما ؛
وجوهُ عدوٍّ ، والصدورُ حديثةٌ بُودٍّ ، فأوْدي كلّ ودٍّ فأنعما [٣] .
فلَيْتَ أبا شِبلٍ رأى كرَّ خيلِنا وخيلِهِمُ بين السِتار فأظلما [٤] ،
عشيّةَ لا تُغني الرِماح مكانَها ولا النَّبلُ إلا المَشْرَفِيّ المُصَمّما [٥] ،
لَدُنْ غَدْوَةَ حتى أتى الليل ، ما ترى من الخيل إلا خارجيّاً مُسَوّما [٦] .
عليهن فِتْيانٌ كساهم مُحَرِّقٌ ، وكان إذا يكسو أجاد وأكرما [٧] ،
صفائحَ بُصْرى أخلصَتْها قيونُها ومُطّرِداً من نسج داوودَ مُبْهَما [٨] .

---

١ هو يلوم العشيرة كلها لأن بعض أقسامها يقاتل بعضها الآخر .

٢ كان يوماً مظلماً بغبار الحرب حتى أصبح ذا كواكب (حتى بدت فيه الكواكب نهاراً لتكاثف الغبار واشتداد الظلام من ذلك) .

٣ أودى كل ود فأنعما : ذهب الود من الصدور فانعما (ابتعد كثيراً) .

٤ أبو شبل : مليط (بالتصغير) بن كعب المري . الستار وأظلم : موضعان .

٥ – لم ينفع في ذلك اليوم (الحرب) الرماح ولا النبال ، ولم ينفع إلا السيف المصمم (الذي يصل إلى العظم ويقطع فيه) .

٦ الخارجي : الحصان الشديد الكريم (من غير أن يكون معروف النسب في الخيل) . المسوم : المعلم بعلامة الحرب (الدال على الذي يملكه) لشجاعة فارسه ولقلة مبالاة فارسه بأعدائه . – لم يبق صابراً في هذه الحرب إلا الرجال الشجعان والخيل القوية .

٧ محرق : لقب لعدد من ملوك العرب ؛ آل محرق : المناذرة .

٨ صفائح بصرى : سيوف عريضة كانت تصنع في مدينة بصرى بالشام . أخلصتها قيونها : أحاد صانعوها في صنعها . المطرد : الدرع . من نسج (صنع) داوود (ان داوود كان بارعاً في صنع الدروع) . مبهم : لا عيب فيه .

يهزّون سُمْراً من رِماحِ رُدَيْنـة إذا حُرّكتْ بَضّت عواملُها دما [1] .
تأخّرتُ أستبقي الحياةَ فلمْ أجِـدْ لنفسي حياةً مثل أن اتقدّمـا.
فلسنا على الاعقاب تَدمى كُلومُنا، ولكن على أقدامنا تقطر الدمـا
ولست بمبتاعِ الحياةِ بسُبّةٍ ، ولا مُبْتَغٍ من رهبة الموت سُلّما [2]،
ولكن خذوني أي يومٍ قَدَرْتُمُ عليّ ، فحزّوا الرأس أنْ أتكلّما [3] .
بآيةِ أني قد فَجَعْتُ بفـارس إذا عرّد الاقوامُ أقبل مُعْلَما [4] .

— وقال في الفخر والحماسة :

وقـافيـةٍ غير أُنسـيّةٍ قَرَضْتُ من الشعر أمثالَها [5]،
شَرودٍ تَلَمّعُ في الخافقين ؛ **إذا أُنْشِدَتْ قيل : من قالها [6] ؟**
وحيرانَ لا يهتـدي بالنهار من الظَلْع يَتْبَعُ ضُلاّلَهـا [7] .
وداعٍ دعا دعوة المُسْتغيثِ فكنت كمن كان لَبّى لها .
إذا الموت كان شَجاً في الحلوقِ وبادرتِ النفسُ أشغالها ،
صبرتُ ولم أكُ رِعديـدةً ، ولَلصّبْرِ في الرَوْعِ أنجى لها [8] .
ويومٍ تَسَعّرُ فيه الحـروبُ لَبِسْتُ إلى الروع سِربالها [9] :

---

١ السمر جمع أسمر : الرمح الجاف النحيل . ردينة : قيل هي امرأة كانت بالبحرين تجيد تثقيف (تقويم) الرماح . العامل : الحديد في أعلى الرمح . بضت : سالت ، سال منها . والبيتان التاليان من حماسة أبي تمام .

٢ السبة : العيب والعار والمذمة .

٣ — إذا وجدتموني في مكان فخذوني فحزوا رأسي (اقتلوني) حتى لا أتكلم (أهجوكم) .

٤ بآية : بعلامة . فجعت بفارس : فجعتكم (قتلت) فارساً منكم . عرد : هرب . أقدم معلما : كر ، هجم غير ملثم (لا يبالي بأعدائه لأنه شجاع) .

٥ قافية : قصيدة . غير أنسية : خارجة عن طاقة البشر ، نظمتها بالهام من الجن . قرضت من الشعر أمثالها : قلت قصائد كثيرة بارعة مثلها .

٦ شرود : سائرة على الألسن ، مشهورة ؛ أو هي (قافية) شاردة تنزل في آخر البيت من تلقاء نفسها . قيل : من قالها : تعجباً من جودتها وبراعتها .

٧ الظلع : العرج ، ومجازاً الميل مع الهوى وغير الحق .

٨ الرعديدة : الجبان . وللصبر في الروع أنجى لها : إذا صبر الانسان في موطن (الروع الخوف، في الحرب) كان أقرب إلى النجاة مما لو خاف واضطرب .

٩ تسعر : تضطرم ، تشتد . سربالها : ثوبها (الدرع السيف) .

مُضَعّفةَ السَرْدِ عاديّةً وعَضْبِ المضارِب مِفْصالها[1] .
ومُطّرِداً من رُدينيّةٍ أذودُ عن الوِرد أبطالها[2] .
فلم يبقَ من ذاك الا التُّقى ونفسٌ تُعالج آجالها ،
أمورٌ من اللهِ فوق السماء مقاديرُ تَنْزِلُ أنزالها .
أعوذ بربّي من المخزيا ت يوم ترى النفس أعمالها[3] ،
وخفّ الموازينُ بالكافرين وزُلْزِلَتِ الأرضُ زِلْزالها .
ونادى مُنادٍ بأهل القبور : فهبّوا لتُبْرِزَ أثقالها ،
وسُعّرَتِ النارُ فيها العذابُ وكان السلاسلُ أغلالها !

٤ — ** الاغاني ١٤ : ١ — ١٦ .

عبد الله بن الزِبَعْرَى

١ — هو أبو سعد عبد الله بن الزِبَعْرَى بن قيس بن عَدِيّ بن سعد بن سهم من بني كعب بن لُؤيّ بن غالب بن فِهر القُرَشيّ ، كان شديداً على المسلمين يهجوهم ويحرّض المشركين عليهم . لمّا فتح الرسول مكّة (٨ هـ) هرب عبد الله ابن الزبعرى إلى نجران (اليمن) فهجاه حسّان بن ثابت وعيّره . عندئذ عاد ابن الزبعرى إلى الحجاز وأسلم فقبل النبي اسلامه وأمّنه .

وكانت وفاة عبد الله بن الزبعرى في خلافة عمر ، سنة ١٥ هـ (٦٣٦ م) في الاغلب .

٢ — كان عبد الله بن الزِبَعْرى أحد شعراء قريش المعدودين (غ ١٤ : ١٧٩) وأبرعَ شعراء مكّة (طبقات الشعراء ٥٧) . وشعره في المديح والهجاء وبعض الحكمة ، وفيه شيء من المقدرة وشيء من العذوبة والسهولة .

---

١ مضعفة السرد : درع منسوجة طبقتين . عادية : قديمة من أيام عاد ، دلالة على جودتها ومتانتها حتى تبقى مثل هذه المدة الطويلة . عضب المضارب : سيف قاطع . مفصالها : يقطع أو يفصل العضو الذي يصيبه .

٢ ومطرد : (هنا) رمح . ردينية (راجع ص٢٦٧ ، الحاشية١) . أذود عن الورد أبطالها : أمنع أبطال الحروب من الورد (شرب الماء) لشدة قتالي لهم .

٣ يوم القيامة .

٣ – المختار من شعره

– لعبد الله بن الزبعرى أبيات تغنّى (غ ١٤ : ١٧٧ – ١٧٨) :

يا غرابَ البين ، أسمعتَ فقُلْ ، إنّما تَنْطِقُ شيئاً قد فُعِلْ .
انّ للخير وللشرّ مَدىً ، لكلا هذين وقت وأجَلْ .
كلّ بؤس ونعيم زائلٌ ، وبنات الدهر يَلْعَبْنَ بكُلّ ،
والعَطِيّاتُ خِساس بَيْنَهم ؛ وسواء قبر مُثْرٍ ومُقِلْ !

– وقال يمدح أبا ربيعةَ حُذيفة بن المغيرة (جدّ عمر بن أبي ربيعة) ، وكان أبو ربيعة يسمّى ذا الرمحين لأنه قاتل يوم عكاظ برمحين (غ ١ : ٦١ – ٦٢) :

ألا لله قومٌ و لدت أختُ بني سهمٍ :
هشامٌ وأبو عبد مَناف مِدْرَهُ الخصم [١] .
وذو الرمحين أشباكَ على القوّة والحزم [٢] .
فهذان يذودانَ ، وذا من كَثَبٍ يرمي [٣] .
أسودٌ تزدهي الأقرا ن مَنّاعون للهَضْم [٤] .
وهم يومَ عكاظَ مَنعوا الناس من الهَزْم ...

٤ – ** الاغاني ١ : ٦١ – ٦٤ ، ١٤ : ١٧٧ – ١٧٩ .

ابو خِراش الهُذَليّ

١ – هو خُويلد بن مُرّة أحد بني قِرد بن عمرو بن مُعاوية بن تميم بن سعد بن هُذيل ، واسم أمه لُبنىَ .

كان أبو خِراش فارساً في الجاهلية فاتكاً وعدّاء لا تدركه الخيل ، وكان له إخوة سبعة (وقيل تسعة) كلّهم عدّاءون شعراء ، وقد فَرَطوا أمامه (ماتوا قبله) . وتأخّر أبو خراش في الدخول في الاسلام ثم أسلم وحَسُنَ اسلامه ،

---

١ المدره : الخطيب القدير والمتكلم عن القوم (الذي يغلب الخصوم) .
٢ أشباك : حسبك ، يكفيك .
٣ يذود : يدافع . كثب : قرب أو بعد (ضدان) .
٤ تزدهي الاقران : تستخف بهم . الاقران : الأنداد الابطال . الهضم : الظلم ، سلب الحقوق .

ووفد على عمر بن الخطّاب . في ذلك الحين كان قد أسن جداً ، ولم يكن قد بَقِيَ له من أولاده إلا خراش فخرج غازياً إلى الشام ، فقال أبو خراش في ذلك :

ألا من مُبلِغٌ عنّي خِراشاً، وقد يأتيك بالنبأ البعيدُ [1] .
ألا فاعلمْ ، خِراشُ ، بأن خيرَ الـ ـمَهاجر بعد هِجرته زهيد [2] .
فإنك وابتغاءَ البِرّ بعدي كمخضوب اللّبان ولا يَصيد [3] .

فكتب عمر بن الخطّاب بأن يُرَدّ خراشٌ على أبيه ، وألا يُقْبَلَ بعد ذلك في الغزو من كان له أبٌ شيخ ، إلاّ بعد أن يأذن له أبوه (غ ٢١ : ٦٩).
وكانت وفاة أبي خراش في خلافة عمر بن الخطاب نَهشَتْه حيّة في ساقه ليلاً بينما كان يملأ ماء لضيوف يمانيين نزلوا عنده .

٢ - أبو خراش شاعر فحل من المخضرمين وأحد حكماء العرب (الكامل ٧١٣) ، وشعره على سهولته متين . ولأبي خراش من الفنون فخر وحماسة ومديح ورثاء وهجاء ، الا أن أكثر شعره الرثاء .

٣ - المختار من شعره

- وقعَ عُروة بن مُرة (أخو أبي خراش) وخراش بن خويلد (ابن أبي خراش) في الأسر ، واتفق أن آسرِيهما قتلوا عروة وأطلقوا سَراح خِراش ، فقال أبو خراش في ذلك :

حَمِدتَ إلٰهي بعدَ عُروةَ إذ نجا خِراشٌ ، وبعضُ الشر أهونُ من بعض .
فواللهِ ، ما أنسى قتيلاً رُزِئته بجانب قُوسى ، ما مَشَيْتُ على الأرض [4] .
على أنها تَعْفو الكلوم ، وإنّما نُوَكّل بالادنى وإن جَلّ ما يمضي [5] .

١ - وقد يحمل اليك الخبر رجل بعيد (ليس من قرابتك أو قومك) .
٢ بعد هجرته : بعد الهجرة إلى المدينة (والضمير في « هجرته » يعود على الرسول) .
٣ - تركتني ، وأنا عاجز محتاج إلى عونك ، وذهبت إلى الغزو تحسب أن في ذلك برا (طاعة الله) . ان لك اسم الغزو من غير ثوابه ، كالكلب الذي يتلوث صدره بالدم من غير أن يكون قادراً على المجيء بالطريدة .
٤ قوسى : المكان الذي قتل فيه عروة .
٥ تعفو الكلوم : تمحى آثار الجروح (ينسى الانسان مصائبه) كلها ؛ ولكن الانسان يتألم للمصيبة الحاضرة وإن كانت أصغر من المصيبة التي مضت (ونسيها الانسان) .

ولم أدرِ من ألْقَى عليه رداءه ، على أنه قد سُلّ عن ماجدٍ مَحْضٍ[1] .

— كان زهير بن العجوة يوم حنين (سنة ٨ هـ ، ٦٣٠ م) مع المشركين فأسر ثم تولّى قتله جميل بن معمر[2] ، فقال أبو خراش (قبل أن يسلم) يرثي زهيراً ويتهدد قريشاً (المسلمين) :

أفي كل مُمسى ليلة أنت قـــائل من الدهر : لا تَبْعَدْ ، قتيلَ جميل !
فما كنت أخشى أن تنالَ دماءنـــا قريشٌ ولمّا يُقْتلوا بقتيلٍ[3] .
وأبرحُ — ما أُمِّرتُمُ ومَلَكْتُمُ — يدَ الدهرِ ، ما لم تُقتلوا ، بغَليل[4] .

— وقال أبو خراش لما نهشته الحيّة في ساقه ، يرثي نفسه ويذكر أن الحيّة قد نهشته في أحسن موضع من جسمه ، لأنه كان عدّاء سريع الجري :

لعمــرُكَ والمنـــايا غـــالبـــاتٌ على الانسان تَطْلُعُ كلَّ نَجْدِ ،
لقد أهلكتِ — حيّةَ بطن أنْفٍ — على الاصحاب ساقاً ذاتَ فَقْدِ[5] .

٤ — ** الاغاني (الساسي) ٢١ : ٣٨ — ٤٨ .

العبّاس بن مِرداس

١ — هو ابو الهيثم العبّاس بن مِرداس بن أبي عامر بن حارثة بن عبد قيس من بني سُليم بن منصور ، وأمه زَنجيّة . وكان العباس فارساً شجاعاً سيداً في قومه ، وشاعراً مشهوراً . وقد هاجى في الجاهلية ابن عمه خُفاف بن نُدبة ، ثم تمادى الهجاء بينهما حتى احتربا وكثُر القتلى من أنصارهما .

لما اتسعت الدعوة في بلاد العرب سار العباس بن مرداس في تسعمائة رجل من قومه لِيَفِدَ على الرسول ، فعلم أن الرسول قد توجّه إلى فتح مكّة فلحق

١ مر رجل من بني أسد شنوءة بعروة مقتولا فخلع رداءه وألقاه على جثة عروة . فقال أبو خراش : لم أعلم من كان ذلك الشخص ، ولكني أعرف أنه رجل نبيل جداً .

٢ هذا غير الشاعر العذري جميل بثينة (بن معمر) .

٣ و ٤ — ما كنت أنتظر أن يقتل أحداً منا أحد من بني قريش (إذ لا ثارات شخصية بيننا) . أما الآن فأنا سأظل حاقداً حتى آخذ ثأري منكم .

٥ سيحتاج إلي أصحابي غداً ويحتاجون إلى ركضي فلا يجدونني . حية بطن أنف : يا ايتها الحية التي نهشتني في وادي بطن أنف (بفتح الهمزة) .

به وأدركه في كُديد ، وهو ماء في منتصف الطريق بين المدينة ومكة ، فأسلم ومن معه وانضموا إلى جيش الرسول واشتركوا في فتح مكّة . ويبدو أن إسلام العباس كان ، في أول الأمر ، سياسياً فإنه بقي مدة في عِداد المؤلّفةِ قلوبُهم، ثم حَسُن إسلامه .

وريع المشركون بعد فتح مكّة وساروا لقتال المسلمين برئاسة بني هَوازن ، هوازنِ ثَقيفٍ أهل مدينة الطائف ، ثم لَقُوا المسلمين ، في وادي حُنين وهم راجعون من فَتح مكة . وكان المشركون أكثر عدداً وقد سبقوا إلى الوادي وهيّأوا فيه أماكنهم للقتال . ولمّا توسّط المسلمون الواديَ باغتهم المشركون من كل مكان وهزموهم . ولكن الرسول استطاع أن يثبّت المسلمين ويردهم إلى ميدان المعركة ، فانهزم المشركون هزيمة منكرة (٨ هـ = ٦٣٠ م) .

وانقلب المشركون المنهزمون إلى مدينة الطائف واستعدوا فيها للقتال من وراء الجدران . ولم يُضيعِ الرسول وقتاً ، بل لحق بالمشركون إلى الطائف وحاصرهم فيها نحو عشرين يوماً ورمى جدارها بالمنجنيق حتّى خرقه . ولكن المسلمين لم يستطيعوا فتح الطائف فعادوا عنها .

وتوقّف الرسول في الجِعرانة ، بين الطائف ومكة ، ليقسم الغنائم ، ووافق ذلك وصولُ وفد من هوازن يستشفع إلى الرسول ويرجو رد السبي والغنائم عليهم . ورجا الرسول أن يكون في ذلك تأليفاً لقلوبهم فيُسْلموا فاستجاب لهم . فأطاع المهاجرون والانصار وبنو سُليم إلاّ العباس بن مرداس . وكذلك أبي الاقرع بن حابس وعُيَيْنة بن حِصن ومن كان معهما من بني تميم ومن بني فَزارة . غير أن الرسول أمضى رأيه فردّ السبي والغنائم على بني هوازن ثم عوّض على نفر من المؤلّفة قلوبهم : أعطى أبا سفيان بن حرب وابنه معاوية والحارث بن كَلَدة وسُهيل بن عمرو وعُيينة بن حِصن والاقرع بن حابس وسواهم مائة مائة من الابل ، « وأعطى العباس بن مرداس أباعِرَ فسَخِطها »[1] . فعاتب العباس الرسول عتاباً قاسياً فأمر الرسول بأن يُعطى العباس ما يرضيه ، فأعطَوْه حتى رَضي .

وكانت وفاة العباس بن مرداس في نحو سنة ١٨ هـ (٦٣٩ م) .

٢ — العباس بن مرداس شاعر مخضرم محسن شُهِر بالهجاء ، وله شيء من

---

١ أباعر (عدداً يسيراً من البعران : الابل) سخطها : لم ترضه فأثارت سخطه .

الحماسة والفخر والحكمة . وأشعاره في يوم حُنين خاصة كثيرة . وهو في سلوكه وشعره بَدْوي جافٍ .

٣ ـ المختار من شعره

ـ قال العباس بن مرداس يجيب خُفاف بن نُدْبَة ، في الجاهلية ؛ وفي قوله هجاء وفخر وحماسة :

أتُهْدي لِي الوعيدَ على التنائي ؟ وما مثلي يُخَوَّف بالقوافي !
فلستُ لحاصنٍ ان لم تَرَوْها تُثِر النَقع من ظهر النِعاف [١] ،
سَوَاهِمَ كالقِداح مُسَوَّماتٍ، وكُمْتاً لونُها كالوَرْس صاف [٢] .
فسَائِلْ في قبائلَ جِذمِ قيسٍ بنا عند العظائم والجُحاف [٣]
تُخَبِّرْ أنّنا أوْلى بمجد توارثه طراف عن طِراف [٤] ،
وأندى عند جدب الناس راحاً وأنفع للارامل والضِعاف [٥] .

ـ وقال بعد غزوة حنين يُعاتب الرسول على قلة الابل الّتي أُعْطِيتْ له :

كانت نِهاباً تلافَيْتُها بكرّي على المُهر في الأجْرَعِ [٦] ،
وإيقاظِيَ القومَ أن يَرْقُدوا ، إذا هَجَعَ الناس لم أهجع !
فأصبح نَهْبي ونَهبُ العُبيد بين عُيَيْنَةَ والاقرع [٧] .
وقد كنتُ في الحرب ذا تدرأ فلم أعْطَ شيئاً ولم أمْنَعِ [٨] ؛

١ فلست لحاصن : لست إذن ابن امرأة محصنة (شريفة ، أمينة على غيبة زوجها) . الضمير في « تروها » يرجع إلى الخيل . النقع : غبار الحرب . النعاف جمع نعف : أعلى الوادي ، جانب الجبل .
٢ سواهم : جمع ساهم وساهمة : فرس نحيلة . القداح (جمع قدح بكسر القاف) : خشبة السهم (كناية عن النحول) . مسومة : مهيأة ، ممرنة (على الحرب) . كمتاً : حمراء اللون . الورس : زهر أحمر يصبغ به .
٣ اسأل جميع قبائل قيس (جميع عرب الشمال ، جميع العرب) عنا في العظائم (الأحداث العظيمة) . الجحاف : الموت أو السيل الذي يأتي على كل شيء .
٤ طراف : الأمر الطريف الجديد . ان مجدنا ما زال قائماً ولم يصبح تليداً (قديماً) .
٥ الراح جمع راحة : باطن اليد . أندى راحاً : أكثر كرماً .
٦ كانت هذه الغنائم قد نهبها بنو هوازن فتلافيتها أنا (تلافيت ضياعها = استرددتها) ، بهجومي على ظهر مهري في الاجرع (الأرض القاسية ، يمتزج فيها الرمل بالحصى لا تنبت شيئاً ويصعب السلوك فيها) .
٧ العبيد : فرس العباس بن مرداس . ـ أعطي حقي وحق مهري لعيينة بن حصن والاقرع بن حابس .
٨ وقد كنت في حرب حنين ذا تدرأ (ذا دفاع وعزة ومنعة) فلم أعط (حقي من الغنائم) ....

الا أفايلَ أعْطِيْتُهـا عديدَ قوائمه الاربع [1] .
وما كان حِصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مِرداسَ في المجمع [2] .
وما كنت دون امرئ منهما . ومن تَضَعِ اليومَ لا يُرْفَعِ [3] .

الاغلب العجليّ الراجز

١ – هو الاغلب بن عمرو بن عبيدة بن حارثة بن دُلَف بن جُشَم من بني سعد بن عِجل بن ربيعة . ولد الاغلب نحو عام ٧٠ ق. هـ. (٥٥٢ م) ، وأدرك الاسلام فأسلم وحَسُن إسلامه وهاجر [4] . وفي خلافة عمر بن الخطاب سار الاغلب مع سعد بن أبي وقّاص إلى العراق ثم سكن الكوفة . واستُشْهِد الاغلب في وقعة نَهاوَنْد ، سنة ٢١ هـ (٦٤٢ م) ، وقبره بها [5] .

٢ – الاغلب العجلي راجز مخضرم ورأس الطبقة التاسعة من الشعراء الاسلاميين : وهو أول من رَجَزَ [6] أو أوّل من شبّه الرجزَ بالقصيدِ وأطاله ، وكان الرجز قبله إنما يقول الرجل منه البيتين أو الثلاثة إذا خاصم أو شاتم أو فاخر [6] .

٣ – المختار من رجزه

– قال يفتخر :

نحن بنو عِجلٍ إذا احمرّ الحَدَقْ ولَبِسَ الابطال ماذِيّ الحَلَقْ [7] ،

---

١ ... الا أفايل (أبلا نحيلة ، لا فائدة منها) عديد قوائمه الأربع (عدد قوائم مهري عبيد ، أي أربعة جمال فقط) .
٢ ما كان حصن (والد عيينة) ولا حابس (والد الاقرع) أفضل من مرداس (والدي) . المجمع : نادي القوم .
٣ ولم أكن أنا أدنى منهما . ومن تخفض منزلته اليوم ، يا رسول الله ، فلن ترتفع منزلته غداً .
٤ هاجر : انتقل من مكة إلى المدينة ، تشبها بالمسلمين الأولين الذين كانوا يهاجرون هرباً من اضطهاد قريش لهم في مكة .
٥ اسد الغابة ١ : ١١٧ .
٦ راجع طبقات الشعراء ١٤٨ ؛ الشعر والشعراء ٣٨٩ .
٧ احمر الحدق (جمع حدقة : العين) كناية عن الغضب في الحرب . ماذي : سلاح من حديد . الحلق (جمع حلقة) : درع .

وثار للحرب عَجاجٌ فسَمَقْ نحمي الذِمار حين لا يحمي الفَرِقْ [١] .

– وقال أيضاً :

نحن جلبنا الخيل من غـوارِ شَوازِباً يَقْذِفْنَ بالامهـار [٢]
تُرْدي بنا ، طوامحَ الابصارِ ، يَحْمِلْن تحت الرَهَج المُثار [٣]
كلَّ كريمٍ في الوَغى مِهْصار أهلَ النَدى والحِلم والوَقـار [٤] .
كم فيهِمُ من بطلٍ مِغْـوار أشعثَ قـد لِيحَ من الغوار [٥] .
تَنْشَقّ عنه ظُلَمُ الغِمـار تَمزّقَ الليـل عن النهار ! [٦] .

٤ – •• بروكلمان ١ : ٥٦ ، الملحق ١ : ٩٠ .

عمرو بن معدي كرب الزبيديّ

١ – هو عمرو بن مَعْدي كَرِب بن عبد الله بن عمرو بن زَبيد من سعد العشيرة بن مَذْحِج من اليمن . وكانت أخته رَيْحانة زوجةً للصِمّة بن الحارث فولدت له دُريداً وعبد الله . وهو ابن خالة الزِبْرِقان بن بدر التميمي .

وُلد عمرو بن معدي كرب نحو عام ٧٥ ق. هـ. (٥٤٧ م) فشبّ فارساً شجاعاً بطلاً وخاض الحروب في الجاهلية حتى ضرب به المثل في البأس والشجاعة والاقدام .

وفي سنة ٩ هـ (٦٣١ م) وفد عمرو بن معدي كرب في جماعة من قومه على الرسول فآمن ومن معه ثم أقام هو في المدينة برهة . ولكن لما تُوُفّيَ الرسول

١ عجاج : غبار الحرب . سمق : ارتفع (كناية عن كثرة الغبار واشتداد الحرب) . الفرق (بفتح فكسر): الذي يفزع . الفرق (بضم فضم) جمع فريق : امير .
٢ غوار (؟) . غوارة (بفتح العين) : قرية قرب الظهران . من غوار : من مكان بعيد (؟) . شوازب جمع شازب : الحصان الضامر ، النحيل . يقذفن بالامهار : يسبقن الامهار (الخيل الفتية) .
٣ تردي : تسرع . طوامح الأبصار : تقصد مكاناً بعيداً . الرهج : غبار الحرب .
٤ مهصار : أسد (شجاع) .
٥ المغوار : البعيد الغارة ، الجريء ، المقدام . أشعث : أغبر ، ملبد الشعر ، شعره غير مسرح . ليح (المجهول من « لاحه العطش أو السفر »): غيره . الغوار : الاغارة ، كثرة الحرب (؟) .
٦ الغمار (جمع غمرة : معظم الماء) : المعارك الشديدة .

ارتد مع الاسود العَنسي في اليمن. غير أنه أسر فأطلقه أبو بكر فعاد إلى الطاعة وشهد فتوح العراق كلها وأبلى في القادسية بلاء حسناً. وكان ممن شهدوا معركة اليرموك أيضاً. ثم انه سار إلى فتح فارس، واستُشْهِدَ، فيما قيل، في معركة نهاوند (٢١ هـ، ٦٤٣ م)، وقبره في موضع يقال له الاسفيذهان بين قُمّ والريّ.

٢ – عمرو بن معدي كرب شاعر مخضرم مقلّ وخطيب. وأغراضه الشعرية تدور على الحماسة والفخر والهجاء والأدب، وله شيء من الغزل. وشعره مقطعات.

٣ – المختار من شعره

– جَرْم ونَهْد قبيلتان من قُضاعة، من اليمن، اختلفتا ووقعت الحرب بينهما. ثم ان بني جَرْم حالفوا زَبيداً، ففي إحدى المعارك انهزم بنو زبيد فخذلها بنو جَرْم ولم يَرْعَوْا حق الحِلف، فقال عمرو بن معدي كرب في ذلك:

ومُرْدٍ على جُرْدٍ شَهِدتَ طِرادها قُبيل طلوع الشمس أو حين ذَرّتِ [١].
صَبَحْتُهُمُ بيضاءَ يَبْرُق بَيْضها إذا نظرت فيها العيون ازْمَهَرّت [٢].
لحا الله جَرماً كلّما ذرّ شارقٌ: وجوهَ كلابٍ هارشت فازبأرّت [٣].
ظَلِلْتُ كأنّي للرماح دَريئةٌ أقاتلُ عن أبناء جَرْمٍ وفرّت [٤].
فلم تُغْنِ جرمٌ نَهْدَها إذ تلاقتا، ولكنّ جرماً في اللقاء ابْذَعَرّت [٥].

---

١ المرد (جمع أمرد): الفرسان الشبان. الجرد (جمع أجرد): الخيل القصيرة الشعر (الفتية). المطاردة: القتال على ظهور الخيل. ذرت الشمس: بدا حرفها الأعلى من وراء الأفق.

٢ صبحتهم (لقيتهم، هاجمتهم باكراً) ببيضاء (بكتيبة تظهر بيضاء اللون لكثرة ما عليها من الحديد وما تحمل من السلاح). البيضة: الخوذة. ازمهرت العين: احمرت، تهيجت (من النظر إلى النور الشديد).

٣ لحا: لعن. كلما ذر شارق: كلما طلع كوكب (دائماً). هارشت: تقاتلت كالكلاب. ازبأر: انتفش ريشه، قف شعره (تقاتل جرم كالكلاب، بالنبح من بعيد، ويقف شعرها من الخوف).

٤ دريئة: غرض، هدف، علامة تنصب ويتمرن الناس عليها في رمي النبال (بقيت وحدي في المعركة).

٥ – لم تثبت جرم لنهد، بل انهزمت منها: ابذعر: تفرق.

فلو أنّ قومي أنْطَقَتْني رماحُهم نَطَقْتُ ، ولكن الرماحَ أجرّت [1]

– وقال بعد ذلك يهدد جرماً ونهداً بالحرب :

ليس الجمالُ بمئزرٍ ، فاعلمْ ، وان رُدّيتَ بُردا [2] .
ان الجمالَ معادنٌ ومناقبٌ أورَثْنَ مجدا .
أعددتُ للحدَثان سا بغةً وعداء علَنْدى [3] :
نَهْداً وذا شُطَب يَقُدّ البَيْض والابدان قَدّا [4] .
وعلمت أني يومذا ك مُنازلٌ كَعْباً ونَهدا ،
قومٌ إذا لبسوا الحديدَ تنمّروا حَلَقاً وقِدّا [5]
كل امرئ يجري إلى يوم الهِياج بما استعدّا .
لما رأيتُ نساءنا يَفْحَصْنَ بالمَعْزاء شَدّا [6] ،
وبدت لَميسُ كأنها قمر السماء إذا تَبَدّى ،
وبدت محاسنُها التي تَخْفَى ، وكان الأمر جِدّا [7] ،
نازلتُ كَبْشَهُمُ ولم أرَ من نِزال الكبش بُدّا [8] .
هم يُنْذِرون دمي ، وأنذر إنْ لَقيتُ بأن أشُدّا [9] .
كم من أخٍ لي صالحٍ بَوّأتُه بيَدَيّ لَحْدا [10] ،
– ما ان جَزِعت ولا هَلِعْتُ ، ولا يَرُدّ بُكايَ زَنْدا [11] –

---

[1] لو ثبتوا معي لثبت ، ولنطقت بفضلهم (مدحتهم وافتخرت بهم) ، ولكن رماحهم عقلت لساني (خذلتني بدلا من أن تقاتل معي) .

[2] – المئزر : ثوب يلبس على القسم الأدنى من الجسم . البرد : ثوب مؤلف من قطعتين . ارتدى : لبس .

[3] سابغة : درع واسعة . عداء (فرساً سريعة) علندى (فيها غيظ شديد) . الحدثان : حوادث الدهر .

[4] النهد : الحصان المرتفع الصدر . ذو شطب : سيف . يقد : يقطع . البيضة : الخوذة .

[5] تنمروا : تشبهوا بالنمر ، تكبروا ، تهوروا في الشجاعة ، أظهروا العداوة . الحلق : الدرع (المنسوجة مضاعفة) . القد : الجلد ، صدار من جلد غير مدبوغ (جاس) يلبس فوق الدرع .

[6] الشد : الجري . المعزاء : الأرض الصلبة . يفحص : يحدث أثراً .

[7] – يبدو أن لميس امرأة من العدو ، خافت القتل فكشفت عن وجهها وبرزت (حتى تعرف ويرى جمالها) فتؤخذ أسيرة . وكان الأمر جداً : كانت المعركة شديدة .

[8] حاربت سيدهم وقائدهم ....

[9] هم مصممون على قتلي ؛ وأنا مصمم على أن أشد في هجومي إذا رأيت أحداً من سادتهم .

[10] بوأه : أنزله ، جعل له مكاناً .

[11] الجزع : الخوف . الهلع : الخوف مع فقدان السيطرة على النفس . زنداً : شيئاً قليلا .

ألبسته أثوابه ، وخُلِقتُ يوم خُلِقْت جَلْدا [1].
أغْني غَناءَ الذاهبين أعدّ للاعداء عِدّا [2] .
ذهب الذين أُحِبّهم ، وبَقِيت مثل السيف فَردا [3].

٤ – •• الاغاني ١٥ : ٢٠٨ – ٢٤٤ .

زيد الخيل

١ – هو أبو مُكنِف (بضم الميم وكسر النون) زيد بن مهلهل الطائي ، سمّي زيد الخيل لكثرة ما كان عنده من الخيل المشهورة بأسمائها . وكان زيد الخيل فارساً مغواراً مظفّراً بعيد الصوت في الجاهلية ، كما كانت بينه وبين قيس حماسات (عصبية وقتال) . وكذلك كان رجلاً طويلاً جسيماً جميلاً .

وفي سنة ٩ هـ (٦٣٠ م) جاء زيد الخيل في وفد بني طيّء فأسلم أهل الوفد كلّهم وحسن اسلامهم ثم نشروا الاسلام في قومهم . في ذلك اليوم بدّل الرسول اسم زيد الخيل وسمّاه زيد الخير ، وكان ذلك عادة للرسول يبدّل أسماء الذين يسلمون إذا كانت أسماؤهم قبيحة أو وثنية . ثم ان الرسول أقطع زيد الخير أرضاً في نجد فتوفّي وهو ذاهب اليها عند مكان يدعى فردة من نجد . وقيل بل توفّي في أواخر خلافة عمر .

٢ – زيد الخير أحد المخضرمين من الفرسان ومن المقلّين في الشعر والخطابة . وأكثر شعره في مغازيه وغاراته ومفاخراته ، في الحماسة والفخر . ولزيد الخير شيء في الطرد ومناقضات بعضها مع كعب بن زهير ثم شيء من الهجاء .

٣ – المختار من شعره

– أغار زيد الخيل ، في الجاهلية ، في بني نصر وبني مالك من بني نَبْهان

---

١ أثوابه : أكفانه . جلد : صبور ، قاسي القلب .

٢ أقوم (في الحرب والشجاعة) مقام (الأبطال) الذين ذهبوا (ماتوا من قومنا) . أعد للأعداء عدا (بكسر العين) : أكون وحدي نداً وكفؤاً للأعداء (مهما كثروا) .

٣ فرداً : منفرداً ، وحيداً (إشارة إلى كبر سنه وموت جميع أترابه – الذين هم في عمره) .

على بني فَزارة وبني عبد اللات من غَطَفان فغنموا واقتسموا الغنائم . فقال لهم زيد : اعطوني حق الرئاسة ، فأعطاه بنو نصر وأبى بنو مالك فاعتزلهم . بعد قليل كرّ بنو فزارة على بني مالك واستنقذوا ما بأيديهم : فنادى بنو مالك : وا زيداه ! فهجم زيد على بني فزارة وقتل رئيسهم واستردّ الغنائم ثم أخذ حق الرئاسة منهم صَفْواً . وفي ذلك يقول :

لقد علمتْ نَبهان أنّي حميتُها، وأنّي منعت السبْيَ أن يتبدّدا ،
غداةَ نبذتم بالصعيد رماحَكم وطبّقتمُ البيداء مَثْنَى ومَوْحِدا.
بذي شَطِبٍ أغْشي الكتيبةَ سلهباً أقبّ كسَرحان الظلام مُعوّدا [١] .
إذا شكّ أطرافُ العوالي لَبانَه أقدّمه حتّى يرى الموت أسودا [٢] .
فما زلت أرميهم بغُرّة وجهه وباسيف حتى كرّ تحيَ مُجْهَدا [٣] .

— وقال لمّا حضرته الوفاةُ :

أمرتحل قومي المشارقَ غُدْوةً وأُتْرَكُ في بيت بفَرْدةَ مُنْجِد [٤] ؟
سقى الله ما بين القَفيل فطابة فما دون أرمام فما فوق مُنْشِد [٥] .
هنالك لو أنّي مَرِضتُ لَعادَني عوائدُ من لم يَشْفِ منهن يَجْهَدِ [٦] .
فليت اللواتي عُدْنني لم يَعُدْنَني ، وليت اللواتي غِبْنَ عنّيَ عُوّدي !

٤ — ** الاغاني (بولاق) ١٦ : ٤٦ — ٦٠ ، بروكلمان ، الملحق ١ : ٧٠ ، زيدان ١ : ١٤٥ — ١٤٦ .

عمر بن الخطّاب

١ — هو عمر بن الخطاب بن نُفيل بن عبد العزّى من بني عَدِيّ بن كعب

١ بذي شطب (بفتح الشين وكسر الطاء) : جبل . ذو شطب : اسم مكان . السلهب : الحصان الطويل . أقب : عالي . السرحان : الذئب . معود نعت للحصان السلهب : معود على القتال .
٢ أطراف العوالي : رؤوس الرماح . لبانه : صدره . أقدمه : أستمر في الهجوم به .
٣ الغرة : بياض في جبهة الفرس (المقصود : أهجم على الأعداء) . المجهد : المتعب (بفتح العين) .
٤ — أيتابع قومي طريقهم نحو المشرق وأبقى أنا في فردة بنجد على فراش الموت ؟
٥ القفيل وطابة وأرمام ومنشد : أماكن في بلاد الشاعر .
٦ العوائد جمع عائدة : زائرة المريض . من لم يشف يجهد : من لم يستطع أن يداويني حتى أبرأ يبذل جهده .

ابن لُؤيّ ، وأمّه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة من بني مخزوم .

وُلِدَ عمر نحو عام ٤٠ ق . هـ. (٥٨٣ م) ، وكان من أشراف قريش ، واليه كانت السفارة [١] في الجاهلية .

وكان عمر في بادئ الأمر شديد العداوة للمسلمين . قيل انه أراد أن يقتل النبي ، فلما رآه هاب ذلك ؛ ثم سمع شيئاً من القرآن فلانَ قلبه ودخل في الاسلام . وعزّ المسلمون الاولون بدخول عمر في الاسلام وجعلوا يصلّون في المسجد الحرام جهراً . ورافق عمرُ الرسول في جميع الغزوات ، وكان الرسول يستظهر برأيه في كثير من الأمور .

ولمّا توفي الرسول واختلف المسلمون فيما بينهم حسم عمر الخلاف بتقديم أبي بكر للخلافة وبمبايعته . ولما حضرت الوفاة أبا بكر أوصى لعمر بالخلافة فبايعه المسلمون ؛ وعمر أول من تسمّى بأمير المؤمنين .

وفي أيام عمر بن الخطاب فتح العرب العراق وفارس والشام ومصر . وعمر هو الذي أقام الدولة في الاسلام على أسسها الصحيحة : دوّن الدواوين (أوجد السجلات والدوائر الحكومية) وجعل الدولة اسلامية في كل شيء ، فإذا قيل اليوم : الدولة الاسلامية ، فانما يعني القائل « الدولة في أيام عمر بن الخطاب». وكذلك أمر عمر بأن تكون الهجرة (٦٢٢ م) أول التاريخ الهجري .

وكان عمر بن الخطاب حازماً عادلاً حتى سمّي « الفاروق » (الذي يَفرُق بين الحق والباطل) . وكذلك كان حكيماً في الادارة ، ما أصدر أمراً إلا بعد أن يكون قد احتاط لجميع المشاكل التي يمكن أن تنشأ من جرّاء تنفيذه . ومنع عمر اعطاء المؤلّفة قلوبهم من الزكاة ، وقال : كنا نعطيهم يوم كان الاسلام ضعيفاً وكنا ندفع بذلك الشرّ عن الاسلام . أما الآن فقد أغنى الله عنهم ، « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

وعاش عمر في الخلافة عشر سنين ، من ١٣ إلى ٢٣ هـ (٦٣٤ — ٦٤٤ م) ثم قتله أبو لؤلؤة الفارسي مولى المُغيرة بن شُعبة . وفي المصادر التي بين أيدينا أن أبا لؤلؤة توعّد عمر مرة من طرَف خفيّ . ثم ان عبد الله بن عمر قتل الهرمزان ، أحد كبراء الفرس ، اقتناعاً منه بأنه كان المحرّض على قتل الخليفة .

٢ — كان عمر بن الخطاب كثير العناية بالشعر يستشهد به ، ويبدي فيه

١ السفارة (بفتح السين وكسرها) : الاصلاح بين القبائل .

آراء صائبة ويحتكم اليه الناس في الجيد منه وفي تأويله ، غير أنه كان لا يزال يذهب في النقد إلى استحسان البيت بعد البيت وإلى الاهتمام بالمعاني والحكمة دون اللفظ والصور البلاغية .

٣ — المختار من آثاره

— كتب عمر بن الخطّاب إلى عمرو بن العاص في شأن تأخّر خراج مصر :

سلام عليك ، فاني أحمَد الله الذي لا الهَ إلا هو . أما بعد ، فقد عَجِبت من كَثرة كتبي اليك في ابطائك في الخراج وكتابك إليّ ببُنَيّات الطرق [١] . وقد علمتَ أني لست أرضى منك إلا بالحق البيّن ، ولم أقْدِمْك إلى مصر أجعلُها لك ُطعمة ولا لقومك ، ولكن وجّهتك لِمَا رَجَوْت من توفيرك الخراج وحسن سياستك . فإذا أتاك كتابي هذا فاحمل الخراج فانما هو فَيْء المسلمين . وعندي من قد تعلم : قوم محصورون [٢] ، والسلام .

فردّ عمرو بن العاص بما يلي :

بسم الله الرحمن الرحيم . لعمر بن الخطاب من عمرو بن العاص . سلام عليك . فاني أحمد اليك الله الذي لا الهَ إلا هو . أما بعد ، فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين يستبطئني في الخراج ، ويزعُمُ أني أعنُد عن الحق وأنكُب عن الطريق [٣] . وانّي ، واللهِ ، ما أرغب عن مصالح ما تعلم ، ولكن أهل الأرض استنظروني إلى أن ُتدرك غلّتُهم . فنظرت للمسلمين فكان الرفقُ بهم خيراً من أن نَخْرَق بهم [٤] ، فيصيروا إلى بيع ما لا غِنىً عنه ، والسلام .

— وخطب عمر يوماً في الناس فقال :

أيها الناس ، انه أتى عليّ حينٌ من الدهر وأنا أحسَب أن من قرأ القرآن إنما يريد به الله وما عنده . ألا وانه قد ُخيّل إليّ أن أقواماً يقرأون القرآن يريدون به ما عند الناس ، ألا فأريدوا الله بقراءتكم ، وأريدوه بأعمالكم ، فانما كنا نَعْرِفكم اذِ الوحيُ يَنزل واذ النبي صلى الله عليه وسلم بين أظهُرنا .

١ بنيات الطريق : الطرق الفرعية (الأمور الثانوية) .
٢ محصورون : في ضيق .
٣ عند : مال . نكب عن الطريق : ترك الطريق الواضح ليسير في أرض مجهولة .
٤ خرق (بكسر الراء في الماضي وفتحها في المضارع) : عنف وسفه في معاملة الآخرين .

فقد رُفِعَ الوحي ، وذهب النبي صلى الله عليه وسلم ، فإنما أعرِفكم بما أقول لكم : ألا فمَنْ أظهر لنا خيراً ظننّا به خيراً وأثنينا به عليه ، ومن أظهر لنا شراً ظننّا به شراً وأبغضناه عليه . اقدَعوا هذه النفوس عن شهواتها فانها طُلَعة [1] ، وانكم إلاّ تقدعوا تَنْزِعْ بكم إلى شرّ غاية . ان هذا الحق ثقيل مَرِيء ، وان الباطل خفيف وَبِيء [2] . وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة . وربّ نظرة زرعت شهوةً ، وشهوةِ ساعة أورثت حزناً طويلاً .

•• تاريخ عمر بن الخطّاب ، تأليف جمال الدين بن الجوزي ، مصر ١٩٢٤م .
تاريخ وسيرة ومناقب أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب .... ، تأليف محمد رضا ، مصر ١٩٣٦ م .
الفاروق عمر ، تأليف محمد حسين هيكل ، مصر ١٣٦٤ ﻫ .
عبقرية عمر ، تأليف عباس محمود العقاد ، القاهرة ١٩٤٢ م .

كعب بن زهير

١ — هو كعب بن زهير بن أبي سُلمى الشاعرِ الجاهليِّ المشهور . وكان لكعبٍ أخٌ شقيقٌ اسمه بُجير شاعر مثله ، وأمّهما كَبشة بنت عمّار .

لمّا ظهر الاسلام تأخر بُجيرٌ وكعبٌ عن الدخول فيه ، ولكن لمّا زاد انتشاره أسلم بُجير ، قبيل سنة ٧ ﻫ (٦٢٨ م) ثم شَهِدَ فتح مكّة . أما كعب فانه بقي على الشرك وأخذ بهجاء أخيه بُجير وهجاء رسول الله . فمن ذلك قوله ، وقد نصح له أخوه بالدخول في الاسلام :

ألا أبلغا عني بُجيراً رسالةً : فهل لك فيما قلتُ ، ويحَك ، هل لكا !
سقاك بها المأمون كأساً رَويّةً فأنهلك المأمون منها وعلّكا .

---

[1] قدع النفس يقدعها (بفتح الدال في الماضي والمضارع) : ردها ، كفها ، منعها عن عمل القبيح . طلعة : متطلعة ، طامعة ، تتشوق إلى أشياء كثار .

[2] مريء : حميد المغبة (لا عاقبة سوء له) . وبيء : وخيم العاقبة . — أول الحق ثقيل على النفس ثم تكون عاقبته حميدة ....

ففارقتَ أسبابَ الهدى واتّبعته . على أيِّ شيءٍ ، ويْبَ غيرِك ، دلَّكا [1] ؟
على مذهب لم تُلفِ أمّاً ولا أباً عليه ، ولم تَعرِفْ عليه أخاً لكا .
فان أنت لم تفعل فلستُ بآسف ولا قائل ، إمّا عثَرْتَ : لَعاً لكا [2] !

فأهدر النبي دمَه وأرجف الناسُ بقتله فضاقت عليه الأرض ، فعزم في سنة ٩ هـ (٦٣٠ م) على أن يستأمن إلى الرسول فجاء سرّاً إلى المدينة واستشفع بأبي بكر ثم سار على أثره حتى دخلا المسجد . فلما صُلِّيَتِ الصُّبْحُ أوصله أبو بكر إلى الرسول ، فقال كعب للرسول : « يا رسول الله ، رجلٌ يبايعك على الاسلام » ، وبَسَطَ يده وحَسَرَ عن وجهه وقال : « بأبي أنت وأمي ، يا رسول الله ، أنا كَعْبُ بن زهير » . فأمّنه رسول الله . فأنشده كعب قصيدة كان قد نظمها [3] في مدحه مطلعها :

بانت سُعادُ فقلبي اليوم مَتبولُ مُتَيَّمٌ إثْرها لم يُفْدَ مَكبولُ [4] .

وكانت وفاة كعب نحو سنة ٢٦ هـ (٦٤٥ م) .

٢ — كان كعب بن زهير شاعراً فحلاً مكثراً مُجيداً . ومنهم من قرنه بأبيه وجعله معَ لَبيدٍ والنابغةِ في طبقة واحدة [5] . وقال خلَفٌ الاحمر : « لولا أبياتٌ لزهيرٍ أكبرَها الناسُ ، لقلت إنّ كعباً أشعر منه » [6] . أما أغراض كعب فيدور مُعظَمها على المدح والهجاء والفخر والحماسة . ولم يكن كعب يرضى كل ما قال من الشعر [7] ، ولا غرو فهو على مذهب والده من التنقيح والتحكيك .

٣ — المختار من شعره

— من قصيدته « بانت سعاد » ، وفيها يذكر كيف أن الناس ، حتّى

---

١ ويب غيرك : الويل لك وحدك !
٢ لعا لكا : أقال الله عثرتك .
٣ راجع الشعر والشعراء ٦٠ ، الاسطر ٩ — ١٣ : فقال قصيدته .... ثم أتى رسول الله .
٤ بانت : بعدت . تبله الحب : ذهب بعقله . تيمه الحب : ذلله واستعبده . كبله : قيده وجعله كالاسير لديه .
٥ طبقات الشعراء ١٣ .
٦ الشعر والشعراء ٥٨ .
٧ راجع البيان والتبيين ١ : ٢٠٧ .

الاصدقاء منهم ، قد تَخلّوا عنه وانه يرجو العفوَ من الرسول . وفي مطلع القصيدة غزل تقليدي وكلام على الوعد والخُلف به :

وما سعادُ غداةَ البيْن إذ رَحلوا ... إلا أغنّ غضيضُ الطَرْف مكحولُ [1] .
أكرِمْ بها خُلّة لو أنها صدقت ... موعودَها أو لو ان النصح مقبول [2] .
لكنّها خلّة قد سِيط من دمها ... فَجْعٌ ووَلْع وإخلال وتبديل .
فما تدومُ على حال تكونُ بها ... كما تلَوّنُ في أثوابها الغول [3] .
ولا تَمسّكُ بالوعد الذي زَعَمت ... إلاّ كما يُمسك الماءَ الغَرابيل .
فلا يَغُرّنْكَ ما منّتْ وما وعدت ؛ ... إنّ الامانيّ والاحلام تضليل .
كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً ؛ ... وما مواعيدها الا الاباطيل .
أمست سعادُ بأرض لا يُبلّغها ... الا العِتاق النجيبات المَراسيل [4] .
ولن يُبلّغَها الا عَذافرة ... لها على الأيْن إرقال وتَبْغيل [5] .
تسعى الوشاةُ بجَنْبَيْها ، وقولُهمُ : ... إنك ، يا ابن أبي سُلمى ، لَمَقْتول!
وقال كل خليلٍ كنت آملُه : ... لا أُلْهِيَنّكَ ، إني عنك مشغول .
فقلت : خلّوا سبيلي ، لا أبا لكمُ ، ... فكل ما قدّر الرحمن مفعول .
كل ابنِ أنثى ، وان طالت سلامته ، ... يوماً على آلةٍ حدباءَ محمول [6] .
أُنبئْتُ أن رسول الله أوْعدني ، ... والعَفْو عند رسول الله مأمول .
مهلاً ، هداكَ الذي أعطاك نا ... فلةَ القرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيل ،
لا تأخُذَنّي بأقوال الوشاةِ ، ولم ... أُذْنِبْ ، وان كَثُرتْ فيّ الأقاويل .
لقد أقوم مُقاماً لو يقوم به ... أرى واسمع ما لو يسمعُ الفيل ،
لَظلّ يُرْعَدُ إلاّ أن يكونَ له ... من النبي بإذن الله تَنْويل [7] .

[1] الاغن : الذي في صوته غنة (لحن كأنه يخرج من أنفه) . غضيض الطرف : فاتر اللحظ منكسر البصر يتطلع إلى الأرض . المكحول : من كان فيه كحل (بفتح الكاف والحاء) طبيعي : سواد على أطراف جفونه حيث تلتقي إذا أطبقها (يشبه الشاعر حبيبته بالغزال الصغير) .

[2] الخلة : الصديقة .... لو أن النصح (في تركها) مقبول .

[3] زعم العرب القدماء أن الغول تظهر للناس في ألوان مختلفة .

[4] المرسال : الناقة الخفيفة الجري .

[5] العذافرة : الناقة الغليظة الشديدة . الاين : التعب . الارقال : الأسراع صعداً . التبغيل : جري وسط في السرعة .

[6] الحدباء : المعوجة ، نعش (يقصد : كل إنسان سيموت) .

[7] يرعد (بالبناء للمجهول) : يرتجف . التنويل : العطاء والمنة (يقصد : العفو عني) .

إنّ الرسولَ لَنُورٌ يُستضاء بـه — مُهنّدٌ من سيوف الله مسلول ،
في عُصبة من قُريشٍ قال قائلهــم — ببطن مكّة ، لمّا أسلموا : زُولوا[1] .
زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُــفٌ — عند اللقاء ولا مِيل مَعازيـل[2] ،
شُمّ العرانـينِ أبطال لَبوسُهــم — من نسج داوودَ في الهَيْجا سَرابيل[3] .
لا يَفرَحون إذا نالت رِماحُهم — قوماً ، وليسوا مَجازيعاً إذا نِيلوا[4] .
لا يَقَعُ الطعنُ الا في نحورِهِمُ ، — وما لهمْ عن حِياضِ الموت تَهليل .

٤ — الطبعات لشعر كعب بن زهير ، وخصوصاً قصيدته « بانت سعاد » ، كثيرة (راجع GAL Suppl . I 68 — 69) .

القول المراد من « بانت سعاد » ، تأليف محمد محسن المرصفي ، القـاهرة (الشعب) بلا تاريخ .

شرح قصيدة « بانت سعاد » لأبي محمد عبد الله بن يوسف بن هشام ، القاهرة (حسن مصطفى) ١٢٩٠ هـ .

مصدّق الفضل ، شرح قصيدة « بانت سعاد » ، تأليف شهاب الدين أحمد ابن عمر الهندي ، حيدر آباد ١٣٢٣ هـ .

شرح ديوان كعب بن زهير للسكّري (تحقيق عبد العزيز الميمني) ، القاهرة (دار الكتب) ١٣٥٩ هـ = ١٩٥٠ م .

ديوان كعب بن زهير (في طرف أدبية ، جمعها عمر السويدي ، كارلو لاندبرغ) ، ليدن ١٣٠٣ — ١٣٠٦ هـ .

** بروكلمان ١ : ٣٢ — ٣٣ ، الملحق ١ : ٦٨ — ٧٠ .

---

١ زال يزول : ذهب (إشارة إلى الهجرة إلى المدينة) .

٢ النكس : الضعيف . الكشف : الذين ينهزمون عند أول صدمـــة . الميل جمع أميل : من لا يثبت على ظهر الحصان ، الذي يميل إلى الهرب من المعارك . المعزال : الذي لا سلاح معه .

٣ شم الانوف : قصبة الأنف عندهم مرتفعـــة (أنوفهم مقوسة ، كناية عن شرف الأصل) . اللبوس : اللباس ، (وهنا معناهـا الدروع) . من نسج داوود ، كان داوود مشهوراً بعمل الدروع . الهيجا أو الهيجاء : الحرب . السربال : الثوب السابغ (الطويل الواسع) .

٤ لا يفرحون إذا تغلبوا على خصمهم ولا يجزعون (يخافون ويضطربون) إذا تغلب عدوهم عليهم . التهليل : التكذيب (الجبن عن القتال الشديد) . — لا يجرحون إلا في صدورهم لأنهم يهجمون دائماً على العدو ولا يولون ظهورهم (يهربون منه) .

حميد بن ثور الهلاليّ

١ – هو حُميد بن ثور الهِلاليّ من بني هلال بن عامر بن صَعصعة ، كان في الجاهلية وشهد معركة حُنين (سنة ٨ هـ = ٦٣٠ م) مع المشركين . ثم انه أسلم ووفد على الرسول . وأدرك حميد بن ثور خلافة عثمان وقد أسنّ ، وقال في أثنائها شعراً .

٢ – حميد بن ثور شاعر مجيد جميل المعاني عذب الألفاظ بارع في الكناية والرمز . وبرع حميد في الغزل الصريح الذي يجري في شيء من القصص . وكان له فخر وحماسة وطَرْد (في وصف الذئب خاصة) ، وكذلك كان له هجاء ، وهجاؤه خبيث . وقال أيضاً في الحكمة .

٣ – المختار من شعره

– تقدم [١] عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، إلى الشعراء ألا يشبّب أحدٌ بإمرأة إلا جلده . فقال حُميد بن ثور (يُكني عن محبوبته بالسرحة – الشجرة الطويلة) :

أبى الله إلا أن سَرحــةَ مــالكٍ ... على كل أفنانِ العَضاهِ تَروقُ [٢] .
فقد ذهبت عرضاً ، وما فوق طولهـــا ... من السرح الا عَشّة وسَحوق [٣] .
فلا الظل من برد الضُحى تستطيعــه ، ... ولا الفَيْءَ من برد العَشيّ تذوق [٤] .
فهل أنا إنْ علّلت نفسي بسرحـةٍ ... من السرحِ موجودٌ عليّ طريق ؟

– ومن غزله العذب البارع قوله في قصيدة مطلعها :

سل الربعَ أنّى يَمّمتْ أمّ ســالم . ... وهل عادةٌ للرَبْعِ أن يتكلّما ؟

فانه يتكلّم فيها على الحمامة التي تغنّي فيقول :

---

١ الاغاني ٤ : ٣٥٦ – ٣٥٧ ؛ الاصابة ١ : ٨٣١ – ٨٣٢ .
٢ الافنان جمع فنن : الغصن . العضاه جمع عضاهة : شجرة عظيمة . تروق : تزيد في الحسن والبهاء .
٣ العشة : الشجرة القليلة الاغصان والورق . السحوق : المفرطة في الطول من غير تناسب .
٤ الظل : احتجاب الشمس أول النهار . الفيء : احتجاب الشمس بعد الزوال (بعد نصف النهار) .

عَجِبتُ لها ، أنّى يكون غناؤهـــا فصيحاً ، ولم تَفْغَرْ بمَنْطِقِها فَما [1] .
فلم أرَ محزوناً له مثلُ صوتِهــا ، ولا عَرَبيّــاً شاقه صوت أعْجَما [2]
كمِثْلي إذا غنّت ؛ ولكنّ صوتَها له عَوْلة لو يَفْهم العَوْدُ أرْزَمـا [3] .

ثم يخلُص إلى الغزل فيقول :

خليليّ ، إني مُشْتَكٍ ما أصابني لِتَسْتَيْقِنا ما قد لَقِيتُ وتعلما .
أمَلّيكما ، إن الامانة من يَخُنْ بهـا يحتملْ يوماً من الله مأثَما .
فلا تُفْشِيا سِرّي ، ولا تَخذُلا أخاً أبُثّكما منـه الحديثَ المُكَتَّما ،
لتَتّخِذا لي – بارك الله فيكمـا – إلى آل ليلى العامرية سُلّمـا .
وقولا لها : مـا تأمُرينَ بصاحب لنا قد تَركتِ القلبَ منه مُتَيَّمـا ؟
أبِيني لنا ، إنّا رَحَلْنا مَطِيّنـا اليك ، ومـا نرجوه الا تَلَوّما [4] .
فجاءا ولمّا يَقْضِيا ليَ حـاجةً إليّ ، ولمّا يُبْرِما الامر مُبْرَما [5] .
ألم تعلما أنّي مُصابٌ فتَذْكُـرا بلائي إذا ما جُرْفُ قوم تَهَدّما [6] .
ألا هل صَدَى أمّ الوليدِ مُكَلّمٌ صَدايَ إذا ما كنت رَمْساً وأعْظُما [7] !

– وله في الحكمة يذكر الشباب :

فلا يُبْعِدِ اللهُ الشبابَ وقولَنا ، إذا ما صَبَوْنا صَبْوَةً : سَنَتوبُ :
لَيالِيَ أبصارُ الغواني وسَمْعُها إلَيّ ، وإذْ ريحي لهنّ جَنوب [8] ،
وإذ ما يقول الناس أمر مُهَوّنٌ علينا ، وإذ غُصْنُ الشباب رَطيب !

---

١ تفغر (تفتح) فما بمنطقها (بكلامها) .
٢ الاعجم : الذي لا يبين (لا يفهم كلامه) .
٣ العود : الجمل المسن . أرزم : حن . لو فهم الجمل المسن صوت تلك الحمامة لتذكر شبابه وحن (لغنى بصوت حزين) .
٤ رحلنا مطينا : سافرنا طويلا . ما نرجوه الا تلوما : ما نظنه يعيش إلا قليلا بعدنا .
٥ أبرم الأمر : جزم به ، فصله ، أتى به على وجه واضح .
٦ فتذكرا بلائي إذا ما جرف قوم تهدما : فتذكرا مصيبتي إذا رأيتما مصيبة قوم آخرين ، فان مصيبتي أكبر (؟) .
٧ الصدى : طائر خرافي ، قيل إذا مات انسان خرج من رأسه طائر يصيح . إذا ما كنت رمساً وأعظماً : أصبحت ميتاً .
٨ ريحي لهن جنوب : يقصد أنه محبوب لديهن .

– استجاد ابن قتيبة (الشعر والشعراء ٧ ، ٢٣٠) قول حُميد بن ثور :

أرى بَصَري قد رابني بعد صِحّةٍ ، وحَسبُك داءٌ أن تَصِحَّ وتَسلَما .

ثم قال : « ولم يُقَلْ في الكِبَرِ (الشيخوخة) شيءٌ أحسنُ منه » .

– وقال في وصف الذئب (الديوان ١٠٣ – ١٠٦) :

طَوِي البطنِ إلّا من مَصيرٍ يَبُلُّه … دم الجوف أو سُؤرٌ من الحَوْض ناقع[1].

ترى طرفيه يَعْسِلان كلاهما … كما اهتزّ عود الساسَم المُتتايع[2] .

إذا خاف جَوْراً من عدوّ رَمَتْ به … قُصاينُه والجانب المُتواضع[3] .

وان بات وَحْشاً ليلةً لم يَضِقْ بها … ذِراعاً ، ولم يُصْبِحْ لها وهو خاشع[4] .

إذا احتلّ حِضْنَيْ بلدة طُرَّ منهما … لأخرى خَفِيّ الشخص للريح تابعُ[5]

وان حَذِرَتْ أرض عليه فانّه … بغُرّةِ أخرى طيّب النفس قانع[6] .

ينام باحدى مقلتيه ، ويتّقي … بأخرى المنايا : فهو يَقظانُ هاجع .

إذا ما غدا يوماً رأيت غَيابة … من الطير ينظرن الذي هو صانع[7] .

٤ – ديوان حُميد بن ثور الهلاليّ (الميمني) ، القاهرة (دار الكتب) ١٣٧١ هـ ، ١٩٥١ م .

** ميمية حميد بن ثور لمحمّد يوسف مُقلد (مجلة العلوم ، بيروت ، نيسان – أبريل ١٩٦١ م ، ص ٢٧) .

---

١ طوى (ضامر) البطن : نحيل جداً . المصير : واحد المصران (المعي واحد الامعاء في البطن) . شديد العطش لا يبل جوفه الا دمه أو سؤر (بقية ماء) من الحوض ناقع (يسكن العطش ولكن لا يروي) .

٢ يعسلان يهتزان . الساسم شجر أسود تتخذ منه السهام . هو شديد الاهتزاز في سيره لنحوله . المتتايع : المستوى الذي لا عقد فيه .

٣ مخالبه (يقصد : قوائمه) . يهرب من تلك الارض الى مكان بعيد في جانب الارض المتواضع : (المتواسع ، الواسع) .

٤ وحشاً : جائعاً . لا يهتم بالجوع و لا يذل نفسه بطلب الطعام من أحد .

٥ حضنا بلدة : جانباها . طر منها : طرد (لشدته واعتدائه ؟) .

٦ اذا حذرت أرض عليه : أصبحت مخوفة أو أصبح المقام فيها خطراً عليه .

٧ غيابة : (جماعة من الطير) تظلل الانسان كالسحابة (تلحقه لتأكل مما سيقتله : يفترسه من الناس ، لشرسته وقوته) .

المخبّل السعدي

١ – هو المُخَبَّل السَعدي أبو يزيد ربيع بن مالك بن ربيعة بن قِتال (بكسر القاف واهمال التاء – راجع غ ١٣ : ١٩٣) بن أنف الناقة (واسم أنف الناقة جعفر) بن قُريع بن كعب بن سعد بن زيد مَناة بن تميم .

كان للمخبّل السعدي ابن اسمه شيبان ذهب في جيش سعد بن أبي وقّاص إلى العراق ، فجزع المخبّل واستشفع إلى عمر بن الخطّاب بشعره ، فرقّ قلب عمر وردّ شيبان . ومع أن شيبان كان راغباً في الجهاد ، فانه لم يفارقْ أباه حتّى توفّي أبوه .

وكان المخبّل صديقاً للزبْرقان بن بدر منذ الجاهلية ، ولكنّ هذا لم يمنعهما من التهاجي في الجاهلية ؛ ويبدو أن المخبّل قد استمر في الهجاء بعد أن جاء الاسلام أيضاً .

وعُمِّر المخبّل السعدي في الجاهلية والاسلام دهراً طويلاً ، ومات في أيام عثمان بن عفّان بعد أن أسنّ كثيراً .

٢ – المخبّل السعدي شاعر فحل مشهور ولكنّه مقلّ . وهو شاعر مخضرم ، وشعره فصيح سهل التراكيب . أمّا فنونه فالمديح والهجاء خاصّة ، وفي هجائه إقذاع . وهو وصّاف للنوق يجيد وصفها ويُطيل . ثم له أشياءُ من الحكمة والغزل والعتاب .

المختار من شعره

– قال المخبّل السعدي قصيدة يذكر فيها محبوبته ويصف دارها . ثم وصف الناقة فأطال ؛ بعدئذ ختم القصيدة بشيء من الحكمة . من هذه القصيدة :

ذَكَرَ الرَبابَ – وذِكرُها سُقْمُ – فصبا ، وليس لمن صَبا حِلْمُ [١] .
وإذا ألمّ خيالُها طُرِفَتْ عَيْني فماء شُؤونها سَجْمُ [٢] .

. . . .

١ صبا : اشتاق ، مال به الهوى . حلم : عقل . الشؤون : مجاري الدمع من أطراف العينين . سجم : دائمة الدمع .
٢ طرفت : أصيب بعود أو نحوه فاحمرت وأخذت تدمع .

وتقولُ عـاذلتي — وليس لهـا بِغَدٍ ولا مـا بَعْدَهُ عِلْم :
ان الثَّراء هو الخُلود ، وانّ المرء يُكْرِبُ يومَهُ العُدْم [1] .
إنّي ، وجدِّكَ ، مـا تُخَلِّدني مِائةٌ — يطير عِفاؤها — أُدْمُ [2] .
ولئِنْ بَنَيْتَ ليَ المُشَقَّرَ في هَضْبٍ تُقَصِّرُ دونَه العُصْم [3] ،
لَتُنَقِّبَنْ عنّي المَنِيّةُ ؛ انّ الله ليس كحُكْمِه حكم !
إنّي وجدتُ الامرَ أرْشَدُه تقوى الالَهِ ، وشرُّه الإثم .

— وقال من أبيات يعاتب بها ابنه شيبانَ ويصف حالَه هو :

.... فإنْ يَكُ غُصني أصبح اليوم ذاوياً وغصنُك من ماء الشباب رَطيبُ ،
فانّي حَنَتْ ظَهري خطوبٌ تتابعتْ : فمَشْيي ضعيفٌ في الرجال دَبيبُ .
إذا قال صحبي : يا ربيعُ ، ألا ترى ؟ أرى الشخصَ كالشخصين وهو قريب .
ويُخبرني شيبان أن لن يَعُقَّني ؛ تَعُقّ إذا فارقتني وتَحوب [4] .
فلا تُدْخِلَنَّ الدهرَ قبرَك حُوبَةً يقوم بها يوماً عليك حسيب [5] .

٤ — غ ١٣ : ١٨٩ — ١٩٨ ؛ المفضليات ، رقم ٢١ (ص ١١٣ — ١١٨) .

أبو ذُؤَيبٍ الهُذَليّ

١ — هو خُويلد بن خالد بن مُحَرِّث من بني سعد بن هُذيل ، ولا نعلم من حياته في الجاهلية إلا أنه كان راوية لساعدة بن جُؤيّة الهذليّ .

تأخّر دخول بني هُذيل في الاسلام على قرب مساكنهم في الحجاز . وكان

---

١ الثراء : الغنى . الخلود : الشباب (المخلد : الذي لا يهرم) . يكرب : يتعس . العدم : الفقر .
٢ مائة (مائة من الابل) . يطير عفاؤها : يذهب وبرها من السمن . الادم العفر : (الابل السمراء التي لا اختلاف ولا عيب في لونها) .
٣ المشقر : حصن مشهور في شرقي بلاد العرب . الهضب : الأرض العالية . العصم : الظباء البيض تسكن الجبال وتقفز بين القمم . — لو بنيت لي حصناً في مكان مرتفع تعجز العصم عن تسلقه ...
٤ يعق : يعصي ، يسيء معاملة أبويه . يحوب : يأثم ، يذنب ذنباً عظيماً .
٥ حوبة ذنب . الحسيب : الرقيب ، المحاسب (الله) .

أبو ذؤيب ممن حَسُن اسلامهم ، فلما ندب عثمانُ بن عفّان المسلمين إلى الفتح في إفريقيَة خرج أبو ذؤيب في جيش الفتح (٢٦ هـ = ٦٤٦ م) مع خمسة من أبنائه . وهلَك أبناء أبي ذؤيب الخمسة بالطاعون في مصر ، فتابع هو طريقه إلى افريقية وشَهِدَ فتح قرطاجة (الضاحية الشمالية لمدينة تونس اليوم) ، وكانت عاصمة للروم . وعهد عبد الله بن أبي سرح إلى عبد الله بن الزبير وأبي ذؤيب الهذلي بحمل خُمس الغنائم إلى المدينة . فلما وصلا إلى مصر لدغت حيةٌ أبا ذؤيب فمات (٢٨ هـ = ٦٤٩ م) .

٢ – قال ابن سلاّم [١] : « كان ابو ذؤيب شاعراً فحلاً لا غميزة فيه ولا وهن .... وسئل حسّان : من أشعر الناس ؟ قال : أشعر الناس حياً [٢] هذيل ، وأشعر هذيل أبو ذؤيب غيرَ مُدافع » . وأكثر شعر أبي ذؤيب الذي وصل الينا مَراثٍ ، وله شيء من الخمريات [٣] ومن وصف الخيل وبراعة في الطرد ، وفي وصف النحل والعسل خاصة . وله قصائد قصّرها على الغزل .

٣ – المختار من شعره

قال يرثي أبناءه الخمسة الذين هلكوا في الطاعون :

أمِنَ المَنون ورَيْبِها تَتَوَجَّعُ ؟ — والدهر ليس بمُعْتِبٍ من يجزعُ [٤] .

قالت أُميمَةُ : ما لجسمِكَ شاحباً — منذ ابتُذِلْتَ ؛ ومثل مالك ينفعُ [٥] ؟

أمْ ما لجسمِكَ لا يُلائم مَضْجَعاً — إلا أقضَّ عليك ذاكَ المضجعَ [٦] ؟

فأجَبْتُها : أمّا لِجِسمي ، إنه — أوْدَى بَنِيَّ من البلاد فودّعوا [٧] :

أودى بَنِيَّ وأعقبوني حَسْرَةً — بعد الرُّقادِ وعبرةً ما تُقلع [٨] .

١ طبقات الشعراء ٢٩ .

٢ أهل الحي = بمجموعهم .

٣ الشعر والشعراء ٤١٦ .

٤ المنون : الدهر ، الموت . اعتب : أرضى – الموت لا يهتم بمن يحزن على هالك له .

٥ ابتذل : امتهن نفسه في العمل والسفر – كان بنوك يكفونك أمر العيش ، وأراك بعدهم تعمل فهزل جسمك مع ان لك مالا يغنيك عن العمل للكسب .

٦ أصبحت لا تستطيع النوم على فراش .

٧ أما : أما الذي . أودى : هلك .

٨ عبرة ما تقلع : دمع لا يجف أبداً .

سبقوا هَوَيَّ واعنقوا لهواهُـمُ ... فتُخُرِّموا ، ولكلّ جنبٍ مَصْرع [1] .
فغَبَرْتُ بعدَهُمُ بعَيْشٍ ناصب، ... وإخالُ أني لاحِقٌ مُسْتَتْبِـعُ [2].
ولقد حَرَصتُ بأن أُدافع عنهـمُ ، ... وإذا المَنيّة أقبَلَتْ لا تُـدْفَعُ .
وإذا المنيّة أنْشَبَتْ أظفارَهــا ... ألفَيْتَ كلّ تميمَةٍ [3] لا تنفع !
فالعين بعدهمو كأنّ حِداقها ... سُمِلَتْ بشوكٍ ، فهي عُورٌ تَدمع [4] ،
حتّى كأني للحوادث مَرْوَةٌ ... بصفا المشقّر كلّ يوم تُقرَع [5] .
وتجلّـدي للشـامتين أُريهِـمُ ... أنّي لريب الدهر لا أتضعْضَع .
لا بُدّ من تلفٍ مُقيمٍ فـانتظر : ... أبأرض قومك أم بأخرى المَضْجَع .
ولقد أرى أن البكاءَ سَفَاهَـةٌ ... ولَسَوْف يُولَعُ بالبكا من يُفْجَعُ [6] .
ولَيَـأتِيَنّ عليك يومٌ ، مرةً ، ... يُبكى عليك مُقنّعاً [7] لا تسـمع .
والنفسُ راغبـةٌ إذا رغّبتها ، ... وإذا تُرَدّ إلى قليل تقنـع .
كم من جميعي الشَمْلِ مُلتئمي الهوى ... كانوا بعيشٍ واحـدٍ فتصدّعوا .
فلئنْ بهم فَجَعَ الزمان وريبُه ، ... إني بأهـل مودتي لَمُفَجّع.

بعدئذ يمضي أبو ذؤيب فيَضْرِبُ أمثلة على ان الموت لا يبقي على أحد كالثور النشيط الذي يرتع مع شاته (زوجته) في روضة غناء . بعد حين يجف مـاء الروضة وعشبها ثم يجيء قانص فيرميهما فيقتل الثور وشاته . وكذلك الفارسان يتنازلان في حومة الوغى :

---

١ هوي : هواي « ماتوا قبلي وكنت أود أن أموت قبلهم » . تخرمهم الموت : أخذهم واحداً واحداً .
٢ غبر : بقي . ناصب : متعب .
٣ حجاب : حرز .
٤ حداق جمع حدقـة : موضع النظر من العين . سملت : فقئت . عور جمع أعور وعوراء : مصـابة بأذى .
٥ مروة : صخرة . ويروى : بصفا المشرق – كـأني صخرة في السوق (صفا المشقر) يمر الناس عليها دائماً . والمشقر أيضاً جبل لهذيل . ولعله يعني صخرة المشقر عند مكة وهي التي ترجم في مواسم الحج ،يمر بها كل حاج فيقذفها بسبع حجارة صغار .
٦ لا فائدة فيه من البكاء ولكن سيظل الناس يبكون كلما فجعوا .
٧ على وجهك قناع ؛ ميت .

فتنازلا وتواقفت خَيلاهما ، وكلاهما بطل اللقاء مُخدّع [١]
يتَحاميانِ المجدَ ، كلٌّ واثقٌ ببلائه فاليوم يومٌ أشْنَع [٢] :
فكلاهما متوشّحٌ ذا رَوْنَقٍ عَضْباً إذا مسّ الضريبة يَقْطَع [٣] ؛
وكلاهما في كَفّه يزَنيّةٌ [٤] فيها سِنانٌ كالمنارةِ أصْلَع ؛
وعليهما مَسْرودتان قضاهما داودُ أو صَنَعُ السّوابغِ تُبّعُ [٥] .
فتخالسا نَفْسَيْهما بنوافذٍ كنَوافِذِ العُبُطِ التي لا تُرقَع [٦] .
وكلاهما قد عاشَ عِيشَةَ ماجدٍ وجَنى العُلى ، لو ان شيئاً ينفع [٧] !
فَعفَتْ ذيولُ الريحِ ، بعدُ ، عليهما . والدهرُ يَحْصُدُ ريبُه ما يزرع [٨] !

٤ — ديوان أبي ذؤيب الهذلي (يوسف هل J. Hell) ، هانوفر ١٩٢٦ م .

•• بروكلمان ١ : ٣٦ — ٣٧ ، الملحق ٧١ .

أبو مِحْجَن الثقفيّ

١ — هو عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير من بني ثَقيف من الطائف . كان أبو مِحْجَن فارساً معدوداً في أولي البأس والشدة ، ولكنه كان مُولَعاً بالخمر .

---

١ اللقاء : القتال . مخدع : مجرب في الحرب — فتنازلا مدة طويلة لا يتغلب أحدهما على الآخر .
٢ ببلائه : بمقدرته وشجاعته . أشنع : كريه . كل واحد منهما يحاول أن يدافع عن مجده وشهرته .
٣ ذو رونق : سيف براق ماض . عضب : قاطع . الضريبة : ما يقع عليه السيف .
٤ رمح .
٥ مسرودة : درع . قضاهما : صنعهما . داوود كان مشهوراً بصنع الدروع أو بما عنده من دروع جيدة . الصنع : الحاذق . السوابغ : الدروع . تبع : لقب لملوك اليمن . أي دروع جيدة كأنما صنعت لداوود أو لتبع .
٦ النافذة : الطعنة التي تنفذ من جانب في الجسد إلى جانب آخر . العبط جمع عبيط : (كثرت ثقوبها فلا يمكن رقعها) .
٧ وكل واحد منهما كان قد عاش من قبل عيشة عزيزة وبلغ المراتب الرفيعة ، ولكن ذلك كله لا يدفع الموت عن صاحبه .
٨ محت الريح مكان موتهما (غطت قبريهما بالرمال) . ريبه : حوادثه .

لمّا حاصر الرسول الطائف ، سنة ٨ هـ (٦٣١ م) ، دافع أبو محجن عنها . فلما أسلم أهلها في السنة التالية أسلم أبو محجن معهم . ولم يترك أبو محجن شرب الخمر ، فأقام عمر بن الخطاب الحد عليه مراراً . ثم ذهب أبو محجن في الحملة على القادسية ، فشرب الخمر . عندئذ « حبسه سعد (بن أبي وقّاص) في القصر معه والناس يقتتلون ، فجال المسلمون جولة وهو ينظر اليهم .... وكان مقيّداً يومئذ عند زبراء أم ولد [1] سعد بن أبي وقّاص ، فقال لها : أطلقيني ، فلكِ اللهُ لئن فتح الله على المسلمين وسَلِمتُ لأرجِعنّ حتّى أضع رجلي في القيد . فأطلقته وحملته على فرس لسعد . فأخذ الرمح فخرج فقاتل فحطم المشركين وكان سبب الهزيمة (للمشركين) . فقال سعد : لولا أن أبا محجن محبوس لقلت : هذا الفارس أبو محجن . فلما فتح الله على المسلمين رجع أبو محجن إلى محبسه . فقال سعد : لا ضربتك (في الخمر) أبداً . قال أبو محجن : وأنا ، والله ، لا أشربها أبداً » [2] .

ويبدو أن أبا محجن الثقفي ذهب في الجهاد إلى فارس فتوفّي نحو سنة ٢٨ هـ (٦٥٠ م) في أيام عُثمان . وقبره ، فيما قيل ، في آذرَبَيْجان أو جُرجان .

٢ — أبو محجن شاعر مخضرم مقل ، وأغراض شعره تدور حول الخمر في الأغلب ، وله أشياء تستجاد في المدح والفخر والحماسة .

٣ — المختار من شعره

— قال في الفخر والحماسة :

لا تسألِ النـاس عن مالي وكَثْرته ، وسائل القوم : ما حزمي وما خُلُقي ؟
القومُ أعلمُ أني من سَراتِهِـمُ ، إذا تَطيش يـد الرِعديدة الفَرُق [3] .
قد أركب الهول مسدولاً عساكرُه ؛ وأكتمُ السرّ فيـه ضربةُ العُنُق !

— لما حاصر المسلمون الطائف وتولى تضييق الحصار عليها بنو ثُمالة وسَلَمة

[1] إذا اتخذ الرجل جارية ثم رزق منها ولداً ذكراً أصبحت أم ولد وحرم بيعها .
[2] طبقات الشعراء ٦٨ ؛ راجع الشعر والشعراء ٢٥٢ .
[3] طاشت يده : اضطربت فلم يصب الهدف . الرعديدة : الجبان : الفرق : الكثير الفزع .

وفَهْم ، وليست من القبائل المشهورة ، فقال أبو محجن وهو يومذاك على الشرك :

هابت الاعداءُ جانبَنا ثم تَغزونا بنو سلمهْ .
وأتانا مالك بِهِمُ ناقضاً للعهد والحُرُمه [1] .
وأتَوْنا في منازلنا . ولقد كنّا أولي نَقِمه !

– ولأبي محجن أبيات مشهورة في الخمر :

إذا مِتّ فادفُنّي إلى جنب كَرْمة تُروّي عظامي بعد موتي عُروقُها .
ولا تَدْفُنَنّي بالفلاة ، فإنني أخاف إذا ما مِتّ أن لا أذوقُها [2] .

٤ – ديوان أبي محجن الثقفي (ed. Abel 1887)
– ديوان ابي محجن الثقفي (جمع عمر السويدي) ليدن ١٣٠٣–١٣٠٦ هـ.
(ed. Landberg in Primeurs arabes, Leiden 1889)
** بروكلمان ١ : ٤٠ ، الملحق ١ : ٧٠ .

أبو زُبيد الطائيّ

١ – هو حَرْمَلة بن المنذر بن مَعدي كَرِب من بني طيّء ، وأخواله من تَغلِب . وكانت منازل قومه في الرَّقة بالجزيرة من أعلى العراق .

كان أبو زبيد نصرانياً ، وفد على الوليد بن عُقبة والي الكوفة [3] ونادمه زمناً. ولما عظمت النقمة على الوليد وعزله عثمان ، سنة ٣٠ هـ (٦٥١ م) عاد أبو زبيد إلى الرقة حيث توفّي . وقيل بل توفي في الكوفة سنة ٦٢ هـ (٦٨٢ م) ، وقد عُمّر طويلاً .

٢ – شهد أبو زُبيد الجاهلية ومدح فيها المناذرة والغساسنة ، ثم مدح الوليد ابن عقبة في الاسلام . وله شيء من العتاب والهجاء والحماسة والحكمة ، غير أن أكثر شعره في وصف الاسد . ومع أن في شعره كثيراً من الغريب ، وخصوصاً

---

١ مالك بن عوف النصري كان مع ثقيف في الطائف ثم استماله الرسول واستعمله على قومه ومن معهم وولاه حصار الطائف .
٢ أن مخففة : أنني لا أذوقها .
٣ تولى الوليد بن عقبة الكوفة سنة ٢٥ هـ (٦٤٦ م) .

في وصف الأسد ، فان في شعره ليناً .

٣ – المختار من شعره

– من شعره في وصف الاسد :

فلا يَعْلَقَنْكم مِهْصَرُ الناب عَنبس عَبوس له خَلق غليظ غَضَنْفَرُ [١]؛
له زُبَرٌ كاللبْدِ طارت رَعابِلاً وكِتْفان كالشَرخين عَبْل مُصَبَّر [٢].
رحيب مَشَقّ الشِدق أغْضف ضَيْغَم له لَحَظات مُشرفات ومَحْجِر [٣]،
وعينان كالوَقْبين في قُبْل صخرة يُرى فيهما كالجمرتين التبصّر [٤]؛
من الأُسْد عاديٌّ تَكاد لصوته رؤوس الجبال الراسيات تَقَعّر [٥].

وبعد وصف آخر قليل يذكر أبو زبيد لقاء أهل قافلته بهذا الاسد فيقول :

فأبصر رَكْباً رائحين عشيّة ، فقالوا : أبغل مائل الجِل أشقر [٦] ؟
بل السبع فاستنجوا ، وأين نَجاؤكم؛ فهذا ، وربِّ الراقصات ، المزعفر [٧]!
فولّوا سِراعاً يندهون مَطِيَّهم ، وراح على آثارهم يتقمّر [٨].
فساراهم ما إنْ لحسٌ حسيسه مدى الصوت لا يدنو ولا يتأخر [٩].

---

١ علقه : تمكن منه . المهصر : الأسد . مهصر الناب : شديد العض به . العنبس : الاسد . الخلق (بفتح الخاء المعجمة) : شكل ، جسم . الغضنفر : الاسد الغليظ الجثة .

٢ الزبرة (بضم الزاي) : الشعر المجتمع بين كتفي الأسد . اللبد : الصوف المضغوط ، الكثيف . طارت رعابلا : تفرقت كتلا كتلا . الشرخ : الحرف الناتئ (كالشرفة البارزة من البناء مثلا) . عبل : مكتنز ، ممتلئ لحماً . مصبر (بالباء المعجمة بواحدة من تحتها) : شديد العضل غليظ اللحم (؟) .

٣ رحيب مشق الشق : فتحة فمه واسعة . الاغضف : الاسد إذا استرخى جفنا عينيه الاعليان من الغضب . ضيغم : الذي يعض عضاً شديداً فيقطع قطعة كبيرة . المحجر (بوزن مسجد) : التجويف العظمي الذي تستقر فيه العين .

٤ الوقب : نقرة واسعة في الصخر يجتمع فيها الماء . القبل : سفح الجبل .

٥ عادي : قديم (لعله يقصد : مثل قوم عاد ، كبير الجثة) . تقعر : تشدق ، تكلم بأقصى فمه (والشاعر يقصد : تتقوض ، تتزلزل وتسقط إلى القعر) .

٦ الجل : الجلال (بكسر الجيم) : الرحل الذي يوضع على الدابة .

٧ استنجى : طلب النجاة . المزعفر : الاسد الورد (الأحمر) ، وهو شديد الضراوة .

٨ نده : زجر ، ساق الغنم والابل وهو يصيح بها . تقمر : تقمر الاسد : طلب الصيد في القمر (في الليل) .

٩ فساراهم (عارضهم ، مشى محاذياً لهم) . الحس والحسيس : أن يمر بك مار قريباً منك تسمع صوته ولا تراه. مدى الصوت : على بعد تسمع منه صوته .

ففاجأهم يستنّ ثانيَ عِطْفه ، له غبَب كأنّما راح يمكُر [1]
فنادَوا جميعاً بالسلاح ميسّراً ، وأصبح في حافاتهم يتنمّر [2].
وندّت مطاياهم : فمن بين عاتق ، ومن بين مُود بالبسيطة يَعْجِر [3]
وطاروا بأسياف لهم وقطائف ، وكلّهم يخفي الوعيد ويزجر [4] .
فأولُ من لاقى يجول بسيفه عظيم الحوايا قد شتا وهو أعجر [5]
فقضقض بالنابين قُلّة رأسه ودقّ صليف العنق والعنق أصعر [6] .

— ولأبي زبيد مرثية في أخيه الحلّاج جاء فيها :

ان طولَ الحياة غير سُعود ، وضلال تأميلُ نيلِ الخلودِ .
عُلّل المرء بالرجاء ، ويُضحي غرَضاً للمنون نصبَ العود [7] .
كل يوم ترميه منها برَشْقٍ : فمصيبٌ ، أو صافَ غيرَ بعيد [8] .
كلّ ميْت قدِ اغتفرت ، فلا أو جع من والد ولا مولود [9] .
غير أن الحلاج هدّ جناحي يوم فارقته بأعلى الصعيد .

٤ — ** الاغاني ١٢ : ١٢٥ وما بعدها ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٧٢ .

---

١ فاجأ وفجأ : أقبل بغتة . أستن : سار في طريق مستقيم قاصداً هدفاً . ثاني عطفه : مائلا بجانبه : متكبراً ، معتداً بنفسه غير مبـال بشيء . له غبب (لحم متدل تحت حنكه) كأنه يمكر (يصفر) .

٢ بالسلاح ميسراً : بالسلاح المتيسر في أيديهم ، الحاضر . حافاتهم : جوانبهم . يتنمر : يظهر الغضب وسوء الخلق (ناوياً للشر) .

٣ ند : شد ، نفر ، تفرق . من بين عاتق الخ : من بين هـارب وناج أو ميت ملقى أرضاً وقـد ثنيت رقبته (؟) .

٤ طاروا : أسرعوا . قطائف جمع قطيفة : ثوب صفيق (ليتخذوها دروعاً في قتال الاسد) .

٥ عظيم الحوايا أعجر : عظيم البطن . شتا (؟) .

٦ قضقض : أكل شيئاً فسمع له صوت بين أضراسه . قلة رأسه : أعلى الجمجمة . دق : كسر ، طحن . صليف العنق : مائل العنق (كناية عن التكبر والاعتداد بالنفس) . أصعر : مائل (قتل شخصاً كان في حياته متكبراً) .

٧ غرضاً : هدفاً . نصب العود : دائم التعرض للموت .

٨ صاف السهم : انحرف عن الهدف .

٩ لا أوجع من فقد الولد على الوالد ، وفقد الوالد على الولد .

عروة بن حزام

١ – هو عُروة بن حِزام بن مُهاصر أحد بني ضبّة بن عبد من بني عُذرة، يتَتَمّ من أبيه باكراً فعاش في كفالة عمه مالك [1] بن مهاصر . وكان لعمه ابنة اسمها عَفراء نشأ عروة معها فألِفَ كل واحد منهما صاحبه .

وأراد عروة أن يتزوّج عَفراء ولكن أمّها كانت كارهة له لفقره . ورحل عروة إلى عمّ له في الريّ [2] بفارس يطلب منه شيئاً من المال ، فاتفق أن ورد على آل عفراء رجل غنيّ من أنساب بني أمية ومن أهل البلقاء (الشام ، شرق الاردنّ اليوم) فتزوّج عَفراء . وأراد مالك بن مهاصر أن يخفف الصدمة عن عروة إذا عاد ولم يجد عفراء فعمد إلى قبر عتيق فجدّده ليُوهِمَ عروة أن عفراء ماتت . ورجع عروة وشيكاً ولكن عَرَف جليّة الأمر فرحل في نفر من أهله إلى البلقاء . فيقال ان زوج عفراء عَرَف بقدوم عروة ودعاه إلى أن ينزل ضيفاً عليه وأن يرى عفراء [3] . فأبى ذلك كرماً منه وحِفاظاً وعاد إلى بلده فمات قبل أن يصل إلى المدينة ، نحو سنة ٣٠ هـ (٦٥٠ م) .

ويزعُمون أن عفراء مرت يوماً بقبر عروة فنزلت عليه تبكي وتنتحب حتى ماتت عنده .

٢ – عروة بن حزام شاعر مقلّ جداً ، ولكنه شُهر بقصيدته التي قالها في عفراء ، وهي قصيدة فصيحة الألفاظ سهلة التراكيب مع متانة في السبك وعذوبة في التعبير وعاطفة جيّاشة .

ولكنّ الذي يبدو لي أن هذه القصيدة لم تكن في أول الأمر بمثل هذا الطول ، ولكن زِيد عليها بعد ذلك زيادات : يدلّنا على ذلك طولها (٢٣٨ بيتاً) وتكرار بعض معانيها مع شيء من التعليل ثم التفاوت في السهولة والعذوبة في الابيات المتقاربة وكثرة الاختلاف في الروايات . ولعله اختلط بها عدد من أبيات نفر من المحبّين وافقتها في البحر والقافية .

١ الشعر والشعراء ٣٩٤ ؛ وفي غ (٢٠ : ١٥٢) : عقال .

٢ غ ٢٠ : ١٥٣ ، السطر الثالث من أسفل ؛ وقيل في الشام (غ ٢٠ : ١٥٥ – ١٥٦) .

٣ الشعر والشعراء ، راجع ٣٩٧ ؛ في غ (٢٠ : ١٥٤) أن زوج عفراء أنزل عروة ضيفاً في بيته وسمح له بلقاء عفراء ، ثم عرض عليه أن يطلق عفراء فيتزوجها إذا شاء فأبى عروة ذلك .

٣ – المختار من شعره

– لعروة بن حزام قصيدة مشهورة مطلعها :

خليليّ من عُليا هــلالِ بنِ عامرٍ ، بصَنعاءَ عُوجا اليومَ فانتظراني[١] !

بعد أن يبسط عروة في هذه القصيدة ما قد ألمّ به من الضُرّ ويذكر عجز الاطبّاء عن مداواته يهجو عمّه الذي كان يشتطّ في طلب المهر منه ويعاتب عفراء عتاباً رقيقاً . وفي هذه القصيدة تعبير بارع واضح عن وجدان المحبّ الذي عزّ عليه الاتّصال بحبيبته :

أفي كلّ يوم أنت رامٍ بلادَها بعينَيْنِ انساناهُما غَرِقانِ[٢] ؟
ألا فاحمْلاني ، باركَ اللهُ فيكما ، إلى حاضرِ الرَوْحاء ثمّ دَعَاني .
ألِمّا على عَفْراءَ إنكما غــداً بشَحْطِ النَوى والبَيْن مُعْترفان[٣] .
أغَرّكُما منّي قميصٌ – لَبِسْتُه – جديدٌ وبُرْدا يَمْنَةٍ زَهَيان[٤] !
متى ترفَعا عنّي القميصَ تَبَيّنا بيَ الضّرّ من عفراءَ ، يا فتَيان[٥] ،
وتَعْترفا لحماً قليلاً وأعظُماً رِقاقاً وقلباً دائمَ الخفقـان .
على كَبِدي من حب عفراءَ قَرْحةٌ ، وعيناي من وَجْدٍ بها تَكِفان[٦] .
يقولُ لي الاصحاب ، إذ يَعْذِلونني : أشوقٌ عِراقيٌ وأنت يَماني ؟
وليسَ يَمانٍ للعراقِ بصاحبٍ ، عسى في صُروف الدهر يلتقيان[٧] .
تَحَمّلْتُ من عفراء ما ليس لي به ، ولا للجبـالِ الراسياتِ ، يـدان :
كـأنّ قَطاةٌ عُلِقَتْ بجَناحهـا على كَبِدي من شِدّة الخَفَقان !

---

١ عاج يعوج : مال ، جاء إلى مكان قريب من طريقه . صنعاء : قاعدة اليمن .

٢ .... بعينين ممتلئتين بالدموع .

٣ ألم : زار زيارة قصيرة . الشحط : البعد . النوى : البعاد ، الفراق (البعد عن المحبوب) .

٤ زهيان مثنى زهي (؟) أو زاه : متعدد الألوان أو حسن المنظر .

٥ تبينان : تتبينان (تبصراني وتتحققان من نحولي) .

٦ وجد : حب . وكف الدمع : سال .

٧ عسى هنا بمعنى حتى : ليس العراقي موافقاً في الدار لليمني حتى يلتقيا (انهما لا يلتقيان) ؛ أو : ان العراقي واليماني بعيدان في الدار ، ولكن ربما التقيا .

جعلتُ لعرّافِ اليمامة حُكْمَهُ … وعرّافِ نجْدٍ إن هما شفياني [1] .
فقالا : « نعَمْ ، نشفي من الداء كلّه » . … وقاما مع العُوّاد يبتدران [2] .
فما تركا من رُقْيَةٍ يعلمانها … ولا شَرْبَةٍ إلاّ وقد سقياني [3] .
وما شفيا الداءَ الذي بيَ كلّه ، … ولا ذَخَرا نُصْحاً ولا ألَواني [4] ؛
فقالا : « شفاكَ اللهُ ، واللهِ ، ما لنا … بما ضُمّنت منك الضلوعُ يَدان » .
فيا عمّ يا ذا الغدرِ ، لا زلْتَ مُبْتَلَىً … حليفاً لهمٍّ لازمٍ وهوان .
وإني لأهْوَى الحشرَ إن قيل إنّني … وعفراءَ يومَ الحشر مُلْتَقِيان [5] !
ألا يا غُرابَيْ دِمنةِ الدارِ ، بيّنا : … أبالهجرِ من عفراءَ تَنْتَحِبان [6] ؟
فان كان حقّاً ما تقولانِ فاذهبا … بلحْمي إلى وكْرَيْكُما فكُلاني [7] .
أناسِيَةٌ عفراءُ ذِكْرِيَ بعدما … تركتُ لها ذكراً بكلّ مكان ؟
تكنّفني الواشونَ من كل جانبٍ ، … ولو كان واشٍ واحدٌ لكفاني [8] .
يُكلّفني عمّي ثمانين ناقةً ، … وماليَ ، يا عفراءُ ، غيرُ ثمانِ [9] .
فيا ليْتَ محْيانا جميعاً ، وليْتنا … إذا نحن متْنا ضمّنا كفنان [10] .
ويا ليت أنّا الدهرَ في غيرِ ريبةٍ … خَلِيّانِ نرعى البَهْمَ مُؤتلِفان [11] .

---

١ عراف اليمامة وعراف نجد (راجع الشعر والشعراء ٣٩٦ : عراف حجر) .
٢ أوهماني أنهما قادران على شفاء ما بي ولكنهما كانا يعلمان أن لا شفاء لي ولذلك نهضا مع العواد (جمع عائد : الذي يزور المريض) وغادرا غرفتي لانهما كانا يوقنان أني سأموت وشيكاً (راجع فوق ، معلقة طرفة ، ص ١٣٩) .
٣ وذلك بعد أن كانا قد عالجاني بكل نوع من أنواع الرقى (الرقية دعاء يقال على رأس المريض لتخفيف مرضه النفساني) . الشربة : الدواء يؤخذ بالفم .
٤ لم يشفياني شفاء تاماً مع أنهما لم يدعا نصيحة ينصحاني بها ولا بخلا علي (بشيء من المداواة) .
٥ الحشر : القيام من القبور (انتهاء هذه الحياة) .
٦ غرابا دمنة الدار : الغرابان الملازمان للدار يصيحان بها لا يفتران .
٧ إذا كان التفريق بيني وبين عفراء صحيحاً فاني أفضل أن أموت وتأخذا لحمي إلى وكريكما وتأكلانه معفراخكما.
٨ تكنفني : أحاط بي .
٩ يكلفني عمي ثمانين ناقة (مهراً لعفراء) .
١٠ ضمنا كفنان (يقصد : ضمنا كفن واحد) .
١١ الخلي : الموجود في أرض خلاء ليس فيها أحد غيره . البهم : صغار الغنم (الضأن والمعزى) .

فوالله ، ما حدّثتُ سِرّكِ صاحباً أخاً لي ، ولا فاهَتْ به الشَفَتان [1] .
تَحمّلْتُ زَفْراتِ الضُحى فأطَقتُها، وما لي بزَفْراتِ العَشِيِّ يَدان [2] .

٤ – ** شعر عروة بن حزام (تحقيق ابراهيم السامّرائي وأحمد مطلوب) بغداد (مجلة كلية الآداب) ١٩٦١ ؛ غ ٢٠ : ١٥٢ – ٢٥٨ ؛ بروكلمان الملحق ١ : ٨١ – ٨٢ .

متمّم بن نويرة

١ – هو مُتَمِّم بن نُويرة بن جمرة بن شدّاد من بني ثعلبة بن يَربوع من بني تميم . كان متمّمٌ قصيراً أعور ، ولكنه فارس معدود ، قاتل بني تغلِب في الجاهلية ، ووقع مرة أسيراً في أيديهم .

ودخل متمّم مع قومه في الاسلام ، ثم كان هو وأخوه مالك عاملين للرسول على صدقات قومهما . فلمّا توفّي الرسول وارتدّ عدد من قبائل العرب (أبَوْا طاعة السلطة المركزية في المدينة) ارتدّ معهم بنو حنظلة قوم متمّم ومالك ابني نويرة . ووجّه أبو بكر الجيوش لقتال المرتدين ووجّه إلى بني حنظلة خالد بن الوليد . ويبدو أن خالداً كان سيء السياسة فقتل مقتلة عظيمة من بني حنظلة وقتل مالك بن نويرة ثم أحرقه في حديث طويل . وجاء متمّم يطلب من أبي بكر أن يثأر من خالد فلم يمكّنه أبو بكر من ذلك . وأعاد متمّم المحاولة في أيام عمر فلم يمكّنه عمر أيضاً من ذلك ، مع أن عمر كان ناقماً على خالد فِعلَه هذا منذ أيام أبي بكر .

وعاش متمّم بن نويرة مدة بعد عمر بن الخطاب ورثاه ، ولعلّ وفاته كانت نحو سنة ٣٠ ﻫ (٦٥٠ م) .

٢ – متمّم بن نويرة شاعر فحل مقلّ اشتهر بالرثاء وبرثاء أخيه مالك خاصة .

٣ – المختار من شعره

لمتمّم بن نويرة عدد من المراثي البارعة في أخيه مالك أشهرها التي تلي :

---

[1] ما بحت بحبي لك إلى أحد .

[2] تحملت زفرات (تأوهي من ألم الحب) في الضحى (في أول أمري) . ولا أستطيع أن أتحمل في العشي (في أواخر أمري : أواخر عمري) ما كنت قد تحملت مثله من قبل .

لَعَمري ، وما دهري بتأبين مالكٍ ولا جزَعٍ مما أصاب فأوجعا [١] .
لقد كفّن المِنْهالُ تحت ردائــه فتىً غير مِبطانِ العشيّات اروعا [٢] .
لبيباً أعان اللّبَّ مِنهُ سماحةٌ ، خصيباً إذا ما راكب الجدب اوضعا [٣] ،
أغرّ كنَصْلِ السيف يهتزّ للنّدى إذا لم يجد عِنْد امرئ السوء مطمعا [٤] .
فعينيَ ، جودي بالدموع لمـالكٍ اذا أرْدَتِ الريح الكنيف المربعا [٥] .
فتىً كان مِخذاماً إلى الرّوع ركضُــه ، سريعاً إلى الداعي إذا هو فُزّعا [٦] .
وما كان وقّافاً إذا الخيل أحجمَــتْ ولا طائشاً عِندَ اللقاء مُروّعا [٧] .
أبى الصبرَ آياتٌ أراها ، وانّني أرى كل حبل بعد حبلك أقطعا [٨] .
واني متى ما أدعُ باسْمك لا تُجبْ ، وكُنْتَ حَرِيّاً أن تجيب وتَسمعا [٩] .
سقى الله أرضاً حلّها قبرُ مالك ذِهابُ الغوادي المدجنات فامرعا [١٠] .
فوالله ، ما أسقي البلاد لحبها ، ولكنّني أسقي الحبيب المودّعا [١١] .
تحيته مني وإن كان نـائيــاً وأمسى تراباً فوقه الارضُ بَلقعا [١٢] .
فإن تكن الايام فرّقْنَ بينَنَــا لقد بان محموداً اخي يوم ودّعا [١٣] .

---

١ لا أريد تأبين أخي مالك ولا انني جزعت من المصاب الذي أوجعني (؟) .
٢ المنهال : اسم رجل مر بمالك وهو قتيل فخلع ثوبه وألقاه على مالك . غير مبطان العشيات : قليل الطعام في المساء . أروع : جميل .
٣ أضاف إلى حسن عقله كرماً . راكب الجدب : الذي يأتي من بلاد مجدبة . أوضع : أناخ ناقته .
٤ إذا جاءه أحد من بلاد مجدبة وجد عنه ارزاقاً كثيرة ووجده كريماً ، إذا بخل غيره .
٥ إذا قلعت الريح البيت المربع (المبني بالحجارة ؟) – في الشتاء حين يقل الطعام وتكثر الحاجة .
٦ كان سريع الركض إلى الحرب وسريعاً إذا دعاه أحد نزلت به مصيبة .
٧ إذا تراجعت الخيل خوفاً من هول الحرب لم يقف هو بل أقدم . وإذا حارب أحسن اصابة الاعداء ولم تخفه الحرب .
٨ الآيات : العلامات – الذي جعلني آسى (أحزن) عليك علامات من الخير (الشجاعة ، الكرم الخ) كنت أراها فيك وعلمي ان لا ثقة بعدك بأحد .
٩ واني الآن أدعوك فلا تجيب (لأنك ميت) وكان خليقاً بك أن تسمع وتجيب (لأننا نحن لا نزال بحاجة اليك) .
١٠ ذهاب جمع ذهبة : مطرة. السحاب الغوادي : التي تأتي باكراً . مدجنة ، سوداء لكثرة ما فيها من الماء.
١١ أسقي : أطلب السقيا .
١٢ تلك تحيته مني وإن كان قد أصبح بعيداً عني ، وصارت عليه تراب ، وأمست الأرض حوله قاحلة لا شيء فيها .
١٣ لقد مات أخي يوم مات والناس كلهم يمدحونه .

وعشنا بخير في الحياةِ وقبلَنَا أصاب المنَايا رهطَ كِسرى وتُبَّعا [١] .
وكُنّا كندْماني جَذِيمة حِقْبَةً من الدهر حتى قيل لن يتصدعا [٢] ،
فلمّا تفرّقنا كأني ومالكاً لطول اجتماع لم نَبِتْ ليلةً معا .
فتىً كانَ أحيا من فتاةٍ حَيِيّةٍ وأشْجَعَ من ليْثٍ إذا ما تَمنّعا [٣] .
وَحَسْبُكَ أني قدْ جَهِدْتُ فلم أجِدْ بِكَفّيَ عَنْهُ للمَنيّةِ مَدْفَعَا [٤]
وقد غالني ما غالَ قيْساً ومالكاً وعمراً وجَزْءاً بالمُشَقّرِ اجمعا [٥] .
ولو أن ما ألْقَى أصاب مُتالعاً أو الرُّكْنَ من سلمى اذاً لتَضَعْضَعا [٦] .

٤ ** راجع (ديوان مالك بن نويرة في) :

Beiträge zur Kenntniss der Poesie der alten Araber, von Theodor Nöldeke, Hannover 1864. غ ١٥ : ٢٩٨–٣١٢.

الشمّاخ بن ضِرار

١ – الشَمّاخ هو مَعْقِل بن ضِرار بن سِنان بن أمية من بني سعد بن ذُبيان ، وأمه أم أوس [٧] من ولد الخُرْشُب [٨] . وكان له شقيقان : مُزَرِّد وجَزْء ، وكانا شاعرين مجيدين ، الا أن الشمّاخ أفحل منهما وأشهر .

شَهِدَ الشماخُ القادسيةَ ، ثم غزا آذربيجان مع سعيد بن العاص وتوفي في

---

١ رهط كسرى وتبع : أصحاب ملوك فارس وملوك اليمن .
٢ ندمان : نديم . نديما جذيمة الابرش أول ملوك الحيرة كانا مالكاً وعقيلا ابني فارج بن كعب جعلهما جذيمة نديمين له لأنهما ردا عليه ابن أخت له فحكمهما في ما يريدان منه فطلبا أن يكونا نديمين له . ثم قتلهما في حديث طويل .
٣ تمنع : امتنع من العدو ، دافع عن نفسه .
٤ لقد حاولت جهدي أن أرد الموت عنه فلم أقدر .
٥ غالني : أصابني (أي الموت) . المشقر : يوم من أيام العرب ، معركة . أي أصابني في أخي مالك ما أصاب هؤلاء . أجمع : جميعاً . وفي رواية : ألما ، أي ذهب بهم .
٦ متالع : جبل . سلمى : جبل – لو ان الذي أصابني في أخي مالك أصاب جبلي متالع وسلمى لانهدّا كلاهما .
٧ البيان والتبيين ٤ : ٣٤ .
٨ في الشعر والشعراء ١٧٧ – ١٧٨ : « وأم الشماخ من ولد الخرشب . وفاطمة بنت الخرشب هي أم ربيع ابن زياد واخوته العبسيين الذين يقال لهم الكملة ، واسمها معاذة بنت خلف وتكنى أم أوس » .

غزوة مُوقان ، في خلافة عثمان بن عفان ، بعد سنة ٣٠ هـ (٦٥١ م) .

٢ – الشماخ شاعر مخضرم « شديد مُتون الشعر أشدّ (في) أسرِ الكلام من لَبيدٍ ، وفيه كَزازة [١] ؛ ولَبيد أسهل منه منطقاً » . والشماخ أشهر الشعراء في وصف الحُمُر ، ومن أشهرهم في وصف القوس . وله مديح بارع ورثاء وفخر وحماسة وغزل وحكمة . وللشماخ رَجَز وقَصيد ، وهو أرجز الناس على البديهة [٢] .

٣ – المختار من شعره

– لقي الشماخ عَرابة بن أوس الانصاري في المدينة ، فأكرمه عرابة وأنزله عنده ثم أوقر له بعيرين كانا معه تمراً وقمحاً ، فقال الشماخ يمدحه مديحَ شكر :

رأيتُ عَرابةَ الاوسي يسمو ... إلى الخَيْرات منقطعَ القرينِ .
إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجدٍ ... تلقّاها عَرابةُ باليمينِ !

– وله في الغزل :

فقلتُ : خليليّ ، انظُرا اليوم نَظْرَةً ... لعهد الصبا إذ كنت لست أُفيقُ ،
إلى بَقَرٍ [٣] فيهنّ للعين منظرٌ ... ومَلْهىً لمنْ يَلْهو بهنّ أنيق .
رَعَيْنَ النّدى ، حتى إذا وَقَدَ الحصى ... ولم يَبْقَ من نَوْءِ السماك بروق [٤] ،
تصدّع شَعْب الحيّ وانشقّتِ العصا ؛ ... كذاك النّوى بين الخليط شُقوق [٥] .

– وله في الفخر والحماسة :

وأشعثَ قَدْ قَدّ السِفارُ قميصَه ... وجرّ شِواءً بالعصا غيرَ مُنْضَج [٦] .

---

١ كزازة : عسر وانقباض ويبس (كثير الايجاز والصلابة في التعبير) .
٢ راجع في ذلك كله طبقات الشعراء ٢٩ ؛ الشعر والشعراء ١٧٨ ؛ راجع ٥٣ ، ٨٤ ، ١٠٢ .
٣ بقر الوحش : نوع من الغزلان (كناية عن النساء الجميلات) .
٤ رعين الندى : رعين العشب الطري (النابت بعد الندى) . وقد الحصى : اشتد حره . السماك : برج في السماء . لم يبق من برق السماك بروق : انقضى زمن المطر (جاء الصيف) .
٥ تصدع شعب الحي وانشقت العصا : نفرق أهل البيت الواحد أوأهل المجتمع الواحد . النوى بين الخليط شقوق : البعد ينسي بعض الناس بعضاً (ولو كانوا في الأصل خليطاً : يسكنون معاً) .
٦ أشعث : مغبر متلبد الشعر ، رث الهيئة . السفار : السفر . الشواء : اللحم المشوي . غير منضج : غير ناضح (لا ينتظر الطعام حتى ينضج) . – يصف رجلا يخدم رفاقه تفضلا لا حاجة إلى أجر .

دَعَوْتُ إلى ما نابني فأجابني كريمٌ من الفِتْيانِ غيرَ مُزَلَّجِ [1].
فتىً يملأ الشيزى ويُروي سِنانَه ويَضْرِب في رأس الكَمِيِّ المُدَجَّجِ [2]
فتىً ليس بالراضي بأدنى معيشةٍ ، ولا في بيوت الحيّ بالمُتَوَلِّجِ [3].

٤ — ديوان الشماخ بن ضرار (الشنقيطي) ، مصر (السعادة) ١٣٢٧ هـ .

** الاغاني ٩ : ١٥٨ — ١٧٩ ؛ بروكلمان ١ : ٣٧ ، الملحق ١ : ٧١ .

سحيم عبد بني الحسحاس

١ — كان سُحيم عبداً حبشياً أو نوبيّاً مغلّظاً قبيحاً . وتدل براعة سحيم في الشعر على أنه نشأ في الحجاز ، وإن كان لا يستطيع أن يؤدي عدداً من الحروف أداءها العربي : فقد لزمته اللُّكنة فكان يلفظ السين شيناً والطاء تاء .

ولما اشترى عبد الله بن أبي ربيعة (والد عمر بن أبي ربيعة الشاعر المشهور) سحيماً ، كان سحيم يقول الشعر . وأراد عبد الله أن يهبه لعثمان بن عفّان ، وكتب له بذلك . فكتب عثمان إلى عبد الله : « لا حاجة بنا اليه فارددْه ، فانما حظ أهل العبد الشاعر منه إذا شبع أن يشبّب بنسائهم ، وإذا جاع أن يهجوَهم . ويبدو أن عبد الله قد باعه إلى شخص يدعي مالكاً . ثم ان مالكاً ، فيما يقال باعه لبني الحسحاس ، وهم من بني أسد بن خُزيمة .

ولا ريب في أن سحيماً كان في ذلك الحين مسنّاً ، فهو شاعر مخضرم ، كان قد أدرك الجاهلية ثم أدرك عثمان بن عفّان (٢٣ — ٣٥ هـ = ٦٤٤ — ٦٥٦ م) ، وقُتِلَ في أيامه في الاغلب ، قتله بنو الحسحاس . ذكروا أن سحيماً قال :

ولقد تحدّر من كريمة بعضهم عرق على جنب الفراش وطيب ،

فأدركتهم الغَيرة ، فأخذوه مرة شارباً ثملاً (طبقات الشعراء ٤٤) ، ثم عرضوا

---

١ الفتى : السيد الشجاع . المزلج : الناقص ، البخيل .

٢ يملأ الشيزى (الوعاء الكبير) ، كناية عن الغنى والكرم . يروى سنانه : (يكثر الطعن بالرمح) . الكمي : البطل . المدجج : الكامل السلاح .

٣ ولا في بيوت الحي بالمتولج : لا يدخل إلى بيوت الناس سراً ومكراً (كناية عن عفته) .

عليه نسوة ، حتى إذا مرت عليه التي كانوا يرمونه بها أشار لها بيده – فلزمته الحجّة – فقتلوه نحو سنة ٤٠ ﻫ (٦٦٠ م) .

٢ – سُحيم شاعر محسن حلو الشعر رقيق حواشي الكلام ، وأكثر شعره الغزل ، وغزله فاحش . ولسحيم شيء من الفخر والحماسة وشيء من الوصف للمطر . وله أيضاً شيء من الأدب (الحكمة) يكثر فيه ذكر الموت . وفي عدد من ألفاظ سحيم وتراكيبه خصائص شبه محدثة تجعلها قريبة الشبه بشعر عمر بن أبي ربيعة .

٣ – المختار من شعره

– كان سحيم يحب امرأة من أشراف بني تميم بن مُرّ اسمها غالية فقال فيها القصيدة التالية يُكني فيها عنها باسم « عُميرة » . هذه القصيدة أطول قصائد سحيم وأشهرها :

عُميرةَ ودّعْ ان تجهّزتَ غاديا ، . كفى الشيبُ والاسلام للمرء هاديا .
ليالي تصطاد القلوب بفاحمٍ تراه أثيثاً ناعمَ النبْت عافيا [1] ،
وجيد كجيد الرِيم ليس بعاطلٍ ، من الدرّ والياقوت والشذْر حاليا [2] .
كأنّ الثُرَيّا عُلّقتْ فوق نَحرْها وجمر الغَضى هبّت له الريح ذاكيا [3] .
ومن يَكُ لا يبقى على النأيِ ودّهُ فقد زوّدتْ زاداً عميرةُ باقيا .
ألِكْني اليها – عمرُكَ اللهَ – يا فتى ، بآيةِ ما جاءت الينا تَهادِيا [4] ،
وبِتْنا وِسادانا إلى علَجانَةٍ وحِقْفٍ تهَاداه الرياحُ تَهادِيا [5] .
تُوَسّدني كفّاً ، وتَثْني بمِعْصَمٍ عليّ ، وتحوي رِجلها من ورائيا .

١ الفاحم : (الشعر) الأسود . الأثيث : الكثير ، الكث . العافي : الكثير .
٢ الجيد : العنق . الريم ، الرئم : الغزال الأبيض . عاطل : غير مزين بحلي . الشذر : خرز من فضة أو قطع من الذهب صغيرة تسلك في العقد بين اللؤلؤة واللؤلؤة . حال : مزين .
٣ الغضى : حطب جزل تدوم النار فيه طويلا . ذاك : ذو رائحة طيبة .
٤ ألكني : أحمل مني رسالة . بآية : بعلامة . تهادياً (مصدر) : التمايل في المشي . تهاديا (فعل) : تهادى، تتهادى : تميل في مشيها (؟) أو تهاديا (مصدر « تتهادي تهادياً ») .
٥ بتنا وسادانا : قضينا الليل على وسادتين : علجانة (شجرة ...) وحقف (قطعة من الرمل مستديرة الشكل). تهاداه الرياح تهادياً : تحركه الريح من مكان إلى آخر .

وهبّتْ لنا ريحُ الشَمال بقُرّة ، ولا ثوبَ إلا بردُها وردائيا [1] .
فما زال بُردي طيّباً من ثيابها إلى الحَوْلِ حتّى أنْهجَ البُرْدُ باليا [2] .

٤ – ديوان سحيم عبد بني الحسحاس (ميمني) القاهرة (دار الكتب) ١٩٥٠م .
** بروكلمان ١ : ٣٧ ، الملحق ١: ٧١–٧٢ .

عليّ بن أبي طالب

١ – وُلِدَ عليّ بن أبي طالب عام ٢٣ ق. ه. (٦٠٠ م) . وبما أن أباطالب أصبح ، في آخر أيامه كثير العيال ضيّق الرزق ، فقد كفل كلُّ أخ من اخوته أحدَ أبنائه . أما محمدٌ عليه السلام ، ابن أخي أبي طالب ، فقد ضمّ اليه علياً .

وصدع الرسول بالدعوة عام ٦١٠ م فكان عليّ من أوائل الذين استجابوا لدعوته . وأصبح عليّ مكيناً عند الرسول فزوّجه ابنته فاطمة وأصبح يعتمد عليه في أمور كثيرة : ففي يوم هِجرة الرسول إلى المدينة تخلّف علي في مكة ليرد الودائع التي كانت للمكيين عند رسول الله . وفي المدينة كان علي يسير مع الرسول في غزواته فيُبلي فيها البلاء الحسن ، أو يَخْلُفُ الرسولَ على المدينة في أثناء غياب الرسول عنها .

ولما توفّي الرسول (١١ ه = ٦٣٢ م) طمع علي ، بما له من السابقة في الاسلام ، ومن المكانة عند الرسول ، بالخلافة ولكن لم يصل اليها إلاّ بعد أن وليها أبو بكر وعمر وعثمان ، وقد كان علي يعتقد أن الخلفاء الثلاثة قد حالوا بينه وبين الخلافة مدة طويلة . على أنه كان في أثناء ذلك كله مثال الرجل النبيل الذي لم تَغلِب رغبته السياسية واجبَه في خدمة الاسلام والمسلمين .

ولما قتل عثمان ، في ١٨ ذي الحجة من سنة ٣٥ (١٨–٦–٦٥٦ م)، واضطرّ علي إلى قَبول الخلافة كانت الاحوال مضطربة جداً . وأراد علي أن يسير بالحزم والعدل ، ولكن عصيان معاوية عليه وإلحاح العثمانية بالاقتصاص من قتلة عثمان (والمطالبون بدم عثمان هم الذين كانوا قد قتلوا عثمان أو حضّوا على قتله) شغلاه عما يريد . وبتأثير ذلك توقفت الفتوح أيضاً .

---

١ القرة : البرد . – وليس علينا إلا ثوبها وثوبي .
٢ – ظلت رائحة ثوبي طيبة من لبس ثوبها حولا (عاماً كاملا) إلى أن تهرأ ثوبي .

ثم نَشِبَ القتال بين علي وبين خصومه : أثارت عليه عائشة بنت أبي بكر وزوج الرسول صلى الله عليه وسلّم حرب الجمل ، بتحريض معاوية وبتأييد طلحة والزبير – وقد كانا يطلبان الخلافة – فانتصر عليٌ عليهم في جُمادي الآخرة من سنة ٣٦ ه (كانون الأول ٦٥٦ م) .

ثم تصدّى معاوية لعليّ فنشبت بينهما المعارك في صفّين (قرب الانبار على الفرات من الجانب الشمالي الغربي من العراق) . وكثر القتلى في جيش الإمام عليّ من غير أن تنجلي المعارك عن نصر حاسم لأحد الفريقين . ورفع جيش معاوية المصاحف على رؤوس الرماح يطلبون التحكيم إلى كتاب الله . وأدرك عليّ أن ذلك كان خدعة ، ولكن أتباعه الذين كانوا قد سئموا القتال أصروا على الاستجابة لدعوة التحكيم . وعيّن معاوية حكماً من أتباعه هو عمرو بن العاص أحد دُهاة العرب ، وأراد عليّ أن يجعل عبد الله بن عباس حكماً في ذلك الخلاف . ولكن أتباع عليّ أرادوا رجلاً ليّناً يشتري لهم الصلح مهما كان الثمن فأصروا على أبي موسى الاشعري . واتفق الحكمان على تأجيل التحكيم عاماً ريثما تهدأ ثائرة القوم وينسى الناس قتلاهم .

وفي رمضان من سنة ٣٧ ه (شباط ٦٥٨ م) اجتمع أبو موسى وعمرو بن العاص في اذرح في شرقي الشام (سورية) واتفقا فيما بينهما على أن يخلعا عليّاً ومعاوية ويتركا الأمر للمسلمين يولّون على أنفسهم من شاءوا . وصَعِد أبو موسى منبراً واعلن خلع عليّ ومعاوية . ثم صعد عمرو وأعلن أنه يخلع عليّاً كما خلعه أبو موسى ويثبت معاوية . وارتحل عمرو حالاً بمن معه إلى دمشق فنصَب معاوية نفسه في دمشق خليفة . فانقسم العالم الاسلامي بذلك بين خليفتين : الإمام عليّ في الشرق (في شبه جزيرة العرب والعراق وفارس) ومعاوية في الغرب (الشام ومصر) .

وسئم قسم من أتباع علي هذا النزاع فخرجوا من صفوفه فأصبحَ اسمُهم « الخوارج » . ثم ان نفراً من هؤلاء الخوارج هم البرُك بن عبد الله التميمي وعمرو بن بكر التميمي وعبد الرحمن بن مُلجم المرادي اتفقوا على أن يقتُلوا معاوية وعمرو بن العاص وعلياً ؛ فنجا معاوية وعمرو ، واستطاع عبد الرحمن ابن ملجم أن يقتل علياً في ١٧ رمضان من سنة ٤٠ ه (٢٤–١٢–٦٦١ م) .

٢ – كان عليّ بنُ أبي طالبٍ خطيباً وشاعراً مجوِّداً (العمدة ١ : ٢١) وحكيماً. قال أبو زيدٍ القُرَشِيّ [١] « ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله إلا وقد قال الشعر ، ... قال علي بن أبي طالب عليه السلام :

الا طَرَقَ الناعي بليلٍ فراعني وأرّقني لما استقرّ مُناديا » .

للإمام علي ديوان متداوَلٌ فيه نحو ألف وأربعمائةِ بيت أكثرها لا ينطق عن بلاغة عُرِفَ بها علي بن أبي طالب. ووجْهُ الصواب أن يقال إن علياً كان مقتدراً على قول الشعر ، ولكن الذي وصل الينا من الشعر المنسوب اليه منحول أكثره .

على أن الذي لا ريب فيه أن علياً كان خطيباً قديراً ومن مشاهير الخطباء ، تدل على ذلك خطبه المتفرقة في كتب الأدب وخطبه المجموعة في « نهج البلاغة » .

وخطب علي بن أبي طالب قصارٌ في الاكثر ، موجزة ، **قصيرة** الجمل ، متينة التركيب ، جامعة لأوجه البلاغة ، واضحة المقاصد ، تكثر فيها الكَلِمُ الجوامع (الحكم) . ومعظم خطبه في السياسة وفي ذم العامة من أتباعه ، وأقلّها في الزهد .

أما الحكم التي تتخلل خطب الإمام علي فهي بارعة جداً . وحسبك في ذلك قول الجاحظ [٢] :

« قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : **قيمة كلّ انسان ما يُحسن** [٣] . فلو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها كافية شافية ، مُجزِئَةً ومُغْنِيَةً ، بل لوجدناها فاضلة على الكفاية وغير مُقَصِّرة عن الغاية » .

٤ – المختار من خطبه وحكمه

– **الجهاد** : أغار سفيان بن عوفٍ الازدي الغامدي على مدينة الانبار زمان علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ، وعلى الانبار يومذاك اشرس بن حسان [٤] البكري . وقد استطاع سفيان أن يقتل اشرس وان يرد خيل علي بن ابي طالب عن المسلحة (المكان الذي يرابط فيه الجند عند مركز حربي) . حينئذ خطب

---

١ جمهرة اشعار العرب ١٩ ؛ راجع أيضاً العمدة ١ : ١

١ البيان والتبيين ١ : ٨٣ .

٢ راجع أيضاً الصناعتين القاهرة (دار احياء الكتب العربية ١٣٧١هـ = ١٩٥٢م) ٢٣٢ .

٣ في الخطبة : حسان بن حسان .

الامام عليٌّ خطبته التالية :

أمّا بعدُ ، فإنّ الجهادَ بابٌ من أبواب الجنة فتحه اللهُ لخاصّة أوليائه . وهو لباس التقوى ودرعُ الله الحصينة وجُنّته الوثيقة ؛ فمن تركه رَغبةً عنه ألبسه الله ثوب الذل وشَمِله البلاء [1] ، وسيمَ الخَسْفَ ومُنِعَ النَّصَفَ [2] .

إلا وإني قد دعوتُكم إلى قتال هؤلاء القوم [3] ليلاً ونهاراً ، وسراً واعلاناً وقلت لكم : « اغزُوهم قبل أن يغزوكم » . فوالله ، ما غُزيَ قومٌ في عُقرِ دارهم إلا ذَلّوا . فتواكلتم وتخاذلتم حتى شُنّتِ الغارات عليكم ومُلِكَت عليكمُ الاوطان . وهذا أخو غامد وقد وَرَدَتْ خيلُه الانبار ، وقد قَتَلَ حسانَ بنَ حسان البَكريّ ، وأزال خَيْلَكم عن مَسالحها [4] .

فيا عجباً : واللهِ ، يُميت القلبَ وَيجلبُ الهمَّ اجتماعُ هؤلاء القوم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم . فقبحاً لكم وترَحاً [5] حين صِرتم غرضاً يُرمى [6] : يُغارُ عليكم ولا تُغيرون ، وتُغزَوْنَ ولا تَغزُونَ ، ويُعصى الله وتَرضَوْنَ . فإذا أمرْتكم بالسير اليهم في الصيف قلتم هذه حَمارّة القيظ ، أمْهِلنا حتى يَنسَبِخَ عنا الحر [7] . وإذا أمرتكم بالسير اليهم في الشتاء قلتم هذه صَبارّة القُرّ [8] ، أمْهِلنا حتى يَنْسَلِخَ عنا البردُ . كل هذا فِراراً من الحر والقَرّ . فأنتم ، واللهِ ، من السَّيْفِ أفَرّ .

يا أشباهَ الرجالِ ولا رجالَ . حلومُ الأطفال ، وعقولُ ربّاتِ الحجال [9] . لَوَدِدتُ أني لم أرَكم ولم أعرِفْكم . معرفةٌ ، واللهِ ، جرّت نَدَماً ، وأعقبت سَدَماً [10] . قاتلكم اللهُ ، لقد شحنتم صدري غيظاً ، وأفسدتم عليّ رأيي

---

١ الجنة (بضم الجيم) : الوقاية ، الستر . شمله البلاء : عمته المصائب .
٢ النصف : الانصاف . الخسف : الذل .
٣ أهل الشام أتباع معاوية .
٤ أخو غامد : سفيان بن عوف أرسله معاوية لشن الغارات على أطراف العراق .
٥ الترح : الحزن . الغرض : الهدف ، أي تصيبكم المصائب .
٦ هدفاً للهجمات والاعتداء .
٧ حمارة القيظ : أشده . يسبخ : يخف .
٨ صبارة القر : شدة البرد . الاصل في القر أن تكون مضمومة ولكنها فتحت هنا اتباعاً للفظة الحر .
٩ حلوم : عقول . ربات الحجال : النساء .
١٠ السدم : الاسف .

بالعِصيان والخِذلان ، حتى قالت قُرَيْشُ : إنّ ابن ابي طالب رجلٌ شجاع ، ولكن لا علمَ له بالحرب . لله أبوهم ! وهل أحدٌ منهُمْ أشدّ لها مِراساً [1] ، وأقدم فيهَا مُقاماً مني ؟ لقد نَهَضْتُ فيهَا وما بَلَغْتُ العِشرين ، وها أنا قد ذَرّفت على الستين [2] ، ولكن لا رَأيَ لمن لا يُطاع .

— سمع عليٌّ قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام أيامَ حربهم بصفين ، فخطب فيهم وقال :

إني أكرهُ لكم أن تكونوا سبّابين . ولكنكم لو وصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوبَ في القول وأبلغَ في العُذْر [3] ، ثم قلتم مكان سبّكم إياهم : اللهمّ احْقُنْ دِماءَنا ودماءهم [4] ، وأصْلِحْ ذاتَ بينِنا وبينِهم [5] واهْدِهم من ضَلالتِهم حتى يعرفَ الحق مَنْ جَهِلَهُ ويرعويَ عن الغي والعُدوان من لَهِجَ به [6] .

— كان الخوارج يتنادَون للاجتماع بقولهم : « لا حكم إلا لله » . وكانوا يقصِدون بهذا النداء ان يضعفوا مركز الإمام عليّ ، إذ يَعنون ان لا سلطة للإمام علي عليهم لأن السلطة الحقيقية هي لله . ففي يوم من الأيام سمع الإمام علي الخوارج يحكّمون (يقولون : لا حكم إلا لله) فقال :

كلمةُ حقّ يُرادُ بها الباطل .! نعم ، إنه لا حُكْمَ إلاّ لله ، ولكن هؤلاء يقولون : لا إمرة إلاّ لله . وانه لا بُدّ للناس من أميرٍ برّ أو فاجر ، يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ، ويُبَلّغُ الله فيها الأجَل ، ويُجْمَعُ به الفَيْءُ ، ويُقاتل به العدو ، وتَأمَنُ به السُبُل ، ويُؤخذ به للضعيف من القويّ حتى يستريحَ برّ ويُستراح من فاجر .

— ومن حكمه

من كتاب الصناعتين : قيمةُ كل امْرِئٍ ما يُحْسِنُهُ (ص ٢٣٢) ، لولا

١ المراس : المعاناة . والتمرين .
٢ زادت سني على الستين .
٣ لو وصفتم أعمالهم فقط لبان تقصيرهم وعارهم . ولعذركم الناس .
٤ حقن الدم : حبسه . انقذ صاحبه من القتل .
٥ أصلح ما بيننا وبينهم .
٦ ارعوى : رجع . الغي : الضلال . لهج بالشيء : أولع به ، أكثر الكلام فيه .

أنّ الكلام يعاد لَنَفِدَ (ص ١٩٦) ، السفر ميزان القوم (ص ٢٧٧) ، كل شيء يَعِزّ حين يَنْزُرُ (يقلّ) ، والعلم يعز حين يَغْزُرُ (ص ٣٣١) .

— حقّ وباطل ولكلٍّ أهلٌ — ان رُواةَ العلم كثيرٌ ورُعاتَهُ قليل — خاطبوا الناس على قَدْرِ عقولهم — من صارع الحقّ صرعه (الحقُ) — يوم المظلوم على الظالم أشدّ من يوم الظالم على المظلوم — الناس أعداءُ ما جَهِلوا — المرء مَخْبُوءٌ تحت لسانه — رأي الشيخ أحبّ إليّ من جَلَدِ الغُلام — اياكم والفُرْقة فان الشاذّ من الناس للشيطان كما أن الشاذّ من الغنم للذئب .

ومن حكمه أيضاً : البخيل خازن لورثته — اللسان تَرْجُمان العمقل — المصيبة واحدة ، فاذا جَزِعْتَ [1] كانتِ اثْنتين — الناس ثلاثة : عالم رَباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وهَمَجٌ رُعاعٌ أتباع كل ناعق لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق — إياك ومودةَ الاحمق فانه يضرّك من حيث يرى أنه ينفعُك ، ويسوءُك وهو يرى أنه يسرّك — أفضل الجِهاد مُجاهدةُ الرجل نفسَه — آفة العلم تَرْكُ العمل به — خير المواهب العقل — رب كلمة سلبت نعمة — عَودُك إلى الحق خير من تماديك في الباطل — من سلّ سيف العُدوان قُتِل به .

٤ — ان الطبعات من نهج البلاغة ومن ديوان علي بن أبي طالب كثيرة :

نهج البلاغة ... جمع الشريف الرضي ، ومعه شرح ابن ابي الحديد ، القاهرة (البابي) ١٣٢٩ ه .

نهج البلاغة ... شرح الشيخ محمد عبده ، القاهرة .

نهج البلاغة ... شرح الشيخ محمد عبده (محمد محيي الدين عبد الحميد) ، القاهرة (التجارية) بلا تاريخ .

ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ، بيروت (الاهليـة) ١٣٢٧ ه .

ديوان سيدنا علي بن أبي طالب ، بولاق ١٣٥١ ه .

ديوان أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (محسن الامين) ، دمشق ١٩٤٧ م .

ديوان علي بن ابي طالب ، مصر (المطبعة العلمية) ١٣١١ ثم ١٣١٢ .

---

١ الجزع هو الحزن مع الجبن عن احتمال المصيبة وعن الثبات في المآزق .

** ترجمة علي بن أبي طالب ، تأليف أحمد زكي صفوت ، القاهرة ١٩٣٢م
غرر الحكم ودرر الكلم .... من كلام ....: الإمام علي بن أبي طالب ، جمعه عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد الآمدي التميمي ، صيدا ١٣٤٩ هـ = ١٩٣٠ م .
نهج البلاغة ، تأليف عمر فروخ ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٣٧٢ هـ ، ١٩٥٣ م .
دراسات في نهج البلاغة ، تأليف محمد المهدي شمس الدين ، النجف (مكتبة الامين) ١٩٥٦م .
علي بن أبي طالب : شعره وحكمه ، تأليف أحمد تيمور ، القاهرة ١٩٥٨ م .

قيس بن عمرو النجاشيّ الحارثيّ

١ – هو قيس بن عمرو بن مالك من بني الحارث بن كعب ، وُلد في نجران اليمن وفيها نشأ ، وقد لُقّب بالنجاشي لأن لونه كان يشبه لون الحبشة .

نشأ النجاشي رقيق الدين فاسقاً هجّاء ، هاجى عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت وهو لا يزال في اليمن . ثم إنه جاء إلى الحجاز ، في خلافة عمر ، فلَقِيَ عبد الرحمن بن حسان في ذي المَجاز ثم في مكة وهاجاه طويلاً ، ولكن عبد الرحمن غلبه في الهجاء . وتعرض النجاشي بالهجاء لبني العَجلان ، وشاعرهم يومذاك تَميم بن أُبَيّ بن مُقبل العَجلانيّ ، فأفحش في هجائهم . « فهدّده عمر وقال له : ان عُدتّ (إلى الهجاء) قطعت لسانك »[1] .

وكان النجاشي ، في خلافة عليّ ، يسكن الكوفة فأُخذ مرة وهو سكرانُ في

---
[1] الشعر والشعراء ١٨٩ .

رمضان فجلده عليّ ثمانين جلدة [1] ثم زاده عشرين لجرأته على حدود الله في شهر رمضان . على أن هذا لم يمنع النجاشي من أن يظل من أشياع الإمام علي [2] وأن يرافقه إلى صفين بشعره . وأدرك النجاشي مقتل الحسين بن عليّ (٦٠ هـ = ٦٨١ م) ، ثم عاد بعد ذلك إلى لَحج في اليمن وتوفّي هنالك بعد أمد يسير .

٢ – النجاشي شاعر مخضرم هجّاء خبيث اللسان ، ولكنّ له شيئاً من المدح والطرد . وشعره سهل عذب له ديباجة .

٣ – المختار من شعره

– قال النجاشي يمدح عليّاً ويعرّض بمعاوية :

يا أيّها الملكُ المُبدي عداوتَه ، ... روِّئْ لنفسك أيَّ الأمر تأتمرُ [3] .
وما شَعَرت بما أضمرتَ من حنق ... حتّى أتتني به الاخبار والنُذُر .
فان نَفِسْتَ على الاقوام مجدَهم ، ... فابسُطْ يديك فان الخير يُبْتَدر [4] .
واعلم بأن عليّ الخيرَ من نفر ... شُمِّ العرانين لا يعلوهمُ بشر .
نِعْمَ الفتى أنت ، الاّ أن بينكما ... كما تفاضل ضوء الشمس والقمر .
وما إخالُكَ الاّ لست مُنْتَهياً ... حتّى يَمسّك من أظفاره ظُفُر [5] .
إنّي امرؤ قلّ ما أُثْني على أحد ... حتّى أرى بعضَ ما يأتي وما يَذَر [6] .
لا تَمدَحنّ امرأً حتّى تجرّبَه ، ... ولا تذمّنّ ما لم يَبْلُه الخَبَر [7] .

---

١ حد الخمر محمول على حد قذف المحصنات ؛ وحد قذف المحصنات ثمانون جلدة (سورة النور ، ٢٤ : ٤) .

٢ جاء في الاصابة ، رقم ٧٣٠١ و ٨٨٥٤ ، أن النجاشي هرب بعد هذه الحادثة إلى معاوية وهجا علياً . (راجع أيضاً حاشية عبد السلام محمد هرون في البيان والتبيين ١ : ٢٣٩ – ٢٤٠ ح ٥) .

٣ روِّئْ لنفسك : فكر طويلا : أي الأمر تأتمر : تعزم عليه .

٤ نفس على فلان أمره : حسده عليه ، ظنه غير جدير به . الخير يبتدر : أفضل الناس من سبق إلى فعل الخير .

٥ لست منتهياً : لا تترك (عداوتك للاخرين) . مسك ظفر : أصابك شر .

٦ يذر : يترك (لا ماضي لها من لفظها) .

٧ ما لم يبله (يختبره) الخبر : ما لم يصدق اختبارك له ما سمعته عنه .

– وقال يمدح هند بن عاصم السلولي :

إذا الله حيّـا صالحـاً من عباده كريماً ، فحيّا اللهُ هندَ بن عاصم !
وكلُّ سلوليّ ، إذا مـا لقيتَه ، سريـع إلى داعي النّدى والمكارم .

– وقال في هجاء بني العجلان ، وهي الابيات التي هدّد عمرُ بن الخطاب النجاشيَّ من أجلها بقطع لسانه (والهجاء فيها جاهلي المَنْحى يرى الشرف في الظلم والسبق إلى الماء الخ) :

إذا الله عادى أهلَ لؤم ورقّة ، فعادَى بني العجلان رهطَ ابنِ مُقبل[1] :
قُبَيّلة لا يَغْـدُرونَ بذمّـة ولا يظلمون النـاس حَبّةَ خَرْدل .
ولا يَرِدون المـاء إلا عشيّةً ، إذا صدر الوُرّاد عن كل مَنْهل .
تَعاف الكلاب الضارياتُ لحومَهم وتأكل من كعب وعَوف ونَهشل[2] .
وما سُمّي العجلانُ إلاّ لقولهم : خذِ القَعب واحلُب ، أيها العبدُ ، واعجَلِ[3] .

** بروكمان ، الملحق ۱ : ۷۳ .

أبو الطمحان القيني

۱ – هو أبو الطَمَحان حنظلة بن الشَرقيّ أحد بني القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله من قُضاعة .

كان أبو الطَمَحان القيني فارساً صُعلوكاً لصّاً كثير الغارات والمخاطرة بنفسه ، وكان فاسد الدين في الجاهلية والاسلام . وهو تِرْبٌ للزبير بن عبد المطّلب نزل عليه في الجاهلية في مكّة مدة طويلة ونادمه .

واتّفق أن كان ابو الطَمَحان مرة مجاوراً في بني جَديلة من طيّء ، فوقعت بين بني جديلة هؤلاء وبين أقاربهم بني الغَوْث حرب عُرفت بحرب الفساد أو أيام الفساد لِما كان بين الفريقين في أثنائها من القسوة . وأُسِرَ أبو الطمحان في هذه الحرب . فقال أبو الطمحان في أسره قصيدة يمدح بها بُجيرَ بن أوسِ بن

---

۱ الرقة : الفقر .
۲ عاف يعاف : ترك . الضاري : الوحش الجائع . الكلاب الجائعة تأنف من أن تقرب لحومهم (لنتن تلك اللحوم ، كناية عن ذلتهم) .
۳ القعب : اناء ضخم يحلب فيه اللبن الحليب .

حارثة بن لأم الطائي فاشتراه بجير ثم أطلقه بعد ذلك فمدحه أبو الطمحان بعدد من القصائد .

وجنى أبو الطمحان مرّة جناية فطلبه السلطان (الدولة) ففرّ ثم لجأ إلى مالك ابن سعد أحد بني شُميخ من بني فَزارة فأجاره مالك وآواه وأكرمه . وقد بقي ابو الطمحان إلى أن مات عند مالك بعد أن أسنّ كثيراً .

٢ – كان ابو الطمحان القيني شاعراً مخضرماً مطبوعاً فصيح الالفاظ متين التّركيب بَدْوِيّ النفَس . وله ديوان لم يصل الينا منه إلا شيء يسير . أما فنونه فهي المديح والحماسة ، وله شيء من الحكمة .

٣ – المختار من شعره

– اشترى بُجير بن أوس أبا الطمحان واحتجزه مدّة . ثم ان ابا الطمحان مدح بجيراً ، فجزّ بجير ناصية أبي الطمحان وأطلقه . وأول تلك القصيدة :

إذا قيل : أيّ الناسِ خيرٌ قبيلةً … وأصبرُ يوماً لا تُوارى كواكبُه [١] !

فان بني لأمِ بن عمرٍو أرُومـةٌ … علت فوق صَعبٍ لا تُنال مَراقبه [٢] .

أضاءت لهم أحسابُهم ووجوههم … دُجى الليل حتّى نظّم الجَزْعَ ثاقبه [٣] .

لهم مجلسٌ لا يَحْصَرون عن الندى … إذا مَطلبُ المعروف أجدب راكبه [٤] .

– وقال في الموت :

ألا علّلاني قبل نَوْح النوائـــحِ … وقبل ارتقاء النفسِ فوقَ الجوانح ،

وقبل غدٍ ، يا لهفَ نفسي على غـدٍ – … إذا راح أصحابي ولستُ برائح [٥] :

---

١ يوماً : في يوم الحرب . لا توارى كواكبه : ينعقد غبار الحرب في الجو حتى يخفى نور الشمس وتظلم الدنيا فتعود النجوم إلى الظهور (الصورة بلاغية فقط ولا صلة لها بالناحية الفلكية) .

٢ الارومة : الأصل . المرقب : المكان المرتفع الذي يشرف الانسان منه على ما حوله . الصعب : المكان الذي يصعب الارتقاء اليه .

٣ نظم الجزع (الخرز) كناية عن شدة النور حتى يستطيع الانسان أن يسلك الخرز بالخيط في الليل المظلم .

٤ لهم مجلس (مشرع لجميع الناس) . لا يحصرون : لا يبخلون . إذا مطلب المعروف أجدب راكبه : إذا سعى أحد إلى المكان المعروف بالكرم ثم أجدب (لم ينل شيئاً) .

٥ .... وقبل خروج النفس من الجسد . – إذا راح (رجع أصحابي عشية بعد أن دفنوني) . ولست برائح : أما أنا فلا أستطيع أن أرجع حينئذ .

إذا راح أصحابي تَفيضُ دموعُهم وغُودِرْتُ في لَحْدٍ عليّ صَفائحي [1] .
يقولون : « هل أصلحتمُ لأخيكمُ » ؟ وما اللحدُ في الأرض الفضاءِ بصالح ! [2] .
** الاغاني ١٣ : ٣–١٤ .

الخنساء

١ – هي تُماضِر بنت عمرِو الشَّريد من بني سُليم ، والخنساء لقب لها . وكان بنو سُليم يسكنون ما بين شَماليّ الحجاز ونجد . وقد خطبها دُرَيْد بن الصِمّة ، وكان شيخاً كبيراً فردتّه إذ آثرت ان تتزوج في قومها . وقد تزوّجت رَواحة بن عبد العُزّى السُلمي فولدت له عبد الله ، ثم خلف عليها مِرداس بن أبي عامر السلمي فولدت له زيداً ومعاوية وعمراً .

ثم قتل أخواها معاوية وصخر ، في الجاهلية : كان معاوية شقيقها وقد قتله هاشم وزيد المرّيّان ، وكان صخر أخاها لأبيها طعنه أبو ثور الاسدي ، فاحتمل الطعنة عاماً ثم توفّي متأثراً بها فحزنت عليهما حزناً شديداً وأخذت برثائهما وبالبكاء عليهما حتى عَميَتْ . وسبب حزنها الشديد على أخيها صخر خاصة أنها كانت قد تزوجت رجلاً كريماً مسرفاً فأتلف ماله . فجاءت الخنساء إلى أخيها صخرٍ تشكو له ذلك فقاسمها مالَه . وعاد زوجها فانفق ما جلبته من أخيها . فعادت إلى أخيها مرتين أخْرَيَيْنِ فقاسمها في كل مرة منهما ما كان قد بقي معه في كل مرة .

ولما جاء الاسلام وَفَدَت الخنساء على الرسول مع قومها وأنشدته من شعرها وأسلمت بين يديه هي وقومُها . ولم تترك الخنساء الحزن على أخويها ورثاءَهما على الرُغم مما خوطبت به في ذلك . ولما وفدت على عمر بن الخطاب في المدينة – وكان لها من العمر خمسون عاماً – قال لها عمر ، وقد رأى شدة حزنها على أخويها : لماذا تَحزَنين عليهما وهما في النار ؟ فقالت له : ذلك أدْعَى لحزني عليهما ، لقد كنت من قبلُ أبكي لهما من الثار وأنا اليوم أبكي لهما من النار !

ولقد كان للخنساء أربعة بنين ، فلما سار العرب لفتح العراق جمعت بنيها

---

١ غودر : ترك . اللحد : القبر . صفائح : حجارة رقاق مستطيلة توضع على القبور . علي صفائحي : الحجارة الخاصة بلحدي .

٢ هل أصلحتم لأخيكم : هل جعلتم قبره على مقتضى العادة والشرع . واللحد لا يكون صالحاً أبداً .

الاربعة وحَضّتهم على القتال ونصرة الاسلام فخاضوا معركة القادسية وَاسْتُشْهدوا جميعهم ، فلما جاءها النعِيّ بمصرعِهم لم تزد على ان قالت : الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم وأرجو أن يجمعني بهم في مُسْتَقَرّ رحمته .

وقيل أن وفاة الخنساء كانت في سنة ٢٤ هـ (٦٤٤ – ٦٤٥ م) ، في أول خلافة عثمان بن عفّان ، وقيل بل في سنة ٤٢ هـ (٦٦٣ م) ، في أيام معاوية .

٢ – الخنساء أعظم شواعر العرب على الاطلاق . وشعرها مقطعات كله ، وهو فصيح اللفظ رقيق متين السبك رائق الديباجة . وقد غلب على شعرها الفخر قليلاً والرثاء كثيراً لما رأينا من فجيعتها بأخويها خاصة . ورثاؤها واضح المعاني رقيق صادق العاطفة بَدَوِيّ المذهب على كثرة ما فيه من التلهّف والمبالغة في ذكر محامد أخويها .

٤ – المختار من شعرها

– من المختار من رثاء الخنساء لأخيها صخر قولها :

أعينيّ : جودا ولا تجمُدا ؛ ألا تبكيانِ لصخرِ النّدى ؟
ألا تبكيان الجريء الجميل، ألا تبكيان الفتى السيدا !
رفيعَ العماد طويل النجا د ساد عشيرته امردا .
إذا القوم مدوا بايديهمو إلى المجد ، مَدّ اليه يدا ؛
فنالَ الذي فوق ايديهمو من المجد ثم انتمى مُصعِدا .
يحمّله القوم ما عالهم، وان كان اصغرهم مولدا .
وان ذُكِرَ المجد ألفيتَه تأزّرَ بالمجد ثم ارتدى .

– ومن رثائها المشهور :

يذكرني طلوعُ الشمس صخراً واندبه لكل غروب شمسِ .
ولولا كَثرةُ الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي .
وما يبكون مثلَ أخي ، ولكن أعزي النفس عنه بالتأسّي .
فلا والله ، لا أنساكَ حتى أفارقَ مهجتي وأزور رمسي .
فقد ودعت ، يوم فراق صخرٍ أبي حسانَ ، لذاتي وأنسي .
فيا لهفي عليه ولهفَ أمي : أيصبح في الضريح وفيه يمسي ؟

– ومن مراثي الخنساء المشهورة في أخيها صخر قولها :

قذى بعينك أم بالعين عُوّار — أم ذرّفت، أم خلت من أهلها الدار [1]؟
كأن عيني ، لذكراه إذا خطرت، — فيض يسيل على الخدين مِدرار [2] .
تبكي خُناس على صخر – وحُق لها، — اذ رابها الدهر . ان الدهر ضرّار .
وان صخراً لَوالينا [3] وسيدنا ، — وان صخراً إذا نشتو لَنَحّار [4] .
وان صخراً لمقدام إذا ركبوا ، — وان صخراً إذا جاعوا لعقّار [5] .
وان صخراً لَتأتمُّ الهداة به — كأنه علَم في رأسه نار [6] .

٤ – ديوان الخنساء ، القاهرة ١٣١٥ هـ .
ديوان الخنساء ، مصر (المطبعة الوطنية) ١٣٠٥هـ = ١٨٨٨ .
أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء ، بيروت (الكاثوليكية) ١٨٩٦ .
ديوان الخنساء (مع ديوان حاتم الطائي) ، بلا إشارة إلى مكان الطبع ١٣٢٦ هـ ، ١٣٤٨ هـ .
ديوان الخنساء (حسنين محمد الزيداني) ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .
ديوان الخنساء ، بيروت (دار بيروت ودار صادر) ١٩٦٠ م .
شعر الخنساء (تحقيق وشرح كرم بستاني) ، بيروت (مكتبة صادر) ١٩٥١م .
•• الخنساء بقلم بنت الشاطئ ، أي عائشة عبد الرحمن ، بيروت (المعارف) ١٩٥٧ م .

I tempi, la vita e il canzionere della poetessa arabe al-Hansâ, per G. Gabrieli, Firenze 1899.

بروكلمان ، الملحق ١ : ٧٠ .

---

١ القذى (الوسخ) دليل الرمد (المرض) ، والتذريف : كثرة البكاء (من الحزن) . والعوار : اثر العود إذا طرفت به العين . وكل هذه تؤلم وتمنع النوم .
٢ إذا خطرت ذكراه : إذا تذكرته . المدرار : الكثير المتدفق .
٣ الوالي : الذي يلي أمرنا (يهتم بنا) .
٤ نحار : كثير النحر (الذبح) للغنم والابل .... (كريم جداً) .
٥ مقدام : جريء . إذا ركبوا (استعدوا للذهاب إلى الحرب) . العقار : كثير الذبح للابل (كريم). أن الابل تعقر : (تضرب في إحدى قوائمها) أولا حتى تسقط أرضاً ، ثم تنحر (تذبح) .
٦ ان الهداة (الذين يهدون الناس) يهتدون بصخر . انه عظيم مشهور ظاهر لكل عين كالنار المشتعلة في رأس العلم (الجبل) .

ربيعة بن مقروم

١ – ربيعة بن مقروم بن قيس بن جابر بن خالد بن عمرو بن عبد الله ابن السِيد بن مالك بن بكر .

أسلم ربيعة بن مقروم وحَسُن إسلامه ثم شَهِدَ فتحَ القادسية وغيرها من الفتوح ، وعاش في الاسلام زماناً . وتوفّي ربيعة بن مقروم وقد بلغ نحو مائة سنة .

٢ – ربيعة بن مقروم شاعر مخضرم مُجيد غريب اللفظ متين السبك جاهلي النَفَس ؛ من فنونه المدح والفخر والهجاء ، وله خمريات . وغزله من فاخر الشعر القديم ، وقد غُنِّيَ في شعره كثيراً .

٣ – المختار من شعره

– قال ربيعة بن مقروم في الفخر :

أمن آل هند عرفتَ الرسوما ... بجُمران قَفْراً أبت أن تريما [١] ؟
وَقَفْتُ – أسألها – ناقتي ، ... وما أنا، أمْ ما سُؤالي الرسوما [٢] !
وذكّرني العهدَ أيّامُها ... فهاج التذكّرُ قلباً سقيما [٣] ،
ففاضت دموعي – فنَهْنَهْتُها – ... على لحيتي ورِدائي سُجوما [٤] .
وإنْ تسأليني فانّي امرؤ ... أهينُ اللئيم وأحبو الكريما [٥] .
ويَحْمَدُ بذلي له مُعْتَفٍ، ... إذا ذم من يَعْتفيه اللئيما [٦] .
وأجزي القروضَ وفاءً بها : ... ببُؤس بَئيسى ونُعمى نَعيما [٧] .

---

١ الرسوم : الاطلال . جمران أو حمران : اسم موضع . أبت أن تريما : أن تتحول ، تمحي تماماً (هي باقية خالدة) .

٢ وقفت ناقتي (ناقتي مفعول به) . وما أنا أم ما سؤالي الرسوما ؟ : وأي فائدة لي من سؤال الرسوم (الاطلال) وهي لا تجيب .

٣ هاج : هيج . قلباً (مفعول به من الفعل « هاج ») .

٤ نهنهتها : كفكفتها ، حاولت أن أمنع دموعي . فاضت دموعي سجوماً (بكثرة واستمرار) .

٥ أحبو : أمنح ، أحمي ، أدافع عن (راجع القاموس ٤ : ٣١٥) .

٦ المعتفي (المحتاج إلى المعروف والذي لا يسأل الناس) يشكرني (على كثرة عطائي له) .

٧ أجزى الحسنة بمثلها والسيئة بمثلها . بئيسى : بؤس ، بوسى (الشدة ، الشقاء) .

– وقال يصف الخمر :

وفِتيان صِدْقٍ قد صَبَحتْ سُلافةً ، إذا الديك في جَوْشٍ من الليل طرّبا [1] :
سُخاميةً صَهباءُ صِرفاً ، وتــارةً تَعاوَرُ أيديهم شِواءً مُضَهَّبا [2] .
ومَشْجوجة بالماء يَنْزو حَبابُهــا إذا المُسْمِعُ الغِرّيد منها تَحَبّبا [3] .
وسِربٍ – إذا غصّ الجبانُ بريقه – حَمَيْتُ إذا الداعي إلى الرَّوْع ثوّبا [4] .
فلمّا انجلى عنّي الظــلام دفعتُهــا يُشَبِّهها الرائي سراحينَ لُغبّا [5] .
إذا ما علت حَزْناً بَرَتْ صَهَواتِهِ ، وان أسهلت أذْرَتْ غُباراً مُطَنَّبا [6] .

– وقال في الغزل والحماسة :

شَمّاءُ واضحةُ العوارض طَفْلة كالبدر من خلل السحاب المُنجلي [7] .

---

١ صبحتهم سلافة : سقيتهم خمراً في الصباح . الجوش : آخر الليل . طرب : تغنى (صاح) .

٢ سخامية : (لينة ، لا تحدث صداعاً) . صهباء : (حمراء) . صرفاً : (غير ممزوجة بماء) . تعاور (تتعاور) أيديهم : يتناول بعضهم من بعض . شواء (لحماً مشوياً) مضهباً (مقطعاً) .

٣ مشجوجة : ممزوجة . ينزو حبابها : تطوف فقاقيعها على وجهها ثم تتفجر تلك الفقاقيع فكأنها تنزو (تقفز) . المسمع الغريد : المغني الحسن الصوت : تحبب (في الأصل) : أظهر حبه للآخرين . وقيل : معناها هنا « روي منها » (المفروض أن الحباب أو ثاني أوكسيد الكربون يكون كثيراً حينما تكون الكأس مملوءة . أما هذه الخمر فان حبابها يظل كثيراً ولو شرب الشارب معظم كأسه . وذكر الشارب الغريد هنا لأن المغني في العادة يكون مشغولا بغنائه فلا يشرب كأسه بسرعة . والمفروض أيضاً أن الفقاقيع تتفجر ويطير منها ثاني أوكسيد الكربون . غير أن فقاقيع هذه الخمرة كثيرة لا تطير كلها حتى في الوقت الطويل) .

٤ وسرب : (من الجمال تأتي عليه غارة عظيمة حتى يجبن الشجعان أن يدافعوا عنه فأحميه أنا وحدي) . الداعي إلى الروع : المنادي مستجيراً وحاثاً القوم على الحرب . ثوب : كرر النداء (أو هرب مما كان قد دعا اليه) .

٥ فلما انجلى عني الظلام (ظلام المعركة) : انتصرت . دفعتها : سقتها (سقت الابل) أمامي . سراحين جمع سرحان : ذئب . لغب : (مسرعة في سيرها) .

٦ – إذا سارت في أرض صعبة (صخرية) قطعت رؤوس صخورها بأخفافها (مبالغة في تدخل في باب الاستحالة) . وإذا سارت في السهل أحدثت بشدة سيرها غباراً مطنباً (مرتفعاً عالياً لكثرته ولشدة اثارته) .

٧ الشمم : ارتفاع قصبة الأنف وحسن استوائها . واضحة : بيضاء . العوارض : جوانب العنق . طفلة : لينة . السحاب المنجلي : السحاب إذا كان منطبقاً ثم حدثت فيه ثغرة أو انشق وظهرت السماء منه بين أقسامه .

وكأن فاها بعد ما طَرَقَ الكَرى كأسٌ تُصَفَّقُ بالرحيق السَلْسل [1] .
لو أنها عَرَضت لأشمطَ راهبٍ في رأس مُشرِفةِ الذّرى مُتَبَتِّلِ [2] ،
لَصَبَا لبهجتِها وحُسنِ حديثِها ، ولَهَمّ من ناموسِه بتَنَزُّل [3] .
ولقد شَهِدتُ الخيلَ يوم طِرادِها بسليمِ أوظفةِ القوائمِ هَيْكَل [4] .
فاذا جرى منه الحميمُ رأيتَه يهوي بفارسه هُوِيَّ الأجدل [5] .
ودَعَوْا : نَزالِ ! فكنتُ أوّلَ نازلٍ ، وعلامَ أركبه إذا لم أنْزِل [6] .
ولقد جمعت المال من جَمْعِ امرئٍ ورفعت نفسي عن كريم المأكل [7] ؛
ودخلت أبْنِيَةَ الملوك عليهمُ ، ولَشَرّ قول المرء ما لم يفعل [8] .
ولَرُبَّ ذي حَنَق عليَّ كأنّما تغلي عداوةُ صدره كالمِرْجل ،
أرْجَيْتُهُ عنّي فأبصر قَصْدَه ، وكَوَيْتُه فوق النواظر من عَلِ [9] .
ولقد أصبت من المعيشة لِينَها ؛ وأصابني منه الزمانُ بكَلْكل [10] .
ولقد أتت مِائَةٌ عليَّ أعدّها حَوْلاً فحولاً إن بلاها مُبْتَلِ [11] ،
فاذا الشباب كمِبْذَلٍ أنْضَيْته ؛ والدهر يُبلي كلَّ جِدّة مِبذل [12] .

١ بعدما طرق الكرى : بعد النوم . كأس (خمر) تصفق (تمزج) بالرحيق السلسل (هنا : الماء الصافي) .

٢ عرضت : بدت عرضاً . الأشمط : الذي يخالط سواد شعره بياض . مشرفة الذرى : رأس جبل . متبتل : تارك للزواج ومنقطع إلى عبادة الله .

٣ هم أن يتنزل من ناموسه : عزم على أن يترك نظام عبادته .

٤ الاوظفة جمع وظيف : إحدى العظمتين اللتين تتألف منهما الساق . هيكل : (حصان) عظيم الجسم .

٥ الحميم : الماء الحار (العرق الذي يجري من الحصان إذا اشتد ركضه) . يهوى : ينطلق بسرعة . الاجدل : الصقر .

٦ — وقال الاعداء : هجوم ؛... ولماذا اتخذ حصاناً إذا كنت لا أكر به (أهجم) في الحرب على الاعداء .

٧ — جمعت المال بالغزو (من رجل كان قد استولى عليه بالغزو) ، ثم تركته لمن كان معي ولم آخذ أنا منه شيء ، مع انه مال كريم (شريف) (!) .

٧ اقتحمت أبواب الملوك غازياً . وشر قول المرء الكذب .

٩ أرجيته عني : أجلت ، أخرت الانتقام منه . أبصر قصده : تبين الصواب . كويته فوق النواظر من عل : جعلته بذلك يرى نفسه ذليلا أمامي .

١٠ — ... وأصابني الزمان بالشقاء والفقر .

١١ اختبرت الحياة مائة عام : عاماً بعد عام ... ويعرف ذلك من استطاع أن يختبر طول الحياة كما اختبرته أنا .

١٢ — الشباب كالثوب يلبسه الانسان جديداً فترة ما ، ثم يخلعه إذا قدم وتهرأ . المبذل والمبذلة : الثياب التي نلبسها في أعمالنا العادية اليومية (كالشباب الذي نتمتع به باستمرار) .

كعب بن مالكٍ الانصاريّ

١ - هو كعب بن مالك من بني سَلِمَة (بفتح السين وكسر اللام) من الخزرج.

وُلِدَ كعب بن مالك في يثرب نحو عام ٢٥ ق. هـ. (٥٩٨ م)، وكان في نحو الخامسة والعشرين من عمره لمّا شهد بَيعة العَقَبة مع قومه ودخل في الاسلام. ثم انه شهد مع الرسول جميع الغزوات الا تَبوك.

في مطلع رجب من سنة ٩ هـ (أواسط تشرين الاول ٦٣٠ م) تجهّز الرسول في غزوة إلى تَبوك (في مدين، شمال الحجاز) يريد فيما يبدو غزو الروم. وقد تخلّف ثلاثة وثمانون رجلاً من المسلمين عن هذه الغزوة بأعذار مختلفة: منهم من كان منافقاً، ومنهم من رأى أن ثمر بستانه قد أدرك (في الخريف) فلا يريد أن يتركه، ومنهم من خاف الحرّ وبُعد المسافة. ومنهم من كان فقيراً لا يملك راحلة يرحل عليها.

ولم يَلْقَ الرسولُ الرومَ، فصالح عدداً من قبائل أهل شمالي بلاد العرب في أيلة (العَقَبة) * وأذرُح ودومة الجندل على الجزية. ولمّا عاد الرسول إلى المدينة جاءه المخلّفون يعتذرون اليه عن تخلّفهم فقبل أعذارهم إلاّ ثلاثةَ نفر: عبدَ الله بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال ابن أمية، فانه سخط عليهم وترك كلامهم وأمر بأن يتجنب المسلمون كلامهم؛ ثم أمرهم أن يعتزلوا نساءهم أيضاً. فبقُوا على ذلك خمسين يوماً حتى ضاقت بهم الدنيا. ثم نزلت آيتان من سورة التوبة (٩ : ١١٧ - ١١٨): « لقد تاب اللهُ على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتّبعوه في ساعة العُسرة [١] من بعد ما كاد يَزيغ قلوبُ فريق منهم [٢]؛ ثم تاب عليهم، انه بهم رؤوف رحيم؛ **وعلى الثلاثة الذين خُلّفوا**، حتّى إذا ضاقت عليهِمُ الأرضُ بما رَحُبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وظنوا أنْ لا مَلْجأ من الله إلا إليه، ثم تاب عليهم ليتوبوا. إن الله هو التوّاب الرحيم ».

---

* العقبة هذه بلد ساحلي في الشام (اقصى الجنوب من فلسطين). والعقبة التي ورد ذكرها قبل بضعة أسطر من ضواحي مكة.

١ كانت غزوة تبوك تسمى أيضاً غزوة العسرة لشدة حاجة المسلمين في ذلك الحين، حتى كان الرجلان يقتسمان التمرة الواحدة.

٢ بعد أن كان فريق آخر من المسلمين يميلون إلى التخلف عن هذه الغزوة أيضاً.

وعَمِي كعب بن مالك في آخر عمُره ثم توفّي بين سنة ٥٠ وسنة ٥٥ هـ (٦٧٠ – ٦٧٣ م) ، وسنُّه في نحو السابعة والسبعين ؛ وكان عثمانياً من أنصار عثمان بن عفّان .

٢ – كعب بن مالك من فحول الشعراء ، مكثر مجيد ، وخصوصاً في الحماسة ووصف الحرب . وكان محدّثاً يروي الحديث عن رسول الله .

٣ – المختار من شعره

– قال كعب بن مالك يرثي حمزة بن عبد المطلب ، ابنَ عم الرسول ، وقد استُشْهِدَ يومَ أحُدٍ (٣ هـ = ٦٢٥ م) ويخاطب صَفِيّةَ بنت عبد المطلب :

صفيّةُ ، قومي ولا تَعْجِزِي ... وبَكّي النساء عَلَى حَمْزَةِ .
ولا تسأمي أن تُطيلي البُكا ... على أسدِ الله في الهزّةِ [1] ،
فقد كان عِزّاً لأيتامِنا ... وليثَ المَلاحِمِ في البَزّة [2].
يُريدُ بذاك رضا أحمدٍ ... ورِضوانَ ذي العرش والعِزة !

– وقال في شأن يوم خيبر :

نحنُ ورَدْنا خيبراً وفُروضَه ... بِكُلّ فتىً عاري الأشاجِعِ مِذْوَدِ [3] ،
جَوادٍ لدى الغاياتِ لا واهن القُوى ، ... جَريءٍ على الاعداء في كل مشهد [4] ،
عظيمِ رَمادِ القِدْرِ في كل شَتْوة ، ... ضَروبٍ بنَصْلِ المَشْرَفِيّ المُهَنّد [5] .

---

١ الهزة ، (بفتح الزاي) : النازلة التي تهز الناس (من الشدة والهول) . الهزة (بالكسر) : صوت غليان القدر وصوت الرعد (دلالة على الرعب) . المزهزة : الحروب .

٢ البزة (بفتح الباء أو كسرها) : السلاح (كان أسداً في الحرب إذا لبس سلاحه) .

٣ خيبر : حصن خيبر (كان لليهود قرب المدينة) فلما غدر اليهود بعهدهم للرسول أجلاهم الرسول عن الحصن وأخرجهم من الحجاز . الفروض جمع فرض : الطريق المؤدية إلى مكان ما . الاشاجع : أصول الاصابع في الكف . عاري الاشاجع : الخفيف اللحم ، الذي تكون عروق جسمه بارزة (فيكون جسمه مفتولا غير مترهل – كناية عن الصحة والقوة) . المذود : اللسان ، وهي هنا بمعنى الذائد المحامي (بلسانه وسيفه) .

٤ جواد لدى الغايات : حصان جواد (أصيل ، سريع) إلى الغايات (يسبق اليها كل أحد غيره) . المشهد : المكان تكون فيه المعركة الخ ...

٥ عظيم رماد القدر : يكثر الرماد في مواقده لكثرة ما يشعل من النار لطبخ الطعام (كناية عن كرمه) . الشتوة : الشتاء (لأن الحاجة إلى الطعام في الشتاء تكون أكثر ، والطعام نفسه يكون قليلا وعزيزاً) .

يرى القتلَ مَدْحاً إن أصاب شَهــادةً   من الله يرجوها وفوزاً بأحمدِ * .
يَذودُ ويَحْمي عن ذِمارِ محمّدٍ   ويَدْفَعُ عنــه باللِسان وباليد .

٤ — ** الاغاني ١٦ : ٢٢٦ — ٢٤٠ .

حسّانُ بن ثابتٍ الانصاريّ

١ — هو حَسّان بن ثابت بن المنذر من زيد مَناة بن عَدِيّ من بني مالك ابن النجّار ؛ والنجار هو تَيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخَزرج . وأم حسان هي الفُريعة بنت خالد بن حُبيش من الخزرج أيضاً . وكان أبوه ثابت وجدّه المنذر من أشراف قومهم والحكّام بين الاوس والخزرج . وكان جدّه خاصة عظيم الكرم محبّاً للسِلم : لما اختلف الاوس والخزرج بعد يوم سُميحة [١] في أمر القتلى والدِيَات ، أهدر المنذر ديات قومه الخزرج واحتمل ديات القتلى من الأوس من ماله حرصاً على السلم .

وُلِدَ حسّانُ نفسه في يَثْرِبَ نحو عام ٦٠ ق. ه. (٥٦٣ م) ، ونشأ شاعراً يتكسب بالشعر ويتنقّل بين بلاط جِلّقَ وبلاط الحيرة ، وكان إلى الغساسنة أميل . وقد مدح من آل جفنةَ الغساسنةِ أولادَ الحارث الاعرج (توفي ٥٣ق.ه. =٥٦٩ م) وأحفاده . واستمر الغساسنة في بِرِّ حَسّانَ ووصله بالجوائز حتّى بعد أن دخل في الاسلام وأضْربَ عن مدحهم .

ولما هاجر المسلمون من مكّة إلى المدينة دخل حسّانُ في الاسلام باكراً وانقطع إلى الرسول يمدحه ويرد عنه هجاء المشركين من أمثال عبد الله بن الزِبَعْرى وعمرو بن العاص وأبي سفيانَ بن الحارث بن عبد المطّلب . غير انه لم يشهد الغَزَوات مع الرسول لأنّه كان جباناً .

ولم يكن لحسّانَ في أيام أبي بكرٍ وعمرَ نشاط سياسيّ ، فلماء جاء عثمانُ عاد له شيء من العصبية الجاهلية وأصبح عثمانياً يُمالئ بني أمية على عليّ . وقُتل عثمان فقال حسّانُ يشير إلى بني هاشم وإلى عليّ خاصة :

يا ليتَ شِعري ، ولست الطيرَ تُخبِرني،   ما كان شأنُ عليٍّ وابنِ عَفّــانا .

١ بئر قرب المدينة .
* احمد من اسماء محمد رسول الله .

لَتَسْمَعَنّ وشيكاً في ديارِهِمُ: اللهُ أكبرُ ، يا ثارات عُثمانا !

وكذلك كان حسّانُ خصماً لعائشة زوجِ الرسولِ ، وكان قد غمس لسانه في حديث الافك (٥ هـ = ٦٢٦ م) منذ أيام الرسول نفسه . ولكنّه عاد فاعتذر إلى عائشة بأبيات منها :

حَصانٌ رَزانٌ ما تَزِنّ بريبةٍ وتُصْبِحُ غَرْثَى من لحوم الغوافلِ[1] .

وأسنّ حسّانُ كثيراً ثم عَمِيَ في أواخر أيامه ، وتوفّي سنة ٥٤هـ (٦٧٤م) وقد زادت سنّه على مائة عام .

٢ — حسّان بن ثابت من فحول الشعراء ، كثير الشعر جيّده . وهو أشعر أهل المَدَر[2] . غير أنه كان في الجاهلية أشعرَ منه في الاسلام . وعلّل الاصمعيّ ذلك فقال : « الشعر نَكِدٌ ، بابُه الشّرّ . فاذا دخل في الخير ضَعُفَ . هذا حسّان بن ثابت فحل فحول الجاهلية ، فلما جاء الاسلام سقط شعره »[3] .

وكانت أغراض شعر حسانَ في الجاهلية المدح والهجاء القبلي والشخصي ، وكان منها الرثاء والخمر والحماسة والفخر والغزل . وظلت هذه الاغراض أغراضَه في الاسلام ، سوى أنه وَقَفَ مَدْحَهُ على رسول الله وقَصَرَ هجاءه على المشركين الذين كانوا يتعرضون للرسول وللاسلام بهجائهم[4] . واكتسب شعر حسانَ في الاسلام كثيراً من العذوبة والاخلاص ، وكثرت فيه التعابير الاسلامية والاقتباس من القرآن الكريم . وحسانُ خليق أن يُسَمّى **رأسَ البديعيين** ، فهو الذي بدأ فن الشعر في المديح النبوي .

وحسان من الذين أجادوا المديح في الجاهلية وفي الاسلام .

---

١ الحصان (بفتح الحاء المهملة) المرأة الشريفة المتصونة . الرزان : الوقورة الرصينة . ما تزن بريبة : لا يتطرق الشك إلى سلوكها . غرثى : دقيقة الخصر . وتصبح غرثى من لحوم الغوافل : لا تغتاب أحداً .

٢ أهل المدن .

٣ راجع الموشح للمرزباني (جمعية نشر الكتب العربية بالقاهرة ١٣٤٣ هـ) ص ٦٢ ، ٦٥ .

٤ كان يوضع لحسان منبر في مؤخر المسجد فينافح عن رسول الله (يرد على الذين كانوا يهجون رسول الله) — الكامل ٧٧٨ .

٣ – المختار من شعره :

– قال حسان بن ثابت قبل الاسلام يمدح جَبَلَةَ بنَ الأيْهم * آخر ملوك الغساسنة :

لله دَرُّ عِصابةٍ نادَمْتُهم يوماً بجِلِّقَ في الزمان الأوّلِ ؛
يمشون في الحُلَلِ المُضاعَفِ نَسْجُها مَشْيَ الجِمال ، إلى الجِمال ، البُزّلِ [١] .
الخالطونَ فَقيرَهم بغَنيّهم ، والمُشْفِقون على الضعيف المُرْمِلِ [٢] :
أولادُ جَفْنَةَ حول قبرِ أبيهمُ قبرِ ابنِ ماريَةَ الكريم المُفْضِلِ [٣] .
يُغْشَوْنَ حتّى ما تَهِرّ كِلابُهمُ لا يسألون عن السواد المُقْبِلِ [٤] .
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَريصَ عليهمُ بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرحيقِ السَلْسَلِ [٥] .
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم شُمُّ الأنوف من الطِرازِ الأوّلِ .

– وقال حسان يوم فتح مكّة (٨ ھ = ٦٣٠ م) يذكر ذلك اليوم ويمدح الرسول ويهجو أبا سُفيان بن الحارث . وفي هذه القصيدة وصف للخمر وحماسة :

عَفَتْ ذات الاصابع فالجِواءُ إلى عَذْراءَ مَنْزِلُها خَلاءُ .

---

* انتهى ملك الغساسنة في الشام مع الفتح العربي في أيام عمر بن الخطاب . وقد أسلم جبلة بن الايهم وعاش حيناً في الحجاز . وحج جبلة مرة فاتفق أن وطئ أعرابي ثوبه في أثناء الطواف فلطم جبلة الاعرابي . فشكا الاعرابي ذلك إلى عمر ، فأمر عمر بأن ينتصف الاعرابي من جبلة بأن يلطمه كما كان جبلة قد لطمه . فقال جبلة لعمر : كيف يلطمني وأنا ملك (من أبناء الملوك ، وقد كنت ملكاً) وهو سوقة ! فقال عمر لجبلة : ان الاسلام قد سوى بينكما . فاستمهل جبلة عمر حتى يروي قليلا في أمره . فلما جاء الليل هرب جبلة إلى بلاد الروم ثم ارتد فيها عن الاسلام . وكانت وفاته في بلاد الروم عام ٦٤٤ م (٢٣ ھ) بعد وفاة عمر بقليل .

١ – يذهبون إلى الحرب في دروع منسوجة طبقتين كما يمشي الجمل البازل (الذي تم نموه فانشق اللحم عن نابه الأخير ، وذلك في التاسعة من عمره) إلى الجمل البازل .

٢ المرمل : الفقير (تمتلئ أوعية بيته بالرمل لأنها تكون مهملة بدلا من أن تكون مملوءة بالمؤونة) .

٣ جفنة بن عمرو أبو الملوك من بني غسان . مارية بنت الارقم أم الحارث الاعرج من ملوك غسان . – يمدحهم بالشجاعة وبالكرم .

٤ يغشون (يأتيهم الضيوف بكثرة) حتى ما تهر (لا تنبح) كلابهم (لأنها تعودت رؤية الضيوف) . لايسألون عن السواد المقبل : موائدهم تكفي للضيوف مهما كان عددهم .

٥ يسقون ضيوفهم الخمر ممزوجة بالماء البارد . البريص : مكان نهر بدمشق . بردى : اسم نهر في دمشق . وقيل برداً (ماء بارداً) .

ومنها :

إذا ما الأَشْرِباتُ ذُكِرْنَ يوماً فهنّ لطيّبِ الراحِ الفِداءُ .
نُوَلّيها المَلامةَ ما ألِمْنا إذا ما كان مَغْثٌ أو لِحاء [1] ؛
ونَشْرَبُها فتتْرُكُنا مُلوكاً وأُسْداً ما يُنَهْنِهُها اللِقاء [2] .
عَدِمْنا خَيْلَنا إنْ لم تَرَوْها تُثيرُ النَقْعَ موعدُها كَداء [3] ،
يُنازِعْنَ الأعِنّةَ مُصْغِياتٍ على أكتافها الأَسلُ الظِماء [4] .
تَظَلّ جِيادُنا مُتَمَطِّراتٍ تُلَطِّمُهُنّ بالخُمُرِ النساء [5] .
فإمّا تُعْرِضوا عنّا اعتَمَرْنا وكان الفتْحُ وانكشف الغِطاء [6] .
وإلاّ فاصْبِروا لجِلادِ يومٍ يُعِزّ اللهُ فيه مَنْ يشاءُ .
ألا أبْلِغْ أبا سُفيانَ عنّي مُغَلْغَلَةً فقد بَرِحَ الخَفاء .
بأنّ سُيوفَنا تَرَكَتْكَ عبداً ؛ وعبدُ الدارِ سادتُها الإماء [7] .
هَجَوْتَ مُحمّداً ، وأجَبْتُ عنه ؛ وعندَ اللهِ في ذاك الجَزاء [8] !
أتَهْجوه ولستَ له بِكُفْوٍ ؟ فشرّكُما لخيرِكما الفِداء !
هجوتَ مباركاً بَرّاً حَنيفاً أمينَ اللهِ شيمتُه الوفاء [9] ..

---

١ المغث : القتال والشر . اللحاء : السباب . — إذا وقع سباب أو قتال بيننا وبين قومنا فألمنا منه (تألمنا ، أسفنا لوقوعه) قلنا : الذنب في ذلك للخمر .

٢ نهنه : كف ، منع . اللقاء : القتال . وفي رواية : ما ينهنهنا (الكامل ٧٤) .

٣ موعدها كداء : فتح مكة (كداء : ثنية ، طريق ملتوية ، في الجبل عند مكة) .

٤ ينازعن الاعنة : يجذبن الاعنة من أيدي فرسانها (ان شوق الخيل إلى فتح مكة أكثر من شوق فرسان تلك الخيل) . الاسل : الرماح . الظماء : : العطاش (الرماح أيضاً متشوقة إلى فتح مكة) .

٥ تمطرت الخيل : جاءت مسرعة . تلطمهن .... : تضرب النساء وجوه الخيل بخمرهن ليرددنها (الصورة غير واضحة في هذه المناسبة) .

٦ ان خليّم سبيلنا دخلنا مكة معتمرين (زائرين مناسك الحج في غير موسم الحج) . وكان الفتح : فتح مكة . انكشف الغطاء : تم وعد الله لرسوله بفتح مكة (تحقق الوعد بالغيب) .

٧ مغلغلة : رسالة .

٨ عبد الدار : بطن بن من قريش . « وعبد الدار سادتها الاماء » : (لعل هذا إشارة إلى معركة أحد . كانت الحرب في الجاهلية لبني عبد الدار ؛ حمل اللواء يوم أحد نفر منهم فقتلوا كلهم حتى حمله عبد أسود لهم اسمه صواب) .

٩ البر الذي يبغي الخير لقومه . الحنيف : الذي لم يعبد الاوثان في الجاهلية ، بل كان يؤمن بالله وباليوم الآخر من غير أن يجري على عبادة معينة . وفي رواية : حفيا .

أمن يهجو رسولَ الله منكم ويَمْدَحُه وينْصُرُه سواء ؟
فإنَّ أبي ووالدَه * وعِرْضي لعِرْضِ محمّدٍ منكم وقاء !

— في سنة ٩ هـ (٦٣٠ م) وفَدَ بنو تميم على الرسول في المدينة ، بعد أن كان الاسلام قد عم في بلاد العرب وفُتِحَتْ مكةُ نفسُها في العام السابق . وكان بنو تميم يَعْتَدّون بعَدَدِهم وبقوتهم ووجاهتهم في العرب . فلما دخلوا على الرسول قالوا له : « يا محمّد ، جئنا نفاخرك ، فأْذَنْ لشاعرنا وخطيبنا » . قال : « قد أذِنْتُ لخطيبكم » . فقام عُطارد بن حاجب فخطب مفتخراً بتميم فردّ عليه من المسلمين ثابتُ بن قيس . ثم قام الزِبْرِقانُ بن بدر شاعر بني تميم فأنشد قصيدة مطلعها :

نحن الكرامُ فلا حَيّ يعادِلُنا ؛ مِنّا الملوك وفينا تُنْصَبُ البِيَعُ[1] .

فلمّا فَرَغَ من إنشاده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : « قُمْ ، يا حَسّانُ ، فأجِبِ الرجلَ » . فقام حسان فقال :

انّ الذوائبَ من فِهْرٍ وإخوَتِهِمْ قد بَيّنوا سُنّةً للناس تُتّبَعُ[2] .
يرضى بِهِمْ كلُّ من كانت سريرته تقوى الإلَه ، وكلَّ الخيرِ يُصْطَنَعُ .
قومٌ إذا حاربوا ضَرّوا عَدُوَّهُمُ أو حاولوا النفعَ في أشياعِهِمْ نفعوا .
سَجِيّةٌ تلك فيهم غيرُ مُحْدَثَةٍ ؛ ان الخلائقَ ، فاعْلَمْ ، شَرُّها البِدَعُ[3].
ان كان في الناس سَبّاقون بَعْدَهُمُ ، فكلّ سَبْقٍ لأدْنى سَبْقِهِمْ تَبَعُ .
لا يَرْقَعُ الناسُ ما أوْهَتْ أكُفُّهُمُ ، عند الدِفاعِ ، ولا يُوهُونَ ما رَقَعوا[4] .
ان سابقوا الناسَ يوماً فاز سَبْقُهُمُ ، أو وازنوا أهلَ مَجْدٍ بالنّدى مَتَعوا[5].

---

١ البيع : أماكن العبادة . * والد أبي (جدي) .
٢ الذوائب : الشعر المتدلي من الرأس (المقصود : الرؤساء) . فهر : قريش (المهاجرون) . اخوتهم : الانصار (أهل المدينة). قد بينوا سنة : جاءوا بطريقة (بدين ، أي الاسلام) .
٣ السجية الطبيعة . غير محدثة : قديمة (هؤلاء كانوا منذ أقدم الازمنة على التوحيد) . البدع جمع بدعة : الأمر الجديد المخالف لعادات القوم (وفيه شيء من السوء) .
٤ لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم : لا يصلح أحد ما مزقوه (اذا هزموا أحدا لم يستطيع أحد أن ينصره).
٥ متع : ارتفع ، بلغ الغاية .

أعِفّةٌ ذُكِرَتْ في الوحيِ عِفّتُهم لا يَطْبَعون ولا يُرديهِمُ طَمَعُ[1].
لا يَفْخَرُون إذا نالوا عَدُوَّهُمُ ، وان أصيبوا فلا خَوْرٌ ولا جَزَعُ[2].
أكْرِمْ بقومٍ رسولُ الله شيعتُهم، إذا تَفاوَتَتِ الأهْواءُ والشِيَعُ .

— لحسانِ بنِ ثابتٍ بِضْعُ مَراثٍ في الرسول أشهرُها التي تلي :

بِطيبةَ رَسْمٌ للنبيّ ومَعْهَدُ مُنيرٌ ، وقد تَعفو الرسومُ وتَهْمَدُ[3].
ولا تَمحي الآياتُ من دار حُرْمةٍ بها مِنبرُ الهادي الذي كان يَصْعَدُ[4] ،
وواضحُ آياتٍ وباقي مَعالمٍ وربْعٌ له فيه مُصَلّى ومسجد .
بها حُجُراتٌ كان يَنْزِلُ وسْطها من الله نورٌ يُسْتَضاء ويُوقَد ؛
يُذَكّرْنَ آلاءَ الرسول ، وما أرى لها مُحْصِياً نفسي ؛ فنفسي تَبَلّدُ
مُفَجّعَةً قد شَفّها فَقْدُ أحمدٍ فظلّتْ لِآلاءِ الرسول تُعَدِّد .
فبُورِكْتَ ، يا قبرَ الرسول ، وبورِكتْ بِلادٌ ثوى فيها الرشيد المُسَدَّد .
وهل عَدَلَتْ يوماً رَزيّةُ هالكٍ رزيّةَ يومٍ مات فيه محمّد !
تَقَطّعَ فيه منزل الوحي عَنْهُمُ ؛ وقد كان ذا نور يغور ويُنْجِد ،
عزيزٌ عليه أن يَجوروا عن الهدى ، حريصٌ على أن يستقيموا ويهتدوا .
وما فَقَدَ الماضون مثلَ محمّد ، ولا مِثْلُه حتّى القيامةِ يُفْقَد .
رَبّاه وليداً — فاسْتَتَمّ تَمامُهُ على أكرم الخَيْرات — ربٌّ مُمَجَّد .
تناهت وَصاةُ المسلمين بكَفّه ، فلا العلم محبوس ولا الرأي يَفْنَد[5].

٤ — ديوان حسّان بن ثابت الانصاري ، تونس (مطبعة الدولة التونسية) ١٢٨١ هـ .

ديوان حسان بن ثابت ، بومباي (المطبعة الحميدية) ١٢٨١ هـ .

---

١ طبع (بكسر الباء) : فسد . أرداه : أهلكه .

٢ الخور (بفتح الخاء والواو — وسكنت الواو هنا) : الضعف . الجزع : الاضطراب عند المصيبة .

٣ طية (بفتح الطاء) : المدينة . المعهد : المكان يتذكره الناس ويترددون عليه . همد : سكن ، بلي ، امحى .

٤ الهادي : الرسول . الذي كان (الرسول) يصعد اليه ويخطب منه .

٥ يفند : يفسد ، يضعف .

ديوان حسان بن ثابت ، لاهور ١٢٩٥ هـ .
ديوان حسان بن ثابت ، مصر (مطبعة الامام) ١٣٢١ هـ .
شرح ديوان حسان بن ثابت (شكري المالكي) ، القاهرة (مطبعة النيل) ١٩٠٤ م .
شرح ديوان حسان بن ثابت (عبد الرحمن البرقوقي) ، القاهرة (مكتبة الخانجي) ١٩٢٩ م .
ديوان حسان بن ثابت (العناني) ، القاهرة (مطبعة السعادة) ١٣٣١ هـ .
ديوان حسان بن ثابت (هيرشفيلد) ، لندن ١٩١٠ م .
ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، بيروت (دار بيروت وصادر) ١٩٦١م.
* حسان بن ثابت ، تأليف خلدون الكناني ، دمشق (مكتبة عرفة) ١٣٦٣هـ = ١٩٤٣ م .
شاعر النبي حسان بن ثابت الانصاري ، تأليف عبد الله أنيس الطبّاع ، بيروت (المعارف) ١٩٥٥ م .
عميد مدرسة الشعر الاسلامي حسان بن ثابت ، تأليف عبد المجيد الهندي ، القاهرة ١٩٥٨ م .
بروكلمان ١ : ٣١ — ٣٢ ، الملحق ١ : ٦٧ — ٦٨ ؛ زيدان ١ : ١٧١—١٧٣ .

الحطيئـــة

١ — اسمه جَرول بن أوس ، والحُطيئة لقب له لأنه كان قصيراً قريباً من الأرض ؛ استولده أوس بن مالك العبسي سِفاحاً من جارية اسمها الضَرّاء كانت لبنت رياح بن عمرو . ثم ان الضراء تزوّجت الكلب بن كُنيس بن جابر العبسيّ وكان أيضاً مدخول النسب .

ويبدو أن الضَرّاء كانت مستهترة تقول لابنها الحطيئة : لست لواحد ولا لاثنينِ ! وكان هو يعلم أنه زنيم ويَنْقَم على أمّه وعلى الناس من أجل ذلك . وهذا يفسّر لنا نقلَ نَسَبِه من قبيلة إلى قبيلة مرة بعد مرة ، كما يعلّل

لنا هجاءه لأمّه وأبيه ولنفسه ، ويعلّل هجاءه المُقذع ونيلَه من أعراض الناس حقاً وباطلاً . ولذلك أيضاً « كان الحطيئة ذا شرّ وسَفَه : جَشِعاً سَؤولاً مُلْحِفاً في الطلب ، دنيء النفس كثير الشر قليل الخير بخيلاً بذيئاً هجّاء » (غ ٢ : ١٦٣) . وقال فيه ابن قتيبة (ص ١٨١) : « كان رقيق الدين لئيم الطبع » . على أنه – كما قال الاصفهاني (غ ٢ : ١٥٨) – « من أولاد الزنا الذين شَرُفوا » .

واشترك الحطيئة في الجاهلية في حرب داحس والغبراء .

وأسلم الحطيئة ووفَدَ على الرسول وأنشده . غير أن ابن قتيبة يتردد في قبول ذلك (ص ١٨٠) . ولمّا توفي الرسول ارتد الحطيئة مع قومه وقال بيتين يحلاّن مشكلة من مشاكل الرِدّة في الاسلام . ظنّ جماعة من الدارسين ان الرِدّة كانت ارتداداً من الايمان إلى الكفر . والحقيقة انها **كانت عِصياناً سياسياً واقتصادياً ، أو تَرْكاً لطاعة أبي بكر لأن العرب من غير أهل المدينة لم يكن لهم رأي في انتخابه خليفة . وكانت أيضاً امتناعاً عن إرسال أموال الزكاة (الضرائب) إلى المدينة قبل أن تستوفيَ كل مِنطقة حقها من الاموال التي جمعت منها .**

فقال الحطيئة :

أطعْنا رسولَ الله إذ كان بينَنا ، فيا لَعبادِ الله ، ما لأبي بَكرِ !
أيُورِثُها بكراً ، إذا مات ، بعده ؟ وتلك – لعمرُ اللهِ – قاصمة الظهر .

وهدأ الحطيئة في خلافة أبي بكر في اليمامة . وفي أول خلافة عمر رأيناه يحمل شعره إلى العراق والحجاز مدحاً وهجاء . من ذلك هجاؤه للزبْرِقان ابن بدر .

كان الزبَرِقان بن بدر سيداً في قومه ، وكان بينه وبين بني عمه آل قُريع منافسة . فاتفق أن نزل الحطيئة في جِوار الزبرقان ثم انتقل إلى جوار بَغيض بن عامر بن شمّاس بن لأْي بن جعفر (الملقّب بأنف الناقة) بن قُريع في حديث طويل معقّد ، ثم أخذ بمدح بَغيض بن شمّاس وهجاء الزبرقان بن بدر . من ذلك قوله :

والله ، ما معشرٌ لاموا امرَأً جُنُباً في آل لأيِ بن شمّاس بأكياسِ [1] .
ما كان ذنبُ بغيضٍ ، لا أبا لكُمُ ، في بائسٍ جاء يَحدو آخرَ الناس ؟
لمّا بدا ليَ منكم عيبُ أنفسِكم، ولم يكن لجراحي منكمُ آسِ [2] ،
أزمعتُ يأساً مُبيناً من نَوالكمُ ؛ ولن يُرى طارداً للحُرّ كالياس [3] .
جارٌ لقومٍ أطالوا هُونَ منزلِهِ وغادروه مُقيماً بين أرماس [4] .
ملّوا قِراه ، وهرّتْه كلابُهُمُ ، وجرّحوه بأنيابٍ وأضراس .
دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغْيتها واقعُدْ فإنّك أنت الطاعمُ الكاسي [5].
من يفعَلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جوازيَه ، لا يذهبُ العُرْف بين الله والناس [6] .

فشكاه الزبرقان إلى عمر بن الخطاب ، وكان عمر أعلم الناس بالشعر [7] ، ولكنه أراد أن تقوم الحجّة على الحطيئة من شاعر مثله [8] فاستدعى حسانَ بن ثابت وقال له : ما تقول ، أهجاه ؟ فقال حسان ذرق عليه ! (كناية عن شدة هذا الهجاء وقبحه بالاضافة إلى المُثُل العليا الجاهلية) . فألقى عمر عند ذلك الحطيئة في السجن . فقال الحطيئة يستشفع عمر ويذكر له ان حبسه قد حال بينه وبين الاهتمام بأولاده :

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مَرَخٍ حُمْرَ الحواصل لا ماءٌ ولا شجرُ [9] .
ألقَيْتَ كاسِبَهم في قعرِ مُظْلمة ، فارحمْ — عليك سلامُ الله — يا عمر !

فخلّى عمر سبيل الحطيئة وأخذ عليه ألاّ يَهْجُوَ أحداً من المسلمين ثم أعطاه ثلاثة آلاف درهم يستغني بها عن الهجاء .

---

١ أكياس جمع كيس (وليست في القاموس) : عاقل ، ذكي .
٢ آسي : طبيب .
٣ — عزمت على أن أفارقكم مرة واحدة (ليأسي من عطائكم) . الياس : اليأس .
٤ الارماس جمع رمس : قبر . بين ارماس : مهدد بالموت .
٥ الطاعم الكاسي : الذي يطعمه الناس ويكسونه .
٦ الجوازي جمع جازية : من يثيب على عمل الخير . العرف : عمل الخير .
٧ البيان والتبيين ١ : ٢٣٩ .
٨ مثله ١ : ٢٤٠ .
٩ ذو مرخ : واد بالحجاز . حمر الحواصل : صغار الطير قبل أن يثبت الريش على نحورها (كناية عن أولاد الحطيئة) .

وبَقِيَ الحطيئة حيناً في المدينة ثم انتقل ، في خلافة عمر ، إلى حوران قاصداً علقمة بن عُلاثة ؛ وكان علقمة سيداً في الجاهلية ، أسلم وارتد ثم عاد إلى الطاعة وسكن حوران . ولكن علقمة كان قد توفّي قبل مُديدة فأعطى ابنُ علقمةَ للحطيئة مائةَ ناقةٍ معَ أولادها .

وفي أيام عثمان بن عفّان ذهب الحطيئة إلى الكوفة ثم عاد إلى المدينة . أما في أيام علي فقدِ انزَوَى ، ولكنه برز في أيام معاوية في المدينة . ورأيناه مرة في مجلس سعيد بن العاص والي المدينة من قِبَلِ معاوية . وتوفّي الحطيئة سنة ٥٩ هـ (٦٧٨ م) ، وقد أسنّ جداً .

٢ ــ الحطيئة من فحول الشعراء ومتقدّميهم وفصحائهم ، مكثر متصرّف في جميع فنون الشعر من المديح والفخر والهجاء والنسيب والوصف مجيد في ذلك كله . وهو أيضاً متين الشعر شَرود القافية [١] لا مَطعنَ في شعره [٢] . وفي شعره غناء [٣] . غير أن هجاء الحطيئة للناس والطمع والضَراعة قد أفسدت الحطيئة وخفضت مقامه [٤] . لقد استفرغ الحطيئة شعره في مديح بني قُريع ، ثم أكثر من الهجاء: هجا أمّه وأباه وهجا نفسه ، وكذلك هجا أضيافه وهجَوْه .

ومع أن الحطيئة كان شاعراً مطبوعاً فانه كان ينقّح شعره ويُعْجَب بالشعر المنقّح ، شأنَ زهير بن أبي سلمى في ذلك ــ فقد كان الحطيئة راوية لزهير ولآل زهيرٍ ، وكان زهير استاذاً له . وعلى ذلك يعد الحطيئة في عبيد الشعر [٥]

٣ ــ المختار من شعره

ــ قال الحطيئة يمدح آل سعد بن هُذيم قومَ أنف الناقة بن قُريع ، وهو بَغيض بن عامر بن شمّاس بن لأيٍ بن جعفر :

---

١ القافية الشرود : القافية الموافقة للبيت حتى لا نجد أوفق له منها . وضدها : القافية المجتلبة .

٢ راجع غ ٢ : ١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ، ١٦٩ ، ١٧٤ .

٣ راجع غ ٢ : ١٥٥ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠١ .

٤ غ ٢ : ١٧٠ ، ١٩٣ .

٥ راجع في ذلك كله طبقات الشعراء ٢١ ؛ البيان والتبيين ١ : ٢٠٤ ، ٢٠٦ ؛ الشعر والشعراء ١٧ ، ٤٧ ، ٦١ ، ١٨٠ ؛ غ ٢ : ١٦٥ ، ١٧٢ ــ ١٧٤ .

وبلدةٍ جُبْتُها وحدي بيَعْمَلَةٍ إذا السّراب على صحرائها اضطربا [1] .

والذئب يَطْرُقنا في كل منزلة عَدْوَ القرينين في آثارنا خَبَبا [2] .

قالت أمامةُ : لا تَجزَعْ ، فقلت لها: إنّ العزاء وان الصبر قد غُلبا [3] :

ان امرَأً رهطُه بالشام ، منزلُه برمل يَبْرين جاراً ، شَدّ ما اغتربا [4] !

هلاّ التمستِ لنا ، ان كنت صادقة ، مالاً فيُكسِبَنا بالخَرْج أو نَشَبا [5] ،

حتى يُجازيَ أقواماً بسعيهمُ من آل لأيٍ ، وكانوا سادةً نُجُبا [6] ؛

رَدّوا على جار مولاهم بمَهْلكة ، لولا الالّهُ ولولا عطفُهم عَطِبا [7] .

سيري ، أمامَ ، فإنّ الاكثرين حصىً والأكرمين إذا ما يُنْسَبون أبا

قومٌ هُمُ الانفُ، والاذنابُ غيرُهُمُ ، ومن يُسوّي بأنف الناقة الذنبا [8] !

— ومن جيّد مدح الحطيئة قوله في آل سعد بن هُذيم قوم أنف الناقة :

ألا طَرَقَتْنا ، بعد ما هجعوا ، هِندُ ؛ وقد جُزْنَ غَوْراً واستبانَ لنا نجد [9] .

---

١ جاب : قطع . اليعملة : الناقة القديرة على السفر .

٢ العدو : الجري ، الركض . القرينان : الجملان يربطان بحبل واحد فيسيران معاً . الخبب : نوع من المسير بين المشي والركض . — الذئب يسير محاذياً لنا ينتظر من أحدنا غرة (يتأخر عن القافلة أو يبتعد عنها) فيفترسه .

٣ أمامة : امرأة الحطيئة . عزائي (أملي بأن أغتني) وصبري (على الفقر) قد نفدا . و « أمام » في البيت الثامن ترخيم « أمامة » .

٤ الشام (هنا) شمالي بلاد العرب . يبرين : موضع باليمامة (شرقي بلاد العرب) . جاراً : غريباً عن موطنه .... شد ما اغترب ! : ما أبعد غربة الذي يكون أهله (موطنه) في الشمال ومنزله وهجرته إلى الشرق !

٥ الخرج : مكان في اليمامة . النشب : المال ، الغنى .

٦ — إلى أن يعطينا أحد من آل لأي مالا ، وكان آل لأي سادة نجباً (من أصل كريم) .

٧ — ردوا : تفضلوا ، أنعموا . جار مولاهم : (يقصد الزبرقان بن بدر — راجع ترجمة الحطيئة) . المهلكة : المكان القفر الذي يهلك الساكن فيه .

٨ الأنف : مقدم جسم الحيوان (كناية عن الشرف) . أنف الناقة هو جعفر بن قريع بن عوف جد جد (مكررة مرتين) بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن جعفر . وسبب تسمية جعفر « أنف الناقة » أن أباه قريع بن عوف نحر ناقة وفرقها بين نسائه . فأرسلت امرأته الشموس ابنها جعفراً ليأخذ نصيبها . فلما وصل لم يكن قد بقي من الناقة إلا رأسها وعنقها، فقال له أبوه: شأنك بهذا ! فأدخل جعفر أصبعه في أنف الناقة وجعل يجرها ، فسمي « أنف الناقة » (غ ٢ : ١٨١) .

٩ طرقتنا : تراءت لنا في المنام . جزن غوراً : قطعت (النياق بنا) المكان المنخفض ثم ظهر لنا نجد .

وإنَّ الـتي نَكَّبْتُهـا عن مَعاشرٍ — عليَّ غِضاباً أنْ صَددتُ كما صدُّوا[1] —
أتتْ آلَ شمّاسِ بن لأيٍ ، وانمـا — أتاهم بها الاحلامُ والحَسَبُ العِدُّ[2] .
يَسوسون أحلاماً بعيداً أناتُهـا ، — وان غَضِبوا جاءَ الحَفيظةُ والجِدُّ[3] .
أقِلّوا عليهم — لا أبًا لأبيكمُ — — من اللَّوْم، أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا[4] .
أولئك قوم ان بَنَوا أحسنوا البنى ، — وان عاهدوا أوْفَوا، وان عقدوا شَدُّوا[5] .
وان كانت النُّعمى عليهم جَزَوا بها ، — وان أنعموا لا كَدَّروها ولا كَدُّوا[6] .
وان قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ — من الدهر : رُدُّوا فضل أحلامكم رَدُّوا[7]
وان غاب عن لأيٍ بَغيضٌ كَفَتْهُمُ — نَواشئُ لم تَطْرُرْ شواربُهم بَعْدُ[8] ،
مَطاعينُ في الهَيْجا ، مكاشيفُ للدُّجى ؛ — بنى لهمُ آباؤهم وبنى الجَدُّ[9] .
وتَعْذِلُني أبناءُ سعدٍ عَلَيْهِمُ ؛ — وما قلت الا بالتي عَلِمَتْ سعد[10] .

— وللحطيئة قصيدة موضوعية من الوصف والقَصَص رائعةُ المعنى جميلة السبك كاملة المعالجة . يذكر الحطيئة أن ضيفاً نزل به وليس عنده ما يَقريه به فخطر له أن يذبح ابنه ليقدّم للضيف لحمه طعاماً . وكأنّ الطفل أدرك ما يجول

---

١ و ٢ نكبتها : صرفت ناقتي عن معاشر : عن آل الزبرقان . صددت كما صدوا : هجرتهم بعد أن أهملوني .... ناقتي جاءت إلى آل شماس .... والذي جعل ناقتي تذهب اليهم (أذهب بها اليهم) الاحلام (عقولهم الكبيرة) والحسب العد (وأعمالهم الحميدة منذ القدم) .

٣ بعيد أناتها : لا تسفه . لا يضيقون صدراً مهما أصابهم . وإذا غضبوا غضباً حقيقياً كان لهم حقد شديد .

٤ أقلوا عليهم : خففوا . سدوا المكان الذي سدوا : قوموا بما يقومون هم به ، افعلوا مثلهم .

٥ البنى (بفتح الباء) : البناء (مصدراً) ، والبنى (بكسر الباء وضمها) جمع بنية (بكسر الباء أو ضمها ثم بسكون النون) : الشيء الذي نبنيه ، مجازاً أو حقيقة . وان عقدوا شدوا : وان أقاموا صداقة أو حلفاً جعلوهما وثيقين متينين .

٦ .... لم يكدروا النعمى (صنع الخير) بالمن والاذى ، ولا كدوا (أعطوا شيئاً قليلا) .

٧ مولاهم : جارهم ، حليفهم ، المستجير بهم . جل حادث : الحادث الجليل (المصيبة الكبيرة) . ردوا فضل أحلامكم : اصبروا في هذه المصيبة .

٨ — وإذا لم يكن بغيض حاضراً فان الشبان من قومه (الذين لم تنبت شواربهم بعد) يكرمون الضيوف كما يكرمهم بغيض نفسه .

٩ مطاعين في الهيجاء : يحسنون الطعان في الحرب ، ينتصرون في الحروب . مكاشيف للدجى : يدفعون الظلم عن المظلوم ، والفقر عن الفقير ... بنى لهم آباؤهم (مجداً) .

١٠ قال لي أبناء سعد (قوم بغيض) أنني أبالغ . والحقيقة أنني لم أقل إلا الاشياء التي يعرفها أبناء سعد أنفسهم عن بغيض .

في نفس أبيه فشجّعه على أن يفعل ذلك . ثم بدا للحطيئة من بعيد سِرب من حُمُر الوحش فاصطاد منها واحداً أطعم منه ضيفه وفَدى ابنه :

وطاوِي ثلاثٍ عاصبِ البطنِ مُرْمِلِ ، ببَيْداءَ لم يَعرِفْ بها ساكنٌ رَسْما [1] ،
أخي جَفوةٍ فيه من الأنس وَحشةٌ ، يرى البؤسَ فيه، من شَراسته، نُعمى [2]
تفرّد في شِعبٍ عجوزاً إزاءها ، ثلاثةُ أشخاص تَخالُهُمُ بَهْما [3] ،
حُفاةً عُراةً ما اغتذَوْا خُبز ملّةٍ ، ولا عَرَفوا للبُرّ — مُذ خُلقوا — طَعما [4] .
رأى شبحاً وسْطَ الظلام فراعَهُ ، فلمّا رأى ضيفاً تَشمّر واهتَمّا [5] .
تَروّى قليلاً ثم أحجم بُرهة . وان هو لم يذبحْ فتاه فقد هَمّا [6]
وقال ابنه ، لمّا رآه بِحَيْرة : أيا أبَتِ ، اذبَحْني ويَسّرْ له طُعما .
ولا تعتذرْ بالعُدم ، علّ الذي طرا يظنّ لنا مالاً فيوسعَنا ذمّا [7] .
فقال : هيا ربّاهُ ، ضيفٌ ولا قِرىً ؛ بحقّك ، لا تَحرِمْه تا الليلةَ اللحما [8] .
فبَيْنا هم عَنّت على البُعد عانةٌ قد انتظمتْ من خلف مِسْحَلِها نظما [9] ،
ظِماءٌ تريد الماء ، فانسَلّ نحوها . ألاَ إنّه منها إلى دَمِها أظما !
فأمهلها حتى تَروّت عِطاشُها ، فأرسل فيها من كِنانته سهما .

---

١ الطاوي : الذي بات على الطوى (الجوع) ثلاث ليال . عاصب البطن : قد ربط بطنه (ليمنع معدته من الحركة) فلا يشعر بالجوع . مرمل : فقير (قد امتلأ ماعون بيته بالرمل لفراغ ذلك الماعون من المؤونة مدة طويلة) . لم يعرف بها ساكن رسماً : لم ينزل بها أحد منذ زمن طويل .

٢ أخي جفوة : غليظ الطبع . فيه من الانس وحشة : ألف الانفراد حتى لو رأى انساناً لاستغرب منه واستوحش .... يظن أن ضيق العيش الذي ألفه وتعوده رفاهية .

٣ — عاش منفرداً في شعب (طريق في الجبل ، بعيداً عن الناس) مع امرأته العجوز وثلاثة أولاد لهما تظنهم بهما (صغار الغنم) لنحولهم وهزالهم .

٤ الملة : الرماد الحار . خبز ملة : العجين الذي يخبز . البر : الحنطة ، القمح .

٥ تشمر للأمر : تهيأ ، استعد (لخدمة الضيف واكرامه) . اهتم : أظهر الاهتمام ؛ حزن (إذ لم يكن لديه طعام لهذا الضيف) .

٦ تروى : فكر ملياً (في ذبح ابنه) . أحجم : تأخر ، امتنع . البرهة : المدة . هم : كاد يفعل .

٧ العدم : الفقر . طرأ : أتى من مكان بعيد .

٨ ولا قرى : وليس عندي طعام للضيف . تا مؤنث ذا (اسم اشارة) .

٩ فبينما هم (في ذلك) عنت (ظهرت ، بدت) . عانة (قطيع) . انتظمت : وقفت في صف مستقيم . المسحل في القاموس (٣ : ٣٩٤) لسان قومه والخطيب (يقصد الحمار الوحشي الذي كان يسير على رأس ذلك القطيع) .

فخرّت نَحوص ذات جَحش فتيّة ... قدِ اكْتَنَزَتْ لحماً وقد طُبّقت شحما[1] .
فيا بِشرَه إذ جرّها نحو أهله ، ويا بشرَهم لمّا رأوْا كَلْمَها يَدْمى[2].
وبات أبوهم من بَشاشته أباً لِضَيْفِهِم ، والأمّ من بِشْرِها أمّا .
وباتوا كراماً قد قَضَوْا حق ضَيْفهِم ، وما غَرِموا غُرماً وقد غَنِموا غُنما .

٤ – ديوان الحطيئة ، الجزء الاول ، دار الخلافة – استانبول ١٣٠٨ هـ .
ديوان الحطيئة ، القاهرة (التقدم) ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٥ م .
ديوان الحطيئة (عيسى ميخائيل سابا) ، بيروت (صادر) ١٩٥١ م .
ديوان الحطيئة بشرح ابن السكيت والسكرى والسجستاني (نعمان أمين طه) ، القاهرة (البابي الحلبي) ١٩٥٨ م .

• الحطيئة ، تأليف جميل سلطان ، دمشق ، بلا تاريخ .
الحطيئة ، تأليف ايليا سليم حاوي ، بيروت (دار الشرق الجديد) ١٩٦١ م.
بروكلمان ١ : ٣٦ ، الملحق ١ : ٧١ .

سُويد بن أبي كاهل

١ – هو أبو سعد سُويد بن شُبيب أبي كاهل بن حارثة بن حِسل بن مالك ابن عبد بن سعد بن جُشَم بن ذُبيان ؛ وأمه امرأة من بني غُبَرَ كانت زوجاً لرجل من بني ذبيان مات عنها وهي حامل فتزوّجها أبو كاهل شُبيبٌ . فلمّا وُلد سُويدٌ ألحقه أبو كاهل بنسبه ، وقيل بل كان سويد يافعاً لمّا تزوّجت أمه أبا كاهل .

جاور سويد بني شيبان فأساءوا جواره فانتقل عنهم وهجاهم ، كما هاجى زياداً الاعجمَ .

وقد أدرك سويد دهراً في الجاهلية ثم عاش في الاسلام حتّى أدرك ولاية عامر

---

١ النحوص في القاموس (٢ : ٣١٩) : الأتان التي لا ولد لها ولا لبن (ويكون لحمها أسمن وأطيب) ولكن الحطيئة يجعلها ذات جحش (أم ولد) .
٢ البشر : تهلل الوجه (الفرح) . الكلم : الجرح . يدمى : يسيل منه الدم .

ابن مسعود الجُمَحي على الكوفة (٦٤ – ٦٥ هـ = ٦٨٣ م) ، ثم مات بعد أن أسنّ كثيراً.

٢ – سويد بن أبي كاهل شاعر مخضرم متقدّم في قول الشعر غريب الألفاظ أحياناً ولكنّه سهل التّراكيب ، وشعره وجداني عذب . وفنون شعره الفخر والغزل والهجاء . ومع أن هجاءه كثير ، فانه كان مُغَلّباً (يغلبه الآخرون في الهجاء ولا يَغْلِبُ هو أحداً فيه) .

٣ – المختار من شعره :

– يقول الاصمعي (الاغاني – طبعة دار الكتب ١٣ : ١٠٢) : « إن هذه القصيدة كانت تُسمّى في الجاهلية « اليتيمة » . وبما أن فيها مَعانِيَ إسلامية كثيرة فيغلب على الظنّ أن قسماً منها نظم في الجاهلية ثم أضيفت اليها أبيات في الاسلام ، والقصيدة في المفضّليات (دار المعارف – رقم ٤٠ ؛ ص ١٩٠ – ٢٠٢) ، وأبياتها مائة وثمانية :

بَسَطَتْ رابعةُ الحبلَ لنا ... فوَصَلْنا الحبل منها ما اتّسعْ [١] .
حُرّة تجلو شَتيتاً واضحاً ... كشُعاع الشمس في الغيم سطع [٢] .
صقَلَتْه بقضيب ناضرٍ ... من أراكٍ طيّبٍ حتّى نصع [٣] ،
أبيضَ اللون لذيذاً طعمُه ... طيّب الرّيق إذا الريق خدع [٤] .
تمنح المرآة وَجْهاً واضحاً ، ... مثل قَرن الشمس في الصحو ارتفع ،
صافِيَ اللون وطَرْفاً ساجياً ... أكحلَ العينين ما فيه قَمَع [٥] ،
وقُروناً سابغاً أطرافُها ... غلّلتها ريحُ مِسْكٍ ذي فَنَع [٦] .

١ رابعة : محبوبة الشاعر . بسطت لنا الحبل : أتاحت لنا فرصة الوصال والتمتع . فوصلنا الحبل منا ما اتسع : تمتعنا بها ما أمكن التمتع .

٢ حرة : بيضاء اللون بياضاً لا يخالطه عيب من كلف أو نحوه . تجلو : تبدي (إذا فتحت فاها) . شتيتاً (أسناناً متفرقة) ، وذلك من علامات الجمال والسعد في الانسان . واضحاً : أبيض نقياً .

٣ قضيب ناضر (أخضر ، جديد) من أراك : شجر تتخذ منه المساويك .

٤ خدع : فسد ، تغير ريحه (اذا ريق غيرها تغيرت رائحته) .

٥ الساجي : الهادئ ، الساكن . القمع : كمد (اغبرار في اللون) أو ورم في طرف العين .

٦ القرون : ذوائب أو جدائل الشعر . سابغاً أطرافها : طويلة . غللتها : تخللتها ، شاعت فيها . الفنع : ذكاء (شدة) رائحة المسك .

وكذاك الحِبّ ما أشجعَه ... يركب الهول ويعصي من وزع [1] .
وإذا ما قلت ليلٌ قد مضى ... عطف الأوّل منه فرجع .
يَسْحَب الليلُ نجوماً طُلّعاً ... فتواليها بطيئات التبع [2] .
فدعاني حبّ سلمى بعد ما ... ذهب الجِدّة مني والرّيَع [3] .
خبلتني ثُمَّ لمّا تَشْفِني ؛ ... ففؤادي كلَّ أوب ما اجتمع [4] .
تُسْمع الحُدّاثَ قولاً حسناً ... لو أرادوا غيره لم يُستَمَعْ .
كم قطعنا دون ليلى مَهْمَهاً ... نازحَ الغَوْر إذا الآل لمع [5]
في حَرور يَنْضَجُ اللحمُ بها، ... يأخذُ السائرَ فيها كالصقع [6] .
من بني بكر بها مملكة : ... منظرٌ فيهم وفيهم مُستَمِع .
بُسُط الأيدي إذا ما سُئلوا، ... نُفُعُ النائلِ إنْ شيء نفع ؛
من أناس ليس من أخلاقهم ... عاجل الفحش ولا سوء الجزع ؛
عُرُفٌ للحقّ ما نَعيا به ... عند مُرّ الأمرِ ما فينا خرع [7] .
وإذا هَبّتْ شَمال أطعموا ... في قدور مُشْبَعات لم تُجَع [8] .
لا يخاف الغدرَ من جاورهم ... أبداً منهم ، ولا يَخْشى الطبع [9] .
عادةٌ ، كانت لهم ، معلومةٌ ... في قدم الدهر ليست بالبِدَع [10] .
كتب الرحمن ، والحمدُ له، ... سَعَةَ الاخلاق فينا والضلع [11] ،

---

١ الحب (بكسر الحاء) : المحب ، العاشق . وزع يزغ : عذل ، منع ، نهى .
٢ الظالع : الأعرج (كناية عن بطء السائر في سيره) . التوالي : (النجوم) التي تتلو غيرها .... – غابت نجوم (بدأ الليل ينقضي) ، ثم أبطأت التوالي (النجوم الباقية) في اتباع النجوم التي غابت .
٣ الجدة : نشاط (الشباب) . الريع (في الاصل بسكون الياء) : أفضل (الشباب) وأوله .
٤ خبلته : سلبت عقله (بحبها) . لما تشفني : لم تشفني إلى الآن (وآمل أن تشفيني في المستقبل) . كل أوب (صوب) : مشتت ، حائر .
٥ المهمه : القفر ، الصحراء . نائي (بعيد) الغور : العمق (وهنا – الامتداد والاتساع) . الآل : السراب. لمع السراب : كثر واشتد (اشتد الحر) .
٦ الحرور : شدة حر الشمس . كالصقع : شيء كالصقع (الحر الذي يصيب الدماغ ، ضربة الشمس) .
٧ هم يعرفون الحق ولا يحجمون عن إعلانه ولو كان ذلك مضراً بهم ، وليس فيهم خرع (لين أو ضعف) .
٨ إذا هبت شمال (ريح شمالية باردة ، في فصل الشتاء) . مشبعات : مملوءة . لم تجع : لم تكن يوماً ناقصة غير مملوءة .
٩ الطبع : الدنس وسوء الخلق .
١٠ البدع جمع بدعة : الأمر المستحدث الجديد (المخالف للعادة المألوفة).
١١ الضلع : المقدرة على القيام بالأمور .

وإباءً للدنيّـــاتِ إذا أعْطِيَ المكثورُ ضيماً فكنع [١] ،
وبنـاء للمعـــالي ؛ إنّمـــا يرْفَع اللهُ ومَنْ شاء وضع .
رُبّ من أنضجتُ غيظاً قلبَـه قد تَمَنّى لي موتاً لم يُطَعْ .
ويراني كالشَّجا في حلقِـــهِ عَسِراً مَخرَجُه ما يُنْتَزع :
مُزْبِداً يَخْطُرُ ما لم يرَنـي ، فاذا أسمعته صوتي انقمع .
ويُحَيّيني إذا لاقيتُـــه ، وإذا يخلو له لحمي رتَع .
زرع الداء ولم يُدْرِكْ بـــه تِرَةً فاتت ، ولا وَهْياً رقع [٢] .
وعـــدوٍّ جاهدٍ ناضلْتُـه ، في تراخي الدهر عنكم والجُمَع [٣] ،
فتساقَيْنـا بِمُــرٍّ ناقــعٍ في مُقام ليس يَثْنيه الورع [٤] ؛
وارتمينا ، والأعادي شُهدٌ ، بنبالٍ ذات سُمٍّ قد نَقَع [٥] .
فرّ منّي هـــارباً شيطانُه حيث لا يُعطِي ولا شيئاً منع .
ورأى منّي مُقـاماً صادِقـاً ثابتَ المَوْطِنِ كتّام الوجع [٦] ،
ولســاناً صَيْرفِيّـاً صارماً كحُسام السيف ما مسّ قطع .
هل سُويد غيرُ ليثٍ خـادر ثَئِدَتْ أرضٌ عليه فانتجع [٧] !

٤ – المفضّليات ، رقم ٤٠ (ص ١٩٠ – ٢٠٢ (، الاغاني ١٣ – ١٠٢ – ١٠٧ .

١ المكثور : الذي كثره الناس : (غلبوه ، تغلبوا عليه) . كنع : خضع .

٢ التِرة : الوتر أو الثأر . الوهي : الشق ، المكان الضعيف في الثوب يريد أن ينشق . – كان قد أذكى العداوة علي في قومه فلم ينتفع (لم يصغ اليه أحد ولا أطاعه أحد في الثأر مني) ثم هو لم يصلح بين قومه وقومي (لم يستطع أن يزيل أسباب العداوة) .

٣ – قضينا زمناً نتهاجى أو نتقاتل في مواقف لا يمنعنـا فيهـا التقى وحب الخير عن قتال بعضنا بعضاً .

٤ جاهد : يبذل جهده . ناضلته : رماني ورميته بالنبال (قاتلته ، صارعته) . في تراخي الدهر عنكم والجمع (الجماعات) : بينما كان الدهر يتراخى عنكم (يسالمكم) وبينما كان النـاس لا يقـاتلونكم ولا يعادونكم . – كنت أنا أحمل عنكم عبء الجهـاد والقتال وكنتم أنتم مستريحين ناعمي البال .

٥ ارتمينا : كان بعضنا يرمي بعضاً (بالنبال) . والاعادي شـهد : شاهدون ، موجودون ينظرون الينا ويشهدون نزاعنا (في الفخر والهجاء أو في القتال) . السم الناقع : الخالص ، الصافي ، الثابت الشديد . – كنا جادين في نزاعنا يرغب كل واحد منها أن يقضي على خصمه .

٦ اللسان الصيرفي : العارف في تمييز الكلام وتصريفه .

٧ الليث الخادر : الذي يعيش في الاجمة (الغابة الملتفة الاشجار) . ثئدت أرض (نديت ، ابتلت ، كثر فيها الماء فأصبحت غير موافقة لسكناه) فانتجع : انتقل إلى غيرها أكثر موافقة له .

النـــابغة الجَعْديّ

١ – هو أبو ليلى حسّان بن قيس بن عبد الله من جَعْدَةَ بن كعب بن ربيعةَ أحدِ بني عامر بن صعصعة ، كانت مساكن قومه في الفَلَج (والفلج ماء في جَنوبيِّ نجد) .... وقيل إن أمّه كانت امرأة من أهل هَجَر يقال لها خَصَفَةُ ، وقيل بل كانت خصفة حاضنته . ولقد لُقِّبَ بالنابغة لأنه كان قد قال الشعر في الجاهلية ثم سكت دهراً طويلاً ثم عاد إلى قول الشعر في الاسلام ونبغ في قوله نبوغاً كبيراً .

والنابغة الجعدي أقدم من النابغة الذبياني ، فان النابغة الذبياني أدرك النّعمان ابن المُنذر بينما النـابغة الجعدي أدرك المُنذر بن مُحرِّق والد النُعمـان هذا [1] .

وكان النابغة الجعدي من الذين أنكروا الخمر في الجاهلية وهجروا الازلامَ [2] وعبادةَ الاوثان . ثم ان النـابغة الجعدي أسلم ووفَدَ في قومه ، وكان سيّداً فيهم ، على الرسول (سنة ٩ هـ) ، وأنشده شعراً ، فأعْجِبَ به الرسول .

وسكن النابغة الجعدي في المدينة زمناً ، ثم نازعته نفسه ، في أيام عُثمان بن عفّان ، إلى العيشة في البـادية ، فاستأذن عثمانَ في ذلك وخرج إلى بلده [3] .

وشهد النابغة الجعدي فتح فارس . ثم شهد معركة صفّين مع عليّ بن أبي طالب ، وكان في ذلك الحين يسكن الكوفة ؛ ثم انه أدرك خلافة معاويـة . وكانت وفاته في إصفهان [4] ، سنة ٦٥ هـ [5] – في أواخر خلافة مروان بن الحكم أو في مطلع خلافة عبد الملك – وقد كُفَّ بصرُه وزادت سنّه على مائة .

٢ – النابغة الجَعْديّ شاعرٌ مخضرم مطبوع فصيح يجري في شعره على السليقة

---

١ الشعر والشعراء ١٥٩ ؛ غ ٥ : ٦ .

٢ الاستقسام بالازلام : أن يستخير الانسان الازلام في أعماله المقبلة (الازلام سهام يكتب عليها : افعل، لا تفعل ، الخ ... ثم يمـد الانسان يده فيخرج زلماً ؛ فان خرج الزلم الذي عليه : افعل ، أقدم على ما ينوي . وان خرج الناهي : الذي عليه : لا تفعل ، ترك الأمر الذي كان قد نوى فعله) .

٣ طبقات الشعراء ٢٧ ؛ غ ٥ : ١٠ .

٤ طبقات الشعراء ١٥٩ ، السطر الأخير من المتن .

٥ عام ٦٨٤ م . وفي الاعلام للزركلي (٦ : ٥٨) ٥٠ هـ = ٦٧٠ م .

ولا يتكلّف صَنعةً ؛ إلاّ أن شعره شديدُ التفاوت : منه الجيّد البارع ومنه الرديء الساقط . وفنون شعره المشهورة : المدح والهجاء والوصف ، وكان من أوصف الناس للفرس [1] ؛ ثم الحكمة. وفي شعره شيء من الإقذاع . ومن العجب أن النابغة الجعديّ كان مُغلَّباً : ما تعرّض لشاعر بهجاء إلاّ غلبه ذلك الشاعرُ . كان النابغة الجعدي في الجاهلية مع النابغة الذبياني فلم يُذْكَرْ معه (لم يشتهر ، بل غطّى عليه النابغة الذبيانيّ) . ثم هاجى ليلى الأخيَلِيّةَ فغلبته ؛ وهاجى أوسَ بن مَغراء (ولم يكن أوس بن مغراء مثله ولا قريباً منه) فغلبه أوس . وتعرّض في أواخر أيامه لكعب بن جُعيل وللأخطل فغلباه . وقد غلبه أيضاً من لم يكن من الشعراء نِدّاً له أمثال عُقيل بن خالد العقيلي وسوّار بن أوفى القشيريّ .

وتكثر في شعر النابغة الجعدي الألفاظ الاسلامية . وقيل هو أول من (ذكر أنّه) كَنى عنِ اسْم من يعنى بغير اسمه (غ ٥ : ٢٧) .

٣ – المختار من شعره

– قال النابغة الجعدي يرثي ابناً له اسمه مُحاربٌ ، ويذكر أخاً له (أخاً للنابغة) اسمه وَحْوح ، وهو في ذلك يخاطب زوجته :

ألم تعلمي أني رُزِئتُ مُحارباً ؛	فما لكِ ، بعدَ اليوم ، خيرٌ ولا ليا.
ومن قبلهِ ما قد رُزِئْتُ بوَحْوَحٍ ،	وكان ابنَ أمي والخليلَ المُصافيا .
فتىً كَمَلَتْ خيْراتُه ، غيرَ أنّه	جوادٌ فما يُبْقي من المال باقيا .
فتىً تَمّ فيه ما يَسُرّ صديقَه،	على أن فيه ما يسوءُ الأعاديا .

– أتى النابغة الجعدي إلى الرسول وأنشده :

أتَيْتُ رسولَ الله إذ جاء بالهُدى	ويتلو كتاباً كالمَجرّةِ نيّرا .
بلغنا السماء مجدُنا وجدودُنا [2] ،	وانا لَنَرْجو فوق ذلك مَظْهرا .
ولا خيرَ في حِلمٍ إذا لم تكنْ لـه	بَوادرُ تَحْمي صَفْوَهُ أن يُكَدّرا .
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكن لـه	حَليمٌ إذا ما أوردَ الامرَ أصدرا .

١ راجع في ذلك كله طبقات الشعراء ٢٦ – ٢٧ ؛ الشعر والشعراء ١٥٩ – ١٦٠ ؛ البيان والتبيين ١ : ٢٠٦ = ٢ : ١٣ .

٢ مجدنا وجدودنا بلغت الذروة .

– وقال في المعاني الدينية ، وقد ألمّ بكثير من المعاني التي وردت في القرآن الكريم :

الحمدُ لله لا شريكَ لـه ! مَنْ لمْ يَقُلْها فنفسَه ظَلَما ،
المُولِجِ الليلَ في النهار ، وفي الليـ ـلِ نهاراً يُفرّجُ الظُلَما ،
الخافضِ الرافعِ السماءَ على الأرْضِ ولم يَبْنِ تحتَها دَعَما .
يا أيّها الناسُ ، هل ترَوْنَ إلى فارسَ بادتَ وخدّها رَغَما [1] ،
– أمسَوْا عبيداً يرْعَوْنَ شاءَكُمُ ، كأنّما كان مُلْكُهم حُلُما [2] –
أو سبأِ الحاضرينَ مأربَ إذ يَبْنُونَ من دون سَيْلِه العَرِما [3].
فمُزّقوا في البلادِ واعترفوا الـ ـسُّهونَ وذاقوا البأساءَ والعَدَما .

٤ – ديوان النابغة الجعدي (؟) .

• • الاغاني ٥ : ١ وما بعدها (ترجمة النابغة الجعدي في الاغاني طويلة ، ولكن يتخلّلها أخبار كثيرة من أيام العرب) ،

بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٢ – ٩٣ ؛ زيدان ١ : ١٧٥–١٧٦ .

الأحنف بن قيس

١ – هو أبو بحر صَخْرُ بن قيس بن مُعاوية السّعديّ التميمي ؛ وكان يُعرف بالأحنف لأنه كان أعرجَ مِنَ انقِلابِ ظهرِ قدمِه نحو الأرض .

وُلِدَ الاحنفُ في سنة ٣ ق. هـ. (٦١٩ م) في البصرة ونشأ فيها يتيماً لأن بني مازنٍ قتلوا أباه . وأسلم الاحنف مع قومه ولم يَفِدْ على الرسول (لصِغَر سنّه يومذاك ، فيما يبدو) . ولمّا ارتدّ قومه (١١ هـ = ٦٣٣ م) لم يرتدّ معهم (لم يشترك في القتال معهم ، لصغر سنه أيضاً) . ولمّا بلغ الاحنف العشرين من

---

[1] خدها رغماً : لصق بالتراب ، ذلت .
[2] الشاء جمع شاة . – هذا البيت يدل على أن هذه القطعة اسلامية .
[3] سبأ (مجرورة) معطوفة على فارس . سبأ : دولة سبأ (اليمن) . الحاضرين مأرب : الساكنين في مدينة مأرب . يبنون (سداً) ليدفعوا السيل العرم (الشديد) .

عمره وفد على عمرَ بنِ الخطّاب .

ومنذ عام ٢١ هـ (٦٤٢ م) ، قبل أن يُتَوَفّى عمر بنُ الخطاب ، سار الاحنف في جيوش الفتح إلى فارس فشَهِدَ فتح نهاوند (٢١ هـ) ثم فتح قُمّ وقاشان . وكان على مقدمة جيش عبد الله بن عامر في فتح خراسان ففتح مدينة هراة ومَرْو ومرو الرَوْذ وبَلْخ وغيرها . وبعدت فتوحه إلى ما وراء النهر وفقَدَ عينه في فتح سَمَرْقَنْد (في أيام عثمان) .

وبعد وفاة عثمان بايع الاحنف عليّ بن أبي طالب بالخلافة . ولكنّه اعتزل القتال مع ستّة آلاف من قومه لمّا نَشِبَتْ معركة الجمل . وقيل انه كان من الخوارج (الكامل ٦١٦ ، ٦٢٦) . غير أنه حارب في صفوف عليّ في معركة صفّين . ولمّا تولّى معاوية الخلافة وفَدَ عليه الاحنف وكان جريئاً في الردّ عليه غير هيّاب في الحقّ . ومال الاحنف إلى عبد الله بن الزبير فانضم إلى مُصْعب بنِ الزبير وقاوم المختار بن أبي عُبيد الثّقفي في الحرب التي دارت بينه وبين مُصْعَبٍ حول البصرة .

وكان الاحنف قصيراً دميماً ناتئ الوجنتين ثَطّاً (قليل شعر اللحية) ، بالإضافة إلى أنه كان أحنف أعور . أما وفاته فكانت سنة ٦٧ هـ (٦٨٦ م) أو بعد ذلك بقليل .

٢ — كان الاحنف حليماً ذا أناة وصبر ، راجحَ العقل داهية . وكان فقيهاً عالماً وراوية للحديث ثِقَةً . على أن شهرته الاولى أنه كان حليماً حكيماً ينطق بالحكمة وخطيباً يصيب مواضع الكلام من حيث شاء . وأكثر ما يُروى له أقوال مُتَفرّقة مُفْرَدَة في الحكمة .

٣ — المختار من كلامه

— للأحنف بن قيس أقوال في الحكمة منها :

قال معاوية للاحنف يوماً : ما أذْكُرُ يومَ صِفِّينَ إلا كانت حَزازةٌ في قلبي إلى يوم القيامة . **فقال الاحنف** : والله ، يا مُعاويةُ ، ان القلوبَ التي أبغضناك بها لَفي صُدورنا ، وان السيوفَ التي قاتلناك بها لَفي أغمادها . وان تَدْنُ من الحرب فِتْراً نَدْنُ منها شِبراً ، وان تَمْشِ اليها نُهَرْوِلُ اليها .

– ومن كلامه :

ألا أدُلّكم على المَحْمَدة بلا مَرْزأة : الخُلُقُ السّجيح [1] والكَفّ عن القبيح . – ما خان شريف ، ولا كَذَبَ عاقل ، ولا اغتاب مؤمن . وسئل الاحنف عن الحلم فقال : هو الذلّ مَعَ الصبر . وكان يقول إذا عَجِبَ الناسُ من حِلمه : إني لأَجِدُ ما تَجِدون ، ولكنّي صبور . ووَجَدتّ الحِلمَ أنصرَ لي من الرجال .

– وخطب مرّة فقال ، بعد أن حَمِدَ الله وأثنى عليه وصلى على نَبيّه :

يا مَعْشَرَ الازدِ وربيعةَ ، أنتم إخوانُنا في الدين وشُركاؤنا في الصهْر وأشِقّاؤنا في النسب وجيراننا في الدار ويَدُنا على العَدُوّ . والله ، لَأزْدُ البصرةِ أحبُّ إلينا من تَميم الكوفة ، ولَأزْدُ الكوفة أحبّ الينا من تَميم الشام . فإن اسْتَشْرى شَنَآنُكم وأبى حَسَكُ صدورِكم [2] ففي أموالِنا وأحلامنا سَعَةٌ لنا ولكم .

– تكلّم نفر عند عمر بن الخطّاب فيهم الاحنف بن قيس ، فقال الاحنف :

يا أميرَ المؤمنين : ان مفاتحَ الخير بِيَدِ الله ، والحِرص قائدُ الحِرمان ؛ فاتّقِ اللهَ فيما لا يُغني عنك يوم القِيامة قيلاً ولا قالاً ، واجعلْ بينَك وبين رَعيّتك من العدل والإنصاف سبباً يَكْفيك وفادة الوفود واسْماحةَ المُمْتاح . فانّ كلّ امرئ إنما يجمع في وِعائه ، إلاّ الأقلُ ممن عسى أن تقتحمه الأعين [3] وتخونهم الألسنة ، فلا يُوفَدُ إليك ، يا أميرَ المؤمنين .

– وكان الاحنف يقول :

لا تزال العربُ عرباً ما لَبِسَتِ العمائمَ وتَقَلّدت السيوفَ ، ولم تَعُدّ الحِلم ذُلاً ولا التَواهب فيما بينها ضَعَةً .

– وللأحنف بن قيس خطبة في جماعة من قومه بني تميم تجري كلّهـــا

---

١ الواسع ، اللين ، السهل .

٢ استشرى : اتسع ، تفاقم ، شاع . الشنآن : العداوة والبغضاء . حسك الصدور : الحقد الذي يحمل الناس على بغض بعضهم بعضاً .

٣ تقتحمه الأعين : تجروء عليه (تحتقره ، تراه صغيراً) . فلا يوفد اليك (ان لم تتصف بالعدل والاحسان) : لم يأت اليك أحد .

مجرى الحكمة والمثل المضروب :

حَمِدَ الله وأثنى عليه ثم قال :

إن الكرم يمنع الحُرَمَ [١] . ما أقربَ النِقمةَ من أهل البَغْيِ : لا خيرَ في لذّة تُعقِبُ ندماً . لن يَهْلِكَ من قصد [٢] ، ولن يفتقرَ من زَهِدَ . رُبَّ هَزْلٍ قد عاد جِدّاً . من أَمِنَ الزمانَ خانَه ، ومن تعظّم عليه أهانه . دَعوا المُزاح فانّه يُورث الضغائن ، وخير القول ما صدّقه الفعل . احتملوا مَنْ أدلّ [٣] عليكم ، واقبلوا عذر مَنِ اعتَذَرَ إليكم . أطعْ أخاك وان عصاك ، وصله وإن جفاك . أنْصِفْ من نفسك قبل أن يُنْتَصَفَ منك . إيّاكم ومشاورةَ النساء . واعلم أن كفر النعمة لؤم ، وصُحبة الجاهل شؤم . ومن الكرم الوفاء بالذمَم . ما أقبحَ القطيعةَ بعد الصلة ، والجفاءَ بعد اللّطَف [٤] ، والعداوة بعد الوُدّ ! لا تكوننّ على الاساءة أقوى منك على الإحسان ، ولا إلى البخل أسرعَ منك إلى البَذْل ؛ واعلم أن لك من دنياك ما أصلحت به مَثواك [٥] ، فأنفق في حقّ ولا تكوننّ خازناً لغيرك . وإذا كان الغدر في الناس موجوداً فالثقة بكلّ أحد عَجْز . اعرِفِ الحق لِمَنْ عرَفَه لك ؛ واعلم أن قطيعة الجاهل تعدل صلة العاقل .

٤ – ** الاحنف بن قيس (ملخّص من الجزء السابع من تاريخ ابن عساكر) ، دمشق (المكتبة العربية) بلا تاريخ .

الاحنف بن قيس ، بقلم محمود شيت خطّاب (مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلّد ١١ ، ١٣٨٤ هـ = ١٩٦٤ م) .

الاحنف بن قيس ، بقلم محمود شيت خطّاب (مجلّة الوعي ، كراتشي – باكستان ، يونيه – حزيران ١٩٦٤ م) .

---

١ الحرمة : ما لا يحل انتهاكه . – الكرم يعطي المحرومين ما يحتاجون اليه حلالا فلا يحاولونه حراما : لا يعتدون حتى يحصلوا على ما يعتقدون (خطأ) أنه حق لهم .

٢ قصد : اعتدل ، سار سيرة وسطاً .

٣ أدل زيد على عمرو : وثق زيد بمحبة عمرو له فتجرأ عليه في طلب الاشياء منه وأفرط في ذلك .

٤ اللطف (بالضم) هو الاسم من المصدر « اللطف » (بفتح ففتح) : الرفق والاحسان إلى الناس وايصال الاحسان اليهم من غير أن يتكلفوا له طلباً منك .

٥ المثوى : المقر الدائم (الآخرة) . ما أصلحت به مثواك : ما جعلته ذخراً ينفعك يوم القيامة .

أبو الأسود الدؤلي

١ – هو أبو الاسود ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان من بني الدُؤيل بن بكر من كنانة ؛ وأمه من بني عبد الدار بن قصيّ من قريش .

وُلِدَ أبو الاسود قُبيل الهجرة ، ولكن لم تصبحْ له شهرةٌ إلا في أيام الإمام عليّ . ويبدو أنه سكن البصرة في أيام عمر بن الخطاب . وكان أبو الاسود من أشياع عليّ شَهِدَ معه صِفّين ثم تولّى له حَرْبَ الخوارج . وأدرك أبو الاسود معاوية بن أبي سفيان ولكن لم يكن مطمئناً إلى الحكم الأموي فعاش على تَقِيّة : لم يمدح الامويين ولم يُعَرِّض بهم .

وتوفي أبو الاسود في البصرة ، في طاعونها الجارف ، سنة ٦٩ هـ (٦٨٨ م) ، في نحو الخامسة والسبعين من العمر .

٢ – قال الجاحظ [١] : «كان أبو الاسود خطيباً عالماً ، ومن المُقَدَّمين في العلم ، وكان قد جمع شدة العقل وصواب الرأي وجودة اللسان وقول الشعر والظَّرف». وكان ناثراً شاعراً . ويقال إنه أول من وضع قواعد النحو وأول من ألّف في النحو . أما شعره خاصة فضعيف في الاكثر قليل القيمة الفنية ، فان أكثره في مناسبات تتعلق بحاجاته اليومية . ويبدو أنه كان كثير الهجاء ، وكذلك رثى الحسن ابن علي . ولأبي الاسود شيء من الغزل ومن الحكمة : في الشيب خاصة * .

٣ – المختار من شعره وكلامه

– اختار أبو تمّام لأبي الاسود بيتين في باب الغزل من ديوان الحماسة :

أبى القلبُ إلا أمّ عمرٍو وحبَّها عجوزاً ، ومن يُحبِبْ عجوزاً يُفنَّدِ [٢]
كثوبِ اليماني قد تقادم عهدُه ورُقْعَتُه ما شئتَ في العين واليد .

– وقال [٣] يهجو الحارثَ بن عبد الله بن أبي ربيعة ، وكان لقبه القُباع :

---

١ البيان والتبيين ١ : ٣٢٤ ، راجع ١١٠ .
٢ يفند : ينسب إلى الفند (الجنون) .
٣ مثله ١ : ١٩٦ . * الكامل ٣٢٩ – ٣٣٠ .

قيل أتِيَ الحارث مرةً بمِكْتَل (زنبيل كبير يسع خمسة عشر صاعاً أو ثلاثة أرطال رومية) فقال : ان هذا لَقُباع (والقباع القصير الواسع الرأس) :

أميرَ المؤمنين ، جُزيتَ خيراً ؛ أرِحْنا من قُباع بني المُغيرهْ [1] .
بَلَوْناه ولُمْناه فأعيا علينا ما يُمِرّ لنا مَريره [2] .
على أن الفتى نَكِحٌ أكولٌ ومِسْهاب مذاهبه كثيره [3] .

– كان لأبي الاسود ابن عم سيّء الخُلُق ، وكانا متجاورَيْن وبينهما باب يُسَهِّلُ عليهما الوصول إلى الطريق . فسدّ ابنُ عم أبي الاسود هذا البابَ ، فكان على أبي الاسود أن يَسْلُكَ طريقاً أطولَ إلى وِجهته . وقد كان ذلك سبباً لبِضْع مقطّعات قالها أبو الاسود في هجاء ابن عمه [4] :

لنا جيرةٌ سدّوا المَجازة بيننا ؛ فإنْ ذكّروك السدّ فالسدّ أكْيَسُ [5] .
ومن خير ما ألْصَقْتَ بالدار حائطٌ تَزِلّ به صُقْعُ الخطاطيف أملسُ [6] .

– وقال في هجاء ابن عمه أيضاً :

بُلِيْتُ بصاحبٍ إنْ أدْنُ شبراً يَزِدْني في مُباعدةٍ ذِراعا .
وان أمْدُدْ له في الوصل ذَرْعي يَزِدْني فوق قَيْس الذرع باعا [7] .
كِلانا جاهدٌ : أدنو ويَنْأى ؛ فذلك ما استَطَعْتُ وما استطاعا !

– ولأبي الاسود في الحكمة :

وأحْبِبْ ، إذا أحببتَ ، حُبّاً مُقارباً ، فانّك لا تدري متى أنت نازِعُ .

---

١ بنو المغيرة : آل بني أبي ربيعة .
٢ أمر المرير : فتل الحبل (خدم الناس وبلغهم بعض مرادهم) .
٣ المسهاب : الكثير الاطالة في الكلام وفي معالجة الأمور . مذاهبه كثيرة : كثير الغايات ، كثير المداخل والمخارج .
٤ البيان والتبيين ٢ : ٣٥٥ = ٣ : ٢٢٩ ؛ غ ١١ : ١١٢ .
٥ السد : سد الصين (؟) . السد أكيس : ان سد الصين أدل على حسن الكياسة لأنه بني علناً ليكون حاجزاً دون هجوم الاعداء ، بينما هذا الباب سد خفية وليحول دون استفادة رجل من الاقارب .
٦ – حائط أملس تزلق عليه (لا تثبت عليه) طير الخطاف الصقع (التي في رأسها بياض) .
٧ الذرع : مقدار الذراع . الباع : مقدار ما بين طرفي اليدين إذا مدتا .

وأبْغِض ، إذا أبغضتَ ، بُغضاً مُقارباً فانّك لا تدري متى أنت راجع .
وكن مَعْدِناً للحِلم واصْفَحْ عنِ الخَنا فانّك راءٍ ما عمِلْتَ وسامع .

— وذكروا العمامة عند أبي الاسود الدؤليّ فقال (البيان والتبيين ٣: ١٠٠) :

جُنّة في الحرب ومكنّة من الحرّ ومدفأة من القُرّ ووقار في النديّ [١] ، وواقية من الاحداث وزيادة في القامة ؛ وهي بعد عادة من عادات العرب .

٤ — ديوان أبي الاسود الدؤليّ (تحقيق عبد الكريم الدجيلي) ، بغداد ١٩٥٤م .
ديوان أبي الاسود الدؤليّ (حرّره محمد حسين آل ياسين) ، الكاظمية (دار المعارف) ١٩٥٣ — ١٩٥٥ م .

• الفهرست (ليبزغ) ٣٩ — ٤٠ ؛ بروكلمان ١ : ٣٧ — ٣٨ ، ٩٦ س ، الملحق ١ : ٧٢ ؛ زيدان ١ : ٢٨٠ — ٢٨١ .

---

١ الجنة (بضم الجيم : الوقاية في الحرب فلا يتعرض الرأس معها إلى ضغط الخوذة ....) . مكنة : ستر . القر : البرد . الندي : مجتمع القول ومجلسهم .
واقية من الاحداث : الاحداث (صغار السن) يوقرون صاحبها فلا يتجرأون عليه بالمزح أو الأذى (؟) .

العَصْرُ الأمَويّ

وَالحيَاة الجَدِيدَة

العصر الأُمَوِيّ هو عصر الدولة الأُمويّة في الشام ، من سنة ٤١ إلى سنة ١٣٢ للهجرة (٦٦١ — ٧٥٠ م) ، نحو تسعين عاماً من الدهر . والخلفاء الذين حكموا في هذه الدولة فرعان : الفرع السّفيانيّ والفرع المَروانيّ .

بعد مَعْرَكة صِفّينَ نادى مُعاويةُ بن أبي سفيان وَالِي الشام بنفسه خَليفةً على الشام وحكم عِشرين سَنَةً ، من السنة ٤١ هـ إلى السنة ٦٠ هـ (٦٦١ — ٦٨٠ م) ثبّت المُلْكَ في أثنائها لبني أمية وجعل الخلافة وراثية في نَسْلِه . وكانت المُشْكِلةَ الاساسيةَ التي واجهت مُعاوِيَةَ أن أقطار الخلافة الباقيـة : الحجازَ والعراق ومصرَ وما وراءها كلّها لم تكن تابعةً له ، ثم كان له فيها منافسون أقوياء . غير أن معاويةَ استطاع أن يَسْتَوْلِيَ على مصرَ بشيء من اليُسْرِ وأن يستوليَ أيضاً على بعض العراق وأن يقوم ببعض الفُتوح في المشرق والمَغرب . ولقد كان أقوى منافسيه عبدُ الله بن الزبير وكان يبسط نفوذه على الحجاز كلّه وعلى جانب من العراق أيضاً .

وخَلَفَ مُعاويةَ ابنُهُ يزيدُ ، ولم يكن في الدهاء السياسي كأبيه ، فكانت في أيامه مأساة كَرْبلاء (١٠ المحرم ٦١ هـ = ١٠-١٠-٦٨٠ م) ومقتلُ الحُسين بن عليٍّ . ثم كانت في أيامه وَقْعة الحَرّة وغزوُ المدينة في ذي الحِجّة من سنة ٦٣ هـ (آب — أغسطس ٦٨٢ م) فكَثُرَ الاعداء للأمويين في العراق وفي الحجاز . وكان عبد الله بن الزبير قد استَبَدّ بحكم الحجاز .

وجاء بعد يزيدَ ابنُه مُعاويةُ ، وكان شاباً ضعيفاً عليلاً فتوفّي وَشيكاً فعاد النزاع على الخلافة من جديد ، ولكنْ بين عدد أكبرَ من الطامعين فيها ، ثم بين نفرٍ من رؤوس بني أميّة على الأخصّ . وتَغَلّب مَروانُ بن الحكم شيخُ

بني أميةَ يومذاك على الطامعين بدهائه وبالوعود ، ولكنّه اضْطُرّ إلى أن يقاتلَ عبدَ الله بن الزبير فالْتقى جيش مَروانَ (ومَعْظَمُه من اليَمانيةِ ومن أهل الشام) بجيش ابنِ الزبير (ومعظمه من القَيسيّة ومن أهل الحجاز) في مرجِ راهط ، على مَقْرُبَةٍ من دِمَشْقَ . فكانت الغَلَبَةُ لمروانَ . فعادت الخلافة إلى الاستقرار في بني أميّة ولكنْ في فرع جديد عُرِفَ في التاريخ باسم الفرع المرواني نِسبةً إلى مروان بن الحَكَمِ .

وعاش مروان بن الحكم في الخلافة عَشَرَةَ أشهرٍ ثم خَلَفَهُ ابْنُهُ عبدُ المَلِكِ فبَقِيَ في الخلافة واحدةً وعِشرينَ سَنَةً ، من سَنَة ٦٥ إلى سنة ٨٦ هـ (٦٨٥ – ٧٠٥ م) ، فاستطاع قائده الحَجّاج بنُ يُوسُفَ الثَّقَفِيّ أن يتغلّب على عبد الله بن الزبير وأن يقتله أيضاً ثم يأخذ البَيْعَةَ لعبد الملك من أهل الحجاز كلِّهِمْ ، كما استطاع الحجّاج أن يَبْسُطَ نفوذ الامويّين على العراق ويثبّت فيه مُلْكهم . ثم ان الحجّاج بعث الجيوش إلى المشرق ووسّع الفتوح (في خُراسانَ وبلادِ التُرك وفي السِند – في الجانب الشّمالي الشرقي من شبه جزيرة الهند) . وكذلك اتّسَعَتْ فتوح العرب في المغرب (ليبيا وتُونُسَ وما وراءهما) ولكنْ لم تثبتْ إلاّ بعد أمَدٍ .

وسَكّ عبدُ الملك للعرب عِمْلَةً خاصّة بِهِمْ ، بعد أن كانوا يتعاملونَ بالعِملة الرومية والعملة الفارسية ، كما أمر بِنَقْلِ الدواوين (كتابةِ سِجِلاّت الدولة) إلى اللغة العربية بعد أن ظلّت إلى أيامه تُكْتَبُ في العراق بالفَهْلوية (الفارسية القديمة) وفي الشام بالرومية وفي مصر بالقبطية . وهكذا أصبحت اللغة العربية لغةَ دولةٍ وامبراطوريةٍ .

وبعد عبد الملك جاء ابنه الوليد فحكم عَشْرَ سَنَواتٍ أتمّ في خلالها فَتْحَ المغرب ثم فَتْحَ الأَنْدَلُسِ . وفي أيامه اتّسع العُمران وعَمّت الحضارة .

وكان بنو أميّة قد خَطّوا لأنفسِهِمْ سياسةً قوميةً عَصَبيّةً عربيةً فأساء ذلك إلى المَوالي (وهم المُسلِمون من غير العرب ، من الفرس والترك الذينَ كانوا كَثْرَةَ السكّان في الامبراطورية الأَموية) . وكذلك كانوا قد أساءوا إلى آلِ عليّ بنِ أبي طالبٍ وتَتَبّعوهم بالقتل حَذَراً من أن ينتزعوا مِنْهُم الخلافة . واجتمع الموالي حولَ آلِ عليّ وقاموا بدعوة سِرّيّة للثورة على الحكم الأمويّ ودَعَوْا إلى الرِضا من آلِ محمد واتخذوا السّواد (العلَم الاسود والثياب

– العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط ، تـأليف الدكتور عمر فروّخ ، بيروت ١٩٥٨ م .
– تاريخ الدولة العربية من ظهور الاسلام إلى نهاية الدولة الأموية ، تـأليف ڤلهاوزن (نقله عن الالمانية محمد عبد الهادي أبو ريدة) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٨ م .
– التاريخ السياسي للدولة العربية ، تأليف عبد المنعم ماجد ، الطبعة الثانية ، القاهرة (مكتبة الانكلو المصرية) ١٩٦٠ م .
– تاريخ العراق في ظلّ الحكم الأموي السياسي ، تأليف علي حسن الخربوطلي ، القاهرة (دار المعارف) ١٩٥٩ م .

Etudes sur le siècle des Omayyades, par Henri Lammens, Beyrouth 1930 ,
Etudes sur le règne du califat Omaiyade Mo'awia Ier,par Henri Lammens, Paris (Guenther) 1908 .
Le califat du Yazid Ier, Par Henri Lammens, Beyrouth 1921 .
Mo'awia II ou Le dernier des Sofianides, par Henri Lammens (Estratto dalla « Rivista Italiana »), Roma 1915 .
L'Avènement des Marwanides et le califat de Marwan Ier , par Henri Lammens, Beyrouth 1927 .

– فجر الاسلام ، تأليف أحمد أمين ، القاهرة ١٩٢٨ م .
– الاسلام والحضارة العربية ، تأليف محمد كرد عليّ ، القاهرة (دار الكتب) ١٩٣٤ م .
– المجتمعات الاسلامية في القرن الهجري الأول ، تأليف شكري فيصل ، القاهرة ١٩٥٢ م .
– الحياة العربية في المئة سنة الأولى بعد وفاة النبي العربي ، تأليف جبرائيل جبور ، بيروت ١٩٣٤ م .
– عمر بن أبي ربيعة ، تأليف جبرائيل جبّور ، الجزء الأول : عصر عمر ابن أبي ربيعة ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٥ م .
– الامامة والسياسة لابن قتيبة ، القاهرة (المطبعة التجارية) بلا تاريخ .
– الامامة والسياسة لابن قتيبة ، القاهرة (مطبعة التقدّم الادبية) ١٣٣١ هـ .
– العصبية عند العرب في الجاهلية والاسلام حتّى زوال دولة بني أمية ، تأليف

... عليّ مظهر . القاهرة (مطبعة مصر) ١٩٢٣ م .
— أحزاب المعارضة السياسية الدينية في صدر الاسلام : الخوارج والشيعة ، تأليف يوليوس فلهاوزن (ترجمة عبد الرحمن بدوي) ، القاهرة (النهضة المصرية) ١٩٥٨ م .
— النزاع والتخاصم فيما بين أميّة وهاشم للمقريزي ، ليدن ١٨٨٨ م .
— تقوية الايمان بردّ تزكية ابن أبي سفيان ، جمعه محمد بن عقيل بن عبد الله ابن يحيى العلوي الحسيني ، صيداء (مطبعة العرفان) ١٣٤٣ ﻫ .
— الصراع بين الامويّين ومبادئ الاسلام ، تأليف نوري جعفر ، بغداد (الزهراء) ١٩٥٦ م .
— الملل والنحل للشهرستاني .
— الفرق بين الفرق لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (محمد بدر) ، القاهرة (مطبعة المعارف) ١٩١٠ م .
— تلخيص تاريخ الخوارج منذ ظهورهم إلى أن شتّت المهلّب شملهم . تأليف محمد شريف سليم ، القاهرة (دار التقدّم) ١٩٢٤ م .
— الخراج في الدولة الاسلامية حتّى منتصف القرن الثالث الهجري ، أو التاريخ المالي للدولة الاسلامية ، تأليف محمد ضياء الدين الريّس ، القاهرة (نهضة مصر) ١٩٥٧ م .
— الأمويّون والبيزنطيون : البحر الأبيض المتوسّط بحيرة اسلامية ، تأليف ابراهيم أحمد العدوي ، القاهرة (الانكلو المصرية) ١٩٥٣ م .
— الاسطول الحربي الأموي في البحر المتوسط ، تأليف انيس صايغ ، بيروت (المطبعة الفنيّة) ١٩٥٦ م .
— البحرية العربية وتطوّرها في البحر الابيض المتوسّط في عهد معاوية ، تأليف فلهلم هونرباخ ، تطوان ١٩٥٤ .
— الفن الغنائي عند العرب ، تأليف نسيب الاختيار ، بيروت (دار بيروت) ١٩٥٥ م .
— الجواري المغنّيات ، تأليف فايد العمروسي ، القاهرة ١٩٤٥ م .

– مجالس الأدب عند نساء العرب ، بقلم وداد سكاكيني (مجلة المقتطف ، نوّار – مايو ١٩٤٣ م) .

Recherches sur la Domination arabe , le Chiitisme et les Croyances messianiques sous le Khalifat des Omayades , par G. Van Vloten , Amsterdam 1894 .

الخصائص الأدبيّة في العصر الأمويّ

كانت مظاهرُ الأدب في العصر الأموي أربعةٌ: الشعرَ والخطابةَ والترسّل ثم الرواية التي أدّتْ إلى التأليف .

أما الشعر فقد عاد أشبهَ بالشعر الجاهلي في أسلوبه وفي كثير من أغراضه ، ثم كان الجانبُ الأكبر منه وقفاً على السياسة الحزبية العصبيّة ، كما كان جانب كبير من الشعر الجاهلي متعلّقاً بالحياة القبلية . أما الخطابة فان أسلوبها ظلّ إلى حدّ كبير جاهلياً ، بينما أصبحت أغراضُها أسلامية بحتاً لصلتها الوثيقة بالدولة الاسلامية . وأمـا الترسّل فكان الفنّ الذي استجدّ في العصر الأمويّ ، أو الفنّ الذي أصبحت له ، في ذلك العصر ، حدوده وشروطه الثابتة وخصائصه المميّزة على الاقلّ .

وكثُرَتِ الرواية في العصر الأمويّ : روايةُ الحديث ورواية الاخبار المتعلّقة بأيّام العرب في الجاهلية وبالأدب عامّةً وباللغة والنحو . ولا ريب في ان نفراً كثيرين من رُواة الحديث واللغة والنحو والأدب والتاريخ قد دوّنوا كثيراً من رواياتهم هذه وبدأوا ما يمكن أن يكون « حركة تأليف » . ولكن لم يصل الينا شيء مما أُلّفَ في العصر الاموي على الرُّغم من أن عدداً من أسماء الكتب قد وصل الينا .

الشعر

على أنّ أبرز فنون الأدب في العصر الأمويّ وأوسعَها نِطاقاً كان الشعرَ . وكان هذا الشعر نفسُه أنواعاً متعدّدة :

١ — الشعر السياسي : الشعر السياسي هو الشعرُ الذي قاله الشعراء المُناصرون

السود (شِعاراً لهم مُخالفةً لبني أميّة الذين كانوا « البَياض » شِعاراً لهم) . وما أن جاء إلى العرشِ الأموي خلفاءُ ضعافٌ سِياسيّاً كعُمَرَ بن عبد العزيز (٩٩ هـ = ٧١٧ م) ويزيد بن عبد الملك (١٠١ هـ = ٧٢٠ م) حتى سَوّدَ الدّعاةُ (نَشَروا العلمَ الأَسود : أعلَنوا الدعوةَ) وأخذوا يقاتلونَ الأمويّين . واستطاع هؤلاء أن يزعزعوا البيت المالك فسقطت الخلافة الأموية في المشرق سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠ م) .

الحياة في العصر الأموي

كانت حياة العرب في الجاهلية قائمة على العَصَبيّةِ القَبَليّةِ ، وكانت هذه العصبيةُ سبباً من أسباب مُنازعاتِهِمُ الكثيرةِ التي قادتْهم في معظم الاحيان إلى القتال كما كان قدِ اتفق في الجاهلية في حرب البَسوس بين بني بكر وبني تغلب ثم في حرب داحس والغبراء بين بني عبس وبني ذُبيانَ (راجع فوق ، ص١١٠و١٩٦). فلمّا جاء الإسلامُ أغرق العصبياتِ وجمع العرب أمةً واحدةً ويَداً واحدة . ثم خطّ الامويون سياستهم القومية فعادت تلك العَصَبياتُ إلى الاستيقاظ من جديد . ثم ان المنافسة في طلب الخلافة قَسَمَتِ العربَ شِيَعاً فِكْريةً دينيةً في ظاهرها سياسية في حقيقتها :

(أ) أهل السنّة – وهم يرَوْنَ أن الخلافة تكونُ بِاختيار أهل الحَلّ والعَقْد (وجهاء القوم وسادتِهم) ، وأن قُرَيْشاً أحقّ بها .

(ب) الشيعة – وهم أنصار العَلَويّينَ ، يعتقدون أن الخلافة تكون بالنّص والتَعْيينِ في أبناء عليّ بن أبي طالب ، لأنّ عَليّاً ابنُ عمِّ الرسولِ وزَوْجُ ابنتهِ ؛ فالخلافة إذَنْ للطالِبيّينَ من بني هاشمٍ .

(ج) الخَوارِجُ – وهم يعتقدون أنّ الخِلافةَ أمر دُنْيَوِيّ لتصريفِ أمور الناس . فإذا اتّفق الناسُ على تصريف أمورهم لم يَبْقَ ثَمّتَ حاجةٌ إلى خليفة . وللناس أن يُولّوا على أنفسِهم من شاءوا .

(د) المُرْجِئةُ – وهم أمَويون ، قالوا إننا نُطيع الخليفةَ ولو كان فاسقاً ، ونُرْجِئُ أمرَه إلى اللهِ ، فاللهُ هو الذي يتَوَلّى حِسابه .

الحضارة والترف

واتّسعتِ الحضارةُ العربية في أيام الأمويين ، إذ بنى الامويون المُدُنَ والمساجدَ والقصور : بنى الحجّاج مدينة واسط بين الكوفة والبصْرة ، وبنى سليمانُ بن عبد الملك اللُدّ في فلسطين ، وبنى أخوه هشامٌ الرُصافة قرب تَدْمُرَ . كما أن نفراً من خلفاء بني أميّة بَنَوْا في بادية الشام قصوراً لِلاِسْتِجمام وللإشتاء والاصْطياف .

وتَدَفّقَتِ الأموال من جميع أنحاء الامبراطورية إلى الشام ودِمَشْقَ خاصّةً فَكَثُرَ الترفُ وخصوصاً بين أمراء البيت المالك ورجال الدولة . ثم عَمّ الرخاء سائرَ البلاد ، ذكروا أن الرجل كان يَحْمِلُ زَكاتَه على يده في أيام عُمَرَ ابن عبد العزيز (٩٩ – ١٠١ ﻫ) ويطوف بها في أرجاء الامبراطورية فلا يَجِدُ مُستحقاً يدفعها اليه .

إنّ أوْجُهَ تلك الحضارةِ وذلك الترفِ في الحياة الجديدة التي طرأت على البيئة الاسلامية قد بدّلت كثيراً من حياة العرب والمسلمين :

لقد تبدّتْ هذه الاوجُه أعظمَ ما تبدّتْ في الحجاز . كان الحجاز قُطراً فقيراً غيرَ ذي زَرْع ، فلمّا جاء الإسلام وأصْبَحَ الحجازُ مركزاً لدولةٍ وامبراطورية كَثُرَتِ الأموالُ الواردةُ اليه من حقّهِ في الجِباية . غيرَ أن تلكَ الاموالَ لم تكن كثيرةً كثرةً تخرج به إلى الترف . فلمّا انْتَشَرَ الإسلامُ ثم قامت الدولة الأموية في خارج الحجاز حدث أمرانِ جديدانِ : جَعَلَتِ الأقطارُ والجماعاتُ تَخُصّ الحجازَ بصَدَقات كثيرة تَبَرّعاً من عند أنفسِها وتَقَرّباً إلى الله بأن تَهَبَ أهلَ البلد الذي ظهر فيه الاسلامُ – وأهلَ مكّةَ والمدينةِ على الأخصّ – قِسماً من أموالها ؛ وكذلك فعل أفرادٌ كثيرون . ثم ان الدولةَ الأموية رأت في باب السياسة أن تَصْرِفَ أهلَ الحجاز عن الإصرار على حقّهم في الخلافة والمُلك بالإحسان اليهم وبأنْ تَشْغَلَهم بالتمتّع بالدنيا عن طلب الملك الذي يَطْلُبُه الطالبون في العادة حُبّاً بالتمتّع بالدنيا فأغْدقتْ عليهِمُ الأموال .

وكثرت الاموال في الحجاز وخرج أهل الحجاز إلى الترف فعمّ التأنّق في المَطْعم والملبس والمسكن . ثم بُنيت الدّور والقصور وأنْشِئَتِ البساتينُ وقامت مجالسُ اللهو ومواسُمه ، تلك المجالسُ والمواسم التي تَوَفّر الناسُ فيها في أول الأمر على اللهو البريء من الاِجْتماع والتَنَزّه والغِناء أو من الصيد والسباق (بين

الناس أو بين الخيل) ومن اللّعِبِ بالنَّرْد والشّطْرَنْجِ . بعدئذ خرج الشبّان إلى لَهْوٍ غير بريءٍ من الشّراب والفساد . وبما أنّ الفسادَ عادةٌ من توابع استِبْحار الحضارة فقد عَمّ ذلك الفساد مُدُناً كثيرة في الامبراطورية الاسلامية .

الجيل الجديد من المولّدين

إن الاسلام والفتح الاسلامي قد جعلا العربَ يحتكّون بأمَمٍ غيرِ عربيةٍ . أحَبّ العرب في هذا الاحْتكاكِ الجَمالَ الغريب فتزوّج العرب بغير العربيات فنشأ بذلك جيل مُولّدٌ بين العرب وغير العرب . هذا الجيل الجديد كان أكثرَ إمعاناً في اللّهْوَيْنِ من الجيل العربي الأول . ثم كثرت الجواري أيضاً وشاعت المجالس التي يجتمع فيها الناس كلّهم وحدث السّفور (بروز النساء في المجالس ومجاراة الرجال في النّزَه والغناء) . ثم حدثتِ الأُلفة وأصبح النساء يَرْغَبْنَ في أن يَذْكُرَهُنّ الشعراءُ في الشعر . فكان ذلك باباً جديداً في اللهو لم يكن في أكثر الأحوال بريئاً .

وتطوّر الغناء في تلك المجالس والمواسم تطوّراً بارزاً لمّا دخله أشياءُ كثارٌ من الفن الفارسيّ وأشياء قليلة من الفن الرومي . وكان حظ الحجاز من هذا التطوّر في الغناء عظيماً جدّاً : لقد كان الحجاز بيئَةَ هذا التطوّر ، وكان أهلُ الحجاز صُنّاع هذا التطوّر .

الحركة العلمية والفقهية

لم يَقْتَصِرِ التّطوّرُ في البيئة العربية على جانب واحد من الحياة الاجْتماعية ، فقد تطوّرت تلك الحياة في جوانبَ أخرى : لقد كان للّغةِ والنحو والادب وللفقه والطِبّ ولعِلم الكلام (وعلم الكلام هو الدِّفاع عن العقائد الدينية بالأدِلّة العقلية) نصيبٌ من ذلك التطوّر كبيرٌ . وكذلك اتّسعت الحياة السياسية في جانبها النظري في تخريج الآراء في صِحة الخلافة وشروط الحكم ، وفي جانبها العَمَلِيّ من قيام الاحزاب والنزاع في سبيل نُصْرة مبادئ تلك الأحزاب إمّا في مجالس العلم بالجدال أو في ميادين الحرب بالقتال . ولقد سَبَقَتِ الإشارة إلى أهل السّنّة وإلى الشيعة وإلى الخوارج وإلى المرجئة . ولا بدّ هنا من الإشارة إلى

حركة الاعتزال التي اتسعت في العصر الأموي اتساعاً كبيراً فوقف فيها المعتزلة يجعلون العقلَ حَكَماً في أمور الدين (تأثراً بالفلسفة التي كانت قد بدأت تتسرب إلى البيئة العربية تَسَرّباً يسيراً شخصياً) . ثم هبّ العلماء من أهل السنّة والجماعة (غيرَ الخوارج والمعتزلة وغُلاة الشيعة من المسلمين) يجعلون العقلَ قاصراً عن الحكم في أمور الدين ويردّون الحكم في تلك الأمور إلى الوحي وحَده وإلى ما جاءت به الاخبار الدينية .

في المصادر والمراجع :

إن عدداً كبيراً من كتب التاريخ التي أُلحقت بالعصر الجاهلي أو العصر المخضرم تتضمّن مادة لدراسة العصر الأموي أيضاً ، فليُرجع اليها هنالك . أما هنا فسنجعل المصادر والمراجع الخاصّة بالعصر الأموي كثيراً أو قليلاً :

– تاريخ الرسل والملوك للطبري .
– تاريخ الكامل لابن الاثير .
– الاخبار الطوال لأبي حنيفة الدينَوَري .
– فتوح الشام لأبي اسماعيل محمد بن عبد الله الازدي ، كلكتّه ١٨٥٤ م .
– فتوح الشام لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي ، القاهرة (مطبعة شاهين) ١٢٧٨ هـ .
– فتوح الشام لأبي عبد الله محمد بن عمر الواقدي ، القاهرة (مطبعة محمد علي صبيح) ١٣٤٣ هـ .
– التاريخ الكبير لأبي القاسم عليّ بن الحسن بن عساكر (اعتنى بترتيبه وتصحيحه عبد القادر بدران) ، دمشق (مطبعة روضة الشام) ١٣٣٢ هـ .
– تاريخ مدينة دمشق وذكر فضائلها لابن عساكر (بتحقيق صلاح الدين المنجّد) دمشق (المجمع العلمي العربي) ١٩٥١ – ١٩٥٤ م .
– فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي (حقّقه صلاح الدين المنجّد) ، دمشق (المجمع العلمي العربي) ، ١٩٥٠ م .
– خطط الشام ، تأليف محمد كرد عليّ .
– الدولة الاموية في الشام ، تأليف أنيس زكريا النصولي ، بغداد (مطبعة دار السلام) ١٩٢٧ م .

الاخطلُ النصراني لم يشذّ عن ذلك :

نفسي فِداءُ أميرِ المؤمنــين إذا أبدى النواجذَ يومٌ عارمٌ ذَكَرُ.
الخائضُ الغَمْرَ والميمون طائرُه، خليفةُ الله يُستسقى بــه المطر .

أما ذكر جرير والفرزدق وغيرهما للصلاة والحج واقتباسهم كلهم من القرآن الكريم فظاهر . وقد يكون الفرزدق وجرير قد شربا الخمر فعلاً ولكنهما لم يَصِفاها ، بل ان جريراً كان يعيّر الفرزدق أحياناً بشربها .

٣ً — الوجه اللغوي :

وللنقائض قيمة لغوية لا شك في ذلك ، فشعراء المناقضات قد حَفِظوا اللغة العربية صافية كما كانت في الجاهلية :

أ — لقد حفظوا العدد الأوفر من الألفاظ حتّى قيل : لولا الفرزدقُ لذهب ثلث اللغة ، وقيل بل ثلثاها .

ب — وكذلك حفظوا لهذه الألفاظ جزَالتها ، فان شعراء النقائض قد استعملوا هذه الالفاظ لتدل على معانيها الصحيحة التي لم تكن قد شُوِهَت بعد بالاختلاط بالاعاجم [1] .

فالألفاظ التي حُفِظَتْ لنا ، في النقائض ، إذن كانت كثيرة ، وكان أكثرها غريباً متصلاً بالمعاني الجاهلية القديمة . بل لعل قسماً من ألفاظ النقائض كان أكثر غرابة من ألفاظ المعلقات .

وكذلك إذا نظرنا في التراكيب رأيناها تراكيبَ متينة تجري على الأسلوب العربي القديم . وهكذا نستطيع أن نقول : إنّ النقائضَ كانت مزيجاً من معانٍ قديمةٍ وجديدةٍ ولكن في لغة قديمة .

٤ً — الوجه الأدبي :

كانت النقائض تقليداً واضحاً للمعلقات خاصة : تقليداً في شكل القصيدة وفي كَثْرة أغراضها وطول نَفَسِها وفي كثيرة من خصائصها الأخرى كالفخر

---

١ مما يلفت النظر ان الفرزدق استعمل كلمة « استلم » في قوله في زين العابدين (ت ٩٤ هـ) :

يكاد يمسكه عرفــان راحتــه ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

بمعنى « لمس ، مس » . والصواب : لثم ، قبل . ولعل ذلك مما يدل على ان القصيدة ليست للفرزدق .

بالأنساب والهجاء القبلي والنسيب في مطالع القصائد وكالغزلِ البَدْوي ، عفيفاً وصريحاً .

ومع اننا لا نُعْجَبُ بالنقائض من الناحية الخُلُقية والاجتماعية فإننا لا نُنكِر أنّ شعراء المناقضات قد أضافوا إلى الشعر العربي فناً جديداً هو فن الشعر السياسي ، أو انهم على الأصح قد وسّعوا هذا الفن – الذي ظهرت طلائعه منذ الجاهلية عند النابغة خاصة – توسيعاً جعله فناً جديداً .

والنقائض قد قامت على « التَكَسّب » ، بخِلاف أكثر الشعر الجاهلي . ان شعراء النقائض عموماً لم يميلوا إلى حزب دون حزب بدافع المبدأ والعقيدة ، بل مالوا إلى كل حزب كان يُفيض عليهمُ العطايا .

أما الخصائص الفنية في النقائض فيحسن أن تُراجَعَ في أماكنها الخاصة عند الاخطل والفرزدق وجرير .

ويحسن أن نُشير إشارةً خاصة إلى أن الآراء الإسلامية والآياتِ الكريمةَ قد سادت المناقضات . لقد كانت النقائض قديمة بلغتها وأغراضها الممهدة ، ثم كانت اسلامية بمعانيها الجديدة وفي بعض أغراضها .

٥ً – الناحية الفكرية :

عاصر شعراءُ النقائض نشأةَ « علم الكلام » [١] ، وتُوُفّيَ الفرزدق وجَريرٌ بعد الحسن البصري (توفي سنة ١١٠ هـ = ٧٢٨ م) ببضع سنوات . ولكننا لم نَجِد مسائل الجدال الديني ولا قضايا البحث العقلي ولا بوادر الاتجاه العلمي قد اتخذت طريقاً إلى المناقضات على الرّغم من أن البصرة – وهي مركز الحركة الفلسفية الأولى – كانت سوقاً عظيمة لهذه النقائض .

من أجل ذلك ، ومن أجل غيره أيضاً ، نستطيع أن نقول : إن النقائض كانت تمثّل جانباً من الحياة الأمويّة : الجانبَ السياسيّ والجانب اللغوي في الدرجة الأولى . أما الناحية الاجتماعية الحضرية الجديدة فكانت لا تزال مَشُوبَةً بقَدْرٍ من البَداوة ومِنَ احتْرامِ البداوة . وكذلك الناحية الأدبية فانها كانتْ أكثرَ لُصوقاً بالجاهلية ، ذلك لأنّ الشعراء أنفسهم كانوا مُعْجَبين بالشعراء الجاهليين يَتّخذونهم أئمةً وهُداةً ويحتذون أشعارهم ويُحاكون خصائصهم . وأما الحركة الفكرية الجديدة فان اثرها لم يظهرْ في النقائض .

---

١ راجع فوق ، ص ٣٥٦–٣٥٥ .

٦ً — الغزل والنسيب :

عاد الغزل والنسيب في العصر الأمويّ إلى الازْدهارِ بعد أن كانا قد أُهْمِلا قليلاً في صدر الاسلام الأوّل .

لقد انْحَدَرَ الغزلُ الأمويّ من الغزل الجاهليّ . غير أن هذا الغزل كان في الجاهلية غرضاً من أغراض القصيدة يأتي في أبيات تَقِلّ أو تَكْثُر وتتَوالى أو تتفرّق ؛ فلمّا انْحَدَرَ إلى العصر الأُمويّ أُتيحَ له شعراءُ وقفوا جُهْدَهم عليه كعمرَ بن أبي ربيعةَ الذي جعل منه فنّاً قائماً بنفسه : كان عمر يَقْصُرُ القصيدةَ على الغزل فلا يكاد يقول فيها إلاّ غزلاً ، ثم انه لم يَقُلْ إلاّ في الغزل . ومعَ أنّ عمر بن أبي ربيعة لم يبتكر شيئاً من خصائص الغزل العامّة ، فانه قد جمع مُعْظَمَ هذه الخصائص في شعره وأجرى الغزل في قَصص وحِوار حيناً وفي نِقاش وإقناع حيناً آخرَ . ومثل ذلك فعل نفر كثيرون من الشعراء المغامرين الذين كانوا يَتّبعون الجمال ويَهيمون بالمرأة هُياماً يَجْرون فيه على مقتضى الطبيعة البشرية .

والنسيب أيضاً فنّ جاهليّ أصيل ، غير أنه خضع في العصر الامويّ لتطوّر بارز جدّاً : لقد تطوّر جانب منه فنشأ ما نسمّيه بالغزل العُذري .

ومع أن الغزل العُذريّ اكْتَسَبَ اسْمَهُ من قبيلة بني عُذْرَة التي كَثُرَ فيها الشعراء الذين اخْتار كلّ واحدٍ منهم أن يَقْصُرَ هَمّهُ وشعره على امْرأةٍ واحدة يرى فيها وفي قُرْبِها سعادتَه وشقاءه ثم لا يلتفت إلى امرأةٍ غيرها أيضاً ، فان مثل هذا الحبِّ قد عُرِفَ في قبائل أخرى كقبيلة بني عامرٍ مثلاً .

والمفروض أن يكون الغزلُ العذري غزلاً عفيفاً ، وهو كذلك في الأكثر . غير أن الشعراء العذريين كانت تُنازعهم أنفسهم إلى كلّ ما كانت تصبو اليه نفوسُ غيرِهم ، ثم إذا هم وجدوا فُرصة سَلَكوا مَسْلَكَ الناس جميعاً في هذا الجانب من الحياة . على أن الذي ظلّ يَفْصِلُ بين الشعراء الذين نُسمّيهم عُذريين وبين سواهم من الشعراء المحبّين أن هؤلاء العذريين لم يبالوا بامرأة غير تلك التي توهّموا حُبّها . وقد تُبدي المرأة التي يتتبّعها المحب العذري صدّاً أو كُرهاً لذلك المحبّ الشاذّ ؛ وقد تتزوج تلك المرأة وتَرْبِطُ سعادتَها ومصيرها برجلٍ آخرَ ، ولكنّ محبّها يظل على وَهْمه الأوّل يَنْظُمُ فيها الاشعار ،

ويُضرِبُ في أزَماتِ تذكّره لها ، عن الطعام والشراب حتّى يُهزَلَ جسمُه أو حتّى يموت .

ولا ريب في أن الشعر العُذريّ شعرٌ عَذْبٌ سهل مُحبّب إلى النفس الإنسانية لأنه في الواقع يمثل النزوع الموجود في كل نفس إلى الحياة الطبيعية في البشر . ولكنْ يجب ألاّ ننسى أن المحب العذريّ رجل ضعيف الشخصية لأنه في الحقيقة رجل ناقص الرجولة . ان الحنين الشعري في هؤلاء العُذريين يجب أن يكون تعويضاً نفسانياً لهم عمّا فقدوه من قدرة الشعراء المغامرين على التمتّع بالحياة الطبيعية تمتّعاً تامّاً كاملاً .

والمبالغة في الحب العذري أدّت إلى ظهور الشعراء المجانين ، أولئك الشعراءِ الذين ذهب عقلهم في تلك الأوهام التي كانوا يُشبّحونها لأنفسهم في خيالهم . ومع ان شعر الشعراء المجانين غير ثابت على القطع لشعرائه ، فان هذه الطبقة من الشعراء كانت موجودة وكان لها شعر يبدو أن بعضَهُ اختْلط ببعض .

٧ً — الخمريات :

القول في الخمر غرض من أغراض القصيدة الجاهلية اتّسع عند الأعشى من غير أن يُصبح فنّاً مستقلاً . ثم جاء الإسلام فغابت الخمر أو كادت . ومع أن نفراً من الشعراء المسلمين ، ومن المسلمين غير الشعراء أيضاً ، قد شَربوا النبيذ أو شربوا الخمر التي لم يكن ثَمّتَ خِلافٌ في تحريمها ، فان الشعراء المسلمين لم يقولوا في الخمر إلاّ في النادر كما رأينا عند أبي مِحْجَن الثّقَفِي وكما سنرى عند نفر قليلين من الشعراء الأمويين المسلمين . أمّا الأخطل المسيحي فقد جرى في شرب الخمر وفي القول فيها على سجيّته ، كما سنرى ذلك وتعليلَ ذلك في ترجمته .

ولم يكنِ القولُ في الخمر مُتّسِعاً في العصر الأموي ، بالإضافة إلى ما كان عليه في الجاهلية من قبلُ وفي العصر العبّاسي من بعدُ ، ولا أصبح القول في الخمر في هذا العصر الأمويّ فنّاً مستقلاً قائماً بنفسه . ويحسن أن نزيد هنا أيضاً أنه لم يطرأ جديد على أوصاف الخمر في هذا العصر ، وأن الخمر كانت لا تزال تنتظر أبا نواس (توفي سنة ١٩٩ هـ) حتّى يُوَفّيَها حقّها وحتّى يجعلَ منها فنّاً قائماً بنفسه .

للاحزاب السياسية المتنازعة على الخلافة في العصر الأموي . وكان الشعر المستمر بين الشعراء المُتهاجِينَ يُدعى النقائض . وبما ان النقائض كانت فنّاً خاصاً بالعصر الامويّ وبارزاً في الشعر جدّاً فإنّ القول فيها محتاج إلى شيء من البسط :

النقائض

« النقيضة » قصيدة يرد بها شاعرٌ على قصيدةِ لخصمٍ له فيَنْقُضُ معانِيَها عليه : يَقْلُبُ فخرَ خصمهِ هجاء ، وينسب الفخرَ الصحيح إلى نفسه هو . وتكون النقيضة عادة من بحر قصيدة الخصم وعلى رويّها .

قال الاخطل (من البحر البسيط على رَوِيّ « الزاء المضمومة ») :

خَفَّ القَطِينُ فراحوا منك أو بَكَروا وأزْعجَتْهم نَوىً في صَرْفها غِيَرُ .

فأجابه جَريرٌ (من البحر نفسِه وعلى الرويّ نفسه) :

قل للديار : سقى أطلالَكِ المطرُ ، قد هِجْتِ شوقاً ؛ وماذا تنفع الذِكَرُ !

وقد تختلف أحياناً حركة الرويّ في النقائض كقول الفرزدق (من البحر الكامل على اللام المضمومة) :

إنّ الذي سَمَكَ السماءَ بنى لنا بيتاً دعائِمُهُ أعزّ وأطولُ ،

فأجابه جرير (من البحر نفسه ولكن على اللام المكسورة) :

لِمَنِ الديارُ كأنها لم تُحْلَلِ بين الكِناس وبين طَلْحِ الأعزلِ .

فاذا قال أحدُ الخصمين قصيدة جديدة (ولو كانت استمراراً لمهاجاة قديمة) فانه ينظمها عادة من بحر جديد وعلى رويّ جديد . إلاّ أن خصمَه إذا ردّ على هذه القصيدة الجديدة تقيّد ببحرها ورويّها .

وربما اشترك في « المناقضة » بضعة شعراء ؛ فمن ذلك مثلاً قول الفرزدق يخاطب جريراً :

يا ابْنَ المُراغةِ ، والهجاءُ إذا الْتَقَتْ أعناقُه وتماحَكَ الخصمانِ ...

فقال جريرٌ يَردّ على الفرزدق :

لِمَنِ الديارُ ببُرقةِ الرَوْحانِ إذ لا نَبيعُ زمانَنا بزمانِ .

وقال الاخطل يرد على جرير أيضاً :

بَكَرَ العواذلُ يَبْتَدِرْنَ مَلامتي والعاذلون ، فكلهم يَلْحاني !

والمختار في « النقائض » ان تكون طِوالاً ، وفيها يفتخر الشاعر بنفسه وبقومه ، وبفضائل نفسِه كالشعر والكرم والشجاعة ، ثم بأحساب قومه كالحروب التي انتصروا فيها والعهود التي وَفَوْا بها والمحاسن التي أتَوْها من الكرم والدفاع عن الاعراض والقيام بشأن القبيلة وما إلى ذلك .

بعدئذ يُنَقِّب الشاعر عن معائب خصمه وقومِ خصمه فيذكرهم جميعاً بالعِيِّ والبُخْل والجُبن ، حقاً أو باطلاً . ويذكر أيضاً الحروب التي هُزموا فيها والعهود التي نقضوها والمخازِيَ التي عَرَضَتْ لهم . وإذا أعوزته المخازي أو أعوزه شيءٌ منها لم يتأخرْ عنِ اختْلاقه .

وفي النقائض إقْذاع شديد وفُحش وبَذاءة ، إلاّ أن المتناقضين قد تَعَرَّضوا دائماً للعيوب الخُلُقية النفسية كالبخل والجبن والغدر والزنا ، ولم يتعرضوا للعيوب الخَلْقية الجسدية [1] كالعرج والعور والاِحْديداب إلاّ نادراً (كالتعيير بالفقر وضعف الجسد عامة والعور مرة واحدة فيما اذكر ؛ ولم يكن ذلك عند النقاد محموداً) .

وقد يمدح الشاعر خليفةً أو أميراً بقصيدةٍ يَعرِضُ فيها أيضاً لهجاء خصمه أو للرد عليه فتكون نقيضة ، قال الاخطل يمدح عبدَ الملك ويهجو جريراً :

إليكَ ، أميرَ المؤمنين ، رَحَلْتُها على الطائر الميمون والمنزل الرَّحْبِ .
وفي كل عامٍ منك للروم غزوةٌ بعيدةُ آثارِ السَّنابك والسَّرب [2] .
لحا الدهرُ قوماً من كُلَيْبٍ كأنهم جِداءُ حِجازٍ لاجئاتٌ إلى زَرْبِ [3] ....

وقد يرثي الشاعر امرأته ثم يهجو خصومه كما فعل جرير :

لَوْلا الحياءُ لعادني استْعبْارُ وَلَزُرْتُ قبرَك ، والحبيبُ يُزار .
أفأمَّ حَزْرَةَ ، يا فرزدقُ ، عِبتُمُ ؟ غَضِبَ المليكُ عليكمُ القهّار .
كَذَبَ الفرزدقُ ، ان عودَ مُجاشعٍ قَصِفٌ وإن صليبَهم خوّار [4] .

---

١ راجع العمدة ٢ : ١٦٦ .

٢ السنابك : حوافر الخيل . السرب : المسلك ، الطريق . — تبعد في غزواتك .

٣ في النقائض (ص ١٠٨) صرما (قطعة) ، مكان قوم . الزرب : الزريبة ، الحظيرة .

٤ قصف : سريع الانقصاف ، الانكسار . الصليب : القاسي القوي . خوار : ضعيف .

قد يُؤسَرون فما يُفكّ أسيرُهم ، ويُقتّلون فتَسْلَمُ الأوتار .

وقد يتغزل الشاعر في قصيدة طويلة ثم يعطف على خصمه يهجوه كما فعل جرير أيضاً . والغزل في هذه القصيدة هو القسم الأوفر منها :

بانَ الخليطُ ، ولو طُوِّعتُ ما بانا ، وقطّعوا من حبال الوصل أقرانا .
ما يَدّري شعراءُ الناس ، ويحَهُمُ ، من صَولة المُخْدِرِ العادي بخَفّانا [1] .
جهلاً تَمَنّى * حُدائي من ضلالتهم فقد حَدَوْتُهُمُ [2] مَثْنَى ووُحدانا :
غادرتُهم من حَسير مات في قَرَنٍ وآخرين نَسُوا التّهدارَ خِصيانا [3] .

نشوء النقائض

كانت النقائض في العصر الأمويّ استمراراً للهجاء القَبَلِيّ في الجاهلية ؛ وكان يبعثها عادةً خِلافٌ بين قبيلتين أو أسرتين فينتصر شاعرٌ لقومه أو لأحلاف قومه، فيرد عليه شاعرٌ من هؤلاء ، فيعودُ الأول إلى الرد عليه ؛ ثم يلتحمَ الهجاءُ ويستطير . ولقد أذْكى هذه النزعةَ في الشعراء قيامُ الاحزاب وتقرّبُ هؤلاء الشعراء إلى الخلفاء والأمراء بهجاء خصومهم تكسباً للمال .

قيمة النقائض

كانت النقائض تمثل جانباً من العصر الأمويّ ، ذلك الجانبَ المضطرب بالتنازع على الخلافة مع ما يستتبعه ذلك التنازعُ من الأحوال : لقد دلّت على ان الحميّةَ الجاهليةَ ظلّت ذات أثَر في النفوس حتى بعد أنِ انْتَشَرَ الإسلامُ . ولكنّ أثرَ الإسلام وأثر الحياة الجديدة كانا بارزين ظاهرين يزدادان مَعَ الايامِ اتّساعاً ونفوذاً إلى النفوس . ويمكننا أن نرى لقيمة النقائض خمسةَ أوجهٍ نُوجز وصفَها في ما يلي :

١ً – الوجه السياسي :

لقد صَوّرت النقائض النزاعَ السياسي على الخلافة بين الامويين وبين

---

[1] المخدر : الأسد المختفي في اجمته . خفان : مأسدة (مكان فيه اسود) على طريق مكة– الكوفة . العادي : الذي يهاجم الناس . * كذا في الاصل . ولعلها : تمنوا .

[2] سقتهم كالإبل .

[3] الحسير : الذي ضعف بصره . قرن : حبل تربط به الحيوانات . التهدار : خوار الثيران (أصواتها) .

خصومهم . ومعَ ان الأمويين قد انتصروا في هذا النزاع انتصاراً حاسماً بيّناً ، ومع أنّ الأحزاب السياسية الأخرى قد فقدت قوتها الفعّالة ، فان تلك القوة قد تمثّلت في الشعور القبلي الذي بُعث من جديد . ان القيسيين (أنصار عبد الله بن الزُبير) قد وقفوا موقف المناوئ لليمانيين (أنصار بني أميّة) في القلاقل المحلية التي امتلأ بها العراق والشام ، ثم في تعيين الوُلاة والعمّال على الأمصار ، ثم في الشعر .

إلاّ أن شعراء النقائض لم ينسَوْا — في غمرة نزاعهم القبليّ المحلي — أن يُشيدوا بعظمة العرب القومية وان يُشيروا إلى اتّساع الفُتوح الاسلامية ، وخصوصاً في المشرق : في فارس والهند والصين .

والشعراء الذين دخلوا في هذا النزاع لم يدخلوه وهم يحملون عقيدةً أموية أو زُبيرية أو علَويّةً ، وإنما دخلوه للتكسّب في الدرجة الأولى . حتى إن الشعراء الزبيريين انقلبوا بعد ذلك أمويين . وكذلك لم يتحوّب الفرزدق — وكان يمثّل العلَويين — من ان يعرّض بآل البيت ويمدح بني أمية . وكذلك الأخطل النصراني مدح الخلفاء مدائح إسلاميةَ الطابَعِ تناقض عقيدتَه الدينية . على ان نفراً قليلين من الشعراء لم يفعلوا ذلك ، فقد ظل الكُميتُ العلوي على وفائه لآل البيتِ ولكنّه مدح الأمويّين تكسّباً لمّا اضطُرّ إلى التكسّب منهم . وأمّا عمرُ بنُ أبي ربيعةَ فانّه لم يمدحْ أحداً ولا قال في المناقضات قطّ .

٢ً — الوجه الاجتماعي :

إن مجموع الشعر الأمويّ يدلنا على ان البداوة ظلّت غالبة على المجتمع الأموي. ان الشعر الأمويّ مملوء بالمفاخر الجاهلية والبدوية كالفخر بالانساب وبأيام العرب (معاركهم الجاهلية) وبالكلام على الثأر .

وظل شعراء المناقضات حتى أواخر العصر الأمويّ يعدّون الحياة الحضرية في باب المعائب القومية ، فالأخطل قد هجا الأنصار لأنهم زرّاعون ، وجريرٌ ظلّ إلى آخر حياته يهجو بني مُجاشع لأنهم قُيون (حدادون) ، ذلك لأنّ القِيانة (الحدادة) وسائر الصناعات إنما كان يقوم بها العبيد[1] .

ولكنّ الشعرَ الأموي امتلأ أيضاً بالألفاظ الاسلامية والآراء الاسلامية ، حتى

[1] راجع تاج العروس ٩ : ٣١٦ ، السطر ١٩ .

٨ً — أما سائر فنون الشعر وأغراضه من الوصف والأدب (الحكمة) والمدح الخالص والهجاء الشخصي والعتاب فكانت قليلةً جداً لم تبرز في العصر الأمويّ ، إذْ غطّى عليها الهجاء القبلي والغزل .

الرجز خاصّة

الرجز نوع من أنواع الشعر ، هو في الحقيقة أسهلُ أنواع الشعر وأقلّها تكلّفاً (راجع فوق ، ص ٧٤، ٨٥) . والرجز في الأصل يجب أن يكون قد تطوّر من السَجْع ، حينما أدْخل نفر من الشعراء الوزنَ على الجُمَل المسجوعة (راجع فوق ، ص ٨٨) .

والرجز بَحْرٌ (وزن) من بحور الشعر تفاعيله :

مُسْتَفْعِلُنْ مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلن

يتوالى في كلّ تفعيلة منها : متحرّك فساكن فمتحرك فساكن فمتحرّكان فساكن (ـ ْ ـ ْ ـ ـ ْ) .

أما القافية في الرجز فلها مجريانِ أساسيان : أحدُهما أن يُختَتَم كلّ صَدْرٍ وكلّ عَجُزٍ من كلّ بيت في المقطوعة الرَّجْزية بقافيةٍ على رويّ واحد (راجع فوق ، ص ٨٥) : دعِ المطايا تنسم إلجنوبا ..... الخ .

ويبدو أن القول في بحر الرجز كان في الجاهلية بَديهةً وَارْتجالاً في البيت والبيتين وفي القطعة بعدَ القطعة . أما في العصر الأمويّ فقد عُنِيَ بالرجز جماعةٌ من الشعراء البَدْو في الأكثر ، وكان منهم من لم يقل الا رَجَزاً . ثم أنهم تصرّفوا فيه مدحاً وفخراً وهجاء ، كما تأنّقوا في أسلوبه وتكلّفوا فيه الاغراض والمعانيَ وحُسنَ الصّنعة كما كان يُفْعَلُ في سائر الشعر . وكذلك كان للراجزين محاورات ومناقضات يَشْهَدُها الناسُ في مَرْبِدِ البصرة وفي غيره من الأماكن التي كان يكثر فيها اجتماع الناس عادة . ومن أشهر الرُّجّاز في العصر الأموي : الأغلبُ العِجْليّ وأبو النجم والعَجّاج .

شعراء العصر الاموي

نستطيع أن نَقْسِمَ الشعراءَ في العصر الاموي قسمين واضحَيِ الحدودِ :

شعراءَ السياسة والشعراءَ الذين لم يتعرّضوا للسياسة .

أما شعراءُ السياسة فكان منهم :

— شعراءُ العلويّين ، وكانوا كثيري العددِ إلا أنّ بعضَهُمُ استَتَرَ ولم يظهَرْ خوفاً من بطش الأمويّين . ثم ان منهم من مال إلى بني أمَيّةَ طلباً للمال وَاختَصَّهُمْ بمدائحه كالفَرَزْدَق . على أن منهم من قسم شعره بين العلويّين وبين الأمويين كالكُمَيتِ بن زيد وأيْمَنَ بن خُريم . وكان شعراء العلويّين أفيضَ شاعريةً وأرقّ عاطفة لتأثّرهم بما أصاب آلَ البيتِ وشيعةَ الإمام عليٍّ من القتل وَالاضْطِهاد والنّكَبات .

— شعراء الزُّبيريّين ، وكانوا شعراءَ قليلي العدد مُتَقَلّبي الهوى في الغالب ، منهم أبو وَجزْة السّعدى وإسماعيل بن يَسار النَسائي وعبيد الله بن قيس الرُّقَيّات.

— شعراء الخوارج ، وكان أكثرُهم من فحول الشعراء وأبطال القتال . ولقد ثبت هؤلاء على مبدأهم ما لانوا في عقيدتهم ولا مدحوا تكسّباً ولا مالوا إلى الامويّين بحالٍ . ومن أشهر شعراء الخوارج الطِرِمّاح بن حكيم . وَامتازَ شعر الخوارج بغرابة الألفاظ ومتانة التركيب مَعَ سلامة اللغة ومع الصّلابة في الرأي ، ولا غروَ فقد كانوا بَدْواً ، أو كان مُعْظَمُهم من أهل البادية .

— شعراء الأمويّين ، وقد كانوا أكثرَ شعراء الأحزاب عدداً ، لأنهم كانوا شعراء الدولة القائمة يَلتَفّون حولَها حبّاً بالتكسّب كثيراً واعتقاداً بالعصبية القُرَشيّة قليلاً ثم كُرْهاً بسائر الأحزاب في بعض الأحيان . ثم إنّ مُعظَم الشعراء الزبيريّين ومعظم شعراء الشيعة قد انتَقلوا إلى مديح الأمويّين لمّا فَقَدَ الزُبيريون والشيعةُ الأملَ بالوصول إلى الخلافة أو قصّرت أيديهم عن أن يُثيبوا أولئك الشعراءَ على قصائدهم . (على أنه يَحسُنُ هنا أن نُشيرَ إلى أن شعراء الخوارج وحدَهم هم الذين ثبتوا على موقفهم الأول ولم ينتقلوا إلى مدح الأمويّين ، لأن شعراء الخوارج لم يكونوا في الأصل يتكسبون بالشعر ولا يَقبلون عطاء من أحد) .

ولا سبيل هنا إلى أن نُجمِلَ خصائصَ شعراء الأمويّين لأنهم كانوا الكثْرة من شعراء العصر الأموي كلّه ، ثم لأن معظم شعراء الزبيرين والشيعةِ انتَقلوا

فيما بعدُ إلى مُعَسْكَرِ الأمويّين ونقلوا معهم خصائصهم الأولى . ولكن لا بُد من القول بأنّ شعر الشعراء الأمويّين كان شعرَ تكسّبٍ في الدرجة الأولى ، وكان لا يعبّر عن عاطفة صحيحة في معظم الأحيان : يدلّك على ذلك تلك المبالغات التي لم يدفع أولئك الشعراءَ اليها إلاّ الطمعُ في أن يَزيدَ ما ينالونه على قصائدهم من عطاء الأمويّين ، سواءٌ أكانت تلك القصائدُ في مديح بني أمية أو في هجاء خصوم بني أمية .

على أننا إذا استَعْرَضنا خصائصَ الشعر السياسي في العصر الأُموي خاصّة بدا لنا أنه كان في أكثره تقليداً للمعلّقة الجاهلية ، وخصوصاً من حيثُ شكلُ القصيدة : تعدُّدُ الأغراضِ في القصيدة . ثم ان كثيراً من أغراض الشعر الاموي ظلّ أغراضاً جاهلية في القصيدة السياسية خاصّة ، كالوقوف على الأطلال والفخر والهجاء القَبَلي والطَرْد (وصف الصيد) والغزل التقليدي في مطالع عدد كبير من القصائد . ومع ذلك فإننا سنجد أغراضاً كثيرة قد استجدّت أو تطوّرت بظهور الاسلام وباتّساع الفتوح .

ثم كان هنالك شعراءُ لم يندفعوا في ميدان السياسة بشعرهم ، بَلِ اكْتَفَوْا بأن يقولوا شعراً وجدانيّاً يُعَبِّر عن عاطفتهم وحدَها . على أن منهم من لم يتعرّض للناس بمدح أو هجاء كعُمَرَ بن أبي ربيعة ، كما أن منهم من خلط المذهبين فقال غزلاً عاطفياً ثم مدح وهجا مجاراة للعصر الذي كان يحيا فيه أو حاجة إلى التكسّب ككُثَيِّرِ عَزّةَ مثلاً .

ولقد كان شعر هؤلاء الوجدانيين في الاكثر قصائدَ ومقطّعاتٍ تُخالفُ الشكلَ المألوفَ للقصيدة التقليدية القديمة (للمعلّقة) : كان نفرٌ من هؤلاء الشعراء الأمويّين — كما كان نفر من أسلافهم الجاهلين أيضاً — ينطلقون في شعرهم على السجيّة : يبدأون بالقصيدة من حيثُ يتّفق لهم المعنى ثم يَقِفون بها حيثُ ينتهي بهم المعنى الذي أرادوه ، كما نجد عند عُمَرَ بن أبي ربيعة وفي القصائد المنسوبة إلى مجنون ليلى مثلاً أو في قصائد جميل بن معمر وأنداده أحياناً .

التشيّع واثره في الأدب

التشيّع هو التحزّب ، والشيعة همُ الأنصارُ والاتباع . وكان لفظ الشيعة

يُطلق منذ صدر الاسلام الأوّل على الذين ناصروا عليّ بن أبي طالبٍ وفضّلوه في تَوَلّي الخلافة السياسية على غيره . ولقد كان للشيعة ، كما كان لكلّ حزب سياسي آخر في ذلك الطور المتقدّم في تاريخ الاسلام ، شعراءُ يدافعون عن الآراء السياسية التي كانوا يؤمنون بها . ومع الأيام قَوِيَ الحزب الأمويّ ثم غطّى على سائر الاحزاب السياسية واضطهد رجالَها وأتباعها اضطهاداً شديداً دفاعاً عن مُقامه في الحكم . ثم اشتدّ الاضطهادُ خاصّة على الشيعة لشدّة المقاومة التي أبداها الشيعة في وجه الأمويّين أصحابِ الدولة .

وبرز الشعراء الشيعة في هذا الكفاح السياسيّ بأسبابٍ كثارٍ :

كان يَغْلِبُ على الشيعة أنهم كانوا أهل حَضَر بخلاف الخوارج الذين كانوا في الاكثر أهلَ بَدْوٍ . ثم ان مهد الشيعة كان في العراق في الجانب الغربي خاصّة على الفرات ، وتلك مِنطقة خرج منها شعراءُ وجدانيون يقولون شعراً عاطفياً رقيقاً . ثم ان الاضطهاد الذي تحمّله آل البيت وتحمّله معهم أنصارُهم وأتباعهم الشيعة زاد في العنصر الوجداني في ذلك الأدب . أضف إلى هذا كلّه أن أدب الشيعة اكتسب مع الأيام نفحة دينية لمّا اعتقد الشيعة أن مَنْصِبَ الخلافة ليس أمراً دنيوياً ولكنّه جزء لا ينفصل من العقيدة الدينية نفسها . ومنذ العصر الأموي تبلور عدد من أوجه العقيدة الشيعية في السياسة كالقول بالحقّ الشرعي في الخلافة في مقابل الانتخاب والشُورى في اختِيار الخليفة . وكذلك برزت بعض الآراء الدينية كالقول بالرجعة (رجوع النفوس إلى الحياة في الدنيا في جسد يعود هو نفسه مرة بعد مرّة) .

فمن الدّلالة السياسية في شعر الشيعة في العصر الأموي قول كُثَيِّرِ عَزّةَ يخاطب عمر بن عبد العزيز ، وقد كان عمر بن عبد العزيز قد أبطل لعن عليّ ابن أبي طالب على المنابر في صلاة الجمعة[1] :

وَلِيتَ فلم تَشْتُم عليّاً ولم تُخِفْ بَرِيّاً[2] ولم تقبل إشارة مُجرِمِ ،
وصدّقت بالفعل المَقالَ مع الذي أتيتَ ، فأضحى راضياً كلّ مسلم !

---

[1] اللعن أو السب أو الشتم ، في هذا المقام ، هو تفنيد الآراء السياسية واستنزال الغضب الديني على المبطل أو المخطئ ؛ وليس له صلة بالاقذاع (القبيح من القول) على ما يعرف في العصور المتأخرة .

[2] برياً : بريئاً (لا ذنب له) .

على أن بعض الشعر الشيعي خرج إلى القول بشيء مما كان يعتقده الشيعة الغلاة من الرجعة [1] وأمثالها مما سنراه مثلاً في شعر الكميت بن زيد الاسدي .

الخطابة

الخَطابة في العصر الأمويّ كانتِ استِمْراراً للخَطابة في صدر الاسلام الأوّل، ولكنْ زادتْ فيها أمورٌ : من ذلكَ أن الخُطبة طالت ، ذلك لأن الخطبة كانت لتبليغ أوامر الدولة ، فلمّا كَثُرَتْ تلك الأوامرُ باتّساع رُقْعة الامبراطورية وبتطوّر الحياة الادارية والسياسةِ احْتاجَ الخطباءُ إلى بَسْط القول في ذلك . ومن هنا جاء طول الخطبة في الدرجة الأولى . ثم عرَفَ صدرُ العصر الأمويّ ثَوْراتٍ وحروباً وَاحْتاجَ الوُلاةُ والقُوّاد إلى تصريف القول بالإقناع وبالوعيد عند مُخاطبة الجموع ، فَاقْتَضى ذلك أيضاً أن تكون الخطبة أطولَ مما كانت في الجاهلية أو في صدر الاسلام الأوّل . وفي العصر الأمويّ تطوّرت البيئةُ الاسلامية ونشأتْ طبَقاتٌ جديدة في المجتمع كطبقة المولّدين [2] ، ولم يكن من المُنْتَظر أن يفهم المُوَلّدون الإيجازَ العربي لَمْحاً كما كان يفهمه العرب الأقحاح الأوّلون من البَدْو خاصة . فَاحْتاج الخطيبُ من أجل ذلك إلى أن يُرَدِّدَ المعنى الواحدَ في تراكيبَ مُتشابهةٍ مُتقاربةٍ ، فزاد ذلك أيضاً في طول الخطبة . وكذلك لمّا تَرامَتْ حدودُ الإمبراطورية باتّساع الفتوح لم يَبْقَ من الممكن أن تُرْسَلَ الأوامرُ إلى الوُلاةِ تِباعاً في أوقاتٍ مُتقاربة ، فكانت تلك الأوامر تُجَمَّعُ حتّى يَتألّفَ منها مِقْدار وافٍ ثم تُرْسَلُ في بَريدٍ واحد .

---

[1] الشيعة اسم جامع للذين اتبعوا علي بن ابي طالب وفرعوا الآراء السياسية والدينية على حسب ذلك . غير أن الآراء المتطرفة جاءت من فرق من غلاة الشيعة كالكيسانية مثلا ممن لا وجود لهم اليوم . أما الجماعة المعروفة عندنا اليوم باسم « الشيعة » فهم الشيعة الإمامية أو الاثنا عشرية أو الجعفرية ، وهم أهل مذهب اسلامي كالمذهب الشافعي والمذهب الحنفي من مذاهب أهل السنة . وليس بين المذهب الجعفري وبين المذهب الحنفي من الخلاف في الفقه أكثر مما بين المذهب الشافعي والمذهب الحنفي . على أن الفارق النظري الباقي إلى اليوم بين السنة والشيعة هو اعتقاد الشيعة أن الامام علياً كان أحق من جميع الذين تقدموه في الخلافة وأنه كان يجب أن يتولى الخلافة قبلهم ؛ ثم ان الاعتقاد بذلك جزء لا ينفصل من المذهب .

[2] المولد (بضم الميم وفتح الواو وفتح اللام المشددة) هنا هو الذي يولد من أبوين أحدهما عربي والآخر غير عربي .

ولقد كان الوالي بطبيعة الحال يحتاج إلى خطبة طويلة تستوعب هذا القَدْرَ الوافيَ من أوامرِ الدولة .

وبرز في الخطبة الأموية عنصرُ التهديدِ والوعيد ، ذلك لأن الولاة الأُمويين كانوا يَخْطُبون ، في أول الأمر على الأقلّ ، في بيئاتٍ مُعادية للدولة الأموية. من أجل ذلك ظهر الحَزْمُ في مخاطبة الجمهور وكَثُرَ التهديدُ للذين تحدّثهم أنفسهم بالعِصْيان . وربّما تضمّنت الخطبة إشاراتٍ مسيئة إلى الأفراد والجماعات ممّا هو مألوفٌ في المُنافسات السياسية ، كما نرى في خُطَبِ زيادِ بن أبيه ثم في خطب الحجّاج على الأخصّ .

وكانوا يحبون أن يسْتَشهدَ الخطيبُ في خطبته بشيء من القرآن الكريم ، وبالحديث أيضاً . ولقد ظل الاستشهاد في الخطب بالامثال والشعر على ما كان عليه الأمر في صدر الاسلام وفي الجاهلية .

من الخطابة إلى الكِتابة

لمّا اتّسعتِ الفتوحُ وتفرّق الوُلاة والعُمّال[1] في الاقطارِ احْتاجتِ الدولة إلى أن تبلّغ أولئك الوُلاةَ والعُمّال وغيرهم من أصحاب المناصب في الأمصار المختلفة أموراً تتعلّق بالسياسة أو الادارة فحدثت كتابة الرسائل .

ولم يكن للرسائل – في هذا الدَّوْر – خصائصُ أدبيةٌ تُمَيِّزها ، **فلقد كانت الرسالةُ خُطْبَةً مُدَوَّنَةً** ، أو كانت كلاماً عادياً قُيِّدَ بالحروف من غير تَنْميق ولا الْتِزام أسلوب خاصّ .

وكما كانت الخطابة من مُسْتَلْزَماتِ الإدارة ، فقد كان الترسّلُ أو الكتابة حاجة إدارية ، ولم تكن – في هذا العصر الذي نُؤرِّخُه – فنّاً مقصوداً لذاته . والعرب عامة كانوا أقدَرَ على الخَطابة منهم على الكِتابة . من أجل ذلك كانتِ الدولةُ تتَخَيَّرُ كُتّاباً لها ، من العرب حيناً ومن غير العرب أحياناً ، من ذوي العِفّة والأمانة . وقد كان الخليفة يُملي على هؤلاء الكُتّاب ما يشاء أو يَطْلُب

---

[1] الوالي هو الحاكم السياسي الاداري ؛ والعامل هو الموظف الذي يتولى جمع الضرائب والادارة المالية .

منهم أن «يكتبوا» عنه ما يُريد . ولقد كان الكاتب في أيام الخلفاء الراشدين شخصاً يختاره الخليفة ويجعله في بطانته ، أما في الدولة الأموية فقد أصبح للكتابة مناصبُ ، ثم جُعِلَ لها ديوانٌ خاصٌ — إدارة خاصّة — منذ أيام مُعاوية ابن أبي سُفيان على وجه التقريب ، ومنذ أيام عبد الملك بن مروان على القطع .

ديوان الرسائل

ديوان الرسائل يُشبه رِئاسة الوَزارة في أيامنا ، فرئيس الديوان — وكان يسمّى الكاتب — كان يُنْشِىءُ الرسائلَ التي كان الخليفة يبعث بها إلى الولاة والعمّال وإلى الملوك الآخرين ، كما كان يتلقّى الرسائل التي كانت تَرِدُ إلى الخليفة . وكان الكاتب في أول أمره موظّفاً بسيطاً لا تتعدّى وظيفتُه استِمْلاءَ الرسائلِ . ثم تطوّرت الكتابة باتّساع الحاجة اليها ونشأ ديوان الرسائل ، إلى جانب غيره من الدواوين ، وأصبح له رئيس كما أصبح فيه كتّاب مَرْؤوسون كلٌّ يعمل على مقدار منصبه في الديوان .

ثم تطوّرتِ الرسالة نفسُها وأصبحت الكتابة ، قبل أن يَنْقَضِيَ العصر الأمويّ صِناعةً ذاتَ قواعدَ وأصولٍ : أصبح للرسالة مَطالعُ وفيها تَحْميداتٌ تختلف باختلاف مَقام الذين تَصْدُرُ عنهم وتُوَجّهُ اليهم ، ثم لها خَواتِمُ تختلف أيضاً بحَسْب ذلك . وكذلك حدث في متن الرسالة أشياءُ من السَجْع والموازنة ومن التَرْداد المقصود ومن التأنّق في التعابير والجُمَل . ثم طالت الرسائل أيضاً . على أن الترسّل ظلّ في العصر الأمويّ — في الاكثرية — «فنّاً رسميّاً» يتعلّق بأمور الدولة .

وربّما استَشْهَد الكُتّابُ في الرسائل بالشعر ، إلاّ إذا كانت الرسالة موجّهةً إلى الخليفة ، فإن الشعر في رسالة موجّهة إلى الخليفة كان مكروهاً .

وكان في العصر الأمويّ رسائلُ لم تكن في شؤونٍ سياسية رسميّة ، بل في نصائحَ عامّةٍ في الحرب مثلاً كما في رسالة كتبها عبد الحميد الكاتب على لسان مروان الثاني إلى ابنه عبد الله [1] . كان عبد الله بن مروان وليّاً للعهد ووالياً على

---

[1] صبح الاعشى ١ : ١٩٥ — ٢٣٣ ؛ رسائل البلغاء (الطبعة الثانية) ١٤٩ — ١٦٤ .

الجزيرة . فلمّا خرج الضحّاك بن قَيْسٍ الشّيباني على الأمويّين (١٢٧ – ١٢٨هـ = ٧٤٤ – ٧٤٥ م) أمر مروانُ الثاني ابنَه عبدَ الله أن يحارب الضحّاك ثم بعث إليه برسالة يَبْسُطُ له فيها أمور الحرب وآداب القائد مع رعيّته وقوّاد جيوشه .

ثمّ هنالك رسالة أخرى كتبها عبد الحميد الكاتب أيضاً على لسان الخليفة يأمر فيها أحد الولاة بمنع الناس من اللّعب بالشطرنج لأن الناس كانوا قد أدمنوا اللعب به حتّى صرف بعضَهم عن العبادة وعن الاهتمام بمصالحهم .

على أن مثل هذه الرسائل لا يمكن أن تعدّ إخوانية ، لأنّها لا تزال تدور على أغراض هي من شأن الدولة ، كما كانت لا تزال جارية على الأمر بشيء دون آخر ، وعلى شيء من السلطة الرسمية للخليفة .

أما رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكُتّاب فيمكن أن تكون تمهيداً إلى الرسائل الإخوانية .

يبدو أن حاجة الدولة إلى الكتّاب المنشئين ، في أعقاب الدولة الأموية ، قد عظمت حتّى كانت الدولة تُضطَرّ إلى أنْ توظّف في ديوان الرسائل أشخاصاً ليسوا على ثقافة وافية بصناعة الكتابة ولا بالمعارف التي تتطلّبها صناعة الكتابة . من أجل ذلك وجّه عبد الحميد بن يحيى (أو عبد الحميد الكاتب) ، وهو رئيس ديوان الانشاء يومذاك ، إلى الكتّاب الصغار أو الناشئين المُسْتجدّين في خدمة الدولة رسالة يدلّهم فيها على أصول صناعة الكتابة وآدابها ، كما يوصيهم فيها بأن يَعْرِفوا حقّ الكتّاب الكبار (إذا عَجز هؤلاء عن القيام بأمر معاشهم حينما يتقدّمون في السنّ) من الناحية المعنوية (بالاحترام الواجب) ومن الناحية المادية (بالمساعدة) . ومع أن هذه الرسالة كانت موجّهة من رئيس إلى مرؤوسين (وربّما بإشارةٍ من الخليفة نفسه) ، فان غرَضَها الرئيسي كان تثقيفيّاً . من هذه الناحيةِ وحدَها يجوز لنا أن نرى في هذه الرسالة بدءاً للرسائل الاخوانية .

ثم كانت هنالك رسائل في العصر الأموي يمكن أن تكون إخوانيةً واضحة يتبادلها الولاة مع نفر من قادة الحركات المختلفة (كالحسن البصري رأس علماء الكلام وكقَطَري بن الفُجاءة كبير الخوارج في أيامه) أو يتبادلها نفر من آل

البيت المالك فيما بينهم ، كما كان ثمت رسائل تدور بين نفر من كبار القوم . من ذلك مثلاً رسالةٌ كتب بها بِشرُ بن مروانَ بن الحكم إلى أخيه عبد العزيز يعتذر فيها عن أمر كان قد بَدَرَ منه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : لولا الهفوةُ لم أحتَجْ إلى العُذر ، ولم يكن لك في قَبوله منّي الفضلُ . ولوِ احتَمَلَ الكتابُ أكثَر ممّا ضَمّنتُه لَزِدْتُ فيه . وبُقيا الاكابر على الاصاغر من شِيَمِ الاكارم . ولقد أحسن مِسكينٌ الداميّ حين يقول :

أخاك أخاك ، إنّ مَنْ لا أخا له كَساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح .
وإنّ ابنَ عمّ المَرْءِ ، فاعلَمْ ، جَناحُه ؛ وهل يَنْهَضُ البازي بغير جَناح ! »

ومثل ذلك ما كَتَبَ بـه عبد الله بن مُعاوية بن عبد الله بن جعفرٍ إلى بعض اخوانه يعاتبه :

« أمّا بعد ، فقد عاقني الشّكّ في أمرك عن عزيمة الرأيِ فيك ، وذلك انّك ابتدَأتَني بلُطف عن غير خِبرة ، ثمّ أعقَبتَني جَفاءً من غير جَريرة . فأطْمَعَني أوّلُك في إخائك ، وأيأسني آخرُك من وفائك . فلا أنا في اليوم مُجْمِعٌ لَكَ اطّراحاً ، ولا أنا في غدٍ وانتظارِه منك على ثِقَةٍ . فسُبْحانَ من لو شاء كشف بإيضاح الشكّ في أمرك عن عزيمةِ الرأي فيك فاجتمعنا على ائتِلافٍ أو افتَرَقنا على اختِلافٍ ، والسلام . »

النقد

بدأ الأدباء في العصر الأمويّ يَقْصِدون إلى النقد ويتجادلون في تقديم بعض الشعراء على بعض وفي خصائص هؤلاء الشعراء ، ولكن على غير مِنهاجٍ واضح ولا حُبّاً بِاستخراج قواعدَ عامّةٍ : لقد بَقِيَ النقد في هذا العصر آراءً شخصيةً وملاحظاتٍ عابرةً ، قال محمّد بن سَلاّم الجُمَحي في كتابه « طَبَقات الشعراء » (ليدن ، ص ٧٥ — ٧٦) :

لمّا هرب الفرزدق من زِيادِ بن أبيه في العراق أتى سعيدَ بن العاصي ، وهو

والٍ على المدينة أيامَ مُعاويةَ بن أبي سفيان ، فاستجاره . فأجارَهُ سعيدٌ . وكان الحُطَيْئةُ وكَعْبُ بن جُعيلٍ الشاعران في مجلس سعيدٍ ، فأنشد الفرزدقُ سعيداً يمدحه :

ترى الغُرَّ الجَحاجحَ من قُريشٍ إذا ما الأمرُ في الحَدَثان عالا[1] :
بني عَمِّ النبيّ ورَهْطَ عمرٍو وعُثمانَ الأُلى غلبوا فَعالا[2] .
قِياماً يَنْظُرون إلى سعيدٍ كأنّهُمُ يَرَوْنَ به هِلالا !

فقال الحطيئةُ (لسعيدٍ) : هذا ، واللهِ ، الشعرُ ، لا ما كنتَ تُعلَّلُ به مُنذُ اليومِ (ممّا كان يُنشِدك كعبُ بن جُعيل) ، أيّها الأميرُ ! فقال كعب بن جعيل (للحطيئة) : فَضِّلِ (الفَرَزْدَقَ) على نفسك ولا تُفَضِّلْه على غيرك . فقال (الحطيئة) : بَلَى ، واللهِ ، أُفضّله على نفسي وعلى غيري .... ثُمَّ الْتَفَتَ الحطيئةُ إلى الفرزدقِ وقال له : يا غلامُ ، لَئِنْ بَقِيتَ لَتَبْرُزَنَّ علينا !

وفي «طبقات الشعراء» أيضاً (ليدن ، ص ١٠٧ ، راجع ١١٠) :

قال الاخطل لابْنِهِ مالكٍ : انْحَدِرْ إلى العراق حتّى تسمعَ من جريرٍ والفرزدقِ وتأتِيَني بخبرِهما . فلَقِيَهُما مالكٌ ثم أتى أباه فقال : **جريرٌ يَغْرِفُ من بحرٍ ، والفرزدقُ يَنْحَتُ من صخرٍ** . فقال الأخطل : **فجريرٌ أشعرُهما !**

وكان عِكْرِمةُ بن جريرٍ قد سأل أباه جريراً عن الشعراء ، فقال جريرٌ في الأخطل : إنّه يُجيد نَعْتَ الملوك ويُصيب صِفَةَ الخمر (طبقات الشعراء ١١٣) وفي الاغاني (١ : ٧٥) : «سَمِعَ الفرزدقُ شيئاً من نسيب عُمَرَ (بن أبي

---

١ الاغر : الابيض ، الوجيه . الجحجاح : السيد . الحدثان : الاحداث العظام ، المصائب . عال : ثقل على الناس .

٢ بنو عم النبي : من بني هاشم اسرة الرسول . رهط عمرو وعثمان : من بني أمية ؛ وهاتان الاسرتان عماد قبيلة قريش كلها . الفعال : العمل الحميد . غلبوا فعالا : فاقوا جميع الناس بأعمالهم الحميدة .

ربيعة) فقال : هذا الذي كانت الشعراء تـلـبُه فأخطأته وبكت الديارَ ؛ ووقع عليه هذا !

الرواية والتأليف

اتسعتِ الروايةُ في العصر الأمويّ فقد روَى القُرّاءُ القرآنَ الكريم بقراءاته وتفسيره ، وروى المُحدِّثون حديثَ رسول الله عن أهل الجيل الذين سبقوهم. وكذلك روى العلماءُ اللغةَ والأمثال والنحو والأدب والتاريخ . والذي يبدو بيّناً من كتاب « الفهرست » لابن النديم (ليبزغ ، ص ٢٤ – ٢٨ ، ٤٠ ، ٨٩ – ٩٠) أنّ التدوينَ كان معروفاً وانه أصبح في العصر الأمويّ مألوفاً ، فقد أشار مُعاويةُ بن أبي سفيان على عَبيد بن شِرْيَةَ بأن يدوّن الأخبار التي كان يحدّثه بها . ولقد عرَفَ العصرُ الأمويّ تدويناً بمعنى التأليف منسوباً إلى وَهْب بن مُنَبِّه (ت ١١٤ هـ) في الاخبار ، وإلى محمّد بن عبد الرحمن العامري (توفي ١٢٠ هـ) في الفِقه ، وإلى محمد بن مُسْلِم الزّهْري (توفي ١٢٤ هـ) في الحديث ؛ ولكنْ لم يصل الينا شيء من تدوين ذلك العصر ولا مما يجب أن يكون قد أُلِّفَ فيه من الكتب .

الكِتابة والخطّ

لقد رأينا أن الكتابةَ – بمعنى تدوينِ الآراء بالخَطّ – كانت معروفةً في الجاهلية ولكن غير مألوفة . هذه الكتابة اتّسعت معَ الاسْلامِ ثم زاد اتّساعها في العصر الأموي . وكان العرب يكتبون في أول الأمر خطّاً عَرِيّاً من الإعجام (النُقَط على عدد من الحروف ، نحو ح خ د ذ ب ت ث) ومن الحَرَكات (لضبط قراءة الكلمات بوضع علامات على الحروف تُبيِّن لفظَ تلك الحروف فتْحاً وكَسْراً وضَمّاً ، نحو : سَمِعَ ، سُمِعَ ، يَسْمَعُ ، يُسْمَعَ ، عَلِمَ ، عَلّمَ ، آمَنَ الخ) .

ولقد كانت الغاية الأولى من ضبط الخطّ بالاعجام والحركات ضبطَ قراءةِ القرآن الكريم ، لأن العرب كانوا قد بدأوا يَفقِدُون سليقتَهم اللُغويةَ بنزول

الأمصار (المدن الكبيرة) ومخالطة العجم (غير العرب) فيها . وكذلك كان الموالي (المسلمون من غير العرب) يَعْجِزون عن ضبط قراءتهم للقرآن الكريم؛ فوجب ، من أجل ذلك كلّه ، أن يُوضَعَ الإعجام وأن توضع الحركات . واستعان العرب في ذلك بالذي كان عند اخوانهم الساميّين من ذلك ، وخصوصاً ما كان منه عن السُريان . ولا ريب في أن هذا الاعجام للأحرف وذلك التحريك قد مرّا في أطوار كثيرةٍ قبل أن يتّصِلا الينا في الشكل الراهن المألوف عندنا اليوم .

وإذا كنّا لا نَعْرِفُ اليوم أوّل من تولّى وضع الإعجام والحركاتِ ، فاننا نعلم أن أبا الاسود الدؤلي كان من أوائل الذين عُنُوا بذلك ، وأن الحَجّاجَ بنَ يُوسُفَ هو الذي أدخل الاعجامَ والحركاتِ في كتابة المَصاحفِ (مصاحف القرآن الكريم) .

في المصادر والمراجع [1] :

– تاريخ آداب اللغة العربية من صدر الاسلام إلى عصرنا ، للشيخ محمد بن رجب الحسيني ، طبعة ثانية بلا تاريخ .
– كتاب نزهة الابصار بطرائف الأخبار والأشعار ، جمعه عبد الرحمن بن عبد الله بن درهم ، دمشق (بلا تاريخ) ، ثم بيروت ١٩٥٧ (مطابع دار العباد) .
– أعلام الأدب في عصر بني أمية ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ١٩٥٤ م .
– دراسات في الأدب الاسلامي ، تأليف محمد خلف الله ، القاهرة ١٩٤٧ م .
– الحياة الأدبية بعد ظهور الاسلام ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة (مطبعة الحسين التجارية) ١٩٤٩ م .
– جمهرة خطب العرب ، تأليف أحمد زكي صفوت ، الجزء الثاني : العصر الأموي ، مصر (البابي الحلبي) ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م .
– الشعر الغنائي في الأمصار الاسلامية ، تأليف شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٤٩ م.

١ راجع المصادر والمراجع المتعلقة بالعصر الجاهلي وعصر المخضرمين (ص ٥٢ – ٥٧ ، ٧٠ – ٧٢ ، ٩٠ – ٩١ ، ٩٤ – ٩٩ ، ٢٤٦ – ٢٥٣) .

– أم الرجز ، بقلم بهجة الأثري (م م ع آب – أغسطس ١٩٢٨ .) .
– تاريخ نشوء الرجز وتطوّره ، بقلم بهجة الاثري (م م ع تموز – يوليو ١٩٢٨ م .) .
– التطوّر والتجديد في الشعر الأموي ، تأليف شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٥٢ م .
– المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، تأليف عبد الله الطيّب ، القاهرة ١٩٥٥ م .
– الهجاء والهجّاؤن في صدر الاسلام ، تأليف محمد حسين ، القاهرة ١٩٤٨ م .
– الشعر في العصر الأموي ، بقلم خليل مردم (م م ع ، كانون الثاني – يناير ١٩٥٥ م .) .
– أعلام الأدب في عصر بني أمية ، تأليف محمد عبد المنعم خفاجي ، القاهرة ١٩٥٤ م .
– أمراء البيان ، تأليف محمد كرد علي ، القاهرة ١٩٣٧ م .
– أدب الخلفاء الامويّين ، تأليف عبد الرزّاق حميدة ، القاهرة (الانجلو المصرية) ١٣٦٨ ﻫ = ١٩٤٩ م .
– شعراء البلاط الأموي ، تأليف الدكتور عمر فرّوخ ، بيروت ١٩٥٤ م .
– العشّاق الثلاثة : جميل وكثيّر وعباس فوز تأليف زكي مبارك ، القاهرة (المعارف) ١٩٤٥ م .
– أنواع النسيب والتشبيب في شعر العرب (مجلة المقتطف ، نيسان – أبريل ١٩٣٩ م .) .
– الحب العذري ، تأليف موسى سليمان ، بيروت ١٩٤٧ ثم ١٩٥٤ م .
– الحبّ العُذري : نشأته وتطوّره ، تأليف أحمد عبد الستّار الجواري ، القاهرة ١٩٤٨ م .
– شعر الخوارج (حرّره احسان رشيد عبّاس) ، بيروت (دار الثقافة) ١٩٦٢ م .
– أدب الخوارج في العصر الأموي ، تأليف سهير القلماوي ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٥ م .

– تاريخ النقائض في الشعر العربي ، تأليف أحمد الشايب ، القاهرة ١٩٤٦ م .
– من أعلام الشعر السياسي ، تأليف عمران بن محمد بن عمران ، الرياض ١٣٧٧ هـ .
– نقائض جرير والاخطل ، بقلم لويس شيخو (مجلة المشرق ٢١ : ١٤٤ ، ٣٠ : ١٤٤) .
– نقائض الاخطل وجرير ، بقلم أنطون صالحاني (مجلة المشرق ٨ : ٩٧ ، ١٠ : ٦٣٥ ، ١٣ : ٩٦ ، ٢٠ : ١٤٤ ، ٣٥ : ٢٣٩) .
– أدب الشيعة إلى نهاية القرن الثاني الهجري ، تأليف عبد الحسيب طه حميدة ، القاهرة (السعادة) ١٩٥٦ م .
– أثر التشيّع في الأدب العربي ، تأليف محمد سيّد كيلاني ، القاهرة (مكتبة مصر) ١٩٤٧ م .
– الأدب في ظلّ التشيّع ، تأليف عبد الله نعمة ؟ ، بيروت ؟
– أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، تأليف عبد الحكيم بلبع ، القاهرة (مكتبة نهضة مصر) ١٩٥٩ م .
– جمهرة رسائل العرب ، تأليف أحمد زكي صفوت ، القاهرة ١٩٣٧ .
– القصص في الأدب العربي ، بقلم أحمد ضيف (مجلة المقتطف ، فبراير – شباط ١٩٣٥ م) .
– الشعر في العصر الاموي ، بقلم خليل مردم (م م ع ٣٠ : ٣ وما بعدها) .

أعلامُ العصرِ الأمويّ
في الشِعرِ والنَّثر

يَمْتَدّ العصر الأُمويّ اثْنَتَيْنِ وتِسعين سَنَةً هِجريةً ، من سنة ٤٠ هـ (٦٦٠ م) ، لمّا استَبَدّ مُعاويةُ بن أبي سُفيان بحُكمِ الشام ونادى بنفسه خليفة ، إلى سنة ١٣٢ هـ (٧٤٩ م) لمّا انْهَزَمَ مَروانُ بن محمّدٍ آخرُ الخلفاء الأمويّين في مَعْرَكة الزاب وسقطت بانهزامه الدولةُ الأموية .

وبما أنّ الاعصرَ الأدبية لا تنطبقُ انْطِباقاً تامّاً على الأعصر السياسية ، فلا بُدّ هنا من التَحَكّمِ قليلاً في تفريق الأدباء بين العصر المُخَضْرَم وبين العصر الأمويّ ثم بين العصر الأمويّ وبين العصر العبّاسيّ . ولقد اتّخذتُ سَنَةَ الوَفاة فارقاً بين هذه الأعصر ؛ فمَنْ وقعت سَنَة وفاته مُوغلة في العصر الأمويّ فهو أموي بلا ريبٍ ، وإن كان قد عاش رَدْحاً طويلاً في عصر الخلفاء الراشدين كزِياد ابن أبيه مثلاً فانه وُلِدَ في السنة الأولى للهِجرة وعاش أربعين سنة قبل قِيام الدولة الأموية ، غير أن المَرْوِيّ من أدبه يعود أكثره إلى العصر الأموي . وكذلك نحن نَعُدّ بشّار بن بُردٍ شاعراً من مُخَضْرمي الدولتين الأموية والعبّاسية لأنه عاش نصف حياته الطويلة أو أكثر في العصر الأموي ثم عاش ما بَقِيَ منها في العصر العبّاسي . غير أننا نضعه في العادة في طبقة الشعراء العبّاسيين .

النعمان بن بشير الانصاريّ

١ — هو النّعمان بن بَشيرِ بن سعد من بني مالك الأغرّ بن كعب بن الخَزْرج ابن الحارث بن الخزرج ؛ وأمّه عَمْرة بنت رَواحة أخت عبد الله بن رواحة .

ولبشير بن سعد ، والد النعمان ، سابقةٌ في الاسلام : شهد بَيْعة العَقَبة ومعركة بدر . ولمّا تُوفِيَّ الرسول وأراد عمر بن الخطاب أن يَحْسِمَ الخلاف بين المسلمين وقدّم أبا بكر للخلافة كان بشير بن سعد أولَ المُبايعين لأبي بكر .

أما النّعمان نفسه فقد وُلِدَ في السنة الثانية للهجرة (٦٢٤ م) في المدينة ، وهو أول مولود للانصار بعد الهِجرة . ولمّا بلغ الثامنةَ من عمره جاء إلى الرسول مَعَ رفيق له ليشهدا إحدى الغَزَوات فاستصغرهما الرسول وردّهما .

ونشأ النعمان بن بشير أمويّ الهوى ، فلما قُتِلَ عُثمانُ بن عَفّانَ (٣٥ هـ = ٦٥٦ م) دفعت إليه نائلةُ زوجةُ عثمان قميصَ عثمان فحمله إلى مُعاوية ، ثم شَهِدَ معركة صِفين مَعَ معاوية .

وتولّى النعمان القضاء في دمشق ، سنة ٥٣ هـ (٦٧٣ م) . ثم تولّى الكوفةَ لمعاويةَ سبعةَ أشهرٍ ، وبعدها تولى حمص . في هذه الاثناء تغزّل عبد الرحمن ابن حَسّانَ بن ثابت الانصاري برَمْلة بنت معاوية فحَمِيَ أنفُ يزيدَ بن معاوية فاستدعى كَعْب بن جُعيل التغْلبي وطلب منه هِجاءَ الانصار ، فقال له كعب : أرادّي أنت إلى الكفر بعد الايمان ؟ أأهجو قوماً نصروا رسول الله ؟ ولكنّي أدُلّك على شاعر منا نصراني يفعل ذلك ، ودلّه على الاخطل . فاستدعى يزيدُ الاخطلَ من الجزيرة وأطلقه على الأنصار فقال الاخطل أبياتَه المشهورةَ التي يقول فيها :

ذَهَبَتْ قريشٌ بالمكارم والعُلا   واللُؤْم تحتَ عمائمِ الأنصار .

فدخل النعمان بن بشير على معاوية ، فحَسَرَ عِمامتَه عن رأسه ثم قال : يا معاوية ، أترى لُؤماً[1] ؟ ثم حسم معاوية هذه المادّةَ بأنِ استَرْضى النّعمان وردّ الاخطلَ إلى بلده وألقى على يزيد درساً في الحلم والتّبَصّر .

وبَقِيَ النّعمان بن بشير والياً على حمص بقية أيام معاوية ثم في أيام يزيدَ وأيام مُعاوية بن يزيد . ولكن لما دبّ النزاع بين الأمويّين على الخلافة بعد يزيد بن معاوية مال النّعمان إلى عبد الله بن الزبير فأحْفَظَ بذلك أهلَ حِمْص .

---

١ الكامل ٢ : ١٠٢ .

فلما كانت معركة مرجِ راهطٍ ثم انهزم جيش ابن الزبير واستَتَبَّتِ الخلافة لمروان بن الحكم ائتمر أهل حمص بالنعمان وقتلوه (٦٥ هـ = ٦٨٤ م) .

٢ – النعمان بن بشير صَحابيٌّ روى عن الرسول أحاديثَ كثيرةً . وكان خطيباً وشاعراً مُجيداً . وفنون شعره في الفخر والحماسة والنسيب . وشعره على متانة سبكه فصيح الالفاظ ظاهر المعاني .

٣ – المختار من شعره :

– لما جاء النعمان بن بشير إلى معاوية على رأس وفد للانصار في أمر هجاء الاخطل للانصار قال للحاجب : استأذن للانصار . وكان عمرو بن العاص عند معاوية فقال لمعاوية : قل للحاجب أن ينادِيَ الوفودَ بأنسابهم . ففعل الحاجب ذلك فأبى الانصار أن يدخلوا حتى ناداهم بلقبهم . فدخل الانصار على معاوية يَقْدُمُهُمُ النّعمان وهو يقول :

يا سَعْدُ ، لا تُجِبَ النداءَ ؛ فما لنا لَقَبٌ نُجيب بـه سوى الأنصارِ :
نَسَبٌ تَخَيَّره الإلـهُ لقومِنا ، أثْقِلْ بـه نَسَباً على الكُفّار !
إنّ الذين ثَوَوْا ببدرٍ مِنكُـمُ يوم القَليبِ همُ وَقود النار [١] .

– ولما دخل على معاويةَ أنشده قصيدة جاء فيها :

مُعاوِيَ ، إلاّ تُعْطِنا الحَقّ تَعتَرِفْ لِحَى الأَزْدِ مَشدوداً عليها العمائمُ [٢] .
أيَشْتُمنا عبدُ الأَراقم خلّةً ، وماذا الذي تَجْري عليك الأراقم [٣] ؟

---

١ ثوى : بقي ، استقر . بدر : معركة بدر (سنة ٢ هـ) . القليب : البئر (بعد المعركة ألقي قتلى المشركين في البئر) . هم وقود النار : هم أهل النار يوم القيامة (لأنهم كفار) .

٢ – ان لم تنصفنا تضطر إلى أن تحارب قومنا . الازد عرب الجنوب (وكان الخزرج قوم النعمان بن بشير من اليمن ، عرب الجنوب) . لحى : (جمع لحية) الازد مشدوداً عليهـا العمائم : كناية عن الاستعداد للحرب .

٣ يشتمنا : يهجونا . الاراقم : حي من بني تغلب . عبد الاراقم : الاخطل . خلة ، كذا في الأصل ؛ ولعلهـا ضلة (بكسر الضاد : ضلالا له) . ما تجري عليك الاراقم : ما صلة الاراقم بك ؟ ولعلها : تجزي عليك : تكفيك مؤونة الاحداث ، تغني أو تدفع عنك .

وما لي ثأرٌ دونَ قَطْعِ لسانِه ، فدونَكَ من يُرْضيه عنك الدّراهم[1]،
زُراعِ ، رُوَيْداً ، لا تَسُمْنا دَنِيّةً ؛ لعلّكَ في غِبِّ الحوادث نادم[2].
متى تَلْقَ منا عُصْبَةً خَزْرَجِيّةً أوِ الأوْسَ يوماً تَخْتَرِمْكَ المخارم[3].
فان كنتَ لم تشهدْ ببَدرٍ وَقيعةً أذلّتْ قُرَيشاً والأنوف رواغم[4] ،
فسائِلْ بنا حَيّيْ لُؤَيِّ بن غالبٍ ، وأنت بما تُخْفي من الأمر عالم .
ضَرَبْناكُمُ حتى تَفَرّقَ جَمْعُكُمْ وطارتْ أكُفٌّ منكم وجَماجم[5] .

– لمّا وَلِيَ النّعمانُ بن بشيرٍ الأنصاريّ الكوفةَ خَطَبَ فقال :

أما بعدُ ، فاتّقوا الله ، عبادَ الله ، ولا تُسارعوا إلى الفِتنة والفُرقَة فإنّ فيهما يَهْلِكُ الرجالُ وتُسْفَكُ الدماء وتُغْصَبُ الأموالُ . إنّي لم أقاتلْ من لم يقاتلْني ، ولا أثِبُ على من لا يَثِبُ عليّ ، ولا أشاتِمُكُمْ ولا أتَحَرّش بكم ، ولا آخُذُ بالقَرْفَة ولا الظِنّة[6] ولا التّهمة . ولكنّكم إن أبْدَيْتُمْ صَفْحَتَكم لي[7] ونَكَثْتم بَيْعَتَكم وخالفتم إمامَكم[8] ، فوالله الذي لا إلهَ إلاّ هو ، لأضْرِبَنّكم بِسيفي ما ثبت قائِمُه في يدي ، ولَوْ لم يكنْ لي منكم

١ ما لي ثأر دون قطع لسانه : لا أقبل الا أن يقطع لسان الاخطل حقيقة قصاصاً له على هجاء الإنصار (كان معاوية لما بلغه هجاء الاخطل للانصار لم يشأ أن يسفه رأي ابنه يزيد فقال : إنّي سأقطع لسان الاخطل – مجازاً – سأدفع له مبلغاً من المال حتى لا يعود إلى هجاء الانصار لأنه جيء به ليهجو الانصار وليقبض عن ذلك مالا . دونك من يرضيه عني الدراهم : ابحث عن رجل غيري يرضى بالمال عن الثأر لشرفه .

٢ زراع : اسم كلب ؛ والمقصود بالمنادى الاخطل. لا تسمنا دنية : لا تسئ الينا بهجائك لنا فتجبرنا على ان نهجوك.

٣ – اخترمتك المخارم : أخذتك المصائب ، قتلتك . إذا سرنا إلى حربك في عصبة (جماعة) من قومنا الخزرج أو الاوس فسندحرك ونقضي على قومك .

٤ – نحن في وقعة بدر هزمنا قريشاً وأذللناهم ، وكان معاوية الذي يحميك الآن فيهم فانهزم وذل معهم .

٥ ضربناكم حتى تفرق جمعكم (التفات إلى مخاطبة معاوية) : حاربناكم وهزمناكم . طارت أكف منكم وجماجم (رؤوس) : قتل منكم جماعة كبيرة .

٦ القرفة : التهمة الباطلة . الظنة : التوهم . أبديتم صفحتكم : كشفتم عما تضمرون (هنا : جاهرتموني بالعداوة) .

٧ أبديتم صفحتكم : كشفتم عما تضمرون (هنا : جاهرتم بالعداوة) .

٨ نكث فلان البيعة : خان الدولة وعصى . الامام : الخليفة .

ناصرٌ . أمَا إنّي أرجو أن يكونَ من يَعْرِفُ الحقّ منكم أكثرَ ممّن يُرْديهِ[1] الباطلُ !

٤ — شعر النعمان بن بشير الأنصاري (محمد بن يوسف السورتي ، الهندي) دهلي بالهند ١٣٣٢ ه ، ثم الطبعة الثانية (كرنكو) ١٣٣٦ ه .

•• بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٨ — ٩٩ .

زياد بن أبيه

١ — وُلِدَ زِيادٌ هذا في مَكّةَ في السنة الاولى من الهجرة (٦٢٢ م) . وكانت أمّه سُمَيّةُ جاريةً من الطائف من ذوات الرايات[2] ، ولم يكن أبوه معروفاً ، فدعاه الناس زياد بن سُمَيّةَ . ثم اشتهر باسم زياد بن أبيه .

شَبّ زيادٌ ذكياً مقتدراً وأديباً بارعاً . وكان إدارياً حازماً وسياسياً قديراً فعُدّ في دُهاة العرب . ودهاة العرب أربعة : مُعاوية بن أبي سُفيان والمُغيرة ابن شُعْبَة وعَمْرُو بن العاص وزياد بن أبيه .

سكن زياد البصرة ، وكان من أصحاب علي بن أبي طالب شديد الوفاء له فولاه عليّ فارسَ فضبطها وجمع أمورها . وحاول مُعاوية أن يستميل زياداً فلم يستطع لوفاء زياد لعليّ ولأن علياً كان قد بلّغه من الدنيا كل أمْنية . فلمّا قتِل عليّ (٤٠ ه) عرَضَ معاويةُ على زياد أن يُلْحِقَه بنسبه ، فلانَ زيادٌ . وفي آخر سنة ٤٤ ه (أوائل ٦٦٥ م) أشهد معاوية الشهداء على أن والده أبا سُفيان بن حَرْب كان قد اتصل بسميّة والدة زياد (وهما بَعْدُ على الشرك) وأن زياداً أخوه لأبيه . فنفى زياد بذلك عن نفسه مَعَرّةً شديدة وكسب جاهاً جديداً .

ثم ان معاوية ولّى زياداً على البصرة (جُمادى الأولى من سنة ٤٥ ه = صيف ٦٦٥ م) . ولمّا توفّي المُغيرة بن شعبة والي الكوفة بالطاعون ، سنة ٥٠ ه ،

---

١ يرديه : يهلكه .

٢ ذوات الرايات : النساء المتزينات للرجال (وقد كن ينصبن على أبوابهن رايات يعرفن بها) .

ضم معاوية الكوفة إلى زياد . فكان زياد أوّلَ من جُمِعَ له الكوفة والبصرة . ومَلَكَ زيادٌ العراقَ خمس سنوات فضبطه وأقرّ الأمن فيه . وقد هَجّر زياد خمسين ألفاً من عرب العراق ، من أنصار العلويين في الأغلب ، إلى خُراسان ، فكان نسل هؤلاء عِمادَ الثائرين فيما بعدُ على الأمويين ، فعصفت ثورتهم بخلافة بني أمية ورفعت بني العباس على سدة الخلافة .

وتوفي زياد في الكوفة ، قيل بالطاعون ، في شهر رمضان من سنة ٥٣ هـ (في آخر الصيف من عام ٦٧٣ م) .

٢ – زياد بن أبيه من مشاهير الخطباء ، كان داهية حصيف الرأي حازماً شديداً في الحق إلى حدّ العنف أحياناً مع كثير من الحلم والكياسة . وكان في خُطَبه حاضر الذهن طلق اللسان يطيل الخطب ، وكلّما طالت خطبته جادت . وقد كانت ألفاظه فصيحة وتراكيبه واضحة وأسلوبه جزلاً متيناً ، وكان يعتمد الوعيد والتهديد في تأثيره في السامعين .

وزياد بن أبيه أول من ألّف كتاباً في « المثالب » (في المعائب القومية) ، قيل عرّض فيه بالعرب (الفهرست ، ليبزغ ، ص ٨٩) . وكذلك كان قد حثّ أبا الأسود الدؤليّ على أن يضع للناس كتاباً تضبط به قراءة القرآن (في النحو) فلم يهتمّ أبو الأسود بذلك في أول الأمر (الفهرست ٤٠) .

٣ – المختار من خطبه :

– لمّا حاول معاوية أن يستميلَ اليه زيادَ بن أبيه لم يجدْ فيه مَيْلاً ولا لِيناً . فما زال معاوية يتلطّف ويتابعُ الجُهْد حتّى ظهر على زيادٍ شيءٌ من اللين ولكن تريّث يومين أو ثلاثة يروّي في أمره . ثم ان زياداً أجمع أمرَهُ على أن يستجيب لدعوة معاويةَ بأن يقبلَ بالاستلحاقِ (بأن يقبلَ أن يَلْحَقَ نسبُه بأبي سفيان والدِ معاوية) . والخطبة التالية تمهيدٌ أمام الناس لانتقاله من شيعةِ الإمامِ عليّ بن أبي طالبٍ إلى أن يدخل في سياسةِ معاوية :

أيّها الناسُ : ادْفَعوا البلاءَ ما اندفعَ عنكم ، وارْغَبوا إلى الله في دوام

العافية [1] لكم . لقد نظرتُ في أمور الناس منذ قتلِ عثمانَ [2] وفكّرتُ فيهم، فوجدتُهم كالأضاحي في كلّ عيد يُذبحون. ولقد أفنى هذان اليومانِ ، يومُ الجمل ويوم صِفّين [3] ، ما يُنيف على مائةِ ألفٍ كلّهم يَزعُمُ أنه طالبُ حقٍ وتابعُ إمامٍ [4] وعلى بصيرةٍ من أمره . فاذا كان الأمرُ هكذا ، فالقاتل والمقتول في الجنّة ! كلاّ ، ليس الأمرُ كذلك ، ولكن أشكلَ الأمرُ والتبسَ على القوم . وإنّي لَخائفٌ أن يَرْجِعَ الأمرُ كما بدأ ، فكيف لامرىءٍ بسلامةِ دينه ؟ ولقد نظرتُ في أمر الناس فوجدّت أحمَدَ العاقبتينِ العافيةَ . وسأعملُ في أموركم ما تَحمَدون عاقبتَهُ — فقد حَمِدتّ طاعتَكم — إن شاء الله .

— الخطبة البتراء

لمّا وَلِيَ زيادٌ البصرةَ قَدِمها في غُرّة جُمادى الأولى من سنة ٤٥ هـ (٢٠ تموز ٦٦٥ م) والفسق فيها كثير فاشٍ ظاهرٌ. فخطب خُطبة بَتراءَ (لم يَحمَد الله فيها) فقال :

أما بَعْدُ ، فانّ الجَهالةَ الجَهْلاءَ والضّلالة العمياء والغيّ المُوفيَ بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم ويشتمل عليه حُلَماؤكم ، من الأمور العِظام التي يَنبُتُ فيها الصغير [5] ولا يَتَحاشى عنها الكبير . كأنكم لم تقرأوا كتابَ الله ولم تسمعوا ما أعدّه الله من الثوابِ الكريم لأهل طاعته والعذابِ الاليم لأهل مَعْصيتِه . أتكونون كمن طَرَفَتْ عينَه الدنيا وسَدّت مَسامِعَه الشهواتُ واختار الفانيةَ على الباقيةِ [6] ؟ ألم يكن فيكم نُهاةٌ تمنع الغُواةَ عن دَلَجِ الليل وغارة النهار [7] ؟ قرّبتم القَرابَة وباعَدتُمُ الدين : تعتذرون بغير العُذْرِ وتُغْضون

---

[1] العافية : السلامة من المصائب .

[2] راجع ، فوق ، ص ٢٢٩، ٣٠٧ .

[3] راجع ، فوق ، ص ٣٠٧—٣٠٨، ٣٥١ .

[4] الامام : الخليفة (وهنا : داعية إلى حق ، أو أنه على حق) .

[5] ينشأ الصغير وهو يشاهد الأمور العظام (الاعمال القبيحة) .

[6] فضل الفانية (الدنيا) على الباقية (الآخرة) .

[7] نهاة جمع ناه (من يمنع الآخرين عن عمل الشر) . غواة جمع غاو (ضال ، مفسد) . دلج الليل (الذهاب في ستر الليل للفسق) . غارة النهار : الغزو والسرقة .

على المُختَلِس . كل امرىء منكم يَذُبّ عن سفيهه [1] ، صُنْعَ من لا يخاف عاقبةً ولا يرجو معاداً [2] . ما أنتم بالحلماء وقد اتبعتمُ السفهاء . فلم يزَلْ ما تَرَوْنَ من قيامكم دونَهم حتى انتهكوا حُرَمَ الاسلام ثم أطرقوا وراءكم كُنوساً في مكانسِ الريَب [3] . حرامٌ عليَّ الطعامُ والشرابُ حتى أسوّيها بالارض هَدْماً وإحراقاً !

إني رأيت آخِرَ هذا الأمر لا يَصْلُحُ إلا بما صلَحَ به أوّلُه : لين في غير ضَعْف ، وشِدّة في غير عُنف . وإني أقسم بالله ، لآخُذَنَّ الوَلِيَّ منكم بالمَوْلى ، والمُقيمَ بالظاعنِ ، والمطيعَ بالعاصي ، والسليمَ منكم في نفسه بالسقيم حتى يَلْقى الرجلُ منكم أخاه فيقولَ : انجُ ، سَعْدُ ، فقد هَلَكَ سَعيد ! أو تستقيمَ لي قناتُكم .

وقد أحْدَثْتُمْ أحداثاً لم تكن . وقد أحْدَثنا لكل ذنب عقُوبةً : فمن غَرّق قوماً غرّقناه [4] ، ومن نَقَبَ عن بيت نَقَبْنا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دَفَنّاه فيه حيّاً . فكُفّوا عني أيْدِيَكُم أكْفُفْ عنكم يَدي ولِساني ، ولا تَظْهَرُ من أحد منكم ريبةٌ بِخِلافِ ما عليه عامّتُكم الا ضَرَبْتُ عُنُقَه .

وقد كانت بينَكُم وبينَ أقوام إحَنٌ ، فجعلت ذلك دَبْرَ أذُني وتحتَ قَدَمي . فمن كان منكم مُحسِناً فَلْيَزْدَدْ إحساناً ، ومن كان منكم مُسيئاً فَلْيَنْزِعْ عن إساءته . إني لو عَلِمْتُ أن أحدكم قد قتله السُلّ من بُغْضي لم أكْشِفْ له قِناعاً ولم أهتِكْ له سِتْراً حتى يُبْدِيَ لي صَفْحتَه [5] . فإن فعل ذلك لم أناظِرْهُ . فاستأنفوا أموركم وأعينوا على أنفسِكم . فرُبَّ مُبْتَئِسٍ بقُدومنا سيُسَرّ ، ورُبَّ مسرورٍ بقدومنا سيَبْتَئِسُ !

---

[1] يذب عن سفيهه : يدافع عن الاشرار الذين ينفذون مآربه ويبرر أعمالهم .

[2] المعاد : البعث في الآخرة .

[3] أطرقوا (هدأوا ، اختبأوا) وراءكم (محتمين بكم) كنوساً (جمع كانس : مختف) في مكانس الريب (الأماكن المشبوهة) .

[4] غرق قوماً : فجر في أرضهم الماء (لكثرة المياه في البصرة) .

[5] يبدي لي صفحته : يشكو إلي ما به من تلقاء نفسه .

٤ — Ziad Ibn Abihi vice - roi de l'Iraq , par Henri Lammens ** (Estratta dalla « Rivista degli studi orientali ») Roma 1912 .

— شخصية زياد بن أبي سفيان ، بقلم محمد خلف الله (الثقافة — مصر ، ١٦—٦—١٩٤٢ م) .

— السياسة عند العرب ، وصف جديد لأربعة من دهاة العرب في السياسة والادارة ، تأليف عمر أبي النصر ، بيروت ١٩٤٩ م .

سَحبان وائل

١ — هو سَحبان بن زُفَرَ بن إيادٍ من بني وائل بن ربيعة ، ويُعرف أيضاً باسم سَحبان وائل الباهليّ . وُلِدَ سَحبانُ وائل في الجاهلية ، ولكن لم يبلغ أشُدّه إلاّ في الاسلام . وقد أدرك خِلافة معاوية ونال عنده حَظوة كبيرة يوم كان معاوية والياً ثم لمّا أصبح خليفة . ويجب أن يكون سحبان وائل قد سكن الشام ، فان معاوية كان يطلبه إذا جاءه وفد ودعت الضرورة إلى إلقاء خطبة مناسبة جامعة .

ولعلّ وفاةَ سحبان وائل كانت في سنة ٥٤ هـ (٦٧٤ م) . على أنهم رَوَوْا أن وفداً من خراسان جاء إلى معاوية ومعه سعيدُ بن عُثمان بن عفّان ، وسعيد ابن عثمان بن عفّان كان والياً على خراسان مدّة يسيرة في سنة ٥٦ هـ .

٢ — كان سحبان وائل خطيباً مقتدراً فصيحاً بليغاً طويل النفس جداً ، يتكلّم ساعاتٍ طوالاً فلا يتردّد ولا يتلعثم ولا يَفْتُرُ ، وقد ضُرِبَ به المثل في المقدرة على الخطابة وسُمِّي خطيبَ العرب . وهو بعدَ ذلك من الحكماء المشهورين والفصحاء والبلغاء . وكان لا يخطب إلاّ بمِخْصَرة [١] تُرضيه ، وكانت له مخاصرُ كِثارٌ خاصّة به . وخطبه عامّة طويلة ولذلك نُسِيَتْ ، كما أنه قد نُحِلَ خُطَباً ليست له . اشتهر سَحبان بخطبته الشوهاء عند معاوية ، وقيل لها

١ المخصرة : عصا قصيرة يحملها الخطباء في أثناء الخطابة (أو في مناسبات أخر أيضاً) .

الشوهاء من حُسنها [1] . وكان لسحبان شعر قليل ، على أن الذي وصل الينا من آثاره كلّها نزر يسير جداً .

٣ – المختار من آثاره :

– شر خليطَيك السَّؤوم المُحزَم [2] .

– ويُنْسَبُ إلى سَحبانِ وائلٍ خُطبةٌ موجودة في نهج البلاغة [3] ، وهي :

إن الدنيا دارُ بَلاغٍ [4] والآخرة دار قرارٍ ، أيّها الناسُ ، فخذوا من دار مَمَرِّكم لدار مَقَرِّكم ، ولا تَهتِكوا أستارَكم عند من لا تَخفَى عليه أسرارُكم. وأخرِجوا من الدنيا قلوبَكم قبلَ أن تَخرُجَ منها أبدانُكم ، ففيها حَيِيتُمْ ولغيرها خُلِقْتُم . إن الرجلَ إذا هَلَكَ قال الناسُ : ما تَرَكَ ؟ وقالتِ الملائكة : ما قدّم [5] ؟ قدّموا بَعْضاً يكنْ لكم ، ولا تخلّفوا كُلاً فيكونَ عليكم [6] !

٤ – ** جمهرة خطب العرب [7] ، (ص ٤٦٣ – ٤٦٤) .

مالك بن الرَّيْب

١ – هو مالك بن الرَّيْب بن حَوْط من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، وُلِدَ في أول دولة بني أمية ونشأ في بادية بني تميم بالبصرة .

كان مالك بن الريب جميلاً لبّاساً وشجاعاً فاتكاً لا ينام إلا مُتَوَشِّحاً

---

١ البيان والتبيين ١ : ٣٤٨ .

٢ البيان والتبيين ٢ : ١٤ . – السؤوم : الملول . المحزم : الغامض الرأي ، الذي لا تعرف ماذا يريد .

٣ جمهرة خطب العرب ٢ : ٤٦٣ .

٤ دار بلاغ : مكان يقال فيه للانسان ما يجب أن يعمل ؛ مكان يحاول فيه الانسان أن يبلغ (يصل) إلى العمل الصالح .

٥ ما ترك من المال ارثاً لأهله ، وما قدم (تصدق وعمل عملا صالحاً ما ينفعه في الآخرة) .

٦ ما تنفقونه في عمل الخير تجدونه يوم القيامة مذخوراً لكم ، وما تجمعونه من مال الدنيا ثم تتركونه وراءكم (من غير أن تنفعوا به أحداً) تعاقبون عليه يوم القيامة .

٧ راجع ، فوق ، ص ٢٥٣ .

سيفه . وكان يقطع الطريق معَ ثلاثة نفرٍ هم شُظاظٌ مولى بني تميم وأبو حردبة أحد بني أثالة بن مازن وغُويث أحد بني كعب بن مالك بن حنظلة . فطلبهم مروان بن الحكم ، وكان عاملاً على المدينة [1] ، فهربوا إلى فارس .

فلما ولّى معاويةُ بن أبي سفيان سعيدَ بن عثمان بن عفّان على خراسان (٥٦ هـ = ٦٧٦ م) لَقِيَ سعيدٌ مالكاً في طريقه فاستصلحه واستتابه ثم اصطحبه معه وأجرى عليه في كل شهر خمسمائة دينار . وترك مالك أهله وراءه في فارس . وكانت ولاية سعيد على خراسان أقل من عام ، فرجع عنها ومعه مالك بن الريب . ولم يَسِرْ سعيدٌ عن خراسان إلا قليلاً حتى مرض مالك وأشرف على الموت فخلّفه وترك عنده مُرّةَ الكاتب ورجلاً آخر . فكانت وفاة مالك بن الريب في خراسان سنة ٥٦ هـ ، في إبّان شبابه .

٢ – روى الاصفهاني لمالك بن الريب مقاطع من عشر قصائد (غ ١٩ : ١٦٣ – ١٦٧) يبدو أن بعضها مطوّلات . وجميع هذه المقاطع وجدانيات في الوصف والحماسة . وشعر مالك بن الريب فصيح الالفاظ سهل التراكيب عذب، تَغلِب عليه «وَحْدَةُ الموضوع» ، إذ أن فيه وصفاً سائراً وقَصَصاً متعانقاً .

٣ – المختار من شعره :

– لما أشرف مالك بن الريب على الموت أظهر الاسف على مجيئه في جيش الغزو ثم أوصى صاحبيه (راجع الترجمة) بالطريقة التي يجب أن يتّبعاها في دفنه . بعدئذ تَذَكّر أهلَه وقومه وحلّل شيئاً من نفسياتهم ورثى نفسه . قال الاصفهاني (غ ١٩ : ١٦٩) هذه القصيدة ثلاثة عشر بيتاً ، وما زاد على ذلك منحول . قال مالك بن الريب يرثي نفسه :

أَلَمْ تَرَنِي بِعْتُ الضّلالةَ بالهُدى وأصبحتُ في جيش ابن عفّانَ غازِيا؟

---

[1] كان مروان بن الحكم عاملا على المدينة من ٤١ إلى ٤٩ هـ (٦٦١ – ٦٦٩ م) .

لَعَمْري ، لَئِنْ غالتْ خُراسانُ هامَتي ... لقد كُنت عن بابَيْ خُراسانَ نائيا [1] .

تذكَّرتُ من يبكي عليَّ فلم أجِدْ ... سوى السيفِ والرمح الرُّدَيْنيَّ باكيا ،

وأشْقَرَ خِنْذيذٍ يَجُرُّ عِنانَه ... إلى الماء لم يَتْرُكْ له الدهر ساقيا [2] .

ولكنْ بأطراف السُمينَة نِسْوةٌ ... عزيزٌ عليهن العَشيةَ ما بيا[3] :

صريعٌ على أيدي الرجال بقَفْرةٍ ... يُسَوّونَ قبري حيث حُمَّ قضائيا [4] .

ولمّا تراءتْ عِنْدَ مَرْوٍ مَنيّتي ، ... وخَلَّ بها جسمي ، وحانَتْ وفاتيا [5] ،

أقولُ لأصحابي : ارْفَعوني لأنني ... يَقِرّ بعَيْني أن سُهَيْلٌ بدا ليا [6] .

فيا صاحِبَيْ رَحْلي ، دنا الموتُ فانْزِلا ... برابيةٍ ؛ إني مُقيمٌ لياليا[7] .

أقيما عليَّ اليومَ أو بعْضَ ليلةٍ ، ... ولا تَعْجِلاني قد تَبَيَّنَ ما بيا [8] .

وقُوما إذا ما استُلَّ روحي فهيِّئا ... لي السِّدْر والاكفانَ ثم ابْكيا ليا[9] .

وخُطّا بأطرافِ الأسِنّةِ مَضْجَعي ... ورُدّا على عَيْنَيَّ فَضْلَ رِدائيا .

ولا تَحْسُداني ، باركَ اللهُ فيكما ، ... من الأرض ذاتِ العَرْض أن تُوسِعا ليا.

خُذاني فجُرّاني ببُرْدي إليكما ، ... فقد كنت قبلَ اليوم صَعْباً قِياديا !

يقولون : لا تَبْعَدْ ! وهم يدفنونني. ... وأينَ مَكانُ البُعْد الا مَكانيا[10] ؟

---

١ غالت خراسان هامتي : اغتالت ، قطعت رأسي ، مت في خراسان . لقد كنت عن بابي خراسان نائياً : كنت قبل ذلك بعيداً عن خراسان (كان بامكاني أن أتجنب المجيء اليها) .

٢ أشقر خنذيذ : حصان أشقر اللون خنذيذ (كثير العرق ، كناية عن كثرة ركضه وسبقه للخيل) . يجر عنانه إلى الماء : يذهب إلى الماء وحده لأن الدهر قتلني وحرمه اياي .

٣ السمينة : مكان قريب من البصرة . باطراف السمينة نسوة (قريبات لي) عزيز الخ : يصعب عليهن أن أموت غريباً في هذا المكان .

٤ حيث حم قضائي : حيث دنت منيّي وحانت وفاتي .

٥ مرو : عاصمة خراسان . خل جسمي : بلي جسمي ، انحل .

٦ سهيل : نجم جنوبي يرى في اليمن.يقر بعيني...أسر إذا رأيت سهيلا(لأن خراسان بلد شمالي لا يرى سهيل) .

٧ صاحبا رحله : الرجلان اللذان خلفهما سعيد بن عثمان مع الشاعر. انزلا برابية (مدة يسيرة) لأنني أنا سأمكث هنا مدة طويلة (سأبقى ميتاً في هذا المكان) .

٨ اعتنيا بي هذا اليوم فقط أو هذا اليوم وقسماً من ليلته . ثم لا تستعجلا موتي ودفني ، إذ قد تبين أنني سأموت وشيكاً .

٩ السدر : نوع من النبات (المعقم:المطهر)يغسل به الميت منعاً لسرعة فساد الجثة .

١٠ لا تبعد : جملة تقال في ندب الميت (لا تبعد عنا ، لا يكن مكانك بعيداً عنا) .

ويا ليتَ شِعري ، هل بَكتْ أمُّ مالكٍ كما كنتُ لو عالَوْا بنَعْشِكِ باكيا[1].
إذا مِتّ فاعتادي القبورَ فسلّمي على الرّيم ، أُسقيتِ الغَمام الغواديا[2] .
فيا راكباً ، إمّا عرَضْتَ فبلّغَنْ بني مالكٍ والريبَ : أنْ لا تَلاقيا[3]!
وبلّغْ أخي عِمرانَ بُردي ومِئزري ، وبلّغ عجوزَ اليومِ أنْ لا تَدانيا[4] .
وسَلّمْ على شَيْخَيّ منّي كليهِما ، وبلّغْ كثيراً وابن عمّي وخاليا[5] .
أقلّبُ طرفي فوق رَحْلي فلا ارى بـه من عيون المُؤنسات مُراعيا[6] .
وبالرملِ منّا نِسوةٌ لو شَهِدْنَني بَكَيْنَ وفَدّيْنَ الطبيبَ المُداويا[7] ،
فمِنهنّ أمّ وابنتاها وخالتي وباكية أخرى تَهيجُ البواكيا[8].
وما كان عهدُ الرمل مني وأهلِه ذميماً ، ولا ودّعْت بالرمل قاليا[9] .

— وممن هرب من الحجّاج بن يوسف مالك بن الريب المازني أحد بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، وفي ذلك يقول (الكامل للمبرّد ، ليبزغ ، ص ٢٩٠) —ولكن هذا لا يتسق مع حياة مالك بن الريب — :

فإن تُنصفونا ، يالَ مروانَ ، نقتربْ اليكم ، وإلاّ فأذَنوا ببُعادِ ؛
فانّ لنا عنكم مَزاحاً ومَرْحلاً بعِيسٍ إلى ريح الفَلاة صَوادي[10].

---

١ أم مالك : أم الشاعر . هل ستبكي أمي إذا بلغها خبر موتي كما كنت أنا سأبكي لو بلغني خبر موتها . والاوجه أن يكون المعنى : هل ستبكي أمي كما لو كانت تبكي لو رأت الرجال يرفعون نعشي أمام عينيها .

٢ اعتاد المكان : جاء اليه مرة بعد مرة . الريم : الغزال الابيض (زوري القبور التي في بلادك وسلمي على الوحوش لأنك لا تستطيعين أن تسلمي على قبري فأنا غير مدفون عندك) .

٣ إذا عرضت : إذا أتيت العارض (اليمامة) من شرقي شبه جزيرة العرب .

٤ — أعط أخي عمران أثوابي . عجوز اليوم : أمي التي أصبحت اليوم عجوزاً (أو امرأتي) .

٥ سلم على شيخي : أبي وأمي (؟) .

٦ أقلب طرفي فوق رحلي : أنظر إلى ما حولي . مراع : من يعتني بي .

٧ فدين الطبيب المداوي : يفدين الطبيب الذي ينقذني من الموت بحياتهن .

٨ وباكية أخرى : امرأته أو أخته (؟) .

٩ عهد الرمل : الأيام التي قضيتها في الرمل (مسكن قومي) . قال : مبغض .

١٠ المزاح : الانتقال والابتعاد . العيس : النياق . الفلاة : البادية الواسعة . صواد : عطاش .

ففي الأرض عن دار المَذَلّة مَذْهَبٌ ، وكلّ بلاد أُوطِنَتْ كبلادي [1] .
فماذا ترى الحجّاجَ يَبْلُغُ جُهْدُهُ إذا نحن جاوزنا حَفيرَ زِياد [2] ؟
فلولا بنو مروانَ كان ابنُ يوسفٍ ، كما كان ، عبداً من عبيد إياد ،
زمانَ هو العبدُ المُقِرّ بذِلّةٍ يُراوحُ صِبيانَ القُرى ويُغادي [3] !

٤ — * * الاغاني ١٩ : ١٦٣ — ١٦٩ ، جمهرة أشعار العرب (المطبعة الرحمانية) ٢٩٦ — ٣٠٠ .

هُدْبَةُ بن خَشْرَم

١ — هو أبو سليمانَ هُدْبَةُ بنُ خَشْرَمِ بن كُرْز بن أبي حَيّةَ من بني عامر بن ثعلبة بن عبد الله بن ذُبْيان بن الحارث ؛ وأمّه حَيّةُ بنت أبي بكر ابن أبي حَيّة من أقاربه الأدْنَيْنَ . وكان قوم هُدْبةَ يسكنون بادية الحجاز ، وقدِ انْقسموا فريقين ذَوَيْ عَصبيّتَيْنِ قَويّتين : بني عامر بن عبد الله بن ذُبيان ثم بني رِقاش : بني قُرّة بن خُنيس بن عبد الله بن ذبيان . وقد كانت بين الفريقين حروب ومنازعات .

ولقد اتّفق ، في حديث طويل ، أن هُدْبةَ بن خشرمٍ قتل صِهره (زوج أخته سَلمى) زِيادَ بن زيد بن مالك بن عامر ، في أيام ولاية سعيد بن العاص على المدينة (٤٩ — ٥٦ ه) ثم هرب . وقَبَضَ سعيدٌ بن العاص على نفرٍ من أهل هدبةَ فيهم زُفَرُ بن كُرز (عمّ هدبة) حتّى جاء هدبة وأسلم نفسه للسجن فأفرج سعيد بن العاص عن أهله .

١ كذا وقعت الرواية في « أوطنت » بضم الهمزة وكسر الطاء ؛ والاصح : « أوطنت » بفتح الهمزة وفتح الطاء (الكامل ٢٩٠ ، السطر ١٥) . — كل بلاد تمكن السكنى فيهـا تشبه بلادي الأصلية (وطني) .

٢ في القاموس (٢ : ١٢) : الحفير : القبر ، والحفير : موضع بين مكة والبصرة . ولعله قناة حفرها زياد بن أبيه . — هل يبقى للحجـاج بن يوسف سلطة علي إذا أنا هربت منه ثم جاوزت أطراف العراق ؟

٣ كان الحجاج معلماً للأولاد . وتعليم الأولاد كان مهنة غير محترمة . يراوح صبيان القرى ويغادي : لا يكاد يصرفهم في المساء حتّى يعودوا اليه غدوة (في الصباح) .

ومع أن وجه القضية كان واضحاً (فان هدبة كان قد تربّص بزيادةَ بن زيدٍ حتّى أمكنته منه الفرصةُ فقتله)، فان سعيدَ بن العاص لم يشأ أن يَفْصِل في الأمر بنفسه (لوجاهةِ الفريقين وقوّة عَصَبِيّتَيْهِما) فأرسل بالفريقين المتنازعين إلى مُعاوية بن أبي سُفيان في دمشق. قيل إن عبد الرحمن بن زيد (أخا القتيل) ذهب إلى مُعاوية، وقيل ان هُدْبَةَ كان مع عبد الرحمن.

ولم يشأ مُعاويةُ أن يَفْصِلَ في الأمر، ثم وجد مخرجاً لما سأل عبد الرحمن ابن زيد: أَلِأخيكَ بَنونَ؟ فقال عبد الرحمن: نعم، له صبيٌ طفلٌ اسْمُه المُسَوّر. فقال مُعاوية: اذن نَنْتَظِرَ المُسَوَّرَ حتّى يَرْشُدَ ليأخذ هو بثأر أبيه!

ويبدو أن هُدبة قضى في السجن (قبل عَرْضِ القضيةِ على معاويةَ وبعد عرضها عليه) ثلاثَ سَنَواتٍ على الاقل، وقيل بل «خمس سنين أو ستاً» (معجم الشعراء ٤٦٠). ولعلّ هدبة بقي في السجن إلى أيام مروان بن الحكم [١] في ولايته الثانية على المدينة (٥٦ - ٥٧ هـ).

وبعد مدة بلغ المسوّر رُشْدَه - ولم يستطع أحد أن يُصْلِحَ بين الفريقين - فتولّى قتل هدبة، في آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان (توفي ٦٠ هـ = ٦٨٠م) في إحدى ضواحي المدينة.

٢ - هُدبةُ بن خَشْرَمٍ شاعرٌ في أسرة من الشعراء: كان أبوه وأمّه وإخْوته الثلاثة وابن عمّه عبد الرحمن شعراء. وهو شاعر مُطيل له قصيد ورَجَز، وهو يرتجلُ بيُسْرٍ. وأسلوبه بدوي، وفي شعره شيء من الضعف والغموض إلى جانب قَدْرٍ من الصِناعة اللفظية. وفي رجزه الذي ناقض فيه عبدَ الرحمن بن زيد مُجون. ولمّا دخل هدبةُ السجن كَثُرَ شعرهُ وجاد. أما فنونه فهي الهجاء والحماسة والغزل والحكمة.

---

١ الاغاني (الساسي) ٢١ : ١٧٤. انتهت ولاية مروان بن الحكم على المدينة، في المرة الثانية، في شهر ذي القعدة من سنة ٥٧ هـ (ايلول - سبتمبر ٦٧٧ م).

٣ – المختار من شعره :

– قيل لمّا مَثَلَ عبدُ الرحمن بن زيد (أخو زيادة بن زيد الذي قتله هدبة) وهُدبة بن خشرمٍ عند معاوية عرض عبد الرحمن القضية أولاً . فالتفتَ مُعاويةُ إلى هدبةَ و« قال له : يا هدبةُ ، قُلْ ! فقال (هدبة) : ان هذا رجلٌ سجّاعَةٌ [1] ، فان شئت أن أقصّ عليك قصّتنا كلاماً أو شعراً فعلت : قال (معاوية) : لا ، بل شِعْراً . فقال هدبة هذه القصيدة مرتجلاً بها »[2] :

ألا ، يا لَقَوْمي لِلنوائبِ والدهرِ ... وللمرء يُردي نفسه وهو لا يدري[3].

وللأرض ، كم من صالحٍ قد تأكّمتْ ... عليه فَوَارَتْهُ بِلَمّاعةٍ قَفْرُ [4] .

تباريحُ يَلْقاها الفؤادُ صَبابةً ... اليها وذكراها على حينِ لا ذكر [5] .

فيا قلبُ ، لم يألفْ كإلْفكَ آلِفٌ ؛ ... ويا حبّها ، لم يُغْرِ شيءٌ كما تُغري[6] .

وما عِندها – للمُستهامِ فؤادُه ... بها إنْ ألَمّتْ – من جزاءٍ ولا شُكْر[7] ؛

فلا تتّقي ذا هَيْبةٍ لجَلالِه ... ولا ذا ضياعٍ هنّ يتركن للفقر [8] .

---

١ سجاعة : يأتي بالاسجاع (جمع سجع : الكلام المنثور المقفى) .

٢ الاغاني (الساسي) ٢١ : ١٧٣ ؛ كتاب الزهرة ١٨٢ ؛ شعراء النصرانية بعد الاسلام ١٠١ .

٣ يردي ، يهلك ، يلقي نفسه في التهلكة (بضم اللام) .

٤ تأكمت : أصبح فيها آكام (مرتفعات يسيرة) : يقصد قبوراً . اللماعة : الفلاة . القفر : التي لا نبات ولا ماء فيها . – دفن في الأرض رجال صالحون فوارتهم الأرض وظل أثر قبورهم ظاهراً على وجه الارض حيناً ثم خفيت قبورهم فأصبحت تلك الفلاة وكأنه ليس تحتها شيء .

٥ تباريح الشوق : توهجه (شدته) يلقاها الفؤاد صبابة (من الصبابة : شدة الحب) اليها : (صبابة) إلى (المحبوبة) . على حين لا ذكر ، لعلها على حين ما ذكر (ما زائدة) : على حين ذكر . –كلما ذكر المحب حبيبته لقي من ذلك ألماً وشدة .

٦ لم يألف (يحب) أحد ، يا قلب ، مثل حبك ؛ وليس في الأرض امرأة لها جمال يغرينا (بحب هذه المحبوبة) كجمال هذه المحبوبة .

٧ – وإذا بلغها أن محباً بلغ في حبها إلى الهيام (بضم الهاء : جنون الحب) لم تجزه (بوصالها) على حبه هذا لها ولا شكرته (بالكلام فقط) على ذلك . – لا تبالي بمن يحبها .

٨ – لا تخف من رجل ذي هيبة (له وقار وسطوة) لجلاله (لعظمته في قومه) ولا تخف صاحب ضياع (أراض وقرى) . هن يتركن للفقر ....

فلمّا رأيتُ أنها هيَ ضَرْبَـةٌ من السيف أو اغضاء عينٍ على وِتْرِ[1]
عَمَدتُ لأمرٍ لا تُعَيِّرُ والدي خزايتَه ولا يُسَدّ بـه قبري [2] .
وكم نكبةٍ لو أنّ أدنى مُرورِهـا على الدهرِ ذلّت عندها نُوَبُ الدهر[3] !
رُمِينا فرَامَيْنا فصادف رَمْيُنـا مَنايا رجالٍ في كِتاب وفي قَدْرِ [4] .
وأنتَ أميرُ المؤمنين ، فمـا لَنـا وراءك من مَعْندًى ولا عنك من قَصْر[5] ؛
فإنْ تَكُ في أموالنا لا نَضِقْ بهـا ذِراعاً ، وان صَبْرٌ فنَصْبِرُ للصَّبْر[6]

— وقال يتغزّل (غ ١١ : ١٧٢ وكتاب الزهرة ٣٤٣) :

تذكّر حبّاً كان في مَيْعة الصِبى ووَجْداً بها بعد المشيب مُعَقَّبـا [7] .
تَذَكّرَ شوقاً من أمَيْمَةَ مُنْصِبَـا تليداً ومُنْتاباً من الشوق مُجْلَبا [8] .

---

١ ... يبدو أن هنا أبياتاً ضائعة . — علمت أنه لا بد (بعد الذي فعله زيادة بن زيد بن عامر : بعد ان قال رجزاً في أخت هدبة وعرض بهدبة نفسه) من أحد أمرين : ان أضرب به بالسيف (أقتله) أو أن أغضي (أغمض عيني : أسكت ، أصبر) على وتر (أترك عقابه على ما قال) .

٢ — اخترت الأمر الذي ليس عـاراً على والدي (الثأر من زيادة بن زيد ، بينما السكوت على كلام زيادة هذا في أختي عـار على والدي) . ولا يسد به قبري (للملموح أنه يريد أن يقول: هذا عمل لا يقدم موتي ولا يؤخره) .

٣ — وكم من مصيبة عظيمة (مثل هذه) لو أصاب أحداً شيء قليل منها لكان هذا القليل منها أعظم من نوب (مصائب) الدهر (كلها) .

٤ رمينا : رشقنا بالنبال : اعتدى (بعض الناس) علينا . فرامينا : فراشقناه بالنبال (رددنا اعتـداءه) فصادف رمينا (اتفق أن نبالنا أصابت) رجلا كان قد انتهى أجله المسطور (في كتاب ، في اللوح المحفوظ) وفي قدر (في الزمن الذي قدر الله موته . مع أن سهام ذلك الرجل لم تقتلني لأن أجلي لم يكن قد انتهى بعد) .

٥ — أنت أمير المؤمنين (القاضي والحكم) لا نستطيع أن نحتكم إلى غيرك . ولا عنك من قصر : مانع من أن نأتي اليك (؟) .

٦ — فاذا حكمت بدية القتيل (قبلنا بدفع الدية من أموالنا) . لا نضيق بهـا ذراعاً (ذرعاً) : لا نعجز عنها مهما كانت كبيرة (لأننا أغنياء) . وان صبر : وان حكمت بقتلي صبراً (حبساً بلا طعـام أو شراب حتى أموت) قبلت أيضاً هذا الحكم .

٧ ميعة الصبى (أو الصبا) : ميعة الشباب (أوله وعنفوانه) . معقباً : يأتي في عقب (بفتح العين وكسر القاف : آخر) العمر .

٨ منصباً : متعباً . تليداً : قديمـاً . منتاباً : راجعاً بعد أن كان قـد ذهب وانقضى . مجلباً : جيء به على غير المنهج الطبيعي وفي غير وقته ومحله . — تذكر حب أميمة بعد أن كان زمن الحب قـد مضى فجعله ذلك يتـألم من غير أن يستطيع أن يتمتع بما يتمتع به الانسان عادة في أيام شبابه .

إذا كاد يَنْساها الفؤادُ ذَكَرْتَها ، فيا لكَ ما عَنّى الفؤادَ وعَذّبا [1] .
غدا في هواها مُسْتكينا ، كأنه خليعُ قِداحٍ لم يَجِدْ مُتَنَشّبا [2] .
بعَيْنَيْكَ زالَ الحيّ منها لنيّةٍ قَذوفٍ تَشوقُ الآلِفَ المُتَطَرّبا [3].
وقد طال ما عُلّقْتَ لَيْلي ، مُعَمّداً ، وَليداً إلى أن صار رأسُك أشيبا [4] .
رأيْتُكَ من ليلى كذي الداء لم يَجِدْ طبيباً يُداوي ما به فتَطَبّبا [5] .
فلمّا اشْتَفَى ممّا به كَرّ طِبّهُ [6] على نفسهِ من طول ما كان جرّبا .

— وقال في النسيب والحماسة والحكمة ، وهو في سجنه (الزهرة ٣٥٧ ، معجم الشعراء ٤٦١) :

يُجِدّ النّأيُ ذكرَكِ في فؤادي إذا وَهِلَتْ على النأيِ القلوبُ [7] .
وقد عَلِمَتْ سُليمى أن عُودي على الأحداثِ ذو وَتَدٍ صَليب [8] .
عسى الكربُ الذي أمْسيتُ فيه يكونُ وراءه فَرَجٌ قريب :
فيأمنَ خائفٌ ويُفَكّ عانٍ ، ويأتي أهلَه النائي الغريبُ [9] .

— وروى أبو تمام لهُدبةَ بنِ خشرمٍ أبياتاً في الحماسة :

وإني من قُضاعةَ ، من يَكِدْها أكِدْهُ ؛ وَهْيَ منّي في أمانِ [10] .

---

١ — وكلما أراد قلبك أن ينساها عدت فذكرتّها له وذكرته بها . فلله منك كم تعذب قلبك بها .

٢ مستكيناً : خاضعاً ذليلا . خليعقداح : (لعله الذي أضاع جميع ماله في القمار) . المتنشب : الطعام القليل الذي يسد الرمق . في القاموس (١ : ١٣٢) : انتشب طعاماً : لمه .

٣ علقت ليلى : تعلقت بها (أحببتها حباً لا تستطيع بعده فراقها) . المعمد (بضم الميم الأولى وبتشديد الميم الثانية وفتحها) الذي هده العشق (القاموس ١ : ٣١٧) .

٤ بعينك : أمام عينيك ، وأنت شاهد أو حاضر . زال الحي : انتقل الحي : (أهل الحبيبة) لنية (مقصد ، مكان) قذوف (بعيد) . تشوق (وهي تشوّق : تثير الشوق في قلب) الآلف (المحب) المتطرب (المتغني.— وهنا : الشخص الذي تثيره مظاهر الحسن ، لأنه لا يزال شاباً أو لا يزال يسلك سلوك الشبان) .

٥ تطبب : طبب نفسه (وليس هذا المعنى في القاموس — راجع ١ : ٩٦) .

٦ لما نفعه ما كان قد طبب به نفسه (لنسيان المحبوب) أصبح يكرر استعمال هذه الطريقة التي كان قد اختبر صحتها بطول التجربة .

٧ يجد : يجدد . النأي : البعاد . وهلت : ضعفت ، فزعت والمقصود هنا : وهلت عنه : نسيته . —ان البعد عن المحبوبة يجدد ذكرها في قلبي ، مع أن العادة هي أن ينسى الانسان محبوبه إذا ابتعد عنه .

٨ ذو وتد : ثابت (كأنه مرزوز في الأرض) . صليب : شديد . — ان نفسي صبور على مصائب الأيام .

٩ العاني : الأسير (وهنا : المسجون) . يفك عان : يطلق سراحه . النائي : البعيد (المسافر سفراًبعيداً).

١٠ من أراد لقضاعة الشر أردت أنا له الشر (جازيته بالشر على شره) . ثم لا أريد بها هي شراً (ولو اعتدى علي أحد من أفرادها) .

ولستُ بشاعر السَّفْساف فيهم ، ولكن مِدْرَهُ الحربِ العَوان [1] .
سأهجو من هجاهُمْ من سواهم، وأعرِضُ منهم عَمّن هجاني [2] .

– وقال هدبة بن خشرم في الحكمة (الشعر والشعراء ٤٣٧) :

ولا أتمنّى الشرَّ والشرُّ تاركي ، ولكنْ متى أُحمَلْ على الشرِّ أركبِ
ولستُ بمِفْراحٍ إذا الدهر سرّني ، ولا جازعٍ من صَرْفه المُتقلّب .
وحرّبني مَولايَ حتّى غشيتُه ؛ متى ما يُحرِّبْكَ ابنُ عمّكَ تَحْرَبِ [3]

٤ – ** الاغاني (ليدن) ٢١ : ٢٦٤ – ٢٧٦ ، (القاهرة – الساسي) ٢١ : ١٦٩ – ١٧٧ ؛ شعراء النصرانية بعد الاسلام ٩٥ – ١١٣ .

الوليد بن عقبة

١ – هو أبو وَهْب الوليد بنُ عُقبةَ بن أبي مُعيطِ بن عبد شمس بن عبد مَناف . وكانت أمّه أرْوى بنتَ كُريز بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مَناف ، وهي أيضاً أم عثمانَ بن عفّان [4] ، فالوليد أخو عثمان لأمّه ؛ وعثمان أسنّ منه . ومع أن الوليد قد نشأ في كنف أخيه عثمان ، فانه تأخر في الدخول في الاسلام .

كان الوليدُ بن عُقبةَ من شجعان قريشٍ وسَرَواتِهم وأجْوادِهم ، ولكنّه كان أيضاً مُدْمِناً للخمر فاسقاً . وكان ، بعدَ أن صَدَعَ الرسولُ صلّى الله عليه وسلّم بالدعوة (عام ٦١٠ م) ، شديدَ الأذى للمسلمين ، ثم كان مع

١ المدره : زعيم القوم ، السيد الشريف ، المقدم في اللسان والسيد في الخصومة والقتال . الحرب العوان : الحرب التي حورب فيها مراراً (وتكون عادة أشد من الهجوم العارض على غير تدبير وترتيب) .
٢ سأهجو كل شخص من غير قضاعة يهجو أحداً من قضاعة ، وسأسكت عن كل رجل قضاعي يهجوني .
٣ حربه : أثاره وأغضبه . مولاي : ابن عمي ، قريبي الذي له علي حق البر . غشيه : علاه (بالسيف) ، قتله . حرب (بفتح الحاء وكسر الراء) : كلب (بفتح الكاف وكسر اللام) ، واشتد غضبه .
٤ الكامل ٣ ٤٤ ؛ الأغاني ٥ : ١٢٢ .

المشركين في معركة بدر (٢ هـ = ٦٢٤ م) ولكنه أخذ أسيراً . ولم يدخل الوليد ابن عقبة في الاسلام حتّى فُتِحَتْ مكّةُ (٨ هـ) .

في سنة ٢٣ هـ (٦٤٤ م) قُتِلَ عُمَرُ بن الخطّاب [١] فبايع المسلمون عثمان ابن عفّان بالخلافة . في ذلك الحين كان الواليَ على الكوفة سعدُ بن أبي وقّاص فاتحُ العراقِ وفارسَ فعزله عثمان وولّى مكانَه الوليدَ بن عقبة (٢٤ هـ) . فاستَعْظَمَ المسلمون ذلك لِما كانوا يعلمونه من موقف الوليد من المسلمين قبل فتح مكّة ولما كانوا يَعْرِفون من فسْقه وإدمانه للخمر . وكذلك لم يُحْسِنْ عثمانُ – رَضِيَ الله عنه – السياسةَ لَمّا عزل عن الكوفة قائداً كبيراً ورجلاً من كِبارِ صَحابةِ رسول الله ومِنَ العَشْرةِ المُبَشّرين بالجنّة لِيُوَلّيَ عليها مكانَه شابّاً فاسقاً .

ما كاد الوليدُ بن عُقبةَ يتولّى الكوفة حتّى اتّخذ أبا زُبَيْدٍ [٢] الطائي نديماً له . ثم اشتهر أمره فشكاه الناس إلى عثمان فلم يسمع عثمان قولَهم في بادئ الأمر . لقد كان عثمانُ في خلافته خاضعاً ، إلى حد ما ، لتأثير كاتبه مروانَ ابنِ الحَكَم ولمعاويةَ بن أبي سُفيانَ والي الشام من وراء مروانَ بنِ الحكم . وفي يوم من الأيام صلّى الوليد الصبح بالناس في مسجد الكوفة وهو سكران [٣] ، فلم يجد عثمان عندئذ بدّاً من عزله ؛ فاستدعاه إلى المدينة وجلده الحد [٤] ثم عزله (سنة ٢٥ هـ) .

وبعد مقتلِ عثمانَ اعتَزَلَ الوليدُ بن عُقبةَ الفِتنة ، ولكنّه كان يُحَرِّض على قتال عليّ .

وبعد مقتل عليّ بن أبي طالب لَحِقَ الوليد بن عقبة بمعاويةَ بن أبي سفيان بالشام ثم غزا بلاد الروم (غ ٥ : ١٤٧) .

وفي الاغاني (٥ : ١٤٦) : « مات الوليد بن عُقبَةَ فُويقَ الرَّقّةِ [٥] ،

---

١ راجع ، فوق ، ٢٣٨ ، ٢٧٩ – ٢٨٠ .

٢ راجع ، فوق ، ص ٢٩٥

٣ راجع الاغاني ٥ : ١٢٥ – ١٣٢ .

٤ فرض الاسلام على شارب الخمر حداً (عقاباً) هو ثمانين جلدة . قيل ان عثمان لم يجد الشهادة في حق الوليد كافية فلم ير أن يحده ، فقام علي بن أبي طالب فحده (راجع الاغاني ٥ : ١٢٦ ، ١٣١) .

٥ الرقة بلد على الفرات في الشمال الغربي من العراق ، على تخوم الشام .

ومات أبو زُبيد (الطائي) فدفُنا جميعاً في موضع واحد» ، وذلك في أيام معاوية ابن أبي سفيان .

٢ – الوليدُ بن عُقبةَ بنِ أبي مُعيطٍ شاعرٌ وجْدانيّ مُقِلّ حسَنُ الكلام. وفي شعره فصاحة ومتانه ، وبعض شعره طَلِيّ وفيه شيء من التهكّم .

٣ – المختار من شعره ونثره :

– جرَتْ في حضرة مُعاويَة بن أبي سفيان مُلاحاة (جدال) في شأن عثمانَ ابنِ عفّان بين الحسن بن علي بن أبي طالب وبين عمرو بن العاص والوليد ابن عُقبةَ بنِ أبي مُعيط والمُغيرة بنِ شُعْبَةَ . فكان مما قال الوليد بن عقبة للحسن بن عليّ :

يا بني هاشمٍ : إنكم كُنْتُمْ أخوالَ عُثمانَ فنِعْمَ الولدُ كان لكم فعَرَفَ حقكم ، وكنتم أصهارَه فنِعْمَ الصِهرُ كان لكم يُكرِمُكُمْ ، فكنتم أولَ من حَسَدَه فقتَلَه أبوك[1] ظُلْماً لا عُذرَ له ولا حُجّة له . فكيف ترَوْنَ اللهَ طَلَبَ بدمه وأنزَلَكم منزِلتَكم[2] . واللهِ ، إن بني أميّة خيرٌ لبني هاشمٍ من بني هاشمٍ لبني أميّةَ ، وان مُعاويةَ خيرٌ لك من نفسك .

– لمّا قُتِلَ عثمان بن عفّان قال الوليد بن عقبة يُحرّضُ معاويةَ بن أبي سفيان على الأخذِ بثأر عُثمانَ من بني هاشم (وهِندُ هي هند بنت عُتبة بن ربيعة ، والدة معاوية) :

واللهِ ، ما هِندٌ بأمّكَ إنْ مضى الـ ـنهارُ ولم يَثْأرْ بعُثمانَ ثائرُ .
أيَقْتُلُ عبدُ القومِ سيّدَ أهلِه ولم تَقْتُلوه ، ليْتَ أمّكَ عاقرُ[3] .
وإنّا متى نَقْتُلْهُمُ لا يُقِدْ بِهِمْ مُقيدٌ ، فقد دارت عليكَ الدوائرُ[4] .

---

[1] حينما كان بنو أمية يقولون ان علي بن أبي طالب قتل عثمان بن عفان كانوا يقصدون شيئين : أول هذين الشيئين أن علي بن أبي طالب كان في ذلك الحين أكثر أهل المدينة وجاهة وأنه كان بامكانه أن يدافع عنه ويحول دون قتله . وأما الشيء الثاني فهو أن علي بن أبي طالب بويع خليفة وأصبح المسؤول عن معاقبة الذين قتلوا عثمان .

[2] أنزلكم منزلتكم : ردكم إلى ما كنتم عليه من قبل (بلا خلافة) .

[3] عبد القوم (؟) – لعل في ذلك إشارة إلى أحد الذين تولوا قتل عثمان فعلا . سيد قومه : عثمان (سيد بني أمية) .

[4] لا يقد بهم مقيد: لا يقد (لا يطلب أحد أن يثأر لهم بقتل أحد منا) بهم (ببني هاشم) .. دارت الدائرة عليهم : دورة الزمان بالهلاك أو الفقر أو الجدب الخ . عليك (؟) .

– بعد أن قُتلَ عثمانُ لَقِيَ بجادٌ (مولى عثمانَ بن عفّان) الوليدَ بن عقبةَ فقال له ان عثمانَ قُتِلَ، فقال الوليد بن عقبة :

طالَ لَيْلي وملّني عُوّادي ، وتجافى عن الضلوع مِهادي [1] ،
من حديثٍ نُمِي إليّ ، فما يرْ قَأ دمعي ولا أحِسّ رُقادي [2] .
ليت أني هلكْتُ قبل حديثٍ سَلّ جِسمي وريع منه فُؤادي [3] ،
يوم لاقيتُ بالبَلاط بِجاداً ؛ ليت أني هلكْتُ قبل بِجاد [4] !
وبنفسي التي أُحِبُّ وأهلي وبمالي وطارفي وتِلادي [5] .
قلت لا تَغْضَبي فذلك قَوْلي بلساني ، وما يُجِنّ فؤادي [6] ...

– وفد الوليدُ بن عقبة على مُعاويةَ فلم يُعْطِه مُعاويةُ شيئاً بل حمله على أن يهَبَ قِطعةَ أرضٍ كانت له ليزيدَ (بن معاوية) . فقال الوليد بن عقبة :

فإذا سُئِلْتَ تقولُ : لا ، وإذا سألتَ تقولُ : هاتِ !
تأبى فِعالَ الخير ، لا تَرْوَى وأنتَ على الفُرات [7] .
أفلا تَميلُ إلى « نَعَمْ » أو تَرْكِ « لا » حتّى الممات [8] !

٤ – ** الاغاني ٥ : ١١٧ ، ١٢٢ – ١٥٣ .

---

١ ملني عوادي : سئموا من زيارتي لما فقدوا الأمل بشفائي . تجافى عن الضلوع مهادي : تجافت ضلوعي (جنبي) عن المهاد (الفراش) – تعذر علي النوم لشدة اضطرابي .

٢ نمي إلي : رفع (بالبناء للمجهول) ، جيء به إلي . يرقأ : يجف . ولا أحس (بحاجة) إلى الرقاد (النوم) .

٣ ريع : خاف ، فزع .

٤ البلاط : موضع في المدينة بين مسجد الرسول وبين سوق المدينة . ليت أني هلكت قبل (أن لقيت) بجاداً .

٥ و (أنا أفدي) بنفسي التي أحب .... الطارف : المال المكتسب (المجموع حديثاً) . التليد : المال القديم (الموروث) .

٦ – لا تغضبي لأنني ذكرت أنني كنت أتمنى لو فديت عثمان بن عفان بالأمور التي ذكرتها بلساني (التي عددتها في البيت السابق) ، فالذي يجن (يضمر) فؤادي أكثر .

٧ لا تروى : لا تكتفي ، لا تقنع . وأنت على الفرات : لا ترتوي من الشرب مع انك على نهر الفرات الكثير الماء الحلو (لا تقنع بما تملك ، مع أنك تملك الفرات وما حوله) .

٨ ألا تريد أن تقول في حياتك « نعم » (ألا تريد أن تكون كريماً) ، أو أن تترك قول « لا » (أن تترك البخل) .

معاوية بن ابي سفيان

١ – هو مُعاويةُ بن أبي سُفيان بن حربِ بن أميةَ بن عبد شمسٍ ، من قريشٍ ، وُلِدَ في مكّة نحو عام ١٧ قبل الهجرة (٦٠٥ م) . ولمّا فتح الرسول مكّة في سنة ٨ هـ (٦٢٩ م) لم يكن معاوية قد بلغ العشرين من عُمرِه . في ذلك الحين دخل معاوية في الاسلام مع جميع أهل مكّة .

وفي الفتح الاسلامي كان معاوية في جيش أخيه يزيدَ يفتحانِ سواحلَ الشام . ثم توفّي يزيد بن أبي سفيان في طاعون عمواس (في الشام) ، سنة ١٨ هـ (٦٣٩ م) ، فاختار الخليفة عمر بن الخطّاب أن يُولّيَ على الشامِ مُعاويةَ . وحرَصَ معاويةُ في أثناء ولايته على أن ينظّمَ الشام تنظيماً يَجْعَلُها في الواقع مستقلّة عن الحجاز . فلما قُتِلَ عمر بن الخطّاب وجاء عُثمان بن عفّان الأموي إلى الخلافة توطّد مركز معاوية في الشام ، ولم يبقَ معاوية والياً فقط ، بل أصبح حاكماً مستقلاً مستبداً . ولمّا جاء علي إلى الخلافة نَشِبَ النزاعُ بين معاوية وعليّ واستطاع معاوية أن يتغلّب على عليّ بالدهاء والحيلة وبالمال يشتري به نفراً من أنصار عليّ .

وبعد مَعْرَكة صِفّين أخذ معاوية البَيْعة لنفسه بالخلافة من أهل الشام فأصبحَ في العالم الاسلامي خليفتان . فلمّا قُتِلَ عليّ بن أبي طالب[١] وقدّم بنو هاشمٍ الحسنَ بن عليٍ للخلافة استطاع معاويةُ أن يتغلّبَ على الحسن بالحرب وبالدهاء أيضاً . ومنذ ذلك الحين (عام الجماعة ، سنة ٤١ هـ) أصبح معاوية الخليفة الوحيدَ في العالم الاسلامي .

ومع أن معاويةَ قام في أثناء خلافته بشيء من الجهاد في المشرق والمغرب ، فانه هادن الرومَ زمناً طويلاً حتّى يستطيع التغلّب على المنافسين له في طلب الخلافة من بني أمية خاصّة . في تلك الاثناء كان يسعى إلى توطيد المُلْكِ في بني أميّة وإلى أن يجعل الخلافة وراثية في عَقِبِه . وقد استطاع أن يأخذ البَيْعة لابنه يزيد بالخلافة في حياته هو . وهكذا زالت الخلافة بمعناها الشَوْرَويّ الذي كان في أيام الخلفاء الراشدين وحلّ مَحِلّها مُلْكٌ عَضوض[٢] .

---

١ راجع فوق ، علي بن أبي طالب ، ص ٣٠٧

٢ يعض عليه أصحابه (يحافظون عليه جهدهم) مع الظلم والعسف .

وكانت وفاة معاوية سنة ٦٠ هـ (٦٨٠ م) .

٢ ـ كان معاوية من دُهاة العرب له القول المشهور : لو أن بيني وبين الناس شعرةً مَا انْقَطَعَتْ : اَن شدّوها أرْخَيْتها ، وان أرْخَوْها شَدَدتُها . وكان حازماً ظالماً : إذا بلغ غايته باللين لم يلجأ إلى العنف ، وان لم يكن بُدٌّ من العُنف لم يتركه في سبيل تحقيق غاياته . كان يقول : اني لا أضعُ سيفي حيثُ يكفيني سَوْطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني .

ولمعاوية خطب كِثارٌ ورسائلُ ، وخصوصاً فيما يتعلّق بالفتنة الّتي نَشِبَتْ بينه وبين عليّ . ومع أن خطبه ورسائله لا تخالف في أسلوبها الاسلوبَ العامَّ في عصره ، فان فيها كثيراً من الايجاز ومتانة التركيب ومن حسن الرأي . وكان معاوية بليغاً جداً (البيان والتبيين ١ : ٣١٤ ، ٣٥٣ ، ٣٨٣) ثم وُصِفَ بالجَهارة (ارتفاع الصوت مع وضوحه) وبجودة الخُطبة (البيان والتبيين ١ : ١٢٧) . غير انه لم يخطب في جماعة منذ سقطت ثناياه (البيان والتبيين ١ : ٦٠) .

٣ ـ المختار من آثاره :

ـ أقوال لمعاوية بن أبي سفيان :

قال معاوية لعمرو بن العاص (حينما وجّهه إلى لقاء ابي موسى الاشعري للتحكيم) : يا عمرُو ، ان أهلَ العراق قد أكرَهوا عليّاً على أبي موسى ، وأنا وأهلُ العراق راضُون بك . وقد ضُمّ اليك رجل [1] طويلُ اللسان قصير الرأي ، فأجِدِ الحزّ وطَبّق المَفْصِل [2] ، ولا تَلْقَهُ برأيك كلّهِ .

وقال معاوية : ما رأيت سَرَفاً إلا إلى جَنْبه حقّ مُضَيّع .

وقال معاوية : إذا لم يكن الهاشميّ جواداً لم يُشْبِهْ قومه . وإذا لم يكن المخزوميّ تيّاهاً لم يشبه قومه . وإذا لم يكن الأمويّ حليماً لم يشبه قومه .

ـ كان زياد بن أبيه قد كتب إلى الحسن بن عليّ بن أبي طالب رسالة

---

١ أي أبو موسى الأشعري . راجع في أمر أبي موسى وعمرو بن العاص ، فوق ، ص ٣٠٧

٢ هذه استعارة مأخوذة من صناعة الجزارة (بكسر الجيم) ، فان القصاب (اللحام : الذي يذبح الابل والغنم ويقطعها) لا يسهل عمله عليه إلا إذا أصاب المفصل (عرف مكان اتصال بعض العظام ببعض) ثم طبق الحز (حز بسكينه في موضع اتصال العظمين) .

يتوعّده فيهـا . فبعث الحسن بالرسالة إلى معاوية ، فَغَضِبَ معـاوية وكتب إلى زياد :

من معاويةَ بن أبي سُفيان إلى زيادِ بن أبي سُفيان : وبعد ، فان لك رأياً من أبي سُفيان ورأياً من سُميّـةَ [1] . فأمّا رأيك من أبي سفيان فحِلم وعزم ، وأمّا رأيك من سُميّة فكما يكون رأيُ مثلها . وقد كتب إليّ الحسن ابن عليّ أنك عرَضْتَ لصاحبه [2] ، فلا تَعرِضْ له ، فانّي لم أجعلْ لك اليه سبيلاً ، وإنّ الحسن بن عليّ مما لا يُرمى به الرَّجَوانِ [3] . والعجب من كتابك اليه لا تَنْسِبُهُ إلى أبيه ، أفالى أمّه وَكَلْتَه [4] ؟ وهو ابن فاطمةَ بنتِ محمّدٍ عليه السلام ؟ فالآنَ حين اخترتَ له [5] ، والسلام .

– قَدِمَ مُعاوية إلى المدينة في عـام الجماعة (٤١ هـ) فخطب في أهلهـا فقال :

أما بعد ، فانّي – والله – ما وَلِيتُها بمحبّةٍ عَلِمْتُها منكم ولا مسرّة (منكم) بولايتي ، ولكنّي جالدتكم بسيفي هـذا مُجالدةً . ولقد رُضْتُ لها نفسي على عمل ابن أبي قُحافة ، وأردتُّها على عمل عُمرَ ، فنفرت من ذلك نِفاراً شديداً ، وأردتها على سُنيّات عُثمان [6] فأبتْ عليّ . فسَلَكْتُ طريقاً لي ولكم فيه منفعةٌ : مُؤاكلة حسنة ومُشاربة جميلة . فان لم تجدوني خيرَكم ، فانّي خيرٌ لكم وَلايةً . والله ، لا أحملُ السيفَ على مَنْ لا سيفَ له . وان

---

١ راجع الكلام على زياد بن أبيه واستلحاق معاوية له ، فوق ، ص ٣٨٧ .
٢ كان الحسن بن علي قد أوصى بصاحب (صديق له إلى زياد ، فلم يقبل زياد ورد على الحسن رداً قبيحاً عنيفاً) .
٣ يرمى به الرجوان : جانبا البئر (يهان ويحتقر) .
٤ أظننت أنك إذا لم تنسبه لأبيه تعني أنك تنسبه لأمه (فتحط من شأنه ، كما هي الحال في شأنك أنت وأمك سمية) . غير أنك لا تحقر الحسن إذا نسبته لأمه ، فان أمه فاطمة بنت محمد رسول الله (نسبته إلى أمه أشرف من نسبته إلى أبيه) .
٥ لقد أحسنت الاختيار له (بأن تنسبه إلى أمه ؟) .
٦ حاولت أن أسير على سياسة عبد الله بن أبي قحـافة (أي بسياسة أبي بكر الخليفة الأول) فلم أرذلك ممكناً ، ثم حاولت أن أتبع سياسة مثل سياسة عمر(الحزم والشدة في الحق) فلم استطعها. وحاولت أن أتبع سنيات (جمع سنة بفتح السين وفتح النون بمعنى عام أو اثني عشر شهراً – وأظن أن الاصوب أن تكون سنينات عثمان جمعاً لكلمة « سنة » بضم السين وتشديد النون (مصغرة) بمعنى الخطة والطريقة(أي سياسة اللين والاهتمام بالأمور الجزئية) فلم أستطع ذلك أيضاً .

لم يكن منكم إلا ما يَستَشفي بـه القائل بلسانه فقد جعلتُ ذلك دَبْرَ أذني وتحت قدمي [1] . وان لم تجدوني أقُومُ بحقّكم كلّهِ ، فَاقبَلوا منّي بعضَه ؛ فان أتاكم منّي خيرٌ فَاقبَلوه ، فإنّ السَّيْلَ إذا جاد يُثْري ، وان قَلّ يُغني [2] . وإياكم والفِتنةَ فانّها تُفسد المعيشة وتُكَدِّر النعمة .

المتوكّل الليثي

١ — هو أبو جَهْمة المتوكّل بن عبد الله بن نَهْشل من بني عَوْف بن عامر ابن لَيْث بن بكر بن عبد مَناة بن كِنانة ، ولذلك يُقال له المتوكّلُ الليثي والمتوكّل الكِناني . وهو من أهل الكوفة ، عاصر مُعاويةَ بن أبي سُفيانَ وابنَه يزيدَ ومدحهما ، واجتمع بالاخطل وتناشدا الشعر فاستحسن الاخطل شعرَه وقدّمه . وهذا يدلّ على أن ذلك كان قبل أن يأتيَ الاخطلُ إلى البَلاط الأمويّ في المرة الثانية في أيام عبد الملك ، لأن الاخطل أصبح في ذلك الحين شديدَ الذّهاب بنفسه لا يُقِرّ لغيره بالتقدّم .

ولعلّ وفاةَ المتوكّل الليثي كانت في أعقاب خلافة يزيدَ بن معاويةَ (توفّي سنة ٦٤ هـ = ٦٨٣ م) أو بعدَ ذلك بقليل .

٢ — كان المتوكّل الليثي ، فيما يبدو لنا ، كريمَ الاخلاق : كان له امرأةٌ اسمُها أُمامة وكُنْيتها أم بكر (وقيل كان اسمها رُهيمة أوأميمة) فأقْعِدَتْ [3] فطلبت منه أن يُطلّقها فأبى وقال لها : ليس هذا حينَ طلاق . ولكنّها أصرّت فطلّقها . ثم انّها بَرِئَتْ وعادت اليها صحّتها . وكذلك كان لا يشرب الخمر [4] .

---

١ ما يستشفي به القائل بلسانه : الوشاية واظهار العداوة من غير قصد إلى نفع أو اصلاح . جعلته دبر (وراء) أذني وتحت قدمي : لم أحفل به ، أهملته .
٢ إذا كثر المطر أثرى : جعل الناس أثرياء (أغنياء جداً) . وان قل أغنى الناس : كفاهم حاجتهم .
١ مرضت مرضاً أقعدها ففقدت القدرة على الحركة .
٢ راجع الاغاني ١٢ : ١٥٩ .

والمتوكّل الليثي رأسُ الطبقة السابعة من الشعراء الاسلاميّين [1] . وهو شاعر وجداني مُجيد مُطيل معَ متانة وسُهولة ورِقّة ، وكان شعرُه يُغنّى . أما أغراضه فالمديحُ والهجاء الذي ينطوي أحياناً على شيء من الإقذاع . وله أيضاً غزل جيّد وفخر وحكمة واعتذار .

٣ – المختار من شعره :

– قال المتوكّل الليثي في امرأته بعد أن طلّقها ثم برئت (والغزل في مطلع القصيدة في امرأة غيرها) :

أجَدّ اليومَ جيرتُك احتِمالا ... وحَثّ حُداتُهم بِهِم عِجالا [2].
وفي الأظعان آنِسَةٌ لَعوبٌ ... ترى قتلي بغير دمٍ حَلالا [3] .

ثم يقول المتوكّل (في امرأته) :

تُعَبّسُ لي أمَيْمَةُ بعد أُنْسٍ ، ... فما أدري أسُخْطاً أم دَلالا !
أبِيني لي ، فرُبَّ أخٍ مُصافٍ ... رُزِئْتُ ، وما أُحِبُّ به بِدالا [4] .
فلا وأبيكَ ، ما أهْوَى خليلاً ... أقاتِلُه على وصلي قِتالا [5] .
وكم من كاشحٍ ، يا أمّ بكرٍ ، ... مِن البغضاء يأتَكِلُ ائتِكالا [6] .
لَبِسْتُ على قِناعٍ من أذاه ؛ ... ولولا اللهُ كنتُ له نَكالا [7] !

– كان مَعْنُ بن حَمَلٍ بن جَعونة بن وهب أحد بني لَقيط بن يَعْمُر (من قوم المتوكّل وعشيرته) قد هجا المتوكّلَ وأكثرَ . وبعد أن سكت المتوكّلُ

---

١ ابن سلام ١٤٢ .
٢ الجيرة : الاهل ، الزوجة . الحداة جمع حاد : الذي يسوق الإبل .
٣ بغير دم : من غير أن أكون قد سفكت دماً (قد قتلت أحداً فاستحق أن أقتل به) .
٤ رب صديق كان مصافياً محباً لي فمات ، وما كنت أود (في حياته) أن أتخذ صديقاً سواه . أبيني لي : بيني لي ، قولي لي : أهذا الذي فعلته سخط (غضب حقيقي) أم دلالا (تظاهر بالبغض والغضب ... راجع البيت السابق) .
٥ لا أحب أن أحمل أحد على صداقتي بالقوة .
٦ الكاشح : المبغض . ائتكل : أكل الحقد والغضب صدره (امتلأ حقداً علي) .
٧ – الملموح : تغاضيت عن أذاه لي . ولولا خوف الله لنكلت بـه نكالا (لعذبته تعذيباً شديداً) .

الليثيّ على هجاء معنٍ زمناً طويلاً هجاه وهجا قومه بني الدّيْل هجاء قَذِعاً . بعدئذ ندم المتوكّل الليثي على ذلك فقال قصيدة فيها غزل وفخر واعتذار ، وفيها مدحٌ في يزيد بن معاوية (وكان يُكنى أبا خالد) :

خليليّ ، عُوجَا اليومَ وانتَظِراني، فإنّ الهوى والهمّ أمُّ أبانِ [1] .

هي الشمسُ يدنو لي قريباً بعيدُها ، أرى الشمس ما أسْطيعها وتراني .

نَأَتْ بعد قُرْبِ دارُها ، وتبدّلتْ بنا بَدَلاً ، والدهر ذو حَدَثان [2] .

سيعلمُ قومي أنني كنت سُورة من المَجْدِ إن داعي المَنون دعاني [3] .

ألا ربّ مسرورٍ بمَوْتي إذا أتى ، وآخرَ لو أُنْعَى له لبَكاني [4] .

خليليّ ، ما لام امرءاً مثلُ نفسه إذا هي لامت ، فَارْبعا ودَعاني [5] .

نَدِمْتُ على شَتْمي العشيرةَ بعدما تَغَنّى بها غَوْري وحَنّ يَماني [6]

قَلَبْتُ لهم ظهرَ المِجَنّ ، وليتني رَجَعت بفضلٍ من يدي ولِساني [7] !

على أنني لم أرْمِ في الشعر مُسْلِماً ، ولم أهجُ إلاّ من رَوَى وهَجاني [8] .

هم بَطَروا الحِلْمَ الذي من سَجيّتي فبَدّلْتَ قومي شِدّةً بِلِيان [9] .

---

[1] عاج : مال إلى جانب من المكان . الهوى والهم أم أبان : ان أم أبان هي وحدها التي أحبها وأهتم بها .

[2] تبدلت بنا بدلا : اتخذت حبيباً آخر غيري . الدهر ذو حدثان (أحداث وأحوال تتقلب بالناس) .

[3] في الاغاني (١٢ : ١٦٤ ، السطر ١٣) سورة (بضم السين) . وفي القاموس (٢ : ٥٣ ، السطر ٧) : السورة (بفتح السين) : من المجد : أثره وعلامته وارتفاعه . داعي المنون : سبب الموت (في الحرب ؟) .

[4] إذا أتى : إذا جاء (موتي ، إذا أنا مت) .

[5] ما لام امرأ مثل نفسه : لا ينتفع أحد بلوم أحد إلا بلوم نفسه (بنصح نفسه بنفسه إذا ارتكب خطأ) . إذا هي لامت : إذا لامت نفسه (أي فعلت فعلا تلام عليه) . ربع : هدأ ، استقر . دعاني : اتركاني .

[6] تغنى بها : مدحها وافتخر بها ، سر بها . غوري : فمي (القاموس ٢ : ١٠٥ ، السطر ١١ ، راجع ١٣) . حن : اشتاق ، طرب . يماني :.... (يمكن أن يكون الغور المكان المنخفض من تهامة على الساحل ، واليمان : الأرض الجبلية — اليمن — ويكون الغور واليمان كناية عن أنه أحب قومه بكل أسباب المحبة) .

[7] غير أنني قلبت لهم ظهر المجن « الترس » : عاديتهم . وكنت أتمنى لو أنني عدت عليهم (بعد أن أساءوا إلي بسكوتهم عن هجاء معن لي) بالفضل من يدي (بالاحسان اليهم وبالكرم) ولساني (بمدحهم) .

[8] هذا مع انه لم يسبق لي أن هجوت مسلماً إلا إذا كان قد هجاني هو أو روى هجاء الآخرين في .

[9] ان قومي أبطرهم (أطمعهم) أن الحلم طبع في . عندئذ تركت اللين واللطف والعطف التي كنت أعاملهم بها واشتددت عليهم بالهجاء .

ولو شئتُمُ ، أولادَ وهبٍ ، نَزَعتُمُ ، ونحن جميعٌ شملُنا اخــوانِ [1] ،
نَهَيْتُمْ أخاكم عن هِجائي ، وقدمضى له بعدَ حول كاملٍ سَنَتان [2] ،
فلَجّ ، ومَنّــاه رجالٌ رأيتُهُــمْ إذا قارنوني يُكْرَهون قِرانــي [3] .
خليليّ ، لوكنتُ امرَأً بِيَ سَقْطَــةٌ تضعضعتُ أو زَلّتْ بِيَ القَدَمــان .
أعيشُ على بَغْيِ العُداة ورُغْمِهِمْ وآتي الذي أهوى على الشَّنَآن [4] .
خليليّ ، كم من كاشحٍ قد رَمَيْتُــهُ بقافيــةٍ مشهورةٍ ورَمــاني [5] .
أبا خالدٍ ، حنّتْ اليك مَطِيَّتـــي على بعدِ مُنْتابٍ وهَوْل جَنان [6] .
أبا خالدٍ ، في الأرض نأيٌ ومَفْسَـــحٌ لذي مِرّةٍ يُرمى بـه الرَّجَوان [7] ،
فكيف ينامُ الليلَ حرٌّ عَطــاؤهُ ثَلاثٌ لرأسِ الحَوْلِ أو مِئَتان [8] ؟
تناهتْ قلوصي بعدَ إسآديَ السُّـرى إلى مَلِكٍ جَزْلِ العطاء هِجان [9] ،
ترى الناسَ أفواجــاً ينوبون بابَــهُ لِبِكْرٍ من الحاجاتِ أو لعَوان [10] .

٤ – ** الاغاني ١٢ : ١٥٨ – ١٦٨ ، طبقات الشعراء ١٤٢ – ١٤٣ .

---

١ نزع : عاد عن غيه أو ظلمه أو خطئه .

٢ كان يحسن أن تمنعوا صاحبكم (قريبكم الأدنى) عن أن يهجوني .

٣ – ولكنه لج : أكثر وبالغ . مناه رجال : أطمعه قوم (بي) وزينوا له هجائي . هؤلاء لو قارنوني (لقوني في معركة أو هجاء) لما سروا بلقائي (لتغلبت عليهم) .

٤ أنا أعيش سالماً على الرغم من أن أعدائي يريدون بي الظلم والأذى وعلى رغمهم (مع أنهم يبغضونني ويكرهون حياتي) ، ثم أفعل ما أشاء وأزيد بما أفعل بغضه وحقده .

٥ كاشح : مبغض . رميته بقافية مشهورة : هجوته بقصيدة عصماء .

٦ حنت اليك مطيّ : اشتاقت ناقتي إلى زيارتك (أحببت أن أزورك مرة ثانية) . على بعد منتاب : على بعد بلادي . هول جنان : خوف القلب (خوف كل انسان) من أخطار الطريق .

٧ المرة (بكسر الميم) : الشدة والقوة . الرجوان : جانبا البئر . يرمى به الرجوان : يلقى على جانبي البئر (يمنع من الاستقاء ، أي يستهان به ويحتقر) .

٨ فكيف اذن ينام الليل (يصبر على الضيم) رجل حر غني (؟) له في كل عام ثلاث (مائة ناقة أو دينار ؟) أو مائتان فقط .

٩ تناهت : وصلت . قلوصي : ناقتي . الإسآد : الاسراع . السرى (بضم السين) : السير في الليل . جزل (كثير) العطاء . الهجان : الرجل الكريم الحسيب ذو النسب العربي الخالص .

١٠ ينوبون بابه : يأتون إلى بابه (بكثرة) . البكر من الحاجات : الحاجة العظيمة التي لم يسبق لأحد أن احتاج إلى مثلها . العوان (من الحاجات) : الحاجات التي ألف الناس مثلها .

عبد الرحمن بن أرطأه

١ — هو عبد الرحمن بن (سَيحان بن) أرطأة بن سيحان بن عمرو، يرقى نسبه إلى قيس عَيْلان بن مُضَرَ. وكان آل سيحان في الجاهلية حلفاءَ حَرْبِ ابن أميّةَ (والد أبي سفيان وجدّ مُعاوية). ولقد كان عبد الرحمن بن أرطأة هذا وَفِيّاً للحلف القديم مناصراً وصديقاً لآل أبي سفيان في الاسلام منقطعاً إلى معاوية، وإلى آل عثمان خاصّة؛ وكان وثيق الصلة جدّاً بالوليد بن عثمان ابن عفّان.

كان عبد الرحمن بن أرطأة (أو ابن سيحان) من أهل المدينة، وكان مُدْمناً للخمر يشربها مع الوليد بن عثمان بن عفّان والوليد بن عُتبة بن أبي سُفيان. فلمّا وَلِيَ مروان بن الحكم المدينةَ من قِبَلِ مُعاوية بن أبي سفيان — للمرّة الثانية — سنة ٥٦ هـ (٦٧٦ م) ولَقِيَ ابنَ سَيحانَ سكرانَ ضربه الحدّ ثمانين سوطاً. وبلغ ذلك إلى معاوية فغضب معاوية، فيما قيل، وكتب إلى مروان ابن الحكم ألا يَحُدّ ابن سَيحانَ في شراب أهل المدينة، في حديث طويل جداً.

وكان عبد الرحمن بن ارطأة معاصراً لمعاوية ولابنه يزيدَ[1]، ويزيد جاء إلى الخلافة سَنَةَ ٦٠ هـ (٦٨٠م) وبقي في الخلافة نحو أربع سنوات.

٢ — «كان عبد الرحمن بن سَيحانَ المحاربي شاعراً، وكان حُلْوَ الحديثِ عنده أحاديثُ حسنةٌ غريبة من أخبار العرب وأيّامها وأشعارها» (الاغاني ٢ : ١٤٧). وكان «شاعراً مُقلاً إسلامياً ليس من الفحول المشهورين، ولكنّه كان يقول في الشراب والغزل والفخر وفي مدح أحلافه من بني أمية» (الاغاني ٢ : ٢٤٣). وهو يُجيد الرثاء (راجع الاغاني ٢ : ٢٥٣)، وتجد في شعره لَفتات من الأدب (الحكمة). على أن أكثر شعره وأحسنَه في الخمر، وكان في شعره في الخمر استهتارٌ يذكّرنا بما سنراه في العصر العباسي وعند أبي نواسٍ خاصة.

[1] راجع عمر بن أبي ربيعة، تأليف جبرائيل سليمان جبور، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٥، ص ٧٢، السطر ٢٢.

٣ – المختار من شعره :

– دخل عبد الرحمن بن سَيحان على ابْنِ عمٍ له يقال له الحارثُ بن سَريع فوجده يشرب نبيذ زبيب ، فجعل يُزَيّنُ له شُرْبَ الخمر ، ثم قال له : « يا ابن سريع ، ان كنتَ تشربُ نبيذ الزبيب على أنه حلالٌ ، فأنك أحمقُ؛ وان كنت تشربه على أنه حرام تستغفر الله منه وتَنْوي التوبةَ فاشربْ أجودَه فان الوِزْرَ واحدٌ . ثم انه أنشد :

دعْ ، ابنَ سَريعٍ ، شُربَ ما مات مرّةً ، وخُذْها سُلافاً حيّةً مُزّةَ الطَعْمِ [١] .

تَدَعْكَ على مُلْكَ ابنِ ساسانَ قادراً، إذا حرّمت قُرّاؤنا حَلَبَ الكَرْمْ [٢] .

فشتّانَ بين الحيّ والمَيْتِ ، فاعْتزمْ على مُزّةٍ صفراءَ راوُوقُها يَهْمي [٣] .

فإنّ سَريعاً كان أوصى بِحُبّهـا بَنيهِ ، وعَمّي ، جاوز اللهُ عن عمّي[٤].

ويا ربّ يومٍ قد شَهِدتُ بني أبـي عليها إلى أن غاب تاليةُ النجم [٥] ،

حَسَوْها صلاةَ العصرِ–والشمسُ حيّةٌ– تُدارُ عليهم بالصغيرِ وبالضّخْم ،

فماتوا وعاشوا والمُدامةَ بينَهم مُشَعْشَعَةً كالنجم تُوصفَ بالوَهْم[٦] .

– وله في الخمر ، وفي قوله هذا استهتار مقصود :

اصْبَحْ نَديمَك من صهباءَ صافيةٍ حتّى يروحَ كريماً ناعمَ البالِ [٧] .

---

١ ما مات مرة : مزج بالماء ، أو نقع في الماء (إشارة إلى نبيذ الزبيب ؟) . السلاف : الخمر . حية : غير ممزوجة (؟) .

٢ – تجعلك تتخيل أنك ملك على ملك ابن ساسان (كسرى) ، على ملك بلاد فارس . ولو كان قراؤنا (قراء القرآن ، الذين يعتمدون آيات القرآن الكريم في تحريم الخمر . يقصد : الفقهاء) . حلب الكرم عصير العنب (الخمر) .

٣ ... وكان عمي أيضاً قد أوصى بنيه بشربها . جاوز الله عن عمي : غفر الله له ذنوبه ؛

٤ الراووق : إناء صغير للخمر . يهمي : ينصب ، يسقط (لعله يقصد : يتصبب الماء من خارجه) كناية عن شدة برده حتى يعرق الراووق من خارج ويسيل عرقه بكثرة ؛ وكانت الخمر الباردة ممدوحة عندهم .

٥ تالية النجم : أواخر النجوم . ظلوا يشربون حتى غابت النجوم (وطلع الصبح) .

٦ مشعشعة : قليلة الكثافة ، شديدة الصفاء شفافة (وليس المقصود هنا أنها ممزوجة بالماء) ، يتفرق نورها في البيت كما ينتشر ضوء النجم في الجو .

٧ اصبح نديمك : اسقه الخمر في الصباح .

وَاشْرَبْ ، هُدِيتَ أبا وَهْبٍ ، مُجاهِرةً ، وَاختَلْ فانّكَ من قومٍ أولي خال [1] .

– لمّا قُتِلَ سعيد بن عثمان بن عفّان قالت أمّه : أشتهي أن يرثيه شاعرٌ كما في نفسي حتّى أُعطيَهُ ما يحتكم ، فقال ابن سَيْحان :

إن كنتِ باكيةً فتىً فابكي – هَبِلْتِ – على سعيدِ [2] :
فارقتَ أهلَكَ بغتةً وجلَبْتَ حتفَكَ من بعيد .
أذري دموعَكِ والدماءَ على الشهيدِ بن الشهيدِ [3] !

فقالت هكذا كنت أشتهي أن يُقال فيه ، ووصلت ابنَ سيحان . وكانت تندب ابنها بهذا الشعر (غ ٢ : ٢٥٣) .

٤ – ** الاغاني ٢ : ٢٤٢ – ٢٦٠ .

عبد الرحمن بن الحكم

١ – هو أبو مُطرّف عبدُ الرحمن بنُ الحكَمِ بنِ أبي العاص بن أميّةَ ابن عبد شمس بن عبد مناف ؛ وأمّه آمنةُ بنتُ صفوانَ بنِ أميّة من بني مُخْدِجِ بن كِنانة . والملموح أنه كان يسكن المدينةَ في الحجاز .

كان عبد الرحمن بن الحكم صديقاً لعبد الرحمن بن حسّان بن ثابتٍ حتّى وقعت العَداوةُ بينهما في أيام معاويةَ بنِ أبي سُفيانَ في حديثٍ طويلٍ جداً وأخذا يتهاجيانِ . ولعلّ عبد الرحمن بن الحكم كان يستطيل في الهجاء على عبد الرحمن بنَ حسان لأنّ مَروانَ بن الحكم ، أخا عبد الرحمن بن الحكم ، كان واليا على المدينة [4] .

في سنة ٤٩ ﻫ (٦٦٩ م) عزل معاويةُ عن المدينة مروانَ بنَ الحكم لأسبابٍ

---

١ اختل : أظهر العجب والتكبر والاختيال على الناس . الخال : العجب بالنفس .
٢ هبلت : ثكلت (فقدت ابنك – فقدت فتى يعظم الحزن عليه) .
٣ أذرى : سكب (بكى بشدة) . الشهيد الثانية إشارة إلى عثمان بن عفان (جد المرثي) ، وكان عثمان قد قتله الثوار وهو يقرأ القرآن .
٤ تولى مروان بن الحكم على المدينة مرتين : من سنة ٤١ إلى ٤٩ ﻫ (٦٦١ – ٦٦٩ م) ثم من سنة ٥٦ﻫ إلى أواخر ٥٧ ﻫ (٦٧٦ – ٦٧٧ م) ، وكانت تانك المرتان في أيام معاوية بن أبي سفيان .

منها أن مروان بن الحكم لم يكن راضياً عن استلحاق زياد بن أبيه ، سنة ٤٤ هـ (٦٦٤ م) ، بنسب بني أميّة [١] ، وكذلك كان عبد الرحمن بن الحكم ، حتّى أن بعضَ كتبِ الأدب تَنْسِبُ هجاءَ معاوية بالابيات التي أوّلُها :

أتغضبُ أن يُقال : أبوك عفٌّ ، وترضى أن يُقال : أبوك زانِ ؟

إلى عبدِ الرحمنِ بنِ الحكم [٢] .

ثم ان التهاجيَ لَجّ بين عبد الرحمن بن الحكم وبين عبد الرحمن بن حسان، وأفحشَ كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه ، فكتبَ معاويةُ بن أبي سفيان إلى والي المدينة سعيدِ بن العاص [٣] أن يَجْلِدَ كلَّ واحدٍ منهما مائةَ جلْدة . فلم يشأ سعيد بن العاص أن يُقيم هذا الحدَّ (أن يَجْلِدَ) اثنَيْنِ أحدُهما من سادة الأمويّين أهلِ مكّةَ والثاني من سادة الخزرجِ في المدينة . وفي سنَةِ ٥٦ هـ (٦٧٦ — ٦٧٧ م) أعاد معاوية تَوْلِيَةَ مروانَ بنِ الحكم على المدينة فنفّذ أمرَ معاويةَ ، ولكنّه جلَدَ عبدَ الرحمن بنَ حسان مائةَ جلدةٍ ولم يَجْلِد أخاه عبدَ الرحمنَ بنَ الحكم في أول الأمر .

جاء في الاغاني (١٣ : ٢٦٣) أن عبدَ الرحمنِ بنَ الحكم بن أبي العاص كان عند يزيدَ بن مُعاويةَ لمّا جِيءَ برأسِ الحُسينِ بن عليٍّ من عند عُبيد الله بنِ زِياد ، ومعنى هذا أن عبدَ الرحمنِ بنَ الحكم كان لا يزال حيّاً بعدَ وقعةِ كربلاءَ ، في العاشرِ من المُحرّمِ من سنَةِ ٦١ هـ (١٠—١٠—٦٨٠ م) .

٢ — عبدُ الرحمنِ بنُ الحَكَم « شاعرٌ إسلاميٌّ متوسّطُ الحالِ في شعراءِ زمانهِ » (غ ١٣ : ٢٥٩) ، على أنه كان شهوراً في أيامه ... جاء في كتابِ العقدِ [٤] : « قال معاويةُ (بن أبي سفيان) لعبد الرحمن بن الحكم : يا أخي ، إنّكَ شُهِرْتَ بالشِعْر ، فإيّاكَ والتشبيبَ بالنساء فانّك تَعُرّ [٥] الشريفةَ في

---

١ غ ١٣ : ٢٦١ ، السطر ٩ .

٢ غ ١٣ : ٢٦٥ — ٢٦٦ ؛ الحيوان ٧ : ٢٣٥ ؛ والابيات تنسب إلى يزيد بن مفرغ (راجع ترجمة في يزيد ابن مفرغ ، ص ٤٢٩ ؛ ثم الشعر والشعراء ٢١٢ ؛ الموشح ٢٧٣) .

٣ غ ١٥ : ١١٥ ، ١١٦ . سعيد بن العاص تولى المدينة في ربيع الأول من سنة ٤٩ هـ (نيسان — أبريل ٦٦٩ م) ثم بقي والياً عليها بضع سنوات .

٤ العقد الفريد (بتحقيق محمد سعيد العريان ، الطبعة الثانية) ٦ : ١١٤ .

٥ تسيء الى

قومها والعفيفةَ في نفسها . و (إيّاك) والهجاءَ فإنّك لا تَعْدو [1] أن تُعادِي به كريماً أو تَسْتَثيرَ [2] به لئيماً ؛ ولكنِ افْخَرْ بمآثرِ قَوْمِك ، وقُلْ من الأمثالِ ما تُوَقِّر [3] به نفسَكَ وتُؤدِّبُ به غَيْرَكَ » .

وشعر عبد الرحمن بن الحكم متينُ السبكِ عال النَفَسِ ، وفيه فخرٌ ومديح ورثاء وهجاء ؛ ولقد هاجى عبدَ الرحمن بن حسّان بن ثابت زمناً طويلاً ، وكانت بينهما نقائضُ كثيرةٌ جداً [4] . وله أيضاً نسيب وغزل وخمريات .

٣ – المختار من شعره :

– قال عبد الرحمن بن الحكم في شيء من الحماسة والفخر :

أتَقْطُرُ آفاقُ السماءِ له دماً   إذا قيل: هذا الطِّرْفُ أجْرَدُ سابحُ [5] .
فحتّى متى لا نَرْفَعُ العينَ ذِلّةً ؟   وحتّى متى تَعْيا علينا المَنادح [6] ؟

– أولِعَ عبد الرحمن بن الحكم بجاريةٍ اسْمُها شنباءُ فقال فيها :

لَعَمْرُ أبي شنباءَ ، إنّي بذِكْرِها   – وان شَحَطَتْ دارٌ بها – لَحقيقُ [7] .
وإنّي لها – لا يَنْزِعُ اللهُ ما لها   عليّ ، وإنْ لم تَرْعَهُ – لَصديق [8] .
ولمّا ذكرتُ الوَصْلَ قالت وأعرَضَتْ :   متى أنتَ عن هذا الحديثِ مُفيقُ !

---

١ لا تعدو : لا تزيد على أن ...
٢ تستثير : تثير ، تغضب (بضم التاء) ، تغيظ إنساناً فتحمله على الرد القبيح .
٣ كذا في الأصل ، ولعلها : توقر به نفسك : تجعل به لنفسك وقاراً (احتراماً ومنزلة عند الناس ، لأن القول في الامثال دليل الحكمة والرزانة) .
٤ غ ١٥ : ١١٤ ، السطر الأخير من المتن .
٥ أتقطر آفاق السماء له دماً : أيكون في ذلك سبب للغضب الشديد وللقتال ؟ الطرف : الحصان . أجرد : قليل الشعر (من صفات الحصان الأصيل) . سابح : سريع . – في هذا البيت تعريض بمعاوية لأن فيه إشارة إلى أبيات للنجاشي في هجاء معاوية وتعييره بالهرب (من صفين ؟) على فرس سريع (راجع الشعر والشعراء ١٨٩) .
٦ – إلى متى نخفض عيوننا (خضوعاً) أمام معاوية ، وإلى متى لا نجد في الأرض متسعاً (لماذا نصبر على حكم بني أبي سفيان ولا نثور عليهم لننتزع الملك منهم ؟) .
٧ شحطت : بعدت . اني بذكرها لحقيق : اني مصيب بذكرها والتحبب اليها (لأنها جملية ...) .
٨ لا ينزع الله ما لها (من سلطان الحب علي) وان لم ترعه (وان لم تكافئني على حبي لها وذكري إياها) .

– نظر عبد الرحمن إلى قَتْلى قُريشٍ يوم (معركة) الجمل [1] فبكى ثم أنشأ يقول :

أيا عينُ ، جُودي بدَمْعٍ سَرِبْ على فِتْيَةٍ من خيارِ العَرَبْ [2] .
وما ضَرّهُمْ غيرُ حَيْنِ النُفوسِ ، أيّ أميرَيْ قُريشٍ غَلَبْ [3] .

– قال عبد الرحمن بن الحكم يرد على عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بعضَ هجائه :

لقد ابقي بنو مَروانَ حُزْناً مُبيناً عارُه لبني سَوادِ [4] .
أطافَ به صبيحٌ في مَشيدٍ ونادى دَعْوةً : يا ابْنَيْ سُعادِ [5] ،
لقد أسمعتَ لو ناديتَ حَيّاً ، ولكنْ لا حياةَ لِمَنْ تُنادي !

– وله في الخمر (الكامل ٧٢ ، البيان والتبيين ٣ : ٣٤٨ – ٣٤٩) :

وكأسٍ ترى بينَ الإناءِ وبينَها قَذَى العَيْنِ قد نازعتُ أمَّ أبانِ [6] .
تَرى شاربَيْها ، حينَ يَعْتَوِرانِها، يَميلانِ أحياناً ويَعْتَدِلان [7] .
فما ظنُّ ذا الواشي بأروعَ ماجدٍ وبَدّاءَ خَوْدٍ حينَ يلْتَقِيان [8] !

٤ – ** الاغاني ١٣ : ٢٥٨ – ٢٦٨ ، ١٥ : ١١١ – ١١٩ .

---

١ راجع ، فوق ، ص ٣٠٨ .
٢ السرب : السائل ، الجاري .
٣ – ان الذي أضر بقريش أن بعضهم يقتل بعضاً ، وأي أمير منهم غلب وانتصر فان في انتصاره خسارة على القبيلة (بما يسقط من أفرادها من القتلى) .
٤ مبين : ظاهر . – المقصود من البيت غير واضح .
٥ مشيد : (قصر ، حصن) مبني بالحجارة . – المقصود من البيت غير واضح .
٦ وكأس (من الخمر) . ترى بين الاناء وبينها قذى العين : لا ترى في هذه الخمر إلا شيئاً قليلا جداً من القذى و (السفل ، الوسخ) كالذي تحتمله العين فقط . نازعت أم أبان : شربت (تلك الخمر) مع أم أبان .
٧ يعتورانها : يتناول (الكأس) هذا مرة وذاك مرة . يميلان أحياناً (تميل بهما الخمر مرة) بالسكر ويعتدلان (يفيقان من سكرهما ، يرجعان إلى حاليهما الطبيعيتين) .
٨ ذا = هذا . الاروع : الشجاع . الماجد : السيد العزيز صاحب النسب . البداء : الضخمة الوسط (بكسر الطاء) ، السمينة ما تحت الخصر . حين يلتقيان (يجتمعان وحدهما) . – في البيت مجون .

معن بن أوس

١ – هو مَعْنُ بن أوْس بن نصر بن زياد من بني ربيعة بن عَدِيّ من بني مُزينة بن أدّ .

وُلِدَ مَعْن بن أوس في أعقاب الجاهلية وبلغ مبلغ الشباب وشَهِدَ فيها أيضاً معاركَ نَشِبَتْ بين بني قومه في الحجاز . ويبدو أنه لما أسلمَ ووفَدَ على عمر بن الخطّاب استقر في المدينة . وكان معن على شيء من اليَسار يَمْلِكُ نَخَلات في المدينة وشيئاً من الأرضِ في أماكن أُخَرَ ، ويملك كثيراً من الابل[1] . وقد حملته تجارته مرة إلى البصرة وتزوج فيها ، ولكن لم تَطُلْ إقامته هناك .

ولم يخرج معن بن أوس في الفتوح ولكنه اشترك في الفِتنة بين عثمان وعليّ ، وكان يتكسّب بمديح نفر من الصَّحابة في مكّة والمدينة .

وأسنّ معن بن أوس كثيراً وعَمِيَ في شيخوخته ثم تُوُفّيَ في سنة ٦٤ هـ (٦٨٤ م) ، في أول الفِتنة بين عبد الله بن الزبير وبين مروان بن الحكم .

٢ – معن بن أوس شاعر مُجيد مَتين الكلام حَسَنُ الديباجة فخم المعاني له مدائحُ ومراثٍ وأهاجٍ وأبيات في الحكمة جميلة .

٣ – المختار من شعره :

– روى أبو تمّام لمعن بن أوس هذه الأبيات في باب الأدب من كتاب الحماسة :

وإني أخوك الدائمُ العهدِ لم أخُـنْ ... إنِ ابْزاكَ خَصْمٌ أو نبا بِكَ منزلُ[2] .

أحاربُ من حاربتَ من ذي عَداوة ، ... وأحْبِسُ مالي ، ان غرِمْتَ ، فأعْقِلُ[3] .

وإنْ سُؤتَني يوماً صَفَحْتُ إلى غَـدٍ ... لِيُعْقِبَ يوماً منك آخَرُ مُقْبِلُ[4] .

---

١ البيان والتبيين ٣ : ٢٣١ ، الحاشية ٥ .

٢ بزا ، يبزو : قهر ، بطش به . نبا بك منزل : كرهك الناس .

٣ – أقاتل معك أعداءك ، وأحتفظ بقسم من مالي لك حتى أفي به دينك ، أو أدفع منه دية من تلزمك ديته .

٤ – ان سؤتني يوماً فأنا أنتظر يوماً آخر سيأتي وستسرني فيه .

وإني على أشياءَ منك تَريبُني ... قديماً لَذو صَفْحٍ على ذاك مُجْمِلُ [1].
ستَقْطَعُ في الدنيا ، إذا ما قَطَعْتَني ، ... يَمينَك فانْظُرْ أيَّ كفٍّ تبَدّل [2].
وكنتُ إذا ما صاحبٌ رام ظِنّتي ... وبَدَّل سُوءاً بالذي كنتُ أفعل [3]،
قَلَبْتُ له ظَهرَ المِجَنِّ فلم أدُمْ ... على ذاك الاّ رَيْثَما أتَحَوّل [4].
إذا انصَرَفَتْ نفسي عن الأمرِ لم تَكُنْ ... إليه بوجهٍ ، آخرَ الدهرِ ، تُقْبِل !

– كان معن بن أوس مِئْناثاً (لا يُولدُ له إلاّ بناتٌ) فكان يُحْسِنُ صُحبةَ بناتهِ وتَربيتَهنّ . فوُلِدَ لرجلٍ من عشيرته بنتٌ فأظهرَ الكُرهَ لها ، فقال معن :

رأيتُ أناساً يكرهون بناتِهم ... وفيهنّ –لا تَكْذِبْ– نساءٌ صوالحُ.
وفيهنّ ، والأيامُ تَعْثَرُ بالفتى ، ... نوادبُ لا يَمْلُلْنَهُ ونوائح [5].

– وله قِطعة في العِتاب والأدب منها البيتان المشهوران التاليان :

أعلّمهُ الرمايةَ كلّ يومٍ، ... فلمّا اسْتَدّ ساعدُهُ رماني [6].
وكم علّمته نَظم القوافي؛ ... فلما قال قافيةً هَجاني !

– ومما يُستجاد من الشعر لمعن بن أوس المُزني (ديوان المعاني لابي هلال العسكري ، القاهرة ، مكتبة القدسي ، ١٣٥٢ ه ، ١ : ٥٣ ؛ راجع الامالي ٢ : ١٠٥) :

وذي رَحِمٍ قَلّمتُ أظفارَ ضِغْنهِ ... بحِلْميَ عنه ، وهو ليس له حِلْمُ [7].
إذا سِمته وصلَ القَرابة سامني ... قطيعتَها ؛ تلك السفاهةُ والظُلم .
وأسعى لكي أبني ، ويَهْدُمُ صالحي ؛ ... وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم .

---

١ أشياء منك تريبني : تجعلني أشك في وفائك . مجمل : معاملك بلطف واحسان .
٢ .... – هل تجد خيراً مني إذا هجرتني ؟
٣ – ٤ إذا أراد صديق لي اتهامي ، أو إذا جازاني بالسوء على (الخير) الذي فعلته معه أبديت له عداوتي ثم هجرته ونسيته .
٥ – مصيبات الزمان كثيرة ، والبنات أكثر شفقة على والدهن (من أبنائه) .
٦ الرماية : اصابة الهدف بالنبال . استد ساعده : أصبح يصيب الهدف ولا يخطئ .
٧ ذو الرحم : ذو القرابة . قلمت أظفار ضغنه : أبطلت نتائج حقده علي .

يُحاول رُغمي لا يُحاول غيرَه ، وكالموت عندي أن يُنال له رغم [١] .
فإن أنْتَصِرْ منه أكنْ مثلَ رائشٍ سِهامَ عدوٍّ يُستهاض بها العظم [٢] .
فبادرَ منّي النأيُ ؛ والمرءُ قادرٌ على سهمه ما دام في كفّه السهم [٣] .
فان أعفُ عنه أُغضِ جَفناً على القذى ، وليس له بالصفح عن ذنبه علم [٤] .
حَفِظْتُ الذي قد كان بيني وبينه ، وهل يستوي حربُ الأقارب والسِلم ؟
فما زلت في لِينٍ له وتعَطّفٍ عليه ، كما تحنو على الوَلَدِ الأمّ ،
لِأَسْتَلّ منه الضِغْن حتّى استَلَلْتُه ، وان كان ذا ضغن يَضيق به الحَزم !

— ومن قول معن بن أوس في الاخلاق الكريمة (الصناعتين ٥٥) :

لَعَمْرُكَ ، ما أهوَيْتُ كفّي لِريبةٍ ، ولا حملَتْني نحوَ فاحشةٍ رِجْلي [٥] ،
ولا قادني سَمْعي ولا بَصَري لها ، ولا دَلّني رأيي عليها ولا عقلي .
وأعلَمُ أنّي لم تُصِبْني مُصيبةٌ — من الدهرِ — إلاّ قد أصابتْ فتىً قبلي !
ولستُ بماشٍ — ما حَيِيتُ — لِمُنْكَرٍ من الأمر لا يمشي إلى مِثْلهِ مثلي ،
ولا مُؤْثِراً نفسي على ذي قَرابةٍ . وأُوثِرُ ضيفي — ما أقامَ — على أهلي [٦] .

٤ — شعر معن بن أوس المزني ، رواية أبي اسماعيل بن القاسم البغدادي ومعه ترجمة باللغة الالمانية (P. Schwartz) ، ليبزغ ١٩٠٣ .

---

١ يحاول رغمي : اكراهي واجباري (على ما لا أريد) .
٢ إذا انتصرت عليه (انتصفت منه ، عاملته كما عاملني ، حاولت رغمه) كنت كمثل الرجل الذي يعد لعدوه سهاماً ثم يعطيه إياها (إذا أسأت اليه كنت كمن يسيء إلى نفسه) . يستهاض بها العظم ؛ يكسر بها العظم (تعظم فيه الاساءة) .
٣ فبادر مني النأي : فبدأت أنا بالنأي (بالابتعاد ، تركت الانتقام منه) . والمرء قادر الخ : ما دام السهم لا يزال في يدك فأنت قادر على أن تطلقه متى شئت . (ما دمت لم تعمل عملا ما ، فأنت بالخيار تستطيع أن تعمله في المستقبل أو لا تعمله) .
٤ — مع أنني إذا عفوت عن سيئاته فانني أغضي (أطبق) جفني على القذى (على وسخ العين الذي هو نتيجة مرض الرمد ، على الأذى) : أصبر على أذاه مع أن ذلك يؤلم نفسي .
٥ ما أهويت كفي (ما قصدت ، ما أسرعت ، ما اتجهت) لريبة (لعمل يشك الناس عادة في صلاحه ، يثير الظن السيء) . الفاحشة : العمل القبيح .
٦ آثر : فضل .

ديوان معن بن أوس (مصطفى كمال)، القاهرة ١٩٢٧ م.

** غ ١٢ : ٥٣ – ٦٥ ؛ بروكلمان، الملحق ١ : ٧٢ ؛ زيدان ١ : ١٨٤ .

المقنّع الكنديّ

١ – هو محمد بن ظَفَرِ بن عُمير بن أبي شَمِرٍ من بني كِندةَ من عرب الجنوب. ولُقِّبَ «المُقَنَّعَ» ، لأنه كان طولَ الدهر مقنّعاً (البيان والتبيين ٣ : ١٠٢)، إذ كان «أحسنَ الناس وجهاً وأمدّهم قامة [1] وأكملَهم خَلْقاً، فكان إذا سَفَرَ (كشف عن وجهه) لُقِعَ – أي أصابته أعين الناس – فيَمرَض ويَلْحَقُهُ عَنَتٌ (أذىً وضررٌ)، فكان لا يمشي إلاّ مقنّعاً [2] .

نشأ المقنّعُ الكِنديّ في بيت وجاهة وسيادة ، ولكنه كان متخرّقاً في عطاياه (كثيرَ السخاء) سَمْحَ اليَدِ بماله لاَ يرُدّ سائِلاً عن شيء حتّى أتلف كلّ ما خلّفه أبوه من مال، فاستعلاه بنو عمّه (أصبحوا أعلى منه وفوقه) بأموالهم وجاههم. ثم ان المقنّع أحبّ ابنة عمّه (بنت عمرو بن أبي شَمِرٍ) فخطبها من إخوتها فرفضوا أن يزوّجوه إياها وعيّروه بفَقْره وإسرافه وبالدّيون التي كانت عليه.

ولا نعلم من زمن المقنّع الكِندي إلا أنه كان من شعراء الدولة الأموية [3] وأنه كان ينظم الشعر قبل أيام عبد الملك بن مروان. ولعلّه أدرك عبد الملك.

٢ – المقنّع الكنديّ شاعر مقلّ محسن مجيد فصيح اللفظ متين السبك، فنونه الحماسة والفخر والغزل والحكمة.

٣ – المختار من شعره :

– اختار أبو تمّام في بابِ الأدب من ديوان الحماسة أبياتاً للمقنّع الكندي :

يُعاتِبُني في الدَّيْنِ قومي، وإنما   دُيونِيَ في أشياءَ تُكْسِبُهُم حَمْدا

١ مديد القامة : طويل .

٢ غ (الساسي) ١٥ : ١٥١ ؛ راجع الشعر والشعراء ٤٦٢ – ٤٦٣ .

٣ غ ١٥ : ١٥١ ، السطر ١١ .

أَسُدَّ به ما قد أخلّوا وضيّعوا ثُغورَ حُقوقٍ ما أطاقوا لها سَدّاً [١] ،

وفي جَفْنَةٍ ما يُغلَقُ البابُ دونَها مُكَلّلَةٍ لحماً مُدَفّقَةٍ ثَرْدا [٢] ،

وفي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتيقٍ جعلتُه حِجاباً لبيتي ثُمّ أخْدَمْتُه عبدا [٣] .

وإنّ الذي بيني وبينَ بني أبي وبينَ بني عمّي لَمُخْتَلِفٌ جِداً [٤] :

فان أكلوا لحمي وَفَرْتُ لُحومَهم ، وان هدموا مجدي بَنَيْتُ لهم مجدا ؛

وان ضيّعوا غَيْبي حَفِظْتُ غيوبَهم ، وان هُمْ هَوُوا غَيّي هَوِيتُ لهم رشدا [٥] ؛

وان زَجروا طيراً بِنَحْسٍ تَمُرّ بي زَجَرْتُ لهم طيراً تَمُرّ بهم سَعدا [٦] .

ولا أحْمِلُ الحِقْدَ القديمَ عَلَيْهِمُ ، وليس رئيسَ القومِ مَنْ يَحْمِلُ الحِقدا.

لهم جُلّ مالي إنْ تتابعَ لي غِنىً ، وان قَلّ مالي لم أُكَلِّفْهُمُ رِفْدا [٧] .

وإنّي لَعَبْدُ الضيفِ ما دام نازلاً ، وما شيمةٌ لي غيرُها تُشْبِهُ العَبْدا [٨] .

— وفي ديوان الحماسة أيضاً [٩] أبيات للمقنّع الكندي في المشيب :

نَزَلَ المشيبُ — فأينَ تذهبُ بعدَه ؟ — وقدِ ارْعَوَيْتَ وحان منك رَحيلُ [٩] .

---

١ أخل بمكانه من الثغر : ترك أو أهمل الدفاع عن الموقع الحربي الذي عهد (بضم العين وكسر الهاء) به اليه . ضيع الثغر : انهزم منه فاستولى عليه العدو . — ضيع بعض قومي ببخلهم أو بفقرهم عدداً من حقوق القبيلة أو أوشكوا أن يضيعوها فاضطررت أنا إلى أن أستدين (راجع البيت السابق) حتى أحافظ عليها . ما أطاقوا لها سداً : ما استطاعوا هم أن يحافظوا عليها .

٣ — (واستدنت المال أيضاً) حتى أطبخ في جفنة (وعاء واسع) تملأ البيت حتى لا نستطيع اغلاق بابه ، وحتى أملأ هذه الجفنة باللحم والثرد (الخبز) .

٣ نهد : عال . عتيق : أصيل ، كريم ، جيد . جعلته حجاباً لبيتي : اتخذته في سبيل الدفاع عن بيتي (بيت قومي ، قبيلتي) .

٤ — ولكن معاملتي لبني أبي (إخوتي) وبني عمي مختلفة جداً من معاملتهم لي .

٥ أكلوا لحمي : اغتابوني ، قالوا علي سوءاً وقولا قبيحاً .

٦ ضيعوا غيبي : ذموني وأنا غير حاضر ؛ أو سمعوا أحداً يذكرني بسوء فلم يدافعوا عني . هوى (بفتح الهاء وكسر الواو) يهوى (بفتح الياء والواو) : أحب . الغي : الضلال والخسران ، الضرر . الرشد : الهداية والنجاح و النفع .

٧ زجروا طيراً بنحس تمر بي : تمنوا (بفتح النون المشددة) لي الشر .

٨ — ما دمت غنياً فأنا أعطيهم من مالي ، وان افتقرت يوماً لم أطلب منهم رفداً (عطاء ، مالا) .

٩ الطبعة الثانية (مكتبة علي صبيح) مصر ١٣٣٥ هـ . ص ٢ : ٣٢٠ — ٣٢١ .

٩ أين تذهب بعدها ؟ : كيف تستطيع أن تعمل في أيام المشيب (بعد الشباب) ما كنت تفعله في أيام الشباب . ارعوى : رجع ، انصرف (تراجعت قواك وضعفت وتأخرت) . رحيل : ذهاب (من الدنيا ، موت) .

كان الشبابُ خفيفةٌ أيامُـه ، والشيب مَحْمَلُه عَلَيّ ثقيـل .
ليس العطاء من الفُضولِ سماحةٌ حتّى تجودَ وما لَدَيْكَ قليل [1] .

– وله في معنى الكرم أبيات في الاغاني (١٥ : ١٥١) :

إنّي أحرِّضُ أهلَ البُخْلِ كلَّهـمُ ، لو كان ينفعُ أهلَ البخلِ تَحْريضي [2].
ما قلّ ماليَ إلاّ زادني كرَمـاً حتّى يكونَ بِرِزْقِ الله تَعْويضي [3].
والمال ينفعُ مَنْ لولا دراهمُـه أمسى يُقَلِّبُ فينا طَرْفَ مخفوضِ [4] .
لن تَخْرُجَ البيضُ عَفْواً من أكُفِّهِـمُ إلاّ على وَجَعٍ منهم وتَمْريض [5] ،
كأنها من جُلود الباخلين بهـا عندَ النوائب تُحْذَى بالمَقاريض [6] !

– وللمقنّع الكندي في الغزل (الشعر والشعراء ٤٦٣) :

وفي الظعائنِ والأحْداجِ أحسنُ مَـنْ حلّ العراقَ وحلّ الشام واليَمَنا [7] ،
جِنِّيّةٌ من نساء الإنسِ أحسنُ مِن شمسِ النهار وبدر الليل لو قُرِنا [8] .

١ الفضول جمع فضل : ما يفضل (يبقى) عند الانسان بعد أن يستوفي حاجته . السماحة : الكرم والبذل والعطاء . وما لديك : الذي عندك .

٢ – أنا أريد أن أحث البخلاء (على أن يكونوا كرماء) ، مع علمي بأن حثي لهم لن يؤثر فيهم (لن يصبحوا كرماء) .

٣ (أريد أن أقنعهم بقولي :) كلما قل مالي ازددت كرماً وزاد اعطائي ، وكان الله دائماً يعوضني بمال أكثر من الذي كنت أنفقته .

٤ – إن المال المجموع والمدخر ينفع الذين لا يحترمهم الناس إلا لمالهم المجموع . أمسى يقلب فينا طرف مخفوض : يتطلع الينا بطرف (نظر) مخفوض : ذليل . طرف مخفوض : طرف (رجل) مخفوض .

٥ البيض : الدراهم (لأنها تكون من فضة) – كناية عن قلة المال الذي ينفقونه . لا تخرج هذه الدراهم عفواً من أكفهم : لا ينفقونها (حتى على حاجاتهم) بارادتهم . إلا على وجع : ألم ، ولذلك يحتاجون إلى التمريض (العناية والمؤاساة) وإلى الاقناع الجميل للتخفيف من آلامهم .

٦ – انهم يتألمون وهم ينفقون كأنما الدراهم قطع من جلودهم تحذى (تقص ، تقطع) بالمقاريض (جمع مقراض : مقص) .

٧ الظعائن : النساء المسافرات (المتنقلات على ظهور الإبل). الاحداج جمع حدج (بكسر الحاء المهملة وسكون الدال المهملة) : الهودج أو مركب النساء على الابل . حل : سكن .

٨ أحسن من الشمس والقمر معاً .

ــ وله في الأدب أو الحكمة (الشعر والشعراء ٤٦٣) :

وصاحبُ السوءِ كالداء العيَاءِ إذا مَا ارفَضَّ في الجلدِ يجْري هاهُنا وهُنا[1].
يُبدي ويُخبرُ عن عوْراتِ صاحبهِ ، وما يرى عنده من صالح دَفَنا.
إن يَحْيَ ذاك فكن عنه بِمَعْزِلَةٍ ، أو مات ذاك فلا تَشْهَدْ له جَنَنَا [2].

٤ ــ •• الاغاني (الساسي) ١٥ : ١٥١ ، الصفحات الباقية من ترجمته (١٥٢ ــ ١٥٣) هي استطراد إلى أخبار اسحق الموصلي ؛ زيدان ١ : ٣٤٨.

قيس بن ذريح

١ ــ هو قيس بن ذَريح من بني بكر بن عبد مَناة بن كِنانة بن خُزيمة بن مُدركة ؛ وأمّه بنت سُنّة بن الذاهل بن عامر الخُزاعي . وكان قيس بن ذريح أخا الحسين بن علي بن أبي طالب من الرّضاعة ، فان أم قيس أرضعت الحسين رضي الله عنه .

نشأ قيس بن ذريح في المدينة ، وفيها رأى لُبنى بنت الحُباب الكعبيّة فأحبها وأحبّته وأراد الزواج بها فدافعه أبوه عن ذلك : كان قيس وحيداً لأبويه ، وكان أبوه غنيّاً جداً ، فأراد أن يتزوّج ابنُه احدى بنات عمّه حتى لا تذهبَ الثروة إلى أسرة غريبة . فاستشفع قيس أخاه من الرضاعة الحسين بن علي فمشى الحسين في أمره وطلب ، بما له من الوَجاهة الدينية والاجتماعية ، من والد قيس ووالد لبنى أن يجمعا بين الحبيبَيْنِ بالزواج فلم يستطيعا مخالفته .

وعاش قيس ولُبنى في سعادة ، ولكن لم يرزقا أولاداً . فأكْرَهَ ذَريحٌ ابنه قيساً على طلاق لُبنى فأسرع ذلك في عقله وجعل يَهيم على وجهه . غير أنه كان يُلِمّ ببيتها حيناً بعد حين ، فشكا الحباب ذلك إلى معاوية بن أبي سفيان ، فكتب معاوية إلى مروان بن الحكم والي المدينة (٤٩ ــ ٥٦ هـ) بأن يهدد قيساً

---

[1] الداء العياء : المرض الذي يعيي الاطباء (مفعول به منصوب) شفاؤه . ارفض : تفرق (أعدى سائر الجلد) .

[2] إذا كان صاحب السوء (الرجل الشرير) حياً فكن عنه بمعزل (اعتزله، لا تصاحبه)، وان مات فلا تشهد له جنناً (قبراً) لا تحضر جنازته .

ويَرْدَعَه عن زيارة لبنى ، ثم كتب إلى الحُباب بأن يزوّج لبنى بخالد بن حِلِّزة الغَطَفاني .

وتطاولَ بعدَ ذلك شقاءُ العاشقَيْنِ فماتت لُبنى ثم مات قيسٌ وشيكاً بعدَها ، نحوَ سَنَةِ ٦٨ هـ (٦٨٧ م) أو بعدَ ذلك بقليلٍ ، وقد دُفِنَ إلى جانبها .

٢ – كان قيسُ بن ذَريحٍ من عُشاقِ العربِ المشهورين ، وكان مُعْظَمُ شعرِه في لُبْنى . وشعرُه جميلُ المعاني سهلُ التركيبِ متينُ السبكِ ، وأكثرُه مقطّعاتٌ ، وقد تطول قصائده . وأطولُ قصيدةٍ لقيس بن ذريح تبلغ اثنينِ وخمسينَ بيتاً ، مطلَعُها (الامالي ٢ : ٣١٨ وما بعدها) :

عفا سَرِفٌ من أهله فسُراوعُ   فجَنْبا أريك فالتِلاعُ الدوافعُ .

ويبدو أن الاشعارَ التي رواها الاصفهانيّ لقيسِ بن ذريحٍ (الاغاني ٩ : ١٧٨ – ٢٢٠) قد قيل بعضُها قبل طلاق لُبنى وبعضُها بعد طلاق لُبْنى . ولا يَبْعُدُ أن يكونَ في هذه الاشعار أشياءُ مَنْحولةٌ .

وكان قيس بن المُلَوّحِ (مجنونُ ليلى) يُعْجَبُ بشعرِ قيسِ بن ذريحٍ ويُفيقُ من ذهولِهِ إذا سمِعَ أحداً يُنْشِدُه .

٣ – **المختار من شعره :**

– قال قيس بن ذريح لما تزوّجت لُبْنى خالد بن حِلِّزة وسارت معه إلى حيّه :

إلى الله أشكو فَقْدَ لُبْنى كما شكا   إلى الله فَقْدَ الوالدَيْنِ يتيمُ :
يتيمٌ جَفاه الأقربونَ ، فجِسْمُهُ   نحيلٌ وعهدُ الوالدين قديم [1] .
بكت دارُهم من نأيِهم فتهلّلَتْ   دموعي ، فأيَّ الجازعَيْنِ ألوم [2] ؟
أمُسْتَعْبِراً يبكي من الشوق والهوى   أمَ آخَرَ يبكي شَجْوَهُ ويَهيم [3] ؟

---

١ وعهد الوالدين قديم : طاعة الوالدين حق قديم لهم على أولادهم (؟) .
٢ النأي : البعد . تهلل المطر والدمع : سقط ، انهمر . الجازع : الحزين الذي لا يقوى على الصبر .
٣ المستعبر : الباكي . الشجو : الحزن . يهيم : يسير على غير هدى .

تَهَيَّضني من حبّ لبنى عَلائـقٌ وأصناف حبّ هَوْلُهن عظيم [1] .
ومَنْ يتعلّقْ حبَّ لُبْنى فؤادُهُ يَمُتْ أو يَعِشْ ما عاش وهو كَليم [2] .
فانّي ، وان أجمعتُ عنكِ تَجَلّداً، على العِهْد فيما بينَنا لَمُقيم !

– وقال بعد أن فارق لُبنى وهدده معاويةُ بَهْدرِ دمه إنْ هو تعرّض لها :

فإن يَحْجُبوها أو يَحُلْ دونَ وَصْلِها مَقالةُ واشٍ أو وعيدُ أميرِ ،
فلَنْ يمنعوا عَيْنَيَّ عن دائم البُكا ولن يُذهبوا ما قد أجَنّ ضميري .
إلى الله أشكو ما أُلاقي من الهوى ومن حُرَقٍ تَعْتادُني وزَفير [3] ،
ومِنْ حُرَقٍ للحبّ في باطن الحشى ، وليلٍ طويل الحُزن غير قصير .
سأبكي على نفسي بعينٍ غزيرةٍ بكاءَ حزين في الوَثاق أسير .
وكنّا جميعاً قبل أن يَظْهر الهوى بأنْعَمِ حالَيْ غِبْطةٍ وسرورِ .
فما بَرِحَ الواشون حتّى بَدَتْ لهم بطونُ الهوى مقلوبةً لِظُهور .
لقد كنتِ حَسْبَ النفسِ لو دام وصلُنا ؛ ولكنّما الدنيا مَتاعُ غُرور !

– ولمّا اضْطُرّ قيسُ بن ذريح إلى تطليق امرأتِه (راجع البيت الثاني) ، قال (الامالي ١ : ١٩٠) :

هَبيني امرأً – إنْ تُحْسِني فهو شاكرٌ لذاكَ ، وان لم تُحْسِني فهو صافحُ .
وان يكُ أقوامٌ أساءوا فأهْجروا ، فإنّ الذي بيني وبينَكِ صالح [4] .
ومهما يكنْ فالقلبُ ، يا لُبْنَ ، ناشرٌ عليك الهوى ؛ والجَيْبُ ماعِشْتُ ناصح [5] .
وانّكَ من لُبنى ، العشيّةَ ، رائحٌ مريضُ الذي تُطْوى عليه الجوانح [6] .

---

[1] تهيض : انكسر . تهيضني : زاد في حزني(؟). تهيض الغرام فلاناً: عاوده (المعجم الوسيط ٢ : ١٠١٤).
[2] كليم : مجروح (القلب) .
[3] اعتاده الامر : عاد اليه مرة بعد مرة . الزفير : النفس الحار الذي يصعده الانسان .
[4] في هذا البيت إشارة إلى والده الذي أجبره على طلاق لبنى . أهجروا : حملوني على أن أهجر (لبنى) .
[5] الجيب : مكان العنق من الثوب . ما عشت : طول حياتي الباقية . ناصح : أمين . رجل ناصح الجيب : لا غش فيه (القاموس ١ : ٢٥٢) . – لن أتزوج غيرك ما حييت ولن أحب امرأة أخرى.
[6] الذي تطوى عليه الجوانح (جمع جانحة : الضلع) : القلب (لعل « مريض » بفتح الضاد) .

٤ – قيس ولبنى : شعر ودراسة (جمع وتحقيق حسين نصار) ، مصر (مكتبة مصر) ، الطبعة الثانية ١٩٦٣ م .

•• قيس ولبنى ، تأليف عبد المجيد الدسوقي ، بيروت ١٩٤٨ م .

الاغاني ٩ : ١٨٠ – ٢٢٦ ؛ بروكلمان ١ : ٤٣ ، الملحق ١ : ٨١ ؛ زيدان ١ : ٣٣٦ – ٣٣٨ .

يزيد بن مفرّغ الحميري

١ – يزيد بن مُفَرِّغ [١] الحِمْيَري ، وَاسْمُهُ في النسب يزيد بن ربيعة ، كان رجلاً من بني يَحْصُبَ من اليمن (عرب الجَنوب) ؛ ويبدو أنه كان عبداً للضحّاك بن عبد الأعلى الهِلالي فأنْعَم عليه [٢] بالعِتق .

كان ابن مفرّغ في أول أمره منقطعاً إلى آل زِياد بن أبيه يمدحهم ثم انقلب عليهم وأخذ يهجوهم . وسبب ذلك ، فيما يبدو ، أن ابن مفرّغ لم يكن خالص الودّ لهم فكان يهجوهم سراً ، فعلموا ذلك منه فحقدوا عليه فانقلب هو عليهم وأخذ يهجوهم علَناً .

لمّا وَلِيَ سعيد بن عثمان بن عفّان خراسان (سنة ٥٦ هـ) اصطحب يزيد ابن مفرّغ ، ولكنّ يزيدَ آثرَ عبّاد بن زياد بن أبيه ، وكان على سِجستان ، ثم انه لم يَحْمَدْهُ أيضاً فهجاه وعاد إلى البصرة . وكان عُبيد الله بن زياد أخو عبّاد بن زياد والياً على البصرة من قِبَلِ مُعاوية بن أبي سفيان ، منذ سنة ٤٥هـ (٦٦٥ م) فأخذه وحبسه ثم استأذن معاوية في قتله ، فلم يأذن معاوية [٣] لعبيد الله بالقتل وأذن له بالتعذيب ، فعذّبه ثم سقاه التُرْبُذ [٤] في النبيذ حتى مَشَتْ بطنُه وهو محمول على بعير يُطاف به في أسواق البصرة . فكان الناس يَتْبعونه صائحين بهِ : « إينْ جِيسْتْ ؟ » فيردّ عليهم :

---

١ سمي والد يزيد « مفرغاً لأنه شرب سقاءين ففرغهما » (الكامل ٢١١) ، وقيل بل « لإنه خاطر على شرب سقاء لبن فشربه حتى أتى عليه » (الشعر والشعراء ٢٠٩) .

٢ الشعر والشعراء ٢٠٩ .

٣ في ابن خلكان أن هذه الحادثة كانت في أيام يزيد (٣ : ٣١٣) .

٤ التربذ (بضم فسكون فضم) ؟

آبست نبيذ ست ، عصارات زبيبست ، سميّة روسفيذست[1] .

ولمّا فرغ عبيد الله بن زياد من تعذيب يزيد بن مفرّغ على هذا الوجه دس اليه الغُرماءَ يقتضونه ديونَهم عنده . وعَجَزَ ابن مفرّغ عن وفاء ديونه فأمر عبيدُ الله ببيع جميع ما عند ابن مفرّغ لوفاء تلك الديون ، فباع عليه كل ما يَمْلِكُ حتّى غُلاماً له اسمه بُرْدٌ كان قد ربّاه وصار عنده بمنزلة وَلَدِه ، كما باع عليه في وفاء تلك الديون جارية اسمها الأراكة . بعدئذ ردّ عبيدُ الله ابنَ مفرّغ إلى عَبّاد في سجستان فحبسه عَبّاد .

وتوفّي يزيد بن مفرّغ الحميري سنة ٦٩ هـ (٦٨٨ م) .

٢ — كان يزيد بن مفرّغ الحميري شاعراً محسناً فصيح الألفاظ سهل التّراكيب بجيد القول في الغزل والحماسة ؛ ولكنّ الهجاء غلب عليه ، وقد كان هجّاء خبيثاً شريراً قال معظم هجائه في آل زياد بن أبيه .

٣ — المختار من شعره :

— لمّا باع عبيد الله بن زياد كلّ ما يملك يزيد بن مفرّغ حتّى غلامه بُرْداً وجاريته الأراكة — وقيل : بل الذي فعل ذلك عَبّاد بن زياد أخو عبيد الله (طبقات الشعراء للجمحي ١٤٣) — قال ابن مفرّغ قصيدة مطلعها :

أصَرَمْتَ حبلَكَ من أُمامَـهْ من بَعْدِ أيامٍ بِرامَهْ ؟

وقد جاء في هذه القصيدة :

لَهْفي على الأمرِ الـذي كانت عواقبـه نَدامهْ :
تَرْكي سعيداً ذا النّدى ؛ والبيتُ ترفعـه الدعامه[2] ،

---

[1] البيان والتبيين ١ : ١٤٣ ؛ الشعر والشعراء ٢١٠ . — « اين جيست (بكسر الهمزة والجيم وسكون السين والتاء) » (فارسي) : هذا ما هو ؟ ومعنى القول : آبست ..... : الماء الذي أسقاه (بضم الهمزة) نبيذ من عصارة الزبيب (كما أن) سمية (والدة زياد بن أبيه) بيضاء الوجه (مشهورة ....) . كان نفر من الشعراء في العصر العباسي يتملحون بادخال الكلمات الأعجمية في أشعارهم(راجع البيان والتبيين ١ : ١٤١ ، ١٤٣) .

[2] سعيد : سعيد بن عثمان بن عفان . والبيت ترفعـه الدعـامة (كناية عن سعيد أنه عظيم القدر والقيمة في العرب كالدعامة في الخيمة ، والدعامة هي العمود الذي تنصب عليه الخيمة) .

وتَبِعْتُ عبد بني عِلا ج ، تلك أشراط القيامه [1] !
جاءت به حبشيّةٌ شكّاء تَحْسَبُها نَعامه [2] ،
من نِسْوةٍ سُود الوجو ه ترى عليهنّ الدّمامه .
وشَرَيْتُ بُرْداً ؛ ليتني من بعد بردٍ كنت هامه [3] ،
أو بومةٌ تدعو الصدى بين المُشَقّر واليمامه [4] .
العبدُ يُقْرعُ بالعصا ، والحُرّ تكفيه الملامه !

— وليزيد بن مفرّغ أبيات وجدانية في بيع برد والأراكة :

يا بُردُ ، ما مَسّنا دهرٌ أضرّ بنا من قبلِ هذا ولا بِعْنا له وَلَدا .
أمّا الأراكُ فكانت من مَحارِمِنا عَيْشاً لذيذاً وكانت جَنّةً رَغَدا .
لولا الدّعِيّ[5] ، ولولا ما تَعرّضَ لي من الحوادث ، ما فارقتُها أبدا .

— ولابن مفرّغ بيت مشهور في عبّاد بن زياد ، وكان لعبّاد لحية كبيرة :

ألا ليتَ اللِحى كانت حشيشاً فنَعْلِفَها خيولَ المسلمينا !

— وقد تعرّض ابن مفرّغ أيضاً بالهجاء لمعاوية بن أبي سفيان في شأن استلحاق زياد بنسبه [6] :

ألا أبْلِغْ معاويةَ بن حرب مُغَلْغَلَةً من الرجل اليماني [7] :
أتَغْضَبُ أن يُقال : أبوك عَفّ ، وترضى أن يُقال : أبوك زان ؟

---

١ عبد بني علاج (إشارة إلى عبيد الله بن زياد أو إلى أخيه عباد) . بنو علاج بطن من العرب (والاشارة غير واضحة عندي) . أشراط القيامة : شروطها وعلاماتها (كناية عن قرب القيامة وانتهاء العالم ، لأن الادعياء اصبحوا ولاة) .
٢ شكاء (كذا في الأصل) ولعلها سكاء : أذنها صغيرة لاصقة بخدها .
٣ شرى : باع . ليتني .... كنت هامة : يا ليتني مت .
٤ — أو بومة تنوح على ميت في صحراء واسعة . المشقر حصن في اليمامة . واليمامة مقاطعة في شرقي شبه جزيرة العرب .
٥ الدعي : ابن الدعي — ان زياد بن أبيه (والد عبيد الله) كان مجهول النسب فألحقه معاوية بنسبه . (راجع فوق ، ص ٣٨٧) ، فزياد اذن دعي في آل أبي سفيان وليس منهم على الحقيقة .
٦ راجع فوق ، ص ٤١٥
٧ مغلغلة : رسالة . من الرجل اليماني : من يزيد بن مفرغ لأن نسبه كان إلى اليمن .

وأشْهَدَ أن إلّكَ مـن زِيـادٍ كإلّ الفيل من وَلَدِ الأتان[1] .
وأشهد أنهـا حملت زيـاداً وصخر من سُمَيّة غيرُ دان[2] .

٤ — ** الاغاني ١٧ : ٥١—٧٣ ؛ بروكلمان ١ : ٥٧ ، الملحق ١ : ٩٢ ؛ زيدان ١ : ٢٧٩ — ٢٨٠ .

الاقيشر الاسديّ

١ — هو أبو مُعْرِضٍ المُغيرةُ بن عبدِ الله بن مُعْرِضِ بن عمرِو بن أسد ابن خُزيمة بن مُدْرِكَةَ ، لقّب بالاقيشر لأنه كان أحمر الوجه شديد الحمرة ؛ إلا أنه كان يكره هذا اللقب[3] . وكان الاقيشر خليعاً ماجناً من أهل الكوفة ، مُدمِناً لشرب الخمر ، فاسد الخُلُق والدين ؛ إلا أنه كان قَنوعاً في التكسب بشعره .

وعُمّرَ الاقيشر دهراً طويلاً : وُلِدَ في الجاهلية ، كما يروى الاصفهاني (غ ١١ : ٢٥١) ثم أدرك عبد الملك ووفَدَ عليه[4] .

٢ — الأقَيْشِرُ الأسديّ شاعر وُجْدانيّ تَقْرُبُ خصائصُه من الخصائص المُحْدَثة العبّاسية ، وخصوصاً في الخمر . وشعر الاقيشر فصيح سَهْلٌ عَذْب ، ولكنّ فيه ألفاظاً مولّدةً ولحناً أحياناً . وللأقيشر مديح وهجاء فاحش ومُجون. غيرَ أنّ معظم شعره في الخمر .

٣ — المختار من شعره :

— للاقيشر خمرية عليها نفس محدث (غ ١١ : ٢٦٠) :

ومُقْعَدِ قومٍ قد مشى من شَرابنا ، وأعمَى سَقَيناه ثلاثاً فأبصرا[5] :

---

١ الال : القرابة . الاتان : الحمارة — يقول : الصلة في النسب بينك وبين زياد كالصلة بين الفيل والحمار .

٢ صخر : إشارة إلى أبي سفيان بن حرب بن صخر .

٣ الشعر والشعراء ٣٥٢ .

٤ مثله ٢٤٣ — ٢٤٤ .

٥ المقعد : العاجز عن السير على قدميه . قد مشى من شرابنا : لما شرب من شرابنا (خمراً) . ثلاثاً : ثلاث كؤوس .

شَراباً كريح العَنْبرِ الوَرْدِ ريحُه ... ومسحوقِ هنديٍّ من المِسك أذفرا [1] ،
من الفتَيات الغُرّ من أرض بابلٍ ... إذا شَفّها الحاني من الدّن كبّرا [2] ،
لها من زُجاجِ الشام عُنْقٌ غريبةٌ ... تأنّق فيها صانع وتخيّرا .
ذخائر فرعونَ التي جُبِيَتْ له ، ... وكلّ يُسمّى بالعتيق مُشَهّرا [3] .
إذا ما رآها - بعدَ إنقاء غَسْلها - ... تدور علينا ، صائم القوم أفطرا [4] !

- وله أيضاً في وصف الخمر :

تُريك القَذى من دونها وَهْي دونَه ، ... لوجهِ أخيها في الإناء قُطوبُ
كُميت إذا فُضّت ، وفي الكأس وَردةٌ ، ... لها في عِظام الشاربين دَبيبُ

- وله في الخمر أيضاً :

أفنى تِلادي وما جَمّعْتُ من نَشَبٍ ... قرعُ القواقيزِ أفواهَ الأباريقِ [5]

---

1 العنبر : طيب يكون أنواعاً متعددة (نباتية وحيوانية) . العنبر الورد : العنبر النباتي الذي هو الزعفران (بفتح الزاي) والورس (بفتح الواو) : وهما نبتان يميل زهرهما إلى الحمرة . اذفر : شديد الرائحة . - ريح (رائحة) هذه الخمر كرائحة العنبر الورد أو كرائحة المسك الهندي الشديد الرائحة إذا كان مسحوقاً (إذا كان المسك مسحوقاً فان جميع دقائقه تفلت الزيت الطيار الذي يحمل الرائحة مرة واحدة) .

2 من الفتيات الغر (؟) ... بابل : جنوب العراق (لعل المقصود : نتناول كؤوسها من أيدي الفتيات (الشابات) الغر (البيض ، الجميلات) . شفها : (شمها ، وجد ريحها) . الحاني (بتشديد الياء) : صاحب الحانوت (دكان الخمر) .

3 ذخائر جمع ذخيرة : ما ادخره الانسان (خبأه لنفسه) . فرعون : لقب ملك مصر (كناية عن أن هذه الخمر قديمة جداً ، من عهد فرعون) . جبيت له : أخذت باسمه في الجباية من كل مكان (اختيرت له من أحسن بقاع الأرض) . العتيق : اسم من أسماء الخمر (القاموس ٣ : ٢٦١ ، السطر ٩) .

4 انقاء : اختيار ، تخير . غسلها (بكسر الغين) : الطيب . (لعل غسلها هنا : مزجها بالماء . وإنقاء غسلها : (؟) .

5 التلاد : المال القديم الموروث (والمنقول كالدراهم والغنم الخ) . النشب : ما يملكه الانسان من الأموال غير المنقولة (كالبيوت والبساتين الخ) . القوافيز جمع قافوزة : اناء لشرب الخمر . - أنفقت جميع أموالي المنقولة وغير المنقولة في قرع القوافيز أفواه الاباريق : في شرب الخمر (والصورة البلاغية : حينما يرفع الساقي أو شارب الخمر الكأس ثم يدنيها من فم الابريق ليملأها قد يتفق أن يقرع - أن يصدم - أحدهما الآخر ، إما اتفاقاً من العجلة وقلة الانتباه ، أو عجزاً واضطراباً من ارتجاف يد الشارب السكران وهو يملأ الكأس من الابريق نفسه) .

كأنّهنّ ، وأيْدي القوم ِ مُعْمَلَــة ، إذا تَلألأنَ في أيدي الغَرانيق [1] ،

بَناتُ ماءٍ معاً بيضٌ جَناجِنُها حُمْرٌ مَناقِرُها صُفْرُ الحَماليق [2] .

هِيَ اللّذاذةُ ما لم تأتِ مَنْقَصَةَ أو تَرْم ِ فيها بسهم ٍ ساقطِ الفُوق [3] .

– وكذلك له في الخمر :

وصهباءَ جُرجانيّة ٍ لم يَطُفْ بهــا حَنيفٌ ، ولم تَنْغَرْ بها ساعةً قِدْرُ [4] ،

أتاني بها يحيى وقد نِمْتُ نَوْمَةً ، وقد غارتِ الشِعْرى وقدخَفَقَ النّسرُ [5] .

---

١ معملة : تعمل باستمرار (يتناول الشاربون الكؤوس من الساقي الذي يملأ الكؤوس لهم ، أو يملأون الكؤوس لأنفسهم) . إذا تلألأ : إذا انعكس النور عن تلك الكؤوس الزجاجية (وخصوصاً إذا كانت مملوءة بالخمر) . الغرانيق جمع غرنوق (بضم الغين) : الشاب الأبيض الجميل . (حينما يرفع الشاربون الكؤوس من الأرض إلى أفواههم ثم يضعونها يختلف وقوع النور عليها في أثناء حركاتها الصاعدة والهابطة فتنعكس عنها الانوار في اتجاهات مختلفة) .

٢ .... كأن تلك الاباريق بنات مـاء (طيور مائية طويلة المناقير) بيض جناجنها (جمع جنجن بكسر الجيمين أو فتحهما : أعلى الصدر) حمر مناقيرهـا صفر الحماليق (جمع حملاق بضم الحاء وكسرهـا أو جمع حملوق بضم الحاء وكسرها أيضاً : بياض العين) . – يشبه الشاعر أباريق الخمر الكثيرة المجموعة على الأرض كالطيور المعروفة باسم بنات الماء صدورها بيض (كبياض كـأس الخمر في الجانب الفارغ منه) حمر مناقيرها (كحمرة الخمر في الجـانب الأسفل من الكأس) صفر العيون (كلون الخمر في أعلى الكأس على السطح حيث تعوم الفقاقيع البيض على وجه الخمر الحمراء فتجعل اللون أصفر ، من اختلاط اللون الأحمر باللون الابيض) .

٣ – الخمر لذيذة مـا لم يسكر شاربهـا ثم يأت بأعمـال ناقصة (معيبة لا تليق) ومـا لم يرم بسهم ساقط الفوق . ساقط الفوق : السهم الافوق الذي كسر فوقه (راجع القاموس ٣ : ٢٧٨ ، السطر ١٢) – إذا سقط الريش الذي في مؤخر السهم فـان السهم حينئذ (إذا أطلق عن القوس) لا يذهب مستقيماً بل يتعرج في انطلاقه (كناية عن الخطأ في الكلام : أي أن الخمر لذيذة ما لم يعمل شاربها أعمالا ناقصة أو يتكلم كلاماً غير صائب أو كلاماً قبيحاً) .

٤ صهباء : خمر حمراء . جرجانية : من نتاج جرجان (جنوب بحر قزوين) . لم يطف بهـا (لم يتول عملا من أعمالها : لم يجمع عنبها ولا تولى عصرهـا ولا خزنها ولا اسقاءها للنـاس) حنيف (مسلم صحيح الاسلام ، لأن المسلمين لا يعرفون صناعة الخمر ولا حسن التجـارة بهـا ولا حسن اسقائها) ولم تنغر (بفتح الغين أو بكسرها) بهـا ساعة قدر : لم توضع في قدر وتطبخ بالنار ولا مدة يسيرة (الخمر التي تغلى على النار تكون شديدة يثقل منها الرأس بسرعة) .

٥ أتاني بهـا يحيى : شخص اسمه يحيى غير منسوب (لا يعرف في النـاس) . كان للاقيشر جار تقي صالح اسمه يحيى فعـاتب الاقيشر لمـا سمع هــذا البيت وقال له : يا فاسق ، ألنا جئتك بهـا ؟ فقال له الاقيشر : يرحمك الله ، مـا أكثر يحيى في النـاس (ما أكثر الناس الذين يتسمى كل واحـد منهم يحيى) (الشعر والشعراء ٣٥٤) . الشعري والنسر نجمان . غار : غاب . خفق : غاب (أيضاً) . – وقد نمت نومة (طويلة) إلى أن غابت الشعرى والنسر (فلم أشرب في تلك الليلة خمراً ، فاستغرب يحيى هــذا وجاءني بخمر وقال لي : قم واشرب !) .

فقلتُ : اغتَبِقْها، أو لِغيري فأهْدِها ، فما أنا بعدَ الشيبِ ـ ويْبَكَ ـ والخمرُ[1].

إذا المرء وَفَّى الأربعينَ ، ولم يَكُنْ له دونَ ما يأتي حياءٌ ولا سِتْرُ ،

فدعْهُ ولا تَنْفَسْ عليهِ الذي أتى ، وإن جرَّ أرْسانَ الحياةِ له الدهر[2]

٤ ــ ** الاغاني ١١ : ٢٥١ ــ ٢٧٦ ؛ زيدان ١ : ٣٤٢ .

القتّال الكلابي

١ ــ هو أبو المُسَيَّب أو أبو شُليل عُبادة أو عُبيد[3] بن مُجيب بن أبي شُليل المَضْرَحي بن عامر بن الهصّان بن كعب من بني كلاب بن عامر ؛ واسم أمّه عَمْرَة ، وقد كانت أيضاً من بني كلاب بن عامر . ولقّب أبو المسيّب بالقتّال لتمرّده على السّلطان (الدولة) ولفتكه بالناس ، فلقد كان لصّاً فاتكاً كثير الجرائم .

أحبّ القتّالُ ابْنَةَ عمٍّ له هي العالية بنت عُبيد الله ، ولكنّ أهلها زوّجوها رجلاً آخرَ ، فجعل القتّال يشبّب بها فسُجن من أجل ذلك ، كما دخل السجن مراراً وهرب منه مراراً لجرائمَ من القتل في أحاديثَ طوالٍ .

وكان القتّال الكلابي فارساً شجاعاً وبَدْوياً قُحّاً يألف القَفْر . وقد بلغ أشُدّه في أيام مُعاويةَ بن أبي سُفيان ثم عاش إلى أيام مروان بن الحَكَم وأدرك جَريراً والفَرَزْدَقَ ؛ ولعلّه توفّي سنة ٧٠ هـ (٦٩٠ م) .

٢ ــ كان للقتّال ديوان شعر فيه قصائدُ طوالٌ ومقطّعات ، ولكن الذي وصل الينا من شعرِه قليلٌ . وشعره بَدْوي نقيّ الالفاظ متين التّراكيب واضح

---

٢ ــ فقلت له : اغتبقها (احتفظ بها إلى الليلة القادمة ثم اشربها أنت) . الغبوق : شرب الخمر في المساء . ويبك : ويل لك ، ويحك (كلمة تقال في التقريع لمن يسيء القول أو الفعل) .

٣ دعه (اتركه وشأنه بعد أن ترك شرب الخمر) ولا تنفس عليه (لا تحسده على عمله الحميد في تروك شرب الخمر أو لا تظن أنه عجز عن شربها وأصبح غير أهل لأن يشربها) . وان جر أرسان الحياة له الدهر : وان طالت حياته بعد ذلك . ــ إذا رأيت أحداً ترك عادة سيئة (شرب الخمر مثلا) فلا تحسده على هذا العمل الحميد ثم تحاول أن ترده اليه .

٣ الكامل ٣؛ ٤ الامالي ١ : ٦ .

المعاني ، وفيه تعابير قرآنية . وهو يصوّر لنا في شعره المنازعات القَبَلِيّة وأوجه الفَتْك والثأر وحياةَ اللصوصية في الخروج على السّلطان (الدولة) . أما فنونه فوُجدانية أبرزُها الحماسة [1] والغزل ، وفي حماسته فخر بالنفس وبالقبيلة ، وفي غزله نفحةٌ هادئة أقرب إلى أن تكون عُذرية . وله أيضاً مديح قليل لا جودةَ فيه ثم قليلٌ من الحكمة وإشاراتٌ إلى الخمر وبعضُ الهجاء .

٣ – المختار من شعره :

– قال القتّال الكلابي يصوّر نفسه :

إذا همّ همّاً لم ير الليلَ غُمّةً عليه ، ولم تَصْعُبْ عليه المراكبُ [2] .

قَرى الهمَّ إذ ضاف الزّماعَ فأصبحت منازله تَعْتَسّ فيها الثعالب [3] .

جليد ، كريمٌ خيمُه ، وطِباعُه على خير ما تُبنى عليه الضرائب [4] .

إذا جاع لم يفرحْ بأكلةِ ساعةٍ ، ولم يبتئسْ من فَقْدها وهو ساغب [5] .

يرى أن بعدَ العُسْر يُسراً ، ولا يرى إذا كان يُسْرٌ أنه الدهرَ لازب [6] .

---

[1] راجع له قطعة في الحماسة والفخر (الكامل ٣٤ ؛ الامالي ٢ : ٢٢٩) :

أنا ابن أسماء أعمامي لها وأبي إذا ترامى بنو الاموان بالعار .

الاموان (بكسر الهمزة) جمع أمة (الجارية المملوكة) . راجع الكامل ٣٤ . وفي القاموس (٤ : ٣٠٠ ، السطر الأخير) ان « أموان » تكون بفتح الهمزة وكسرها وضمها .

[2] هم هماً : قصد أمراً ، أراد أن يعمل عملا . لم ير الليل غمة : لم تستول عليه حيرة ولم يمنعه من تنفيذ قصده مانع ؛ راجع معلقة طرفة : لعمرك ، ما أمري علي بغمة . المراكب : الأحوال : إذا كان السبيل إلى تحقيق غاياتي صعباً فأنا لا أبالي به بل أسير فيه إلى النهاية وأنجح .

[3] إذا ضافه الهم : إذا نزل به الهم (الحاجة إلى العمل الصعب) ضيفاً قرى (أطعم) ذلك الهم زماعاً (عزماً وجلادة في العمل) . منازله تعتس (تطوف) فيها الثعالب (كناية عن شدة عزيمته ، إذ العادة في الضيافة أن يكثر الكريم من ذبح الغنم والابل فكأن شدة عزيمته كتلك الذبائح الكثيرة تدعو برائحة دمائها الوحوش) .

[4] الجليد : الصبور الذي لا يظهر عليه الجزع إذا نزلت به مصيبة . الخيم : الطبيعة . الضريبة : الطبيعة التي بنى عليها الانسان في الاصل .

[5] ساغب : جائع .

[6] لازب : ملازم ، دائم . الدهر : طول الدهر ، أي دائماً .

— وقال يتغزّل :

إذا هبّتِ الارواحُ كان أحبَّها إليّ التي من نحو نجد هبوبُها [1] .
واني ليَدْعوني إلى طاعة الهوى كواعبُ أترابٌ مِراضٌ قلوبُها [2] .
كأنّ الشِفاهَ الحُوّ منهنّ حُمّلت ذُرى بَرَدٍ ينْهَلّ عنها غُروبها [3] .
بهنّ من الادواء ما أنا عارفٌ ، وما يَعْرِفُ الأدواءَ إلاّ طبيبها ؟
سمعت— وأصحابي بذي النخل— نازلا ، وقد يَشعَفُ النفسَ الشَعاعَ حبيبها [4] ،
دعاءً بذي البُردين من أم طارق ؛ فيا عمرُو ، هل تبدو لنا فتُجيبها [5] ؟
وما روضةٌ بالحَزن قَفْرٌ مَجودةٌ ، يمجّ الندى ريحانَها وصَبيبها [6] ،
بأطيبَ بعد النوم من أم طارق ولا طعمَ عُنقود عِقار زبيبها [7] ؟

— وله في الغزل والفخر :

لعمرُك ، إنني لأُحِبّ أرضاً بها خرقاءُ لو كانت تُزارُ .
كأنّ لِثاتِها عَلقَتْ عليها فروعُ السِدرِ ، عاطِيَةً ، نَوارُ [8] .

---

١ الأرواح : الرياح .
٢ الكاعب : الفتاة إذا برز ثدياها (في أول صباها) . الاتراب : المتقاربات في السن . مراض قلوبها : قلوبهن ضعاف تميل إلى الهوى بسهولة .
٣ الحو (جمع حواء) : سمراء اللون . حملت ذرى برد : عليها (يظهر خلفها) أسنان بيض كالبرد الذي يسقط من السحاب الداكن (إشارة إلى الشفاه السمراء) . ينهل : ينهمر (يسقط بكثرة وسرعة) . الغروب جمع غرب : نقط ماء تسقط من الدلو وهو ينقل من البئر إلى الحوض (يريد أن يقول ان ريقها جار ، لأن الفم إذا جف كانت له رائحة كريهة) .
٤ يشعف أو يشغف : يغلب ، يستولي ؛ يشعف النفس الشعاع (المتفرقة الهموم ، الضعيفة عن مقاومة الهوى) : يغشيها أو يملأها بالحب .
٥ دعاء مفعول به من الفعل « سمعت » في البيت السابق . ذو البردين : اسم مكان في نجد . أم طارق : المحبوبة . عمرو : رفيق كان معه أو تجريد من نفسه يخاطبه . هل تبدو لنا فتجيبها (!)
٦ الحزن : بلاد يربوع من بني تميم ، وهي أرض طيبة المرعى . قفر : لا يرد اليها الناس ولذلك يظل ماؤها صافياً ونباتها وافراً . مجودة : يسقط عليها المطر بكثرة .. الندى : نقاط الماء التي تتكون في الليل (اثر سقوط الحرارة) على أوراق النبات وغيرها . الصبيب : المطر المنهمر : يمج نداها وصبيبها ريحاناً (رائحة منعشة) .
٧ عقار زبيبها : إذا تقادم عنبها وجف فأصبح زبيباً يصبح مسكراً ولو لم تعصر منه خمر .
٨ اللثة : اللحم الذي تكون فيه الاسنان . — كأن على فمها شيئاً من أغصان السدر (أي أصبحت لثاتها سمراء ، وهذا من مظاهر الجمال في البادية) ، حينما كانت نوار (الظبية ، كناية عن المرأة الجميلة) تعطو (ترفع عنقها لتتناول أوراق شجر السدر لترعاها وتأكلها) .

أنا ابن المَضْرحيّ أبي شُليل ، وهل يخفى على النـاس النهار !
علينـا سِبْرُه ، ولكل فحـلٍ على أولاده منـه نِجـار [1] .

– وللقتّال الكلابي في الفخر بالنسب من أبيه وأمه وبالحسب (الفعل الكريم والخلق الحميد) [2] :

أنا ابنُ الأكرمينَ بني قُشيرٍ ، وأخوالي الكِرامُ بنو كِلابِ .
نُعرِّضُ للطِعانِ ، إذا التقَيْنا ، وُجوهاً لا تُعرَّضُ للسِباب [3] !

٤ – ديوان القتّال الكلابيّ (حقّقه وقدّم له احسان عبّاس) ، بيروت (دار الثقافة) ١٣٨١ هـ = ١٩٦١ م .

* الاغاني ٢٠ : ١٥٨ وما بعدها ؛ زيدان ١ : ٣٨٣ .

مجنون ليلى

١ – كان في العصر الأموي ، وفي الحجاز ونجد خاصةً ، عدد من الاشخاص الذين تيَمَّمَهُمُ العِشقُ واستَوْلى عليهم حبّ امرأةٍ عرَفوها من قَرابة أو جِوارٍ فخرج بهم الحب إلى الجنون . وكان من هؤلاء المجانين نفرٌ من بني عامر بن صعصعة . وأشهر هؤلاء كلهم شخص يلقبونه **مجنون ليلى** ويذكرون أنه قيس بن المُلوّح أو قيس بن مُعاذ ؛ ويقولون مرة إنه مجنون بني عامر ، ومرة انه مجنون بني جَعْدة ، وقيل بل ان الاول غير الثاني [4] . ومن الرواة من يرى أن مجنون بني عامر كان شخصاً تاريخياً موجوداً ؛ ومنهم من قال ان مجنون ليلى شخص خُرافي ، كما ذكر عُوانة بن الكلبي (توفي سنة ١٤٧ هـ = ٧٦٤ م) .

١ السبر : المظهر والهيئة . الفحل : الذكر ، الوالد . النجار الأصل الكريم .
٢ الكامل ٦٧ .
٣ – إذا وقعت حرب فاننا نقبل عليها بوجوهنا راضين ، تلك الوجوه الّتي نأبى لها أن تذم أو تلام (الحرب أهون علينا من احتمال العار) ؛ ... لا نعمل في سلوكنا أعمالا تعرضنا للمسبة .
٤ راجع البيان والتبيين ١ : ٣٨٥ ، ٣ : ٢٢٤ ، ٤ : ٢٢ . – راجع حاشيتّي عبد السلام محمد هارون (البيان والتبيين ١ : ٣٨٥ ، رقم ٢ ، ثم ٣ : ٢٢٤ ، رقم ١ ، ثم ٤ : ٢٢ ، رقم ٥).

أما **المجنون** المقصود بهذه الأسطر فقد جعلوا نسبه : قيس بن الملوح [1] بن مُزاحم من بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وقال بعض الرواة إن مجنون ليلى لم يكن مجنوناً ، ولكن كانت به لُوثَةٌ [2] ، وأنه خُولط في عقله لما اشتد هُيامه بليلى . أما ليلى هذه فهي ، فيما قيل ، ليلى بنت مَهدي بن سعد ابن مهدي من بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وتُكنى أمَّ مالكٍ . وقد كان قيس وليلى في صغرهما يرعيان الغنم لأهلهما عند جبل يقال له التَوْباد ، فنشأت بينهما ناشئة حبٍ استَحْكَمَتْ مَعَ الايام ، ولكنّ وطأتَها عليه كانت أشد .

ولمّا اشتَهَرَ حبّ قيس وليلى كَرِهَ أبو ليلى أن يزَوِّجَ ليلى لقيسٍ ، وخطبها وَرْدُ بن محمد العُقيلي فحملها أبوها على القَبول به فتزوجته كارهةً . وزال عقل قيس بعد زواج ليلى جُملةً ، ولكنه ظل يذكر ليلى في شعره وهَذَيانه ثم يحاول زيارتَها ، فيقال ان عمر بن عبد الرحمن بن عَوْف ، وكان يتولى جمع الصدقات (الزكاة) من بني كعب وقُشير وجَعْدة ، في أيام مروان بن الحكم (٦٤ — ٦٥ ﻫ) ، أهدر دمَهُ إن هو حاول الاتصال بليلى .

ويبدو أن مجنون ليلى توفّي بعد ذلك بقليل ، سنة ٧٠ ﻫ (٦٨٩ م) .

٢ — مجنون ليلى شاعر رقيق حلو الالفاظ رائق الاسلوب متأجّج العاطفة ، وقد نَحَلَهُ الرواةُ شِعراً كثيراً من جنس شعره . وقد تركت قصة مجنون ليلى أثراً عظيماً في الأدبين الفارسي والتركي .

٣ — المختار من شعره :

— في كتاب الزهرة (ص ٣٣) : وقال مجنون بني عامر :

تداويتُ من ليلى بليلى من الهـوى   كما يتَداوَى شاربُ الخمرِ بالخمرِ .

---

[1] في الكامل (ص ١٦٦) : قيس بن معاذ بن أحد بن عقيل (بضم العين) بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وهو المجنون .

[2] جاء في الكامل (ص ٨٨) : لم يكن مجنوناً ، ولكن كان به لوثة كلوثة أبي حية النمري الشاعر .

ألا زَعَمت ليلى بأنْ لا أحبُّها ، بلى ، والليالي العَشْرِ والشَفْع والوَتْر [١] :
إذا ذُكرتْ يرتاحُ قلبي لذِكْرِها كما انتَفَضَ العُصفورُ من بَلَل القَطْر !

– وفيه أيضاً (ص ٢١٣) أنه وقف عند جبل يقال له التَوْباد ثم قال :

وأجهَشْتُ للتَوْبادِ لمّا رأيتُه ، وهلّل للرحمنِ حينَ رآني ؛
وأذْريتُ دمعَ العينِ لمّا رأيته ، ونادى بأعلى صوتهِ فدَعاني .
وقلت له : أينَ الذين عَهِدتُهم حواليْك في عيش وخيرِ زمان ؟
فقال : مَضَوْا واستَوْدَعوني بلادَهم ، ومَنْ ذا الذي يبقى على الحَدَثان ؟
وانّي لأبكي اليومَ ، من حَذَري غداً فِراقَكِ والحيّانِ مُؤْتَلِفانِ ،
سِجالاً وتَهتاناً ووَبْلاً وديمة وسَحّاً وتَسْجاماً ، ويَنْهملان [٢] !

– ومما اشتهر في الرواية لمجنون ليلى * :

فيا ليلَ ، كم من حاجةٍ لي مُهِمّةٍ إذا جِئتُكم بالليل لم أدرِ ما هيا .
فما أشْرِفُ الأيفاع [٣] إلاّ صَبابةً ولا أُنْشِدُ الأشعارَ إلاّ تداويا .
وقد يجمعُ اللهُ الشَتيتينِ بعدَ ما يَظُنّانِ كُلَّ الظنِ انْ لا تَلاقيا !
لحا اللهُ أقواماً يقولون إننا وجدْنا طِوالَ الدهرِ للحب شافيا .
وماذا لهم – لا أحْسَنَ اللهُ حالَهم – من الحظِ في تَصْريم ليلى حِباليا ؟
فإن تمنعوا ليلى وتحموا بِلادَها عليَّ فلن تحموا عليَّ القوافيا [٤] ؟
أراني إذا صَلّيْتُ يممتُ نحوها بوجهي وإن كان المُصَلّى ورائيا [٥] .

---

١ الليالي العشر من رمضان ، ويكون في « إحداها ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر (راجع سورة القدر في القرآن الكريم ، رقم ٩٧) . الشفع والوتر : الخلق كلهم . الشفع : عيد الأضحى ، وركعتا الضحى (القاموس ٣ : ٤٥ – ٤٦) . الوتر ركعة بعد سنة العشاء (القاموس ٢ : ١٥٢) أو كل صلاة ركعاتها وتر غير مزدوجة .

٢ السجال والتهتان والوبل الخ : أنواع من هطول المطر . وينهملان : عيناي ينهملان (يسقط دمعهما كالمطر) .

* راجع الكامل ١٦٧ .

٣ الأيفاع : الاماكن المرتفعة . إلا صبابة : الا لما بي من الحب ، حتى أستطيع أن أراك ولو من بعيد .

٤ لن تحموا علي القوافي : لن تمنعوني من قول الشعر فيها .

٥ يمم : قصد ، توجه نحو . المصلى : مكان الصلاة .

فواللهِ ما أدري، إذا ما ذكرتُها، إثنتين صَلّيْتُ الضُحى أم ثمانيا [1] !
وما بي إشراكٌ ؛ ولكنّ حبّهـا وعِظْمَ الجوى أعيا الطبيب المداويا [2].

— وروى الجاحظ لمجنون ليلى هذا [3] :

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكّنا .

٤ — ديوان قيس بن الملوّح العامري المعروف بمجنون ليلى ، بيروت ١٨٨٢ م .
ديوان مجنون ليلى ، مصر (بولاق) ١٢٨٥ هـ .
ديوان مجنون ليلى (أبو بكر الوالبي) ، مصر (دار الطباعة العامرة) ١٢٩٤ هـ .
ديوان مجنون ليلى (أبو بكر الغزالي) مصر (بولاق) ١٢٩٤ هـ .
ديوان مجنون ليلى ، مصر (الشرقية) ١٣٠٠ و ١٣٠١ هـ .
ديوان مجنون ليلى ، مصر ١٣٠٦ هـ .
ديوان مجنون ليلى (جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج) ، القاهرة (مكتبة مصر) ١٩٥٨ ثم ١٩٦٠ م .

* قصة قيس بن الملوح العامري المعروف بمجنون ليلى ، بيروت (الادبية) ١٨٨٢ هـ .
رسالة الحب والجمال إلى شباب العصر بين قيس وليلى ، تأليف محمد صادق عنبر ، القاهرة ١٩٣٦ م .
ليلى والمجنون أو الحب الصوفي . تأليف عبد الرحمن بن أحمد الجامي ، ترجمة محمد غنيمي هلال . القاهرة (الانجلو) ١٩٥٤ م .
ليلى والمجنون في الأدب العربي والفارسي . تأليف محمد غنيمي هلال ، القاهرة . ١٩٥٤ م .
الأغاني ٢ : ١ — ٩٦ ، النصف الأول من كتاب الزهرة (نحو عشرين قطعة ، راجع الفهرست) ، بروكلمان ١ : ٤٣ — ٤٤ ، الملحق ١ : ٨١ ؛ زيدان ١ : ٣٣١ — ٣٣٢ .

---

[1] الضحى : صلاة تكون بعد ارتفاع الشمس ، وهي من السنة .
[2] الجوى : شدة الهوى والحب .
[3] البيان والتبيين ٢ : ٤١ — ٤٢ .

أبو قَطيفة

١ – هو أبو الوليد عمرو بن الوليد بن عُقْبة بن أبي مُعيطٍ من بني أمية ابن عبد شمس ؛ وأمه بنت الربيع بن ذي الخِمار من بني أسد بن خُزيمة .

يبدو أن أبا قَطيفة كان شابّاً في أيام عثمان بن عفّان (٢٣ – ٣٥ هـ) ، وبلغ أشُدَّه حينما كان ابن الزبير خليفة قوياً في الحجاز ، في مطلع خلافة عبد الملك ابن مروان في الشام . وكان أبو قطيفة أمَوِيَّ النسب وأمويَّ الهوى أيضاً ، فنفاه ابن الزبير إلى الشام . وقد قال أبو قطيفة في منفاه شعراً كثيراً يتشوّق به إلى المدينة بَلَغَ بعضُه إلى ابن الزبير فعفا عنه ابن الزبير وسمح له بالعودة إلى المدينة، ولكنه تُوُفِّيَ فيها وَشيكاً ، قبل سنة ٧٠ هـ (٦٨٩ م) في الاغلب .

٢ – ليس أبو قطيفة شاعراً فَحْلاً ولا شاعراً مشهوراً ، ولكن لمّا استَعْرَضَ المُغَنّونَ الشِعرَ العربي في أيام هرونَ الرشيدِ طَلَباً لما يُوافق الغِناءَ منه اختاروا لأبي قطيفة ثلاثة أبيات كانت في المرتبة الأولى من حيث الموافقةُ للغناء . أما فيما عدا ذلك فشعر أبي قطيفة رقيق جليّ المعاني ، عادي في الاكثر ضَعيف أحياناً . ولأبي قطيفة فخر ومديح وهجاء ومُجون . على أن أكثر شعره ، فيما رَوى صاحب الاغاني ، كان في التشوّق إلى المدينة ، في الفترة القصيرة التي نفاه فيها عبد الله بن الزبير .

٣ – المختار من شعره :

– قال أبو قطيفة يتشوّق إلى المدينة : يذكر مساكنَ لبني أميةَ فيها ، ثم يفتخر بنفسه (وفيها غناء) :

القصرُ فالنخل فالجَمّاء بينَهما ... أشهى إلى القلب من أبواب جَيْرون [١] ،

إلى البَلاط فما حازت قَرائنه ... دورٌ نَزَحْنَ عن الفحشاء والهُون [٢] .

١ و ٢ القصر والنخل والجماء (أرض لا بناء فيها) كانت لسعيد بن العاص الأموي في المدينة . جيرون : دمشق . والقرائن دور متقاربة كانت لسعيد أيضاً هنالك .

قد يَكتُمُ الناسُ أسراراً فأعلمُها ، ولا ينالون حتى الموتِ مكنوني !

– ولمّا نفى ابن الزبير أبا قطيفة عن المدينة قال يتشوّق اليها :

ألا ليتَ شِعري ، هل تَغَيّرَ بعدَنا قُباءُ ، وهل زال العَقيق وحاضِرُه[1] ؟
وهل بَرِحَتْ بطحاءَ قبرِ مُحمدٍ أراهطُ غرٌّ من قُريشٍ تباكره ؟
لهم مُنْتَهى حُبّي وصَفْوُ مَوَدّتي ومَحْضُ الهوى منّي ،وللناس سائِرُه[2] .

٤ – ** الاغاني ١ : ٧ – ١٨ .

ابو قطيفة لشفيق جبري (مجلة الثقافة ، مصر ١٦–٥–١٩٤٤ ، ص ٢٨١) ؛ زيدان ١ : ٣٠٦ – ٣٠٧ .

عبد الله بن الزبير

١ – هو أبو خُبيب (وأبو بكر) عبد الله بن الزُبير بن العَوّام بن خُوَيْلد ابن أسد بن قُصيّ ؛ وأمّه أسماءُ بنتُ أبي بكر الصِدّيق ؛ ولقبُه العائذُ لأنه عاذ بالبيت (الكامل ٥٩٧) ، والمُحِلّ لأنه نصب الحرب في قلب مكّة واعتصم بالكَعْبة .

وُلِدَ عبد الله بن الزبير في المدينة (٢ هـ – ٦٢٣ م) ، وهو أول مَوْلود للمسلمين بعد الهِجرة . وقَدِ استُرْضِعَ في بني مُزينة (الكامل ٣٥٧) .

كان عبد الله بن الزبير رجلاً شجاعاً مقتدراً في القِتال شَهِدَ عدداً من الفتوح ، وكان في فتح إفريقيةَ كلِّه وممن وصلوا إلى تونس وحَضَروا فتح قَرْطاجة .

وكان الزبير بن العوّام (والدُ عبد الله بن الزبير) قد طَمِعَ في الخلافة . فلمّا طُعِنَ عمر بن الخطّاب وخاف أن يختلفَ المسلمون من بعده سمّى ستّة نَفَرٍ من وجهاء المدينة ليجتمعوا وينتخبوا الخليفة المُقْبِل من بَيْنهم ، وقد كان

---

١ قباء : موضع قريب من المدينة . العقيق : واد يكثر فيه السيل بعد المطر . وهنالك أعقة في أماكن مختلفة ، والمقصود هنا العقيق الذي قرب المدينة.

٢ سائره : الباقي منه .

في هؤلاء الزبيرُ بن العوّام . وانتخب رجال الشورى هؤلاء عثمانَ بن عفّان الأمويّ . على أن نفراً من هؤلاء الستّة لم يرْضَوْا بينهم وبين أنفسهم بما تمّ[1] ، من هؤلاء الزبيرُ بن العوّام . ولم يرْضَ الزبيرُ عن خلافة عثمان ثم حارب عليّاً في معركة الجمل وقُتِلَ عند منصرفه من المعركة (٣٦ هـ = ٦٥٦ م) . ولقد ورث ابنه عبد الله منه الطموحَ إلى الخلافة .

استطاع عبد الله بن الزبير ، بعد مقتل عليّ بن أبي طالب (٤٠ هـ) ، أن يجمع حوله الناقمين على بني أمية وأن يَبْسُطَ نفوذَه على الحِجاز والعِراق ومِصْرَ واليمن وخُراسان والسند . ولم يستطع مُعاويةُ بن أبي سفيان أن يتفرّغ لحرب عبد الله بن الزبير (لأن معاوية كان مشغولاً بتوطيد الملك في البيت الأموي) ، ولا استطاع يزيد بن معاوية أن يتغلّب عليه .

وكان المنازعون لعبد الملك كثاراً : نازعه المُختارُ بن أبي عُبيد الثّقفي (في العراق) مُطالباً بالخلافة لمحمد بن الحَنَفِيّةِ (ابن علي بن أبي طالب من زوجته خَوْلَةَ الحنفية) ، ونازعه الخوارج ، ونازعه الأمويّون .

ولمّا جاء عبد الملك بن مروان إلى الخلافة تفرّغ لعبد الله بن الزبير ثم تغلّب عليه ، على ما سنرى في ترجمة الحجّاج بن يوسف . وبعد مقتل عبد الله بن الزبير (٧٣ هـ = ٦٩٢ م) استَتَبّ الأمرُ لعبد الملك في جميع بلاد الخلافة الاسلامية .

٢ — عبد الله بن الزبير من الذين كانوا يُحْسِنون الكلامَ في التحديث أكثر مما كانوا يحسنونه في الخَطابة ، ومع ذلك فانّه لم يكنْ يَقِلّ في المقدرة على الخطابة عن معاويةَ بن أبي سفيان وابنه يزيدَ وعن نفرٍ آخر من بني أميّة المعروفين بالخطابة . وقد رُويت له أقوالٌ كثيرة من الخطب والأحاديث المُوجَزة تَكْثُرُ فيها الكلماتُ الغريبة ويرد فيها شيءٌ من الإقذاع أحياناً ، فأفقدَها ذلك شيئاً من الطّلاوة . وكان له شيء من الشعر (العمدة ١ : ٢٤ — ٢٥) .

٣ — المختار من خطبه :

— اجتمع في مجلس مُعاوية بن أبي سفيان نَفَرٌ من وجوه الصَّحابة فيهم

---

١ راجع : العرب والاسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط ، للمؤلف ، بيروت ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م ، ص ٧٢ — ٧٣ .

الحُسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير ، فجرى من معاويةَ ما أسخط عبدَ الله ابن الزبير فنهض عبدُ الله بن الزبير يُفاخرُ معاويةَ ، قال يخاطب الناس :

أسألكم بالله : أتعلمون أن أبي حَواريّ[1] رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم وأن أباه أبو سفيان حاربَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم ؟ وأن أمّي أسماءُ بنتُ أبي بكر الصدّيق ، وأمّه هندٌ آكلةُ الاكباد[2] ؟ وجدّي الصدّيق وجده المَشْدوخ[3] ببدرٍ ورأسُ الكفر ؟ وعمتي خَديجةُ ذات الخَطَر والحسب ، وعمّته أمّ جميلٍ حمّالةُ الحَطَب[4] ؟ وجدّتي صَفيّةُ وجدّته حَمامة[5] ؟ وزَوْج عمتي خيرُ وَلَدِ آدمِ محمّدٌ صلى الله عليه وسلّم ، وزوج عمّته شرّ ولد آدم أبو لهب « سيَصْلى ناراً ذاتَ لَهَبٍ »[6] ؟ وخالتي عائشةُ أمّالمؤمنين، وخالته أشقى الأَشْقَيَيْنَ[7] ؟ وأنا عبد الله وهو مُعاويَةُ[8] ؟

— لمّا شدّدَ الحجّاجُ بن يوسف الحِصارَ على ابن الزبير في مكّة عزم ابن الزبير على أن يَلْتقي جيش بني أميّة في هَجْمة واحدة ، فقام في أصحابه خطيباً وقال :

أيّها الناسُ : ان الموتَ قد تَغَشّاكم سحابُه ، وأحْدَقَ بكم رَبابه ، واجتمع بعد تَفرّق[9] ، وارْجَحَنّ بعد تَمَشّق ، ورَجَسَ نحوكم رَعْدُه ، وهو مُفْرِغٌ عليكم وَدْقَه[10] ، وقائدٌ اليكم البلايا تَتْبَعها المنايا ، فاجْعَلوا

---

١ الحواري : الناصر ، أو هو ناصر الأنبياء خاصة .

٢ هند أم معاوية . لما انهزم المسلمون في معركة أحد (٣ هـ = ٦٢٥ م) وقتل حمزة بن عبد المطلب (عم الرسول) جاءت هند فشقت صدر حمزة وأخذت قطعة من كبده ولاكتها (مضغتها) انتقاماً لوالدها عتبة بن ربيعة (وكان علي بن أبي طالب قد قتله في معركة بدر) .

٣ المشدوخ : المفجوج ، المقتول ، المكسور (هو عتبة بن ربيعة ؛ انظر الحاشية السابقة) .

٤ خديجة بنت خويلد زوج محمد رسول الله . الخطر : القيمة ، القدرة . الحسب : العمل الحميد . أم جميل بنت حرب كانت تؤذي الرسول : تضع الشوك في طريقة والاقذار على باب بيته ...

٥ صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام وعمة رسول الله . حمامة : ...

٦ أبو لهب : كنية عبد العزى بن عبد المطلب (عم الرسول) كان كافراً به وكان يعذبه . وقد كان جميلا وغنياً ، وقد نزلت فيه وفي امرأته سورة (رقم ١١١ في المصحف : تبت يدا أبي لهب الخ ...) .

٧ عائشة بنت أبي بكر زوج رسول الله . أشقى الاشقين : ....

٨ المعاوية : الكلبة تعوي فتجتمع الكلاب عليها .

٩ تغشاكم : أظلكم . ربابه : سحابه ، احدق : أحاط .

١٠ ارجحن : اهتز وتمايل لثقله . تمشق : تمزق . والمشق : قلة الحلب (اللبن في الضرع) — ان هذا —

السيوفَ لها غَرضاً ، واستعينوا عليها بالصبر .

– عن الطبريّ : لمّا كان يومُ الثلاثاء ، صبيحةَ سَبْعَ عَشْرَةَ من جُمادى الأولى سنة ٧٣ هـ ، وقد أخذَ الحجّاج على ابن الزبير بالابواب ، صلّى ابن الزبير بأصحابه صلاة الفَجْرِ ثم قام فحَمِدَ اللهَ وأثنى عليه ثم قال :

..... أما بعد ، يا آلَ الزبير : لا يَرُعْكُمْ وَقْعُ السيوف ، فانّي لم أحضُر مَوْطناً قطّ إلاّ ارْتُشِثْتُ فيه من القتل ، وما أجدُ من دواء جراحها أشدّ مما أجد من ألَمِ وَقْعها . صونوا سيوفَكم كما تصونون وجوهَكم . لا أعْلمُ امْرأً كَسَرَ سَيْفه واسْتَبْقى نفسَه [١] ، فان الرجلَ إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزَلُ . غُضّوا أبصارَكم عن البارقةِ ، ولْيَشْغَلْ كلّ منكم قِرنه [٢] . ولا يُلْهِيَنّكُمُ السؤالُ عنّي ولا تقولُنّ : أينَ عبدُ الله بن الزبير ؟ ألا من كان سائلاً عنّي فانّي في الرّعيل الاول [٣] :

أبى لابْنِ سَلْمى أنه غيرُ خالدٍ مُلاقي المَنايا أيَّ صَرْفٍ تَيَمّما [٤]
فلستُ بمُبتاعِ الحياةِ بذِلّةٍ ولا مُرتقٍ من خَشيةِ الموت سُلّما [٥]

احْملوا [٦] على بَرَكات الله !

– السحاب قد ثقل بتجمع بخار الماء فيه بعد أن كان قليلا رقيقاً (كناية عن اشتداد الخطر في الحرب) . رجست السماء : رعدت رعداً شديداً . الودق : المطر . وهو مفرغ (منزل) عليكم ودقه (كناية عن قرب حدوث حرب شديدة ذات عواقب خطيرة) . غرض : هدف تطلق عليه السهام للتمرن أو للاصابة . ولعلها عرضاً (بالعين المهمله بلانقطة) ..... لها وعليها : للحرب وعلى الحرب (؟)

١ راعه : أخافه . وقع السيوف : أصابتكم بجراح من السيوف . الموطن : المشهد في الحرب . ارتث (بالبناء للمجهول) : جرح جرحاً خطيراً ينذر بالموت . – أنا لا أعلم رجلا انكسر سيفه في المعركة ثم بقي بعد المعركة حياً . البارقة : السيوف (لا تنظروا إلى حركات السيوف فيدخل على قلوبكم ضعف) . القرن (بكسر القاف) : البطل الند في الحرب (الذي يبرز لك في الحرب أو يكون قبالتك في القتال) .

٣ الرعيل : القطعة من الخيل تتقدم غيرها .

٤ ... انه سيلقى الموت في أي جهة اتجه . صرف (لعلها : صوب : اتجاه) .

٥ – لن أرضى أبقى حياً في عيش ذليل ، ولن أحاول أن أهرب من الموت .

٦ احملوا : اهجموا .

أبو صَخْرٍ الهُذَليّ

١ – هو عبد الله بن سَلْم السَهْميّ أحد بني هُذيلٍ ، كان من أنصار بني مروان .

جاء عبدُ الله بن سَلْمٍ إلى عبد الله بن الزُبير ، سنة ٦٥ ه (٦٨٤ م) ، يطلُبُ منه عَطاءه ، فردّه عبد الله بن الزبير ردّاً قبيحاً وقال له : عليك ببني أمية فخُذْ عطاءكَ منهم . فتكلّم عبد الله بن سلمٍ عند ابن الزبير بكلام فيه مدح لبني أمية وتعريض بابْنِ الزبير . فغَضِبَ ابنُ الزبيرِ وحبس عبد الله بن سلم في سجن عارمٍ . ولكنّ قوماً من بني هذيل وجماعةً من قريشٍ شَفعوا بعبد الله بن سلم إلى عبد الله بن الزبير فأطلق ابن الزبير سراحه بعد نحوِ عامٍ من حبسه :

وكان عبد الملك بن مروانَ قد جاء إلى الخلافة في ٢٧ رَمَضانَ من سَنَةِ ٦٥ ه ، فلمّا حجّ استَقْدَمَ عبدَ الله بن سلم وذكر له أنه لم ينسَ مودّته ونُصرته لبني مروان ثم أعطاه مالاً ولقّبه **أبا صخرٍ** . ولقد خَفِيَ اسْمُ عبدِ الله ابن سلم السهمي في تاريخ الأدب وعاش بِلَقَبِهِ : **أبو صخرٍ الهذليّ** .

وانقطع أبو صخر الهذلي إلى ابي خالد عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسيد[١] يمدحه ، كما كان يمدح عبد الملك بن مروان وأخاه عبد العزيز .

٢ – أبو صخرٍ الهُذَليّ عبدُ الله بن سلمٍ شاعر اسلامي من شعراء الدولة الاموية ، كان شاعراً غزِلاً رقيقاً فصيح الألفاظ سهل التراكيب واضح المعاني يظهر على شعره أثر الاسلام والقرآن . ومع أن مُعْظَمَ شعره في الغزل والنسيب ، الاّ أنّ له مدحاً ورثاء جيداً وفخراً وهجاء ، والحكمة ظاهرة في شعره . وكان مقتدراً في الكلام المنثور أيضاً .

٣ – المختار من آثاره :

– قال أبو صخر الهذليّ في الغزل من قصيدة طويلة (الامالي ١ : ١٤٨ – ١٥٠ غ ٢١ : ٩٧ – ٩٨ ، كتاب الزهرة ٢٧٧) :

---

١ أسيد :

إذا قلتُ : هذا حينَ أسلو ، يَهيجُني نسيمُ الصبا من حيثُ يَطّلِعُ الفجرُ [1].
وانّي لَتَعْروني لذِكراكِ فتْرةٌ كَما انْتَفَضَ العُصفورُ بَلّلَهُ القَطْرُ [2].
هَجَرْتُكِ حتّى قيل : لا يَعْرِفُ الهوى ، وُزرْتُكِ حتى قيل : ليس له صبر !
صَدَقْتِ ، أنا الصبّ المُصاب الذي به تباريحُ حُبٍّ خامرَ القلبَ أو سِحْرُ [3].
أما والذي أبكى وأضحَكَ والذي أماتَ وأحيا والذي أمرُه الأمر ،
لقد تَرَكَتْني أحْسُدُ الوحشَ أن أرى أليفَيْنِ منها لا يَروعُهما النَفْرُ [4].
فيا هجرَ ليلى ، قد بلغتَ بيَ المَدى وزِدتَ على ما لم يكن بَلَغَ الهجر .
ويا حبَّها ، زِدْني جَوىً كلَّ ليلةٍ ؛ ويا سَلوةَ الأيّامِ ، مَوْعِدُكِ الحَشْرُ [5].
عجبتُ لِسَعْيِ الدهرِ بيني وبينها ، فلمّا انقضى ما بينَنا سكن الدهر [6] .
وانّي لآتيها ، وفي النفس هَجْرُها بَتاتاً لأُخرى الدهر ما وَضَح الفجر [7] ،
فما هو إلاّ أن آراها فُجاءةً فأُبْهَتُ لا عُرْفٌ لَدَيّ ولا نُكْرُ [8]
تكاد يدي تَنْدَى إذا ما لمستُها ويَنْبتُ في أطرافِها الورقُ الخُضْر !

---

١ ... — حان الوقت أن أسلو (أنسى حبها). يهيجني (يثيرني ، يجدد حبي) .... من حيث يطلع الفجر : منذ مطلع الفجر (كل يوم صباحاً) .

٢ تعروني : تصيبني . القطر : المطر (راجع ص ٤٣٨).

٣ تباريح : توهج (تجدد مع ازدياد) . خامر : داخل واختلط .

٤ النفر : التنفير ، الطرد (ألف كل واحد منهما الآخر حتى نسيا كل ما حولهما ، فإذا مر بهما أحد أو وقع بقربهما حادث فانهما لا يشعران به) .

٥ الجوى : شدة الوجد (التعلق والتأثر اللذان يثيرهما اشتياق أحد إلى آخر) . موعدك الحشر (يوم القيامة) : لا ينتهي أبداً (لا أسلو حبيبتي ولن أنسى ذكرها) .

٦ أنا أستغرب كيف أن الدهر كان يسعى بيننا دائباً حتى أحب كل واحد منا الآخر ، فلما انقضى (انصرم ، زال) ما بيننا (؟) سكن (هدأ) الدهر : كف عن السعي للجمع بيننا . — اللفظ والمعنى المللوح جميلان ، ولكن المقصود بالشطر الثاني غامض . (ألعل المقصود : ان الدهر قرب بعضنا من بعض ثم تركنا من غير أن يجمع بيننا فأدخل على نفوسنا هذا الشقاء) .

٧ وضح الفجر : طلع الفجر (كل يوم) . — كل يوم أزورها وأنا أقول في نفسي : هذه آخر مرة سأزورها فيها .

٨ فجاءة : فجأة ، بغتة ، على غير موعد أو انتظار . بهت (بالبناء للمجهول) : حار ، دهش ، بطل تفكيره وعمله . لا عرف لدي ولا نكر : لا أجزم بما أمامي (لا أدري أي أفضل : أأعرف فضل حبي لها علي أو أنكر شقائي بهذا الحب) .

— كان لأبي صخرٍ الهذلي ولد اسمه داوود لم يكن له غيره فمات فحزن عليه حزناً شديداً وقال يرثيه :

لقد هاجني طيفٌ لداوودَ بعدَما دَنَتْ — فَاسْتَقَلَّتْ — تالياتُ الكواكب[1] .

وما في ذُهول اليأسِ عن غير سَلْوةٍ رَواحٌ من السُّقم الذي هو غالبي [2] .

وعندَكَ ، لو يحيا صَداكَ فنلتقي ، شِفاءٌ لمن غادَرْت يومَ التناضب [3] .

فهل لكَ طِبٌّ نافعي من علاقةٍ تُهَيِّمُني بين الحَشاء والتّرائب [4] ؟

ولولا يَقيني انما الموتُ عزمةٌ من الله حتّى يُبْعثوا للمحاسب[5] .

لقلت له ، فيما أُلِمّ برمْسِهِ : هَلَ انْتَ غداً غادٍ معي فمصاحبي [6] ؟

سألتُ مليكي ، إذ بَلاني بفَقْدِه ، وفاةً بأيدي الروم بين المقانب [7] .

ثَنَوْني ، وقد قدّمتُ ثأري ، بطَعْنةٍ تَجيشُ بِمَوّارٍ من الموت ناعب [8] .

---

١ هاجني : أثارني ، أحزنني . الطيف : ما يراه النائم في خياله . دنت : قربت (من مغيبها) فاستقلت (ثم رحلت : غابت) تاليات الكواكب : آخر الكواكب التي تبقى في السماء في الليل (عند انتهاء الليل) .

٢ الرواح : الرجوع في المساء إلى المبيت . رواح (خلاص ، نجاة) من السقم : الضعف (من الحب) . غالبي : مستول علي ، يتملكني . — إذا كان اليأس من لقاء داوود عظيماً تاماً يحمل على الذهول (تشتت الفكر) ثم أنا لا أستطيع أن أسلو (أن أتعزى ، أنسى المصيبة) ، فلا خلاص لي من هذا الحزن الذي يسقمني ويشقيني .

٣ — لا يشفيني مما أنا به إلا أنت إذا عدت إلى الحياة والتقينا . لمن غادرت (لي) يوم التناضب : يوم مت أنت . نضب (بفتح النون وفتح الضاد) فلان : مات (القاموس ١ : ١٣٣) .

٤ — أعندك طب : علاج ، دواء ، وسيلة (غير أن تعود إلى الحياة) يشفي من هذه العلاقة (الحب والحزن الملازمين للقلب) التي تهيمني : تدخل علي الوسواس والجنون . بين الحشا (الامعاء) والترائب (أعلى الصدر) : في القلب .

٥ — ٦ لولا اعتقادي بأن الموت عزمة (حق ، أمر واجب ، سبيل ضروري لا بد منه) حتى يبعث الناس يوم القيامة للحساب ، لقلت ، في كل مرة أمر بقبرك : أأبعث أنا أيضاً معك ونلتقي (أي : لكنت أنكر الحشر) .

٧ مليكي : ربي . وفاة بأيدي الروم : موتاً في الجهاد في بلاد الروم . المقانب جمع مقنب (بكسر الميم وفتح النون) : مخلب الاسد ؛ وجمع مقناب ومقنب أيضاً : جماعة من الخيل .

٨ ثنوني بطعنة : طووا جسمي (قتلوني) بطعنة (من رمح) واسعة ؛ يثور منها دمي (يخرج متدفقاً) فأموت موتاً ناعباً (سريعاً) . وقد قدمت ثأري : بعد أن أكون قد ثأرت منهم (قتلت عدداً كبيراً منهم) .

وقد خِفتُ أن ألقى المنايا – وإنّني   لتابعُ من وافى حِمامَ الجوالب –[1]
ولمّا أطاعِنْ في العَدُوِّ تَنَفُّلاً   إلى الله أبغي فضلَه وأضارب [2] ....

– قال أبو صخر الهذلي يردّ على عبد الله بن الزبير (راجع مطلع الترجمة (ص ٤٤٥) :

.... إذَنْ أجدَهُمْ [3] سِباطاً أكُفُّهم ، سَمْحةً أنفسُهم ، بُذَلاءَ لأموالِهم ، وهّابين لِمُجْتَدِيهم [4] كريمةً أعراقُهم ، شريفةً أصولُهم ، زاكيةً فروعُهم ، قريباً من رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم نَسَبُهم وسَبَبُهُمْ [5] . ليسوا إذا نُسِبوا بأوْساط ولا وشائظَ ولا أتْباعٍ ، ولا هم في قريشٍ كفَقْعَةِ القاع [6] . لهم السُّؤْدَد في الجاهلية والمُلْك في الاسلام ، لا كَمَنْ لا يُعَدّ في عيرها ولا نفيرها ولا حَكَمَ آباؤه في نقيرها ولا قطميرها : ليس من أحلافِها المُطَيَّبين [5] ولا من ساداتها المُطْعِمين ، ولا من جُودائها الوهّابين ، ولا من هاشمها المُنْتَخَبين ، ولا من عبد شمسِها المُسَوَّدين . وكيف نقاتل الرؤوسَ بالاذناب ؟ وأين النَّصلُ من الجَفْن والسِنان من الزُّجّ والذُّنابى [7]

---

١ غير أنني أخاف ألا تتحقق أمنيتي هذه فأموت . – وكل انسان سيتبع بالموت من تقدمه . – ... حمام الجوالب : ....

٢ التنفل : التطوع ، التبرع بالعمل . الطعن يكون بالرمح . والضرب يكون بالسيف .

٣ «أجد» منصوب بالناصب «اذن» . أجدهم : أجد بني أمية .

٤ سبط (بفتح السين وسكون الباء ، أو بفتح السين والباء : طويل) : سخي ، كريم . المجتدى : طالب العطاء .

٥ الاعراق والأصول : الاسلاف . الفروع : الأقارب من الأخوة والأولاد . السبب : الصلة والقرابة .

٦ أوساط الناس : من هم دون الخاصة وفوق العامة . الوشائظ جمع وشيظة (بالظاء المعجمة) : الحشو ، الملحقين بالقبيلة . الفقع : الكمأة (نبات فطر يتولد في قلب الأرض في البادية ويكون عادة في الأرض المطمئنة المنخفضة) . كفقعة القاع (كناية عن الذلة والقلة) .

٧ السؤدد : المجد . النفير : القوم النافرون إلى الحرب . العير : الذين يسوقون القوافل .. لا في العير ولا في النفير : لا قيمة له (لا يصلح أن يكون محارباً ولا أن يكون تاجراً) . النقير : النقرة في رأس النواة . القمطير : غشاء رقيق ضئيل في شق نواة التمر أو هو الغشاء الذي حول تلك النواة . لم يحكم في نقيرها ولا قطميرها : لا يؤتمن رأيه وحكمه حتى في هذين الشيئين اللذين لا قيمة لهما . حلف المطيبين : حلف كان في الجاهلية اجتمع لتسوية النزاع بين عبد شمس وأخيه هاشم ابني عبد مناف . النصل : حديد السيف . الجفن : غمد السيف وقرابه . السنان : النصل ، السلاح الذي يكون في أعلى الرمح . الزج : حديدة توضع في أسفل الرمح . الذنابي : الذنب . القدامى : ريشات كبار في الجناح يطير بها الطائر . الجامع : الذي يجمع (يدخر) المال .

منَ القُدامى ؟ وكيف يُفَضّلُ الشحيحُ على الجَواد والسوقة على الملك والجائع بُخْلاً على المُنْفق فضلاً ؟

عبيد الله بن قيس الرُقَيّات

١ — هو عُبيدُ اللهِ [١] بنُ قيسِ الرُّقيّات بن شُريح من بني عامر بن لُؤيّ ابن غالبٍ ؛ وأمّه قتَيلة بنت وهب بن عبد الله من بني مَناة بن كِنانة . وقد لُقّبَ بابن قيس الرقيّات لأنه ، فيما قيل ، شبّب بثلاث نِسوةٍ اسْمُ كلّ واحدةٍ منهن رُقَيّةُ ؛ وقيل : بل كان له ثَلاثُ جَدّاتٍ تَوالَيْنَ في عَمود نسبهِ اسْمُ كلّ واحدة منهن رقيّة .

وُلِدَ عبيد الله بن قيس الرقيّات نحو سَنَةَ ١٢ هـ (٦٣٣ م) في مكّة ، وفيها نشأ . ولمّا بلغ الخامسة والعشرين من عُمُرِه ، أو نحو ذلك ، ذهب إلى الجزيرة في أعالي العراق وسكنها نحو ثلاثين سنة . ولمّا اشتدّ القتال في الجزيرة بين بكر وتغلب ارتحل عبيد الله بن قيس الرقيّات إلى فلسطين ، ثم عاد بعد مدّة إلى العراق .

وكان عبيد الله بن قيس الرقيّات من أنصار آل الزُّبير مُنْقَطِعاً اليهم ، وقد شَهِدَ معَ مُصْعَبِ بن الزّبير معركة دير الجاثليق [٢] . فلمّا قُتِلَ مُصْعَب (٧٢ هـ = ٦٩١ م) هرب عبيد الله ثم تَخَفّى في بيت امرأة تُدعى كثيرة فأكرمته . فلمّا ارتحل عن بيتها ، بعد عام أو أكثر ، لم يكن يَعْرِفُ من أمرها شيئاً غيرَ اسْمِها ، ولم تكن هي تعرف من كان ولا ما كان .

ولقد تَنَقّلَ عبيد الله بن قيس الرقيّات حيناً بين مكّة والمدينة ، ثم لَجَأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالبٍ واسْتَشْفَعَ به إلى عبد الملك بن مروان فأمّنه عبدُ الملك في حديث طويل . ويبدو أن عبيد الله بن قيس الرقيّات لم

---

١ تجعل بعض المصادر اسم ابن قيس الرقيات « عبد الله » لا « عبيد الله » (راجع عرض عبد السلام محمد هارون لهذه القضية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، ٢ : ٢٧٨ ، الحاشية ٥) .

٢ دير الجاثليق في العراق ، جرت على مقربة منه المعركة التي انتصر فيها عبد الملك بن مروان على مصعب بن الزبير ، سنة ٧٢ هـ (٦٩١) .

يَمْكُثْ طويلاً عند عبد الملك ، بل رَحَل إلى مِصْرَ ونزل عند عبد العزيز ابن مروان ، في حُلوان ، وبَقِيَ عنده إلى أن تُوُفِّيَ سنة ٧٥ ﻫ (٦٩٤ م) [١]. والذي نُلاحظه أن السنواتِ الثلاثَ الاخيرةَ من حياته كانت مزدحمةً بالحوادث وبالتنقّل في البلاد .

٢ ــ عُبيد الله بن قيس الرُّقَيّات شاعرُ قريشٍ في الاسلام غيرَ مُنازَعٍ . وقد كان أشدَّ قريش أسْرَ شِعْرٍ [٢] في الاسلام بعدَ عبدِ الله بن الزِبَعْرَى في الجاهلية . وكذلك كانت أفانينُ شعره كثيرة : له المدح البارع والهجاء الشديد والغزل الرائق . إلاّ أنه كان يُشَبِّبُ ولا يُصَرِّح . وقد كانت أكثر مدائحه وأحسنُها في مصعب بن الزبير . وكان رأيه في السياسة رأياً جَميلاً : يرى أن يتصافى العرب ويجتمعوا وألا يقاوموا قريشاً لأن بقاء العربِ ببقاء قريش . ومما كان يؤخذ على عبيد الله بن قيس الرقيّات أنه لم يكن ثقة في اللغة والنحو ، إذ كان يَلْحَنُ في شعرِه [٣] ؛ وربما جاءت قوافيه لَيِّنَةً [٤] .

٣ ــ المختار من شعره :

ــ قال عبيد الله بن قيس الرقيّات يمدح مصعب بن الزبير ويفتخر بقيس ويعرّض باليمانية وبني أمية :

حبّذا العيشُ حين قومي جميعاً لم تُفَرِّقْ أمورَها الأهواءُ ؛
قبل أن تطمع القبائلُ في مُلـ ـكِ قريشٍ وتَشْمت الاعداء .
أيّها المشتهي فَناءَ قريشٍ ، بيد الله عمرُها والفناء .
ان تودّعْ من البلاد قريشٌ لا يكنْ بعدَهم لحيّ بقاء .
إنما مصعبٌ شهاب من الله تَجلّت عن وجهه الظلماء .
مُلْكه مُلْكُ قوّةٍ ليس فيه جَبَروت ولا به كِبرياء :

---

١ في بروكلمان ، الملحق ١ : ٧٨ أن عبيد الله بن الرقيات مدح عبد العزيز بن مروان وأكد حقه في الخلافة سنة ٨٥ ﻫ (٧٠٤ م) ، وذلك وهم .

٢ متانة وشدة .

٣ راجع الموشح للمرزباني ١٨٦ ، ١٨٧ .

٤ الصناعتين ٤٥٠ ؛ الشعر والشعراء ٣٤٥ .

يتّقي اللهَ في الامور ، وقد أفـ لح من كان همَّهُ الاتّقاء [1] .

عينُ ، فابكي على قريش ؛ وهل يـرْ جِـعُ ما فات ــان بكَيْتِ ــالبكاء ؟

معْشر حتْفهم سيوف بني العـلاّ ت يَخْشَوْنَ أن يضيع اللواء [2] .

ترك الرأسَ كالثغامة منّي نَكَبَاتٌ تَسْري بها الانباء [3] .

ليس لله حُرمة مثلُ بيت نحن حُجّابه عليه الملاء [4] ؛

خَصَّه الله بالكرامة ، فالبا دونَ والعاكفون فيه سواء [5] .

حرّقته رجال لخم وعـكّ وجُذامٌ وحِمْيَر وصُداء [6] .

فبنَيْناه بعد ما حرّقوه ، فاستوى السَمْكُ واستقلّ البناء [7] .

كيف نومي على الفراش ولمّا تَشْمَلِ الشامَ غارةٌ شَعْواء [8]

تُذْهِلُ الشيخَ عن بنيه وتُبدي عن بُراها العَقيلة العـذراء [9] .

— ولعبيد الله قصيدة يمدح فيها عبد الملك بن مروان جاء فيها :

ما نَقَموا من بني أميّـةَ إلاّ أنّهم يَحْلُمون إن غَضِبوا ،

---

١ يجب مد الهاء في « همه » قبل همزة الوصل في الاتقاء : همو لتقاء .

٢ بنو العلات : الأولاد أبوهم واحد وأمهاتهم مختلفات ، ويكونون عادة أعداء ....

٣ ترك الرأس كالثغامة (نبت له زهر أبيض) : شيبتني مصائب كثر عنها الكلام .

٤ — ليس في الأرض أقدس من البيت العتيق (الكعبة) ، ونحن حجابه (حماته والولاة عليه) عليه الملأ (مكسواً بالاستار ، كناية عن احترامه وتقديسه) .

٥ البادون : المقيمون في البادية . العاكفون : المتعبدون في المسجد : في المسجد الحرام في مكة ، كناية عن أهل مكة . راجع سورة الحج : « والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد (٢٢ : ٢٥) . عن أهل مكة . راجع سورة الحج : « ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه سواء العاكف فيه والباد ؛ ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم (القرآن ٢٢ : ٢٥) إشارة إلى غزو بني أمية لمكة .

٦ حرقته (إشارة إلى احتراق الكعبة)....
لخم وعك الخ ... قبائل يمانية (إشارة إلى أن اليمانية هم أنصار بني أمية ، بينما القيسية هم أنصار آل الزبير) .

٧ السمك : السقف . استوى : قام ، ثبت .

٨ الشعواء : متفرقة (عامة . شجرة شعواء : منتشرة الأغصان) غارة شديدة .

٩ .... — تجعل العقيلة (الفتاة الكريمة) العذراء (الصغيرة السن ، المحجوبة) تظهر براها (خلاخلها) . والخلخال : حلقة تزين بها المرأة ساقها (كناية عن اشتداد المصيبة وذهول المرأة عن ستر ما يجب ستره) .

وأنتهم سادةُ الملوكِ ، فمـا تَصْلُحُ إلاّ عليهِمُ العزب .
إنّ الأغرّ الذي أبوه أبو الـ ـعاصي عليه الوَقار والحُجُبُ :
خليفـة الله فوق منـبره جفّت بذاك الاقلام والكتب [1] ،
يعتدل التـاجُ فوق مفرِقـهِ على جبين كأنه الذهب [2] !

– حجّت رُقيّةُ بنت عبد الواحد بن أبي سعدٍ العامرية ، إحدى اللواتي أحبّهن عبيدُ الله بن قيس ، فاتّفق أن كان عبيد الله قريباً منها في الطَواف ، ثم رآها تقبّل الحَجَرَ الأسودَ فقال :

حَبّ ذاك الدَّلّ والغنَـجُ والّتي في عَيْنها دعـج [3] .
والّتي إنْ حَدّثتْ كذبتْ ، والّتي في وَعْدها خلـج [4] .
وتُرى في البيت صورتُها مثلَما في البيعة السُّرُجُ [5] .
خبّـِروني : هلْ على رجلٍ عاشقٍ – من قُبْلةٍ – حرج [6] .

– وكان في شعر عبيد الله بن قيس الرقيّاتِ ملامحُ من الخصائص المُحْدَثةِ ، غير أنّ النقّادَ في العصر الأُمَويّ لم يكونوا يُحبّونها . قال عبيد الله :

إنّ الحوادثَ بالمـدينةِ قـد أوْجَعْنَني وقرَعْنَ مَرْوَتيَه [7] ،

---

[1] جف الحبر (لكثرة ما كتبت الاقلام في فضائل بني أمية) وامتلأت الكتب .
[2] لما وصل عبيد الله الى هـذا البيت ظهر الغضب على عبد الملك و قال لعبيد الله : يا ابن قيس ، تمدحني بالتاج كـأني من العجم ، وتقول في مصعب : إنمـا مصعب شهاب من الله .... (راجع فوق ، ص ٤٥٠ ؛ والاغاني ٥ : ٧٩) . ووجه العيب في مدح عبيد الله لعبد الملك هو أن الشاعر عدل في هذا المدح « عن الفضائل النفسية الـتي هي العقل و العفة و العدل و الشجاعة ومـا جانس ذلك .... إلى مـا يليق (فقط) بأوصاف الجسم من البهـاء و الزينة » (الموشح للمرزباني ٢٢١ – ٢٢٢) ، و هذا خلاف المألوف والمفضل في الشعر القديم .
[3] الدل : الإدلال ، طمع المحبوب بمحبه . الغنج : الدلال ، تمنع المحبوب وهو قرب المحب، جداً أو مزحاً. الدعج : سعة العينين .
[4] الخلج : قلة الثبات على الوعد .
[5] .... مثلما تضيء المصابيح في البيعة (بكسر الباء : الكنيسية) فيمتلىء المكان بالنور .
[6] الحرج : الذنب ، أو ما يؤاخذ عليه الانسان من الأعمال .
[7] المروة : الصخرة التي في المشقر والتي تقرع : ترجم ، ترمى بالحجارة (راجع فوق ، ص ٢٩٢) . قرعن مروتية : أصابتني مصائب كثيرة ، أضعفت جسمي .

وجَبَبْنَنِي جَبَّ السِنامِ ، ولمْ يَتْرُكْنَ رِيشاً في مَناكِبِيَهْ [1] .

– ومن شعرِه العذب في النسيب :

بَكَرَتْ عليّ عَواذلي يَلْحَيْنَنِي وألومُهُنَّهْ [2] ،
ويَقُلْنَ : « شَيْبٌ قد علا كَ ، وقد كَبِرْتَ ! » فقلتُ ! « إنّه » [3]

– وله مديح في عبد الملك محدث الخصائص إلى أبعد الحدود مما لم يكن مألوفاً قطّ قبل العصر العباسي . والابيات في العقد الفريد (٥ : ١٣٨) :

أنتَ ابنُ عائشةَ التي فَضَلَتْ أُرومَ نِسائِها [4] ،
لم تَلْتَفِتْ لِلِداتِها ومَضَتْ على غُلَوائِها [5] .
وَلَدَتْ أغَرَّ مُبارَكاً كالشمْسِ وَسْطَ سَمائِها !

٤ – ديوان عبيد الله بن قيس الرقيّات (رود كاناكس) ، فينّا ١٩٠٢ م .
ديوان عبيد الله بن قيس الرقيّات (تحرير محمد يوسف نجم) ، بيروت ١٩٥٨ م . (دار صادر ودار بيروت) ١٩٥٨ م .

** ابن قيس الرقيّات : شاعر الغزل والسياسة ، تأليف علي النجدي ، مصر ١٩٤٩ م .

غ ٥ : ٧٢–١٠٠ ؛ بروكلمان ١ : ٤٣ ، الملحق ١ : ٧٨ ؛ زيدان ١ : ٣٣٠ – ٣٣١ .

أُمَيَّةُ بنُ أبي عائذٍ الهُذَليُّ

١ – هو أمَيَّةُ بنُ أبي عائذٍ العَمْرِيّ أحدُ بني عَمْرِو بنِ الحارثِ بنِ

---

١ جببني : تقلعني ، قطعن مني . السنام : مخزن الدهن من ظهر البعير : جعلنني هزيلا نحيلا . لم يتركن ريشاً في مناكبي : جعلنني أهرم بسرعة .

٢ يلحينني : يشتمنني ، يهزأن بي .

٣ في البيت اكتفاء ، أي « ان الأمر كذلك (قد كبرت وقد شبت) ، فماذا أفعل ؟ »

٤ أروم جمع أرومة (بفتح الهمزة وضمها) : الاصل ، مجمع النسب . – هي أشرف النساء نسباً .

٥ اللدات جمع لدة : الترب (القاموس ١ : ٣٤٧) ، الذي له من العمر مثل ما لك . الغلواء : أول الشباب . – كانت معجبة بنفسها لأنها أعلى من جميع لداتها نسباً وشرفاً ، فكانت تسير مزهوة بشبابها لا تلتفت إلى أحد .

تَميمِ بنِ سعدِ بنِ هُذَيْلٍ ، من أهلِ باديةِ الحجازِ قريباً من مكّةَ .

ولا نعلَمُ من أخبارِ أميّةَ إلاّ أنه كان من مدّاحي بني أميّةَ وأنه مدَحَ عبدَ العزيز وعبدَ الملك ابنَيْ مرْوانَ : ذهبَ إلى مِصْرَ ومدحَ عبدَ العزيز ثم طالَ مُقامُه عندَه[1] ، إذ نالَ عنده حظوةً كبيرةً . ثم إنّ أميّةَ تشوّقَ إلى الباديةِ وإلى أهلهِ فأذنَ له عبدُ العزيز بالرجوعِ إلى الحجاز . ولعلّ أميّةَ مدحَ عبدَ الملك بن مروانَ بعدَ رُجوعهِ من مِصْرَ .

ولا نعرِفُ متى عاد أميةُ بن أبي عائذٍ الهُذَليّ من مصرَ ، ولا متى كانتْ وفاتُه[2] .

٢ ــ أميةُ بنُ أبي عائذ الهُذَليّ شاعرٌ متينُ السَّبْكِ بدَوِيّ النَفَسِ جاهليّ المَنْهَجِ في قولِ الشّعر . وقد كان يفتخرُ بأنه كان يُحَبّر الكلامَ (يتخيّره) ويجعَلُه (عَرَبيّاً) صَرِيحاً (خالصاً لا عُجْمَةَ فيه ، واضِحَ المعنى) . وكان يكْرَهُ الشّعراءَ المُحْدَثين الذين يُلفّقون كلاماً ليس على المِنْهاجِ القَويم أو القديم . ومما يلْفِتُ النّظرَ أنه استعمَلَ كلمةَ «مُحْدَثون» ، لمّا وصَفَ القصيدةَ التي مدح بها عبدَ العزيزِ بن مروانَ فقال عنها :

مُحَبَّرَةٌ من صَريحِ الكَلا م ، لا كما لَفّقَ المُحْدَثونا .

والابيات التي أثبتَها الأصفهانيّ لأُميّةَ بن أبي عائذٍ الهُذَليِّ تدورُ على المديح والادبِ في الدّرَجةِ الأُولى ، وفيها شيءٌ من وصفِ البادية ووصفِ الناقة .

٣ ــ المختار من شعره :

ــ لمّا وَفَدَ أميّةُ بن أبي عائذٍ الهُذَليّ على عبدِ العزيزِ بنِ مروانَ في مِصْرَ أنشدَهُ قصيدةً منها في الاغاني (٢٠ : ١١٥ ــ ١١٦) :

---

١ راجع الاغاني (طبعة الساسي) ٢٠ : ١١٦ ، السطر ٨ . وكانت ولاية عبد العزيز بن مروان على مصر من سنة ٦٥ إلى ٨٦ هـ .

٢ في الاعلام للزركلي (١ : ٣٦٢) : كانت وفاة أمية بن أبي عاذ الهذلي سنة ٧٥ هـ (٦٩٥ م) .

ألا إنَّ قَلْبي مَعَ الظاعنينا	حَزين، فمَنْ ذا يُعزّي الحزينا[1]؟
فيا لكِ مِنْ رَوْعةٍ — يومَ بانوا	بِمَنْ كُنتُ أحسَبُ ألاّ يَبينا[2].
إلى سَيّدِ الناسِ عبدِ العزيـ	ـزِ أعمَلْتُ لِلسَّيْرِ حَرْفاً أمونا[3]،
صُهابيّةً كعَلاةِ القُيُو	نِ مِنْ ضَرْبِ جَوْهرِها يُخْلصونا[4]؛
إذا أزْبَدَتْ مِن تَباري المَطِـ	ـيِّ خِلْتَ بها خَبَلاً أو جُنونا[5]:
تَؤُمّ النّواعِشَ والفَرْقَدَيْـ	ـنِ تَنْصُّ لِلْقَصْدِ منها الجَبينا[6]؛
إلى مَعْدِنِ الخَيْرِ عبدِ العزيـ	ـزِ تُبَلِّغُنا ظُلَّعاً قد حَفينا[7].
تَرَى الأُدْمَ العيسَ تحتَ المُسو	حِ يُرْعَدْنَ مِنْ عَرَقِ الأيْنِ جُونا[8].

---

١ الظاعنون جمع ظاعن : الذي ينتقل عن الحي إلى مكان آخر (المقصود : الظاعنات !) . يعزي : يسلي ، ينسي الحزين حزنه .

٢ روعة : فزعة ، خوف وحزن يستوليان على النفس . بانوا : بعدوا ، فارقوا ، سافروا . بمن كنت أحسب ألا تبينا : بالفتاة (التي أحبها) والتي كنت واثقاً بأنها لن تتركني .

٣ أعمل : أجهد ، ساق سوقاً شديداً . الحرف : الناقة الضامرة (أو المهزولة من كثر السفر) . أمون : وثيقة الخلق (بفتح الخاء) ، متينة البنيان ، شديدة الاعضاء .

٤ صهابية : لونها مائل إلى الحمرة . العلاة : السندان (الذي يطرق عليه الحداد الحديد) . القيون جمع قين : الحداد . ضرب : نوع ، جنس . جوهر الشيء : ما بنيت عليه جبلته (طبيعته المميزة له من كل ما عداه) . يخلصون : يصهرون بالنار حتى يفرقوا بين المعادن (بين الذهب والنحاس مثلا) . والمعنى : هذه الناقة حمراء اللون لها رأس كالعلاة (السندان) : كبير ، كناية عن عظم جسمها وقوتها . من ضرب جوهرها يخلصونا يفرقون بين المعدن وبين خبثه ، اي الرواسب الغريبة عنه (؟) .

٥ ازبدت : ظهر الزبد على فمها (أو على صدرها) ، كناية عن سرعتها وطول المسافة التي قطعتها . تباري : مباراة ، سباق ، منافسة . المطي جمع مطية : الحيوان الذي يستعمل للركوب (وهنا النياق) . خلت : ظننت. الخبل : فساد العقل ، الجنون .

٦ — (كأنها لسرعتها وجنونها في سيرها) تؤم : تقصد (كأنها مسافرة إلى) النواعش : بنات نعش (مجموعة الكواكب التي تدور حول القطب الشمالي) . الفرقدان : نجم القطب الشمالي (والملموح من قول الشاعر أن نجم القطب الشمالي نجم مزدوج : نجمان يريان لبعدهما نجماً واحداً) .

٧ المعدن : الاصل : المكان الذي ينبع منه الخير . تبلغنا : تصل بنا اليه النياق ظلعا (قد أصبحت تعرج — بفتح التاء والراء — من مشقة السفر : من صعوبة الطريق وطولها) قد حفينا (قد ذهب الجلد من باطن أخفافها : الجزء الذي يمس الأرض من قوائمها) .

٨ الأدم العيس : العيس (الابل البيض يخالط بياضها شقرة) ، الأدم (التي يكون البياض فيها شديد الوضوح . — راجع القاموس ٤ : ٧٣ ، الاسطر ١٥ — ١٨) . المسوح جمع مسح (بكسر الميم) : بلاس (حصير) ، ثوب أسود من جلد (تراكم الغبار الأسود على الابل البيض ، من طول الطريق وصعوبتها ، حتى أصبحت كأنها تلبس ثوباً أسود) . أرعدت (بالبناء للمجهول) الابل : أصابتها =

تَسيرُ بِمَدْحِيَ عبدَ العزيـ ـزِ رُكبانُ مكّةَ والمُنْجِدونا[1].
مُحَبَّرَةً مِنْ صَريحِ الكلا مِ ، لاكما لَفَقَ المُحْدَثونا [2] .
وكان امْرَأً سَيّداً ماجِداً يُصَفّي العَتيقَ ويَنْفي الهَجينا[3] !

— وقال أميةُ بن أبي عائذٍ في مِصْرَ يتَشَوَّقُ إلى أهلِهِ ، وكان والي مصر عبد العزيز بن مروان قد رغب اليه بالبقاء في مصر :

متى راكبٌ مِنْ أهلِ مِصْرَ — وأهلُه بمكّةَ — مِنْ مِصْرَ العَشِيّةَ راجعُ[4] !
بلى ، إنّها قد تَقْطَعُ الخَرْقَ ضُمَّرٌ — تُباري السُّرى — والمُسْعِفونَ الزَّعازعُ[5] .

— الرعدة أو الارتجاف (من البرد والمرض) . الاين : التعب . الجون : السود . — ان الابل البيض قد أصبحت من تكاثف الغبار عليها (كناية عن طول الطريق وصعوبتها) سود الألوان كأنها تلبس مسوحاً (ثياباً سوداً) .

1 ركبان مكة : المسافرون إلى مكة (المقصود : إلى تهامة ، أي الأرض المنخفضة على ساحل البحر الأحمر) . المنجدون : المسافرون إلى نجد (الهضبة المرتفعة شرق الحجاز) . — ان المسافرين إلى تهامة وإلى نجد (جميع العرب ، جميع الناس) يحملون قصائدي في مديح عبد العزيز بن مروان من مكان إلى آخر (لجودتها) .

2 محبرة : (قصائدي) محبرة : جميلة كالحبر (بكسر الحاء وفتح الباء : الثياب من الحرير) والتي فيها عناية وتأنق . صريح الكلام : الكلام العربي الخالص في عروبته الواضح في معناه . لا كما لفق المحدثون : ليست كالكلام الهجين (الممزوج بألفاظ وتعابير ليست عربية قد جمع بعضه إلى بعض على غير منهاج عربي فجاءت معانيه غامضة) . المحدثون : الجدد ، الشبان (غير البارعين في اللغة والشعر) .

3 — وعبد العزيز رجل (عارف بجيد الكلام) يصفي العتيق (يتخير الشعر الكريم الاصيل) وينفي (يرد ، يرمي ، يبعد) الهجينا (الكلام الممزوج المخلوط بكلام غير عربي صرف) . — ان عبد العزيز يفضل شعري على شعر غيري .

4 راكب من أهل مصر : زائر لمصر قد طال مكثه فيها حتى أصبح كأنه من أهلها . أهله بمكة : زوجه وأقاربه يسكنون مكة . العشية : آخر النهار (في آخر عمره : قد أصبح كبيراً جداً في السن فيريد أن يرى أهله قبل أن يموت) .

5 الخرق : الفلاة المقفرة الواسعة . الضمر جمع ضامر وضامرة : الناقة النحيلة (السريعة القادرة على قطع المسافات الطوال) . المباراة : المعارضة وسير الناس جنباً إلى جنب (بخلاف ما يفهم من كلمة المعارضة اليوم) . السرى : السفر ليلا . هذه النياق تباري السرى : تسافر ليلا ونهاراً من غير راحة (مع أن العادة أن السفر في الصحراء يكون ليلا فقط ثم ترتاح النياق في النهار) . والمسعفون (المساعدون ، المرافقون في السفر : أصدقاء المسافر ومعينوه) . الزعازع جمع زعزاعة : كتيبة كثيرة الخيل .

مَتى ما تَجزُها، يا ابْنَ مَروانَ، تَعترِفْ بلادَ سُلَيْمى، وهي خَوْصاءُ ظُلَّعُ[1].
وباتَتْ تَوَمَّ الدارَ من كل جانبٍ، لِتَخرُجَ، واستَدَّتْ عليها المَصارع[2].
فلمّا رأتْ أنْ لا خُروجَ، وإنّما لَها من هَواها ما تُجِنُّ الأضالِع[3]،
تَمطَّتْ بمَجدٍ سَبْطَرِيٍّ وطالَعتْ؛ وماذا من اللَّوحِ اليَمانِي تُطالِعُ[4]!

– وله في وصف الناقة بالسُرعة، وهي أبيات تُغَنَّى (غ ٢٠: ١١٦):

تَمُرُّ كَجَنْدَلَةِ المَنْجَنيـ ـقِ يَرْمي بها السّورُ يومَ القِتالِ[5].
فماذا تُخَطْرِفُ منْ قُلّةٍ ومن حَدَبٍ وآكامٍ تَوالِ[6]،

---

١ ابن مروان : عبد العزيز . – إذا جازت (قطعت) نياقنا الخرق (الفلاة الواسعة) . تعترف (تعرف) بلاد سليمى . خوصاء : غائرة العينين (من التعب و النحول) . ظلع جمع ظالع و ظالعة : مائلة على شق (جنب) واحد تعرج (بفتح التاء و الراء) من التعب أيضاً .
٢ المصارع جمع مصراع (بكسر الميم) : أحد قسمي الباب (السبيل ، الطريق) . – حاولت أن أخرج من مصر إلى الحجاز بكل سبيل فوجدت السبل كلها مسدودة (كان عبد العزيز بن مروان محباً للشاعر وحريصاً على أن يبقيه عنده) .
٣ – لما استحال على النوق (علي أنا) أن تغادر مصر و أيقنت أنها يجب أن تكتفي بالحب الذي تكنه في قلبها للحجاز ....
٤ تمطت : أسرعت في السير . المجد : العطاء الكثير . السبطري (في القاموس ٢ : ٤٤ ، سبطر بكسر السين وفتح الباء وسكون الطاء) : الطويل ، الممتد . طالع فلان الشيء مطالعة : اطلع عليه ، تطلع إلى وروده (وصول رسالة مثلا) واستشرفه (حاول رؤيته من بعيد) . – ... اكتفيت بأن أتمتع بالعطاء الكثير الذي يغدقه علي عبد العزيز وبالرسائل التي ترد إلي من أهلي . اللوح : كل صفيحة عريضة خشباً كانت أو عظماً إذا كتب عليها (القاموس ١ : ٢٤٧ ، السطر ٢٠) . اليماني : نسيج حرير من صنع اليمن . – وماذا تغني الرسالة (عن رؤية الاهل و الوطن) ولو كانت مكتوبة على نسيج من الحرير ؟
٥ الجندلة : (في القاموس ٣ : ٣٥٢) : الجندل : ما يقله (يستطيع حمله) الرجل من الحجارة ، حجر متوسط الحجم . المنجنيق : آلة من آلات الحرب تقذف (بالبناء للمجهول) بها الحجارة على الاعداء . يرمي بها السور : تقذف من وراء السور (وتكون أكثر سرعة لأنها تكون – مع شدة دفعها بالمنجنيق – منحدرة أو ساقطة من أعلى إلى أسفل) . – يصف ناقته بالسرعة .
٦ خطرف : أسرع في مشيته (بكسر الميم) ، جعل الخطوة الواحدة بقدر خطوتين . القلة : (بضم القاف) : الجبل أو رأس الجبل . الحدب : المرتفع من الأرض . آكام : تلال . توال : متوالية ، متتابعة . – تقفز هذه الناقة في سيرها فوق الآكام وفوق قلل الجبال لا يعوقها شيء وهي مندفعة في جريها بسرعة عظيمة .

ومن سَيْرها العَنَقِ المُسْبَطِرِّ ، والعَجْرَفيّةِ بعدَ الكَـلالِ [1] !

٤ — ** الاغاني (طبعة الساسي) ٢٠ : ١١٥ — ١١٦ ؛ زيدان ١ : ٣٠٧ .

قَطريّ بن الفُجاءة

١ — هو أبو نَعامةَ قَطَرِيّ بن الفُجاءة بن مازن بن يزيد بن زيد مَناة من بني كابية بن حُرقوص [2] .

كان قطريّ في أول أمره مُوالياً للأمويين وسار مع المُهَلّب بن أبي صُفرة إلى المشرق وشَهِدَ فتح سِجستان بقيادة عبد الرحمن بن سَمُرةَ ، سنة ٤٢ ﻫ (٦٦٢م) . ويبدو أنه بَقِيَ على ذلك زمناً طويلاً ثم خرج (ثار) في مطلع ولاية مُصْعَبِ بن الزبير على العراق (٦٦ — ٧٢ ﻫ) ، حينما كان العراق تابعاً لعبد الله ابن الزبير ، واعتنق مذهب الازارقة .

والازارقة من الخوارج أتباع نافع بن الازرق ، وكان يَرى أن مخالفيه مشركون يجب قتلُهم معَ نسائهم وأطفالهم . وانتشرت دعوة الازارقة في عُمان واليمامة ثم في الاهواز وكرمان من بلاد فارس . وقد أرسل عبد الله بن الزُبير لقتالهم جيوشاً فهزموها كلّها . ثم ان عبد الله بن الزبير كتب إلى المهلب بن أبي صُفرة [3] يأمره بحرب الازارقة . فانحدر المهلب إلى البصرة وحارب الازارقة وهزمهم في سلسلة من المعارك في الاهواز قُتل فيها نافع بن الازرق (٦٤ ﻫ = ٦٨٣ م) ، ثم قُتل في الاهواز أيضاً عبيد الله بن مأمون التميمي ثم أخوه عثمان ، فانهزم الازارقة إلى إيذَج (في الاهواز) وبايعوا قطري بن الفجاءة (٦٩ ﻫ) وسمّوْه أمير المؤمنين .

ونصب المهلب الحرب لقطري بن الفجاءة تسعَ عَشْرةَ سنة ، أربع سنوات

---

١ العنق : سير مسبطر (ممتد ، واسع ما بين الخطوات) . العجرفية : قلة مبالاة لسرعته (القاموس ٣ : ١٧٢) . الكلال : التعب . — تستمر في سيرها السريع وهي مرتاحة لا تشكو تعباً مهما طالت طريقها .

٢ راجع البيان والتبيين ٣ : ٢٦٤ والحاشية الثانية (وهي تتعلق بتخريج « كابية ») .

٣ تولى عبد الله بن خازم نيسابور (٦٤ — ٦٩ ﻫ) لعبد الله بن الزبير ؛ وكان نائبه المهلب بن أبي صفرة .

منها (٦٩ — ٧٣ ﻫ) في أيام استيلاء عبد الله بن الزبير على العراق وفارس ، وسائرها في أيام عبد الملك بن مروان وواليه على العراق الحجاج بن يوسف الثقفي ، وكان الحجاج قد أقر المهلب على حرب الخوارج .

واختلف الازارقة فسار قَطَريّ بمن بقي معه إلى طبرستان فأخذ الجِزية من أهلها ، فولّى عندئذ الحجاجُ على الريّ سُفيانَ بن الأبرد الكلبي وأمره بحرب الخوارج . وتخلى عن قَطَرِيٍّ معظم أتباعه وسقط قطري قتيلاً ، سنة ٧٨ ﻫ (٦٩٧ م) في الاغلب .

٢ — كان قطريّ بن الفُجاءة فارساً شجاعاً * مقداماً ، وكان خطيباً وشاعراً . أما شعره فكان في الحماسة والاستهانة بالموت يصدر فيه عن نفس أبية وشهامة عربية ، متين السبك شديد الأسر [1] . وأما خطبه فهي في الحث على التقوى والتزهيد في الدنيا .

٣ — المختار من شعره ونثره :

— اشتهر قطري بن الفجاءة بالمقطوعة التالية . قال يخاطب نفسه :

أقولُ لها وقد طارت شُعاعاً : من الابطال ، ويْحَكِ ، لا تُراعي [2] ،
فإنّكِ لو سألتِ بقاءَ يومٍ على الأجَلِ الذي لكِ لم تُطاعي .
فصَبْراً في مَجال الموت صبراً ، فما نَيْلُ الخلود بمُسْتَطاع !
سبيلُ الموتِ غايةُ كل حيٍّ فداعيهِ لأهلِ الارض داع [3] .

---

* في العقد الفريد (١ : ٨٣) : « ما استحيا شجاع قط أن يفر من عبد الله بن خازم وقطري بن الفجاءة».

١ لقطري بن الفجاءة شيء من الشعر يشبه الغزل في قوله (الكامل ٦١٨ ، السطران ١٣ و ١٤) :

لعمرك ، إني في الحياة لزاهد ، وفي العيش ، ما لم ألق أم حكيم ؛
من الخفرات البيض لم ير مثلها شفاء لذي بث ولا لسقيم .

الخفرات (بفتح الخاء وكسر الفاء) : اللواتي يغلب عليهن الحياء . وأم حكيم هذه هي امرأة من الخوارج قتلت في المعركة بين يدي قطري بن الفجاءة (الكامل ٢١٤) .

٢ شعاعاً : متفرقاً . طارت شعاعاً : هلعت ، خافت خوفاً شديداً . ريع ، يراع (بالبناء للمجهول) : خاف .

٣ غاية : نهاية . ... والموت يدعو جميع الناس (كل الناس يموتون) .

ومَنْ لا يَعْتَبِطْ يَسْأمْ ويَهْرَمْ وتُسْلِمْهُ المَنونُ إلى انْقِطاع [1] .
وما للمرءِ خيرٌ في حياةٍ إذا ما عُدَّ من سَقَطِ المَتاع [2] .

– كان الحجاج قد كتب إلى قطري بن الفجاءة رسالةً يقول له فيها : « أما بعدُ ، فإنَّكَ مَرَقْتَ من الدين مُروقَ السهم من الرَّمِيَّةِ .... وذاك أنك عاصٍ لله ولِوُلاةِ أمرهِ . غير أنك أعرابيٌّ جِلْفٌ أُمِيٌّ تستطعم الكِسْرة وتَخِفُّ الى التمرة .... لَحِقَ بك طَغامٌ .... يَهزُّون الرماح .... على خوف وجهد .... [3] » . فرد عليه قطري بالرسالة التالية :

من قَطَرِيِّ بن الفُجاءة إلى الحجاج بن يوسف ، **سَلامٌ على الهُداةِ من الوُلاةِ** الذين يَرْعَوْنَ حريم الله ويرهبون نِقَمَه . فالحمدُ لله على ما أظهر من دينه وأظْلَعَ به أهل السِفال [4] وهَدى به من الضُلاّل ونصر به عند استخفافك بحقّه . كتبتَ إليّ تذكر أني **أعرابيٌّ جلف أميّ** أستطعم الكِسرة وأستشفي بالتمرة . ولَعَمْري ، يا ابن أمِّ الحجّاج ، إنك لَمُتَيَّهٌ في جِبِلّتِك ، مُطْلَخِمٌ في طريقتك ، واهٍ في وثيقتك [5] ، لا تعرف الله ولا تجزع من خطيئتك . يَئِستَ واستَيْأسْتَ من ربّك ، فالشيطان قَرينُك لا تُجاذبه وِثاقَك ولا تُنازعه خِناقك [6] . فالحمدُ لله الذي لو شاء أبْرزَ لي صَفْحتَك وأوْضَحَ لي صَلْعتك ؛ فوالذي نفس قَطَرِيٍّ بيده ، لَعَرَفْتَ [7] أن مقارعةَ الأبطالِ ليس

---

١ يعتبط : يموت شاباً . وتسلمه المنون إلى انقطاع : سيموت يوماً (؟) . سيتركه الموت للأمراض .
٢ السقط : الرديء . المتاع : السلعة ، الاداة ، الشيء الذي يستخدم في وجه من وجوه الحاجة . سقط المتاع : الاشياء التي لا قيمة لها أو لا منفعة منها .
٣ مرقت ... : كفرت . الاعرابي : ساكن البادية (هنا) : كناية عن الكفر والنفاق والجهل بأمور الدين – راجع القرآن الكريم ، في سورة التوبة : الاعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله (٩ : ٩٨) . الامي : الذي لا يخط ولا يقرأ الخط . الجلف : القاسي الغليظ ، القليل اللباقة . تستطعم الكسرة : تستعطي ، تطلب كسرة من الخبز (كناية عن الحاجة والجوع) . تخف الى التمرة : تسرع اليها ، تكفيك أو تشبعك (؟) . الطغام : الجهال ، الافدام ، الاوغاد . يهزون .... : يحاربون مدفوعين من غير ارادة منهم ولا مقدرة فيهم .
٤ أعجزهم وجعل أمرهم مضطرباً .
٥ يا ابن أم الحجاج : (كناية عن انه ربيب امرأة ، ناقص التربية ؛ أو كناية عن غموض نسبه) . متيه في جبلتك : مضلل (بالبناء للمجهول) في طبيعتك (منذ خلقت) . مطلخم في طريقتك : على غير بينة من أمرك . واه في وثيقتك : ضعيف في عزيمتك .
٦ الشيطان قرينك : مقرون معك يجرك . لا تجاذبه .... : لا تحاول أن تتخلص من قبضته .
٧ يبدو أن هذه الجملة يجب أن تكون : لو قاتلتني لعرفت .

كتصديرِ المقـال . وأرجو أن يَدْحَضَ اللهُ حُجّتك ويَمْنَحني مُهْجَتَك [1] .

– خطب قطريّ بن الفجاءة ذات يوم فقال [2] :

أما بعدُ ، فإنّي أحذّرُكُمُ الدنيا فإنّها حُلْوةٌ خَضِرة حُفّت بالشّهَوات وراقت بالقليل .... غرّارةٌ ضرّارة ، خوّانة غدّارة .... لا خيرَ في شيء من زادها إلاّ التقوى . مَنْ أقلّ منها استكثَرَ مما يُؤمِنُه ، ومَنِ استكْثَرَ منها استكْثَرَ مِمّا يُوبِقه يُهلِكه ....

٤ – ** الكامل للمبرّد (ليبزغ) ٢١٤ ثم في أخبار الخوارج (ص ٦٠٢ – ٧٠٣ ، وخصوصاً ص ٦١٨ وما بعدها) ، ابن خلّكان (مطبعة الوطن) ٢ : ١٨٤– ١٨٥ ؛ بروكلمان ١ : ٥٨ .

عبد الله بن الزَّبِير الأسديّ

١ – هو عبد الله بن الزَّبِير (بفتح الزاي) بن الأَشْيَم بن الأعشى بن بَجْرة ابن قيس بن مُنْقذ بن طَريف بن عمرو بن قَعين بن الحارث بن ثَعْلبة بن دُودان بن أسد بن خُزيمة .

كان عبد الله بن الزّبير الأسدي من أهل الكوفة ، وكان في الكوفة منزلُه ومنشأه .

بدأت صِلةُ عبد الله بن الزّبير الأسدي ببني أميّةَ منذ أيام مُعاوية بن أبي سُفيان : في سنة ٥٧ هـ (٦٧٧ م) كان الوالي على الكوفة عبدُ الرحمن بن أمّ الحَكَم [3] نائباً عن عُبيد الله بن زِياد . واتّفق أن عبد الله بن الزّبير الأسدي

---

١ يدحض (يبطل ، يفند) حجتك . ويمنحني مهجتك : يمكنني من قتلك .

٢ راجع البيان والتبيين ٢ : ١٢٦ – ١٢٩ . وقد رواها نفر للامام علي (راجع البيان والتبيين ٢ : ١٢٦ ، الحاشية الثانية ؛ جمهرة خطب العرب ٢ : ٤٣٥ ، الحاشية الأولى . وراجعها أيضاً في العقد الفريد ٤ : ١٩٧– ١٩٩ ، راجع أيضاً ٣ : ١١٢) .

٣ أبو عبد الله عبد الرحمن بن أبي عقيل بن ربيعة بن الحارث الثقفي ؛ وأمه أم الحكم =

هجا عبد الرحمن هذا فهَدَمَ عبدُ الرحمن دارَه في الكوفة وحبسه مُدّة ؛ فجاء عبد الله إلى دِمَشْقَ مُتَظَلِّماً فعَوّضه مُعاويةُ من داره عِشرينَ ألفَ دِرْهمٍ[1] فيما قيل .

وبُويع يزيدُ بنُ مُعاويةَ بالخلافة (٦٠ هـ = ٦٨٠ م) فوفَدَ عليه عبد الله ابن الزّبير الأسدي فأكرمه وأعطاه كتاباً إلى والي الكوفة زِياد بن أبيه للزيادة في إكرامه . فلمّا مرّ عبد الله بن الزّبير الأسدي بقرقيسيا عَرَضَ له زُفَرُ بن الحارث الكِلابي — وكان زفر من أنصار عبد الله بن الزُبير (بضم الزاي) — فحبسه أياماً ثم أطلق سراحه[2] .

وكان عبد الله بن الزّبير الأسدي ، من أول أمره ، مُتّصِلاً بأسماءَ بن خارجة الفَزاريّ[3] يمدحُه ، وكان أسماءُ أيضاً من أنصار بني أميّةَ . من أجل ذلك وقعتِ الوَحْشَةُ بين عبد الله بن الزّبير الأسدي وبين المُخْتار بن أبي عُبيدٍ الثّقَفيِّ الذي كان يَلِي الكوفة (٦٦ — ٦٧ هـ = ٦٨٦ م) لعبد الله بن الزُّبير (الكامل ٥٩٧) بن العوّام[4] .

فلمّا قُتِلَ المُختار بن أبي عُبيد ، سنة ٦٧ هـ ، وجاء مُصْعَبُ بن الزُبير (بضم الزاي) إلى ولاية الكوفة من قِبَلِ أخيه عبد الله حَبَسَ عبدَ الله بن الزّبير

= بنت أبي سفيان (فهو ابن أخت معاوية بن أبي سفيان) . كان عبد الرحمن هذا رجلا غبياً لا همة ، فأراد خاله معاوية أن يستنهض همته فولاه الكوفة فأساء السيرة فعزله ، ثم ولاه مصر ، ثم نقله إلى الجزيرة .

١ راجع الاغاني ١٤ : ٢٢١ — ٢٢٢ .

٢ كان زفر بن الحارث الكلابي والياً على الموصل لعبد الله بن الزبير (بضم الزاي) المنافس لبني أمية في الحكم . وكانت قرقيسيا وشمالي العراق تابعين لعبد الله بن الزبير .

٣ أسماء بن خارجة بن حصن الفزاري من سادات العرب وأشراف الكوفة ، كان فارساً شجاعاً كريماً ممدحاً ، مدحه عبد الله بن الزبير الأسدي وأعشى همدان . ومات أسماء بن خارجة في أيام الحجاج فقال الحجاج فيه : « هل سمعتم بالذي عاش ما شاء ثم مات حين شاء » (البيان والتبيين ١ : ٢٦٠ ، ٢ : ٧٢) . وكان اسماء بن خارجة أديباً شاعراً رويت له أقوال حكيمة (راجع البيان والتبيين ٣ : ١٤٣ ، ١٧٦) .

٤ عبد الله بن الزبير بن العوام كان منافساً للأمويين في طلب الخلافة ، وقد كان قد بويع بالخلافة فعلا في الحجاز والعراق ومصر واليمن ثم نازع الأمويين من سنة ٦٤ إلى سنة ٧٣ هـ (٦٨٣ — ٦٩٢ م) حتى قتله الحجاج بن يوسف (راجع ترجمة الحجاج بن يوسف) .

الأسديّ مُدّةً ثم أطلقه ، فبَقِيَ ابنُ الزّبير الأسدي مَعَ مُصْعَبٍ حتى قُتِلَ مُصْعبٌ (٧٢ هـ = ٦٩١ م) . في مَطْلَع هذا الدَّوْر يجب أن يكون ابنُ الزّبير الأسديّ قد هجا أسماءَ بنَ خارجة إرضاء لِمُصْعَبٍ ، ولأن بني أميّةَ كانوا في مَطْلَع هذا الدور (منذ موت يزيدَ بنِ مُعاوية ، سَنَةَ ٦٤ هـ) ضِعافاً يتنازعون على الخِلافة ، بينما كان عبد الله بن الزّبير في ذِرْوَةِ قوّتِه في الحِجاز والعِراق ومِصْرَ وخُراسان . وبعد مقتل مُصعبٍ اتّصَلَ ابنُ الزّبير الأسديّ بعبد الملك بن مَرْوانَ (٦٥ — ٨٦ هـ) ومدحه ، كما اتّصلَ ببِشْرِ بن مروان (أخي عبد الملك ووالي الكوفة من ٧١ إلى ٧٤ هـ) . ومَعَ قِصَرِ هذا الدّورِ فان مُعْظَم قصائد ابْنِ الزّبير الأسديّ في المديح كانت في عبد الملك وأخيه بِشْرٍ ، وكان حظّ بِشْرٍ منها أكبرَ .

وعاش عبدُ الله بن الزّبير الأسديّ حتى أدرك ولاية الحجاجِ بن يوسفَ على العراق ودخولِه إلى الكوفة ، سَنَةَ ٧٦ هـ (٦٩٥ م) ، فأرسله الحجاج إلى الرّي (خُراسان) للجِهاد فتُوُفّيَ فيها قُبيل سَنَةِ ٨٠ هـ ، في الاغلب .

٢ — عبد الله بن الزّبير (بفتح الزاي) الأسديّ شاعرٌ مُكْثِرٌ مُجيدٌ له قصائد طوالٌ ومُقَطّعاتٌ ، ويَرْتَجِلُ أحياناً (الاغاني ١٣ : ٢٥٤) . وقد كان أبوه وابنه شاعرَيْنِ (الاغاني ١٤ : ٢٥٩ ، ٢٦٠) .

وفنون ابن الزّبير الاسديِّ المديحُ والرثاء والادب وبعضُ الغزل والهجاء ، وكان هَجّاءً يُخْشى شَرّه . واسلوبه متين . ومن مِيّزاته العصبيةُ الجاهليةُ والعاطفة الدينية الاسلامية . ومع أن في شِعْره شيئاً من التَهَكّم فإنّ طَلاوته قليلة .

٣ — المختار من شعره :

— لمّا عاد عبدُ الله بن الزّبير الأسديّ من الشام إلى الكوفة بكتابٍ من يزيد بنِ مُعاويةَ (ص ٤٦٢) إلى عُبيد الله بنِ زياد دخل على عُبيد الله بن زِياد وأنشده قصيدةً منها :

ألَمْ تعْلَمي ، يا لَيْلَ ، أنّي لَيِّنٌ ... هَضومُ ، وأني عَنْبَسٌ حين أغضبُ[1].

وأنّي متى أنْفِق من المال طارفاً ... فانّيَ أرجو أن يَثُوبَ المُثْوِّب[2].

أأنْ تَلِفَ المالُ التِلاد بحقّهِ ... تَشَمَّسُ لَيْلى عن كلامي وتَقْطِبُ[3] ؛

عَشيّةَ قالت ، والرِكابُ مُناخةٌ ... بأكوارِها مشدودةٌ : أين تذهب[4] ؟

أفي كل مِصْرٍ نازحٍ لَكَ حاجةٌ ... كذلك ؟ ما أمرُ الفتى المُتَشَعِّب[5] !

فواللهِ ، ما زالت تُلَبِّثُ ناقتي ... وتُقْسِمُ ، حتى كادت الشمس تَغْرُب[6].

دَعيني ، ما للموت عَنّيَ دافعٌ ، ... ولا للذي ولّى من العيش مطلب .

إليكَ ، عُبيدَ اللهِ ، تَهْوي رِكابُنا ... تَعَسَّفُ مجهولَ الفَلاةِ وتَدْأب[7] .

وقد ضَمِرَتْ حتى كأنّ عيونَها ... نِطافُ فَلاةٍ ماؤها يَتَصَبّب[8] .

فقلتُ لها : لا تشتكي الأيْنَ ، إنّه ... أمامَك قَرْمٌ من أميّةَ مُصْعَب[9].

---

١ يا ليل : يا ليل (منادى مرخم محذوف آخره) . هضوم : منفق لماله . العنبس : الاسد .

٢ المال الطارف : المال الجديد ، المكتسب « الذي حصله صاحبه » ... ثاب : رجع ، عاد . المثوب : المعطى ، الذي تصدق به أو تبرع به صاحبه (كلما أنفقت مالا رجوت أن يعوضني الله بدلا منه) .

٣ المال التلاد : القديم ، الموروث . بحقه : في وجوهه التي يجب أن ينفق فيها . تشمس (تتشمس) : تنفر مني وتعرض عني ثم تعبس في وجهي (ان كرمي يغضب امرأتي ليل) .

٤ الركاب (النياق) مناخة (باركة) مشدودة بأكوارها (على كل واحدة منها الرحل أو السرج) — معدة ومهيأة للسفر .

٥ مصر : بلد . نازح : بعيد . المتشعب : متفرق ، كثير الوجوه . شارح الاغاني (١٤ : ٢٣٥ ، الحاشية ٢) يجعل « ما » زائدة فيصبح البيت : أفي كل مصر نازح لك حاجة ؛ كذلك أمر (عادة) المتشعب . ومعنى الذي أثبته أنا : أفي كل مصر نازح لك حاجة كذلك ! (أي من السفر : أتريد أن تسافر إلى كل بلد بعيد ؟) ما أمر الفتى المتشعب ؟ : ما ذلك الأمر المتشعب الوجوه (في السفر) الذي تعوده هذا الرجل .

٦ تلبث ناقتي : تؤخرها عن السفر . وتقسم (أيماناً) .

٧ تهوي : تسرع . تعسف (تتعسف) الطريق : تسير فيها على غير هدى (تلاقي فيها صعوبة ومشاق) .

٨ ضمر : هزل ونحل (أصبح مهزولا نحيلا) . بعير نطف (بفتح النون وكسر الطاء) : قد تقرح جسمه من كثرة حك الرحل (السرج) بجسمه (لكثرة هزاله وبعد سفره) . عيونها (هنا) خيارها (أحسن إبلنا أصبحت لطول السفر ومشقة الطريق نحيلة مهزولة قد تقرح جسمها وجمل الماء، أي الصديد الخارج من القروح ، يتصبب ، أي يسيل بكثرة) .

٩ الاين : التعب . القرم : الرجل السيد العظيم . المصعب : الشديد القدير (وأصل القرم المصعب الجمل الذي يترك سارحاً لا يركب ولا يحمل شيء عليه ، بل يراد للفحولة أو للنسل ، وهذا يكون عادة قوياً جداً) .

إذا ذكروا فضلَ امْرِىءٍ كان قبلَــه ، ففضلُ عُبيدِ الله أثرى وأطيب [1] .
وإنكَ لو يُشْفَى بكَ القَرْحُ لم يَعُدْ ، وأنت على الأعداء نابٌ ومِخْلَبٌ [2] .
وأنت إلى الخيراتِ أولُ سابقٍ ، فأبْشِرْ ، فقد أدركتَ ما كنت تَطْلُبُ !

— لمّا جاء الحجّاج بن يوسف إلى الكوفة وقَتَلَ عُميرَ بنَ ضابىءٍ البُرْجُميَّ (راجع ترجمة الحجّاج ، تحت) التقى عبدُ الله بن الزَّبير الاسديّ بصديقٍ له اسمُهُ ابراهيمُ بنُ عامرٍ الاسديّ ، في سوق الكوفة ، فسأله ابراهيمُ عن الخبر ، فأنشده عبد الله :

أقولُ لإبْراهيمَ لمّـا لَقِيتُـه : أرى الأمرَ أمسى واهياً مُتَشَعِّبا [3] .
تَخَيَّرْ : فإمّا أنْ تزورَ ابنَ ضابىءٍ عُميراً ، وإمّا ان تزورَ المُهلّبا [4] !
هما خُطّتا خسفٍ نَجاؤُكَ منهمـا رُكوبُكَ حَوْلِيّاً من الثلج أشْهبا [5] ،
فأضحى ، ولو كانتْ خُراسانُ دونَـه رآها مكانَ السوق أو هي أقربا [6] .

---

1 كان قبله = كان قبل زمانه . أثرى : أكثر .

2 القرح (بفتح القاف) : أثر السلاح في البدن . القرح (بضم القاف) : الألم . لم يعد : لم يرجع (؟) — لعله يقصد : إذا شفيت أنت جرحاً لأحد لم يصب بعدها بجرح قط (إن الذي تعطيه أنت اليوم عطاء لن يفتقر بعد ذلك أبداً) . أما على الأعداء فأنت ناب (سن ومخلب ظفر ، مفرد أظفار) تتغلب على الاعداء وتصطادهم (تقهرهم) .

3 الواهي : الضعيف . المتشعب : المتفرق (ان حالنا شخصياً أصبحت صعبة : نفوذنا ضعيف والأشياء المطلوبة منا كثار .....

4 .... عليك ، يا صاحبي ، أن تختار أحد أمرين : إما أن تزور عمير بن ضابىء (اما ان تقتل كما قتل عمير بن ضابىء) وإما أن تزور المهلبا (واما أن تذهب مع المهلب بن أبي صفرة إلى قتال الخوارج ، وحينئذ يمكن أن تقتل أيضاً) .

5 الخطة : الطريقة . الخسف : الذل . نجاؤك : خلاصك . الحولي (الفرس أو الجمل الذي مر عليه حول ، أي عام كامل ، وهو يكون عندئذ قوياً جداً) . أشهب : أبيض. من الثلج أشهب : أشهب من الثلج : أشد بياضاً من الثلج . والشاعر يستعمل هنا « أشهب » (اسم تفضيل من « الشهبة » : البياض) خلافاً للقاعدة المشهورة التي لا تقر صياغة اسم التفضيل من الألوان والعيوب على وزن « أفعل » ، وان كان الكوفيون يجيزون ذلك .

6 — والذي لا يريد أن يقتل كما قتل عمير بن ضابىء ولا يريد أن يذهب إلى الغزو يهرب إلى خراسان (البعيدة) ثم يراها أقرب من الذهاب إلى السوق ، أي إلى سوق حكمة (بفتح الحاء والكاف) وهو مكان قريب من الكوفة (الهرب إلى مكان بعيد مثل هـذا أهون من الموت أو من الذهاب إلى حرب الخوارج) .

– وقال يمدح أسماءَ بنَ خارجةَ بن حِصْنٍ الفَزاريّ :

إذا مات ابْنُ خارجةَ بنِ حِصْــنٍ فلا مَطَرَتْ على الارض السماءُ ،
ولا رَجَعَ الوفودُ بغُنْمِ جيشٍ ، ولا حملت على الطُهْر النسـاء .
لَيَوْمٌ منك خيرٌ مـن أنـاسٍ كثيرٍ حولَهم نَعَمٌ وشاء [1] .
فبُورِكَ في بَنيـكَ وفي أبيهم إذا ذُكِروا ، ونحن لَكَ الفِداء !

– روى أبو تمّام في باب الرثاء من ديوان الحماسة أبياتاً هي (آل حرب : بنو أمية . هِنْد ورَمْلة ابنتا معاوية بن ابي سفيان) :

رمى الحَدَثانُ نِسوةَ آلِ حربٍ بِمقدارٍ سَمَدْنَ له سُمودا [2] ،
فرَدَّ شعورَهنّ السودَ بيضاً ، وردّ وجوهَهن البيضَ سودا .
فإنّك لو رأيتَ بُكـاءَ هِنْـدٍ ورَمْلَةَ ، إذْ تَصُكّانِ الخدودا [3] ،
سَمِعْتَ بُكاءَ باكيةٍ وبـاكٍ أبَانَ الدهرُ واحِدَها الفريدا [4] .

٤ – ٥ الاغاني ١٤ : ٢١٧ – ٢٦٢ ؛ زيدان ١ : ٣٠٥ – ٣٠٦ .

توبة بن الحُميِّر [5]

١ – هو تَوْبَةُ بنُ الحُمَيِّرِ بن حَزم بن كعب بن خَفاجة بن عمرو بن عَقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ؛ وأمّه عامرة بنت والبة بن الحارث الأسدية .

---

١ – أنت في يوم واحد من أيامك خير من جماعة كثيرين من الناس في جميع أيامهم ، ولو كان حولهم نعم (ابل) وشاء (غنم) كثيرة (يقصد : ولو كانوا أغنياء كثيراً) .

٢ الحدثان : نوائب الدهر . المقدار : القدر (الأمر المحتوم : الموت) . سمد : حزن حزناً شديداً جعله يغفل عن كل شيء وينساه .

٣ صك الخد : لطمه في المصيبة .

٤ – أبعد الدهر عنها ابنها الوحيد (أخذه الموت) .

٥ جمع أبو الفرج الاصفهاني بين ترجمته وترجمة ليلى الاخيلية (غ ١١ : ٢٠٣ – ٢٥٠) ؛ راجع أيضاً الامالي ١ : ٨٦ – ٩٠ .

تَوْبَةُ بنُ الحُمَيِّرِ أحدُ عُشّاق العرب المُتَيَّمينَ ، كان في أوّل أمرهِ امْرَأً غَزِلاً مُغامراً وصاحبَ غاراتٍ .

ثم ان توبةَ تَعَشَّقَ ليلى الأخيلية وخطبها إلى أبيها فرَدّهُ أبوها ثم زوّجها أبوها لرجلٍ من بني الأدلع . ولقد قَصَرَ توبةُ همّه على ليلى وظلّ وَفِيّاً لها ، وكان يزورُها بين الفَيْنةِ والفينة ، ولكن من غير رِيبة . فلمّا عَلِمَ أهلُها بذلك شَكَوْهُ إلى السّلطان (الوالي) فأهْدَرَ السلطانُ دمَه (أذِنَ لأهلِها أن يقتلوه) إن هو عاد إلى زيارتها .

وقُتِلَ توبةُ بن الحُمَيّر في نِزاعٍ مَعَ قومه بني عَقيل من آل عَوْف ابن عامر في حديث طويل جداً [1] ، وذلك سَنَةَ ٨٠ هـ (٦٩٩ م) في الاغلب .

٢ – تَوبةُ بن الحُمَيِّرُ شاعرٌ غَزِلٌ رقيقٌ فصيحُ الألفاظِ سهلُ التراكيب قويّ العاطفة ، ولكن ربّما تردّد الرواةُ في نسبةِ الشعرِ بينَه وبينَ مجنون ليلى [2] .

٣ – المختار من شعره :

– قال توبة بن الحميّر يتشوق إلى ليلى :

نَأَتْكَ بليلى دارُها لا تزورُها ، وشَطّتْ نَواها وَاسْتَمَرّ مريرُها [3] .

يقول رجالٌ : لا يَضِيرُكَ نأيُها ؛ بَلى ، كلّ ما شَفّ النفوسَ يَضيرها [4] .

أظُنّ بها خيراً وأعْلَمُ أنها ستَنْعَمُ يوْماً أو يُفَكّ أسيرها .

أرى اليومَ يأتي دون ليلى كأنما أتت حُجَجٌ من دونها وشهورها [5] .

حمامةَ بَطْنِ الواديَيْنِ ، تَرَنّمي ، سَقاكِ من الغُرّ الغوادي مَطيرها .

---

١ غ ١١ : ٢١٠ – ٢٢٤ ؛ الكامل ٧٣٢ – ٧٣٣ .

٢ الكامل ٤٥٠ .

٣ نأتك دارها : بعدت عنك . شط : ابتعد . النوى : الغربة ، البعاد . استمر : دام . مريرها : عزمها (على البعد) .

٤ ضار ، يضير : أضر ، يضر ، آذى . شف الرجل (مفعول به) الحزن أو الهم (فاعل) : جعله مهزولا نحيلا .

٥ – كل يوم يمر من غير أن أرى ليلى كأنه حجج (سنون) بشهورها التامة .

أبيني لنا ، لا زال ريشُكِ ناعماً ، ولا زلْتِ في خضراءَ عالٍ بريرها [1] .
فإنْ سَجعَتْ هاجت لعينك عَبْرَةٌ ، وان زَفَرَتْ هاج الهوى قرقريرها [2] .

— وقال في ليلى أيضاً :

ولو أنَّ ليلى الأخيليّةَ سَلّمَتْ عليَّ ، ودوني جَنْدلٌ وصَفائحُ [3] ،
لسَلّمْتُ تسليمَ البَشاشةِ أو زَقا اليها صَدىً من جانب القبر صائح [4] .
وأغبَط من ليلى بما لا أناله ؛ ألا كلّ ما قرّت به العين صالح [5] .

— روى أبو بكر الاصفهاني لتوبة بن الحميّر (كتاب الزهرة ١٥٩ — ١٦٠) :

كأنّ القلبَ ليلةَ قيل : يُغْدَى بليلى العامريّةِ أو يُراحُ [6] ،
قَطاةٌ غرّها شَرَكٌ فباتَتْ تُجاذِبُهُ وقد عَلِقَ الجَناح [7] .
فلا في الليلِ نامتْ واطْمَأنَتْ ، ولا في الصّبحِ كان لها بَراح [8] .

— وروى أبو بكر الاصفهاني لتَوْبةَ أيضاً (كتاب الزهرة ١٦١) :

قالت مَخافةَ بينِنا ، وبكتْ لـه — والبينُ مبعوثٌ على المُتَخَوّفِ [9] —:

---

[1] خضراء : حديقة أو واحة خضراء . البرير : ثمر شجر الاراك . عال بريرها : نامية ، مثمرة .
[2] سجعت : غنت . عبرة : دمعة . زفرت : صعدت نفساً حاراً من شدة الحزن . القرقرير : صوت الحمام .
[3] ودوني جندل وصفائح (حجارة كبيرة وحجارة كالالواح : في قبر) : ميت مدفون .
[4] زقا : صاح . الصدى : رجيع الصوت ؛ طائر خرافي يخرج من رأس الانسان المقتول ويلازم قبره .
[5] يحسدني الناس على ما يظنون أنني أناله من ليلى . أنا راض بهذا الحسد (لأنه يدخل شيئاً من السرور على نفسي) — وكل ما سر النفس صالح (في أقوال العامة : صيت غنى ولا صيت فقر) .
[6] .... سيرتحل قوم ليلى بها في الغداة (الصباح) أو في الرواح (المساء) .
[7] غرها شرك : غرها (حسبته شيئاً آخر : حسبت الحب الذي فيه طعام لخيرها هي) أو غرها شرك : حسبت أنه شرك ضعيف يمكن أن تتخلص منه بسهولة . تجاذبه : تحاول أن تفلت منه فتجد أنه ممسك بها بقوة . القطاة : اسم طائر .
[8] — قضت طول الليل تحاول الافلات من هذا الشرك (ولم تنم) فما استفادت . براح : ذهاب (خلاص من الشرك) .
[9] البين مبعوث على المتخوف : (حينما يشتد خوف الانسان من وقوع مكروه يكون ذلك دليلا على اقتناع ذلك المتخوف أن ثمت أسباباً أكيدة تجعل وقوع ذلك المكروه منتظراً) .

لو ماتَ شيءٌ من مَخافةِ فُرْقةٍ ، لأماتني لِلْبَيْنِ طولُ تَخوُّفي [1] .
ملأ الهوى قلبي فضِقْتُ بحَمْلِهِ حتّى نَطَقْتُ به بغيرِ تَكَلّفِ !

٤ — ** الاغاني ١١ : ٢٠٣ — ٢٥٠ ؛ راجع بروكلمان ١ : ٥٨ ، الملحق ١ : ٩٣ — ٩٤ ؛ زيدان ١ : ٣٤٥ — ٣٤٧ .

سُراقةُ بن مِرداسٍ البارقيّ (الاصغر)

١ — هو أحدُ ثلاثةِ نَفَرٍ يُدْعَوْنَ سُراقة بن مِرْداسٍ ، اثْنانِ منهما من بني بارق . وحياة سُراقةَ هذا غامضة جداً . ذكر ابن عساكر (٦ : ٧١) أن سُراقة هذا شَهِدَ معركة اليرموك (١٥ هـ = ٦٣٦ م) ، فعلى هذا يجب أن تكون وِلادته قُبيلَ الهِجرة بسَنَوات قليلة .

ولا نعلم من حياة سُراقةَ العامةِ إلاّ قصته الطويلة مع المُختار بن أبي عبيد الثقفي :

كان المختار بن أبي عُبيد يدعو لمحمد بن الحَنَفيّة — ابن علي بن ابي طالب من امرأته خَوْلة الحنفية — ويُقاتلُ عبدَ الله بن الزُبير وعبدَ الملك بن مروان . واستَوْلى المختار على الكوفة زمناً . وفي سنة ٦٦ هـ (٦٨٥ — ٦٨٦ م) ثار أهل الكوفة بالمختار ولكنه تغلّب عليهم ووَقَعَ في يده أسرى منهم كثيرون . وكان المختار لا يُؤتى بأسير إلاّ قتله . فجِيء اليه بسُراقة ، فلمّا أراد المختار أن يقتلَه قال له سُراقة يَنْفُخُ في خُيَلائه : إنك لن تستطيعَ قتلي حتى تَفتَتح الشام ! فعفا المختار عنه . ثم جيء بسُراقة أسراً إلى المختار ثانيةً فثالثةً ، فأقسَمَ سُراقةُ بين يَدَيِ المختار إنه لم يقعْ أسراً إلاّ لأن الملائكةَ كانت تُقاتلُ في جيش المختار ، وأن الملائكة همُ الذين أسروه . وبعد أن طلب المختار من سُراقة أن يصعد المنبر ويُخْبِرَ الجند بما رأى أطلق سَراحه . وهكذا استطاع سُراقة بدهائه وظَرْفه أن يَنْفُذَ إلى الغرور السياسيّ في المختار وأن ينجوَ من القتل ثلاث مرات .

---

[1] للبين : من خوف البين (الفراق) .

ويبدو أن وفاة سُراقة كانت في حدود سنة ٨٠ هـ (٦٩٨ م) بعد معركة كازرون أو كازر .

٢ – كان سُراقةُ البارقيّ رجلاً جميلاً وشاعراً ظريفاً حَسَنَ الإنشادِ تحبّه الملوك . وشعره أمويّ الخصائصِ وخصوصاً في الفخر والمدح والهجاء . وله وصف للخيل وشيء من الحكمة . ورثاؤه باب من الحماسة لأن أكثَرَ رثاءَ الذين قُتلوا في المعارك من قومه ورِفاق معاركه .

٣ – المختار من شعره :

– بعث بِشر بن مروان عبد الرحمن بن مِخْنَف إلى قتال الازارقة أصحاب قَطَريّ بن الفُجاءة ، فكان اللقاء بكازر فخرّ عبد الرحمن بن مخنف قتيلاً . فقال سُراقة يرثيه :

ثَوى سيّدُ الأَزْدَيْنِ : أزدِ شَنُوءَةٍ وأزدِ عُمانٍ رَهْنَ رمسٍ بكازَرِ .
وقاتل حتّى مات أكرمَ مِيتَـةٍ بأبيضَ صافٍ كالعَقيقة باترِ [١] .
وصُرِّعَ حول التلِّ تحت لوائهِ كرامُ المساعي من كرامِ العشائر [٢] .
قضى نَحْبَهُ يوم اللقاء ابنُ مِخْنَف وأدبرَ عنه كلّ أَلْوَثَ دابر [٣] .
أمدّ ولم يُمْدَدْ ، ومات مُشَمّراً إلى الله لم يَذْهَبْ بأثوابِ غادر [٤] .

– قال سراقةُ بن مرداسٍ البارقي يمدح ابراهيمَ بنَ الأشتر وأصحابَه بعد أن قَتلوا عبيدَ الله بن زياد :

---

١ بأبيض (بسيف أبيض مصقول) صاف (من حديد صاف : فولاذ) . العقيقة : ما يبقى من شعاع البرق في السحاب (القاموس ٣ : ٢٦٦) كناية عن صفائه وسرعة حركته (؟) . باتر : قاطع (يفصل الجسم الذي يصيبه) .

٢ سقط تحت لوائه (في الدفاع عنه) جماعة كبيرة كرام المساعي (ذوو أعمال كريمة مجيدة) من كرام العشائر (من ذوي النسب الشريف والاصل الكريم) .

٣ قضى نحبه : مات . يوم اللقاء في القتال (مقبلا على العدو) . وأدبر عنه : هرب من المعركة وتركه وحده . الألوث : المسترخي ، البطيء الحركة . الدابر : الذي يولي (يهرب من المعركة) .

٤ أمد (أنجد من قبل كل من كان محتاجاً الى النجدة) ولم يمدد (لم ينجده الآن أحد) . مات مشمراً الى الله : مسرعاً الى الجهاد يطلب به وجه الله . لم يذهب بأثواب غادر : لم يغدر بأحد (لم يخذل أحداً : لم يخن مبدأه) .

أتاكم غلامٌ من عرانين مَذْحِجٍ جريءٌ على الأعداء غير نكولِ [1] .
فيا ابن زيادٍ ، بُؤْ بأعظمِ مَآباً وذُقْ حدّ ماضي الشَفْرتين صقيل [2] :
ضَرَبناكَ بالعَضْبِ الحُسام فلم نجُزْ إذا ما أبأنا قاتلاً بقتيل [3] .
جَزى اللهُ خيراً شُرْطَةَ اللهِ ، إنّهم شَفَوْا من عُبيد الله أمسِ غَليلي [4] .
وأجدِرْ بهندٍ أن تُساقَ سَبِيّةً لها من بني إسحق شرّ حَليل [5] .

– كان سُراقة قد انقلب على المختار فقُبِضَ عليه ليُؤتى به إلى المختار فأشاع أن الذي أسره ليس جندَ المختار بل الملائكةُ الذين كانوا يقاتلون معَ المختار . فانتهز المختار هذه الفرصة وأمر سُراقةَ بإعلانِ ذلك من على المنبر ، تأييداً لنفسه في أتباعه ، ثم عفا عن سراقة وأمره أن يخرج من العراق . ولكنّ سراقة لحق بمُصْعَبِ بن الزبير ثم قال يتهكّم بالمختار :

ألا أبْلِغْ أبا إسْحق أني رأيتُ البُلْقَ دُهْماً مُصْمَتاتِ [6] .
كفرتُ بوَحْيِكُمْ وجَعَلْتُ نَذْراً عَليّ قِتالَكم حتّى المَماتِ .
أري عَيْنَيّ ما لم تَرْأياهُ ؛ كِلانا عالمٌ بالتُرَّهات [7] !
إذا قالوا أقولُ لهم : كَذَبْتُمْ ؛ وان خَرَجوا لَبِسْتُ لهم أداتي [8] .

---

١ العرنين : الأنف ، الشيء البارز ، النبيل الشريف . مذحج : قبائل من اليمن . النكول : الذي يتراجع في القتال ، الذي يغدر .
٢ باء : رجع ؛ حمل ذنباً .
٣و٤ المآبأ : الوزر ، الذنب . أباء قاتلا بقتيل : قتله بـه (وكان الحسين بن علي قد استشهد في كربلاء في ولاية عبيد الله بن زياد على الكوفة) . العضب الحسام : السيف القاطع .
٥ هند أم معاوية بن أبي سفيان . وأجدر بهند : كان الاجدر بهند ، اشارة إلى ان هند أم معاوية هي جدة عبيد الله ، لأن معاوية كان قـد ألحق زياداً (والد عبيد الله) بنسبه وجعله أخاه (راجع قصة الاستلحاق ، فوق ، ص ٣٨٧) ، من بني اسحق : اليهود . الحليل : الزوج .
٦ البلق جمع أبلق : ابيض . الدهم جمع أدهم : اسود . مصمت : ممتلىء الجسم ، ثقيل (هذه اشارات إلى الخيل ...) ابو اسحق : كنية المختار بن أبي عبيد .
٧ ترأياه : ترياه (من رأى يرى) . الترهات : الخداع والكذب والأقوال التي لا معنى لها .
٨ إذا هم صدقوني ونقلوا عني أن الملائكة كانت تحارب معهم فسأقول لهم : ان هذا كذب ؛ وإذا خرجوا إلى إلى القتال لبست لهم أداتي (درعي وسلاحي) وقاتلتهم من جديد .

– قال سراقة بن مرداس البارقي يهجو جريراً ويفضّل عليه الفرزدقَ :

لِمَنِ الديارُ كأنهن سطورُ   قَفْرٌ عفتْهُ روامسٌ ودُهورُ[1] ؟
تخشي ربيعةُ أن أُلِمَّ بدارِها ؛   وكأنني بِطِلابِها مأمور[2] .
يا بشرُ ، حُقَّ لوجهِكَ التبشير :   هلاّ غضِبْتَ لنا وأنت أمير[3] ؟
حرّرْ كُلَيباً ، ان خير صنيعة   يومَ الحسابِ العِتْقُ والتحرير[4] .
هبْ لي ولاهُمْ ، أوْ لأدنى دارمٍ ؛   إني ، وربّي ، إنْ فعلتَ شكور[5] .
اضْرِبْ عليهم في الجواعِرِ حَلْقَةً   تبقى ، فان إباقهم مَحْذور[6] .
ما يَطْلعون مَعَ الكرامِ ثَنِيّةً ؛   ولهم منازلُ دون ذاك وُعور[7] .
أبْلِغْ تميماً غثّها وسمينَها   – والحُكْمُ يَقْصِدُ مرةً ويَجور – [8]
أنّ الفرَزْدَقَ برّزَتْ حَلَباتُه   عَفْواً ، وغُودِرَ في الغُبارِ جَريرُ[9] .
ما كان أول مِحْمَرٍ عثَرَتْ به   أنسابُه ، ان اللئيم عثور[10] .
ذهبَ الفرزدقُ بالفضائلِ والعُلا ،   وابنُ المَراغةِ مُخْلَفٌ مَحْسور[11] .

---

١ الروامس : الرياح التي تدفن الآثار . الدهور : طول الزمن .
٢ – ان مروري على ديار ربيعة يجر عليها المصائب . الطلاب : الطلب ، الاقتصاص . العقاب . مأمور : موكل به (من عند الله) .
٣ هذا البيت مطلع قصيدة جرير في هجاء سراقة . بشر بن مروان والي الكوفة (٧١ – ٧٤ هـ) . – أنت يا بشر ، أمير مسؤول (عن كليب قوم جرير) .
٤ يوم الحساب : في الآخرة عند الله . العتق والتحرير : تحرير الارقاء والعبيد .
٥ اجعل ولاءهم إلي (اجعلني سيداً لهم وحامياً) . أدنى دارم : أقل رجل قيمة في بني دارم (قوم الفرزدق) .
٦ الجواعر جمع جاعرة : دبر الدابة . الحلقة : سمة (علامة) في الابل . الاباق : فرار العبيد . محذور : يخشى . – قوم جرير عاقون يهربون من مواليهم (أسيادهم) .
٧ – الثنية : الطريق في الجبل أو إلى الجبل . لا يطلعون مع الكرام ثنية : لا يبلغون المكانة التي يبلغها الكرام (لا يعملون عملا كريماً) . وبيوتهم في سفح الجبل (كناية عن المذلة) . منازل وعور : صعبة الطريق ، لا يصل الانسان اليها بسهولة (لا يصدهم الناس لأن طريق بيوتهم وعرة ببخلهم) .
٨ غثها وسمينها : أراذلها وأشرافها (جميع بني تميم) . يقصد : يعدل ، يصيب . يجور : يميل عن الحق ، يظلم .
٩ الحلبات جمع حلبة (بسكون اللام) : الدفعة من الخيل . – خيل الفرزدق سبقت عفواً (وهي مرتاحة) وبقيت خيل جرير في الغبار (متأخرة عن سائر الخيل) غلب الفرزدق جريراً في الهجاء غلبة ظاهرة .
١٠ المحمر : اللئيم .
١١ المراغة : الحمارة ، الاتان . ابن المراغة : جرير . مخلف : متأخر . محسور : منقطع من طول المدى (الذي تعب ولم يستطع أن يتابع الجري) .

هذا قضاءُ البارقيّ ، وإنني بالمَيْل في ميزانِهم لَبَصير [1] .

– ثم فسد ما بين الفرزدق وبين سُراقة ، فقال سُراقةُ يهجو الفرزدق :

قد كنتَ أحسَبُ ، يا ابنَ قَيْنِ مُجاشعٍ ، أن قد خَصاكَ – فلا تَغُطَّ – جريرُ [2] .
ولقد علِمْتَ ، على تَباغيكَ الخَنا ، أنّ الخَصيّ إذا استُفِزّ ذَعور [3] .
إنّ الخَصيّ يَشولُ حين يَرومُه قَرم قُراسيَةُ اللقاءِ غَيور [4] .

٤ – ديوان سراقة البارقيّ (حسين نصار) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٤٧ م .

Surâqa b. Mirdâs , von Peter Hahn , Göttingen 1938 . **

بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٩ ، زيدان ١ : ٣٤٧ .

أيمن بن خريم

١ – هو أيمَنُ بنُ خُرَيمِ بنِ الأخرَمِ بنِ عمرِو بنِ فاتكٍ [5] من بني أسدِ بن خُزَيمةَ ، أسلَم أبوه خريم الناعم [6] يومَ فتحِ مكّةَ وصَحِبَ رسولَ الله ورَوى عنه الحديثَ ، وهذا يدلّ على أن خُريماً كان من أهل الحجازِ (وربما من أهل مكّةَ نفسها) .

ومن المُجْمَعِ عليه أن أيمَنَ روى حديثَ رسول الله عن أبيه لا عن

١ – هذا قضائي بينهما ، وأنا خبير بوزنهما وبأن كفة (بكسر الكاف) الفرزدق ارجح من كفة جرير .
٢ القين الحداد (وكان العرب يعيبون أهل الصنائع ويحتقرونهم) . مجاشع من أجداد الفرزدق . غط البعير : هدر ، أحدث صوتاً قوياً .
٣ على تباغيك الخنا : افتخارك بفعل الخنا (الفاحشة ، الفواحش) . استفز : أثير . ذعور : خائف مضطرب .
٤ يشول : يرفع ذنبه (كناية عن الهرب) . قرم قراسية : السيد القوي الشديد . الغيور : المحافظ على حرمه .
٥ ينسب عادة إلى جد أبيه اختصاراً فيقال : أيمن بن خريم بن فاتك الاسدي (غ ٢١ : ٥) .
٦ راجع تاج العروس ٨ : ٢٧٢ ؛ الكامل ٤٤٥ . ولا أدري ما معنى البدري في قول المرتضى الزبيدي (تاج العروس ٨ : ٢٨٢) : أبوه (أبو أيمن) الصحابي خريم الناعم البدري (وليس يمكن أن يكون خريم بدرياً شهد غزوة بدر مسلماً ، إذا كان قد أسلم يوم فتح مكة ، بعد بدر بست سنوات) .

الرسولِ مباشرةً ، وهذا بدَوْره يَدُلُّ على أن أيمنَ كان يومَ تُوُفّـِيَ الرسولُ ، سَنَةَ ١١ هـ (٦٣٢ م) دُونَ سِنِّ الرّشْدِ ، وعلى هذا يجب أن يكون مَوْلِدُه قُبيلَ الهِجْرةِ بقليل .

ويبدو أن خُريماً انتقلَ بابْنه أيمنَ إلى الكوفة . ومع أن أيمن قد غزا مع يحيى بن الحكم فانّه اعتزل هو وأبوه حربَ الجَمَلِ وصفّينَ وما بعدَهما ، أي الحروبَ التي دارت بين عبدِ الله بن الزبير وبين بني أميةَ مُنذُ أيامِ يزيد ابنِ مُعاويةَ إلى أيام عبدِ الملكِ بن مروانَ .

واتّصل أيمنُ بن خُريمٍ بعبدِ العزيز بن مروانَ وبَقيَ عنده في مصْرَ نحو عامٍ واحدٍ ، ولعلَّ ذلك كان سنة ٧٢ – ٧٣ هـ (٦٩١ م) ثم وَقَعَتْ بينهما وَحشةٌ فرَجَعَ أيمنُ إلى الكوفة واتّصل ببِشْرِ بن مروان [١] .

ثم أن أيمن بن خُريم اتّصل ، فيما يبدو ، بعبدِ الملك بن مروان بعد اتّصاله ببشرٍ ونال عنده حَظوةً حتّى بعد أن بَرِصَ [٢] . ولقد سُمّي أيمنُ بن خريم بعد ذلك «خليلَ الخُلفاءِ» لأنّ الخليفةَ والامراءَ كانوا يُجالسونه على الرُّغْمِ من مَرضه المؤذي المُعْدي .

وسلك أيمنُ بن خُريمٍ في السياسة مَسْلَكَ أبيه : أراد أن يُرْضِيَ جميعَ رجالِ الأحزابِ من غير أن يُغْضِبَ أحداً منهم ؛ كان هواه مَعَ بني هاشم فمدحهم ، وكانت مصلحَتُهُ مع بني أميةَ فلَعَنَ الذين قتلوا عُثمان .

ولعلّ وفاةَ أيمنَ بنِ خُريمٍ كانت في أيام عبد الملك [٣] في نحو سَنَةِ ٨٠ هـ (عام ٦٩٩ م) .

٢ – أيمنُ بن خُريمٍ من رُواة الحديثِ . ثم هو شاعر وُجداني مُجيد فصيحُ الألفاظ سهل التراكيب متين النّسْجِ ، على أن معانيَهُ تَغْمُضُ أحياناً .

---

١ تولى بشر بن مروان الكوفة سنة ٧١ هـ (٦٩٠ – ٦٩١ م) ثم أضيفت اليه البصرة بعد سنتين .

٢ البرص (بفتح الباء والراء) : علة يبيض منها ظاهر الجلد .

٣ في الاعلام للزركلي (١ : ٣٧٨) ، كانت وفاة أيمن بن خريم نحو سنة ٨٠ هـ (٧٠٠ م) .
راجع أبيات أيمن إلى عبد الملك بالمديح الذي فيهـا (في المختار من شعره : .... وليلتكم صلاة واقتراء) ثم الابيات التي أجاد فيها تحليل نفسيةالمرأة في الجانب المادي(.... : لقيت من الغانيات العجابا) .

وفنونُ شعرهِ المديحُ والهجاءُ والغزل والحِكمة ، وفي شعره الباقي لنا شيء يُشبْهِهُ الرثاء (في عثمانَ بن عفّان) . ويرى المَرْزُبانيّ أنّ أيمنَ بن خُريم كان سَيِّءَ المدحِ (الموشّح ٢٢٢ — ٢٢٣) لأنه لم يكُنْ يترقّى في المبالغة إلى حيث يليق المديح للملوك ، بينما عبد الملك بن مروان كان يُعْجَبُ بمديح أيمن (غ ٢١ : ٦) لأنه سلك طريقاً رُوحيّة في المديح ولم يُكثِرْ من تَشْبيهِ الممدوح بالأسدِ والبحر والجبل . وهو حَسَنُ الوصفِ للنساء قادرٌ في التعبير عن نفسيتهم في جانبِها الماديّ .

٣ — المختار من شعره :

— لأيمنَ بنِ خُريمٍ قصيدةٌ وجدانية فيها نسيب وغزل ثم شيء من الصَراحة ومن المُجون [١] :

لَقِيتُ مِنَ الغانيات العُجابا ... لَوَ ادرَكَ منّي العَذارى الشبابا [٢] !

ولكنّ جمعَ النساءِ الحِسانِ ... عَناءٌ شديدٌ إذا المرءُ شابا [٣] .

ولو كِلْتَ بالمُدِّ للغانياتِ ... وضاعَفْتَ فوقَ الثِياب الثيابا [٤]

— إذا لم تُنِلْهُنّ من ذاك ذاكِ ... جَحَدْنَكَ عندَ الأمير الكتابا [٥] :

---

١ روى الاصفهاني (الاغاني ، طبعة الساسي ، ٢١ : ٥ — ٧) أبياتاً من هذه القصيدة في ثلاث أماكن فجاء عدد من أبياتها مكرراً وبروايات مختلفة أحياناً ، وخصوصاً في البيت الأول . وربما قبلت رواية دون رواية اجتهاداً .

٢ العجاب (بضم الجيم) : ما جاوز حد العجب (التعجب والاستغراب) . — إنني ألقى (الآن) من الغانيات (النساء الجميلات) أمراً عجاباً (شديداً) ، فليت أن هؤلاء العذارى قد عرفنني في أيام شبابي !

٣ جمع النساء (بفتح الجيم) : تأليفهن ، معاشرة عدد منهن في وقت واحد . وجمع (بضم الجيم) : (الأمر) المكتوم المستور . والمقصود : ان معاشرة النساء الحسان (الصغار السن) أمر مجهد متعب للرجل إذا شاب وشاخ .

٤ — ولو وهبت النساء احسن الاشياء بالمد (وعاء كبير يكال به الطعام) «ثم أهديتهن ثياباً كثيرة ....

٥ ..... (ثم) إذا (أنت) لم تنلهن (تعطهن ، تمنحهن) من ذاك (كناية عن حقهن من الزواج) ذاك (شيئاً كثيراً) جحدنك عند الامير الكتاب(هجرنك ثم أنكرن عند القاضي أو الوالي أنك زوج لهن) .

يَـذُدْنَ بكلّ عصًـا ذائـــدٍ ويُصْبِحْنَ كلّ غَداةٍ صِعابا [1]
إذا لم يُخالَطْنَ كلّ الخِـلا طِ أصْبَحْنَ مُخْرَنْطِماتٍ غِضابا [2] .
عَلامَ يُكَحِّلْنَ حُورَ العيون ويُحْدِثْنَ بعدَ الخِضاب الخضابا [3] ،
ويَعْرُكْنَ بالمِسْكِ أجْيادَهُـنّ ويُدْنِينَ عند الحِجالِ العِيابا [4] ،
ويَبْرُقْنَ إلاّ لِمـا تعلمون ؟ فلا تَمْنَعُنّ النساءَ الضِرابا [5] !

— قال أيمنُ بن خُريمِ بن فاتكٍ الاسديّ يهجو الذين قتلوا عثمانَ بنَ عفّان في الشهر الحرام [6] :

تفاقَدَ الذابحو عُثمانَ ضاحيةً ، أيَّ قَتيلٍ حَرامٍ — ذُبِّحوا — ذَبَحوا [7] .

---

١ ذاد : ساق (الغنم) ، طردها . الذائد هو السائق (للغنم أو الابل) ، الراعي . يذدن بكل عصا زائد : يدفعن (الزوج ويبعدنه عنهن) بكل عصا ذائد (بكل عصا يستعملها الرعاة في سوق الغنم والابل ، بكل وسيلة) . الصعاب (في الأصل) : الابل التي تركت لحرونتها وشدتها وهياجها . — يبدين العصيان والغضب في كل غداة (كل يوم منذ الصباح) .

٢ الخلاط : مخالطة الفحل للناقة (القاموس ٢ : ٣٥٨ ، السطران ١٥ و ١٦) . اخرنطم : رفع أنفه واستكبر وغضب .

٣ العين الحوراء : الشديدة بياض بياض (مكررة مرتين) العين والشديدة سواد سواد العين . — علام يكحلن حور العيون : لماذا يضعن الكحل الاسود في جفون عيونهن ، مع أن السواد موجود في عيونهن طبيعة (إلا للفت نظر الرجل واغرائه !) . وعلام يحدثن (يجددن ، يأتين بشيء جديد) بعد الخضاب (بعد الخضاب الذي قدم على وجوههن أو أصبح قديماً في الزي) ؟

٤ يعركن (يدلكن) بالطيب (بالعطر وبالرائحة الزكية) أجيادهن (أعلى صدورهن) ثم يكثرن من ذلك . الحجال جمع حجلة (بفتح الحاء والجيم) : الخدر ، الخباء ، مكان المرأة في البيت . يدنين : يقربن . العياب جمع عيبة : زبيل أو صندوق توضع فيه الثياب . والعياب : الصدور والقلوب ، كناية (القاموس ١ : ١٠٩ ، السطر الخامس) .

٥ برقت (بفتح الراء) المرأة تبرق (بضم الراء) : تزينت وتحسنت . لما تعلمون : كناية عن الزواج . الضراب : النكاح .

٦ الأبيات في كتاب الكامل (ص ٤٤٥ وفي كتاب الصناعتين ٩٨ — ٩٩) . — قتل عثمان بن عفان في ذي الحجة (أحد الاشهر الاربعة الحرم : ذي القعدة ، ذي الحجة ، المحرم ، رجب) من سنة ٣٥ هـ (حزيران — يونيو ٦٥٥ م) .

٧ تفاقد ، وفي القاموس (١ : ٣٢٣) تفقد : مات غير فقيد وغير حميد (مات ميتة شنيعة ولم يحزن عليه أحد) — دعوة على الذين قتلوا عثمان بمثل هذه الميتة . ضاحية : في الصباح . قتيل حرام : حرام قتله . ذبحوا (بالبناء للمجهول) دعوة عليهم بان يذبحوا كما ذبحوه .

ضَحَّوْا بعثمانَ في الشهرِ الحرامِ ، ولم يَخْشَوْا على مطمح الكف التي طمحوا[1].
فأيَّ سُنّةِ جَوْرٍ سَنَّ أوّلُهم وبابِ جَوْرٍ على سُلطانِهم فتحوا[2] !
ماذا أرادوا — أضلَّ اللهُ سَعْيَهُمُ — من سَفْحِ ذاك الدَّمِ الزاكي الذي سَفحوا[3]
إنَّ الذين تَوَلَّوْا قتلَه سَفَهاً لاقَوْا أثاماً وخُسراناً وما رَبِحوا[4] .

— وقعت منازعةٌ بين عمرِو بن سعيدٍ وبين عبدِ العزيز بن مروانَ (وكلاهما من بني أميّة) ، فتعصّبَ لكلِّ واحدٍ منهما أخوالُه وتداعَوْا بالسلاح واقتتلوا . وكان أيمنُ بن خُريمٍ حاضراً للمنازعةِ فاعتزلهم هو ورجلٌ من قومه يُقال له ابنُ كُوز . فعاتَبَهُ عبدُ العزيز وعمروٌ جميعاً على ذلك ، فقال أيمنُ (غ—طبعة الساسي ٢١ : ٦) :

أأقْتَلُ بين حَجّاجِ بنِ عمروٍ، وبين خَصيمِه عبدِ العزيزِ[5] ؟
أنُقْتَلُ — ضِلّةً — في غيرِ شيءٍ ويَبْقى بعدَنا أهلُ الكنوزِ[6] ؟
لَعَمْرُ أبيك ، ما أوتيتُ رُشْدي ولا وُفّقْتُ للأمرِ الحريزِ[7] .
فإنّي تاركٌ لهما جميعاً ومُعتَزِلٌ ، كما اعتَزَلَ ابنُ كُوزِ[8].

---

١ ضحاه : قتله صباحاً ؛ ذبحوه بلا حق وبلا رحمة عليه هو (كما تذبح الانعام في عيد الأضحى) . لم يخشوا على مطمح الكف التي طمحوا (؟) لعل المعنى : لم يخافوا أن يطمع الناس بهم كما طمعوا هم بعثمان (أن يقتلوهم فيما بعد كما قتلوا هم عثمان) .

٢ سنة : طريقة ، سياسة ، وسيلة . جور : ظلم . سن أولهم : سلك البادىء منهم مسلكاً سيصبح قاعدة . أي باب جور على سلطانهم فتحوا (لقد جرأوا العامة بفعلهم هذا على كل سلطان — خليفة — سيأتي) .

٣ سفح الدم : سفكه ، أساله (قتل) . الزاكي : الطاهر (الذي لا يستحق صاحبه القتل) .

٤ سفهاً : جهلا وحمقاً وجنوناً . لاقوا أثاماً (سيلقون عقاباً وخسراناً في الآخرة) وما ربحوا (شيئاً في الدنيا أو في الآخرة) .

٥ حجاج بن عمرو (بن سعيد) أو حجاج (كناية عن الظلم والعسف) . الخصيم : المجادل والمنازع . — أأقتل في سبيل أحد هذين في النزاع الدائر بينهما وليس لي فيه منفعة ولا صلة ؟.

٦ أنقتل نحن ضلة (ضالين ، على غير الحق والهدى) . على غير شيء : بلا سبب متصل بنا ؛ ونحن فقراء لا نملك شيئاً . ويبقى بعدنا أهل الكنوز : ويعيش الآخرون في الثروة في نعم الدولة .

٧ لو فعلت ذلك (قاتلت في سبيل أحدهما ثم مت) لكنت كأن الله لم يهبني رشداً (عقلا) ولما كنت أنا قد اخترت لنفسي الأمر الحريز (المسلك الذي يحميني ويدفع عني) .

٨ سأترك القتال بجانب الخصمين وأعتزل (أكون على الحياد : لا مع هذا ولا مع ذاك) .

– وقال أيمن بن خريم في بني هاشم :

نهارُكم مُكابَدَةٌ وصَوْمٌ ، وليلتُكم صلاةٌ واقْتِراءُ [1] .
وَلِيتُمْ بالقُرانِ وبالتزَكّي فأسْرَعَ فيكُمُ ذاك البَلاء [2] .
بكى نجدٌ غداة غدا عليكم ومكّةُ والمدينةُ والجِواء [3] .
وحُقّ لكلِّ أرضٍ فارقوها عليكم –لا أبا لَكُمُ– البُكاء [4] .
أأجْعَلُكُمْ وأقواماً سواءً ، وبينَكُمُ وبينَهُمُ الهواء [5] !
وهمْ أرضٌ لأرجُلِكُمْ ، وأنتم لأرْؤُسِهِمْ وأعْيُنِهِمْ سماء !

– وعرض عبد الملك بن مروان على أيمن بن خريم شيئاً من المال على أن يذهب لقتال عبد الله بن الزبير ، فأبى أيمن بن خريم ذلك ثم قال :

ولست بقاتلٍ رجلاً يصلّي على سلطان آخرَ من قريشٍ .
له سلطانه وعليّ وِزري ، معاذ اللهِ من سفهٍ وطيش !
أأقتل مسلماً وأعيش حيّاً ؟ فليس بنافعي – ما عشت– عيشي .

٤ – ** الاغاني (طبعة الساسي) ٢١ : ٥ – ٨ ؛ زيدان ١ : ٣١٦ .

جَميلُ بُثَيْنَةَ

١ – هو ابو عمرو جميلُ بن مَعْمَر من بني عُذْرَةَ من قُضاعة المنتسبين إلى مَعَدٍّ (من عرب الشمال) ؛ ولكنْ أمّه جُذاميّةٌ من اليمن . وفي عَمود

١ المكابدة : المقاساة ، الجهاد في سبيل المبدأ في أحوال قاسية . اقتراء : قراءة (للقرآن الكريم) .

٢ وليتم : كنتم قد توليتم الخلافة (في أيام الامام علي) بالقرآن (بحكم القرآن) . التزكي : بسلوك طريق الصلاح والطهارة . – لذلك نالكم البلاء (المصائب) لأنكم تخافون الله فلا تظلمون أحداً ، وأولئك (بنو أمية) لا يخافون الله فيظلمون جميع الناس .

٣ بكى عليكم (حزن لما أصابكم) نجد ومكة والمدينة والجواء : الجواء اسم لعدد من المواضع في شبه جزيرة العرب : وبكى عليكم كل موضع في بلاد العرب . غداة غد (؟) ، يبدو أن ثمت قبل هذا البيت بيت محذوف أو أكثر من بيت .

٤ معنى هذا البيت متصل بمعنى البيت الذي سبقه ، وغامض بغموضه .

٥ – أأجعلكم (يا بني هاشم) وأقواماً آخرين (بني أمية) سواء (في منزلة واحدة ؟) ان بينكم وبين بني أمية (مسافة) الهواء (الذي بين السماء والأرض) .

نسب جميلٍ ، من جهةِ أبيهِ ، اختلافٌ حتّى في اسم أبيه نفسه [1] .

وُلِدَ جميلٌ نحوَ سنَة ٤٠ ﻫ (٦٦٠ م) في وادي القُرى من شَمال الحجاز وعلى مَقْرُبَةٍ من المدينة ونشأ هناك أيضاً . وكان جميل في أول أمره يَميل إلى ابنةِ عمه أم الجُسير بنت حبَأ ، ثم تعلّق بأختها بثينة وتعلّقت به بثينة فخطبها إلى أبيها ولكن أباها ردّه (ديوان ٨ ، ١٨٨) .

وزاد ولع جميل ببثينة فجعل يقول فيها الشعر ويَقصدها في حيّها مرة بعد مرة . فاستعدى أهلها عليه مروانَ بن الحكم ، وكان والياً من قِبَل معاوية ابن أبي سُفيان على المدينة للمرة الثانية (٥٦ — ٥٧ ﻫ) ، وكان عامله على وادي القرى دَجاجة بن ربعي [2] . فتوعّد دجاجة بن رِبْعي جميلاً إن هو زار بثينة أو تعرّض لها ، فهرب جميل إلى أخواله من بني جُذام في اليمن .

وفي ذي القعدة من سنة ٥٧ (خريف ٦٧٦ م) عزل مروان عن المدينة ، واتّفق أن انتجع أهل بثينة إلى الشام بأنعامهم ، فجاء جميل إلى الشام ، ثم عاد إلى وادي القرى .

وتزوّجت بثينة ، تزوجها نُبيه بن الاسود العذري ، وظلّ جميل يقول فيها الشعر ويزورها . ويبدو أن دجاجة بن ربعي ، أو عامر بن ربعي بن دجاجة ظل عاملاً لبني أمية على وادي القرى فأهدر دم جميل ، فخاف جميل وهجر الحجاز إلى مصر ليمدح واليَها عبد العزيز بن مروان (٦٥ — ٨٦ ﻫ = ٦٨٤ — ٧٠٥ م) . ولم تَطُل إقامة جميل في مصر فمرض ومات سنة ٨٢ ﻫ (٧٠١ م) .

٢ — جميل بن معمر شاعر فصيح مقدّم عند النقّاد على جميع معاصريه من شعراء الغزل . وشعره رقيق سهل التّراكيب واضح المعاني متأجّج العاطفة . وشعر جميل كله في النسيب سوى قطعتين أو ثلاث إحداها في المدح (ديوان ١٦٧). وذكر الاصفهاني أن لجميل هجاء في زوج بثينة وقومها [3] .

[1] غ ٨ : ٩٠ ، ٩١ . وجميل بن معمر العذري أو جميل بثينة هذا غير جميل بن معمر الجمحي (الكامل ٢٥٧) .

[2] غ ٨ : ١٠٨ — ١٠٩ ؛ وقيل عامر بن ربعي بن دجاجة (غ ٨ : ١٢٢ — ١٢٤) .

[3] غ ٨ : ١٢٢ — ١٢٣ . ان الهجاء الذي في ديوان جميل نزر يسير جداً ، ثم هو غير الهجاء القبلي الذي كان مألوفاً في ذلك العصر . وكذلك الهجاء الشخصي القليل لم يكن مقصوداً لذاته . — راجع أيضاً « ديوان جميل (جمع وتحقيق وشرح حسين نصار) ، القاهرة (مكتبة مصر) بلا تاريخ ، مقدمة الجامع (ص ١٢)

٣ – المختار من شعره :

– واعدَتْ بُثَيْنةُ جميلاً على اللّقاء فعرَفَ أهلُها ذلك وحالوا دونَ اجتماعِهما ، فجعلت نساءُ قومهِ يُقرّعنه شَماتةً به ، فقال :

أبُثينَ ، إنك قد ملَكْتِ فأسْجِحي وخُذي بحظّكِ من كريمٍ واصلِ .
فلَرُبَّ عارضةٍ علينا وصلَها بالجِدّ تخلُطُه بقول الهازل .
فأجبتُها بالرِّفقِ ، بعد تَستّرٍ : «حُبّي بُثينةَ [1] عن وِصالِكِ شاغلي .
لو أن في قلبي كقَدْرِ قُلامةٍ فضلاً ، وَصَلْتُكِ أو أتتْكِ رسائلي» [2].
ويَقُلْنَ : «إنكَ قد رَضِيتَ بباطلٍ منها ، فهل لَكَ في اعتِزالِ الباطل ؟»
وَلَباطِلٌ ممن أحِبّ حديثَه أشهى إليّ من البغيض الباذل ،
لِيُزِلْنَ عنكَ هَوايَ ثم يَصِلْنَني . وإذا هَوِيتُ فما هوايَ بزائل !
صادَتْ فؤادي ، يا بُثينَ ، حبالُكم يومَ الحَجونِ وأخطأتك حبائلي [3] .
منّيتِني فلَوَيْتِ ما منّيْتِني ، وجعلتِ عاجلَ ما وعدتِ كآجل [4] .
وتثاقلَتْ لمّا رأتْ كَلَفي بها . أحبِبْ إليّ بذاك من مُتثاقل !
حاولْنَني لأبُتّ [5] حبلَ وِصالكم مني ، ولستُ – وإن جَهِدْنَ – بفاعل [6] .
ويَقُلْنَ : إنكِ ، يا بُثينَ ، بخيلةٌ ! نفسي فِداؤكِ من ضنينٍ باخل .

– وقال جميلُ بن مَعْمَرٍ العُذْريّ :

فلَيْتَ رِجالاً فيكِ قد نذروا دَمي وهَمّوا بقَتْلي ، يا بُثَيْنَ ، لَقوني .
إذا ما رَأوْني طالِعاً من ثَنيّةٍ يقولون : مَنْ هذا ؟ – وقد عرَفوني [7] .

---

١ « قد ملكت فاسجح » مثل معناه : قدرت علي فعاملني بالاحسان .
٢ حبي لبثينة .
٣ القلامة : ما يقص من الظفر . – لو بقي في قلبي مكان صغير جداً (كقلامة الظفر) لم يملأه حب بثينة لأجبتك (أيتها العارضة علي حبها) إلى ما تريدين .
٤ يوم الحجون : يوم اجتمعنا في الحجون ، استطعت أنت أن تأسري قلبي بشباك حبك وعجزت أنا عن أن أجعلك تحبيني .
٥ لوى الدين أو الوعد : ماطل فيه ، أجله ، أنكره .
٦ حاولنني : جربن أن يقنعنني . بت : قطع .
٧ الثنية : الطريق في الجبل . المقصود (هنا) : إذا رأوني ظهرت من مكان ما .

يقولون لي : أهلاً وسهلاً ومَرْحَباً ! ولو ظَفِروا بي ساعةً قتلوني .

— أوّل المودّة السباب :

وأوّلُ ما قاد المودّةَ بينَنا بوادي بَغيضٍ ، يا بُثينَ ، سِبابُ .
وقُلْنا لها قولاً فجاءت بمثله ؛ **لكلِ كلامٍ ، يا بُثينَ ، جوابُ !**

— ولجميل في بثينة قصيدة طويلة مطلعها :

ألا لَيْتَ رَيْعان الشبابِ جديدُ ودهراً تولّى ، يا بُثَيْنَ ، يعودُ !

— من هذه القصيدة :

ألا لَيْتَ شِعري ، هل أبيتَنّ لَيلةً بوادي القُرى ؟ إني إذَنْ لَسعيدُ !
وقد تَلْتقي الأهواءُ من بعد يأسَةٍ ؛ وقد تُطْلَبُ الحاجاتُ وَهْيَ بعيد .
يموتُ الهوى منّي إذا ما لَقيتُها ويَحيا إذا فارَقْتُها فيَعود .
يقولون : جاهدْ ، يا جميلُ ، بغَزْوة؛ وأيَّ جِهادٍ غيرَهن أريد [1] ؟
لكلّ حديثٍ بينَهن بَشاشةٌ ، وكلّ قتيلٍ بينَهن شهيدُ !
عَلِقْتُ الهوى منها وَليداً ، فلم يَزَلْ إلى اليومِ يَنْمو حبُّها ويَزيد .
فما ذُكِرَ الخُلاّنُ إلا ذكَرْتُها ، ولا البخلُ إلاّ قُلتُ :سوف تَجود !

— أقلّ الامل :

وإنّي لأَرْضى من بُثَيْنَةَ بالذي لَوَ ابْصَرَهُ الواشي لَقَرّتْ بَلابِلُهْ [2] :
بِلا وبِألاّ أسْتَطيعَ ، وبالمُنى ، وبالأملِ المَرْجُوّ قد خاب آمِلُهْ [3] ،
وبالنَظْرةِ العَجْلى ، وبالعام تنقضي أواخِرُهُ — لا نلتقي — وأوائِلُهْ !

— وقال جميل يرد على الوُشاة والعُذّال :

لقد فَرِحَ الواشون أن صَرَمَتْ حبلي بثينةُ ، أو أبْدَتْ لنا جانبَ البخلِ [4] .

---

١ — اذهب في غزوة من الغزوات للجهاد (لعلك تنسى حبها) . وأي جهاد غيرهن أريد : وأي جهاد أستطيعه غير الذي أنا فيه .

٢ — بالمعاملة السيئة التي إذا أبصرها عدوي فرح بما نالني منها .

٣ بزجري بكلمة « لا » ، وبصدي بجملة : « لا أستطيع » ....

يقولون : « مَهلاً ، يا جميلُ » . وانني ـ لأُقسمُ ، ما بي عن بثينةَ من مَهْل ؟[1]
أحِلْماً ؟ فقبلَ اليوم كان أوانُه . ـ أمَ اخْشى ؟ فقبلَ اليوم أُوعدت بالقتل[2]
كلانا بكى ، أو كاد يبْكي ، صَبابةً ـ إلى إلْفِه ؛ واستَعْجلَتْ عَبْرَةٌ قبلي .
فلو تركتْ عقلي معي ما طلبتُها . ـ ولكنْ طِلابيها لِمَا فاتَ من عقلي .
فيا ويحَ نفسي ، حَسْبُ نفسي الذي بها . ـ ويا ويحَ أهلي ! ما أُصيبَ به أهلي .
أجَدِّيَ ، لا ألْقى بُثَيْنَةَ مرةً ـ من الدهرِ إلا خائفاً أو على رَحْل[3] .
خَليليَّ ، فيما عِشْتُما ، هل رأيْتُما ـ قتيلاً بكى من حُبِّ قاتلِه قبلي ؟

٤ — ديوان جميل شاعر الحبّ العُذري (جمع وتحقيق حسين نصّار) ، مصر (مكتبة مصر) بعد ١٩٦٠ م .
ديوان جميل شاعر الحبّ والجمال ، القاهرة ، بلا تاريخ .
ديوان جميل بثينة (بشير يموت) ، بيروت (المكتبة الأهلية) ١٣٥٣هـ=١٩٣٤م .
ديوان جميل بثينة (بطرس البستاني) ، بيروت (صادر) ١٩٥٣ م .

• العشّاق الثلاثة : جميل وكثيّر وعبّاس فوز ، تأليف زكي مبارك ، مصر ١٩٤٥م .
راجع في « جميل بثينة وشعره »

Gamîl al — Udrî, Studio critico e recolta dei frammenti, per Francesco Gabrieli (Estratto dalla « Rivista degli Studi Orientali . », Volume XVII) , Roma 1937 .

بروكلمان ١ : ٤٤ ، الملحق ١ : ٧٨ — ٧٩ ؛ زيدان ١ : ٣٢٢ — ٣٢٤ .

أعشى همدان

١ — هو أبو المُصبِّح عبد الرحمن بن عبد الله بن الحارث من بني هَمْدان ابن مالك بن زيد بن نِزار من بني مالك بن زيد بن كَهْلان .

---

١ مهلا : كفى اندفاعاً ، فكر في أمرك . ما بي من مهل : ما بي أو ما لي صبر ، لا أطيق الانتظار .
٢ الحلم : التعقل .
٣ إلا على رحل : إلا أنا على سفر (لا أجد وقتاً كافياً أتمتع فيه بلقائها) .

كان أعشى هَمْدان في أول أمره أحد الفقهاء القُرّاء [1] ثم ترك ذلك وأصبح من الخطباء والشعراء العلماء وممن يتنافر اليهِمُ الاشراف [2] . وقد كان من أهل الكوفة جاراً وصديقاً لخالد بن عتّاب بن ورقاء الرياحي . ويبدو أن خالد بن عتّاب كان طموحاً إلى المناصب فكان يقول لأعشى همدان : إن صارت لي ولايةٌ رفعتُك فوق الناس وأعطيتك خاتمي تقضي به حاجاتِهم .

وفي خلافة مروانَ بن الحكم (٦٤ – ٦٥ هـ) خرج أعشى همدان إلى الشام ومدح النعمان بن بشير الانصاري عامل حمص ، فأشار النعمان بن بشير إلى اليمانية في حمص بأن يُعْطِيَه كل واحد منهم ديناراً ففعلوا ، فكان ما وصل إلى الأعشى عشرين ألفَ دينار .

ثم ان خالد بن عتّاب تولّى الحرب في المشرق من قِبَلِ الحجّاج بن يوسف ؛ فذهب أعشى همدان معه ؛ ولكنّ خالداً جفاه وفضّل غيره عليه في العطاء والجائزة فهجاه الأعشى ورَجَعَ إلى الكوفة .

ولمّا أرسل الحجّاج بن يوسف جيشاً إلى قتال الدَيْلم (شمال بحر قزوين) أرسل فيه أعشى همدان فأُسر هنالك ، ولكنّ ابنةَ العِلْج الذي أسره هَوِيَتْه ثم أطلقت سَراحه وهرَبت معه . وكان أعشى همدان في الجيوش التي غزت في المشرق ووصلت إلى مَكْران (جَنوب الأفْغان) . وطال مكثه في مكران فكرهها وشكا من حرّها ، وكانت سِنّهُ في ذلك الحين قد زادت على خمسين [3] . وكذلك كان قد كره الاقامة في أصفهان .

وكان عبد الرحمن بن الاشعث من قوّاد الحجّاج ثم ثار عليه سنة ٨١ هـ (٧٠٠ م) فانضم أعشى همدان إلى ابن الاشعث ومدحه وهجا الحجّاج . فلمّا انهزم ابن الاشعث في معركة دير الجماجم (٨٢ هـ = ٧٠١ م) وهرب أُسِرَ جماعة من أصحابه فجِيءَ بهم إلى الحجّاج وفيهم أعشى همدان فقتله الحجّاج سنة ٨٣ هـ (٧٠٢ م) في الاغلب . أما ابن الاشعث فقتل بعد ذلك بقليل .

٢ – أعشى هَمْدانَ شاعرٌ فَحلٌ مُكثِر طويلُ النَفَسِ مُتَصَرِّفٌ في

---

١ راجع غ ٦ : ٣٣ . – القراء هم الذين يحفظون القرآن الكريم .

٢ البيان والتبيين ١ : ٤٨ . – يتنافرون اليه : يأتون اليه ليحكم بينهم في خلافاتهم .

٣ راجع غ ٦ : ٣٨ ، السطر العاشر (البيت الرابع من القصيدة) .

فنون الشعر ، له مديح جيّد ، وله أشعار في الحماسة والعِتاب والهِجاء والغَزَل والحِكمة والزُهد ؛ وفي شعره شيء من المَرَح ، وربّما تَمَلّحَ فأدخلَ الكلمةَ الأعجميةَ في شعرِه [1] . وقد كان شاعرَ أهلِ اليمنِ في الكوفة . ثم هو أيضاً من الخطباء ومن العلماء والفُقها [2] .

٣ ـ المختار من شعره :

ـ قال أعشى هَمْدانَ يمدح عبدَ الرحمن بن الأشعث ويُعَرِّضُ بالحجّاج ، وكان ابن الأشعث قد بعث جيشاً لقتال الحجّاج بقيادة عطية بن عمرٍو العَنْبري فهزم الحَمَلاتِ التي بَعَثَ بها الحجّاج اليه :

يا ابنَ الأشَجِّ قريعِ كِنْـ ـدَةَ ، لا أبالي فيك عَتْبا [3] .
أنت الرئيس ابن الرئيـ ـس ، وأنت أعلى الناس كَعْبا .
نُبِّئْتُ حَجّاجَ بنَ يوسـ ـفَ خرّ من زَلَقٍ فتَبّا [4] .
فانْهَضْ ـ فُدِيتَ ـ لعلّه يجلو بك الرحمنُ كربا .
وابعث عَطيّةَ بالخيو لِ يَكُبُّهنّ عليه كَبّا .

ـ وقال لما كان في مَكْران (وهي ترد في شعره بالكاف المشدّدة) قصيدة وجدانية فيها غزل وحماسة ووصف . فمما قاله في هذه القصيدة :

طلبتَ الصبا إذ علا المَكْبَرُ ، وشاب القَذال وما تُقْصِرُ [5] .
وبَانَ الشبابُ ولذّاته ، ومثلُك في الجهل لا يُعْذَر .
وفي أربعينَ تَوَفَّيْتَها وعَشْرٍ مضت لِيَ مُسْتَبْصَر .
وموعظةٌ لامرىءٍ حازمٍ إذا كان يَسْمع أو يَبْصِر .

---

١ راجع البيان والتبيين ٤ : ٥٠ .
٢ البيان والتبيين ١ : ٤٨ .
٣ الاشج : الاشعث بن قيس الكندي جد عبد الرحمن (بن محمد) بن الاشعث . القريع : السيد .
٤ الزلق : المزلق عموماً ؛ وعجز الدابة ، والسقوط من على مؤخرة الدابة فيه خطر وفيه صورة من التهكم . تب : هلك .
٥ كبر كبراً ومكبراً : طعن في السن ، شاخ . القذال : مؤخر الرأس ، وهو آخر ما يشيب من شعر الرأس. أقصر : رجع عن الجهل وأفعال الصبا .

فلا تأسفنّ على ما مضى ، ولا يحزننّك ما يُدبر ؛

فإنّ الحوادثَ تُبْلي الفتى ، وإن الزمانَ بـه يَعْثُـر :

فيومـاً يُساء بمـا نابـهُ ، ويومـاً يُسرّ فيَسْتبْشِر .

وما كنتُ في الحربِ ،إذْ شمّرت، كمَنْ لا يُذيبُ ولا يُخْثِر [1] .

ولكنّني كنت ذا مِـرّة عَطوفاً إذا هتف المحجر [2] .

أجيبُ الصَريخ إذا ما دعا ، وعند الهياج أنا المِسْعَرُ [3] .

فأن أمْسِ قد لاح فيّ المشيـ ـب ، أمَّ البنينَ ، فقد أذْكُرُ

رَخاءً من العيش كنّا به إذ الدهر خالٍ لنا مُصْحِرٍ [4] ،

وإذ أنا في عُنْفُوانِ الشبا ب يُعْجبني اللهو والسُمّرُ [5] ،

أصيدُ الحِسانَ ويَصْطَدْنَني ، وتُعْجبني الكاعبُ المُعْصِر .

وبيضاءَ مثلَ مَهاةِ الكَثيـ ـب لا عَيْبَ فيها لمن ينظر [6] .

كأنّ جَنى النحل والزَنْجَبيـ ـلَ والفارسيّةَ [7] إذ تُعصر .

يُصَبّ ، على بَرْدِ أنيابها، مُخالطُه المِسكُ والعَنْبر .

فتورُ القِيام ، رخيمُ الكلا م يُفَزّعها الصوت إذ تُزْجَر .

فتلك التي شَفّني حبّها وحَمّلني فوق ما أقدِر .

فلا تَعْذُلانيَ في حبّها ، فإنّي بمعذرةٍ أجدر .

ولم تكن من حاجتي مُكّران* ولا الغزوُ فيها ولا المَتْجر .

وخُبّرْت عنها ، ولم آتِها ، فما زِلتُ من ذِكرِها أذْعَر :

---

١ شمرت : اشتدت . لا يذيب ولا يخثر (يجمد) كناية عن الحيرة والتردد .

٢ المرة : الشدة والقوة . عطوفاً (بحصاني إلى نجدة) المحجر (لعلها بضم الميم وفتح الجيم : الذي حصر في المعركة واشتد ضيقه) إذا هتف (نادى ، استنجد) .

٣ الصريخ : المناداة بالحرب . الهياج : الحرب . المسعر : موقد النار ومضرمها (أنا الذي أحفظ على المحاربين حميتهم في أثناء المعارك) .

٤ مصحر : متسع وبعيد عن الناس (الرقباء) .

٥ السمر (بتشديد الميم) جمع سامر : الساهر بالليل للحديث .

٦ المهاة : الظبية . الكثيب : تلة الرمل .

٧ الخمر . * كذا في الاغاني (٦ : ٤٠) بضم الميم .

بأن الكثير بها جائع ، وأن القليل بها مُقْتِر [1] ،
وأن لِحَى الناسِ من حرّها تطولُ فتُجلَمُ أو تُضْفَر [2] .
وحُدِّثْتُ أنْ ما لنا رجعةٌ سنينَ ومن بعدِها أشهر .
وما كان بي من نشاطٍ لها ، وإني لَذو عُدّةٍ مُوسِر [3] .
ولكن بُعِثْتُ لها كارهاً ، وقيل : انطلقْ ، كالذي يُؤمر .

— كان خالد بن عتّاب بن ورقاء الرياحي عاملاً للحجّاج على الريّ (خُراسان) . وقد كان له أثر عظيم في حرب الخوارج ، وهو الذي قَتَلَ غَزالةَ امرأة شَبيبِ بن يزيدَ الخارجي الشّيباني ، وكانت غزالةُ هذه قد هَزَمَت الحجّاج . وهذه الأبيات لِأعشى هَمْدان في مديح خالد بن عتّاب بن ورقاء (البيان والتبيين ٣: ٢٣٦ — ٢٣٧) :

رأيتُ ثناءَ الناس بالغَيْب طَيِّباً عليكَ ، وقالوا : ماجدٌ وابن ماجدِ .
بني الحارثِ السامين للمجدِ ، إنّكم بَنَيْتُمْ بِناءً ذكرُهُ غير بائد .
هَنيئاً لِما أعطاكُمُ الله ، وَاعلَموا بأنّي سأُطْري خالداً في القصائد .
فإنْ يكُ عتّابٌ مضى لِسَبيلهِ [4] ، فما مات من يبقى له مثلُ خالد !

٤ — ** الاغاني ٦ : ٣٢ — ٦٢ ؛ بروكلمان ١ : ٥٩ — ٦٠ ؛ الملحق ١ : ٩٥ .

أبو جِلْدَةَ اليَشْكُري

١ — هو أبو جِلْدَةَ * بن عُبيد بن مُنْقِذ بن حُجْر بن عُبيد الله بن

١ مقتر : فقير .
٢ تجلم : تقص بالجلم (بفتح الجيم واللام : المقص) .
٣ نشاط : رغبة . العدة : العدة للدهر (المال المجموع استعداداً للطوارئ) . موسر : غني .
٤ مضى لسبيله : مات . كان عتاب بن ورقاء قد قتل في حرب الخوارج ، قتله شبيب بن يزيد الشيباني .
* في القاموس (١ : ٢٨٤) : وسمى العرب جلدة (بكسر الجيم) . وفي حاشية لمحققي كتاب الاغاني (١١ : ٣١٠) أن هذا الاسم ورد في أصول الاغاني بالكاف : أبو كلدة ، ثم صحح من كتب التاريخ وكتب الأدب . وفي كتاب الكامل للمبرد : أن أبا الجلد اليشكري كان كارهاً ومخالفاً لنافع بن الازرق ولأتباعه الخوارج ، وأنه قال لنافع ، سنة ٦٤ هـ (٦٨٣ — ٦٨٤ م) : « يا نافع ، ان لجهنم سبعة =

مَسْلمة من بني جُشم بن غُنم من بني يَشْكُرَ بن بكرٍ بن وائل ، من أهل الكوفة . وكان أبو جِلْدَةَ صاحبَ شرابٍ مُولَعاً بالخمر يُنْفق فيها كلَّ ماله فنشأ فقيراً صُعْلوكاً .

قال الاصفهاني (١١ : ٣١٠) : أبو جلدة « من ساكني الكوفة » . وفي الاغاني أيضاً (١١ : ٣١٣) : « كان أبو جلدة مع القَعْقاع بن سُويد المِنْقَريّ في سِجِسْتان » . فلمّا تولّى القعقاعُ سِجستانَ ولّى أبا جلدة على بُسْتَ والرُّخَج (١١ : ٣١٨) . والملموح من كتاب الاغاني أن ابا جلدة سكن سجستان ثم طال مكثه فيها [١] .

ويبدو ان أبا جلدة عاد فيما بعد إلى الكوفة واتّصل بالحجّاج وكان في بِطانته ومن خَواصّ اصدقائه وجُلَسائه . ثم انه انقلب على الحجاج وشايع عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث في الثورة على الحجّاج . وفي يوم (معركة) الزاوية [٢] كان أبو جلدة من أشدّ المُحَرّضين على قتال الحجّاج . فلمّا انهزم ابن الاشعث سنة ٨٣ هـ (٧٠٢ م) ، كان أبو جلدة في الذين قتلهم الحجّاجُ [٣] .

٢ – أبو جلدة اليشكري شاعرٌ وُجدانيٌّ له قصيد ورجَز ، وشعره فصيحٌ سَهْل . أما فنونه فهي المديح والهجاء ، وكان ممن هاجى زِياداً الأعجم . وقد كانت له براعة في وصف الخمر ، وخصائصه في وصفها قريبة جداً من الخصائص المُحْدَثة ، وخصوصاً في النديم ومعاملة النديم إذا سَكِرَ وخرج به السُّكْرُ عن طَوْره ، مما عرَفْناه فيما بعدُ في شعر أبي نواس . ولأبي جلدة أيضاً شيء من الغزل والحكمة .

= أبواب ، وان أشدها حراً الباب الذي أعد للخوارج ؛ فان قدرت ألا تكون منهم فافعل » (الكامل ٦٠٩ ، راجع ٥٦٦) . في « سيرة ابن هشام » (غوتنجن ١٨٥٨) ص ٦١ : ابو خلدة (بفتح الخاء واللام) اليشكري .

١ راجع الاغاني ١١ : ٣١٧ ، ٣٢١ ، ٣٢٩ .

٢ الزاوية : موضع قرب البصرة . ويوم الزاوية : معركة كانت بين الحجاج وبين الخوارج ، سنة ٨٣ هـ (٧٠٢ م) .

٣ غ ١١ : ٣١٠ . وفي كتاب الشعر والشعراء (ص ٤٥٩) أن أبا جلدة « مات في طريق مكة » .

٣ – المختار من شعره :

– قال أبو جِلْدَةَ اليشكريّ في الرِفق بالنديم (الشعر والشعراء ٤٦٠ ؛ غ ١١: ٣٢٨ – ٣٢٩) :

أبى اللهُ أن أَلْحَى نـديمي إذا انتشى ... وقال كلاماً سيّئاً لي على السُكْرِ [١].
وَقاري وعِلْمي بالشّراب وأهلِه ؛ ... وما نادمَ القومَ الكِرامَ كذي الحِجْرِ [٢].
فلستُ بِلاحٍ لي نَديماً بزلّـةٍ ... ولا هَفْوةٍ كانت ونحن على الخمر.
عرّكْتُ بجَنْبي قولَ خِدْني وصاحبي ... ونَحْنُ على صَهْباءَ طيّبةِ النّشر [٣] .
فلمّا تمادى قُلتُ : «خُذْها عَريقةً ؛ ... فإنك من قومٍ جحاجحةٍ زُهْر» [٤] .
وما زِلْتُ أسْقيهِ وأشْرَبُ مِثْلَما ... سَقَيْتُ أخي،حتّى بدا وَضَحُ الفَجْر [٥].
وايْقَنْتُ أنّ السّكْرَ طار بلُبّهِ ... فأغْرقَ في شَتْمي وقال ما يَدْري !
ولاكَ لِساناً كان – إذ كان صاحِياً – ... يُقَلّبُه في كلّ فَنٍّ من الشِعر [٦] .

– في الاغاني (١١ : ٣١٩) : مرّ أبو جِلْدَةَ بِقَصْرٍ من قصورِ بُسْتَ يَنْزِلُه رجلٌ من الدهاقين [٧] ، فرأى ابْنَةَ الدهْقانِ تُشْرِفُ من أعلى القصر فقال :

---

١ ألحى : أشتم . على السكر : في حال السكر .
٢ – (هذا راجع إلى) وقاري (رويّتي وتعقلي) وعلمي بالشراب وأهلـه (ومعرفتي بالخمر واترها وبحال نفر من الناس إذا شربوا الخمر) . الحجر : العقل . – وما يصلح نديما للناس الكرام (الذين تطرأ عليهم أحوال غريبة إذا سكروا) إلا الرجل العاقل .
٣ عركت بجنبي قول خدني : أغضيت ، سكت عن الكلمة القبيحة التي يتفق أن يوجهها إلي خدني وصاحبي . الخدن : الذي يصاحب الآخرين في كل أمر ظاهر وباطن . النشر : الرائحة .
٤ لما تمادى (بـه السكر فتمادى هو) في الاساءة إلي (من أثر السكر) قلت (له) خذهـا (خذ هـذه الكـأس من الخمر مرة ثانية – من غير أن أحاسبه عـلى الاساءة) . عريقـة : قديمة (كريمة الأصل) . فانك (أنت أيضاً) من قوم جحاجحة (سادة ، زعمـاء في أقوامهم) زهر : بيض (ذوي أحساب وأنساب كريمة).
٥ وضح الفجر : ضوء الفجر .
٦ لاك لساناً ، أخطأ اللفظ بلسانه (عسر على لسانه النطق الصحيح الواضح) ، وكان هذا اللسان نفسه (حينما يكون هو صاحياً) يأتي بأفانين (جميلة) من الشعر .
٧ الدهقان : الرجل الفارسي إذا كان صاحب أراض واسعة .

إنّ في القصرِ ذي الحِبا بَدْرَ تِمٍّ حَسَنَ الدَّلِّ للفؤادِ مُصيبا [1] ،
وَلِعاً بالخَلوقِ ، يأرَجُ منه ريحُ نَدٍّ إذا استَقَلَّ مُنيبا [2] .
يَلْبَسُ الخزَّ والمَطارِفَ والقَزَّ وعَصْباً من اليَماني قَشيبا [3] .
وَرأيْتُ الحبيبَ يُبْرِزُ كَفّاً ما رآه المُحِبّ إلاّ خَضيبا [4] !

– خطب أبو جلدة امرأةً من بني عِجْلٍ يقال لها خَليعةُ بنتُ صَعْبٍ فأبت أن تتزوّجَه وقالت له : أنتَ صُعْلوكٌ فقير لا تحْفَظُ مالاً ولا تُلْفي [5] شيئاً إلاّ أنفقتَهُ في الخمر . ثم تزوّجتْ غيره . فقال أبو جلدة يبرّر إسرافَه في المال (غ ١١ : ٣٢٠) :

لمّا خَطَبْتُ إلى خليعةَ نفسَها قالت خليعةُ : « لا أرى لكَ مالا ! »
أوْدى بمالي ، يا خليعَ ، تَكَرُّمي وتَخَرّقي وتَحَمّلي الأثْقالا [6] .
إنّي ، وَجَدِّكِ ، لو شَهِدتِ مَواقفي بالسَّفْحِ – يومَ أجَلّلُ الأبْطالا [7]
سَيْفي – لَسَرّكِ أن تكوني خادِماً عِندي ، إذا كَرِهَ الكُماةُ نِزالا [8] .

---

١ ذو الحبا = ذو الحباء : الذي لا يطلع أحد على داخله . بدر تم : القمر ليلة تمامه وكمال استدارته . حسن الدل : جميل الدلال والغنج (أعماله وسلوكه كلها محببة إلى نفس محبه) . للفؤاد مصيباً : يصيب القلب بلحظاته (يوقع الناس في حبه) .
٢ ولعاً (مولعاً) بالخلوق (الطيب) : يكثر من التطيب . يأرج منه : ينتشر منه . ريح : رائحة الند : نوع من الطيب ، العنبر . استقل (نهض) منيباً (راجعاً) . – المقصود : كلما تحرك فاحت منه رائحة طيبة .
٣ الخز : ثياب تنسج من ابريسم (حرير) خالص أو من ابريسم مخلوط بالصوف . القز : الحرير الطبيعي على الحال التي يستخرج عليها من الصلجة (بضم الصاد : الشرنقة) . المطارف جمع مطرف (بضم الميم وسكون الطاء وفتح الراء) : رداء (ثوب يلبس فوق غيره ، فوق سائر الثياب) من خز مربع : عرضه كطوله (؟) ذو أعلام (جمع علم بفتح العين واللام : رسم ، أو شكل أو صورة). عصب من اليماني : برد (بضم الباء : ثوب مخطط من حرير) من صنع اليمن . القشيب : الجديد النظيف .
٤ ..... ما رآها المحب إلا خضيباً (مخضوبة : مصبوغة بالحناء ، حمراء اللون – فكأنها مخضوبة من دمه) . المعنى الملموح : ما رأى أحد هذه المرأة إلا مات بحبها .
٥ تلفي : تجد ، تكسب .
٦ أودى بمالي : أهلكه ، ذهب به ، أفناه . التخرق : التوسع في السخاء ، الكرم الكثير (القاموس ٣ : ٢٢٦ ، السطر الأخير) . تحمل الاثقال : القيام عن العشيرة أو الاسرة بما يترتب عليها من واجبات تعجز (بفتح التاء وكسر الجيم) هي عنها .
٧ – ٨ وجدك : وحقك (قسم ، يمين) . لو شهدت (أبصرت ، حضرت) مواقفي (ثباتي في القتال) =

٤ – • الاغاني ١١ : ٣٠٩–٣٣٢ ؛ زيدان ١ : ٣٢١ .

عِمران بن حِطّان

١ – هو أبو شِهاب[١] عِمران بن حِطّان بن ظُبيان من بني سَدوس بن شَيبان من بَكْر بن وائل ، وأصله من البصرة . وكان عمران رجلاً ضَرْباً (خفيف اللحم) طويل القامة أزرق العينين .

كان عِمران بن حِطان في أول أمره من أهل السّنة والجَماعة ، ولمّا تقدّمَتْ به السِنّ انتَقَلَ إلى مذهب الخوارج : قيل إنه تزوجَ امرأة من الخوارج ورجا أن يردّها إلى مذهب أهل السنّة فنقلته هي إلى مذهب الخوارج . في ذلك الحين كان عمران قد عَجَزَ عن خوض الحروب فقَعَدَ عن الحرب وأخذ يَنْصُرُ الخوارجَ بلسانه . وفي سنة ٧٥ ه (٦٩٥ م) تولّى الحجّاج بن يوسفَ البصرة فطلب عِمرانَ ، فهرب منه عِمرانُ إلى الشام مُتَخَفّياً ونزل ضيفاً على رَوح بن زِنْباع أحد قوّاد الجيش الأمويّ . فلمّا انكَشَفَ أمره هرب إلى قَرْقيسيا ونزل على زُفَرَ بن الحارثِ الكِلابيّ . ثُمّ انكَشَفَ أمره لِزُفَرَ أيضاً فهرب إلى عُمانَ . وعُرِفَ بعد ذلك في عُمانَ فجاء إلى روذميسان قرب الكوفة ، حيث تُوفِّيَ سنة ٨٤ ه (٧٠٣ م) .

٢ – عمران بن حِطّان من التابعين وقد رَوَى الحديثَ عن نفر من الصحابة . وكان أيضاً من علماء الخوارج وخطبائهم ومُفتيهم وشعرائهم[٢] . وخطب عِمران خطبته الأولى في أيام زِيادِ بن أبيه (وقيل في أيام عُبيد الله بن زياد) فكانت

– أجلل الابطال سيفي (سيفي مفعول به من الفعل « أجلل » في البيت السابق) : أعلوهم بسيفي ، أقتلهم . الكماة جمع كمي (بفتح الكاف وكسر الميم وتشديد الياء) : البطل ، الشجاع التام السلاح . النزال : تضارب الفارسين وهما على خيلهما . – يجب أن يكون نسق البيتين : ..... لو شهدت مواقفي يوم معركة السفح التي كره الكماة القتال فيها (لشدتها وهولها) وأنا أقتل الابطال بسيفي امرك أن تكوني عندي خادماً (خادمة) لا زوجة فقط !

١ البيان والتبيين ٣ : ٢٦٥ .

٢ راجع الكامل ٥٣٠ ، ٥٩٥ ؛ البيان والتبيين ١ : ٤٧ ، ٣٤٦ ، ٣ : ٢٦٥ .

خطبةً بارعة من كل جانب حتى قال بعض من سمعه [1] : « هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن » . أما شعره فكان وجدانياً يجري على الاسلوب القديم متفاوتاً في الجودة . والفنّ الأساسيّ عنده هو الأدب (الحكمة) ثم المدح والهجاء اللذان يجريان مجرى الحكمة ، وشيء من الرثاء [2] .

وكان عِمران بن حِطّان لا يحبّ الشعراء المدّاحين (للتكسّب) وقد لامَ الفرزدق على ذلك [3] . على أن مديح عِمران بن حِطّان ليس من هذا الباب ، قيل إن امرأته قالت له : « أما زعمت أنك لم تكذب في شعر قطّ ؟ » قال : « أو فعلتُ ؟ » قالت : « أنت القائل [4] :

فهناك مجزأة بن ثـــو ر كان أشجع من أسامه ،

أفيكون رجل أشجع من الاسد [5] ؟ » فقال (عمران) : « أنا رأيت مجزأة [6] فتح مدينة ، والاسد لا يفتح مدينة ! »

٣ – المختار من آثاره :

– قال عِمران بن حِطّان يذكر عبد الرحمن بن مُلْجِمٍ قاتلَ الامامِ عليّ ابن أبي طالب :

يا ضَرْبَةً من كريمٍ ما أراد بها إلاّ ليَبْلُغَ من ذي العرش رِضْواناً .
إني لأَفكُرُ فيه ثم أحْسَبُهُ أوْفى البَرِيّةِ عند اللهِ ميزاناً .
لله دَرّ المُراديِّ الذي سفَكَتْ كَفّاهُ مُهْجَةَ شرّ الخلقِ إنسانا [7] .
أمْسى عَشِيّةَ غَشّاهُ بضَرْبَتِه مما جَناه ، من الآثام ، عُريانا !

---

١ البيان والتبيين ١ : ١١٨ ، ٢ : ٦ .
٢ راجع الكامل ٥٣٠ ، ٥٩١ – ٥٩٢ .
٣ الكامل ٣٥٤ ؛ راجع المختار من شعر عمران بن حطان .
٤ الكامل ٣٥٤ = ٥٠٦ .
٥ أسامة : من أسماء الاسد .
٦ كان مجزأة بن ثور من ابطال المسلمين جعله عمر بن الخطاب رئيساً على بني بكر ثم أقره عثمان بن عفان على ذلك . وقتل في شستر (بضم الشين وفتح التاء) في فارس .
٧ المهجة : دم القلب . المرادي : عبد الرحمن بن ملجم (هو من بني مراد) .

– لمّا انكشف أمر عِمران بن حِطّان عند رَوْح بن زُنباع ورَغِبَ عبدالملك ابن مروان إلى رَوْح أن يستدرِج عِمران لزيارةِ عبد الملك ، فَطِنَ عِمران للحيلة وهرب بعد أن ترك رُقعة فيها :

يا رَوْحُ ، كم من أخي مَثْوىً نزَلْتَ به قد ظنَّ ظنَّك من لَخْمٍ وغَسّانِ .
حتّى إذا خِفْتَه فارقتُ منزلَه من بعد ما قيل : عِمرانُ بنُ حِطّان !
قد كنت ضَيْفَك حَوْلاً لا تُروّعُني فيه الطوارقُ من إنسٍ ومن جان [1] ،
حتّى أرَدتَ بِيَ العُظْمى فأوحَشني ما أوْحَشَ الناسَ من خوفِ ابنِ مروان [2] .
فاعذُرْ أخاك ، ابنَ زُنْباع ، فإنَّ له في الحادثات هَناتٍ ذاتَ ألوان [3] :
يوْماً يَمانٍ اذا لاقيْتُ ذا يَمنٍ ، وان لَقيتُ مَعَدِيّاً فعَدْناني [4] .
لو كنتُ مُسْتَغْفِراً يوماً لطاغيَةٍ ، كنتَ المُقَدَّمَ في سِري وإعلاني .
لكنْ أبَتْ لِيَ آياتٌ مُطَهّرَةٌ عند التِلاوةِ في طَه وعِمران [5] .

– مرّ عِمران بن حطّان على الفرزدق وهو ينشد الناس ، فوقف عليه ثم قال :

أيّها المادحُ العِبادَ لِيُعْطى ، إنّ لله ما بأيْدي العِبادِ .
فاسْألِ اللهَ ما طَلَبْتَ إليهِمْ ، وارْجُ فضلَ المُقَسِّمِ العَوّاد .
لا تَقُلْ في البخيلِ ما ليس فيه ، وتُسَمّي البخيلَ بِاسْمِ الجَواد .

– لما ظَفِرَ الحجّاجُ بعمرانَ قالَ : اضْربوا عُنُقَ ابْنِ الفاجرة . فقال عِمران :

لَبِئْسَ ما أدّبَكَ أهلُك ، يا حَجّاجُ ! كَيْفَ أمِنْتَ أن أجيبَك بما

---

١ حولا : عاماً . لا تروعني الطوارق : لا تخيفني الحوادث المفاجئة (لم ينكشف أمري) .
٢ ابن مروان : عبد الملك بن مروان . العظمى : النازلة العظمى : الموت أو القتل .
٣ ابن زنباع هنا منادى : يا ابن زنباع ! هنات (بفتح الهاء جمع هنة) : خصال (بكسر الخاء) شر . ذات ألوان : أتلون فيها (أتقلب من حال إلى حال) .
٤ يوماً يمان : أدعي يوماً أنني من اليمن (من عرب الجنوب) . معدي : رجل من معد (عرب الشمال) ، – إذا لقيت رجلا من عرب الشمال قلت له : أنا عدناني (عدنان هو الجد الاعلى لعرب الشمال) .
٥ طه وآل عمران سورتان من سور القرآن الكريم ، رقم ٢٠و٣ في المصحف .

لَقيتَني به ؟ أبعْدَ الموتِ منزلةٌ أصانعُك عليها ؟

فأطرقَ الحجّاجُ استحياءً وقال : خلّوا عنه . فخرج (عِمرانُ) إلى أصحابه ، فقالوا : واللهِ ، ما أطلقكَ إلاّ اللهُ ، فارْجِعْ إلى حربه معَنا . فقال :

هيهاتِ ، غلّ يداً مُطلِقُها ، وأسرَ رقبَةً مُعتِقُها .

٤ — ** الاغاني (بولاق) ١٦ : ١٥٢ وما بعدها (طبعة الساسي) ١٦ : ١٤٦ وما بعدها ؛ الكامل ٥٣٠ — ٥٣٥ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٣ ؛ زيدان ١ : ٣١٨ — ٣١٩ .

أبو حُزابة التميميّ *

١ — هو أبو حُزابة الوليد بن حنيفة أحدُ بني ربيعةَ بن حنظلةَ بن مالكِ ابن زيدِ مناةَ بن تميمٍ .

كان أبو حُزابةَ لا يزال غُلاماً حدَثاً لمّا جعَلَ مُعاويةُ بن أبي سُفيانَ ابنَه يزيدَ وليّاً للعهد [١] ، ولعلَّ مولِدَه كان ، من أجل ذلك ، في سنَة ٤٠ هـ (٦٦٠ م) أو قبلَ ذلك بقليل . وكذلك كان أبو حُزابةَ من أهل البادية ، ثم بدا له أن ينزِلَ في الحضَر فاختارَ أن يسكُنَ البصرةَ . ثمّ إنّه اكتتبَ في الديوان [٢] فضُرِبَ عليه البعْثُ (أرْسِلَ في الجيش) إلى سجِستانَ . وأقام أبو حُزابةَ في سِجِستانَ مدةً طويلةً ثم عاد إلى البصرة في أيام فتنة ابنِ الزّبير [٣] .

لمّا ثارَ عبدُ الرحمنِ بن محمّد بن الأشعَثِ على عبد الملك بن مروان ، في

---

* في القاموس (١ : ٥٤) : « وابو حزابة (بالضم) الوليد بن نهيك (بفتح النون) ...

١ بايع معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد بولاية العهد سنة ٥٦ هـ (٦٧٦ م) .

٢ طلب تسجيل اسمه في ديوان الجند (في الجيش) بعطاء (براتب معين) .

٣ بدأت فتنة (ثورة) ابن الزبير على يزيد بن معاوية سنة ٦١ هـ (٦٨٠ م) وادعى الخلافة ، ثم قتل سنة ٧٣ هـ .

شهر ذي الحِجّة من سنة ٨٠ هـ (كانون الثاني – يناير ٧٠٠ م) ، اشْتَرَكَ أبو حُزابة في تلك الثورة . ويَظُنّ الأصفهانيّ [١] أن أبا حُزابةَ قُتِلَ مَعَ ابن الاشعث ، سنة ٨٥ هـ (٧٠٤ م) ، وقيل في السنة التي سبقتها [٢] .

٢ – أبو حُزابة شاعر وراجزٌ مقتدر ، فصيحُ الألفاظِ جزْلُ الكلام متين التركيب بَدَوِيّ النَفَس . وقد يَلِينُ شعرُه ويَعْذُبُ في وصفِ الخمرِ وفي بعض العِتاب والهجاء ، وربّما أقذَعَ في الهِجاء إقذاعاً شديداً . وله شيء من الرثاء .

٣ – المختار من شعره :

– مدح أبو حزابة عبدَ الله بن عليّ العَبْشَمِي (ابن كُرَيز) والي سِجِسْتان فلم يُثِبْهُ عبدُ الله بشيء فقال يهجوه (في هذه القصيدة شيء من وصف الخمر ومن الحماسة) :

هَبّتْ تُعاتِبُني أُمامَةُ في السَّماحةِ والفِضال [٣] ،
وأبَيْتُ عند عِتابِها إلاّ خَلائِقَ ذي النّوال [٤] .
أُعْطي أخي وأحوطُهُ جُهْدي ،وأبْذُلُ جُلّ مالي [٥] ،
وأقِيهِ عندَ تَشاجُرِ الأبْطالِ بالأَسَلِ النِّهال [٦] ،
حِفْظاً له ورِعايةً للخالياتِ من الليالي [٧] :

---

١ الاغاني (طبعة الساسي) ١٩ : ١٥٢ ، السطر الثاني من أسفل .
٢ الطبري (المطبعة الحسينية المصرية) ٨ : ٣٩ (أول أخبار سنة ٨٥ هـ) ، راجع ٨ : ٤٢ ، السطر الثالث : « وقد قيل إن مهلك عبد الرحمن بن محمد (بن الاشعث) كان في سنة ٨٤ هـ .
٣ السماحة : الجود ، الكرم . الفضال (بكسر الفاء) : التفاضل ، التمازي (القاموس ٤ : ٣١) : الرغبة في أن يكون فوق غيره في الفضل مازياً أو متمازياً (مخالفاً لهم ، بعيداً عنهم) : فوق أمثاله من الناس (في الكرم) .
٤ ذو النوال (العطاء) : المعروف بالكرم المشهور .
٥ حاطه : صانه وتعهده . جهدي : غاية ما أقدر عليه ، أقصى ما أستطيع . وأبذل : أدفع ، أعطي (في سبيل ذلك) جل (معظم) مالي .
٦ أقيه : أحميه ، أدافع عنه . تشاجر الابطال (اشتباكهم ، اختلاطهم في القتال ، عند شدة القتال) . الاسل جمع أسلة (بفتح الهمزة وفتح السين) الرمح . النهال : المرتوية (كناية عن الحرب إذا طالت وكثر فيها جريان الدم حتى ارتوى كل رمح) .
٧ رعاية الخاليات من الليالي : وفاء لما كان بيننا من الاخاء في الزمن الماضي .

إذ نحن نشرب قهوةً : دِرياقةً كَدَمِ الغزال [1]
حمراءَ يُذهِبُ ريحُها ما في الرؤوس من الخَبال [2] .
وإذا تُشَعْشَعُ في الأنا ءِ رَمَتْ أخاها باغْتيال [3] .
وعلا الحَبابُ فخِلْتَه عِقداً يُنَظَّمُ من لآل [4] .
تَشْفِي السقيمَ بريحِها ، وتُميتُه قبلَ الأجال [5] .
تلك التي تركتْ فؤا دَ أبي حُزابةَ في ضلال .
لا يَسْتفيق ولا يُفيـ قُ ، يشوقها في كلّ حال [6] .
وإذا الكُماةُ تنازلوا ومشى الرجالُ إلى الرجال [7] ،
وبَدَتْ كَتائبُ تَمْتري مُهَجَ الكتائبِ بالعوالي [8] ،
فأبو حُزابةَ عند ذا ك أخو الكَريهة والنِزال [9] :

---

١ القهوة : الخمر المطبوخة بالنار . درياق : الخمر . كدم الغزال في اللون (حمراء) وفي الرائحة الطيبة . (راجع قول المتنبي : .... فان المسك بعض دم الغزال) . ودم الغزال (هنا) : نبات كالطرخون (بضم الطاء)حريف (بكسر الحاء وتشديد الراء : ذو طعم حاد يحرق اللسان — المعجم الوسيط ١ : ١٦٧) تخطط الجواري (البنات) بمائه مسكاً (بفتح الميم والسين: بقعاً وطرائق أو خطوط) في أيديهن حمراً (القاموس ٤ : ٢٤) .

٢ — هي خمر قوية جيدة حتى أن رائحتها فقط تزيل الكسل والخمول من أعضاء الجسد (ومن الدماغ أيضاً) .

٣ تشعشع : تمزج (بالماء) . رمت أخاها : أصابت المدمن لها . باغتيال : بصداع وسكر وغيبه عن العالم المحسوس .

٤ الحباب : الفقاقيع التي تطفو على وجه الاناء . لآل جمع لؤلؤة .

٥ الاجال غير موجودة في القاموس ، والمقصود الاجل : مدة العمر .

٦ أفاق واستفاق : رجع إلى الصحة (رجع إلى الوعي بعد السكر) . يشوقها (كذا في الأصل ، والصواب : تشوقه) : تهيجه ، تشوقه إلى نفسها ، تستميله . في كل حال : في حال الصحو وفي حال السكر .

٧ الكماة جمع كمي (بفتح الكاف وكسر الميم وتشديد الياء) : البطل التام السلاح . تنازلوا : تقاتلوا وهم على ظهور الخيل . ومشى (تقدم) الرجال (المحاربون المشاة ، غير الفرسان) .

٨ الكتائب جمع كتيبة : الجيش ، أو الجماعة (من المشاة أو الفرسان تزيد على مائة) تمتري : تستخرج . المهجة : دم القلب . العوالي جمع عالية : أعلا الرمح حيث النصل . تمتري مهج الكتائب بالعوالي : (تقتل العدد الكبير من الجنود بالرماح) .

٩ الكريهة : الحرب . النزال : تقاتل الفرسان .

يمشي الهُوَيْنا ، مُعْلَماً ، بالسيف مشياً غيْرَ آل [1]،
كالليثِ يَتْرُكُ قِرْنَهُ مُتَجَدِّلاً بين المجال [2] .
إنّي نَذيرُ بني تميـ ـمٍ من أخي قيل وقال [3] :
مَنْ لا يجودُ ولا يسو دُ ولا يُجير ، من الهُزال [4].
وتراه – حين يجيئه السُّؤالُ يُولَعُ بالسُّعال [5]
مُتَشاغِلاً مُتَنَحْنِحاً كالكلب جمّح للعِظال [6] .
فَارْفُضْ قُرَيْشاً كلّها من أجلِ ذا الداءِ العُضال [7] :

– وَقَفَ أبو حُزابة التميمي مُدّةً بباب يَزيدَ بنِ مُعاوِيَةَ (ويزيدُ يومذاك لا يزال أميراً قبل أن يَلِيَ الخِلافةَ) فلم يُؤْذَنْ له ، فقال يَلومُ نفسه ويُعرِّضُ بيزيدَ :

فواللهِ ، لا آتي يَزيدَ ولَوْ حَوَتْ أنامِلُهُ ما بين شرقٍ إلى غَرْبِ [8] ،
لأن يزيداً – غَيّرَ اللهُ ما به – جَنوحٌ إلى السُوأى مُصِرٌّ على الذنب [9] .

---

١ يمشي الهوينا (على مهل ، مطمئناً غير خائف من الحرب) . معلماً : كاشفاً عن وجهه : لا يبالي أن يعرفه الذي لهم عليه ثأر (لأنه كان قد قتل نفراً من أقاربهم) . غير آل : غير راجع (يسير دائماً إلى الامام هاجماً ولا يتراجع أو يهاب الموقف فينهزم) .
٢ القرن (بكسر القاف) : كفؤك في الشجاعة (القاموس ٤ : ٢٥٨ ، السطر ١٨) . متجدلا : قتيلا مطروحاً أرضاً (الجدالة : الأرض) . بين المجال (؟) – الملموح : يقتل خصمه بيسر وسهولة ، من غير معركة شديدة .
٣ – إني أحذر قومي بني تميم من رجل أخي قيل وقال (كثير الكلام والجدال) .
٤ لا يجود بمال ولا يستطيع أن يكون سيداً فينا ولا يستطيع أن يجير (أن يدافع عن أحد يلجأ اليه) ، من الهزال (لأنه ناحل الجسم شديد الفقر) .
٥ يولع بالسعال : يتظاهر بأنه مصاب بسعال دائم (كناية عن شدة البخل) – يسعل حتى يبدو كأنه عاجز عن جواب الذي يسأله مالا أو معروفاً .
٦ متنحنحاً (التنحنح : السعال الخفيف) ، كناية أيضاً عن البخل . جمع (؟) . العظال : سفاد (جماع) الكلاب .
٧ إننا نكره قريشاً كلها من أجل عبد الله بن علي العبشمي لأنه داء عضال (بخله لا يمكن أن يشفى) .
٨ لو حوت أنامله ما بين شرق إلى غرب : لو ملك كل ما في الدنيا ؛ لو أصبح خليفة .
٩ جنوح (مائل ، راغب) إلى السوأى « السوء ، ضد الحسنى » .

فقُلْ لبني حَرْبٍ : تَقُوا اللهَ وَحْدَهُ ، ولا تُسْعِدوهُ في البَطالة واللعِبْ[1].
ولا تأمنوا التّغييرَ ، إن دام فِعلُه ولم يَنْهَهُ عن ذاك شيخُ بني حرب[2].
أيَشْرَبُها صِرْفاً ، إذا الليلُ جنّه ، مُعتّقةً كالمِسْكِ تختالُ في القلب[3]،
ويَلْحى عليها شارِبيها ؛ وقلْبه يَهيمُ بها ان غاب يوماً عن الشّرْبِ[4]!

— مدح أبو حُزابةَ طلحةَ الطَلَحاتِ الخُزاعيّ والِيَ سِجِسْتان في أيام يزيدَ بنِ مُعاويةَ فتأخّرَ وصولُ الجائزةِ إليه بينما كان غيرُه من الشعراء قد أخذوا جوائزهم . فقال أبو حزابة يُعاتِبُ طلحةَ :

وأدْلَيْتُ دَلْوِي في دِلاءٍ كثيرةٍ فجئْنَ مِلاءً غيرَ دَلْوِي كما هِيا[5].
وأهلَكَني أنْ لا تزالَ رَغيبَتي تُقَصّرُ دوني أو تَحِلَّ ورائيا[6].
أراني إذا استَمْطَرْتُ منك سَحابةً لِتُمْطِرَني عادَتْ عَجاجاً وسافِيا[7].

— بعد وَفاةِ طلحةَ الطَلَحات وَلِيَ على سِجِسْتانَ عبدُ الله بن عليّ بن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن كُرَيْزٍ (في أيام ثورة عبد الله بن الزبير على بني أمية) فأنشد أبو حُزابة في مَرْبَدِ البصرةِ (وكان قد عاد من سجستان) مَرْثِيَةً في طَلْحةَ طواها على ذمٍ لعبدِ الله بن كريز :

---

١. بنو حرب : بنو أبي سفيان بن حرب ، قوم معاوية الخليفة الأموي . لا تسعدوه (لا تعينوا يزيد ، لا تشجعوه) . البطالة : الهزل .
٢. شيخ بني حرب : معاوية بن أبي سفيان (والد يزيد) .
٣. صرفاً : غير ممزوجة بماء . إذا الليل جنه (ستره عن أعين الناس) . تختال في القلب : تتكبر (تجعله متكبراً) .
٤. يلحى : يذم ، يلوم . ان غاب يوماً عن الشرب (بفتح الشين : الذين يشربون الخمر معاً) : إذا لم يستطع يوماً أن يشرب خمراً . يهيم بها : يتشوق اليها .
٥. — استقيت مع الذين يستقون (مدحتك طالباً عطاءك كما فعل غيري) . فجاءت دلاؤهم مملوءة (نالوا منك عطاء) وعادت دلوي إلي كما هي (فارغة : لم أنل منك عطاء) .
٦. أهلكني (أنني ما زلت ببابك منذ زمن طويل) وان رغيبتي (عطائي الكثير الذي أستحقه منك) تقصر دوني (تعطى لآخر يأتي قبلي) أو تحل ورائيا (أحرم أنا منها ويعطاها آخر جاء بعدي) .
٧. إذا استمطرت منك سحابة (طلبت منك عطاء طلباً مباشراً) عادت (تلك السحابة التي رجيتها : عطائي الذي أستحقه) عجاجاً (غباراً ودخاناً : لا مطر فيه — لا يصلني منك عطاء) وسافياً (ريحاً تحمل تراباً — يصلني منك لوم أو أذى) .

هَيْهاتِ ، هيهات الجَنابُ الأخْضَرُ [1]
والنائل الغَمْرُ الذي لا يَنْزُرُ [2] ،
وَأراهُ عنّا الجَدَثُ المَغْوُرُ [3] .
قد عَلِمَ القومُ غَداةَ اسْتَعْبَرُوا [4]
— والقبرُ بين الطّلَحات يُحْفَرُ [5] —
أنْ لن يَرَوْا مِثْلَكَ حتى يُنْشَروا [6] .
إنّا أتانا جَزَرٌ مُخَمّرُ [7]
أنكره سريرُنا والمِنْبَرُ [8]
والمسجدُ المُحْتَضَرُ المُطَهّرُ [9] .
أقَلّ من شِبْرين حينَ يُشْبَرُ [10] .
بَلِيّـةٌ ، يا ربّنـا ، لا نَسْخَـرُ [11] !
وخَلَفٌ ، يا طَلْحَ ، منك أعْوَرُ [12]

---

١ هيهات : بعد ، ما أبعد . — ما أبعد الفرق بين طلحة الطلحات الكريم وبين ابن كريز البخيل ! الجناب (منزل الرجل العظيم) الاخضر (الممرع ، الكثير النبات ، حيث يوجد الجود والكرم) .

٢ النائل (العطاء) الغمر (الكثير الذي يغمر النـاس ويسد جميع حاجاتهم ثم يفيض عنذلك). لا ينزر (لا يقل ، لا يتناقص) .

٣ الجدث (القبر) المغور (البعيد الغور ، العميق) : انقطع ما بيننا وبينه انقطاعاً تاماً .

٤ .... لما بكوا على طلحة (لما مات طلحة) .

٥ بين الطلحات : (بين شجر الطلح ؟ — بين أجداده الكرام ؟) .

٦ حتى ينشروا (من القبور) : يوم القيامة . — لن يروا رجلا آخر كريماً مثلك أبداً !

٧ .... أتانا : جاءنا (والي جديد يشبه) جزراً مخمراً .... (؟) — المللوح أنه رجـل بخيل قليـل القدر .

٨ أنكره سريرنا (دست الولاية ، كرسي الامارة) والمنبر (الخطبة يوم الجمعة) : لا يليق بالحكم ولا يستطيع الخطابة .

٩ المسجد المحتضر (الذي تحضر فيه الصلوات لأوقاتها) المطهر (الطاهر) . — أنكره مسجدنا لأنه لا يأتي اليه في أوقـات الصلوات المكتوبة ، وإذا اتفق أن جاء إلى المسجد لا يكون طاهراً .

١٠ يشبر : يقاس بالشبر .

١١ هذه بلية (مصيبة صبت علينا) وأنا لا أسخر بالدين إذا قلت هذا ولكن أتألم من المصيبة .

١٢ خلف منك (وال جاء بعدك ليكون مكانك). يا طلح : يا طلحة (مرخمة : حذفت تاؤها في النداء) . أعور : فاقد الحس في احدى العينين ، أو هو الرديء ، الجبان ، البليد ، الذي لا خير فيه (القاموس ٢ : ٩٧ ، السطر ٨) .

مِثْلَ أبي القَعْواء ؛ لا ، بل أصغر [١].

– وقال أبو حزابة في الادب[٢] :

لم أسْلُ عنك ولم أخُنْكَ ، ولم يكن في القلب منّي لِلسّلُوّ مكانُ ٢ .
لكن رأيْتُكَ قد مَلِلْتَ زِيارتي فعَلِمْتَ أنّ دواءَك الهِجْران !

٤ – ** الاغاني (طبعة الساسي) ١٩ : ١٥٢ – ١٥٦ .

أرطأة بن سهيّة

١ – هو أبو الوليد أرْطَـأةُ بنُ زُفَرَ بن عبد الله بن مالك من بني غَيْظِ ابن مُرّةَ بن عوف بن سعد بن ذُبيان ؛ وأمّه سُهَيّةُ بنتُ زاملِ بن مَروانَ من بني كعب بن عوف بن عامر بن عوف ، كانت في الجاهلية لِضِرار بن الأزْوَرِ فسُبِيَتْ وصارت لِزُفَرَ بن عبد الله بن مالك وهي حاملٌ فولَدَتْ أرطأةَ على فِراش زُفَرَ . وقد غَلَبَتْ أمّه على نسبهِ فكان يُعْرَفُ باسم **أرطـأة بن سهيّة .**

نشأ أرطـأةُ بن سُهَيّةَ امْرَأً صِدقٍ شريفَ النفسِ والعقلِ حميداً في قومه جَواداً .

كان أرطـأةُ بنُ سُهَيّةَ في أول أمرهِ صديقاً لشَبيبِ بن يزيدَ المعروف بشبيبِ بن البرصاء ثم وقعت الوحشةُ بينَهما فجعلا يتَهاجيان وكَثُرَتْ المُناقضات بينَهما .

وانقطع أرْطـأةُ بن سُهيّةَ إلى مروان بن الحَكَم وإلى أخيه يحيى قبل أن تؤولَ الخِلافةُ إلى مروانَ بن الحَكَم ، ثم اتّصلَ أيضاً بعبدِ الملك بن مروان .

في أواخر أيام عبد الملك بن مروان كان أرطـأةُ بن سُهيّة قد أسَنّ كثيراً

---

١ أبو القعواء كان حاجباً لطلحة الطلحات وكان قصيراً .

٢ كتاب الأمالي لليزيدي (حيدر اباد الدكن ١٣٦٧ = ١٩٤٨ م) ، ص ١٤١ (رقم ١٠٤) .

وانقطع عن قول الشعر ، ولعل وفاتَهُ كانت قبل وفاةِ عبدِ الملك بن مروانَ (توفي ٨٦ هـ = ٧٠٥ م) .

٢ – كان أرطأةُ بن سُهيّةَ شاعراً فصيحاً معدوداً في طبَقات الشعراءِ المعدودين من شُعراء بني أميّة (غ ١٣ : ٣٠) . وشعرُه متينٌ السبكِ واضحُ المعاني . وفنونه المديح والفخر والحماسة والهجاء والرثاء والنسيب والأدب . وله وصف بارع في الخيل .

٣ – المختار من شعره :

– بعدَ أن آلت الخِلافةُ إلى مروانَ بنِ الحكم واستَتَبّ له الأمرُ دخل عليه أرطأةُ بنُ سُهيّةَ وأنشد :

تَشكّى قَلوصي إليّ الوَجى تَجُرّ السّريحَ وتُبْلي الخِداما [1] ،
تزورُ كريماً له عندَها يدٌ لا تُعَدّ وتُهْدي السلاما [2] .
وقَلّ ثواباً له أنّها تُجِدّ القوافيَ عاماً فعاماً [3] .
وسادَتْ مَعَدّاً على رَغْمِها قُريشٌ ، وسُدْتَ قُرَيْشاً غُلاما [4] .
جُعِلْتَ على الأمرِ فيه صَغاً ، فما زالَ غَمزُكَ حتّى استَقاما [5] :

---

١ تشكى = تتشكى . القلوص : الناقة الشابة . الوجى : الحفا (رقة الجلد في باطن القدم من كثرة المشي) . الخدام جمع خدمة (بفتح الخاء والدال) : سير (بفتح السين) : يشد على رسغ البعير (في أدنى الساق) يضبط العظام ويمنعها من التخلخل إذ يحفظها في أماكنها الطبيعية . السريح : قطعة من جلد توضع على النعل ، إذا تهرأت النعل ، ثم تشد بالخدام . – طال سفري اليك حتى بليت خدام الناقة وأصبحت السرائح (التي كانت تشد الخدام التي بليت) مطلقة تتجرجر على الأرض ثم رقت أخفاف ناقتي من طول الطريق وصعوبة السير عليها .

٢ يد : نعمة (وهي هنا للجمع : نعم) .

٣ – ما أقل شكري على هذه النعمة بقواف (قصائد) أجدها : أجددها ، أنظمها واحدة بعد واحدة . عاماً فعاماً : عاماً بعد عام . في الاغاني (١٣ : ٣٢ ، السطر ٥) : تجيد القوافي ، الصواب : تجد القوافي . – اقرأ : .... لها اننا نجد ...

٤ قبيلة قريش أصبحت سيدة بني معد (جميع العرب) على رغم بني معد كلهم ، وأنت أصبحت سيد قريش .

٥ جعلت على الأمر : (وصلت إلى الخلافة) ، وكان في أمر الخلافة صغاً (ميل : انحراف عنك ، واضطراب وفتن وثورات) . فما زال غمزك : ظللت (بفتح الظاء وكسر اللام الأولى) تغمز الأمر : تقرصه وتعالجه برفق وصبر حتى استقام لك (استتبت لك الخلافة) .

لَقيتَ الزُّحوفَ فقاتَلْتَهـا فجرّدت فيهن عَضْباً حُساما [1]
تَشُقّ القوانِسَ حتّى تنـا لَ ما تحتَها ثم تَبْري العِظاما [2] .
نَزَعْتَ على مَهَلٍ سابقـاً ، فما زادَكَ النَّزْعُ إلاّ تَمامـا [3] .
فزادَ لكَ اللهُ سُلطانَه ، وزادَ لك الخيرَ منه فدَاما [4] !

– كان لأرطأةَ بنِ سُهيّةَ ابنٌ يُقال له عمرٌو (من زوجٍ له اسمُها سَلْمى) فمات . فَجزِعَ أرطأةُ عليه جزَعاً شديداً ولَزِمَ قبرَهُ مُدّةً ثم قال يرثيه :

وَقَفْتُ على قبرِ ابْنِ سَلْمى ، فلم يَكن وُقوفي عليه غَيْرَ مَبْكىً ومَجْزَعِ .
هَلَ أنْتَ – ابْنَ سَلْمى ، إنْ نَظَرْتُكَ – رائحٌ
مَعَ الرّكبِ أو غادٍ غَداةَ غدٍ معي [5] ؟
أأنْسى ابْنَ سلمى ،وَهْوَ لم يأتِ دونَه مِنَ الدهرِ إلاّ بعضُ صيفٍ ومَرْبَعِ [6] !
وقفتُ على جُثْمانِ عمرٍو فلم أجِدْ سوى جَدَثٍ عافٍ بِبَيْداءَ بَلْقَعِ [7] .
فدَعْ ذِكْرَ من قد حالتِ الأرضُ دونه، وفي غيرِ مَنْ قد وَارَتِ الأرض فاطمعِ [8] .

– وقال أرطأة يهجو شبيب بن البرصاء بقصيدة منها :

---

١ الزحوف جمع زحف : الجيش الكبير الزاحف للحرب . فجردت فيهن عضباً حساماً : كنت في قتالها سيفاً قاطعاً فهزمتها وانتصرت . في الاغاني (١٣ : ٣٢ ، السطر ٨) : جردت (بفتح الجيم ، بالبناء للمعلوم) . والاصوب أن نقرأ : جردت (بضم الجيم ، بالبناء للمجهول) حتى يكون في البيت استعارة وصورة شعرية .

٢ تشق القوانس (جمع قونس وقونوس :حديدة ناتئة في أعلى الخوذة) حتى تنال، ما تحتها (الجمجمة ، الدماغ) وتبري (تقطع قطعاً باتاً) العظام .

٣ نزعت : جريت . على مهل : بتأن (أحسنت السياسة في انتظار الفرصة السانحة) .

٤ زاد لك الله سلطانه : أيدك الله بسلطانه (؟) .

٥ – لا فائدة من وقوفي على القبر إلا أن أبكي وأجزع (أفقد السيطرة على نفسي من الحزن – وهذان أمران لا ينفعان) .

٦ نظرتك : انتظرتك . رائح مع الركب : مسافر هذا المساء مع الجماعة المسافرين . أو غاد غدا معي : أو مسافر في صباح غد معي . – نلاحظ ان عمر هذا الطفل كان بضعة أشهر .

٧ جدث (قبر) عاف (ممحو ، ذهب أثره) وبيداء (ارض قفر واسعة) بلقع (خراب ، لا معالم فيها) .

٨ حالت الأرض دونه : اعترضت بيننا وبينه (دفن ، مات) . وارت : سترت . وارته الأرض : دفن فيها .

وَمَتْكَ ، ولم تُشْوِ الفُؤادَ ، جَنوبُ . وما كلّ من يَرْمي الفؤادَ يُصيبُ [1] .
وما زوّدتْنا غيرَ أن خَلَطَتْ لنا أحاديثَ منها صادقٌ وكَذوب [2] .
ألا مُبْلِغٌ فِتيانَ قوميَ أنني هجاني ابنُ برصاءِ اليَدَيْنِ شَبيب.
وفي آل عَوْفٍ من يَهودَ قبيلةٌ تَشابَهَ مِنْها ناشئون وشِيب .
أبي كان خيراً من أبيكَ ، ولم يَزَلْ جَنيباً لآبائي وأنت جَنيب [3] .
وما زِلْتُ خيراً منك ، مُذْ عَضّ كارهاً برأسِكَ عاديُّ النِّجادِ رَسوب [4] .

٤ – •• الاغاني ١٣ : ٢٩ – ٤٤ ، راجع ١٢ : ٢٧١ وما بعدها .

كَعب بن جُعيل

١ – هو كَعْبُ بنُ جُعَيل بنِ عُجْرة بن قُمير * بن ثعلبة بن عَوف بن مالك بن بكر بن حُبيب بن غُنْم بن تَغْلِبَ بن وائل . وكان اسم أمّه ليلى . وأمّا منازل قومه فكانت في ديار ربيعةَ من الجزيرة الفُراتية من أعلى العراق بجهات سَنجار ونَصيبين .

ولعلّ كعبَ بنَ جُعيلٍ لم يُسْلِمْ باكراً ، يدلّنا على ذلك أمورٌ منها أن أثرَ النّصرانية بارزٌ في شعره في الألفاظ والمعاني حتّى قال خليلُ مَرْدم [6] : « والغريبُ أن أثرَ النصرانية في شعر كعب (بن جُعيل) التّغْلبيّ المُسْلم أكثرُ

١ رمتك جنوب (أطلقت علي محبوبتي جنوب سهماً من سهام حبها) فلم تشو الفؤاد : لم تصبني في مقتل منه (لم تستملني فأحبها) . في هذا الشطر تجريد (ان يجرد الشاعر من نفسه شخصاً ثم يخاطبه كأنه شخص ثان مستقل). جنوب (بفتح الجيم) : اسم امرأة ؛ والمرأة التي تتجنب الرجال . ما كل من يرمي الفؤاد يصيب : ما كل امرأة تستحق أن تحب .

٢ – ما قالت لي عند الوداع إلا أقوالا يمتزج فيها الصدق بالكذب (لم أستفد من قولها شيئاً) .

٣ كان أبوك جنيباً (منقاداً ، خاضعاً) لآبائي ، وأنت (الآن) جنيب (لي) .

٤ النجاد : حمائل السيف . الرسوب : السيف القاطع الذي يمضي في الضريبة (الجسم الذي يضرب به) مسافة طويلة . العادي : القديم (والباقي إلى الآن لجودة حديده وجودة صنعه) . عضك برأسك وأنت كاره : أصبتك به في رأسك (منذ تغلبت عليك ، بالسيادة وبالشعر) .

* في بعض المصادر : جعيل بن قمير بن عجرة .

٦ محاضرات المجتمع العلمي العربي بدمشق ٢ : ٥٠٧ .

ظهوراً منه في شعر الأخطل التغلبي النصراني » . ومما يمكن أن يدلّ على ذلك (على تأخّره في الدخول في الاسلام) قصّته مع يزيدَ بن مُعاويةَ :

في الكامل للمُبَرّد (ص ١٠١) : « كان يزيدُ بن معاوية عَتَبَ على قومٍ من الأنصار [1] فأمرَ كعبَ بن جُعيلٍ التَغْلَبيّ بهجائهم . فقال له كعب : أأهجو الانصارَ ؟ أرادّي أنتَ إلى الكفرِ بعدَ الاسلام ؟ ولكنّي أدلّك على غلامٍ من الحيّ نَصْرانيّ كأنّ لِسانَه لسانُ ثورٍ » ، يَعْني الاخطلَ .

ولعلّ عداوةَ الاخطلِ الشابِّ لكعبِ بن جُعيلٍ – والاخطلُ مِمّنْ بَقُوا على النصرانية – دليلٌ آخرُ على ذلك .

برز كعب بن جُعيل في الحياة الاجتماعية وفي النزاع السياسي والأدبي حينما اتّصل بسعيد بن العاص الذي ولاّه عُثمانُ بنُ عفّان على الكوفة ، سنة ٣٠ هـ (٦٥٠ – ٦٥١ م) . وقد ظلّ كعب يَفِد على سعيدٍ ويمدحه إلى ما بعدُ سَنَةَ ٥٠ هـ (٦٧٠ م) حينما كان سعيد والياً على المدينة . في تلك الأثناء اتّصل كعبُ بن جعيل بالضحّاك بن قَيسٍ الفِهْريّ – وكان الضحّاك عاملاً (جابياً للضرائب) لمُعاويةَ على الجزيرة ، سنة ٣٦ هـ – . ولمّا وَقَعَتِ الفتنةُ بينَ عليّ ومعاويةَ [2] ، في سنة ٣٦ هـ أيضاً ، اختار كعبُ بن جُعيل أن يَقِفَ بجانب مُعاويةَ فكان يُحَرِّض أهلَ الشام بِشعره على الثأر لِعثمان . ثم ان كعبَ بن جعيل شَهِدَ مَعْرَكة صِفّين مع معاوية .

وأسَنَّ كعبٌ بن جعيل كثيراً حتّى أدرك مُبايعةَ الوليدِ بنِ عبدِ الملك بالخِلافة ، سنة ٨٦ هـ (٧٠٥ م) .

٢ – كعب بن جُعيل شاعر مشهور جعله ابن سَلاّم رأس الطَبَقة الثالثة من الشعراء المسلمين [3] . ولقد كان كعب في أيامه شاعرَ مُعاوية وشاعرَ أهلِ الشام وشاعرَ تَغْلِبَ . غير أن مُعْظَمَ شِعره قد ضاع في زمن مُتَقَدّمٍ جداً ، فلم يَصِلْ إلينا منه إلاّ أقلّه . وشعره الباقي قليل جزْلُ الألفاظ سليم المبنى واضح المعاني لا تَكَلّفَ فيه ، وهو قصيد ورَجَز . أما أغراضه فهي

١ الانصار : أهل المدينة (نصروا الرسول وكانوا معه على المشركين) ؛ راجع ، فوق ، ص ٢٨٤.
٢ راجع ، فوق ، ص ٣٠٨ .
٣ طبقات الشعراء ١٢٩ .

المديح والرِثاء والهجاء والغزَل ، وله وصفٌ بارع للقصور وللطبيعة تظهر فيه خصائص البيئة الفراتية بوضوح . وكان كعب بن جعيل يُهاجي الاخطل ، وقد وقع بينه وبين النّجاشي الحارثي هجاء (الكامل ١٨٧) . ومع أن كعبَ بن جعيلٍ قد تحوّب من هِجاء الانصار ، فقد فارق ذلك الخُلُقَ الكريم وذمّ الامام علياً (الكامل ١٨٥) .

٣ – المختار من شعره :

– قال كعب بن جُعيل التغلبي سنة ٣٦ هـ ، قُبيلَ معركة صفّين ، « يحلل الموقف » الذي ساد بين عليّ ومعاوية ثم بين أهل الشام وأهل العراق :

أرى الشامَ تكره مُلْكَ العراقِ ... وأهلَ العراقِ لهم كارهونا ؛

وكلٌّ لصاحبه مُبْغِضٌ ... يرى كلّ ما كان من ذاك دِينا[١] .

إذا ما رَمَوْنا رَمَيْناهمُ ، ... ودِنّاهُمُ مثلَ ما يُقْرِضونا[٢] .

وقالوا : « عليّ إمامٌ لنا » ، ... فقلنا : « رَضينا ابنَ هِنْدٍ رضينا »[٣] .

وقالوا : « نرى أن تَدينوا لنا » ، ... فقلنا لهم : « لا نرى أن نَدينا[٤] ،

ومن دونِ ذلك خَرْطُ القَتاد ... وطعنٌ وضربٌ يُقِرّ العُيونا[٥] ! »

وكلّ يُسَرّ بما عِنْده : ... يرى غَثّ ما في يَدَيْه سَمينا[٦] .

وما في عليّ – لمُسْتَعْتِبٍ – ... مُقالٌ سوى ضَمّه المُحْدِثينا[٧] ،

١ – كل رجل من أهل العراق وأهل الشام يرى أن الاحداث السياسية التي جرت بين علي ومعاوية جزء من الدين الذي يدين به هو يجب أن يحافظ عليه بالسيف . – في الكامل (ص ١٨٥) : وكلا لصاحبه مبغضاً .

٢ – إذا رمونا (إذا هم رشقونا بالنبال ، أي حاربونا) حاربناهم ودناهم (اقتضيناهم وفاء الدين ، أي أسأنا اليهم وانتقمنا منهم كما كانوا هم يقرضونا ، أي يسلفون الينا الاساءة وبمثل ما كانوا يفعلون بنا) .

٣ ابن هند : معاوية بن أبي سفيان .

٤ دان : خضع ، قبل بحكم الآخرين عليه .

٥ القتاد : شوك تأكله الجمال ، وهو شوك كثيف صعب القلع والقص . خرط القتاد : قطع القتاد (كناية عن صعوبة الأمر الذي يحاوله الانسان أحياناً) . يقر العيونا : يرضي أصحابه (يرضينا نحن ، إذ سننتصر عليكم) .

٦ الغث : الهزيل النحيل ، ما كانت مادته خفيفة . (يرى الذي لا قيمة له ذا قيمة كبيرة) .

٧ – ليس لنا مأخذ (ولا عتب) على علي الا أنه يجمع حوله المحدثين (بكسر الدال : المذنبين ، القتلة ؛ وبفتح الدال : صغار السن الذين لا خبرة ولا رأي صحيحاً لهم والاصوب كسر الدال) .

وإيثارِه اليومَ أهلَ الذّنوبِ ورفعِ القِصاصِ عن القاتلينا [1].
إذا سِيل عنه زَوَى وجهَه وعَمّى الجوابَ على السائلينا [2]:
فليسَ بِراضٍ ولا ساخطٍ ، ولا في النُهاة ولا الآمرينا [3] !

– لمّا وقعت الحرب في صفّين جعل كعب بن جُعيل في إحدى الليالي يرتجز في أمر الحرب بين المسلمين :

أصبحتِ الأمّة في أمرٍ عَجَبْ ، والمُلْكُ مجموع غداً لِمَنْ غلب.
أقولُ قولاً صادقاً غيرَ كَذِبْ : إنّ غداً تَهْلِكُ أعلامُ العرب .
غداً نلاقي ربّنا فنَحْتَسِبْ ، غداً يَصيرون رَماداً قد ذهب ،
بعدَ الجَمالِ والحياء والحسبْ. يا ربِّ ،لا تُشْمِتْ بنا ولا تُصِبْ
مَنْ خلعَ الأندادَ طرّاً والصُلُب [4] !

– ولكعب بن جُعيل قصيدة يُظهر الندمَ فيها على مهاجاة (الاخطل) التي حملته على شتم تغلب التي هي عشيرته . ثم هو يمر بمديحٍ لمعاويةَ واعتذارٍ اليه ؛ ثم يذكر أمرَ أبي موسى الاشعري وعمرو بن العاص لَمّا اجتمعا بعد معركة صِفّين في أذْرُحَ للتحكيم بين معاوية وعليّ .

نَدِمْتُ على شَتْمِ العشيرةِ بعدَما مضَى واستَتَبَّتْ للرُواةِ مَذاهِبُهْ [5]،
فأصبحتُ لا أستطيعُ رَدّاً لما مضى ، كما لا يَرُدّ الدَرّ في الضِرعِ حالبه [6] .
معاويَ ، أنْصِفْ تَغْلِبَ ابْنَةَ وائلٍ من الناس ، أو دَعْها وحَيّاً تُضاربه [7] .

---

١ ايثاره : تفضيله .
٢ إذا سيل عنه : إذا سئل عن عثمان بن عفان وقتله . زوى وجهه : أدار وجهه (تجاهلا للاجابة الصريحة على السؤال المحق) . عمى الجواب : جعله غامضاً .
٣ النهاة جمع ناه : رادع ، مانع (الذي ينهى الناس عن الشر) .
٤ نلاقي ربنا : نموت . احتسب : عد مصيبته (أو موته) في سبيل الله . لا تصب (بسوء ، بالموت في القتال) . الانداد : الشركاء الذين يعدهم الوثنيون مع الله . الصلب : جمع صليب : شارة الدين المسيحي (يشير كعب بن جعيل إلى انه كان على النصرانية ثم فارقها واعتنق الاسلام) .
٥ ندمت على أنني هجوت قوماً من عشيرتي . ولكن لا فائدة من الندم لأن ذلك الشعر خرج من فمي وانتشر في البلاد وحفظه الرواة .
٦ الدر : اللبن . الضرع : ثدي الناقة أو البقرة (لا تمكن إعادة اللبن إلى الضرع بعد حلبه منه) .
٧ يا معاوية ، أنصف تغلب من خصومها أو دعها تنصف نفسها (تأخذ بحق نفسها) من خصومها .

قليلٌ على باب الاميرِ لُباثتي ، إذا رابني بابُ الامير وحاجبه [١] .
ولمّا تَداروْا في تُراثِ مُحمّدٍ سَمَتْ بابن هندٍ في قريش مضاربه [٢] :
سعى لابن عفّانٍ لِيُدْرِكَ ثأرَهُ ، وأولى عبادِ الله بالثأرِ طالبه [٣] !
وقد غَشِيتْنا في الزُّبيرِ غَضاضةٌ وطلحةَ إذا قامت عليه نوادبه [٤] ،
فردَّ ابنُ هندٍ مُلكَه في نِصابهِ ؛ ومَنْ غالب الأقدارَ فالله غالبه [٥] .
وما لابنِ هندٍ في لُؤَيِّ بن غالبٍ نظيرٌ ، وان جاشت عليه أقاربه [٦] .
فهذاك مُلْكُ الشام وافٍ سِنامُه، وهذاك مُلْكُ القومِ قد جُبَّ غاربه [٧] .
يُحاول عبدُ الله عَمْراً ، وإنّه لَيَضْرِبُ في بحرٍ عريضٍ مَذاهبُه [٨] .

٤ — .. محاضرات المجمع العلمي العربي في دمشق ، الجزء الثاني ، دمشق ١٣٧٣ ﻫ = ١٩٥٤ م (مقال لخليل مردم مأخوذ من مجلّة المجمع العلمي العربي بدمشق : المجلد ١٩ ، لعام ١٩٤١) ص ١٥ — ١٢٤ ، ١٠٤ — ١١٢ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٨٤ ، السطران ٢ ، ٣ .

---

١ اللباثة : اللبث (بضم اللام) ، البقاء ، الوقوف بباب (الامير) . — إذا شككت في محبة الامير لي أو إذا رأيت في وجه الحاجب على باب الأمير تغيراً .

٢ تداروا في تراث محمد : تظاهروا أنهم يدافعون عن ارث رسول الله (عن الدين) . سمت بابن هند : ارتفعت بمعاوية (انتصر معاوية) ؛ مضاربه : أخلاقه (دهاؤه وسياسته) أو معاركه ومقدرته في الحرب .

٣ غشيتنا : أظلتنا ، أصابتنا ، لحقتنا . غضاضة : ذلة ، منقصة . الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله كانا يطالبان بالخلافة بعد عمر بن الخطاب وينافسان عثمان بن عفان في أيام الشورى . قامت عليه نوادبه : مات .

٤ .... — يضع كعب بن جعيل في هذا البيت قاعدة سياسية : أولى الناس بالثأر (هنا : بالحق في الخلافة) الذي يطالب بالثأر ، لا الذي يدعي أن الحق كان في الأصل حقه .

٥ أعاد ابن هند (معاوية) ملك عثمان إلى نصابه (أهله : البيت الأموي)

٦ .... في بني لؤي بن غالب : في قريش كلها . جاشت : ثارت . أقاربه (كناية عن آل هاشم الذين يمثلهم في النزاع مع معاوية علي بن أبي طالب ؛ وبنو هاشم في الأصل أبناء عم بني أمية) .

٧ واف سنامه : تام غير منقوص . قد جب غاربه : قد ذهب سنامه(انتقل الملك من بني هاشم إلى بني أمية . — يشبه الشاعر الملك بجمل . فالجمل الذي له سنام صحيح كبير جمل قوي نشيط ؛ والجمل الذي ذهب سنامه جمل مهزول نحيل مريض) .

٨ يحاول عبد الله (أبو موسى الاشعري) أن يكون (في الدهاء والمقدرة) مثل عمرو (بن العاص) ، ولكنه لا يستطيع (كمن يسبح في بحر واسع جداً فلا يعرف كف يتجه ولا كيف يمكن أن يصل إلى البر) . القوم : خصوم بني أمية .

محمّد بن عبد الله النُميري

١ – هو محمّد بن عبد الله بن نُمير بن خرَشة من بني ثقيف ، مولَدٌ [1] .

كان النميري من أهل مدينة الطائف نشأ فيها ، فيما يبدو شاعراً مُحبّاً مُغامراً ، فتعلّق بزينبَ بنتِ يوسفَ بنِ الحكمِ شقيقةِ الحجّاج بن يوسف (لأبيه وأمّه) . ويبدو أن زينب كانتْ تنتقل مع أخيها وهو يتولّى الاعمال المختلفة ، فكان النميري يلحق بها . وأراد الحجّاج أن يُوقِعَ بالنميري [2] فهرب النميري (من الحجاز في الاغلب) إلى اليمن ثم ركب البحر من عَدَنَ حتّى وصل إلى الشامِ واستجار بعبد الملك . وكتب عبدُ الملك إلى الحجّاج أن النميري جاري فلا تَمَسّه بسوء .

بعدئذ ، بعد مقتل عبد الله بن الزبير (٧٣ هـ = ٦٩٢ م) ، أصرّ الحجّاج على سَماع القصيدة التائية التي قالها النميري في شقيقته زينب وأمّنه ان هو جاءه طائعاً . فجاء النميري إلى الحجّاج في الكوفة وأنشد القصيدة أمامه ، وكان الحجّاج في أثناء الانشاد يعلّق على الأبيات المختلفة .

ليس في ما بين أيدينا ما يدلّ على السنة التي توفّي فيها محمد بن عبد الله النميري .

٢ – محمّد بن عبد الله النميري شاعر غَزِلٌ مُغامِرٌ فصيح رقيق . وله إلى جانب غزله البارع مقاطع في الأدب (الحكمة) تتعلّق بالاسفار وبهربه من الحجّاج ، ولعلّه هاجى الفرزدقَ (طبقات الشعراء ٨٣) . وأكثر غزله في زينب بنت يوسف بن الحكم .

٣ – المختار من شعره :

– قال محمد بن عبد الله النميري يتغزّل بزينب بنت يوسف ويذكر مرورها

---

١ المولد : من كان أحد أبويه غير عربي .

٢ راجع في قصة هرب النميري من الحجاج الكامل ٢٨٩ – ٢٩٠ ، ٣٥٣ – ٣٥٤ ؛ الاغاني ٦ : ١٩١ وما بعدها .

مع صواحبها بوادي نَعمان (بين مكة والطائف) في قصيدة منها :

تضوّع مِسكاً بَطنُ نعْمانَ إذ مشت ... به زَيْنبٌ في نِسْوةٍ عَطِراتِ :
تَهادَيْنَ ما بين المُحَصّبِ من مِنًى ... وأقبلْنَ لا شُعثاً ولا غَبِرات [1].
أعانَ الذي فوق السماوات عرشُه ... مَواشِيَ بالبَطْحاء مؤْتَجِرات [2]،
مَرَرْنَ بِفَخٍ ثم رُحْنَ عَشيّةً ... يُلبّينَ للرحمنِ مُعْتَمِرات [3]،
يُخَبّئْنَ أطرافَ البَنانِ من التّقى ... ويَقْتُلْنَ بالألحاظ مُقْتَدِرات [4].
تَقَسّمْنَ لُبّي يومَ نَعمانَ ، إنّني ... رأيتُ فُؤادي عارم النّظَرات [5].
جلَوْنَ وجوهاً لم تَلُحْها سمائِمٌ ... حَرورٌ ، ولم يُسفَعْنَ بالسَّبَرات[6].
فقلت يَعافير الظِباء تناولت ... نِياعَ غُصونِ المَرْدِ مُهْتَصِرات [7].
ولمّا رأتْ رَكْبَ النُميريّ راعهَا ، ... وكُنّ مِنَ انْ يَلْقَيْنَه حَذِرات ،
فأدْنَيْنَ — حتّى جاوزَ الركْبُ — دونها ... حِجاباً من القَسّيّ والحِبَرات [8]،

---

١ تهادت المرأة : تمايلت في سيرها . المحصب : مكان رمي الجمار (الحجارة) وهو من مناسك الحج . منى : مكان يبيت فيه الحجاج . (يقصد : سرن من المحصب إلى منى مسافة طويلة) . أقبلن : وصلن . الأشعث : الذي اختلط شعره واضطرب ترتيب ثيابه . الأغبر : الذي علاه الغبار من الطريق في أثناء سيره .

٢ البطحاء : وسط مكة . مؤتجرات : ذاهبات إلى الحج طلباً للأجر من الله .

٣ التلبية : قول الحجاج عند الوقوف على جبل عرفات : لبيك ، اللهم ، لبيك ؛ معتمرات : ذاهبات للقيام بموسم الحج في غير شهر ذي الحجة .

٤ لا يجوز في الاسلام للمرأة أن تكشف من جسمها إلا وجهها وكفيها وقدميها . ولكن هؤلاء النسوة يبالغن في التقوى ويسترن كل شيء من أجسامهن حتى رؤوس الأصابع . غير أنهن يتركن عيونهن غير مستورة ليستطعن السير في الطريق . وعيونهن وحدها قادرة على قتل المحبين .

٥ تقسمن لبي : كنت أنظر اليهن كلهن لأنهن كلهن جميلات . عارم النظرات : يحدد النظر إلى (ما يتطلع اليه) .

٦ جلون : أبدين ، أبرزن ، أظهرن . لم تلحها ؛ لم تغيرها . سموم حرور : ريح حارة . سفعته (الريح الحارة) : غيرته . السبرة (بسكون الباء) : الغداة الباردة . — لم يتعرضن للريح الحارة ولا للريح الباردة (كناية عن النعيم والترف لأنهن غير محتاجات إلى العمل والتنقل في كل وقت) .

٧ — فشبهتهن بالظباء السمر التي تتناول نياع المرد (الأغصان الطرية من شجر الاراك) يقصد : ان أعناقهن طوال (وكان ذلك من مظاهر الجمال عند العرب) . هصر الغصن واهتصره : شد به ليقطف ما فيه من الثمر .

٨ القسي : ثياب مصنوعة من كتان ممزوج بحرير . والحبرة (بكسر الحاء وفتح الباء) : ثوب من الحرير فيه وشي (تطريز) .

فكُدتّ ، اشتياقاً نحوها وصَبابةً ، تقطّعُ نفسي إثرَها حسَرات .
فراجعتُ نفسي والحفيظةَ بعدَما بلّلْتُ رِداءَ العَصْبِ بالعَبرات [1]

– وقال النميريّ في زَينَبَ أيضاً :

تَشتو بمكّةَ نِعمَةً ، ومَصيفُها بالطائفِ [2] .
أحبِبْ بتلك مَواقفاً ، وبزينبٍ من واقف !
وعزيزةٍ لم يَغذُها بؤسٌ وجَفوةُ حائف [3] ،
غرّاءُ يَحكيها الغزا لُ بمُقلةٍ وسَوالف [4] .

– ومن شعر النميري المتين السبك قوله وقد هرب خوفاً من الحجّاج إلى اليمن ليَنجُوَ إلى الشام :

أتَتْني عن الحجاج ، والبحرُ دونَنا ، عقاربُ تَسْري والعيونُ هَواجِعُ [5] ،
فضِقْتُ بها ذَرْعاً وأجهَشْتُ خيفة ، ولم آمَنِ الحجّاجَ ، والامرُ فاظعُ [6] .
وحلّ بي الخطب الذي جاءني به سميع فليست تستقر الاضالع .
فبِتّ أديرُ الأمرَ والرأيَ ليلتي ، وقد أخضَلَتْ خدّي الدُموعُ التوابع [7]
وما أمِنَتْ نفسي الذي خِفتُ شرّه ، ولا طابَ لي مِمّا خَشيتُ المَضاجع [8]

---

١ – ثم ملكت نفسي وردعتها عن الحزن والحمية (في شدة التطلع اليهن)، ولكن بعد أن بكيت كثيراً حتى ابتل ثوبي العصب (ثوب منسوج من حرير مصبوغ) ، وهو لا يبتل بسهولة (؟) . العبرات : الدموع .

٢ تشتو : تقضي الشتاء .

٣ غذاها : ساعد على نمو جسمها . الحائف : الظالم . – لم تنشأ في فقر ولا نشأت تحت سلطان أهل جفاة ظالمين .

٤ يحكيها : يشبهها .

٥ – بلغني عن الحجاج عقارب (تهديد بالقتل) تسرى (تسير بليل ، خفية من غير أن يدري أحد بها) والعيون هواجع (نائمات ، غافلات) ؛ يقصد : أن الحجاج ماكر يفعل فعلته من غير أن يدري أحد .

٦ ضقت ذرعاً : حرت ، لم أهتد إلى وجه الحيلة في دفعها . أجهشت (تهيأت للبكاء) من الخوف . فاظع : فظيع ، ذو عاقبة وخيمة .

٧ بت : قضيت الليل (قضيت مدة طويلة) . أدير الأمر والرأي : أفكر في ذلك الذي بلغني وفي كيف أستطيع تلافيه والخلاص منه . أخضلت : بللت . التوابع : المتتابعة .

٨ الذي (مفعول به من الفعل « أمنت ») .... ولا استطعت أن أنام (من الخوف والقلق) .

إلى أن بدا لي رأسُ إسْبيلَ طالِعاً ، وإسبيلُ حِصْنٌ لم تَنَلْهُ الأصابع [1] .
فلي عن ثقيف –إن هممت بنَجوة– مهامهُ تَهوى بينهنّ المجارع [2] .
وفي الأرضِ ذات العَرْضِ عنك ، ابْنَ يوسُفٍ ،
إذا شِئْتُ مَنأىً – لا أبا لكَ – واسع [3] !
فإن نِلْتَني ، حَجّاجُ ، فَاشْتَفِ جاهِداً ،
فــانَّ الذي لا يَحْفَظُ اللهُ ضائع [4] .

٤ – •• الاغاني ٦ : ١٨٩–٢٠٦ ؛ بروكلمان ١ : ٦٠ ، الملحق ١ : ٩٥ – زيدان ١ : ٣٤١ .

عبد المَلِك بن مَرْوان

١ – هو عبد الملك بنُ مروانَ بنِ الحكمِ بن ابي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مَناف بن قُصَيّ بن كِلاب بن مُرّة بن كَعْب بن لُؤي بن غالب بن فِهْر بن مالك بن النّضْر (واسم النضر قُريش) بن كِنانـة . وكانت أمّ عبد الملك بن مروان عائشةَ بنتَ مُعاويةَ بن المُغيرة بن أبي العاص (البيان والتبيين ٢ : ٣٢٤) .

وُلِدَ عبد الملك بن مروان سنة ٢٦ هـ . وفي سنة ٤٢ هـ (٦٦٢ م) ، وكان

---

١ رأس إسبيل : جبل في اليمن . لم تنله الأصابع : لم تستطع (فيما مضى) أن تصل اليه الأصابع (الحيل والمكائد والجهود) .
٢ عن ثقيف : عن الحجاج وكل مـا يتعلق بالحجاج ، حتى عن بني ثقيف كلهم . هممت : عزمت . نجوة : منجى ، مكان احتمي بـه . مهامه جمع مهمه ومهمهة : المفازة (الصحراء) البعيدة (الواسعة) والبلد المقفر . تهوى : تسير مسرعة في مكان متسع (كأنما هي تسقط في مكان لا قرار له) من غير أن تقطعه . المجرع (بفتح الماء وبكسرها) : الكلب السلوقي .
٣ وفي الأرض ، يا ابن يوسف (الحجاج). منأى : مكان بعيد (مهرب) . «لا أبا لك» تعبير ظاهره ذم ومعناه : لا غاب عنك أو عن علمك ، لا خدعت (بضم الخاء) .
٤ إذا وصلت إلي، يا حجاج ، فانتقم مني حتى تشفي نفسك . ان الحافظ (منك ومن غيرك هو الله) والذي لا يحفظه الله يضيع (يهلك) .

له من العُمُر سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً ، جعله مُعاوية بن أبي سُفيان على ديوان المدينة ، فظل عبد الملك في المدينة إلى أن كانت الثورة في الحجاز على يزيد بن معاوية (سنة ٦٣ هـ = ٦٨٢ م) ، فخرج منها ثمّ انْضَمّ إلى جيش عُقْبَة بن مُسْلِمٍ الذي كان يزيد قد بعثه لإخماد الثورة .

واضطرب أمرُ بني أمية ثمّ انْتَقَلَتِ الخِلافةُ من الفَرع السّفياني (بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية) إلى الفرع المَرواني) لمّا تغلّب مروانُ بن الحكم في معركة مرج راهط على الضحّاك بن قيس ، فتقلّص بذلك نفوذ عبد الله بن الزبير عن الشام .

بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية بايع بنو أمية بالخِلافة لمروان بن الحكم (٣ من ذي القعدة سنة ٦٤ هـ = ٢٦-٦-٦٨٤ م) . حينئذ سار القيسية (أنصار عبد الله بن الزُبير) بقيادة الضحّاك بن قيس لقتال مروان ، فاستعان مروان باليمنية وحارب الضحّاك في مرج راهط . وسقط الضحّاك قتيلاً في المعركة (آخر سنة ٦٤ هـ) وانهزمت القيسية وأصبح مروان بن الحكم خليفة في الشام غيرَ مُنازَعٍ .

وعاش مروان بن الحكم في الخلافة نحو عَشْرةِ أشهر ، فقد قتلته امرأته فاختة (وكان قد تزوجها بعد وفاة زوجها الاول يزيد بن معاوية) في حديث طويل .

وقبل أن يموتَ مروانُ بن الحكم من السّم الذي سقته إياه فاختةُ جمع بني أمية وبايع لابْنِهِ عبد الملك .

كان عبد الملك بن مروان من أعاظم الخلفاء في بني أمية : وَحّد الإمبراطورية بعد أن تغلب على جميع مناوئيه ، ثم مَدّ الفتوحَ في الشرق وفي الغرب . وفي أيامه نُقلت الدواوين (سِجِلاّت الدولة) : صارت تُكتب باللغة العربية بعد ان كانت تُكتب في العراق باللغة الفارسية ، وفي الشام باللغة الرومية (اليونانية) ، وفي مصر باللغة القبطية . وهكذا أصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية في الادارة وفي جميع أنحاء الامبراطورية . وفي أيام عبد الملك بن مروان أيضاً سُكّتِ العِملةُ الاسلامية ، بعد أن ظلّ العرب ، منذ الجاهلية ، يتعاملون

بالعملة الفارسية وبالعملة الرومية . وقد رأينا طرفاً من ذلك كله في مقدمة العصر الاموي (راجع ، فوق ، ص ٣٥٢) ، كما سنرى طرفاً آخر في ترجمة الحجاج ابن يوسف الثقفي .

شاب عبد الملك بن مروان باكراً [١] ، كما كان قد شدّ أسنانه بالذهب ، كما كان قد سقط بعضها [٢] . ثم انه مرض في آخر أيامه مرضاً كان يُلِحّ عليه العطش فيه ، وكان الماء يَضُرّه فقيل له : ان شَرِبْتَ (كثيراً) مِتّ . فلم يَصْبِرْ عن الشّرب (الكثير) : وكانت وفاته في ١٤ شوال ٨٦ هـ (٨-١١-٧٠٥ م) .

٢ - كان عبد الملك بن مروان عاقلاً لبيباً وعالماً أديباً شديد الهيبة حسن السياسة . وكان خطيباً معدوداً في بني أمية [٣] ، وان لم يكن في ذلك كالحجاج مثلاً [٤] . وكان من عادة عبد الملك أن يحمل خَيْزُرانة في يده وكان يقول [٥] : « لو أَلْقَيْتُ الخَيْزُرانة من يدي لَذَهَبَ نِصفُ كلامي » .

وكان عبدُ الملك بن مروانَ من أكثرِ الناسِ علماً وأبرعهم أدباً [٦] يُطارح جُلَسَاءه حديثَ الشعر ويجول معهم في نقد الأبيات والمقطعات الشعرية [٧] . وعبد الملك هو الذي ردّ الاخطلَ إلى البَلاط الأموي وجعله شاعرَ بني أُمَيّةَ فأدّى عمله هذا إلى اتساع فن النقائض أو الهجاء القَبَلِيّ (الشعر السياسي) على ما رأينا مُفصّلاً في الكلام على الخصائص الأدبية في العصر الأموي ثم على ما سنرى في الكلام على الاخطل والفَرَزْدق وجَرير خاصة .

٣ - المختار من خطبه :

- خطب عبدُ الملك بن مروان في مَكّةَ فقال :

---

١ البيان والتبيين ١ : ١٣٥ .
٢ مثله ١ : ٦٠ ثم الكامل ٥٤٨ .
٣ و ٤ مثله ١ : ٣٥٣ ، راجع ٣٤٦ .
٥ مثله ٣ : ١١٩ .
٦ الكامل ٥٧٥ ، راجع ٥٣١ ، ٥٧٣ .
٧ راجع الكامل ١٠٢ - ١٠٤ ثم ٢٩ ، ٤٥ ، ١١٩ ، ١٣٥ ، ١٧٤ ، ١٨٣ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٣١٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٩٨ .

أيها الناسُ : إني ، والله ، ما أنا بالخليفةِ المُستَضْعَف [1] ، ولا بالخليفة المُداهن [2] ، ولا بالخليفة المأفون [3] . فمن قال لنا برأسه كذا ، قلنا له بسيفنا كذا !

— بعد مقتل مُصْعَبِ بن الزبير (سنة ٧١ هـ) دخل عبدُ الملك بن مروانَ الكوفةَ ثم خطب في أهلها فقال :

أيها الناسُ : ان الحربَ صَعْبَةٌ مُرّة ، وان السِلْم أمن ومَسَرّة . ولقد زَبَنَتْنا [4] الحرب وزَبَنّاها فعرَفْناها وألِفْناها ، فنحن بَنوها وهي أمّنا .

أيها الناس : (ألا) فاستَقيموا على سُبُل الهُدى ودَعوا الأهواء المُرْدِيَة [5] ، وتَجَنّبوا فِراقَ [6] جماعاتِ المُسلمين ، ولا تُكلّفونا أعمالَ المهاجرين والانصار [7] — وأنتم لا تعمَلون أعمالَهم . ولا أظُنُكم تزدادون بعد المَوْعظة إلا شرّاً ، ولن نزداد بعد الإعذار اليكم والُحجّة عليكم [8] إلاّ عقوبة . فمن شاء أن يعودَ بعدُ لِمِثْلِها فَلْيَعُدْ [9] . فإنما مَثَلي ومَثَلُكم كما قال قيس بن رُفاعة الانصاري [10] :

... أنا النذيرُ لكم مني مُجاهَرَةً كيلا ألامَ على نَهْيٍ وإعذار .
فإن عَصَيْتُمْ مَقالي اليومَ فاعترفوا أن سوف تلْقَونَ خزْياً ظاهرَ العار .

---

١ عثمان بن عفان . المستضعف : الذي يطمع به الناس ثم يتغلبون على ارادته .

٢ معاوية بن أبي سفيان . المداهن : الذي يتملق أصحاب الحق والقوة حتى يصرفهم عما عزموا عليه . المداهنة : الغش ، اظهار المرء غير ما يبطن .

٣ يزيد بن معاوية . المأفون : الضعيف الرأي والعقل ، الذي يتمدح بما ليس عنده .

٤ زبنتنا الحرب : دفعتنا (عن النصر) — انهزمنا فيها مرة وانتصرنا فيها مرة .

٥ المردية : المهلكة .

٦ فراق : مفارقة ، مخالفة . — لا تخرجوا عن إجماع الأمة الاسلامية .

٧ لا تنتظروا منا أن نعمل مثل اعمال المهاجرين والانصار (راجع فوق ، ص٢٣٧–٢٣٨) من الحق والعدل ، فلسنا نحن مثلهم ولا أنتم مثلهم .

٨ أعذر : أبدى عذره ، (أبدى وجهة نظره سلفاً وحذر من عواقب الأمور) .... بعد الحجة عليكم : بعد إقامة الحجة من شخص على آخر (بعد تبيان أوجه القضية وموافقة الخصم على أحد تلك الاوجه) .

٩ — (قد خالفتمونا ثم رأيتم عقابنا لكم) فمن شاء أن يعود إلى مخالفتنا فليفعل (فسنعود إلى مثل عقابنا لمن خالفنا) .

١٠ قيس بن رفاعة الانصاري أو الواقفي من بني واقف بن امرئ القيس بن مالك بن الاوس، شاعر مخضرم (معجم الشعراء ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٣٧٩ هـ = ١٩٦٠ م) ، ص ١٩٧.

وصاحبُ الوِتْرِ ليس — الدهرَ — مُدْرِكَه عِنْدي ، وإني لَدَرّاكٌ بأوْتارِ [1] .

— وأوصى عبد الملك أميراً سَيّرَه بجيشٍ إلى أرض الروم فقال له :

أنتَ تاجرُ الله لِعبادِهِ ، فكُنْ كالمُضارِبِ الكَيِّسِ [2] الذي إنْ وجد ربحاً اتّجرَ ، وإلاّ تَحفّظَ برأس المال . ولا تَطْلُبِ الغنيمةَ حتى تُحْرِزَ السلامة [3] . وكُنْ مِنَ احْتِيالِكَ على عَدُوِّكَ أشدَّ حَذَراً مِنَ احْتِيالِ عَدُوِّكَ عليك .

— وخطب عبد الملك يوماً خُطبة فيها زُهْدٌ فقال :

أيها الناسُ : اعْمَلوا لله رَغْبَةً ورَهْبَةً ، فأنكم نَباتُ نِعمتِه وحَصيدُ نِقْمته . ولا تَغْرِسُ لكمُ الآمالُ إلاّ ما تَجْتنيه الآجال [4] . وأقِلّوا الرَّغْبةَ في ما يُورِثُ العَطَبَ [5] ، فكل ما تَزْرَعُه العاجلَةُ تَقْلَعُه الآجلةُ [6] . وَاحْذَروا الجديدَيْنِ [7] فإنهما يَكُرّانِ عليكم . ان عُقْبى من بَقِيَ لُحوقٌ بِمَنْ مضى [8] ، وعلى أثَرِ من سَلَفَ يمضي من خَلَفَ ، فتَزَوّدوا فإنّ خيرَ الزاد التّقوى [9] .

٤ — ** عبد الملك بن مروان ، تأليف عمر أبي النصر ، بيروت (المكتبة الأهلية) ١٩٦٢ م .

عبد الملك بن مروان موحد الامبراطورية العربية : حياته وعصره ، تأليف

---

١ من كان له عندي ثأر لا يستطيع ادراكه (الأخذ بثأره مني) ، أما أنا فأستطيع أن أثأر لنفسي ممن شئت .

٢ المضارب : الذي يتاجر برأس مال من رجل آخر ثم يقاسمه الربح على نسبة معينة . الكيس : العاقل .

٣ حتى تحرز السلامة : حتى توقن أنك ستسلم .

٤ .... مهما كان زرعك كثيراً فانك لا تستفيد منه إلا بمقدار ما تقدر على استهلاكه في أجلك المحدود (؟) .

٥ العطب : الهلاك (لا تصر على تحقيق أمر قد يؤدي تحقيقه إلى هلاكك) .

٦ العاجلة : الدنيا . الآجلة : الآخرة . — كل ما تفعله في الدنيا (من الأمور المادية) يأتي عليه الموت (أو : لا يكون له فائدة في الآخرة) .

٧ الجديدان : الليل والنهار (تقلب الدهر) .

٨ لحوق بمن مضى : لحاق بمن ماتوا (الموت) .

٩ « وتزودوا فان خير الزاد التقوى » (القرآن الكريم ٢ : ١٩٧ — سورة البقرة) .

محمد ضياء الدين الريّس ، القاهرة (وزارة الثقافة والارشاد القومي) ١٩٦٢ م .

ليلى الأخيليّة [١]

١ — هي لَيْلى بنتُ عبد الله بن الرّحّال بن شَدّاد بن كعب بن مُعاوية الأخْيَل [٢] بن عُبادة بن عَقيل من بني كعب بن ربيعة من عامر بن صَعصعة . وبنو الأخْيَل كانوا من بني عَقيل رهط ليلى هذه [٣] ، وقد افتخرتْ بهم ليلى في شعرها [٤] .

ونشأت ليلى مَعَ ابن عمّ لها هو تَوْبَةُ بن الحُمَيِّر فأحبّها ثم خطبها إلى أبيها فردّه أبوها [٥] وزوّجها بعد ذلك لرجل من بني الأدلع ، وقد رزقت ولداً (راجع العقد الفريد ٧ : ٣) . ثم ان توبة ظلّ يزور ليلى حتّى شكاه أهل ليلى إلى السّلطان (الوالي) فأهدر الوالي دمَه (أذِنَ لأهلها أن يقتلوه إذا جاء مرّة أخرى لزيارتها) . ومهما كان من الأمر فان ليلى ظلت على وفائها لتوبة تقول فيه الشعر . ولمّا مات قالت في رثائه شعراً كثيراً .

ولأبي بكرٍ محمدِ بن أبي سليمانَ الأصفهانيِّ في كتابهِ « النصف الاول من كتاب الزّهْرة » تعليق (ص ١٦١) على حبِّ ليلى الاخيلية لتوبةَ يُنكِرُ عليها فيه معرفتَها بأحوال العشق إذ يرى أنّها لم تَعْرِفْ من العشق إلا أطرافَه ، قال :

« فليلى الأخيلية — عفا اللهُ عنّا وعنها — ان كان ما حكاه لنا تَوْبَةُ عنها في البيت الثاني حقّاً (راجع الابيات الفائية لتوبة ، فوق ، ص٤٦٨–٤٦٩) ، فانّها

١ جمع ابو الفراج الاصفهاني بين ترجمة ليلى الأخيلية وترجمة توبة بن الحمير (غ ١١ : ٢٠٣ – ٢٥٠) .

٢ الاخيل : طائر ، قيل الصقر ، وقيل : الشقرق (الصقر) .

٣ القاموس ٣ : ٣٧٢ ، السطر الأخير .

٤ راجع البيان والتبيين ٣ : ٨٩ ؛ غ ١١ : ٢٤١ . — وقيل هذا البيت في الفخر بالاخايل إنما هو لجدها .

٥ راجع ترجمة توبة بن الحمير ، فوق ، ص٤٦٦ .

كانت جاهلةً بأحوالِ العشقِ غافلةً عمّا تُولّدُه رَوْعاتُ الفِراق . ولَعمْري إنّ من مراثيها في توبةَ بعدَ وفاته لَدالّةً على أنها لم تتعلّقْ منَ الهوى إلاّ بأطرافه ، إذ لوكان الهوى قد بَلَغَ بها أقصى الحالِ لكانت حياتُها بعدَ وفاةِ توبةَ ضَرْباً من المُحالِ » .

وكانت ليلى تَفِد على الحجّاج بن يوسف ، كما كانت تفد على عبد الملك أيضاً . وبعد مقتل توبة وفدت ليلى على الحجّاج مرّة ، وكانت قد أسَنّتْ كثيراً ، وسألته أن يحملها إلى قتيبة بن مسلم في خراسان [1] ، فحملها على البريد [2] ، ولكنّها ماتت في أثناء الطريق ، في ساوي ، وقبرت بها [3] . فإذا صحّت هذه الرواية فيجب أن تكون وفاة ليلى قد وقعت بين سنة ٨٦ هـ (٧٠٥ م) ، وهي السنة التي تولّى فيها قتيبة خراسان ، وبين سنة ٩٥ هـ (٧١٣ م) ، وهي السنة التي توفّي فيها الحجّاج ، في نحو سنة ٩٠ هـ (٧٠٩م.) ، بعد توبة بنحو عشر سنوات . وهذا حدّ معقول يبرّره كثرة شعرها في رثاء توبة [4] .

٢ – ليلى الأخيلية من النساء المتقدّمات في الشعر لا يتقدّمها من النساء إلاّ الخنساء ، وقد أثارت ليلى بجودة شعرها إعجاب أبي العبّاس المبرّد فقال في كتابه المشهور (الكامل ٧٣٦) : « قال أبو العبّاس : وكانت الخنساء وليلى بائنتين [5] في أشعارهما متقدّمتين لأكثر الفحول (من الرجال) ، وربّ امرأة تتقدّم في صناعة ، وقلّ ما يكون ذلك » .

ويميل الاصمعي إلى تقديم ليلى الاخيلية على الخنساء (الموشح ٨١) .

وكانت ليلى الأخيلية فصيحة بليغة حسنة الانشاد . وشعرها متين السبك يجري

---

١ قتيبة بن مسلم هو القائد المشهور فاتح المشرق ، تولى خراسان سنة ٨٦ هـ ، ومات سنة ٩٦ هـ بعد الحجاج .

٢ البريد كان نظام النقل الذي تستخدمه الدولة لنقل الاخبار والرسائل والاشياء المتعلقة بالادارة والحكومة . وكانت الخيل تحمل هذه الاشياء ؛ وكانت تلك الخيل تبدل في أثناء المراحل الطوال مرة بعد مرة .

٣ الشعر والشعراء ٢٧٣ .

٤ ليلى الاخيلية .... توفيت في عشر الثمانين من الهجرة (فوات الوفيات ٢ : ١٧٦ ، السطر الأول) . وفي فوات الوفيات أيضاً (١ : ١٢٣) أن ليلى ماتت عند قبر توبة .

٥ ظاهرتين ، مشهورتين (؟) ؛ مختلفتين في ذلك من النساء (؟) .

على النهج القديم . ومعظم شعرها الرثاءُ في توبة ، ولها شيء من الرثاء في عثمان ابن عفّان (الكامل ٤٤٤) . ولها أيضاً فخر وحماسة ، ولها شيء من المديح في الحجّاج (الكامل ١٧٣) . وكذلك كان بينها وبين النابغة الجعدي المتوفّى سنة ٦٥هـ شيء من الهجاء [١] .

٣ – المختار من شعر ليلى الأخيليّة :

– قالت ليلى الأخيلية من قصيدة تمدح بها الحجّاج بن يوسف :

إذا هَبَطَ الحجّاجُ أرضاً مريضةً ... تَتَبَّعَ أقصى دائِها فشَفاها :
شفاها من الداء العُضال الذي بها ... غُلامٌ إذا هزّ القناةَ سقاها [٢] :
سقاها دِماءَ المارقين وعَلّها ، ... إذا جَمْجَمَتْ يوماً وخِيف أذاها [٣] .

– وقالت تفتخر بقومها :

نحنُ الأَخايلُ لا يزالُ غُلامُنا ، ... حتّى يَدِبَّ على العصا ، مشهورا .
تَبْكي الرِماحُ إذا فَقَدْنَ أكُفَّنا ... جَزَعاً ، وتَعرِفُنا الرِفاقُ بحُورا [٤] .

– وقالت ترثي توبة بن الحميّر :

فإنْ تَكُنِ القَتْلى بَواءً فإنّكم ... فَتًى ما قَتَلْتُمْ ، آلَ عَوْفِ بن عامرِ [٥] !
فتًى كان أحيا من فتاة حَيِيَّة ، ... وأشجع من ليث بخَفّانَ خادر

١ راجع ، فوق ، ص ٣٤٣ .
٢ العضال : لا يرجى برؤه (شفاؤه) . هز القناة (الرمح) : قاتل . سقاها : أسال الدم من العدو ، ظفر في القتال .
٣ المارق : الخارج على السلطان ، الثائر ؛ الكافر . علها : سقاها مراراً ، انتصر مرات كثيرة . جمجم الكلام : جاء به غامضاً (اشتدت الحرب) .
٤ – ليس في الأرض أبطال غيرنا . بحور : كرماء .
٥ – إذا كان القتلى في العادة بواء (يعدل بعضهم بعضاً) ؛ فانكم ، يا آل عوف ، قد قتلتم سيداً بطلا لا مثيل له ولا كفؤ .
٦ خفان : موضع قرب الكوفة مشهور بالاسود .... خادر : مستتر ، مختف في أجمة (كناية عن قوته وضراوته) .

أتَتْهُ المنـايا دون دِرْعٍ حَصينة وأسمَرَ خَطّيٍّ وجرداءَ ضامر [1] .
فنِعْمَ الفتى ان كان تَوْبَةُ فاجراً ، وفوق الفتى ان كان ليس بفاجر .

— ولها أيضاً في رثاء توبة :

آليتُ أبكي بعدَ توبةَ هالكـاً أخا الحرب إنْ دارت عليه الدوائر [2] .
لَعَمْرُكَ ، ما بالموت عارٌ على الفـتى إذا لم تُصِبْهُ في الحياة المَعاير [3] ،
فكلّ جديدٍ أو شبابٍ إلى بِلىً ، وكلّ امرىء يوماً إلى الله صـائر [4] .

٤ — ** الاغاني ١١ : ٢٠٣ — ٢٥٠ ؛ الامالي ١ : ٨٦ وما بعدها ؛ بروكلمان ١ : ٥٨ ، الملحق ١ : ٩٣ — ٩٤ ؛ زيدان ١ : ٣٤٥ — ٣٤٧ .

مسكينٌ الدارميّ

١ — هو ربيعة بن عامر بن أُنَيْفٍ من بني دارم من تميم .

كانت صِلةُ مسكينٍ الدارمي بوالي البصرة زِياد بن أبيه (٥٠ — ٥٣ هـ) حَسَنَةً ، وكان زياد قد أقطَعَ مسكيناً أرضاً في العُذيب . وتهاجى الفرزدقُ ومسكينٌ زمناً ، لاختلاف موقفهِما من زيادٍ ، ثم تكافّا : لا يتهاجيان ، ولا يُعين مسكينٌ الدارمي جريراً على الفرزدقِ ، ولا يُعين الفرزدقُ عبدَ الرحمن ابنَ حسان بنِ ثابت على مسكينٍ .

وكانت وفاة مسكين الدارمي سنة ٩٠ هـ (٧٠٩ م) ، أو سنة ٨٩ هـ (معجم الأدباء ١١ : ١٣٢) .

٢ — مسكينٌ الدارمي شاعر مجيد شريف رقيق اللفظ حسن المعنى واضح الغاية

١ اسمر خطي : رمح ذابل ، دقيق (قوي ، متين) . جرداء ضامر : فرس دقيقة الخصر (فتية ، سريعة ، شديدة) .

٢ آليت أبكي : اقسمت أن لا أبكي . « أخا الحرب » مفعول بـه من « أبكي » . دارت عليه الدوائر : اجتاحته المصائب ، هلك . — لن أبكي بعد اليوم (بعد أن مات توبة) بطلا يموت في المعركة (لأن مصيبتي بتوبة أعظم من كل مصيبة أخرى عندي) .

٣ المعاير : المعايب (ما يعير به الانسان أو يعاتب به أو يذم به) .

٤ البلى : الهلاك ، الانحلال ، التهرؤ . عجز هذا البيت مأخوذ من قول لبيد (راجع فوق ، ص ٢٣٦) .

ولكنه مُقِلّ، فيما يبدو . وتدور أغراض مسكين على المدح والهجاء ، وله شيء من الحماسة والحكمة ثم شيء مستحسن في الفخر بنفسه (ديوان المعاني ١ : ٧٩) .

٣ – المختار من شعره :

– وفَدَ مسكينٌ الدارمي على مُعاوية وسأله أن يَفْرِضَ له عطاءً (أن يجعل له راتباً) فأبى معاوية لأنه كان يعطي اليمانية فقط ، فقال مسكين :

أخاكَ أخاك ، إن مَنْ لا أخا له ... كساعٍ إلى الهَيْجا بغيرِ سِلاحِ [١] .
وإنّ ابْنَ عمِّ المرء ،فاعْلَمْ ،جَناحُه ، ... وهل يَنْهَضُ البازي بغير جَناح !
وما طالبُ الحاجات إلا مُغَرِّرٌ ، ... وما نال شيئاً طالبٌ كنجاح [٢] .

– أراد مُعاوية أن يبايع لابنه يزيدَ بوَلايةِ العهدِ ، ولكنه تهيّب ذلك الكثرة الذين كانوا يطمعون في الخلافة ولأن الناس كانوا لا يَرَوْنَ يزيدَ أهلاً للخلافة . فدخل مسكينٌ الدارمي يوماً على مُعاوية ، وعنده وجوه بني أمية ، فأنشده :

فإنْ أدْعَ مِسكيناً فاني ابْنُ مَعْشَرٍ ... من الناس أحْمي عَنْهُمُ وأذودُ [٣] .
إلَيْكَ ، أميرَ المؤمنين ، رَحَلْتُها ... تُثير القَطا لَيْلاً وهنّ هُجود [٤] .
ألا ليت شِعْري ، ما يقولُ ابْنُ عامرٍ ... ومروانُ أم ماذا يقول سعيد [٥] ؟
إذا المِنْبَرُ الغَرْبِيّ خَلاّهُ ربّه ... فإنّ أميرَ المؤمنين يزيدُ !
على الطائر المَيْمونِ والجَدّ صاعد ؛ ... لكل أناس طائر وجُدود .
فلا زِلتَ أعلى الناسِ كَعْباً ، ولا تزَلْ ... وُفودٌ تُساميها إليك وفود .
ولا زال بيتُ المُلْكِ فَوْقَك عالياً ... تُشَيَّدُ أطْنابٌ له وعَمود .

---

١ أخاك ، أخاك : احفظ أخاك ، اعتمد عليه (إشارة إلى أن مسكيناً ومعاوية أخوان وابنا عم لأنهما من قيس عرب الشمال ، وتعريضاً بمعاوية لأنه كان يعطي اليمانية) .
٢ من يطلب الحاجات (من غيره) يغرر بنفسه . الجناح : اليد ، العضد (المساعد) .
٣ أذود : أدافع .
٤ سيرت ناقتي اليك سيراً سريعاً تجفل منه طيور القطا . هجود : نيام .
٥ عبد الله بن عامر ، ومروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص من الطامحين إلى الخلافة .

– وقال مسكين الدارمي في حِفْظه لأسرارِ إخوانه (الكامل ٤٢٥) :

وفِتيانِ صِدْقٍ لستُ مُطْلِعَ بَعْضِهِم على سِرِّ بَعْضٍ ، غير أنّي جِماعُها ؛
يَظَلّونَ في الأرض الفضاء ، وسِرّهم إلى صخرةٍ أعْيا الرجالَ انْصِداعُها.
لكلِّ امْرِىءٍ شِعْبٌ من القَلْبِ فارغٌ وموضع نَجْوى لا يُرامُ اطّلاعُها .

٤ – ** الاغاني ١٨ : ٦٨ وما بعدها ؛ معجم الأدباء لياقوت ١١ : ١٢٦ – ١٣٢ ؛ زيدان ١ : ٢٨١ – ٢٨٢ .

مزاحمٌ العقيليّ

١ – هو مُزاحمُ بن عمرو بن الحارث من بني عامر بن عُقيل بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صَعصعة بن مُعاوية بن بكر بن هَوازن ، كان يسكن الرَّوْضات من بلاد بني عُقيل .

كان لمزاحم بن عمرو العقيليّ ابْنَةُ عمّ يُحبّها اسمها ليلى (وقيل كان اسمها ميّة) ، وقيل هي ليلى بنت مُوازِر القُشيرية ، وقيل بل كانت ليلى التي أحبّها مجنون بني عامر . أراد مزاحمٌ أن يتزوجَ ابْنَةَ عمه هذه ولكنّ عمّه دافعه مدة (لأن مزاحماً كان مُمْلِقاً قليلَ المال) ثم زوّجها لرجل غني . فحزن مزاحمُ لذلك وقال في ابنة عمّه أكثر شعره .

وتشاجر مزاحم مرة معَ رجل من بني جَعْدة فضربه بعصاه على رأسه فشجّه . وحُبِسَ مزاحمٌ من أجلِ ذلك ثم خرج من السجن بشفاعة نفر من قومه .

كان مزاحم العقيليّ مُعاصراً للفرزدق وجرير في أيام عبد الملك بن مروان . وبما ان الفرزدقَ وجريراً مدحا مُزاحماً لجودة شعره ثم تمنى جريراً ان لو كان له ببعض شعره بعضُ شعر مزاحم بن عمرو العقيلي ، فيغلب على الظن ان ذلك كان في أول أيامهما حينما كانا لا يزالان يَرَيانِ لغيرهما فضلاً على نفسيهما (قبل أن يتمكّن الاعتداد بالنفس منهما حتى ما كانا يَرَيانِ لأحد عليهما فضلاً) .

ولعلّ وفاة مزاحم بن عمرو العقيلي كانت بُعيد سنة ٩٠ هـ (٧٠٨ م) *.

٢ ـ مُزاحم بن عمرو العُقيلي شاعر بَدْوِيّ فَصيح مُجيد مُحْسن له رَجَز وقَصيد. وشعره فصيح الألفاظ سهل التراكيب مَعَ متانة في السبك وعذوبة ورِقّة. وشعره الذي وصل الينا في الغزل العُذري في الاكثر، وكان له مدح قليل. ثم له أوصاف في البادية، وفي الخيل خاصة [1]. وقد قال جرير فيه: «كان (مزاحم) يقول حوشياً [2] من الشعر لا يستطيع أحدٌ أن يقول مثله (غ ١٧ : ١٥٢، ١٥٣).

٣ ـ المختار من شعره :

ـ يقول مُزاحم بن عمرو العقيلي يصف البادية في مطلع قصيدة له :

خليليّ، عُوجا بي على الدار نسألِ : متى عهدُها بالظاعن المُتَحَمّلِ ؟
فعُجْتُ وعاجوا فوق بَيْداء صَفّقَتْ بها الريحُ جَوْلانَ التّرابِ المُنَخّلِ [3].

ـ ومن نسيبه الرائق قوله :

وَدِدتّ ـ على ما كان من سَرَفِ الهوى وغَيّ الأماني ـ أن ما شئتُ يُفْعَلُ [4]؛
فتَرْجعَ أيامٌ مَضَيْنَ ولَذّةٌ تَوَلّتْ، وهل يُثْنَى من العيش أولُ [5] ؟

ـ ولمّا علم أن ابنة عمّه ليلى تزوّجت قال (والابيات الاربعة الاخيرة ليست

* في الاعلام للزركلي (٨ : ١٠٠) نحو سنة ١٢٠ هـ.

[1] ديوان المعاني ٢ : ١١٠. وكان له ديوان صنعه جماعة من الرواة (الفهرست ٧٨، ١٥٨).

[2] الحوشي والوحشي : الغريب، البدوي، البعيد عن مألوف أهل الحضر.

[3] عاج : مال، ترك طريقه الأصلي ليمر بمكان ما كان يقصده من قبل. صفقت بها الريح : هبت بها الريح هبوباً شديداً يحدث صوتاً قوياً. التراب المنخل : الناعم. الجولان (بسكون الواو) : التراب. الجولان (بفتح الواو) : المصدر من جال يجول. تصفق الريح جولان (يجب أن تكون بفتح الواو ـ وقد سكنها الشاعر هنا) : تحمل التراب ثم تحركه يميناً ويساراً.

[4] السرف : الخطأ. على ما كان من سرف الهوى : مع العلم بأن الحب خطأ من المحب. وغي (خداع) الأماني (ما يتمناه الانسان بينه وبين نفسه) ؛ خيبة الأمل في ما يتخيله الانسان عادة. يفعل (هنا :) يتحقق. في كتاب الزهرة (ص ٢٨٢) :

وددت على ما كان من شرف الفتى وجهل الاماني ان ما شئت يفعل.

[5] هل يثنى من العيش أول ؟ : هل يمكن أن تعود الأيام الاولى (التي مضت) ؟

من نمط سائر الأبيات في وضوح المعنى وسهولة التركيب) :

أتاني بظهرِ الغيبِ أن قد تزوّجتْ ، فظلّت بيَ الأرضُ الفضاء تدورُ [1] ،
وقد زايلتْ لُبّي — وقد كان حاضراً — وكاد جناني عند ذاك يطير [2] .
فقلت ، وقد أيقنتُ أن ليس بيننا تلاقٍ وعيني بالدموع تمور [3] :
ايا سُرْعةَ الأحبابِ حينَ تزوجتْ ، فهل يأتينّي بالطلاقِ بشير [4] !
ولست بمُحْصٍ حبّ ليلى لسائلٍ من الناس إلا أنْ أقولَ : كثيرُ !
وتُنْشَرُ نفسي بعد موتي بذِكرِها مراراً : فموتٌ مرةً ونُشور [5] .
عَجَجْتُ لربّي عجّة ما ملكتُها ، وربي بذي الشوقِ الحزين بصير [6] ،
ليَرْحَمَ ما أبقى ويَعْلَمَ أنني له — بالذي يُسْدى إليّ — شكور [7] .
لئنْ كان يُهْدي بَرْدَ أنيابها العُلا لأحوجَ منّي إنني لفقير [8] !

٤ — ** الاغاني ١٧ : ١٥٠ — ١٥٣ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٨٩ ؛ زيدان ١ : ٣٤١ .

---

١ بظهر الغيب : بشيء يشبه معرفتي بالغيب (لأن عمه كان يعلن أنه سيزوجه ليلى ويضمر غير ذلك) . فظلت بي الأرض الفضاء (الواسعة) تدور : أشعر أن الأرض تدور بي (لهول ما سمعت حتى حدث لي صداع يخيل إلي معه أن الأرض تدور بي) .

٢ زايلت لبي : زايلني (؟) : فارقني لبي (عقلي) . كان حاضراً : (موجوداً وافراً) — وقد كنت حصيف العقل . جناني (قلبي) يطير : يخرج من صدري (من خوفي مما سمعت — من تزويج ليلى لغيري) .

٣ عيني تمور : تموج (بالدموع — لكثرة ما بكيت) .

٤ — تزوجت بسرعة كأنما كانت وزوجها يحب بعضهما بعضا .

٥ تنشر نفسي : تعود إلى الحياة . النشور : القيامة من القبور .

٦ عج : صاح ورفع صوته . ما ملكتها : ما استطعت أن أملك نفسي (أمنعها) عن مثل تلك العجة (الصيحة العظيمة) .

٧ — ليرحم (الله) ما أبقى (لي الله من عقلي) : ليحفظ علي الله ما بقي لي من عقلي وصبري . اسدى (صنع اليه معروفاً) .

٨ برد أنيابها (أسنانها) : ريقها البارد « اللذيذ » . العلا (؟) . — إذا كان الله قد أهدى برد أنيابها لأحوج مني (لمن هو أحق بها مني : لزوجها) فانني سأكون (بعدها) فقيراً جداً (؟) .

وضّاح اليمن

١ — هو عبد الرحمن بن اسماعيل بن عبد كِلال بن داوود بن أبي أحمد ، أصله من اليمن : من عرب اليمن أو من الفرس الذين كانوا قد وَفَدوا على اليمن قبل الاسلام . والوضاح (الابيض) لقب غلب عليه لجماله وبهائه .

وكان الوضّاح يهوى امرأة من أهل اليمن اسمها رَوْضةُ قال فيها أكثر شعره . وأحبَّ وضّاح أن يتزوج رَوْضَةَ فلم يقبلْ أهلها ثم زوجوها غيرَهُ ، ولكنَّ وضّاحاً ظل يَحِنُّ اليها . ثم ان روضة جُذِمَتْ [١] ، واتّفق أن لَقيَها وضّاح وهي مجذومة فخَدَمها وواساها وأعطاها من مالٍ كان معه .

ووضّاح اليمن كان غَزِلاً مُغامراً مُجاهراً هَجّاماً على الحُرُمات متعرِّضاً للشريفات : شَبَّبَ بفاطمةَ بنت عبد الملك وبأمِّ البنين بنت عبد العزيز بن مروان امرأةِ الوليد بن عبد الملك . وله مع أمِّ البنين قِصَصٌ هي بالخُرافات أشبه : قيل إنها عَشِقته وعشقها ، وأنه كان يأتي إلى الشام ويَنْزِلُ عندها . فبلغ الوليد مرةً أن وضّاحاً عندها فجاءها بغتة فأشارت إلى وضاحٍ أن يختبئْ في صُندوق في الغرفة . ودخل الوليد وجلس على الصندوق ثُمَّ استَوْهَبَها الصندوق في حديث طويل وطَمَرَه في حديقة الدار . ويقال ان ذلك كان آخرَ العهد بأخبارِ وضّاح اليمن . فإذا صحّت هذه الرواية فان مقتل وضّاح اليمن يجب أن يكون في حدود سنة ٩٠ هـ (٧٠٩ م) .

٢ — وضّاح اليمن من الذين يُصَرِّحون في الغزل ، وهو في طبقة عُمَرَ ابن أبي ربيعة ، ولكنَّ عُمَرَ أشهرُ منه . وأكثر شعر وضّاحٍ الغزلُ ، وخصوصاً في روضة وأم البنين ؛ على أن له شيئاً من الحكمة والفخر والرثاء ، ومن المديح في الوليد بن عبد الملك وفي غيره .

٣ — **المختار من شعره :**

— قال يتغزّل بروضةَ ويذكر بدء أمره معها :

---

١ مرضت بالجذام (بضم الجيم) ؛ والجذام مرض يتساقط منه اللحم .

يا روضَ ، جيرانُكم الباكرُ ، فالقلبُ لا لاهٍ ولا صابرُ[1].
قالت : ألا لا تَلِجَنْ دارنا ، إنَّ أبانا رجلٌ غائر[2].
قلتُ : فإنّي طالبٌ غُرَّةً منه ، وسيفي صارم باتر .
قالت : فإنَّ القصرَ من دوننا ؛ قلت : فإني فوقَه ظاهر[3].
قالت : فان البحر من دوننا ؛ قلت : فإنّي سابح ماهر .
قالت : فحَوْلي إخوةٌ سبعةٌ ؛ قلت : فإني غالب قاهر .
قالت : فلَيْثٌ رابضٌ بيننَا ؛ قلت : فإني أسدٌ عاقر[4].
قالت : فإنَّ اللهَ من فوقنا ؛ قلت : فربي راحمٌ غافر .
قالت : لقد أعيَيْتَنا حُجةً ، فأتِ إذا ما هَجَعَ السامر[5] ،
فاسْقُطْ علينا كسُقوط النّدى ليلةَ لا ناهٍ ولا زاجر !

— ومن غزله في أمّ البنين :

أصحَوْتَ عن أمِّ البنينَ وذِكرِها وعَنائها[6] ،
وهَجَرْتَها هجرَ امرىءٍ لم يَقْلُ صَفْوَ صَفائها[7] ؟
قُرَشيّةٌ كالشمسِ أشْرق نورُها ببهائها .
زادت على البيض الحِسانِ بحُسنها ونَقائها .
لمّا اسْبَكَرّتْ للشّبابِ وقُنّعَتْ برِدائها[8] .
لم تَلْتَفِتْ لِلِداتِها ، ومَضَتْ على غُلَوائها[9] .

---

١ روض : ترخيم روضة . جيرانكم ، كذا في الأصل ، والمعنى في الأغلب : يا روضة ، ان الباكر (المبكر في الامور – ويقصد نفسه) من جيرانكم ، ولذلك لا يستطيع الصبر عن الاجتماع بكم – والمعنى غامض في الاصل .
٢ ولج : دخل . الغائر : الذي يغار .
٣ ظاهر : متسلق إلى ظهره : أعلاه .
٤ رابض : متربص . عاقر : فاعل (من عقر الدابة : جرحها جرحاً بليغاً) .
٥ السامر : الساهر في الليل مع القوم .
٦ العناء : المشقة في سبيلها .
٧ قلا يقلو : كره .
٨ اسبكرت : مشت مستقيمة القامة .
٩ اللدات : الاتراب ، من هن من جيل واحد . الغلواء : ريعان الشباب .

لولا هَوى أمّ البنـــ ـــنَ وحـاجتي لِلِقـائهـا
قـد قُرّبت لي بَغْلـةٌ محبوســة لِنَجـائهـا [1] !

٤ — ** وضّاح اليمن أو الطيف العائد ، تأليف أكرم الرافعي ، بيروت ١٩٦٠م.
وضّاح اليمن لأحمد حسن الزيات (الرسالة — مصر ، العدد ٤٢ ، ابريل ١٩٣٤ م) .
غ ٦ : ٢٠٨ وما بعدها ؛ بروكلمان ١ : ٣٠ الحاشية ٢ ، ٨٢ — ٨٣ .

راعي الأبِل النُّميريّ

١ — هو أبو جندل عُبيد بن حُصين بن مُعاوية بن جندل من بني نُمير بن عامر بن صعصعة ، ولقّب براعي الإبِل لكثرة وصفه للابل أو لراعيها ولجودة ذلك الوصف .

وبيت الراعي بيت شرف ورئاسة في الجاهلية والاسلام : كان معاوية جدّ الراعي رئيساً سيّداً في الجاهلية ، وكان الراعي نفسه ماجداً ومن وجوه قومه ، ولكنه كان مع ذلك بذيئاً هجّاء لعشيرته . وكان قد نَصَرَ الفرزدقَ على جريرٍ ، فَاستَكفَهُ جريرٌ فلم يَكُفَّ فهجاه وفضحه ، فانحطّت بذلك مكانته الاجتماعية وسقطت منزلته في الشعر ، وخصوصاً بالإضافة إلى جرير والفرزدق والاخطل . ثم خَمَلَ ذِكْرُه بعد ذلك .

وكان الراعي في أول أمره زُبيريّاً ثم مال ، بعد مقتل ابن الزبير (٧٣ هـ) ، إلى الامويّين ومدح عبد الملك واعتذر اليه بأنه لم يكن يزور عبد الله بن الزبير اعتقاداً منه بحق ابن الزبير في الخلافة (الكامل ٥٤١) ولكن للتكسّب . فلم يَرْضَ عنه عبد الملك .

ناقض راعي الإبل نفراً من الشعراء منهم جرير :

اتّصل الهجاء بين جرير وراعي الابل منذ جاء جرير إلى البصرة في ولاية

[1] معنى هذا البيت غامض ، والمفهوم من سياق الابيات ما يلي : لولا أنني أحب أم البنين و أريد أن ألقاها لنجوت بنفسي على بغلة معدة لي .

بشر بن مروان على الكوفة (٧١ – ٧٣ هـ) ، بعد أن كان فيها الفرزدق. وجاء راعي الابل[١] يوماً إلى البصرة فلقيه عَرادة النميري ، وكان عرادة نديماً للفرزدق، فأكرمه ثم سأله أن يقول شيئاً في تفضيل الفرزدق على جرير ، فقال راعي الابل قصيدة مطلعها :

يا صاحبيّ ، دنا الرحيل فسيرا ، غلب الفرزدق في الهجاء جريراً.

ويبدو أن راعي الابل كان هواه مع الفرزدق ، على الرغم من أنه كان من قوم جرير ، فالمنافسة بين القريبين تكون عادة أقوى من المنافسة بين البعيدين. من أجل ذلك كان الراعي إذا سئل عن جرير والفرزدق قال : الفرزدق أكرمهما وأشعرهما . ولقي جرير ذات يوم راعيَ الابل فعاتبه على ما فعل . فاعتذر راعي الابل إلى جرير وقال له إنّه لن يعود إلى مثل ذلك .

وعاد راعي الابل إلى تفضيل الفرزدق . ولقي جرير راعي الابل مرّة أخرى، ومع راعي الابل ابنه جندل ، وكان في جندل شيء من الخطَل والعُجب . وأخذ راعي الابل يعتذر إلى جرير من جديد . فقال جندل لأبيه : « إنّي لأراك تعتذر إلى ابن الأتان » . ثم التفت جندل إلى جرير وقال له : والله ، لنفضّلن عليك ولنُرْوِينّ هجاءك عليه[٢] ، ولنهجونّك من تِلقاء أنفسنا ؛ بعدئذ ضرب وجه بغلة جرير وقال :

ألم تر أن كلب بني كليب أراد حياض دِجلة ثم هابا[٣] !

من ذلك الحين أخذ جرير يهجو راعي الابل[٤] .

وكانت وفاة راعي الابل في سنة ٩٠ هـ (٧٠٩ م) ، وقد كان أعور ذهبت عينه في احدى المنازعات القبلية (راجع الكامل ٢٤) .

٢ – كان راعي الابل شاعراً فحلاً من الذين يَسلُكونَ النهجَ القديم ،

---

١ راجع طبقات الشعراء ١٠٣ – ١٠٤٠ ، ١١٧ ؛ والاغاني (طبعة الساسي) ٢٠ : ١٦٩ – ١٧٣ ؛ ٨ : ٢٠ وما بعدها .

٢ كذا في طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي (ص ١٠٤ ، السطر ٩ – ١٠) ، والاصوب : هجاءه (هجاء الفرزدق) فيك .

٣ كان جرير قد انحدر من مساكن قومه في اليمامة إلى البصرة .

٤ راجع تفصيل ما بعد ذلك في ترجمة جرير .

(راجع الموشّح ٨٠) ، وقد جعله ابن سلاّم في الطبقة الأولى من الشعراء الاسلاميّين . والراعي كثير البديع في شعره (البيان والتبيين ٤ : ٥٦) ، وشعره سائرٌ على الألسنة ، قيل ان الفرزدق كان ينتحل بعض شعره (الموشّح ١٠٩) . أما فنونه فالهجاء والمديح ووصف الابل ، وله فخرٌ وحماسة ثم وصف وجداني وغزل قليلٌ . وقد تعرّض راعي الابل بهجائه لبني أميّة وللحطيئة ولِحَنْزَرَ ابن أرقمَ أحدِ بني بدر بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نُمير ، ولكنّه لم ينهزم إلاّ أمام جرير .

٣ — المختار من شعره :

— لراعي الابل قصيدة عدّها أبو زيد القرشي في الملحمات (ص ٣٥٣ — ٣٥٩) معَ قصائدَ لجرير والاخطل والفرزدق . في المختارات التالية من هذه القصيدة نجد راعي الابل يعتذر في الابيات الثلاثة الأولى عن ذهابه حيناً إلى عبد الله بن الزبير . ثم تأتي ثلاثةَ عشَرَ بيتاً يذكر الراعي فيها أن عمّال بني أمية يظلمون بني نمير (قوم الراعي) في جمع الزكاة . ثم تأتي أربعة أبيات فيها مديح لعبد الملك ولبني أمية ثم خوف من أن يتشتّت أمر بني أمية (وأمر قريش) بمثل هذا الظلم . والقصيدة في الأصل أربعة وثمانون بيتاً :

إني حلفتُ على يَمين بَــرّةٍ   لا أكذبُ اليوم الخليفةَ قِيلا ،
ما زُرتُ آلَ أبي خُبيبٍ طائعاً   يوماً أريدُ لِبَيْعتي تبديلا [1] .
من نِعمةِ الرحمنِ ،لا من حيلتي ،   أني أعُدّ له عليّ فُضولا [2] .
أخليفةَ الرحمنِ ، إنّا معْشَرٌ   حُنَفاءُ نَسْجُد بُكْرةً وأصيلا.
عَرَبٌ نرى لله في أموالنا   حَقّ الزكاةِ مُنَزّلاً تنزيــلا .

---

١ أبو خبيب كنية عبد الله بن الزبير . — ما زرت عبد الله بن الزبير (أو أخاه مصعباً) لأخلع طاعة بني أمية وأبايع آل الزبير ، ولكني كنت أزورهم تكسباً .

٢ — لآل الزبير فضل علي كان قد ساقه الله إلي ؛ ولم يكن ذلك بحيلتي : لم أحتل أنا له (لم أقصد أنا أن أذهب اليهم وأتحبب اليهم) . ولا ريب في أن الراعي يكذب في ذلك (لأنه شاعر متكسب) ، ولقد روى له الجاحظ (البيان والتبيين ١ : ٣٥٨) بيتاً هو :

بني أمية ، إن الله ملحقكم   عما قليل بعثمان بن عفــان .

راجع مقتل عثمان بن عفان ، فوق ، ص ٢٣٩ .

إن السّعاةَ عَصَوْكَ يومَ دَعَوْتَهم ، وأتَوْا دواهيَ لو عَلِمْتَ وَغُولا [1]

أخذوا العريف فقطّعوا حَيْزومَه بالأصْبَحِيّة قائماً مَغْلولا [2] .

يدعو أميرَ المؤمنين ودونَه خَرَق تَجُرّ به الرياحُ ذُيولا [3] .

أخليفةَ الرحمنِ ، إنّ عشيرتي أمسى سَوامُهُمُ عَرِينَ فلولا [4] .

قوم على الاسلام لَمّا يَتْرُكوا ماعونَهم ويُضَيّعوا التهليلا [5] .

قطعوا اليمامة يُطْرَدون كأنّهم قومٌ أصابوا ، ظالمين ، قَتيلا .

وأتاهم يَحيى فشدّ عليهم عَقْداً يَراه المُسلمون ثَقيلا :

كُتُباً تركن غَنيّهم ذا عَيْلَةٍ بعد الغنى وفقيرَهم مهزولا .

فارْفَعْ مَظالِمَ عَيَّلَتْ أبناءنا عنّا وأنْقِذْ شِلْوَنا المأكولا [6] .

إنّ الذين أمرتَهم أن يَعْدِلوا لم يفعلوا مِمّا أمرت فَتيلا [7] :

أخذوا الكرام من العِشار ظُلامة مِنّا ، ويُكتب للامير أفيلا [8] .

وإذا قُريشٌ أوقدَتْ نيرانَها وبلت ضغائنَ بينها وذحولا [9] ،

---

[1] السعاة الذين يجمعون الصدقات (الزكاة ، الأموال لبيت المال) ، راجع القاموس (٤ : ٣٤٢ ، السطر الثاني من أسفل) . عصوك : (لم يتقيدوا بنصحك في الرفق بجمع الصدقات) يوم دعوتهم (اخترتهم ليكونوا من جامعي الصدقات . أتوا دواهي : ارتكبوا أموراً عظيمة من الظلم ، أتوا غولا : أمراً داهياً منكراً (القاموس ٤ : ٢٧) .

[2] العريف رئيس القوم (القاموس ٣ : ١٧٤) ... الحيزوم : وسط الانسان ، من جانب بطنه أو من جانب ظهره . الاصبحي : السوط .

[3] يدعو : يستجير ، يطلب المعونة . الخرق : فلاة قفر واسعة . تجر به الرياح ذيولا : تعصف فيه الرياح مسافات طوالا (لسعته) .

[4] السوام الانعام التي ترعى في الأراضي العامة ... عرين : ذهب صوفها من قلة المرعى (؟) . فلولا : قد رق شعرها ، أو تتابع عليها الجدب أعواماً متوالية (راجع القاموس ٤ : ٣٢) .

[5] الماعون : الزكاة . التهليل : الاذان .

[6] الشلو : بقية الأعضاء من جسم الانسان إذا أكله السبع الخ .

[7] فتيل : شيء قليل .

[8] حينما تؤخذ زكاة الانعام يجب أن تؤخذ من أوساطها م(لا من أفضلها ولا من أسوأها . يقول الشاعر : ان الجباة كانوا يختارون في الزكاة أفضل ما في الانعام ثم يكتبون أنهم أخذوا أفيلا (ابن مخاض : صغير السن) ويأخذون فرق ما بين الاثنين لأنفسهم .

[9] أوقدت نيرانها : حارب بعضها بعضاً . بلت ضغائن بينها وذحولا : صار بينها عداوات وثأر .

فأبوكَ سيّدُها ، وأنت أشدّها ، ومن الزلازل في البلابلِ حُولا [1]
وزَنَتْ أميةُ أمرَها ودعَتْ له من لم يكُنْ غمْراً ولا مجهولا [2].
مَروانُ أحزَمُهم إذا حلّتْ به حَدَثُ الأمورِ وخيرُها مسؤولا [3] .

– قال راعي الابل يمدح سعيدَ بن عبد الرحمن بن عتّاب بن أسد بن أبي العيص بن أميةَ :

ترَجّيْ من سعيدِ بني لُؤيٍّ أبي الأعياص أنواء غِزارا ،
تلَقّيْ نَوْءَهن سِرارَ شَهْرٍ ، وخير النوء ما لَقِيَ السِرارا [4].
خليلٌ تعزُبُ العِلاّت عنه إذا ما حان يوماً أن يُزارا .
متى ما تأتِهِ ترجو نَداهُ فلا بُخْلاً تخافُ ولاَ اعتذارا.
هو الرجلُ الذي نُسِبَتْ قُريشٌ فصار المجد منها حيثُ صارا !

٤ – ** الاغاني ٢٠ : ١٦٨ وما بعدها ، طبقات الشعراء لابن سلاّم الجمحي (ليدن) ١٠٣ – ١٠٥ ، ١١٧ – ١٢١ .
ملحمة الراعي لأحمد الشايب (مجلة كليّة الآداب ، جامعة القاهرة ، المجلّد الأوّل ، الجزء الاول ، مايو ١٩٥١ م ، ص ٢٣ – ٦٠) ؛ زيدان ١ : ٢٩٦ – ٢٩٧ .

أعشى بني أبي ربيعة *

١ – هو أبو عبد الله عبدُ الله بن خارجةَ بن حبيب بن عمرو بن حارثة ابن أبي ربيعة بن ذُهْل بن شَيْبان من بني بكر بن وائل بن قاسط ، من ساكني الكوفة .

١ الزلازل : البلايا ، المصائب . البلابل : الهموم المجتمعة في الصدر . حولا ..... (؟) .
٢ الغمر : الذي لا تجارب له .
٣ حدث الأمور : الأمور العظام (المصائب الكبار) .
٤ السرار : آخر الشهر القمري .
* هو أعشى بني أبي ربيعة ، كما في الاغاني (طبعة الساسي) ١٦ : ١٥٧ ، في أسطر متعددة ؛ ويقال عادة أعشى بني ربيعة (البيان والتبيين ٣ : ٨٦ ؛ الامالي ٢ : ٢٧٠) ، وربما قيل أعشى ربيعة اختصاراً .

كان أعشى بني أبي ربيعة يَقْدُمُ على الشام يمدح عبدَ الملك قبل أن خرج عبد الملك إلى حرب ابن الزبير . ثم إنه اتّصل بالحجّاج بن يوسف ، بعد أن تولّى الحجّاج الكوفةَ (٧٥ هـ = ٦٩٤ م) . ونال أعشى بني ربيعة حَظْوةً عند الحجّاج ، ولكنّ الحجّاج غَضِبَ منه مرّة لأنه مدح عبد الله بن الجارود فاعتذر أعشى بني أبي ربيعة إلى الحجّاج .

ويبدو أن أعشى بني ربيعة كان متقدّماً في السِن جدّاً منذ أيام عبد الملك ابن مروان (توفي ٨٦ هـ = ٧٠٥ م) ، وفد على عبدِ الملك مرّة فقال له عبدُ الملك : ما الذي بَقِـيَ منك ؟ قال أنا الذي أقول : وما أنا في أمري ... ثم إنّ أعشى بني أبي ربيعة عاش إلى أيام الوليد بن عبد الملك . وليس في الاغاني ذكر لمديحٍ لأعشى بني أبي ربيعة في الوليد ، ولكنّ فيه أنه مدح سُليمانَ بن عبد الملك وسليمان يومذاك وليّ للعهد . من أجل ذلك يجب أن تكون وفاة أعشى بني أبي ربيعة قبل سنة ٩٢ هـ (٧١٠ م) .

٢ – أعشى بني أبي ربيعة شاعر مُجيد له قَصيدٌ ورَجَزٌ ، كما أن له نثراً جيّداً . وشعر أعشى بني أبي ربيعة سهل عليه طَلاوةٌ وفيه متانة . وفنون شعره الباقي لنا هي المديح ، وفيهـا شيء من العِتاب والحماسة والحكمة .

٣ – المختار من شعره ونثره :

– قال أعشى بني ربيعة يمدح عبد الملك بن مروان :

وما أنا في أمري ولا في خُصومتي ... بمُهْتَضَمٍ حقّي ولا قارعٍ سِنّي [١] ،
ولا مُسْلِمٍ مَوْلايَ عند جنـاية ، ... ولا خائفٍ مولايَ من شرّ ما أجْني [٢] .
وانّ فُؤاداً بين جَنبَيّ عـالمٌ ... بما أبْصرتْ عَيْني وما سَمِعَتْ أذْني .

---

١ في أمري : في ميلي إلى بني أمية . في خصومتي (لعبد الله بن الزبير) . مهتضم حقي : خاسر شيئاً من حقي . قارع سني : نادم . – ناصرت بني أمية فاستفدت ولم أخسر ، وعاديت ابن الزبير فلم أندم .
٢ إذا أساء إلي مولاي مرة لا أسلمه (لا أتخلى عنه ولا أذهب إلى عدوه أطلعه على أسراره) . ثم اني واثق من أن مولاي (بني أمية) لا يظلمني .

وفضّلني في الشعرِ واللبّ أنني أقولُ على علمٍ وأعلَمُ ما أعني .
وأصبحتُ إذ فضّلْتُ مروانَ وابنَه، على الناسِ، قد فضّلتُ خيرَ أبٍ وَابْنِ !

– أمر عبد الملك لأعشى بني ربيعة بعشرة آلاف درهم وعطايا أُخَرَ فماطله فيها زَيْدٌ الكاتبُ ، فقال أعشى بني ربيعة يعاتبه :

يا زَيدُ : يا فِداكَ كلُّ كاتبِ في الناس بين حاضرٍ وغائبِ ،
هلْ لكَ في حقٍ عليك واجبِ في مثله يرْغَبُ كلُّ راغبِ .
وأنتَ عَفٌّ طيّب المكاسبِ مبرّأٌ من كلِ عيْبٍ عائبِ .
ولستَ – إن كفَيْتَني وصاحبي طولَ غُدُوٍّ ورَواحٍ دائبِ [1]
وسَدّةَ البابِ وعُنفَ الحاجب – من نعمةٍ أسْدَيْتَها بخائبِ [2] !

– دخل أعشى بني ربيعة على عبد الملك بن مروان ، وعبد الملك يتردّد في الخروج لحرب ابن الزبير ، فقال له :

يا أميرَ المؤمنين : ما لي أراك متلَوِّماً ، يُنْهِضُكَ الحزْمُ ويُقعِدُكَ العزْمُ [3] ، وتَهِمّ بالإقدامِ (ثم) تَجْنَحُ إلى الإحجام . انفُذْ لِبَصَرَاتِكَ وَامْضِ لرأيِكَ وتوجّهْ إلى عدوّك . فجَدّكَ مُقبِلٌ وجَدّه مُدْبِر [4] ؛ وأصحابُه ماقِتون له [5] ، ونحن لك مُحِبّون ، وكلِمتُهم متفرّقةٌ وكلمتنا عليك مُجتمعة . واللهِ ، ما نُؤتَى من ضَعفِ جَنانٍ [6] ولا قِلّةِ أعوانٍ ؛

---

١ وصاحبي (الجمل أو الحصان الذي يصحبني في سفري – يحملني). غدو ورواح دائب : مجيء وذهاب مستمرين .

٢ وسدة الباب (اغلاقه في وجهي) وعنف (صلف ، شدة) الحاجب (الواقف على بابك). أسدى النعمة : منحها ، أعطاها . – إذا أنت يسرت لي أمري ووفرت علي هذه المصاعب (دفعت إلي ما أمر لي به أمير المؤمنين : عشرة آلاف درهم ، الخ) ، لن تكون خائباً (سأمدحك ، أو سأعطيك شيئاً مما سآخذه !) .

٣ تلوّم : تمكث ، انتظر ، أخر من يوم لآخر ، تردد . – تريد أن تسير ثم لا تجد في نفسك قوة على ذلك .

٤ الجد (بفتح الجيم) : الحظ .

٥ ماقتون : كارهون .

٦ ضعف جنان (بفتح الجيم : قلب) جبن وخوف .

ولا يُثبِّطُكَ عنه ناصحٌ ولا يُحرِّضُك عليه غاشٌ[1] ....

٤ – •• الاغاني (الساسي) ١٦ : ١٥٥ – ١٥٧ ؛ شعراء النصرانية بعد الاسلام ١٢٩ – ١٣٥ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٥ .

شبيب بن البَرْصاء[2]

١ – هو شَبيبُ بنُ يزيدَ بنِ جَمرةَ (وقيل : جبرة) بن عَوف بن أبي حارثة بن مُرّةَ بن نُشْبة بن غَيْظِ بنِ مُرّةَ بن سعد بن ذُبيان ، وأمه قِرْصافة بنتُ الحارثِ بنِ عَوفِ بن أبي حارثة من قوم أبيه ، وقد غَلَبت أمه على نَسَبه فعُرِفَ باسم **شَبيب بن البرصاء** .

كان شبيب بن البرصاء من بيت شرف وسُؤدَد ، وكان يَنْزِلُ الباديةَ ولم يأتِ إلى الحَضَرِ إلاّ إذا جاء وافداً على أميرٍ أو خليفةٍ وإلاّ إذا انتَجعَ أحداً يتكسّبُ منه بشعره .

وكان بين شبيب وبين أرْطأ بن سُهيّة وعقيل بن عُلّفة – وهما من قومه – هجاء ومناقضات كثيرة .

فَقَدَ شبيبُ بن البرصاء إحدى عينيه في حرب مع بني طيّء ، ثم عَمِيَ في آخر أيامه . وكانت وفاته بعد وفاة أرطأة بن سُهيّة[3] .

٢ – شبيبُ بن البَرْصاء شاعرٌ إسلاميٌّ فصيحٌ من شعراءِ الدولةِ الأموية متينُ الشعر واضح المقاصد كثير المعاني ؛ وفنونه الفخر والحماسة والهجاء والرثاء والنسيب ، والحِكَمُ في شعرهِ كثيرةٌ .

---

١ الذي يشير عليك بالتأني والتأخر ليس ناصحاً لك ، والذي يحثك على الاسراع في حرب ابن الزبير ليس غاشاً لك .

٢ قيل لها البرصاء لأنها كانت بيضاء ، ولم يكن بها وضح (مرض البرص) ، وقيل : بل برصت (راجع الاغاني ١٢ : ٢٧١ ، الحاشية الأولى) .

٣ راجع الاغاني ١٢ : ٢٨٠ و ١٣ : ٣٣ س) .

٣ ـ المختار من شعره :

– قال شَبيبُ بن البرصاءِ في النسيب (وهذان بيتان يُغَنّى فيهما) :

سَلا أمَّ عمرٍو : فيمَ أضحى أسيرُهـا   تُفادى الأسارَى حَوْلَهُ وَهْوَ مَوثَقُ ؛
فلا هُوَ مقتولٌ ، ففي القتل راحةٌ ،   ولا مُنْعَمٌ يوماً عليه فمُطْلَقُ !

– أكثرَ شبيبُ بن البرصاء هِجاءَ أرطأةَ بنِ سُهَيّةَ ، وكان يَعُمّ بالهجاء قومَ أرطـأةَ كُلَّهـم ، فجاء قومُ أرطأةَ إلى عُثمانَ بنِ حَيّانَ المرّيّ ، والي المدينة من سَنَةِ ٩٣ إلى سنة ٩٦ هـ (٧١٢ – ٧١٤ م) ، في أواخرِ أيام الوليدِ ابن عبدِ الملك وشَكَوْا شَبيباً اليه . فقال عُثمانُ بنُ حَيّانَ لشبيبٍ : « كم تَسُبُّ أعراضَ قومِكَ وتَستطيلُ عليهم ! أقسِمُ قَسَماً حَقّاً ، لَئِنْ عاوَدتَ هِجاءَهم لأقْطَعَنَّ لِسانَك » . فقال شبيبُ بن البرصاء في ذلك :

سَجَنْتُ لِساني ، يا ابنَ حَيّان ، بعدَما   تَوَلّى شبابي ؛ إنّ عَقْدَكَ مُحْكَمُ [١] .
وَعيدُكَ أبقى من لساني قُـذاذَةً   هَيوباً ، وصَمْتاً – بَعْدُ – لا يَتَكَلّمُ [٢] .
رأيتُكَ تَحْلَوْلي ، إذا شِئْتَ ، لامرئٍ   ومُرّاً مُراراً فيـه صابٌ وعَلْقَمُ [٣] .
يداكَ يدا خيرٍ وشرٍّ : فمنهمـا   تَضُرّ ، وللأخرى نَوالٌ وأنْعُمُ [٤] !

– خطب شبيب بن البرصاء ابنة ليزيد بن هاشم بن حرملة المُرّيّ ، فردّه . ثم عاد يسترضيه ويقبل به زوجاً لابنته ، في حديث طويل . ولكن شبيب بن البرصاء أبى أن يقبل بذلك ، بعد أن رُدّ طلبه في المرّة الأولى . ثمّ انّه قال

---

١ العقد : العزم ؛ التهديد . – ان عقدك محكم : ان تهديدك لي موثوق لا يتبدل .

٢ قذاذة : ما قطع من أطراف الذهب وغيره (شيء قليل من قول الهجاء) . هيوباً : يخافها الناس (على قلتها ، يخاف النـاس هجائي على قلته وخفته أحياناً) . ثم جعلني أصمت : أترك الكلام (الهجاء) مـع اني قادر عليه .

٣ تحلولي : تحلو كثيراً (تحسن معاملتك جداً) أحياناً ؛ المر ضد الحلو . المرار (بالضم) : شجر شديد المرارة (بفتح الميم) . الصاب جمع صابة : شجرة مرة الطعم . العلقم : الحنظل (شجر مر) . – اختار ناشرو الاغاني (١٢ : ٢٧٨ ، السطر ٧) أن يقرأوا مراراً (بضم الميم) : شجر مر ، فأصبـح معنى أربع كلمـات من الكلمات الخمس في الشطر : مر وشجر مر ، وهـذا شيء مستكره . ولعل من الأصوب أن نقرأ : مراراً (بكسر الميم) : مرات كثيرة ، فيصبـح معنى البيت حينئذ : تكون حلو المعاملة لانسان واحد مرة ثم مر المعاملة لأشخاص آخرين مراراً كثيرة .

٤ ... فمنهما (يد) تضر ؛ وفي (اليد) الأخرى نوال (عطاء) وأنعم (جمعة نعمة) .

هذه القصيدة المملوءة بالمعاني وبالحكمة :

لَعَمْري ، لقد أشرفتُ يومَ عُنيــزةٍ على رَغْبةٍ ، لو شدّ نفسي مَريرُها [١] .

ولكنّ ضَعْفَ الأمرِ ألاّ تَمُــرّه ؛ ولا خيرَ في ذي مِرّةٍ لا يُغيرها [٢] .

تَبيّنُ أدبارُ الأمورِ إذا مضتْ ، وتُقْبِلُ أشباهاً عليك صُدورُهــا [٣] .

تُرَجّي النفوسُ الشيءَ لا تَستطيعُه ، وتَخْشى من الأشياءِ ما لا يَضيرها [٤] .

ألا إنّما يكفي النفوسَ ، إذا اتّقتْ ، تُقى اللهِ مِمّا حاذرتْ فيُجيرها [٥] .

ولا خيرَ في العِيدانِ إلاّ صِلابُها ، ولا ناهضاتِ الطيرِ إلاّ صُقورُها [٦] .

إذا افتخرتْ سعدُ بن ذُبيانَ لم يَجِدْ — سوى ما بَنَيْنا — ما يَعُدّ فَخورها [٧] .

وإنّي لتَرّاكُ الضغينةِ قدْ بــدا ثَراها من المَوْلى فلا اسْتَثيرها [٨] .

مَخافةَ أن تَجْني عَليّ ، وإنّما يَهيجُ كبيراتِ الأمورِ صغيرُهـا !

إذا قِيلتِ العَوْراءُ وَلّيْتُ سَمْعَهــا سِوايَ ولم أسمعْ بها ما دَبيرُهــا [٩] .

---

١ أشرفت على رغبة : كادت تتم لي رغبة (زواجي بابنة يزيد بن هشام) .

٢ المرير : العزيمة (لو أن عزيمتي استطاعت السيطرة على عاطفتي وعنجهيتي وكبر نفسي) . المرة (بكسر الميم) الفتلة من الفتلات التي تبرم حتى يكون منهــا الحبل . أغار الحبل : أحكم فتلــه . يقول الشاعر : ان الأمر إذا لم يحكم يضعف ثم يفسد ولا تكون له فائدة . ولا خير من فتلات الحبل إذا لم تبرم تماماً (فانهــا تتقطع بعد ذلك واحدة واحدة) وكذلك العزيمة لا فائدة منها لصاحبه إلا إذا كانت أكيدة لا تردد فيها .

٣ حينما تكون الأمور (القضايا) مقبلة عليك بصدورهــا (بوجهها) تكون متشابهة يصعب عليك أن تميز بعضها من بعض أو أن تحكم في الصائب منهــا وغير الصائب . فـاذا تولت عنك (بعد أن تكون قد اخترت واحدة منهــا اتفاقاً) تعلم حينئذ الذي كان يجب أن تختاره والذي كان يجب أن تتركه .

٤ من عادة الانسان أنه يميل إلى طلب الأشياء التي يصعب عليه الحصول عليها وأن يتخوف (يرفض) الأشياء المألوفة التي لا تضره (يميل الانسان إلى الاشياء الغريبة ولا يأبه للأشياء المألوفة) .

٥ إذا اتقت (خافت) النفوس أمراً تحـاذره (تخشى منه الضرر) ، فاذا كانت تلك النفوس تتقي الله (تخشاه وتعمل بما سن لها) فان الله حينئذ هو الذي يجيرها (يحميها من الضرور) .

٦ لا خير في العيدان : الخشب الذي تصنع منه الأدوات (الرماح !) إلا صلابها (إلا ما كان في منتهــى الصلابة) ولا خير في الطيور التي تنهض (تستطيع الطيران والصيد !) إلا في صقورها (جمع صقر) أقوى الطيور على الطيران وعلى الصيد .

٧ — لا يستطيع أحد من بني سعد بن ذبيان أن يذكر من مفاخر القبيلة إلا ما قمنا به نحن (أهل بيتنا نحن)

٨ ثراها : أثرها . المولى : القريب في النسب . استثيرهــا : أهيجها ، أحركهــا بعد هدوئها .

٩ — إذا قال أحد عني عوراء (كلمة قبيحة) تركت سماعها لغيري (لم أهتم بها) ولم (أحب أن) أسمع مــا دبيرها (ما نشأ من التعليقات عليها بعد قولها) .

وحاجةِ نفسٍ قد بلغتُ ، وحاجةٍ — تركتُ – إذا ما النفسُ شحّ ضَميرُها [1] –
حياءً وصبراً في المَواطِنِ ، إنّني — حَيِيٌّ لدى أمْثالِ هذي سَتيرها [2] .
وأحبِسُ في الحقّ الكريمةَ ، إنّما — يَقومُ بحقّ النائباتِ صَبورها [3] .
أحابي بها الحَيَّ الذي لا تُهِمّه — وأحسابَ أموات تُعَدّ قبورُها [4] .
ألم تَرَ أنّا نُورُ قَوْمٍ ، وإنّما — يُبَيّنُ في الظّلْماءِ للناسِ نُورُها [5] !

٤ — ** الاغاني ١٢ : ٢٧٠ — ٢٨١ ، راجع ١٣ : ٣٠ وما بعدها .

عُمَرُ بن [6] أبي رَبيعة

١ — هو أبو الخطّابِ وأبو حَفْصٍ عُمَرُ بنُ عبدِ الله بنِ أبي ربيعةَ

١ هنالك حاجات في الحياة نلتها ، وهنالك حاجات كنت أحب أن أنالها ، وكنت قادراً على أن أنالها ثم تركتها . إذا ما النفس شح ضميرها : إذا شكّت النفس في امكان الضرر من حاجة ما (فانها تتركها)...

٢ المواطن : مشاهد الحرب ، المواقف المختلفة في الحياة . — استحيي أن تنسب إلي بعض الاعمال ، وأصبر في بعض المواقف على المشاق .

٣ يقصد الناقة الكريمة (غ ١٢ : ٢٧٥ ، الحاشية ٨) . والكريمة في القاموس (٤ : ١٧٠) : كل جارحة (عضو) شريفة كالاذن واليد . — أنا أملك نفسي في المواقف كلها . ولا يقوم بحق النائبات « يتغلب على المصائب والمشاق » إلا صبورها (الصبور فيها) .

٤ معنى البيت غامض . — والملموح من المعنى : أفعل ذلك أنا لأن الحي(الشاب البعيد ما بينه وبين الموت) لا يهتم بها ، لا تهمه (الأمور المثالية ولا يصبر على المشاق في سبيل مبدأ) ، ولأن الاموات (جمع ميت : الذي لم يمت بعد ولكن دنا الموت منه) يود أن لو يفعلها ولكنه عاجز عما يريد بالشيخوخة . فأنا بذلك أحابي الشاب (أعطيه من الفخر ما ليس مستحقاً له) وأنصر الشيخ وأحافظ له على أحسابه (أعماله الحميدة التي صنعها في أيام قدرته ، وهو اليوم عاجز عن أن يعمل مثلها) .
تعد قبورها : تهيأ .

٥ النور هو الذي يبين للناس في الظلام (طريقهم) ، وكذلك نحن ندل سائر القبيلة على الطريق المحمود والاعمال الحميدة .

٦ تحذف الهمزة من « ابن » إذا جاء « ابن » بين اسمين علمين مفردين وكان الثاني منهما اسماً لوالد صاحب الاسم الأول . واسم عمر الكامل يخالف هذين الشرطين : ان « ابا ربيعة » جد عمر وليس والده ، ثم ان « أبا ربيعة » اسم مركب تركيباً إضافياً وليس اسماً مفرداً ، ولذلك يجب، اتباعاً لهذه القاعدة ان يكتب هكذا : « عمر ابن ابي ربيعة » . غير أن النقاد ومؤرخي الأدب قد درجوا على اجراء اسم عمر في الرسم المجرى العام من غير نظر إلى القاعدة الآنفة الذكر ، فهم يرسمونه دائماً هكذا : عمر بن أبي=

حُذَيْفة[1] (أو عمرو) بن المُغيرة بن عمر[2] بن مَخزوم من بني قُريش. أما أمّه فكانت امرأةً من اليمن اسمُها مَجْدٌ في الاغلب.

وُلِدَ عمر بن أبي ربيعة في المدينة، في الليلة التي قُتِلَ فيها عمرُ بنُ الخطّاب – في ٢٦ من شهر ذي الحِجّة سنة ٢٣ ﻫ (٣–١١–٦٤٤ م). ولقد سُمّيَ عمرُ باسمِ الخليفة المقتول وكُنّيَ أبا الخطّابِ وأبا حفصٍ بكُنْيَتَيْ عمرَ بنِ الخطّاب أيضاً. ثم هو يُعرَف باسمِ عمرَ بن أبي ربيعةَ منسوباً إلى جَدّه أبي ربيعة حُذيفةَ لا إلى والده عبد الله (توفي ٣٥ﻫ = ٦٥٥ – ٦٥٦ م).

نشأ عمر في المدينة في أُسرةٍ غنيّة غيرَ محتاجٍ إلى طلب الرزق فوفّر وقته على التَمتّع بالنعيم والتنقّل بين الحجازِ واليمن والعراق والشام. ويبدو أنه كان يعيش من صناعةٍ وتجارة كانتا لأهلهِ، وهما صِناعة النسيج والاتّجار به، فقد كان لآلِ أبي ربيعةَ مناسجُ في اليمن خاصةً، فشبّ عمر مُثقّفاً يَعْرِفُ العلومَ التي كانت مألوفةً في عصرهِ من القرآنِ الكريم والحديث الشريف والفقه ورواية الادب، كما كان يَعْرِفُ القِراءة والكتابة. ويبدو أن عمرَ بن أبي ربيعة انتقل من المدينة إلى مكةَ معَ مَنْ كان قد انْتَقَلَ اليها لمّا آلتِ الخلافةُ إلى يزيدَ بنِ معاويةَ (٦٠ ﻫ = ٦٨١ م) واضْطرب الأمرُ في المدينة: في الفِتنة بين يزيدَ وعبدِ الله بن الزبير[3].

وإذا نحنُ اعتَمَدْنا ديوانَ عمرَ بنِ أبي ربيعةَ أدركْنا أن عمرَ قد قضى قسماً كبيراً من حياته منصرفاً إلى اللهو، ولا نعلم له من ديوانه إلا لَهْواً واحداً هو التمتّع بالمغامرة في سبيلِ التعرّف إلى النساء الجميلاتِ من المشهوراتِ بالمكانةِ الاجتماعية أو بالمَنَع (بالصَوْنِ والاحتجاب: ترك مخالطة الرجالِ). ولقد ساعدَ عمرَ على ذلك فراغٌ وجمالٌ ومالٌ، ثم إنه كان لَبّاساً حَسَنَ

= ربيعة. غير أن الاستاذ جبرائيل جبور يلزم في كتابه «عمر ابن أبي ربيعة» (راجع ثبت المصادر والمراجع في آخر هذه الترجمة) اثبات الهمزة. ومع أن الاستاذ جبور محق في رأيه، فاننا هنا نسلك مسلك القدماء من النقاد ومؤرخي الأدب.

١ أوفى ما كتب في عصر عمر بن أبي ربيعة وترجمته، وأدق ما كتب أيضاً، كتاب الاستاذ جبرائيل جبور الذي صدر منه جزءان (راجع ثبت المصادر والمراجع في آخر هذه الترجمة).

٢ الأغاني ١ : ٦١ (راجع السطر السادس)، مع العلم بأن الاسم عمر كان نادراً في الجاهلية.

٣ راجع، فوق، ص ٣٥١–٣٥٢، ٤٤١–٤٤٢، بعد ان كره الاقامة فيها (الكامل ٣٢٠).

الهِندامِ رَضِيَّ الخُلُقِ سَهْلَ المعاشرة جواداً عَذْبَ الحديث بصيراً بخِطاب النساء ، مَعَ شيءٍ من الدُعابةِ والمَرَح . ويبدو أن نشاطه هذا قدِ انْكَسَرَ في أواخرِ أيامه .

ولعلَّ وفاةَ عمرَ بن أبي ربيعة كانت باليمن ، في حدود سنة ٩٣ هـ (٧١١م) في أواخر خلافة الوليد بن عبد الملك .

٢ – عمر بن أبي ربيعةَ أشهرُ شعراءِ الغَزَل ومن أكابِرِهم ، « لم يكن في الحجاز مَنْ يتقدَّم جميلاً وعمرَ في النسيب ، والناسُ لهما تَبَعٌ » (الامالي ٢ : ٧٧) . وكان عمر يميلُ إلى تَخَيّر الألفاظِ الفصيحة العَذْبة ولو خالف فيها الجَزالة : لقد كان يُحبّ أن يُعبّر عن المعنى الذي يجولُ في نفسه بأقربِ الألفاظِ تعبيراً عنه عند جُمهور الناس ، وعند النساء خاصّةً . وأولِعَ عُمَرُ بالمعاني القريبة من تلك التي تَعْرِضُ للناس في حياتِهِمُ اليومية العاديّة وخالف في ذلك مألوفَ عصرِه فمدحه أقوام من أجل ذلك وعابَ عليه هذا أقوامٌ [1] . وكذلك كانت تراكيبُه متينةً نقيّة من العُجْمة ، على أنه كان يتساهل أحياناً ، إذا لم يستطِعِ التَعْبير عمّا يريد إلا بمخالفة عَدَدٍ من قواعدِ اللغةِ والنحوِ فيما لا يَضُرُّ البَلاغة ، فقد قال مثلاً :

ثم قالوا : «تُحبّها ؟» قلتُ «بَهْراً !   عَدَدَ النجمِ والحَصى والتّراب » .

فمن عيوب هذا البيتِ حذفُ همزة الاستفهام وحذف الفاء من « قلت » . ثمّ قولَه : « عَدَدَ النجم والحصى والتراب » من كلام الصِبيان والعامّة .

وفي شِعْرِ عُمَرَ شيءٌ من الصِناعة اللفظية غيرَ مقصودةٍ ولا بارعةٍ ، فان عصرَ الصناعةِ اللفظيةِ لم يكن بعدُ قد حان في أيام عمر . وقد كان عمرُ صادقاً في التعبير عن نفسهِ عَذْبَ الشعر . ولم يكن ، فيما أحْسَبَ ، شعرٌ أكثرُ موافقةً للغناء من شعرِ عمرَ بن أبي ربيعة . والقَصَصُ والحُوار الصحيح خاصّتان بارزتان في شعر عمر ، وخصوصاً ذلك الحُوار الذي يدور في العادة على ألْسِنةِ النساء . ولقد شُهِرَ بحسن حديثه إلى النساء حتّى قال فيه الشاعر العبّاسيّ مروانُ بن أبي حَفْصةَ (الكامل ٤١٦) :

---

[1] راجع في خصائص عمر المعنوية كتاب الكامل ٣٢٠ – ٣٢١ ، ٣٧٠–٣٨٥، بالاضافة إلى ما ذكر كتاب الاغاني منها (١ : ١٢٠وما بعدها) .

وتَرَكْنَ لابْنِ أبي رَبيعةَ مَنْطِقاً فيهن أصبَحَ سائراً مَحْمولا .

وكان للكناية في شعره مكانٌ بارزٌ ، فلمّا قال مثلاً « حان من نَجَمِ الثّريا طلوعُ » ، فانّه كان يُكنّي بذلك عن الثريّا بنتِ عليِّ بنِ عبد الله بن الحارث ابن أميّةَ الاصغر (الكامل ٣٧٣ ، راجع ٤١٢) .

والخصائص الجديدة قليلة في شعر عمر . أما مَيِّزةُ عمرَ الكبرى فهي أنها جَمَعَ خصائصَ الغزل التي كانت قبلَه ثمّ أحسن تَصْريفَها في شعره . وعمر قَصَرَ شعرَهُ كلّه على الغزل ، ثم قَصَرَ القصائدَ على المعاني فانتهى بالقصيدةِ حيثُ كان ينتهي به المعنى . فكلّ قصيدة لعمرَ موضوعٌ تامّ في نفسه ، سواءٌ أكانت أبياتاً قليلة أو أبياتاً كثاراً .

٣ — المختار من شعره :

— الرائيّة :

القصيدة التالية أشهر قصائد عمر وأحسنها له وللغته تمثيلاً . وعمر يصف في هذه القصيدة مغامرة قام بها للوصول إلى فتاة مَنيعة يذكر لنا أن اسمها نُعْم . وقد نظم عمر هذه القصيدة في حداثته ، « وهو يومئذ غلام » (الكامل ٥٧٠) . ويذكر المبرّد أن أبيات القصيدة ثمانون (الكامل ٥٧١) . وهنالك في بعض الروايات أبيات من بحر هذه القصيدة نفسه وعلى رويّها نفسه تأتي بعد الابيات المثبتة هنا وهي في وصف الناقة . ولعلّ تلك الابيات ليست من هذه القصيدة . أما الثابت عندنا من القصيدة ففي ما يلي * :

(أمنْ آلِ نُعمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ غَداةَ غدٍ أم رائحٌ فمُهَجّرُ ؟) [1]
(لحاجة نفسٍ لم تقلْ في جوابها فتُبلغَ عُذراً ، والمقالةُ تُعْذِرِ) .
تَهيم إلى نُعْمٍ فلا الشملُ جامعٌ ولا الحبل موصولٌ ولا القلب مُقصِر ،
ولا قربُ نعمٍ ، إن دنتْ ، لك نافعٌ ولا نأيُها يُسلي ولا أنت تَصْبِرُ .

---

* الأبيات المحصورة بين الاهلة ( ) كانت تغنى .

١ الغادي : المسافر في الصباح . المهجر : المسافر وقت الظهيرة (في نصف النهار) . الرائح المسافر في المساء . — أم رائح فمهجر : مسافر في الأصيل والشمس لا تزال ترسل حرها .

وأخرى أتتْ من دون نعمٍ ، ومثلُها نهى ذا النهى لو ترعوي أو تُفكّر[1] .
إذا زرتُ نُعماً لم يزلْ ذو قرابة لها كلما لاقيتُها يتنمّر .
عزيزٌ عليه أن أُلِمّ ببيتها ، يُسِرّ ليَ الشحناءَ والبُغضُ مُظهَر.

*

ألِكْني إليها بالسلام فإنّني يُشهّرُ إلمامي بها ويُنكّر[2] .
بآيةِ ما قالت غداةَ لَقيتُها بمدفَعِ أكنانٍ : « أهذا المُشهّر[3] ؟
قِفي فانظُري ، أسماءُ ، هل تَعْرِفينه ؟ أهذا المُغيريّ الذي كان يُذْكر ؟)[4]
أهذا الذي أطْرَيْتِ نعتاً فلم أكن ، وعيشكِ ، أنساه إلى يوم أقبر »[5] .
(فقالت : « نعمْ ، لا شكّ غيّر لونَه سُرى الليل يُحيي نصّه والتَهجّر ؛)[6]
لَئِنْ كان إياهُ لقد حالَ بعدَنا عن العهدِ ، والإنسانُ قد يتَغيّر » .
(رأتْ رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيَضْحَى وأما بالعشيّ فيَخصَر :[7]
أخا سفرٍ جوّابَ أرضٍ تقاذفتْ به فلَواتٌ فهو أشْعثُ أغبر ،)
قليلاً على ظهر المَطيّةِ ظِلّه سوى ما نفى عنهُ الرِداءُ المُحبر[8] .

*

وأعْجبَها من عَيْشها ظِلّ غُرفةٍ وريّانُ مُلتفّ الحدائقِ أخضر ،
ووالٍ كفاها كلّ شيء يَهُمّها فليست لشيء آخِرَ الليل تَسْهر .

---

١ ومثلها نهى ذا النهى : ان امرأة جميلة مثل هذه كان يجب أن تنسيك نعم التي تغامر بمكانتك أو بحياتك في المغامرة للوصول اليها .

٢ ألكني اليها : احمل مني اليها ألوكة (رسالة) . يشهر إلمامي بها وينكر : تعرف زيارتي لها وينتشر خبرها بسرعة ثم يلومني الناس عليها .

٣ بآية : بعلامة .

٤ المغيري : عمر بن أبي ربيعة .

٥ أطرى : بالغ في المدح .

٦ سرى الليل : السفر في الليل . يحيى : يبقى قائماً الليل كله بلا نوم . النص : أقصى سرعة الناقة. التهجير : السفر وقت الهاجرة (اشتداد الحر) . — يحيى نصه والتهجر : يسافر على ناقته باستمرار ليلا ونهار (بلا توقف) .

٧ عارضت : ارتفعت (قليلا) ، يضحي : يتأخر في النوم . يخصر : يتبرد ويستكن من الحر .

٨ المعنى : لا يدفع عنه الشمس إلا ثوب حرير .

وليلةَ ذي دَوْرانَ جَشّمْتِني السُّرى … وقد يَجْشَمُ الهولَ المُحبّ المُغرَّرُ.)[١]

فبِتّ رقيباً للرِفاق على شَفاً [٢] … أحاذِرُ منهم من يَطوفُ وأنْظُرُ

إليهمْ ، متى يَسْتَمْكِنُ النومُ منهم. … ولي مجلسٌ لولا اللُّبانةُ أوْعرُ [٣] .

وباتت قَلوصي بالعَراءِ ، ورَحلها … – لطارق ليل أو لمن جاء – مُعْوِرُ [٤]

وبِتّ أناجي النفسَ أين خباؤها، … وكيف لما آتي من الأمر مَصْدرُ [٥] .

فدلّ عليها القلبَ ريّا عرَفْتُها … لها وهوى النفسِ الذي كاد يَظْهر .

فلما فَقَدتّ الصوتَ منهم وأُطفِئَتْ … مصابيحُ شُبّتْ بالعِشاء وأنْوُرُ [٦] .

وغاب قميرٌ كنتُ أهوى غُيوبَه ، … وروّحَ رُعيانٌ ونَوّم سُمّرُ [٧] ،

وخُفّض عني الصوتُ أقبلت مِشيةَ الـ … حُباب وشخصي خَشيةَ الحيّ أزْوَرُ [٨]

فحَيّيْتُ إذْ فاجأتُها فتولّهتْ ، … وكادت بمكنونِ التحيةِ تَجْهَرُ .

وقالت،وعضتْ بالبَنانِ : « فضحتني ! … وأنتَ امرُؤٌ ميسورُ أمرِك أعسر .

أرَيْتُكَ إذ هُنّا عليك ، ألمْ تخَفْ … رقيباً ؟ وحولي من عُدُوّك حُضّر [٩] .

فوالله ، ما أدري : أتعجيلُ حاجةٍ … سرت بك ، أم قد نام من كنتَ تحذر ! »

فقلت لها : « بل قادني الشوقُ والهوى … إليكِ وما نفسٌ من الناس تشعر » .

فقالت ، وقد لانَتْ وأُفرِخ رَوْعها [١٠]: … « كَلاكَ بحفظٍ ربك المُتَكبر .

فأنتَ ، أبا الخطابِ ، غيرَ مدافَعٍ … عليّ أميرٌ ما مكثتَ مؤمّر » .

---

١ ذو دوران : الموضع الذي كانت فيه المغامرة . جشمتني السرى : كلفتني السير ليلا .

٢ منحدر .

٣ اللبانة : الحاجة . أوعر : خطر .

٤ القلوص : الناقة . معور : « هنا » فرصة يمكن أن ينتهزها كل انسان فيأخذ الناقة .

٥ مصدر : رجوع (مخرج لها مما دخلت فيه ، خلاص) .

٦ شبت : أشعلت . أنور : نيران (جمع قلة من نار) .

٧ هذا البيت يدل على ان المغامرة كانت في أوائل الشهر القمري . راح : رجع في المساء .نوم (مبالغة من نام) . السمر والسمار : المتحدثون ليلا .

٨ الحباب : الحية .ازور : مائل (يعني مشيت بحذر شديد) .

٩ هنا عليك : هان عليك أمرنا (علمت أنني أسر بزيارتك في كل وقت) .

١٠ أفرخ (بضم الهمزة وكسر الراء ، بالبناء للمجهول) روعها (بضم الراء والعين) : سكن جأشها (القاموس ١ : ٢٦٦) وزال اضطرابها . كلاك = كلأك : حفظك ، حماك .

فبِتُّ قريرَ العينِ أُعْطِيتُ حاجتي : أُقبِّلُ فاها في الخلاء فأُكْثِرُ .
فيا لَكَ من ليلٍ تقاصرَ طولُه ؛ وما كان ليلي قبلَ ذلك يَقْصُرُ [1] .
ويا لك من مَلْهىً هناك ومجلسٍ لنا لم يُكَدِّرْهُ علينا مُكَدِّرُ :
يَمُجُّ ذَكِيَّ المِسكِ منها مُقَبَّلٌ نقيُّ الثنايا ذو غُروبٍ مُؤشَّرُ [2] ،
تراه إذا ما افْتَرَّ عنه كأنّه حَصَى بَرَدٍ أو أُقْحُوانٌ مُنَوَّرُ [3] .
وترنو بعَيْنيها إليَّ كما رنا إلى ظبيةٍ وسْطَ الخميلةِ جُؤْذَرُ [4] .
فلما تَقَضَّى الليلُ إلاَّ أقلَّه وكادتْ توالي نجمه تتغوَّرُ [5] .
أشارتْ بأنَّ الحيَّ قد حانَ منهمُ هُبوبٌ ؛ ولكنْ موعدٌ لك عَزْوَرُ [6] !

*

فما راعني إلاّ مُنادٍ : « ترَحَّلوا » ؛ وقد لاح معروفٌ من الصُّبحِ أشقرُ [7] .
فلما رأتْ من قد تنبَّه منهمُ وايقاظَهم ، قالت : « أشِرْ ، كيف تأمر ؟ »
(فقلت : « أُباديهم ، فإما أفوتُهم وإما ينالُ السيفُ ثأراً فيثأر » .) [8]
فقالتْ : « أتحقيقاً لما قال كاشِحٌ علينا ، وتصديقاً لما كان يُؤثَرُ [9] ؟

---

١ طول الليل كناية عن الهموم والقلق والخوف من المستقبل (راجع ، فوق ، ص ١١٧ ، ١٨٠) .

٢ مقبل : فم . نقي الثنايا (الاسنان) كناية عن النعمة وعن صغر السن أيضاً . غروب جمع غرب (بفتح الغين) : حد ، طرف ظاهر . مؤشر : محزز (في أسنانها حزوز : خطوط ظاهرة) . حينما يكون الانسان صغيراً تكون أسنانه نقية وحزوزها بادية للعين. ومع الأيام تمحي هذه الحزوز بالحت أو تمتلئ بالوسخ .

٣ – إذا افترت (انفرجت شفتاها) عنه (عن فمها) كأنه (كأن الاسنان فيه) حصى برد (حبات الثلج المتجمدة بعد انفصالها من الغيم ماء – كناية عن بياض لونها) أو أقحوان (أو بتلات زهرة الاقحوان – ان بتلات زهرة الاقحوان تشبه الاسنان ، كناية عن بياض الاسنان وظهور الحزوز فيها) . منور (بفتح الواو المشددة أو بكسرها) : متفتح ، في إبان إزهاره .

٤ ترنو : تتطلع . الجؤذر : ابن الظبية .

٥ توالي النجوم : النجوم التي تظل ظاهرة حين طلوع الفجر . تتغور : تغيب (عن البصر ، في ضوء النهار القادم) ، تغرب وراء الافق .

٦ ولكن لك موعد (جديد) في عزور . هبوب : استيقاظ ، نهوض من النوم .

٧ راعني : أخافني ، فجأني . ترحلوا (قوموا إلى رحالكم) ، استعدوا للسفر . لاح معروف من الصبح : ظهر بشكله المعروف المألوف . أشقر : مائل إلى الاحمرار (بعد سواد الليل) .

٨ أباديهم : أبدأهم بالهجوم . أفوتهم : أخلص (أنجو) منهم .

٩ الكاشح : المبغض ، العدو . كان يؤثر : كان يقال عنا .

فان كـان مـا لا بُدّ منه فغيرُه　　من الأمرِ أدنى للخَفاء وأسْتَر :
أقُصّ على أختَيّ بـدءَ حديثِنا ؛　　وما لي مِنْ ان تعلما مُتَـأخَّر .
لعلّهما إن تطلُبـا لك مخرجـاً　　وان تَرْحُبا سِرْباً بما كنت أحْصَر [1] » .
فقامت كئيباً ليس في وجههـا دَمٌ ،　　من الحزنِ ، تُذْري عَبْرَةً تَتَحَدّر [2] .
فقالت لأُخْتيها : « أعينا عـلى فتىً　　أتى زائراً ، والأمر للأمر يُقدَر » [3] .
فقامت اليهـا حُرتانِ عليهمـا　　كِساءانِ ، من خزّ ، دِمَقسٌ وأخضر .
فأقبلتـا فارْتاعتـا ، ثمّ قـالتـا :　　« أقِلّي عليكِ اللوْمَ فالخطبُ أيسر » [4] .
فقالت لها الصُغرى : « سأعطيه مُطرَفي　　ودِرْعي وهذا البُردَ ، إن كان يحذَر [5] ،
يقومُ فيمشي بيننا مُتَنَكّراً ،　　فلا سِرّنا يفشو ، ولا هو يظهر » .
فكان مِجَنّي دونَ من كنتُ أتقي　　ثلاثُ شُخوصٍ : كاعبانِ ومُعْصِر [6] .

* * *

فلما أجَزْنا ساحةَ الحيّ قُلْنَ لي :　　« ألم تتقِ الأعداءَ ، والليلُ مُقْمِر ؟ »
وقلنَ : « أهذا دأبُكَ الدهرَ سادراً ،　　أما تستحي أو ترعوي أو تفكر [7] ؟
إذا جئتَ فامْنَحْ طَرْفَ عينِكَ غيرَنا　　لكي يعلموا أنّ الهوى حيثُ تنظر » .

---

١ وأن ترحبا سربا (صدرا) : أن يتسع صدرهما ، أنْ تعرفا مخرجاً (من هـذا الأمر) ... بمـا كنت أحصر : بمـا يضيق به صدري – ربما استطاعت أختاي أن تحل المشكلة الـتي عجزت (بفتح الجيم) أنا عن حلها .

٢ تذري دمعة : تنثر دمعهـا (تبكي) تتحدر : تتدحرج الدموع على خدها .

٣ تقدير الأمر : تدبيره . والأمر للامر يقدر : (أريد منكما تدبيراً يوازي الأمر الذي وقعت فيه) .

٤ ارتاعتا : خافتا (في أول الأمر) . أقلي عليك اللوم : خففي من لوم نفسك ، فالخطب (الأمر) أيسر : أهون (مما كان يبدو لك) .

٥ المطرف : رداء . الدرع : ثوب للمرأة . البرد : ثوب مخطط .

٦ المجن : الترس . مجني (ما يخفيني) دون من كنت أتقي (عن عيون من كنت أخاف أن يعرف أمري وأمرهن) . ثلاث شخوص (ثلاثة أشخاص من الاناث – وقد حذف الشاعر التاء من « ثلاثة » على غير قياس ليدل على أن أولئك الأشخاص كانوا إناثاً) . الكاعب : الفتاة يتم بروز ثدييها . المعصر : الفتاة بلغت شبابها وأدركت .

٧ دابك : عادتك وسيرتك . الدهر : طول الدهر ، دائماً . سادراً : قليل المبالاة . ترعوي : ترجع (عن غيك) ...

– هِنْد :

ليت هنداً أنْجزتنا ما تَعِدْ وشَفَتْ أنفسَنا مما تَجِدْ [1] ،
واسْتَبَدّتْ مرةً واحدةً ، إنما العاجزُ من لا يستبدْ [2] !

* * *

زعموها سألتْ جاراتها – وتعرّت ذاتَ يوم تبترد [3] – :
أكما ينْعتُني تُبْصِرْنَني – عَمْرَكن اللهَ – أم لا يقتصد [4] ؟ »
فتضاحكْنَ ، وقد قُلْنَ لها : « حَسَنٌ في كل عين مَنْ تَوَدّ ! »
حَسَدٌ حُمِّلْنَهُ من أجلها ؛ وقديماً كان في الناس الحسد .
غادَةٌ يَفْتَرّ عن أشْنَبِها – حين تجلوه – أقاحٍ أو بَرَد [5] .
ولها عينانِ في طَرْفَيْهما حَوَرٌ منها ، وفي الجِيد غَيَد [6] .

* * *

ولقد أذكرُ إذ قُلتُ لها – ودموعي فوق خدي تَطّرِدْ – :
قلت : « من أنتِ ؟ » فقالت : « انا مَن شَفّه الوَجْدُ وأبلاه الكمد .
نحن أهلُ الخَيْف من أهل مِنَى ، ما لمقتولٍ قتلناه قَوَد [7] ! »
قلت : « أهلاً ، أنتمُ بُغيتنا ، فتَسَمّيْنَ ، فقالت : « أنَا هند » .
إنما خُيّلَ قَلْبي فاحتوى صَعْدَةً في سابِريّ تَطّرِد [8] .

---

١ « وعد ، يعد » (بلغة أهل الحجاز) : توعد ، هدد . « وجد ، يجد موجدة » : غضب ، حزن (خاف)
– ليتها تنفذ وعيدها فنعرف مرادها ونتخلص من القلق الذي يساور نفوسنا .
٢ انها تهددنا كثيراً ، ليتها تنفذ تهديدها ولو مرة واحدة . ان العاجز هو الذي يهدد ثم لا يجسر على تنفيذ تهديده .
٣ تغتسل بالماء البارد .
٤ لم يقتصد : افرط وبالغ .
٥ الشنب : بياض الاسنان وحسنها . والمعنى : تفتح فمها عن أسنان كالاقحوان والبرد .
٦ الحور : شدة البياض في بياض العين وشدة السواد في سوادها . الجيد : العنق . الغيد : اللين والنعومة .
٧ أي لا تؤخذ ديته (ولا بثأره) .
٨ الصعدة : الرمح . السابري نسيج من حرير نسبة إلى سابور (فارسي) ، تطرد : تهتز .

إنمـا أهلُـك [١] جيرانٌ لنـا ، إنمـا نحنُ وهُم شيء احـد .

* * *

حدّثوني أنهـا لي نفثَت عُقَـداً ، يا حبّذا تلك العقد [٢] !
كلمـا قلت : « متى ميعـادنا ؟ » ضَحِكت هندٌ وقالت : « بعدَ غد » .

— منية مستجابة (هل يخفى القمر !) :

هيّج القلبَ مغانٍ وصِيَرْ دارساتٌ قد علاهُن الشجرْ [٣] .
ظِلْتُ فيه ذات يومٍ واقفاً اسألُ المنزلَ هل فيه خبر
للتي قـالت لأترابٍ لهـا قُطُفٍ ، فيهنّ أُنس وخَفَرْ [٤] ،
إذ تمشّينَ بجوٍّ مُؤنِـق نيّرِ النبتِ تغشّاه الزَهَر [*] :
« قد خلَوْنا فتمنَّـينَ بنا ، إذ خلونا اليوم نبدي ما نُسِر » .
فعرفن الشوقَ في مُقلتها ، وحَبَاتُ الشوق يُبديه النظر .
قلنَ يَسْتَرضينَها : « مُنيتنا لو أتانـا اليومَ في سرٍّ عمر ! »

* * *

بينما يَنْعَتْنَني ابْصَرْنَني دونَ قِيدِ الميل يعدو بي الأغرّ [٥] .
قالت الكبرى : « أتعرفن الفتى ؟ » قالت الوسطى : « نعم ، هذا عمر » .

---

١ كذا في الروايات . ولعل من الأصوب أن نقرأ :

إنما أهلَكَ جيراناً لنا أننا نحن وهم شيء أحدْ

٢ صنعت لي سحراً . كانت السواحر تعقد عقداً في خيط وتنفث على كل عقدة بعد عقدها .

٣ المغاني : مساكن البشر المعمورة . الصير جمع صير (بكسر الصاد) : حظيرة للغنم والبقر . دارسات : ذهبت معا لمها (لأنها لم تسكن من عهد قديم) .

٤ الاتراب : المتقاربات في السن . قطف جمع قطوف (بفتح القاف) : المرأة التي تسير بخطى قصيرة (لا تعجل في مشيتها ولا توسع خطواتها) . أنس : تسلية ومتعة . خفر : حياء .

* الجو : الارض المنخفضة (تتجمع فيها المياه فيكثر فيها النبات) . مؤنق : جميل (بما فيه من النبات والازهار المتنوعة) . قد تغشاه الزهر : غطاه الزهر .

٥ ينعتنني : يذكرن صفاتي ، يذكرنني . قيد (بكسر القاف) : مقدار . الميل : مقياس روماني (مختلف في مقداره) — المقصود : على مسافة قصيرة . يعدو بي الاغر : أركب حصاناً أبيض (أو له غرة بيضاء في جبينه) وأنا مسرع .

قالت الصغرى ، وقد تيّمتُها : « قد عرَفْناه ،وهل يخفى القمر[1] ! »
ذا حبيب لم يُعرّجْ دونَنا ، ساقه الحِينُ الينا والقدر[2] .
فأتانا حين ألقى برْكَه جملُ الليل عليه واسبطر[3] .
قد أتانا ما تمنّينا ، وقد غُيّبَ الإبرامُ عنا والقدر »[4].

— عمر والثُريّا :

قال لي صاحبي ليعلمَ ما بي : « أتحبّ القَتولَ أختَ الرَبابِ ؟ »
قلت : « وجدي بها كوَجْدِك بالعَذْبِ إذا ما مُنعتَ طَعْمَ الشّراب[5] .
من رسولي إلى الثريا بأني ضِقت ذرعاً بهجرها ، والكتاب[6] » .
أزهقت أمُّ نَوْفل ، إذ دعتها ، مهجتي ؛ ما لقاتلي من مَتاب[7] .
حين قالت لها : « أجيبي » . فقالت : « من دعاني ؟ » قالت: « ابو الخطاب »[8]
فأجابت عند الدعاء كما لبّى رجالٌ يرجون حُسن الثواب[9] .
أبرزوها مثل المَهاة تَهادى بين خمسٍ كواعبٍ أتراب[10] .

---

١ تيمتها : شغلتها بحبي ، أمرضها حبي .
٢ لم يعرج دوننا : لم ينزل في مكان آخر من قبل . ساقه الحين (بكسر الحاء) الينا والقدر : جاء اتفاقاً (من غير موعد) وفي هذا الحين .
٣ ألقى جمل الليل بركه : بدأ الليل ينزل (بدأ الظلام) . اسبطر : امتد (ثم تكاثف الظلام ، ثم أوغل الليل) .
٤ غيب عنا (زال عنا) الابرام (الملل ، السأم) والقدر (التضييق ، حجز الحرية) .
٥ وجدي : شغفي ، حبي . بالعذب : (بالماء) الحلو . إذا منعت طعم الشراب (بالصيام أو بفقدان الماء) .
٦ ضقت ذرعاً : قل صبري . والكتاب : أقسم بالكتاب (القرآن الكريم) .
٧ أزهقت أم نوفل اذ دعتها مهجتي : لما نادتها أم نوفل(وسمعت أنا اسمها) كادت مهجتي تزهق (كاد قلبي ينخلع ، يقفز من مكانه) .
٨ ابو الخطاب : عمر بن أبي ربيعة .
٩ عند الدعاء : لما سمعت النداء باسمها . كما لبى رجال يرجون حسن الثواب (كما يقول الحجاج على جبل عرفات : لبيك ، لبيك).
١٠ أبرزوها : أظهروها ، جاءوا بها . المهاة : البقرة الوحشية (نوع من الظباء) . تهادى = تتهادى : تتمايل في مشيتها (بكسر الميم) . الكاعب : الفتاة عند أول بروز ثدييها . الاتراب : المتقاربات في السن .

وهي مكنونــة تحيّــر منهــا ، في أديم الخدّين ، ماءُ الشباب [1] :
دُمية عند راهب ذي اجتهاد صوّروهـا في جانب المِحراب [2] .
ثمّ قالوا : « تحبّها ؟» قلت : « بهراً! عددَ النجم والحصى والتّراب » [3] .

– ومن قصائد عمر البارعة قصيدته :

ألم تسأل الاطلال والمتربّعــا ببطن حُليّات دوارس بلقعا [4] .

٤ – ديوان عمر بن أبي ربيعة ، مصر (المطبعة الميمنية) ١٣١١ .
ديوان عمر بن أبي ربيعة (بول شفارتز) ليبزغ ١٩٠١ – ١٩٠٩ م .
ديوان عمر بن أبي ربيعة (المخزومي القرشي) شرح محمد العناني (مصر (مطبعة السعادة) ١٣٣٠ هـ .
ديوان عمر بن أبي ربيعة (بشير يموت) بيروت (المكتبة الاهليــة) ١٩٣٤ م .
ديوان عمر بن أبي ربيعة (ابراهيم الاعرابي) ، بيروت ١٩٥٢ م .
ديوان عمر بن أبي ربيعة ، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦١ م .

** عمر بن أبي ربيعة ، تأليف جبرائيل جبّور : الجزء الأول (عصره) ، الجزء الثاني (حياته) ، بيروت (منشورات كليّة العلوم والآداب في الجامعة الاميركية ، بيروت : سلسلة العلوم الشرقية : الحلقة السابعـة والحلقة الثالثة عشرة) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٣٥ ، (المطبعة الاميركانية) ١٩٣٩ م .
حبّ عمر بن أبي ربيعة ، تأليف زكي مبارك ، القاهرة ١٩١٩ م .
عمر بن أبي ربيعة المخزوميّ ، تأليف عمر فرّوخ ، الطبعة الثانية ، بيروت (مكتبة منيمنة) ١٣٦٦ هـ = ١٩٤٧ م .

---

١ مكنونة : مخدرة ، محجوبة ، مصونة . تحير : تردد . أديم : جلد . – هي لا تزال في أول عمرها وفي كامل نضارتها لأنهـا محجوبة (لم تعمل أعمـالا شاقة تذهب ببعض نضارتها في وقت باكر) .
٢ يشبهها بالتمثال الذي يكون عادة في مصلى الراهب .... ذو اجتهاد : شديد الورع كثير العبادة . المحراب : المكان الذي يقف الانسان فيه للصلاة .
٣ بهرا : عجبا !
٤ راجع الكامل ٤٩١ ، راجع ٣٥٠ ؛ الامالي للقالي ٢ : ٥١ – ٥٢ .

شاعر الغزل ، تأليف عبّاس محمود العقّاد ، مصر (مكتبة المعارف : سلسلة : اقرأ) ١٩٤٢ م .

وهل يخفى القمر ؟ تأليف رئيف خوري ، بيروت ١٩٣٩ م .

Umars Leben , Dichtung , Sprache uud Metrik , von Paul Schwarz , Leipzig 1909 .

بروكلمان ١ : ٤١ — ٤٣ ، الملحق ١ : ٧٦ — ٧٧ ؛ زيدان : ١ : ٣٢٤ — ٣٢٦ .

مالك بن أسماء

١ — هو مالكُ بنُ أسماءَ بنِ خارجةَ بنِ حصنِ بن حُذيفةَ بن بدر الفَزاريّ ، كان جدّه من سادات غَطَفان في نَجْد ثم نزل الكوفة في حيّ بني أسد فكان له ولولده من بعده جاهٌ وشرف في الكوفة . أما أم مالك فكانت أمّ وَلَدٍ تدعى صَفيّة .

وُلِدَ مالك بن أسماء في الكوفة ، نحو سنة ٣٥ هـ (٦٥٥ م) وشَبّ تامّ الخَلْق ذا جمال باهرٍ حَسَنَ الحديثِ ومُحبّاً مغامراً حتّى رُوِيَ (غ ١ : ١٤٧) أن عُمَرَ بنَ أبي ربيعةَ رأى رجلاً يطوف بالبيت قد بَهَرَ الناسَ بجماله وتَمامه ، فسأل عنه فقيل له : هذا مالكُ بنُ أسماءَ بن خارجةَ ! فجاء عُمَرُ فسلّم عليه وقال له : يا أخي ، ما زِلْتُ أتشوّقُ إليك منذ بلَغني قَوْلُك :

إنّ لي عِندَ كلّ نَفْحة بُستا ... نٍ من الوردِ أو من الياسمينا

نَظْرَةً والتِفاتةً أتَمَنّى ... أنْ تكوني حَلَلْتِ في ما يَلينا !

وكان لمالك أخٌ اسْمُه عُيَيْنَةُ يبدو أنه كان مثلَه في الجمال وفي المغامرة . وكان له أختٌ بارعة في الجمال اسْمُها هِنْد ، من الاديبات وذوات الخِبرة والحِنْكة والدهاء ، فشَغَلَتْ وُلاةَ العراق : تزوّجها عُبيدُ اللهِ بن زِيادٍ (توفي ٦٧ هـ = ٦٨٦ م) ، ثم تزوّجها بِشْرُ بن مروان (توفي ٧٤ هـ=٦٩٣م) ، ثم تزوّجها الحجّاجُ وشُغِفَ بها على ما نَعْرِفُ من جِدّ الحجّاج في الأمور وقَسوته في معاملة الناس .

وَلّى الحجّاجُ ، بعدَ زواجهِ بهِنْد ، مالكَ بن أسماء على إصبهان وولّى عُيَيْنَةَ على شيء من الجِبايات (في العراق في الاغلب) فظهر للحجّاج عليهما كلَيْهما خِيانةٌ في الأموال فسَجَنَ مالكاً في الكوفة واشتطَّ في تعذيبه حتّى كان لا يأذَنُ بأن يُسْقى الماءَ إلا ممزوجاً بالمِلح والرَّماد[1] . ثم ان الحجّاج عفا عنهما إكراماً لأختِهِما هند .

وكان لمالك بن أسماء شَعْرٌ طويلٌ جميل (ديوان المعاني ٢ : ١٦٢) ثم شاب وصار يَخْضِبُ بالحِنّاء (الامالي ٣ : ١١٢) قبل أن يَبْلُغَ الاربعين من العُمُر .

في العِقد الفريد[2] : « لمّا مات مالكُ بن أسماء .... قال الحجاج : ذلك عاشَ ما شاء ومات حينَ شاء » . فاذا نحن اعتمدنا هذه الجُمْلَةَ وَجَبَ أن يكون مالكُ بن أسماء قد تُوفِّيَ في أيام الحجاج ، وربما بعد سنة ٩٠ هـ (٧٠٨ م) ، وكان لا يزالُ فيه بَقيّةٌ من قوّة .

٢ ــ مالك بن اسماء بن خارجة شاعرٌ غَزِلٌ ظريفٌ مُكْثِرٌ ، وشعره فصيحُ الالفاظ سهل التركيب عَذْبٌ في التلاوة . وفنونه الغـزل والخمريات ، وله شيء من العتاب القريب من الهجاء ، كما أن له أبياتاً سائرةً .

٣ ــ المختار من شعره :

ــ قال مالك بن أسماء في إحدى نسائه يستحسنُ كلامَها ، وكانت امرأتُه تلك تَلْحَنَ أحياناً (تُكسِبُ كلامَها غُنّةً أو نَغَماً مخصوصاً) مَعَ أصابةِ المعني . وفَهِمَ الجاحظ اللَّحْنَ في هذه الابيات بمعنى الخطأ في القول (غ ١٦ : ٤٣ ، الاسطر ٥ ــ ١٢ ؛ البيان والتبيين ١ : ١٤٧ ، ٢٢٨) :

أمُغَطّىً مِني على بَصَري بالـ ـحبّ ، أم أنتِ أكملُ الناسِ حُسنا؟
وحديثٍ ألَذّه ، هـو ممـا يَنْعَتُ الناعتون : يُوزَنُ وَزْنا .

---

١ الاغاني (طبعة الساسي) ١٦ : ٤٠ ــ ٤١ ؛ الامالي ٢ : ١٩٨ ؛ البيان والتبيين ٢ : ١٨١ .
٢ بتحقيق محمد سعيد العريان (توفي ١٩٦٤ م) ، القاهرة (مطبعة الاستقامة) ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م ، ٣ : ٢١٥ .

مَنْطِقٌ صائبٌ ، وتَلْحَنُ أحيا نًا ؛ وخيرُ الكلام ما كان لَحْنا !

– وله في اللهو (غ ١٦ : ٤٠ ، معجم البلدان ١ : ٨٦٥) :

حبّذا ليلتي بتَلّ بَـونّـا حيث نُسقى شرابَنا ونُغنّى.
ومَرَرْنا بنِسْوةٍ عَطِـرات وغناءٍ وقَرْقَفٍ فنَزَلْنـا [١] .
حيثُ ما دارتِ الزّجاجةُ دُرْنـا يَحْسَبُ الجاهلون أنّا جُنِنّـا
من شرابٍ كأنّه دَمُ جَوْفٍ يتْرُكُ الشيخ كالفتى مُرْجَحِنّا [٢].

– كان مالك بن أسماء مُغْرَماً بالشّراب فنصحه الحجّاج بتركه فتركه مدّة ثمّ عاد اليه . وفي ذلك يقول :

ونَدمانِ صِدْقٍ قال لي بعد هَجْعة من الليل: «قُمْ نَشْرَبْ»فقلت له: مَهلا [٣] !
فقال : «أبُخْلاً ، يا ابنَ أسماءَ ؛ هاكِها كُمَيْتاً كريحِ المِسك تَزْدَهفُ العقلا» [٤]
فتابعته فيْ ما أراد ، ولم أكُـنْ بخيلاً على النَدمانِ أو شَكِساً وَغْلا [٥] ؛
ولكنّني جَلْدُ القُوى أبْذُلُ النّـدى وأشربُ ما أُعطَى ولا أقبلُ العَذْلا [٦] .
ضحوكٌ ، إذا ما دَبّتِ الكأسُ في الفتى وغيّرَه سُكْرٌ – وان أكْثَرَ الجهلا [٧] .

٤ – ** الاغاني (طبعة الساسي) ١٦ : ٤٠ – ٤٤ .

الحجّاج بن يوسف الثقفي

١ – وُلِدَ الحجّاج بن يوسُفَ في سنة ٤٢ ھ (٦٦٠ م) في مدينة الطائف ، شرقَ مكّة ، ونشأ في أسرة مثقفة متعلمة : كان هو وأبوه وأخوه مُعلّمين في الطائف . ثم ان الحجّاج ترك التعليم والتحق بالجيش الأموي ، وما زال يترقّى

---

١ القرقف : الخمر الباردة .
٢ ارجحن : مال واهتز .
٣ الندمان (بفتح أوله) : النديم الواحد (الذي يشارك غيره في مجلس الخمر) . وربما جاءت جمعاً .
مهلا ! : استمع ، لا تدعني إلى ذلك ، اترك هذا القول أو العمل .
٤ كميت : حمراء اللون . تزدهف العقل : تستخف العقل ، تذهب به .
٥ الشكس : صعب الخلق ، سيء المعاشرة ، كثير الخلاف على من يعـاشرهم . الوغل : النذل ، الساقط .
٦ العذل : اللوم . ٧ الجهل : (الكلام القبيح ، الفج ، القاسي) .

في مراتبه حتى عَهِد إليه الخليفة عبد الملك بن مروان بقيادة جيش لمحاربة عبد الله ابن الزبير في مكّة . وكان عبد الله بن الزبير قد ثار على الدولة الأموية ونادى بنفسه خليفة في الحجاز والعراق ومصر . وانتصر الحجاج على ابن الزبير وخرّ ابن الزبير صريعاً في القتال في سنة ٧٣ هـ (٦٩٢ م) .

عندئذ ولّى عبدُ الملك الحجّاجَ على الحجاز واليمن فاستطاع الحجّاج في عامين اثنين (٧٣ – ٧٥ هـ) أن يُوطّد الأمن فيهما ويحملهما على طاعة بني أمية . فأضاف اليه عبد الملك من أجل ذلك الولاية على العراق (٧٥ هـ = ٦٩٤ م) .

وفي مدى عشر سنوات أقر الحجاج الأمن في العراق وقضى على الخوارج وعلى الثائرين على بني أمية وقام باصلاحات إدارية وعمرانية كثيرة ، منها : بناء مدينة واسط لتكون عاصمة له ، لأن الكوفة كانت شيعة لآل علي ولأن البصرة كانت شيعة لآل الزبير . ومسح العراق (قاسه وعين أماكنه وقيد الاملاك فيه) وكرى (أعاد حفر) الأقنية التي كانت قد طُمرت بالمعارك والحروب ، ووحّد المكاييل والمقاييس والموازين ، ونقل الدواوين (سجلات الحكومة) من الكتابة باللغة الفَهْلَوية (الفارسية القديمة) إلى اللغة العربية ، وسك العملة باللغة العربية ثم نظم الجيش فجعل الخدمة فيه اجبارية .

بعدئذ التفت الحجّاج إلى الفتوح فوجّه الجيوش إلى المشرق فَفَتَحَتْ بلْخ وطُخارستان وفرغانة (من أواسط آسية) وفتحت السند (غربي الهند) ووصلت إلى كاشغر على حدود الصين .

وبينما كانت الفتوح العربية في المشرق على أشد اتساعها توفي الحجاج لما وقعت في جوفه الأُكَلَة (السرطان أو القرحة ؟) وذلك على الأغلب في رمضان ٩٥ هـ (٧١٥ م) فتوقفت الفتوح عند الحد الذي كانت قد بلغته .

ومات الحجاج ولم يخلف إلا سيفاً ومصحفاً وعشرة دراهمَ فضة .

٢ – كان الحجّاج من أعظم الرجال ، ذكره ابن خلدون في « الوزراء الذين عَظُمَتْ آثارُهم وعَفّت على الملوك أخبارُهم » . فقد كان سياسياً قديراً وإدارياً حازماً ، وكان واسع المعرفة بالعلم وبالناس . ولكنه كان قاسياً شديداً في الحق .

وكان الحجّاج خطيباً بارعاً امتاز بجميع خصائص العصر من جَزالة اللفظ ومتانة التركيب وقِصَر الجمل والمُوازنة بينها . وكان السجع والصناعة في خطبه قليلين ، أما الاقتباس من القرآن الكريم خاصة ومن الشعر والأمثال فكثير . غير أنه فاق غيره في خطبه بأثر الحزم (فما هدّد في خطبه إلاّ نفّذ بعدها تهديده في من يُخالف أوامره) ، وبسعة الدراية بالناس ونفوذ بصره إلى دخائل نفوسهم .

٣ – المختار من خطبه :

– خطبته حين تولى العراق :

– ترك الحجّاج المدينة متوجهاً نحو العراق فوصل إلى الكوفة في رَمَضانَ من سنة ٧٥ ﻫ (كانون الاول ٦٩٤ م) . دخل الحجّاج المسجدَ فَرَقِيَ المِنْبَرَ وقرأ على الناس كتاب الخليفة بتوليته على العراق ثم ألقى خطبته المشهورة ، وسأوردها في ما يَلي مع الاحوال التي لابستها ، لأن تلك الأحوالَ تَكْشِفُ عن جانب من جوانبِ شخصية الحجاج وتدل على جانب من سياسته .

حدث عبد الملك بن عُمير الليثي ، قال :

بَيْنا نحن في المسجد الجامع بالكوفة – وأهل الكوفة يومئذ ذوو حال حسنة يخرج الرجل منهم في العشرة والعشرين من مواليه – إذ أتى آت فقال : « هذا الحجّاج قد قَدِمَ أميراً على العراق ! » فاذا به (بالحجّاج) قد دخل المسجد مُعْتَمّاً بعِمامة قد غَطّى بها أكثر وجهه ، مُتقلّداً سيفاً متنكباً قوساً يَؤمّ المنبر .

فقام الناس نحوه حتى صَعِدَ المنبر ، (ثم) مكث ساعةً لا يتكلم . فقال (بعض الناس لبعض) : قبّح الله بني أمية إذ يستعملون مثل هذا على العراق . ثم قال عُمير بن ضابىء البُرجُمي : « ألا أحْصِبُه لكم » – يعني أرميه بالحصْباء (الحجارة) . وكان بعضهم قد أخذ حصىً يريد أن يحصبه بها – فقالوا : « أمْهِلْ حتى ننظرَ » .

فلما رأى (الحجاج) عيونَ الناس اليه حَسَرَ اللِثامَ ونهض فقال :

(انا ابن جَلا وطَلاّع الثّنـايا ؛ متى أضَع العِمامةَ تعرفوني) [١] .

يا أهلَ الكوفة ، إنّي لأحْمِلُ الشرَّ بحمله ، واحذوه بنعله واجزيه بمثله . وإني لأرى أبصاراً طامحة وأعناقاً متطاولة ، ورؤوساً قد أينَعَت [٢] وحان قطافها وإني لَصاحبُها . وكأني أنظرُ إلى الدماء بين العمائم واللِحى تَرقرقُ .

(هذا أوانُ الشَدّ فاشتدي ، زِيَمْ ؛ قد لَفّها الليل بسوّاق حُطَم ،
ليس براعي إبلٍ ولا غنم ، ولا بجزّار على ظهر وَضَم) [٣] .
(قد لَفّها الليلُ بعَصْلَبِيِّ أروعَ خرّاجٍ من الدّوِيّ
مُهاجرٍ ليس باعرابي) [٤] .
(قد شمّرت عن ساقها فشُدّوا ، وجدّتِ الحربُ بكم فجِدّوا .
والقوس فيها وَتَرٌ عُرُدُّ مثلَ ذِراع البَكْرِ أو أشدّ .
لا بُدَّ مما ليس منه بدّ) [٥] !

إني — والله — ، يا اهلَ العراق ومَعْدِن الشِقاق والنِفاق ومساوئ الأخلاق، ما يُقَعْقع لي بالشِنان [٦] ولا يُغْمَز جانبي كتَغماز التين [٧] . ولقد فُرِرْتُ عن ذكاء وفُتّشت عن تجربة وجَرَيْتُ إلى الغاية القُصْوى . وان أمير المؤمنين — أطال الله بقاءَه — نثر كِنانته بين يديه فعَجَمَ عيدانها [٨] فوجدني أمرّها عوداً وأصلبها مَكْسِراً فرماكم بي لأنكم طالما أوْضعتم في الفتن واضطجعتم في مراقد الضلال وسَنَنْتم سُنَنَ الغَيّ .

أما والله ، لألحُوَنّكم لَحْوَ العصا ولأقرَعنّكم قَرْعَ المَرْوة ولأعصِبَنّكم

---

١ البيت لسحيم بن وثيل الرياحي . ابن جلا : البين الرأي والامر – طلاع الثنايا (الطرق في الجبال) : المتغلب على الصعاب . وضع العمامة : رفع طرفها عن وجهه .
٢ اينع الثمر : نضج .
٣ يروى الشعر لرويشد بن رميض العنبري .الشد :الجري . زيم:اسم ناقة . حطم : الذي يجهد الناقة. وضم: قطعة خشب يقطع اللحام اللحم عليها .
٤ العصلبي : الشديد . اروع : ذكي الفؤاد . الدوي : الصحراء . مهاجر : (حضري) .
٥ عرد : شديد . البكر : ولد الناقة .
٦ اخوف باحداث الأصوات ورائي . الشن : الجلد اليابس .
٧ لا أسكت على الضيم .
٨ الكنانة : جعبة السهام . عجم العود : عضه ليختبر قوته وصلابته .

عَصْبَ السَلَمة ولأضْرِبَنّكم ضربَ غَرائبِ الابل [1] ، فانكم لَكَأهل « قرية كانت آمنةً مُطمئنةً يأتيها رِزْقُها رَغداً من كل مكانٍ ، فكَفَرَتْ بأنعُمِ الله فأذاقَها اللهُ لِباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون [2] » .

واني ، والله ، لا أعِدُ إلاّ وَفَيْتُ ، ولا أهُمّ إلاّ أمْضيت [3] ، ولا أخلُقُ إلا فَرَيْت [4]. فإياي وهذه الشُفعاءَ والزُرافاتِ والجماعات وقالاً وقيلاً ؛ وما تقول ، وفيم أنتم وذاك ؟ أما والله، لَتَسْتقيمُنّ على طريق الحق أو لأدَعَنّ لكل رجل منكم شُغْلاً في جسده .

وإن أمير المؤمنين أمرني باعطائكم أُعْطِياتِكم ، وان أُوجِّهَكم لمحاربة عدوّكم مع المَهلّب بن أبي صُفرة . وأني أُقسم بالله لا أجدُ رَجُلاً تخلّف بعد أخذ عَطائه بثلاثة أيام إلا سفكت دَمَه وأنْهبت ماله وهدمت منزله .

لقد انطوت خطبة الحجاج هذه على ثلاثة أمور :

أ – تقريع لأهل الكوفة خاصة .

ب – طلب بالسير مع المهلب بن أبي صُفرة لقتال الخوارج .

ج – تصريح بأنه مخالف للولاة الذين سبقوه وانه سيعاملهم بالحزم والشدة .

* * *

واتفق ان تأخر عن الموعد الذي ضربه الحجّاج رجل شيخ اسمه عُمير بن ضابئ البرجمي [5] ، ثم جاء بعد ثلاثة أيام يُبدي عذراً من ضعفه . فأراد الحجاج في أول الأمر أن يعفوَ عنه ، ولكن ذكروا له ان هذا الرجل دخل على عثمان ابن عفّان مقتولاً فوطئ بطنه . عندئذ أمر الحجّاج بقتله وقال له : « ان في قتلك صلاحَ المسلمين » ، وأمر منادياً فنادى : ألا إن عُمير بن ضابئ أتانا بعد ثالثة – وكان قد سمع النداء – فأمرنا بقتله . ألا إن الذِمّة قد برئت من رجل رأيناه بعد هذا البعث متخلفاً .

---

[1] لحا : قشر . المروة : الحجر . قرع : ضرب . السلمة : شجر ذو شوك ... يقصد الحجاج انه سيسير فيهم سيرة شديدة حازمة .

[2] القرآن الكريم ١٦ (النحل) ١١٢ .

[3] نفذ .

[4] خلق : قدر . فرى : قطع .

[5] الذي أراد أن يحصب الحجاج في المسجد قبل الخطبة .

– بعد ان استقر الحجاج في الكوفة وأرهب أهلها انتقل إلى البصرة وتوعّد أهلها خاصة وهددهم ، فقال :

أيها الناسُ : من أعياهُ داؤه فعندي دواؤه ، وَمَنِ استطالَ اجلَهُ فعليّ ان أعجِّلَهُ ، ومن ثَقُل عليه رأسُه وضعت عنه ثِقْلَه ، ومن استطالَ ماضِيَ عُمُرِه قصّرت عليه باقيَه . إن للشيطان طَيْفاً وللسلطان سيفاً ، فمن سَقُمت سَريرتُه صحّتْ عقوبته ، ومن وضعه ذنبه رفعه صَلْبه ، ومن لم تَسَعهُ العافيةُ لم تَضِقْ عنه الهَلَكَةُ ، ومن سبقته بادرة فمه سبق بدنَه (؟) بسفك دمه .

إني أُنذِرُ ثم لا أُنظِر [1] ، وأُحذّرُ ثم لا أعذُر ، وأتوَعّدُ ثم لا أعْفو . إنما أفسدكم ترنيقُ وُلاتِكم ، ومَنِ استرخى لَبَبُه [2] ساء أدبه . إن الحزمَ والعزمَ سلباني سَوْطِيَ وأبْدلاني به سَيْفِيَ ، فقائمه في يدي ، ونِجادُه [3] في عنقي ، وذُبابُه [4] قِلادَةٌ لِمَنْ عَصاني . واللهِ ، لا آمُرُ أحدَكم أنْ يخرج من بابٍ من أبوابِ المسجِد فيَخرُجَ من الباب الذي يليه إلاّ ضربتُ عنُقَهُ .

٤ ** – الحجاج بن يوسف ، تأليف ابراهيم الكيلاني ، دمشق ١٩٤٠ .
– الحجّاج بن يوسف الثفقفي ، تأليف عمر فروخ ، بيروت (مكتبة منيمنة) ١٣٦٩ هـ = ١٩٥٠ م .
– الحجّاج بن يوسف ، تأليف خلدون الكناني ، دمشق ١٩٤٦ م .
– سيف بني مروان الحجّاج ، تأليف عبد الرزاق حميدة ، مصر ١٩٤٧ م .
– الحجّاج بن يوسف حاكم العراقين ، تأليف عمر أبي النصر ، بيروت (مكتبة الكشاف ومطبعتها) ١٩٣٨ م .
– جبار ثقيف الحجّاج بن يوسف ، تأليف رياض محمود رويحة ، بيروت (دار الأندلس) ١٩٦٣ م .
– الحجّاج – حياته وخطابته ، تأليف علي صافي حسين ، القاهرة (الدار القومية) بلا تاريخ .

---

١ انظر : اجل العقوبة وأخرها .
٢ ترنيق : ضعف . اللبب حزام صدر الدابة ؛ اشارة إلى ضعف الارادة .
٣ حمائل السيف .
٤ حد السيف .

الأخطَل

١ — هو أبو مالك غِياثُ بن غَوْثٍ من بني عمرِو بن الفَدَوْكَسِ بنِ عمرِو بن مالك بن جُشَمَ بن بكرٍ من بني غُنْمِ بن تَغْلِبَ. وكانت أمّه تدعى ليلى وكُنيتها أمُّ كَعْبٍ.

وُلِدَ غِياثُ بن غَوْثٍ في الحيرة، نحو سنة ٢٠ هـ (٦٤٩ م) ونشأ فيها يقول الشعر مُغْرَماً بالهجاء، وكانَ جريئاً على الناس سَفيهَ اللسانِ فلُقِّبَ بالأخْطَل. وكذلك كان له لقب في صغره، هو «دوبل» [١].

كان الاخطلُ نَصْرانياً، غيرَ أن سُلوكَه، كما يقول الأب هنري لامَنْس [٢]، لم يكن مُتّسِقاً معَ التقاليد المسيحية: لقد طلّق امْرأتَهُ ثم تزوّجَ امرأةً مُطلّقةً؛ وأضاف، فيما بعدُ، إلى أهلِه جاريةً أهداها اليه زِيادُ بن أبيه. وكذلك كان يعاشر القِيانَ. وكان القَسّ يُعاقبه على أعماله فيَحْبِسُه أو يَضْرِبُه فيَسْتَخْذي بين يدَيْه. ويقول نيكلسون [٣]: ان فضيلةَ النّصرانيةِ عندَ الأخطلِ كانت في أنّها كانت تَسْمَحُ له بشُربِ الخمر بالقَدْر الذي يريده.

ولم يَنْبُهِ الأخْطلُ ولا ذاعَ صيتُه إلاّ بعدَ اتصاله بِبَلاطِ بني أميّةَ في الشام.

اتّصل الاخطلُ بالبَلاطِ الأمويّ مرّتين:

شَبّبَ عبدُ الرحمن بن حسّانَ بن ثابت برَمْلَةَ بنتِ مُعاويةَ فغضب أخوها يزيدُ وشكا ذلك إلى أبيه. وأراد مُعاويةُ أن يُعالِجَ هذه القضيّةَ بالحِلْمِ والدهاء — جرياً على عادتهِ في السياسة العامّة — فلم يَرْضَ يزيدُ وأرسل سِرّاً إلى كعبِ بن جُعيلٍ وقال له: «ان عبدَ الرحمن بن حسّان قد فَضَحَنا،

١ القاموس (٣ : ٣٧٣، السطر الأخير): «والدوبل الخنزير أو ولده، وولد الحمار، والذئب العرم (بفتح العين وكسر الراء): الشرس، الشديد الأذى، ولقب الاخطل، والثعلب».

Lammens, in Enc. Isl. (first ed.) I 234 d.

٢ Enc. Isl. (first ed.), I 235 a، راجع أيضاً الاغاني ٨ : ٢٩٨، ٣٠٩ — ٣١٠.

٣ A Literary History of the Arabs: Akbtal.

فاهْجُ الانصارَ » . فقال له كعبٌ : أرادّي أنتَ إلى الشِرْكِ بعدَ الاسلام ؟ أأهجو قوماً نصروا رَسولَ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم ؟ ولَكنّي أدُلّك على غلامٍ منّا نَصرانيٍّ كافرٍ شاعرٍ » . ودلّه على الأخطل [1] .

فدعا يزيدُ بالأخطلِ وقال له : « اهْجُ الانصارَ » ، فقال له الأخطل : « أفْرَقُ (أخاف) من أمير المؤمنين (معاوية) ! » فقال له يزيد : « لا تخَفْ ، أنا أحميك » . فقال الاخطل :

وإذا نَسَبْتَ ابْنَ الفُرَيْعَةِ خِلْتَه كالجَحْشِ بين حِمارةٍ وحِمارِ [2] .
لعن الالـهُ من اليهودِ عِصابةً بالجزع بين صُلَيْصِلٍ وصِرار .
خلّوا المَكارِمَ لستمُ من أهْلِها ، وخُذوا مَساحِيَكُمْ ، بني النجّار [3] .
ذهبتْ قُرَيْشٌ بالمَكارمِ كلّها ، واللؤمُ تحتَ عمائمِ الأنصار !

فلم يَرْضَ معاويةُ عن ذلك ، ولكنّ يزيدَ حمى الأخطلَ . ويبدو أن الأخطل بَقِيَ مَعَ يزيدَ أميراً ثم لَزِمَه في أيام خلافته . وبعد موتِ يزيدَ (٦٤ هـ) ترك الاخطلُ البلاطَ الأمويّ وعاد إلى مساكن قومه في الجزيرة .

بعدَ انتقالِ الخلافة الأموية من الفرْعِ السّفياني إلى الفرع المَرواني وانتصار المروانيين على خُصومِهِم السياسيين كَثُرَ الهجاء عليهم من كلّ جانب ؛ فاحْتاجَ عبدُ الملك بن مروان إلى شاعرٍ يردّ على شعراءِ خصومه فلم يَجِدْ إلاّ الأخطلَ فاستدعاه وأطلق له لسانَهُ على الانصار .

وقد كانتْ بينَ الاخطلِ وبين كَعْب بن جُعيل عداوةٌ (غ ٨: ٢٨١–٢٨٢) ؛ ولكنّ الهجاءَ الذي اشْتدّ واسْتَطار كان بين جَريرٍ والاخطل :

قال الاصفهاني : « اجتمعَ الفَرَزْدقُ وجريرٌ والأخطلُ عند بِشْرِ بن مروان والي الكوفة (٧١ – ٧٣ هـ) – وكان بِشْرٌ يُغري بين الشعراء – فقال بِشْرٌ للأخطل : احْكُمْ بين الفرزدقِ وجريرٍ .... فقال الأخطل : الفرزدقُ يَنْحَتُ من صخرٍ وجريرٌ يَغْرُفُ من بحرٍ . فلم يَرْضَ جريرٌ بذلك (لأن

١ الشعر والشعراء ٤١١ ؛ راجع أيضاً ، فوق ، ص ٣٨٤ .
٢ الفريعة أم حسان بن ثابت وجدة الشاعر المهجو .
٣ المساحي جمع مسحاة : أداة تسوى بها الأرض للزراعة . بنو النجار : أخوال والد الرسول صلى الله عليه وسلم . والأخطل يعير الانصار (أهل المدينة) بأنهم زراع فلاحون .

مَدارَ الشعرِ الجيّدِ في العصر الأموي كان صلابتَه لا سهولتَه) . فكان ذلك سبباً ظاهراً على الأقلّ للعداوة بين جريرٍ والاخطل[1] . ولعلّ العَصبيةَ والتكسّبَ كانا السببين الأساسيين لتلك العداوةِ ولذلك الهجاءِ . ثم اتّفق أن مُحمدَ بن عُطاردِ ابن حاجبِ بن زُرارةَ رشا الاخطلَ زِقاقَ خمرٍ وكساه حُلّةً على أن يفضّل الفرزدقَ ويهجوَ جريراً (غ ٨ : ١٧) ففعل . فقال جريرٌ يهجو الاخطل :

يا ذا الغَباوةِ ، إنّ بِشراً قد قضى ألاّ تجوزَ حُكومةُ النَشْوانِ [2].
فدَعوا الحكومةَ ، لستُم من أهلِها ، ان الحكومةَ في بني شَيْبان [3] .
قتلوا كُلَيْبَكُمُ بِلِقْحَةِ جارِهم. يا خُزْرَ تَغْلِبَ ، لستُم بِهِجان [4] !

فقال الأخطلُ يردّ على جرير :

ولقد تناسَبْتُمْ إلى أحْسابِكُمْ ، وجعلتُمُ حَكَماً من السّلطان ،
فاذا كُلَيْبٌ لا تُساوي دارِماً حتّى يُساوِيَ حَزْرَمٌ بأبان [5] .
وإذا وضعتَ أباك في ميزانِهِم رَجَحوا ، وشالَ أبوك في الميزان .

ثم استطار الهجاء بين جرير والأخطل .

وقد ظلّ الأخطل شاعراً لبني أميّةَ يمدحهم ويهجو خصومَهم حتّى مات سنة ٩٥ هـ (٧١٣ م) ، في خلافة الوليد بن عبد الملك .

٢ – أجمع النّقادُ على أن شعرَ الاخطل يُشْبِهُ شعرَ النابغة الذبياني للشبَهِ بين حياتَيْهِما : كانا كلاهما بَدَويَّيْنِ يعيشانِ في الحَضَر ، وكانا شاعرَيْ بَلاطٍ يتكسّبانِ بالمديح . وأُغرم الاخطلُ بشعرِ النابغة فكان يقلّده في المعاني . وكذلك كان الاخطل يهذّب شعره . ويَبْرُزُ تقليدُ الأخطل للنابغة واضحاً في وصفه لنهرِ الفُراتِ وللثور الوحشي .

---

١ غ ٨ : ٣١٥ ، راجع ٨ : ١٧ – ١٨ .
٢ النشوان : السكران . الحكومة : التحكيم ، الفصل في الأمور الخلافية (الاختلاف بين الناس) .
٣ قتلوا كليب (سيد بني تغلب) لأنه قتل ناقة (راجع أسباب حرب البسوس في مواضعها) . اللقحة : الناقة.
٤ الخزر : الضيقو العيون (وهذه صفة من صفات الترك في أواسط آسية) : يعير بني تغلب بأنهم ليسوا عرباً . الهجان (هنا) : ذوي النسب المعروف .
٥ حزرم (بالزاي قبل الراء) جبل . وأبان (بفتح الهمزة) : جبل .– المملوح أن حزرم صغير وأبان كبير .

واشتهر الاخطل بمدح الملوك وصِفةِ الخمرِ خاصّةً ، كما أجادَ الفخرَ والهِجاء. وله حِكَمٌ قليلة .

مدح الاخطل الامويين مُشيراً إلى ماضيهِم وحقهمْ في الخلافة وعَظَمَةِ خلفائهم ، وتقرّبَ اليهم بهجاء الانصار خاصةً لأنهم كانوا خُصومَ بني أمية في الخِلافة . ولم يكن الأخطلُ معتقداً ما يقول ، ولكنّ مصلحتَه في التكسب منهم وفي الشهرة على أيديهم حملتْهُ على أن يَسْلُكَ تلك السبيلَ ، شأنُه في ذلك شأنُ النابغةِ من قبل .

وهجاءُ الاخطل مُقْذِعٌ (بذيء الكلام) على نحو ما كان معظمُ الهَجوِ في أيامه ، مؤلم لما فيه من المرارة وإصابة الغرض أحياناً . وكثيراً ما كان الأخطل يستعير فضائل قوم الفرزدق ليفتخرَ بها على جرير .

أما في الخمر فقد تأثر الأخطلُ في وصفها الأعشى فمدّ وصفها إلى حال السكران ، ثم وصف أدواتِها ومجالسَها وصفاً يسيراً . ولقد ساعدته نَصرانيته على ذلك إذ لم يكن بامكان الشعراء المسلمين أن يصفوها خوفاً من الحَدّ (العِقاب) ، وان كان بعضهم قد شربها . ومع ان الاخطل قد أطال وصف الخمر ، فان وصف الخمر قد ظل عنده « غَرَضاً » من اغراض القصيدة ولم يصبح فناً مستقلاً بنفسه .

٣ ــ المختار من شعره :

ــ قال الاخطل يمدح عبدَ الملك بن مروان ويهجو الانصارَ (أهلَ المدينة) وقيساً (عرب الشّمال) لأنهم كانوا أشياعَ عبد الله بن الزّبير ثم يُشيدُ باليمن (عرب الجَنوب) من أهل الشام خاصّة لأنهم وَقَفوا في صفّ الأمويّين عند قتال عبد الله بن الزبير . قال الاخطل :

خفّ القَطِينُ فراحوا منك أو بَكَروا، وأزْعَجَتْهم نوىً في صَرْفها غِيَرُ [١] .

---

١ خف (رحل) القطين (الساكنون) فراجوا منك (فارقوك في مساء أحد الايام) . أزعجتهم (حملتهم على الانتقال من مساكنهم الأصلية) . النوى : النية (القاموس ٤ : ٣٩٧ ، السطر ٢٠) ، قصد ، سبب . في صرفها غير : تنطوي على احداث ومصائب .

ثم يقول :

إلى امْرِيءٍ لا تُعَرِّينا نوافلُـــهُ ١ أظفره اللهُ ، فلْيَهنأ له الظفرُ .
الخائضُ الغَمْرَ والميمونُ طـائرُه ٢ خليفـةُ الله يُستسقى بـه المطر .
نفسي فِـداء أمـير المؤمنـين إذا أبدى النواجذَ يوماً عارمٌ ذكر ٣ .
في نَبْعَةٍ من قريشٍ يَعْصِبون بها ، ما إنْ يُوازَى بأعلى نبتهـا الشجر ٤ .
حُشدٌ على الحق عيّافو الخنا أُنُف إذا أَلمّتْ بهم مكروهةٌ صبَروا ٥ .
أعطاهمُ الله جَدّاً يُنصرون به ؛ لا جدّ إلا صغيرٌ ، بعدُ ، مُحْتقرُ ٦ .
لم يأشَروا فيه إذْ كـانوا مواليَـه ، ولو يكونُ لقومٍ غيرِهم أشِروا ٧ .
شُمْسُ العداوةِ حتى يُستقادَ لهم وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدَروا ٨ .
همُ الذين يُبارون الرياحَ إذا قلّ الطعامُ على العافين أو قتَروا ٩ .
بني أميّةَ ، نُعْماكم مُجَلّلَـةٌ تمّتْ فلا مِنّـةٌ فيها ولا كَدَر ١٠ .

---

١ لا نعرى من عطاياه : عطاياه دائمة .

٢ الغمر : الماء الكثير ، معظم البحر ، الأمر الشديد العظيم . الميمون : المبارك ، السعيد .

٣ ابدى النواجذ : ابدى أقصى أسنانه ، كناية عن اشتداد الأمر . العارم : الحادث العظيم . الذكر : الشديد .

٤ النبعة : مجتمع منبت القصب – هم أصل قريش . يعصبون ، بالبناء للمعلوم على الأصح ، أي يحمون من يلتجىء اليهم فيها . لا تبلغ الشجر (اشراف الناس) نبتهم (صغارهم) .

٥ حشد على الحق : مجتمعون عليه وعلى طلبه . عيافو الخنا : تاركون القول القبيح . ألم : نزل . مكروهة : مصيبة .

٦ جد : حظ . وكل حظ بجانب حظهم صغير محتقر .

٧ اشر : بطر .

٨ تظل عداواتهم شديدة حتى يتمكنوا من خصمهم . فاذا تمكنوا منه ورأوا انهم قادرون عليه عفوا عنه .

٩ يبارون : ينافسون (يزيدون على) الرياح (بالكرم) .العافي في القاموس : الذي يطلب العطاء ، ولعل الاخطل يستعملها هنا بمعنى « الذي يعطي » فيكون المعنى : إذا توقف الكرماء عن العطاء (لقلة المال والطعام في أيديهم أو إذا أصابهم شيء من البخل) فأنتم تستمرون في العطاء ثم تكونون (في تلك الحال) أجود من الرياح الهابة .

١٠ مجللة : عامة ، تشمل جميع الناس . ثم ليس فيها منة (لا تذكرون الناس بفضلكم عليهم) ولا كدر (لا تؤذون الناس وانتم تتفضلون عليهم كأن تجعلوهم ينتظرون كثيراً أو تدفعوا اليهم العطايا على شكل مهين) .

بني أميّةَ ، قد ناضَلْتُ دونَكم أبناءَ قومٍ همُ آوَوْا وهم نصروا [1] :
أفْحَمْتُ عنكم بني النجّار — قد علِمتْ عُلْيا مَعَدٍّ — وكانوا طالما هَدَروا [2] .
فلا هَدَى اللهُ قيساً من ضَلالتِهِمْ ، ولا لَعاً لبني ذَكْوانَ إن عَثَروا [3] .
كرّوا إلى حَرّتَيْهِمْ يَعْمُرونَهما كما تُكَرّ إلى أوطانِها البقر [4] .
أمّا كُلَيْبُ بنُ يَربوعٍ فليس لهم عند التَفارُطِ إيراد ولا صَدَر [5] .
وقد نُصِرْتَ ، أميرَ المؤمنين ، بنا لمّا أتاك ببطنِ الغوطة الخبر [6] ،
يُعرِّفونَك رأسَ ابنِ الحُبابِ ، وقد أضحى وللسيف في خَيْشومه أثر [7]

— قال الاخطل يفتخر بنفسه وبقومه ويهجو جريراً وقومه ويرفع شأن بني دارم قوم الفرزدق :

إنّا نُعَجِّل بالعَبيط لضيفنا قبل العيال ، ونَقْتُل الابطالا [8] .
أبني كُلَيْبٍ ، إن عمّيَّ اللذا قتلا الملوك وفكّكا الأغلالا [9] .

---

١ ناضلت : رميت بالنبال (هجوت) . أبناء قوم (الانصار) الذين آووا (الرسول) ونصروه (على قريش) .

٢ أفحمت (أسكت) بني النجار (شعراء بني النجار : الانصار) وكانوا طالما هدروا : خاروا وصوتوا كالثيران (طالما هجوكم) . علمت عليا معد : علم جميع العرب (انتشرت مدائحي فيكم وأهاجي في خصومكم بين جميع العرب) .

٣ بنو ذكوان : قبيلة من بني سليم كانت قد خرجت (ثارت) على بني أمية . لا لعاً لهم : لا أقال الله عثرتهم : لا أنهضهم من وقعتهم التي وقعوا فيها (انهزامهم وخسرانهم للخلافة) .

٤ كروا (رجعوا) إلى حرتيهم (قطعتين من الأرض البركانية قرب المدينة) يعمرونهما : يسكنونهما (مع أن الأرض الحرة لا تسكن ، ولكن لم يبق لهم أرض غير هذه يسكنونها) . كما تكر (ربما بضم التاء ، بالبناء للمجهول) : كما ترد البقر إلى أوطانها (مرابطها) سوقاً بالعصي .

٥ كليب بن يربوع : قوم جرير . التفارط : الذهاب إلى الماء . ليس لهم إيراد (استقاء من الماء) ولا صدر (رجوع بعد الاكتفاء من الماء) : لا حق لهم بالاستقاء والشرب لأنهم ضعاف أذلاء .

٦ و ٧ لما ورد اليك ، يا أمير المؤمنين ، الخبر إلى الشام بأن عمير بن الحباب السلمي القيسي (الذي كان ثائراً عليك) قد قتل ، فاننا نحن (بني تغلب) كنا قد قتلناه . الخيشوم : قصبة الأنف وما فوقها .

٨ نسرع بتقديم اللحم المذبوح حديثاً لضيوفنا قبل أن نقدم الطعام لأهلنا .

٩ اللذا = اللذان . يقصد بعميه : ابا حنش عصم بن النعمان الذي قتل شرحبيل بن الحارث بن عمرو ، ثم عمرو ابن كلثوم الذي قتل عمرو بن هند ملك الحيرة ...

ولقد سما لكمُ الهُذيلُ فنالكم ... بإرابَ حيثُ يُقَسّم الأنفالا [1] ،
في فَيْلَقٍ يدعو الأراقمَ لم تكن ... فرسانُها عُزْلاً ولا أكفالا [2] .
ولقد جَشِمتَ ، جريرُ ، أمراً عاجزاً ... ووهبت سَوءة أمّك الجُهالا [3] .
فانعِقْ بضأنِك ، يا جريرُ ، فإنما ... مَنّتْك نفسُك في الخلاء ضَلالا [4] :
منّتك نفسك أن تكون كدارم ... أو أن تُوازن حاجِباً وعِقالا [5] .
وإذا وضعتَ أباك في ميزانهم ... قفزت حديدتُه إليكَ فشالا .
إنّ العَرارة والنَّبوح لدارم ... والمُسْتَخِفَّ أخوهمُ الاثقالا [6] .
المانعيكَ الماءَ حتّى يَشْرَبُوا ... عفَواتِه ويُقَسّموه سِجالا [7] .
وابن المَراغةِ حابساً أعيارَه ... قَذْفَ الغريبةِ ما يَذُقْنَ بِلالا [8] .
وإذا سما للمجد فرعا وائلٍ ... واستجمع الوادي عليك فسالا
كنت القَذى في لُجّ أكْدَرَ مُزْبِدٍ ... قذفَ الأتيّ به فضَلّ ضَلالا [9] .

— وقال يصف حال السكران :

صريعُ مُدامٍ يرفَعُ الشَّربُ رأسه ... ليحيا ، وقد ماتت عظامٌ ومفصَلُ [10] .

---

١ الهذيل : الهذيل بن هبيرة التغلبي ...

٢ الاراقم : قسم من بني تغلب . الاعزل : من لا سلاح معه . الكفل (بكسر الكاف وسكون الفاء) : الضعيف الجبان الذي لا يعرف ركوب الخيل ويحاول أن يهرب من المعارك .

٣ كلفت نفسك بأمر أنت تعجز عنه ، فكانت النتيجة ان اهانك الناس ...

٤ نعق : صاح . — انصرف إلى رعي الغنم .

٥ دارم وحاجب وعقال : أجداد الفرزدق . — هنا يفتخر الاخطل بقوم الفرزدق .

٦ العرارة : القوة والنجدة في القتال . النبوح : العدد الكثير . والمستخف بالفتح أو بالجر . المعنى: وكذلك الذي يقوم عن قومه بالمكارم هو من بني دارم أيضاً .

٧ عفوات الماء : فيضه وكثرته . سجال جمع سجل (بفتح فسكون) : الدلو الكبير . المعنى : يأتون أول الناس فيشربون ويستقون ما دام الماء كثيراً فائضاً ، ثم يقسمون الباقي بين الناس سجلا سجلا .

٨ ابن المراغة : جرير . اعياره جمع عير (بالفتح) : حمار . الغريبة : الناقة التي ترعى في غير قطيعها . المعنى : يظل جرير منتظراً بحميره حتى ينتهي بنو دارم؛ فاذا حاول أن يتقدم قبل ذلك قذفوه بالحجارة فتظل حميره لا تذوق قطرة ماء تبل به حلقها .

٩ فرعا وائل : بكر وتغلب . واستجمع ... : إذا هجم بنو وائل كالسيل العظيم . القذى : الأوساخ التي تطفو على وجه السيل . اللج : معظم الماء ، وسطه . اكدر : ممزوج بالتراب لاتساعه وشدته . مزبد من سرعته وقوة اندفاعه . به : بالقذى . الأتي : السيل لعظيم .

١٠ صريع مدام : سكران من الخمر . الشرب : الذين يشربون الخمر معاً . — يحركونه فلا يتحرك .

تُهاديه أحياناً وحيناً تَجرّه ، وما كاد إلا بالُحشاشة يَعْقِل [1] .
إذا رفعوا عظماً تحامل صدرُه ، وآخرُ مما نال منها مُخبَّل [2] .
فقلت : « اصبَحُوني ، لا أبا لأبيكُم ُ ! » وما وضعوا الأثقالَ إلاّ ليَفْعلوا [3] .
أناخوا فجرّوا شاصياتٍ كأنها رجالٌ من السودان لم يَتسرْبَلوا [4] .
وجاءوا ببَيْسانية ٍ هيَ بعدَ ما يُعَلّ بها الساقي ألذّ واسهَل [5] .
فصبوا عُقاراً في الإناء كأنها ، إذا لمحوها ، جُذوة تتأكّل [6] .
تَمُرّ بها الأيدي سَنيحاً وبارحاً ، وتُوضَعُ باللّهُم حَيٍّ وتُحمَل [7] .
تَدِبّ دَبيباً في العِظامِ كأنه دَبيبُ نِمالٍ في نَقاً يتهيّل [8] .

— قال يصف الثور الوحشي في ليلة باردة :

فبات في جَنْبِ أرطاةٍ تُكَفّئه ريحٌ شآميةٌ هبّت بأمطار [9] .
يجول ليلتَه والعينُ تضرِبه منها بغيثٍ أجشّ الرعدِ تيّار [10] .

---

١ تهاديه ... تجره أو تهاديه ... تجره . هاداه : اسنده فسار متمايلا . جره : سحبه بيده أو برجله أو برأسه . الحشاشة : بقية النفس في الصدر (قبل الموت) . عقل : فهم ، وعى .

٢ إذا أمسكوا بعضو من أعضائه فرفعوه ارتفع . أما سائر أعضائه فقد نالت منها الخمر فخدرتها حتى لا تتحرك .

٣ ومع ذلك فقد قلت لهم اسقوني الخمر صباحاً ؛ مع انهم هم لم ينيخوا الجمال ويفكوا أحمالها إلا ليقدموا لنا الخمر .

٤ الشاصية : يظهر انها وعاء من جلد أسود . يشبه وعاء الخمر الاسود بالزنجي العاري .

٥ بيسان في غور الأردن الاعلى ، أي بخمر من بيسان . عله يعله : سقاه شيئاً فشيئاً . اسهل : لينة في الشرب . يعل (بالبناء للمجهول) : يذوق منها الساقي (الجميل) .

٦ العقار : الخمر . الجذوة : القطعة الملتهبة من الحطب .

٧ سنيحا وبارحا : من اليمين ومن الشمال . وتوضع باللهم ......: توضع الكأس وترفع إلى الفم بالدعوة الصالحة (اللهم ، يا الله) .

٨ يشعر شارب تلك الخمر انها تتمشى في عظامه بلطف وبطء . من خصائص النقا — الرمل الابيض — انه يتهيل (ينهار تحت الارجل بسرعة وبأقل مس) ، ولذلك تترفق النملة إذا سارت عليه (؟) .

٩ أرطاة وأرطأة : نوع من الشجر الكبير . تكفئه : تدفعه من هنا ومن هنا . شآمية : شامية ، من ناحية الشام ، غربية بالنسبة إلى الجزيرة ، أي اعالي العراق .

١٠ يدور طول الليل لا يجد ما يكنه ويحميه من البرد والمطر . العين : السحاب ، أي يصيبه السحاب بمطر شديد رعده كثير عظيم الصوت . هذا المطر تيار : يأتي من كل مكان إذ تتلاعب به الرياح الشديدة .

إذا أراد بها التغميضَ أرّقه   سيلٌ يدبّ بهدْم التُرب مَوّار [1] .
كأنه إذ أضاءَ البرقُ بهجتَه،   في أصفهانية أو مُطّلَى قار [2] .
أما السَّراةُ فمن ديباجةٍ لَهَقٍ ،   وبالقوائمِ مثلُ الوشمِ بالنار [3] .
حتى إذا انجابَ عنه الليلُ وانكشفت   سماوُه عن أديمٍ مُصْحِرٍ عارِ [4] .
آنسَ صوتَ قَنيصٍ ، إذا حَسّبهم   كالجن يَهفُون من جُرْمٍ وأنمار [5] .
فانصاع ، كالكوكب الدُرّيّ ميْعتُه ،   غضبانَ يَخْلطُ من مَعْج وإحضار [6]
فأرسلوهن يُذرينَ التّرابَ كما   يُذري سبائخَ قطنٍ ندفُ أوتار [7] .
حتى إذا قُلت نالته سوابِقُها   وأرهقتْه بأنيابٍ وأظفار
أنحى اليهن عيناً غيرَ غافلة   وطعنَ مُحتَقِرِ الأقرانِ كرّار [8] .

٤ — شعر الاخطل رواية اليزيدي عن السكّري (صالحاني) ، بيروت (الكاثوليكية) ١٨٩١ م .
— شعر الاخطل مرسوم بتصوير النور وطبع الحجر (غريفيني) ، بيروت (الاباء اليسوعيين) ، ١٩٠٧ م .

---

١ لا يستطيع ان يستلقي أرضاً فينام ، لأن السيول الشديدة تجرف التراب حوله ومن تحته أيضاً . الموار : السيل يتردد يمنة ويسرة بشدة .
٢ — اسود : حالك السواد . الأصفهانية : ثوب حرير اسود . معطل قار : مطلي ، مدهون بالزفت .
٣ السراة : الظهر . ديباج ، بفتح الدال وكسرها : الحرير الفاخر . لهق : شديد البياض . وكأن أرجله موشومة بالنار ، لأن الثيران الوحشية (نوع من الغزال) تكون ارجلها مخططة بدوائر أفقية بيض وسود .
٤ في الصباح صحا الجو وصفت السماء من الغيم .
٥ آنسن صوت قنيص : أحسن بصوت صيادين . وضمير النسوة يعود على جماعة الثور الوحشي . — شعر هذا الثور ان الصيادين يهفون أي يسرعون نحوه كالجن من جرم : من كثرة أصواتهم وعلوها ، ومن أنمار : من اختلاف ألوانهم وأشكالهم . وضبطت جرم بالكسر على انها وأنماراً قبيلتان ، وفي ذلك تكلف شديد . والبيت معقد ككثير من أبيات الأخطل .
٦ انصاع : انفتل . الميعة : أول الجري . المعج : الاسراع . الاحضار : ارتفاع الفرس في عدوه — أي كان مضطرباً لا يدري كيف يجب أن يهرب فيركض إلى هنا وهنالك .
٧ أطلق الصيادون كلابهم على الثور ، فأسرعت نحوه تقذف التراب بأرجلها كما تطير قطع القطن إذا ندفنا القطن بالقوس الخاص به .
٨ لما وصلت الكلاب إلى هذا الثور وظن الظان انها ستمزقه بأنيابها وأظفارها دار نحوها وهجم عليها يطعنها بقرنيه .

– الشذر الذهبي في شعر الاخطل التغلبي (صالحاني) ، بيروت ١٩٢٥ م .
– نقائض جرير والاخطل لمحمد بن حبيب [١] (حرّرها الاب أنطون صالحاني) بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٢٢ م .
•• – رأس الأدب المكلّل في حياة الاخطل ، تأليف عبد الرحيم محمود مصطفى ، مصر ١٩١٠ م .
– الاخطل ، تأليف فؤاد أفرام البستاني ، بيروت (الكاثوليكية) ١٩٣٧م .
– الاخطل شاعر بني أمية ، تأليف مصطفى غازي ، الاسكندرية (دار نشر الثقافة) ١٩٥٧ م .
– الاخطل ، تأليف حنا نمر ، بيروت .

— Le Chantre des Omiades, notes biographiques et litteraires sur le poète arabe chrétien Ahtal, par Henri Lammens (Extrait du Journal Asiatique) .... Beyrouth 1891 .

– الاخطل ، بقلم خليل مردم (م م ع ع ٣٣ : ١٧٧) .
بروكلمان ١ : ٤٥ – ٤٩ ، الملحق ١ : ٨٣ – ٨٤ ؛ زيدان ١ : ٢٨٤ – ٢٨٨ ؛ شعراء النصرانية بعد الاسلام ١٧٠ – ١٩١ .

أبو دَهبَل الجُمَحيّ

١ – هو أبو دَهْبَل وَهْب بن زَمْعة بن أُسيد من بني جُمَح من كعب بن لُؤيّ بن غالب من أهل مكّة ، وأمّه من بني هُذيل .

كان أبو دَهْبَلٍ جميلاً له جُمّةٌ يرسلها فتصل إلى مِنْكَبَيْهِ . وقد كان سيداً من أشراف قومه كريماً . وكانت له أرضٌ بمِصْرَ يزورها .

وأبو دهبل شاعر عفيفٌ بالاضافة إلى أهل زمانه ، وقد كانت له مُغامراتٌ : أحبّ امرأةً من قومه اسمُها عَمْرةُ ونظم فيها شعراً كثيراً ، ثم كانت له قصّة مع عاتكة بنت معاوية جرّت وراءها ذُيولاً طِوالاً . وكذلك كانت قصة مع امرأة شامية انتهت بزواج .

[١] نسب الأب أنطون صالحاني هذا المجموع إلى حبيب بن أوس أبي تمام .

كان عبد الله بن الزبير قد ولّى عبدَ الله بن عبد الرحمن بن الوليد ، ويُعرَف بابن الأزرق ، على بلد باليمن اسمه الجَنَدُ ، فوفد عليه أبو دهبلٍ مادحاً فوجد منه جَفْوةً فمضى إلى عُمارة بن عمرو بن حزم ، وكان والياً على حَضْرَمَوْتَ من قِبَلِ ابن الزبير أيضاً . ثم إنه عاد إلى ابن الازرق وأكثَرَ من مدحه ، ويبدو انه بَقِيَ في ذلك الحين مدة طويلة في اليمن .

وبعد أن عاد أبو دهبلٍ من اليمن وَفَدَ على سليمان بن عبد الملك بمكّة ، سنة ٨١ هـ (٧٠٠ م) في الأغلب ، فلم يُحْسِنْ سليمانُ وِفادتَه وعاتبه في عداوته الماضية لبني أمية وانقطاعه إلى ابن الزبير . فاعتذر أبو دهبل عن ذلك كله ، فعفا عنه سليمان ولكنْ أقطعه أرضاً في اليمن إبعاداً له عن الشام والحجاز . ويبدو أن أبا دهبلٍ تُوُفّيَ في اليمن وشيكاً بُعيد سنة ٩٦ هـ (٧١٥ م) ، في أيام سليمان ابن عبد الملك .

٢ — أبو دَهْبَلٍ الجُمَحي أحد شعراءِ قريشٍ الخمسة المشهورين بدأ بقول الشعرَ منذ أواخر أيام الامامِ عليّ . وهو شاعرٌ حَسَنُ التشبيهِ عَذْبُ الشعرِ مُحْدَثُ الخصائص له تَصَرّفٌ في فنون الشعر من فخر ومدح وهجاء ورثاء وطَرْدٍ وغَزَل ، وشعره في الغزل أكثرُ وأجود .

٣ — المختار من شعره :

— قال أبو دَهْبَلٍ الجُمَحي يمدح الرسول (حماسة أبي تمّام ٢ : ٢٦١ — ٢٦٢) :

إنّ البيوتَ معادِنٌ : فنِجارُه ذَهَبٌ ، وكلّ بيوتِه ضَخْمُ [١].
عَقُمَ النساءُ فلم يَلِدْنَ شَبيهه ، ان النساء بمثله عُقْمُ ،
مُتَهَلّلٌ بِنَعَمْ ، بِلا مُتَباعِدٌ . سِيّانِ منه الوَفْرُ والعُدْمُ [٢] !
نَزْرُ الكلامِ من الحياءِ ، تَخالُه ضَمِناً وليس بجِسْمِه سُقْمُ [٣] .

---

١ النجار : الاصل . ضخم : عظيم ، شريف . البيوت : القبائل ، مجامع النسب .
٢ متهلل : مشرق الوجه ، مسرور . بنعم : إذا قال نعم . بلا متباعد : يبتعد عن قول « لا » . الوفر : الغنى . العدم : الفقر .
٣ ضمن : سقيم .

– وقال في مقتل الامام الحسين والتعريض ببني أمية :

تَبيتُ سُكارَى من أميّةَ نُوّماً ... وبالطّفِّ قَتْلَى ما يَنام حَميمُها [1] .

وما أفسدَ الإسْلامَ إلا عِصابةٌ ... تأمّرَ نُوكاها ودامَ نَعيمها [2]

فصارت قناةُ الدين في كفِّ ظالمٍ ... إذا اعوَجّ منها جانب لا يُقيمها [3] .

– وله في الغزل (حماسة أبي تمام ٢ : ١٠٧–١٠٨ ، غ ٧ : ١٤٣) :

أأترُكُ ليلى ليس بيني وبينَها ... سوى ليلةٍ ، إنّي إذاً لَصَبور [4] .

هَبوني امْرَأً منكم أضَلَّ بعيرَهُ ... لـه حُرْمَةٌ ، ان الذِمامَ كبير [5] .

ولَلصّاحبُ المَتْروكُ أعظمُ حُرْمةً ... على صاحبٍ من أن يَضِلَّ بَعير .

عفا الله عن ليلى الغَداةَ فإنّها ... إذا وَلِيَتْ حُكْماً عليّ تَجور .

– وقال في عَمْرة (من قصيدة طويلة) :

تطاولَ هذا الليلُ ما يَتَبلّجُ ، ... وأعْيَتْ غَواشي عَبْرتي ما تَفرّجُ [6] .

وبِتّ كئيباً مـا أنام كأنّما ... خِلالَ ضُلوعي جمرةٌ تَتَوَهّج .

فطَوْراً أُمَنّي النفسَ من عمرةَ المُنى ، ... وطوراً ، إذاما لَجّ بي الحُزْنُ ، أنْشِج [7]

لقد قطع الواشون ما كـان بينَنا ، ... ونحن إلى أن يُوصَلَ الحبلُ أحوَج .

٤ – ** الاغاني ٧ : ١١٣ – ١٤٥ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٨٠ ؛ زيدان ١ : ٣٢٨ – ٣٢٩ .

F. Krenkow, JRAS, 1910, pp. 1017 — 1075; Enc. Isl. (new ed.) I 113 .

---

١ سكارى : فاعل « تبيت » . نوماً (حـال من « تبيت ») : نائمين ، غافلين عن أمر الأمة . الطف : موضع قرب الكوفة كان فيه مقتل الحسين . حميمها : صديقها ، محبها .

٢ تأمر (نصب نفسه أميراً) نوكاها (الحمقى من أفرادها) .

٣ أأترك (زيارة ليل) ... سوى (مسير) ليلة .

٤ أضل : أضاع . حرمة : حق في الحماية . الذمام : حق الصداقة والصحبة .

٥ مـا يتبلج : مـا يبيض فجره ، مـا ينقضي هـذا الليل . غواشي عبرتي : دموعي الـتي تنهمر بكثرة . أعيت : أعيـاني (استحال علي) أن أمنع هطولهـا . مـا تفرج : لا تهدأ ، لا ينتهي بكاي .

٦ امني النفس : أعللها ، أعدها . النفس هنا مفعول به أول ، المنى مفعول به ثان .

٧ نشج : رفع صوتهبالبكاء .

عَدِيُّ بن الرِّقاع العامليّ

١ – هو أبو دُواد عَدِيّ بنُ زيدِ بنِ مالكِ بن عدِيّ بن الرِقاعِ من بني مُعاويةَ بن الحارث من بني الحارث بن مُرّةَ بن أُدَدَ . وقومه يَنْتَسِبون إلى عاملةَ بنت وَديعة القُضاعية أمّ مُعاوية بن الحارث . وكان عدِي أبرصَ .

كان عدِيّ بنُ الرِقاع العامليّ من أهلِ دِمَشْقَ مُنْقَطِعاً إلى بني أميّة ثم إلى الوليد بن عبد الملك خاصّة . وفي مجلس الوليد تَعَرّض عديّ لهجاء جَريرٍ فأفحمه جريرٌ (غ ٩ : ٣٠٧ – ٣٠٨) ، مَعَ أن عديّاً كان مشهوراً بالهجاء (راجع الكامل ١٤٩) . غير أنّ الوليدَ هدّد جريراً إنْ هو عاد إلى هجاء عديّ ، فعرّض جريرٌ بعَدِيّ في عدد من قصائده ، ولكن لم يَتَهَجّهُ صَراحةً . وعاش عديّ بن الرقّاع العامليّ حتّى أدرك خِلافةَ سليمانَ بنِ عبد الملك (٩٦ هـ = ٧١٥ م) .

٢ – كان عديّ بنُ الرِقاعِ العامليّ « شاعراً مُقَدّماً عند بني أميّةَ مدّاحاً لهم .... وهو من حاضرة الشعراء لا من بادِيَتِهِمْ » (غ ٩ : ٣٠٧) ، وكان يُعْنَى بتنقيحِ شعره ؛ ثم هو حَسَنُ التشبيه جيّد القول في الوصف[1] وفي الغزل مَعَ شيء من المُجون[2] . وكان يُحْسِنُ المديح والهجاء ، وله طَرْدٌ جيّد منه وصف بارع للحمامة (الكامل ٥٠٤) . وكذلك له شيء من الفخر والخمر والحكمة . على أن كُثَيّرَ بنَ عبدِ الرحمنِ العُذْرِيّ كان يقول في شعر عديّ ابن الرِقاع (غ ٩ : ٣١٦ س) : « هذا شِعْرٌ حِجازيّ مَقْرورٌ إذا أصابه قُرّ[3] الشامِ جَمَد وهَلَك » .

٣ – المختار من شعره :

– قال عديّ بن الرقاع قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك ويتغزّل فيها ويفتخر . وفي هذه القصيدة إشارة إلى أنه كان ينقّح شعره :

---

١ راجع الكامل ٥١٤ ؛ الموشح ٨٧ .
٢ راجع كتاب الصناعتين ٣٢٧ = ٣٣٧ .
٣ القر : البرد .

إني إذا ما لم تَصِلْني خُلّتي وتباعدت عني اغتفرت بُعادَها[1].
وإذا القرينة لم تزل في نَجْدَةٍ من ضِغْنِها سئم القرينُ قيادها[2].
إمّا تَرَيْ شيبي تَفَشّغَ لِمّتي حتى علا وَضَحٌ يلوح سوادها[3]،
فلقد ثنيت يد الفتاة وِسادةً لي جاعلاً يُسرى يديّ وسادها .
وأصاحب الجيش العرمرم فارساً في الخيل أشهد كَرّها وطِرادها.
وقصيدةٍ قد بِتّ أجمع بينها حتى أُقوِّم مَيْلها وسِنادها[4]،
نظرَ المُثقِّفِ في كعوب قناته حتى يقيم ثِقافُه مِنآدها[5].
فسترت عيب معيشتي بتكرّم، وأتيت في سَعة النعيم سِدادها[6].
وعلمت، حتى ما أسائل واحداً عن علم واحدة لكي أزدادها!
صلى الآله على امرئ ودّعته وأتمّ نعمته عليه فزادها .
وإذا الربيع تتابعت أنواؤُه فسقى خُناصرة الأحصِّ فجادها[7].
نزل الوليد بها فكان لأهلها غيثا أغاث أنيسَها وبلادها[8] .
ولقد أراد الله إذ ولاّكها، من أمّةٍ، إصلاحها ورشادها .
وعَمَرْتَ أرضَ المسلمين فأقبلت، ونفيت عنها من يريد فسادها!

– وقال عديّ بن الرِقاع في الخمر (العقد الفريد ٤ : ١٠٤) :

---

١ الخلة : الصاحبة ، الخليلة .
٢ – إذا كانت زوجة المرء في نجدة (ضيق صدر وشدة) من ضغنها (من الحقد) كره زوجها قيادها (قيدها : ارتباطه بها) .
٣ فشغ : كثر . اللمة : الشعر في مقدم الرأس . وضح : بياض (الشيب) . لأح يلوح : لوح يلوح : غير ، بدل .
٤ الميل : الاعوجاج والاضطراب . والسناد من عيوب الشعر ، وهو أن يأتي في القافية كلمات مثل ريف (بكسر الراء) وصيف (بفتح الصاد) .
٥ ثقف القناة : جعل القصبة (التي ستكون رمحاً) فوق النار حتى يقومها إذا كانت منآدة (معوجة) .
٦ السداد (بكسر السين) : الكفاية من الرزق . – اكتفيت من النعيم بما يسد الخلة (بكسر الخاء) : الفقر ، فظهرت للناس كأني منعم .
٧ خناصرة الاحص : موضع قرب حلب . جادها : كثر فيها (المطر) .
٨ الانيس : المكان المسكون (المدن) . البلاد : الريف أو البادية .

كُمَيْتٌ إذا شُجّتْ،وفي الكأسِوردةٌ، لها في عِظامِ الشاربين دَبيبُ[1] .
تُريكَ القَذى من دُونِها،وهْيَ دونَه، لوجهِ أخيها في الإناء قُطوب[2] !

– وقال عديّ بن الرقاع ، وذَكَرَ حمامةً (الكامل ٥٠٤) :

ومِمّا شجاني أنني كنت نائماً – أُعَلَّلُ من بَرْدِ الكَرى بالتنَسّمِ –[3]
إلى أن بَكَتْ ورقاءُ في غُصنِ أيْكَةٍ تَرَدّدَ مَبْكاها بحُسْنِ الترَنّمِ[4] .
فلَوْ قبلَ مبكاها بَكَيْتُ صَبابَةً بسُعْدى شَفَيْتُ النفسَ قبلَ التنَدّمِ[5] ،
ولكن بكتْ قَبْلي فهاجَ لي البكا بكاها ، فقُلْتُ : الفضلُ للمُتَقَدّمِ[6] !

٤ – ** الاغاني ٩ : ٣٠٥ – ٣١٧ ؛ الطرائف الأدبية (عبد العزيز الميمني) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ؛ محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق ٣ : ٢٧٣ – ٢٩٤ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٦ ،
Enc . Isl . (new ed .) I 196 .

---

١ كميت : مائلة إلى الاحمرار . شجت : مزجت بالماء . دبيب (كناية عن الخدر : فقدان الحس الذي يشعر به شارب الخمر تدريجاً) .

٢ تريك القذى الخ ... : انها لشدة صفائها ينعكس فيها القذى فتراه كأنه دونها (قبلها : بينك وبينها) ، مع أنها هي دونه (بعدها : هي بينك وبينه) (؟) . لوجه أخيها في الاناء قطوب : إنها شديدة حتى أن أخاها (المدمن لها) يظهر على وجهه القطوب (تقلص عضلات الوجه لطعمها المز الحريف – فما بالك بالذي لم يتعود شرب الخمر) .

٣ شجاني : حزنني (بفتح الحاء والزاي : جعلني أحزن) . أعلل الخ ... : يبدو أن الزمن كان في منتصف الصيف ، فكان يعلل نفسه (يمنيها ، يعدها) بأن يبرد الجو وشيكاً لينام ، ولكنه لم يكن يفوز من ذلك إلا بالنسمة الخفيفة بعد النسمة الخفيفة .

٤ الورقاء : الحمامة . الايكة : نوع من الشجر . بحسن الترنم – الترنم : ترجيع (ترديد ، تكرار) الصوت الواحد (وهذا التردد يكون عادة مملا) ولكن صوت هذه الحمامة كان شجياً (حزيناً) يؤثر في النفس فلا يضره التكرار .

٥ – (لم أكن أعرف من قبل ان البكاء يفرج الحزن عن المحب الذي هجره حبيبه) ، فلو أنني كنت أبكي كلما كنت أشعر بشوق إلى سعدى لكنت أشفي نفسي بالبكاء . أما الآن (بعد أن عرفت ذلك من هذه الحمامة) فانني نادم على أنني لم أعرف ذلك من قبل .

٦ هاج : هيج ، أثار ، حرك . البكا (مفعول به مقدما) . بكاها (فاعل « هاج ») .

العجّاج

١ — هو أبو الشَّعثاءِ العَجّاجُ عبدُ اللهِ الطويلُ بنُ رُؤبةَ من بني مالكِ ابنِ سعدِ بنِ زيدِ مَناةَ بنِ تميمٍ. والشعثاءُ ابنتُهُ يُكنى بها.

وُلِدَ العجّاجُ في البصرة في أوائلِ خلافةِ عُثمانَ (٢٣ — ٣٥ هـ) ونشأ فيها؛ وفي البصرة لَقِيَ العجّاجُ أبا هُرَيْرَةَ وسَمِعَ منه الحديثَ. وقد مَدَحَ العجّاجُ نَفَراً من بني أميةَ كعبدِ العزيز بن مَروانَ وعبدِ الملك، ومدح الحجّاجَ أيضاً.

وكانت وفاةُ العجّاجِ نحوَ سنَةِ ٩٧ هـ (٧١٥ م) بعد أن فُلِجَ وأُقْعِدَ. وكان للعجّاجِ، سوى ابْنَتِهِ الشعثاءِ، ولَدانِ ذَكَرانِ: رُؤبَةُ الراجزُ المشهورُ والقَطامِيّ.

٢ — العَجّاجُ راجزٌ كثيرُ الغريبِ متينُ السبكِ مُطيل غيرُ مُكثِرٍ. وهو صحيحُ القوافي فقد قال أرْجوزتَهُ «قَدْ جَبَرَ الدينَ الآلهُ فجَبَرْ» مائةً وثمانينَ شَطْراً مَوْقوفةَ القوافي (ساكنةً)[1]، ولو أُطْلِقَتْ قوافيها (لو أظْهِرَتْ عليها الحركةُ) لكانتْ كلُها منصوبةً (غ ١٨ : ١٢٤). والعجّاجُ من الذين يتَخَيَّرونَ شِعْرَهم ولا يَقْبَلون كلَّ ما يَجْري على لِسانِهِمْ، وقد عَدَّهُ الجاحظُ أرجزَ الناسِ (البيان والتبيين ١ : ٣٥٦)، وبالغَ المُرْتضى الزَّبيدي فجَعَلَهُ أشْعَرَ الناسِ (تاج العروس ٢ : ٧١).

والعجّاجُ بارعٌ في وصفِ الصحراء وما فيها من حَيَوانٍ، وفي وصفِ الإبِلِ خاصّةً؛ وعلماءُ اللغة كثيرو الاستشهاد بشعرهِ؛ ثمّ هو مُجيدٌ للمديح والفَخْر — وقد كانت بينه وبينَ أبي النّجم العِجْليّ الراجزِ مُفاخراتٌ كثيرة — غير مجيدٍ للهجاء؛ ولا رثاءَ له. وفي أشعاره نَفْحةٌ دينيةٌ وكثيرٌ من ألفاظ الاسلام.

---

١ كان فيها مائة وثمانون قافية. وهذه الارجوزة تدعى الغراء.

٣ – المختار من رجزه :

– قال العجّاج أرجوزةً يَشيعُ فيها نَفَسٌ دينيّ ، منها :

الحَمْدُ لله الذي اسْتَقَلَّتِ ... بإذْنِهِ السماءُ ، واطْمَأنّتِ
بأذنه الأرضُ وما تَعتَّتِ ، ... وَحَى لها القرارَ فاستقرّت[١] .
وشَدّها بالراسياتِ الثُبَّتِ ... ربُّ البلادِ والعبادِ القُنَّتِ[٢] ،
والجاعلُ الغَيْثَ غياثَ المُسنت ، ... والجامعُ الناسَ ليوم الموْقِتِ[٣]
بعدَ المماتِ ، وهو مُحْيي المُوّتِ ؛ ... يوم ترى النفوس ما أعدّت[٤] ....

– وله في الغزل وفي حال الرجل الكبير مَعَ النساء :

إنّ الغواني قد غَنِينَ عنّي ، ... وقُلْنَ لي : عليكَ بالتغنّي[٥]
عنّا . فقلت للغواني : إنّي ... على الغنى وأنا كالمِظَنّ[٦] .
لمّا لَبِسْنَ الحقّ بالتجنّي ... غَنِينَ واسْتَبْدَلْنَ زيداً مني[٧] :

---

١ وحى : أوحى ، ألهم . وحى اليها القرار : أشار إلى الأرض بأن تقر (تهدأ وتستقر فلا تضطرب) .

٢ الراسيات : الجبال . الثبت : جمع ثابت . شدها بالراسيات الثبت : جعل فيها جبالا رواسي حتى لا تميد ويختل توازنها – راجع القرآن الكريم ، في سورة النحل : « وألقى في الارض رواسي أن تميد بكم (١٦ : ١٥) ثم في سورة لقمان (٣١ : ١٠) وسورة الأنبياء (٢١ : ٣١) . القنت جمع قانت : الحسن العبادة .

٣ الغيث : المطر . غياث : معونة ، انقاذ (أغاثه : نجاه من الكرب والضيق) . المسنت : المجدب ، الذي أمحلت أرضه فلم تنبت شيئاً . الجامع الناس : باعث الناس من القبور وجامعهم في مكان واحد يوم الموقت (يوم القيامة) .

٤ الموت (غير موجودة في القاموس) جمع ميت (بسكون الياء) : ضد الحي . يوم ترى النفس في الآخرة (يوم القيامة) ما (كانت قد) أعدت (من الأعمال الصالحة في الحياه الدنيا) لهذا اليوم .
– هذا المعنى كثير الورود في القرآن الكريم ، راجع مثلا سورة آل عمران (بكسر العين) : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً (بضم الميم وفتح الضاد) ؛ وما عملت من سوء (محضراً أيضاً ، وعندئذ) تود (بفتح الواو) لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » (٣ : ٢٩) .

٥ الغانية : المرأة الجميلة المستغنية بجمالها (وشبابها) عن التجمل بالحلي . غني وتغنى : استغنى عن الشيء .

٦ الغنى : التزويج . المظن : الذي يكون موضعاً للتهمة أو اهلا للشيء (أريد الزواج ، ولعلي أصلح) .

٧ لبسن الحق بالتجني : خلطن الحق بالباطل . التجني : تهمة المرء بما هو براء منه (كان في رفضهن الزواج بي شيء من الحق لتقدمي في السن وشيء من الظلم والباطل لأنني لا أزال على شيء كبير من النشاط) .

غُرانِقاً ذا بَشَرٍ مكتنّ   يَرْضى ويُرضيهن بالتمنّي [1] —
إذ شاب رأسي ، ورأين أني   حنَى قَناتي الكِبَرُ المُحَنّي [2] ...

— ثار أبو فُديكٍ عبدُ الله بن ثورِ بن سَلَمَةَ أحدُ بني سعدِ بنِ قيسٍ من بني بكر بن وائلٍ في أتباعه من الحَرورية (الخوارج) في البحرين (شرقي بلاد العرب) ، فأرسل اليه عبدُ الملك بن مروان ، سنة ٧٢ ﻫ ، أميةَ بنَ عبدِ الله ابنِ خالدٍ ، فهزم أبو فُديكٍ أميّةَ وأخذ أمواله وأحماله وحَرَمَهُ (نساءه) أيضاً . ثم ان عبدَ الملك أرسل إلى أبي فديكٍ جيشاً بقيادة عُمَرَ بنِ عُبيدِ الله بن مَعْمَرٍ فقاتل أبا فديك في البحرين فتغلّب عليه وقتله وقتل من كان معه من أتباعه ، سنة ٧٤ ﻫ (٦٩٤ م) ، واستنقذَ حَرَمَ أميّةَ بن عبد الله [3] . فقال العجّاجُ أرجوزةً يمدحُ بها عُمَرَ بنَ عبيدِ الله ويهجو فيها بكر بن وائل من بني ربيعة ، ثم خرج مُتَحَفِّلاً (متزيناً) عليه ثيابٌ حسانٌ يركبُ ناقة كَوْماء (سمينة عظيمة السنام) حتّى وقف بالمِرْبَد في البصرة فأنشدهم تلك الأرجوزة ، وكانت تسمّى « الغَرّاء » . تبلغ هذه الارجوزة مائةً وثمانين شطراً (تسعين بيتاً مزدوجاً) قافيتُها موقوفةٌ (ساكنة) ، ولو حُرّكت لكانت كلّها مفتوحةً ، وفي ذلك براعةٌ ومقدرة لا تَخْفَيان . على أن في هذه القافية عَيْباً هو أنها تجمع قوافِيَ ثقيلةً مشدّدة (نحو : برّ ، فرّ) وقوافيَ خفيفةُ مهملة (نحو : شَكَرْ ، شجر ، غفر) . من هذه الأرجوزة :

قد جَبَرَ الدينَ الآلهُ فجَبَرْ   وعوّرَ الرحمنُ مَنْ ولّى العَوَرْ [5] .

---

١ الغرانق (بضم الغين) : الشاب التام الشباب . البشر : ظاهر جلد الإنسان . المكتن : المكنون ، المستور (الذي لم يعرض جسمه للعمل المجهد فاحتفظ بنشاطه الجسماني) . التمني : الكذب (يبالغن في ادعاء الحب له فيخدع نفسه بذلك ويرضاه منهن ، ويبالغ هو في وصف شبابه وغناه فيخدعن أنفسهن بذلك ويرضينه منه) .

٢ القناة : القصبة والرمح . حنى قناتي (قامتي) الكبر (التقدم في السن) المحني (الذي من عادته أن يحني قامة كل من يتقدم في السن) .

٣ الطبري ٧ : ١٩٤ — ١٩٥ ثم ٢٠٥ — ٢٠٦ . كانت وفاة عمر بن عبيدة الله بن معمر سنة ٨٢ ﻫ (٧٠١م).

٤ الشعر والشعراء ٣٨٢ ؛ غ ١٠ : ١٥٢ .

٥ جبر الطبيب الكسر (بفتح الجيم) : أصلحه ، رده إلى أصله . جبر الكسر (بضم الراء) : صلح ، عاد إلى أصله . عور الغنم : عرضها للضياع . وعور (هنا) : أهلك ، أباد . من ولى العور : (من عمل على أن تفسد الأمور ويعم الاضطراب) .

فالحمدُ للهِ الذي أعطى الحبَرَ مَواليَ الحقِّ ، أنِ المَوْلى شكر [1] :

عهدَ نبيٍّ مـا عفـا وما دثر وعهدَ صِدّيقٍ رأى بِرّاً فبرّ [2] ،

وعهدَ عُثمانَ وعهداً من عُمـرْ وعهدَ إخوانٍ هُم كانوا الوزَر [3] ،

وعُصبةَ النبيِّ إذ خافوا الحَصَر شدّوا له سُلطانَه حتّى اقتَسَر [4]

بالقتلِ أقواماً وأقوامـاً أسَر ، تحتَ الذي اختارَ له اللهُ الشّجَر [5]

---

١ أعطى الحبر (السرور) لموالي الحق : رد الحق إلى أصحابه (إلى الدولة الأموية باهلاك الخوارج) . أن (بفتح الهمزة ، أو إذ) المولى (الله) — . شكر الله الانسان (بنصب الانسان على أنه مفعول به) : جازاه (القاموس ٢ : ٦٣) عن (الفعل الجميل والطاعة) .

٢ عهد نبي : وصية رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم (بمحاربة أصحاب الضلال) . عفا امحى : نسي (بالبناء للمجهول) . دثر : زال أثره . الصديق : أبو بكر خليفة رسول الله وأول الخلفاء الراشدين . رأى (وجد) براً (سبيلا إلى الطاعة بتنفيذ عهد رسول الله — في قتال المرتدين !) فبر (أطاع ، سار على خطى الرسول) .

٣ إخوان : أصحاب ، أنصار (سائر الصحابة) كانوا الوزر (الملجأ ، الذي حمى الدين ودافع عنه المنافقين والذين أرادوه بسوء) .

٤ العصبة : الجماعة . عصبة النبي : الذين كانوا حوله ينصرونه ويدافعون عنه ويحاربون معه ، من أهل مكة . راجع قول كعب بن زهير (فوق ، ص ٢٨٥) :

في عصبة من قريش قال قائلهم ببطن مكة ، لما أسلموا : زولوا !

إذ خافوا الحصر : خافوا أن يمنعوا (بالبناء للمجهول) من دخول مكة ؛ إشارة إلى ما حدث في غزوة الحديبية (بضم الحاء ثم بكسر الباء وفتح الياء الثانية مهملة بلا تشديد) : في آخر سنة ٦ هـ (٦٢٨ م) خرج الرسول من المدينة يريد الحج ، فجمع مشركو مكة عدداً كبيراً من المقاتلين وعزموا على منعه من دخول مكة بكل سبيل ولقوه قبل أن يبتعد كثيراً عن مكة عند بئر اسمها الحديبية . فآثر الرسول أن يعقد مع المشركين هدنة ويعود إلى المدينة . شدوا له سلطانه : نصروه ، ساعدوه على تثبيت سلطانه (حكمه) أو أيدوا ، ثبتوا سلطانه بمعنى حجته (راجع القاموس ٢ : ٣٦٥ س) لأنه على الحق. اقتسر : غلب ، قهر .

٥ — (تغلب عليهم) فقتل أقواماً منهم (من المشركين المعاندين أعداء الاسلام) وأسر أقواماً آخرين ، (ثم من عليهم فأطلق سراحهم لما أسلموا أو لما قدموا للمسلمين فدية أو فائدة (بتعليم صبيان المسلمين القراءة والكتابة بعد معركة بدر ، سنة ٢ هـ ، مثلا) . تحت : (بقيادة) . الذي اختار له الله الشجر (أيده الله بالذين بايعوه تحت الشجرة في غزوة الحديبية) على أن يحاربوا معه المشركين وعلى ألا يفروا من القتال (راجع سورة الفتح ، السورة ٤٨ في المصحف ، في تفسير الآية ١٨) : « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً » وما يليها .

مُحمّداً ، واختاره الله الخيَـر ، فما وَنى محمّدٌ مُذْ أنْ غَفَـر [1]
له الآلـهُ مـا مضى وما غَبر أن أظهرَ الدينَ به حتّى ظهر [2] .
هذا أوانُ الجِدّ إن جَدّ عمر وصَرّح ابنُ معمرٍ لِمَنْ ذَمَر [3] .
قد كنتَ من قومٍ إذا أُغْشوا العَسَر تَعَسّروا أن يَفْرِجَ اللهُ الضَرَر [4] .
وزادَهُمْ فَضلاً ، فمَنْ شاء انتحر ، عَطِيّةَ اللهِ الإلافَ والسُّوَر [5] .
بكلّ أخلاقِ الشُجاعِ قد مهر مُعاوِدَ الإقدامِ قدْ كَرّ وفرّ [6] .
في الغَمَراتِ بعدَ مَنْ كَرّ وفَرّ ثَبْتٌ إذا ما صِيح في الناس وَقَر [7] ،

---

١ محمداً (بفتحتين في الأصل المطبوع ، ولعلهـا بكسرتين لأنهـا بدل من « الذي » في السطر السابق) . اختاره الله (من) الخير (جمع خيرة بكسر الخاء) أي الاخيار وخيار الخلق وأفاضلهم . (راجع القرآن الكريم في سورة الأعراف السابعة في المصحف ، الآية ١٥٤ أو ١٥٥ : « واختار موسى قومه سبعين رجلا » ، أي اختار من قومه سبعين رجلا) . ونى : فتر ، ضعف ، تعب .

٢ – غفر الله له (لمحمد رسول الله) ما مضى وما غبر : غفر الله له الذي مضى وغبر (تقدم من ذنوبه وبقي ، تأخر) .
– لقد أكرم الله رسوله محمداً بأن غفر له جميع ذنوبه لأن الله أظهر (أعلن ونشر) الدين (الاسلام) على يدي محمد حتى ظهر (انتصر ثم انتشر وساد في الدنيا) . في هذا البيت إشارة إلى أول سورة الفتح ، السورة الثامنة والاربعين في المصحف : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ... » .

٣ – الآن يجب الجد (العزم) في حرب أبي فديك الخارجي . ان جد عمر (إذا كان في عمر بن عبيد الله بن معمر جد) . لعل الاصوب : إذ جد عمر (لما جد عمر بمحاربة أبي فديك) . صرح : أعلن ، كشف (للناس) حقيقة الأمر (أمر أبي فديك) لمن ذمر (للذين حضهم على القتال) .

٤ – أنت من قوم إذا أغشوا العسر (إذا نزل بهم الضيق وعمهم) تعسروه (اشتدوا فيه ولم يذلوا لأحـد وحاولوا كشفه) أو (إلى أن) يفرج الله الضرر (الضيق) ويكشفه عنهم . في الأصل ، أن يفرج .

٥ وزادهم فضلا : زاد الله قوم عمر بن معمر فضلا فوق هذا الفضل أيضاً . فمن شاء انتحر : إذا غيظ أحد من أعدائهم لأنه لم يستطع أن يبلغ إلى مـا بلغوا اليه فليقتل نفسه إذا شاء ! عطية الله : أعطاهم الله الإلاف (الوعد والعهد بنصرهم وبحمايتهم – راجع سورة قريش ، وهي السورة ١٠٦ في المصحف : « لايلاف قريش .... وآمنهم من خوف ») . السور جمع سورة (بضم السين) : المنزلة (القـاموس ٢ : ٥٣ ، السطر ١٢) ، المكانة الرفيعة . وفي الشرح : السور سور القرآن (؟) .

٦ – قد برع في جميع الاعمال التي تنسب إلى الشجاع : الجرأة والكيد والصبر الخ ... وقـد تعود الهجمات في الحروب مرة بعد مرة ..... الكر : الهجوم ..... الفر : رجوع (المحارب) من ميدان المعركة أو المبارزة من غير أن يستطيع خصمه أن يلحق به .

٧ الغمرة : الأمر الشديد الذي يغمر النـاس (يحيط بهم من كل جـانب) . الكر : الهجوم . الفر (هنا) : الفرار . ثبت : ثابت ، إذا مـا صيح في النـاس (الفرار ! الفرار ! لهول المعركة) قر هو (بقي ثابتاً في مكانه) .

واحتضرَ البأسَ إذا البأسُ حَضَــر – بمُجْمَعِ الروحِ إذاالحامي انْبَهَر [1]
يُمَكّنُ السيفَ إذا الرّمحُ انـْأطَر في هامةِ اللّيْثِ إذا ما الليثُ هَرّ [2] .
لا قَدْحَ إن لم تُورِ ناراً بهَجَـر ذاتَ سَناً يُوقِدُها إذا افْتَخَــر [3]
مَنْ شاهدَ الأمصارَ مِنْ حَيِّ مُضَر [4] .
يا عُمَرُ بنُ مَعْمَرٍ ، لا مُنْتَظَر بعدَ الذي عدا القَروصَ فحَزَر [5]
واشْتَغروا في دينهم حتّى اشْتَغَـر من أمرِ قومٍ خالفوا هذا البَشَر [6] .
فاعْلَمْ بأنّ ذا الجلالِ قدْ قَدَر ، في الصُحُفِ الاولى التي كان سَطَر [7] ،
أمْرَكَ هذا فاحْتَفِظْ فيه النّتَــر وفَتْرَةَ الأمرِ ؛ ومُودٍ من فتر !

١ .... واحتضر (شهد) البأس (القتال الشديد) إذا البأس (الحرب) حضر (اشتد) بمجمع الروح (بنفس مجتمعة ، لا يهرب ولا يجبن) إذا الحامي (البطل الذي يعتمد الناس عليه في الدفاع عنهم) انبهر (انقطع نفسه وأخذه الربو : ضيق التنفس ، من الخوف) .

٢ – إذا انأطر (انثنى ، اعوج ، انكسر) الرمح يمكن السيف (يستخدم السيف ويضرب به ضرباً ثابتاً شديداً) في هامة الليث (الأسد : المقاتل البطل القوي الشجاع) . هر : كشر عن انيابه واستكلب على خصمه واشتد الخطر منه .

٣ – إذا لم تور (تشعل) ناراً (عظيمة) في هجر : إذا لم تشن معركة شديدة على أبي فديك تبيده بها وتبيد أتباعه فكأنك لم تشعل ناراً (كأنك لم تحارب قط) . ذات سنا : ذات ضوء عظيم (فتكون معركةعظيمة مشهورة) . يوقدها من افتخر ....

٤ .... من شاهد الامصار : إذا كان أحد في الامصار (جمع مصر : البلد الكبير ، المدينة) ثم أراد أن يفتخر ، فانه يفتخر بهذه المعركة . من حي مضر (إذا جاء إلى مكان يسكنه قوم من مضر – لأن أتباع أبي فديك الخارجي الذين انهزموا كانوا من بني ربيعة – مضر) . لا منتظر : لا سبيل إلى التريث والانتظار (والحلم) ....

٥ .... بعد أن جاوز هؤلاء الخوارج الحد ومرقوا من الدين (كفروا لما اعتقدوا رأي الخوارج) ، وخالفوا البشر (الكثرة من المسلمين ، جماعة المسلمين) . القارص : اللبن الذي يحذي (يقرص) اللسان بالحامض القليل الذي يبدأ فيه . حزر اللبن : اشتدت حموضته . جاوز اللبن القروص فحزر : مثل يضرب للرجل إذا أفرط في أقواله أو أعماله وجهل قدره والحد الذي يجب أن يقف عنده. – لا بد الآن من الاسراع في قتال الخوارج لأنهم مرقوا من الدين .

٦ واشتغروا (اختلفت آراؤهم) في الدين حتى اشتغر (الدين وكثر اختلاف رأي الناس فيه) . ذو الجلال : الله . قدر : قدر ، كتب ، أراد في سابق علمه . الصحف الأولى : الكتب المنزلة على الأنبياء قبل محمد رسول الله، والصحف التي انزلت على ابراهيم وموسى . التي كان(الله)سطر : (منذ أن كانت مكتوبة في اللوح المحفوظ قبل أن يوحي الله بها إلى الأنبياء الأولين) ....

٧ .... (قد قدر الله) أمرك هذا (قيادتك لهذه المعركة) فاحتفظ (احترس) من النتر (العجلة) : احذر (تجنب أن) يخرج منك أمر عن غير روية وتفكير ، أو أن يأخذك خصمك على حين غفلة .
واحذر أيضاً فترة الأمر (الكسل وهمود النشاط والتوقف عن متابعة القتال) . مود : هالك ، يهلك .

فأيْنما جَرَيْتَ أُعْطِيتَ الظَّفَــر شهادةً فيها طَهورُ مَنْ طَهَر ،
أو وقعةً تجلو عن الدين القَذر ، أو شَرفاً يتِمّ نوراً قـد زَهَر
كما يتِمّ ليـلةَ البَدْرِ القمـر . لقد سما ابنُ مَعْمَرٍ حتّى اعتمـر
مغزىً بعيداً من بعيدٍ وضَبَرْ !

٤ — القصيدة الاولى من ديوان العجّاج :

Das erste Gedicht aus dem Dîwân al-Aǵǵâǵ (herausgegeben von Dr. Maximilian Bittner), Wien (Alfred Hölder) 1896 .

** ديوان العجاج — في

Sammlungen alter arabischen Dichter (Ahlwardt) II, Berlin 1903 .

الاغاني ١٨ : ١٢٤ — ١٢٥ ؛ ام الرجز بقلم محمد بهجة الاثري (م م ع ع المجلد ٨ ، عام ١٩٢٨ ، ص ٣٨٩ — ٣٩٤) ؛ بروكلمان ١ : ٥٦ — ٥٧ ، الملحق ١ : ٩٠ ؛ زيدان ١ : ٣٤٨ .

العُديل بن الفَرخ العِجليّ

١ — هو العُديلُ بنُ الفَرْخِ بنِ مَعْنٍ بن الأسودِ بن عمرِو بن عَوْفِ ابنِ ربيعةَ بن جابرِ بن ثعلبةَ من بني ربيعةَ بن عجلِ بن لُجيمٍ من بكر بن

١ — جعلك الله مظفراً أينما جريت (سابقت ، نافست ، حاربت) ، وذلك بأن تسقط شهيداً في القتال فيكون ذلك لك طهور (نقاء وغفران) لذنوبك.—وإما أن تظفر في وقعة (معركة) تجلو (تزيل) عن الدين القذر (الرجز ، الرجس، النجاسة) : تخلص الاسلام من بدعة الخوارج؛ أو تصبح لك مكانة وشهرة (تامة : واسعة ، عظيمة) كأنها نورقد زهر (عظم ضوءه ولمعانه) .

٢ — كما يكون نور القمر ليلة البدر (في الليلة الرابعة عشرة من الشهر القمري (تاماً كاملا .. وقد سمت همة عمر بن عبيد الله بن معمر حتى اعتمر (قصد) ......

٣ ... مغزى : بلداً يغزو (يحارب) فيه . بعيد من بعيد : قصد مكاناً بعيداً (هجر ، البحرين ، في شرقي بلاد العرب) من مكان بعيد عنه (من الشام) . ضبر : جمع جمعاً كثيفاً ؛ أحكم أمره (غزوت بعدد كبير ، وهـذا بنفسه أمر صعب ، ثم رتبت ذلك الغزو ترتيباً حكيماً صحيحـاً مأموناً يقود إلى النصر !) .

وائلِ بن قاسطٍ من بني أسدِ بنِ ربيعةَ بنِ نزارٍ ، وقد كانت أمّه من بني شيبان .

كان العُديلُ بن الفَرخِ فارساً جريئاً غدّاراً يشرب الخمر .

وكان العُديل بن الفرخ معروفاً بالشعر وبالغَزْو منذ أيام عبد الله بن الزبير [1] ثم برزت أعماله في أيام الحجّاج بن يوسف . وقد وقعت بين العديلِ وإخوته وبينَ ابْنِ عمٍ لهم يُدعى عمرَو (بنَ معنِ بنِ الاسودِ بنِ عمرٍو) عداوةٌ ونَشِبَ بينَهم قِتالٌ جُرِحَ العُديلُ في أثنائِه في رأسه فجاء إلى الشام فتداوى عند رَبْضةَ بنِ النُعمانِ الشَيْباني ؛ ويبدو أنّ العُديلَ قد مكث مدةً طويلةً في الشام حتى تمّ شِفاؤه .

ورَجَعَ العُديلُ من الشام قاصداً الحجّ فعَلِمَ ، في أثناء الطريق ، أن دابغاً (هو عبدٌ لعمرٍو ابن عمّ العديل ، وقد كان في القتال الذي جُرِحَ العديلُ في أثنائه) خرج للحجّ أيضاً وهو يأخذ طريق الشام . فجَدّ العُديلُ حتى أدرك دابغاً وسايَرَهُ مُدّة ثم غَدَرَ به وقتله . وبعث الحجاج رِجالاً للقبض على العُديل ، ففرّ العُديلُ إلى بلادِ الروم واستنجد بقَيْصَرَ [2] فأجارَهُ قيصرُ وأمّنه . عندئذٍ قال العُديلُ أبياتاً منها (في قِلّةِ المُبالاةِ بالحجّاج) :

أخَوّفُ بالحجّاج حتّى كأنّما ... يُحَرّكُ عَظْمٌ في الفُؤادِ مَهيضُ [3].
ودونَ يدِ الحجّاجِ من أن تَنالَني ... بِساطٌ لأيْدي الناعجاتِ عَريضُ [4] :
مَهامِهُ أشْباهٌ كأنّ سَرابَها ... مِلاءٌ بأيْدي الغاسلاتِ رَحيضُ [5] .

---

١ قتل عبد الله بن الزبير سنة ٧٣ هـ = ٦٩٢ م ، ودخل الحجاج العراق والياً سنة ٧٥ هـ .

٢ لعل ذلك كان في أيام طيباريوس الثالث الذي اغتصب عرش القسطنطينية عام ٦٩٨ م (٧٩ هـ) وبقي إلى عام ٧٠٥ م (٨٦ هـ) .

٣ – كانوا من قبل يخوفونني بالحجاج . وكنت إذا ذكر الحجاج أمامي أخاف وأتألم كأنما كان أحد يحرك في فؤادي (في جسمي).عظم مهيض (كسر بعد أن كان قد جبر مرة – ومس العظم المكسور يؤلم ألماً شديداً) .

٤ – والآن أصبح بيني وبين الحجاج بساط عريض (مسافة طويلة جداً) لا تقطعه الناعجات (جمع ناعجة : الناقة البيضاء السريعة) ... من أجل ذلك لن تنالني الآن (لن تصل إلي) يد الحجاج .

٥ هذا البساط الواسع يتألف من مهامه(جمع مهمه ومهمهة : فلاة أو صحراء بعيدة الاطراف وبلد مقفر) أشباه : يشبه بعضها بعضاً، ولذلك يضل السائر فيها ولا يهتدي . السراب : ما تراه نصف النهار كأنه=

ثمّ إنّ الحجّاجَ كتبَ بعد ذلك إلى قيْصرَ يطْلُبُ إليْه أن يرُدّ العُديلَ ، فردّ قيْصَرُ العُديلَ إلى الحجّاج . ولكنّ جماعةً من وجوه بني بكرِ بن وائلٍ جاءوا إلى الحجّاج ورجَوْهُ أن يعْفُوَ عنِ العُديلِ فعفا الحجّاج عنه .

وقد اتّصَلَ العُديلُ بيزيدَ بنِ المهلبِ ومدحه [1] ، كما كان في أواخر أيامه يُنادِمُ الفرَزْدَقَ . ثم مات العُديلُ بن الفرخ ، نحو سَنَةِ ١٠٠ هـ (٧١٨ م) في الاغلب ، فرثاه الفرزدق .

٢ – العُديلُ بنُ الفرْخِ العِجْليّ شاعرٌ إسلاميّ مُقِلّ في الدولة المرْوانية ، له قصيدٌ ورَجَزٌ . وهو مُطيلٌ للقصائد متين السبْك ذو نفَسٍ بَدْوِيّ ، ومعَ ذلك فإنّ بعض شعره فصيحٌ سهْلٌ عذْبٌ . وفنونُ شعره المدح والهجاء والغزل .

٣ – المختار من شعره :

– لما عاد العُديلُ من بلاد الروم وعفا عنه الحجّاجُ قال يمدح الحجاجَ (من قصيدة طويلة في الاغلب) :

فلو كنتُ في سَلْمى أجا وشِعابِها ... لكانَ لحجّاجٍ عليّ دليلُ [2] .
بنى قُبّةَ الإسلامِ حتّى كأنّما ... هَدى الناسَ من بعد الضّلالِ رسولُ .
إذا جارَ حُكْمُ الناسِ ألْجأ حُكمَه ... إلى الله قاضٍ بالكتاب عَقولُ [3] .

= ماء (القاموس ١ : ٨١ س) . – سراب بأيدي الغاسلات رحيض (مغسول ، نظيف ، أبيض) : ترى بقع السراب في هذه الصحارى المترامية الاطراف (التي هي الآن بيني وبين الحجاج) كأنهـا ملاء (قطع من النسيج بيضاً مغسولة) لا معالم فيها يهتدي بهـا السائر (تتقلب في أيدي الغـاسلات) لا تثبت على حال . حتّى لو أن السائر في تلك الصحارى استطاع أن يجد أثراً ثابتاً يجعله أمامه ليحافظ به على اتجاه واحد في سيره، فان هذا الاثر يغيب أو يتبدل مكانه بعد قليل ، حينما يتبدل موقع الشمس في السماء فيتبدل مكان السراب وشكله على الارض) .

[1] تولى يزيد بن المهلب على الكوفة من سنة ٩٦ إلى سنة ١٠٢ هـ (٧١٥ – ٧٢٠ م) . والملموح في الاغاني (الساسي ، ٢٠ : ١٣ ، السطران ١٣ و ٢١) أن العديل مدح يزيد بن المهلب في أثناء حياة الحجـاج (توفي ٩٥ هـ = ٧١٤ م) .

[2] أجأ وسلمى : جبلان في بلاد طيء يصعب الوصول اليهما . الشعاب : جمع شعب (بكسر الشين) : الطريق في الجبل .

[3] الكتاب : القرآن الكريم . عقول : عاقل ، عارف ، عالم . – إذا ضل الناس في الحكم أصاب هو (أي الحجاج) ووافق حكمه الحكم الوارد في القرآن . (على أن الجملة« ألجأ حكمه إلى الله قاض » غامضة التخريج في الاعراب وفي المعنى) .

خليلُ أميرِ المُؤمنين وسَيْفُه ؛ لكلٍّ إمامٍ صاحبٌ وخليل !

بـه نَصَرَ اللهُ الخليفـةَ منهم ، وثبّتَ مُلْكاً كاد عنه يزول [1] .

فأنت كسَيْفِ الله في الأرضِ خالدٍ تَصول بعَوْن الله حين تصول [2] .

وجازَيْتَ أصحابَ البَلاءِ بلاءَهم ، فما مِنْهُمُ عمّا تُحِبّ نَكول [3] .

وَصَلْتَ بمَرّان العراق فأصْبَحَتْ مَناكِبُها لِلْوَطْءِ وَهْيَ ذَلول [4] .

أذَقْتَ الحِمام ابْنَيْ عُبادٍ فأصبحوا بمنزلِ مَوْهونِ الجَناح ثَكول [5] .

ومِنْ قَطَرِيٍّ نِلْتَ ذاك ، وحَوْلَهُ كَتائِبُ مِنْ رَجّالَةٍ وخُيول [6] .

إذا ما أتَتْ بابَ ابنِ يوسفَ ناقتي أتَتْ خيرَ منزولٍ بـه ونَزيل [7] .

وما خِفْتُ شيئاً غير ربّيَ وحْدَهُ إذا ما انْتَحَيْتُ النفسَ كيف أقول [8] .

تَرَى الثَقَلَيْنِ الجِنّ والإنْسَ أصبحا على طاعة الحجاج حين يصول [9] .

---

١ نصر الله الخليفة (عبد الملك) به (بالحجاج) منهم (من الخصوم والطامحين إلى الخلافة) .... كاد عنه يزول (بالحروب التي شنها عليه الخصوم كعبد الله بن الزبير والمختار بن أبي عبيد الثقفي والخوارج) .

٢ خالد بن الوليد كان يسمى سيف الله لشجاعته وانتصاره على أعداء الاسلام . صال : سطا ، استطال (هاجم وتغلب) .

٣ جازيت : كافأت . أصحاب البلاء : الذين أبلوا في الحرب بلاء حسناً (قاتلوا بايمان ثم انتصروا) . بلاءهم : على قدر بلائهم (على قدر ما يستحقون) .

٤ – صدر البيت غامض . وصلت : اما أن تكون من وصل يصل أو من صال يصول . ومران (بفتح الميم وتشديد الراء) قرية قرب مكة ، و (بضم الميم وتشديد الراء) : الرماح . ويمكن أن يكون ثمت بيت محذوف أو أكثر من بيت . ولعل المعنى (وإلى تلك البلاد كالسند وما وراء النهر) وصلت بمران (بضم الميم) العراق ، أي بالجيوش المبعوثة من العراق ، فأصبحت أطراف تلك البلاد بلاد أمن يسهل التنقل فيها . ذلولة : خاضعة طائعة .

٥ الحمام : الموت . أذقت الحمام ابني عباد : قتلتهما (وتغلبت على من كان معهما) . ابنا عباد لعلهما عبدالله ومصعب ابني الزبير بن العوام (؟) . موهون الجناح : الخاضع الذليل . الثكول : الذي فقد ولداً له (الحزين) .

٦ وتغلبت أيضاً على قطري بن الفجاءة الخارجي . الرجالة : الجنود المشاة . الخيول : (هنا) الفرسان .

٧ ابن يوسف : الحجاج . خير منزول (عنده) وخير نزيل (ضيف ، يقصد العديل نفسه) . وفي نزيل اقواء لأنها هنا مجرورة وحقها الرفع . وربما : خير منزول به ونزيل : خير بيت وخير صاحب بيت (الحجاج).

٨ إذا ما انتحيت النفس : انتحيت بنفسي (خلوت بها ، كنت وحدي) . كيف أقول (غير الذي يقوله كل الناس ، غير الحق ، غير مدح الحجاج) .

٩ الثقلين : الجن والانس (جميع الخلائق) . حين يصول : حينما أصبح له الحكم والسلطان (؟) .

– قال العُديلُ بن الفَرْخ العِجليّ يفتخر بصنيع بني عجل في يوم ذي قار (نحو عام ٦١٠ م) يوم انتصر العرب على الفرس (العقد الفريد ٦ : ١٠٠) ·

ما أوقدَ الناسُ من نارٍ لمَكرُمَةٍ إلاّ اصْطَلَيْنا وكُنّا مُوقِدي النّارِ[1].
وما يَعُدّون ، من يومٍ سَمِعْتَ به ، للنّاسِ أفضلَ من يومٍ بذي قار !
جِئْنا بأسلابِهِمْ ، والخيلُ عابسةٌ ، لمّا استَلَبْنا لكِسْرى كلّ إسْوار[2] .

– بعد أن عفا الحجّاج عن العُديلَ بن الفَرْخ قال العديلُ قصيدةً ، بارعة عَذْبة يتغزّل فيها ويفتخر . هذه القصيدة مطلعها :

صَرَمَ الغواني وَاستَراحَ عَواذِلي ، وصَحَوْتُ بعد صَبابة وتَمايُلِ[3].

فمنها في الغزل :

لَعِبَ النّعيمُ بِهِنّ في أظْلالِـهِ حتّى لَبِسْنَ زمانَ عَيْشٍ غافل[4] ،
يأخُذْنَ زينتَهن أحسنَ ما ترى ، وإذا عَطِلْنَ فهنّ غيرُ عَواطِلِ[5] .
وإذا جِنانُ خُدودِهنّ أرَيْنَنا حَدَقَ المَها وأخَذْنَ سَهْمَ القاتل[6] ،
ورَمَيْنَني لا يَسْتَتِرْنَ بجُنّةٍ ، إلاّ الصبا ، وعَلِمْنَ أين مَقاتِلي[7] ،

---

١ اصطلى النار : اختبر حرها طوعاً (استفاد منها دفئاً) أو كرها (أحرقته) . – ما دعا إلى مكرمة (صنيع حميد) إلا أجبناه إلى ما دعا أو كنا نحن موقدي النار (كنا الداعين إلى ذلك العمل الحميد) .

٢ الاسوار : الفارس .

٣ الغواني : النساء الجميلات . صرم الغواني : قطعني ، تركن مواصلتي (لأنني أصبحت كبير السن) . استراح عواذلي : الذين كانوا يلومونني على اسرافي في تتبع النساء وفي الغزل استراحوا الآن لأنهم لا يحتاجون إلى لومي (إذ تركت أنا من تلقاء نفسي حياة الجهل والعبث – بسكون الباء) .

٤ لعب النعيم بهن في أظلاله : منحهن النعيم (الترف والغنى) جميع أنواع الجمال والدلال.في أظلاله (ظلاله ، فيئه – لم يكلفهن عملا وسعياً وجهداً في الشمس وفي الصحراء الخ) . ثم تعودن (طول حياتهم) عيش ناعماً غافلا عن كل مشقات الحياة .

٥ ... وإذا لم يتزينّ بالثياب والاصباغ والحلى فهن غير عواطل (من الجمال الطبيعي الذي لهن) .

٦ جنائن خدودهن (التي فيها الورد) فيها أيضاً حدق المها (عيون كعيون الغزلان واسعة جميلة) وأخذن (تسلحن) بسهم القاتل (بسلاح المحارب) .

٧ ثم رمينني (بدأن يرشقنني بالنبال) وكن يستترن مني بترس من جمالهن فلا أستطيع أن أرميهن بسهم (أو أن أؤثر فيهن) ، بينما كنت أنا معرضاً لسهامهن وكن يعرفن كيف يصبن مني مقتلا – أوقعنني في هواهن من غير أن أستطيع أن أجعلهن يحببنني .

يَلْبَسْنَ أَرْدِيَةَ الشبابِ لأهلِهـا ويَجُرّ باطِلُهن حَبْلَ الباطل [١] .

بعدئذٍ يذكُرُ شبابَه الاولَ ثم يفتخر بماضي قومه وقبيلته :

زعمَ الغواني أن شَيْبَكَ قد صحا ، وسوادُ رأسِك فضلُ شَيْبٍ شامل [٢].
ورآك أهلُك مِنْهُمُ ورأيتَهم ، ولقد تكون معَ الشباب الخاذل [٣] .
وإذا تَطاوَلَتِ الجبالُ رأيْتَنـا بفُروعِ أرْعَنَ فوقَها مُتطاوِل [٤] .
وإذا سألتَ ابْنَيْ نِزارٍ بَيَّنَـا مَجدي ومَنْزِلَتي مِنَ ابْنَيْ وائلٍ [٥] .
حَدَبَتْ بنو بكرٍ عَلَيَّ ، وفيهمُ لَهُمُ المكارِمُ بالعديد الكامل [٦] .
خَطَروا ورائي بالقَنا وتَجَمَّعَتْ منهم قَبائلُ أرْدِفوا بقبـائل [٧] .
قومٌ إذا شَهَروا السيوف رَأَوْا لهـا حَقّـاً ، ولم يكُ سَلُّها للبـاطل [٨] .
وإذا فَخَرْتَ بتَغْلِبَ ابْنَةِ وائلٍ فاذكُرْ مَكارمَ من نَدىً وأوائل [٩].
ولِتَغْلِبَ الغَلْباءِ عِزٌّ بَيِّـنٌ عاديَةٌ ويَزيدُ فوق الكاهل [١٠] .

١ — يظهرن أمامنا في ثوب رائق من الشباب والصبا . لأهلها : لمن هم من الرجال الذين لا يزالون من أهل أردية الشباب (لا يزالون شباناً) . الباطل : اللهو والهزل . ويجر باطلهن حبل الباطل : يقضين في اللهو زمناً طويلا .

٢ شيبك قد صحا : لما شبت أنت صحوت (انتبهت) من الغرور واللهو اللذين كنت منغمساً فيهما غافلا في أيام الشباب . سواد رأسك فضل شيب شامل : ان الشيب الذي لا يزال في شعرك ليس سوى بقية الشباب بعد الشيب (ضعف القوى الجسدية) الذي أصاب جسمك كله .

٣ أهلك (هنا) : أترابك (المقاربون لك في السن) — أصبحت الآن تجتمع مع أبناء سنك ويجتمعون بك . وكم قضيت أزماناً (في أيام الشباب) خاذلا (تاركاً صحبة أترابك تلهو وحدك) .

٤ وإذا علا بعض الجبال على بعض وجدت الجبل الذي نسكنه نحن أعلى الجبال كلها (إذا افتخرت القبائل فنحن أعظم القبائل كلها) . بفروع (بأطراف ، بأعالي) أرعن (أنف الجبل الذي يتقدم الجبل كله) .

٥ ابنا نزار (؟) : العرب كلهم . بينا : أظهرا لك ، دلاك على (مقامي في بني وائل : بني بكر وبني تغلب) .

٦ حدب عليه : حنا عليه وعطف ... وهم ذوو مكارم كثيرة وعدد كبير .

٧ خطروا ورائي : ساروا ورائي حاملين رماحهم يلوحون بها تهديداً لاعدائي (لعله يشير إلى شفاعة وجوه بني بكر وتغلب به إلى الحجاج) . القنا : الرماح . قبائل أردفوا بقبائل : قبائل كثيرة يتلو بعضها بعضاً .. اردفت بقبائل ...

٨ — لا يسلون سيوفهم إلا في الدفاع عن الحق ولم يسلوها للاعتداء على غيرهم .

٩ .... فاذكر لها (لبني تغلب كلها) أعمالا حميدة من الندى (الكرم) ومن الاوائل (الأولين في المقام ومن الذين يعملون المحامد أول مرة — قبل غيرهم) .

١٠ الغلباء : القبيلة العزيزة (القوية) الممتنعة (التي يعجز المهاجمون عن الوصول اليها) . بين :—

تسطو على النّعمانِ وابن مُحَرِّقٍ   وابْنَيْ قَطامِ بعِزَّة وتَناوُل[1] .
قوم هم قَتَلوا ابْنَ هِنْدٍ عَنْوةً   وقَنا الرِماحِ تَذودُ وِرْدَ الناهل[2] .

٤ — ** الاغاني (الساسي) ٢٠ : ١١ — ٢٠ ؛ شعراء النصرانية بعد الاسلام ٢١٣ — ٢٢٨ .

الحارث بن خالد المخزوميّ

١ — هو الحارثُ بنُ خالدِ بنِ العاصِ بنِ هِشامِ بنِ المُغيرةِ بن عبدِ الله ابنِ عمرِو بنِ مَخزومٍ ؛ وأمّه فاطمةُ بنتُ أبي سعيد بن الحارث بن هشام . والعاصِ بنُ هشامٍ جدّ الحارثِ بن هشامٍ قُتِلَ مَعَ المشركين في معركة بَدْرٍ (سنة ٢ هـ = ٦٢٤ م) ، قتَلَهُ عليّ بن أبي طالبٍ .

نشأ الحارثُ بن خالدٍ المخزوميّ في مكّةَ ثم أصبح فيها رجلاً ذا قَدْرٍ وخَطَرٍ ومَنْظَرٍ في قريش[3] ، وكان له اهتمامٌ باللغة وبالغريب في اللغة ، على أنه كان أيضاً شاعراً مغامراً يتتبّع الجمال ويشبّب بالنساء . وقد كان جميع بني مخزوم من أنصار عبد الله بن الزُّبير الا الحارثَ بنَ خالدٍ فقد كان من أنصار بني أميّةَ .

= ظاهر . عز : قوة غلبة . عادية : قديمة العهد من أيام عاد (ولعل التاء المربوطة هنا للمبالغة فتكون « عادية » نعتاً للاسم « عز » . ويزيد فوق الكاهل : تعلو (في المجد والقوة) كل قبيلة أخرى (؟) .

١ تسطو : تغلب ، تقهر ... ابنا قطام : ابنا أم قطام : حجر بن الحارث (والد امرىء القيس) وابنه امرؤ القيس . (لعله يشير إلى أن قبائل نجد قتلت حجراً ثم منعت أمرأ القيس من الأخذ بثأر أبيه ورد الملك على نجد إلى بني كندة) . النعمان : النعمان بن المنذر . ابن محرق (؟) المحرق : هو عمرو بن هند بن المنذر . ولعله سمي هنا ابن محرق لأن المناذرة كانوا يعرفون باسم آل محرق .

٢ عمرو بن كلثوم قتل عمرو بن هند . عنوة : قوة واقتداراً . تذود : تمنع . ورد : شرب . الناهل : الآتي ليشرب من النهر أو النبع . وقنا الرماح تذود ورد الناهل : حينما كانت قوة آل محرق (المناذرة) وقوة عمرو بن هند خاصة في ذروتها ، تمنع الناس حتى من شرب الماء (؟) .

٣ غ ٣ : ٣١٢ . وقد كان له مقام كبير منذ مأساة كربلاء ، سنة ٦١ هـ (الطبري — ليدن ، راجع ٢ : ٢٧٣) .

كان يزيدُ بنُ معاويةَ (٦٠ — ٦٤ هـ) قد ولّى الحارثَ بنَ خالدِ المخزوميَّ على مكّةَ ، ولكنَّ عبدَ الله بنَ الزبير لم يُمكّنْه من ذلك . ثم ان عبدَ الملك ابنَ مروانَ ولّى الحارثَ بن خالد المخزومي على مكّة ، في سنة ٧٥ هـ (٦٩٤ م) في رواية الاغاني (٣ : ٣١٧ ، السطر ٦) ، ولعلّ ذلك كان سنة ٨٠ هـ (٦٩٩ م) [١] .

وكان الحارثُ بن خالد المخزوميّ يتعشّقُ عائشةَ بنتَ طلْحةَ ويُشبّبُ بها . ففي ذلك العامِ حجّتْ عائشةُ بنتُ طلحةَ ، واتّفق أن تأخّرتْ في إتمام طَوافِها حتّى حانت صلاةُ العصْرِ فأرسلت إلى الحارثِ بن خالد تسألُه أن يُؤخِّرَ الأذانَ رَيْثَما تفرُغُ من طَوافها . فأمر الحارث المؤذّنينَ فأخّروا الأذان حتّى فرَغَتْ من طَوافها [٢] . وبلغ ذلك إلى عبدِ الملك بنِ مَروانَ فعَزَلَ الحارثَ بن خالدٍ عنْ مكّةَ سنة ٨١ هـ وولّى مكانَه خالدَ بنَ عبدِ الله القَسْريّ .

وعاش الحارثُ بن خالدٍ المخزوميّ مدّةً بعد ذلك ، فقد توفّي عُمَرُ بن أبي رَبيعةَ ، سنة ٩٣ هـ (٧١١ م) ، والحارثُ بن خالد حيّ وفي عُنفُوانِ شبابِه ، فيما يبدو [٣] . ولا يُستَبْعَدُ أن تكون وفاةُ الحارثِ بن خالدٍ بعدَ سنَةِ ١٠٠ هـ (٧١٨ م) .

٢ — « الحارثُ بنُ خالدِ (المخزوميّ) أحَدُ شعراءِ قُريشٍ المَعْدودين الغَزِلينَ [٤] ، وكان يذهبُ مَذْهَبَ عُمَرَ بنِ أبي رَبيعةَ لا يتجاوزُ الغَزَلَ إلى المديحِ ولا الهجاءِ » (غ ٣ : ٣١٢) . ومع أن شِعْرَ الحارثِ بن خالد يُشْبِهُ شِعْرَ عُمَرَ (غ ٣ : ٣٤٢) ، فلا سبيلَ إلى الزعْمِ بأن الحارثَ أشْعرُ من عُمَرَ [٥] .

---

١ راجع معجم الانساب والاسر الحاكمة للمستشرق زامباور ٢٧ — ٢٨ .

٢ غ ٣ : ٣١٧ — ٣١٨ ، ٣٣٩ — ٣٤٠ .

٣ لما ورد نعي عمر بن أبي ربيعة على المدينة كثر الحزن على عمر وعلى موت شاعر غزل (بفتح الغين وكسر الزاي) مثل عمر ، فقال أحد فتيان مكة لامرأة شديدة الحزن من أجل ذلك : « خففي عليك (هوني الأمر عليك وخففي من حزنك) فقد نشأ ابن عم له (ابن عم لعمر بن أبي ربيعة ، يقصد الحارث بن خالد المخزومي) يشبه شعره شعره (غ ٣ : ٣٤٢) .

٤ في الاغاني (٣ : ٣١٢ ، السطر الاول) : الغزليين (بيائين) ، وليس بصواب .

٥ الموشح للمرزباني ٢٠٩ — ٢١٠ ؛ راجع الامالي للقالي ٢ : ١٧ .

والغزلُ هو الفنّ الذي توفّرَ عليه الحارثَ بن خالدِ المخزومي ، على أنّ له أشياءَ يسيرةً من الفخرِ والحماسةِ مثلاً (غ ٣ : ٣٢٨) ومن العِتاب (الكامل ٥١٧ ، غ ٣ : ٣٣٩) والهجاءِ (الكامل ٦٦٠ – ٦٦١) .

٣ – المختار من شعره :

– قال الحارثُ بن خالدِ المخزوميّ في عائشةَ بنتِ طَلْحةَ بنِ عُبيدِ الله قصيدةً مطلَعُها :

أَثْلَ ، جودي على المُتيّمِ ،أثْلا ، لا تَزيدي فؤادَهُ بِكِ خَبْلا [1] .

منها :

أنعَمَ اللهُ لي بذا الوجهِ عَيْنا [2] ، وبهِ مَرْحَباً وأهْلاً وسهلاً !

حين قالت : « لا تُفْشِيَنّ حَديثي ،

يا ابْنَ عَمّي ،أقْسَمْتُ! » قلتُ: «أجَلْ ،لا .... »

اتّقي اللهَ واقبَلي العذْرَ منّي ، وتَجافَيْ عنْ بعضِ ما كان زَلاّ [3] .

لا تَصُدّي فتَقتُليني ظُلْماً ؛ ليسَ قتْلُ المُحبّ للحِبّ حِلاّ [4] .

ما أكُنْ سُؤتُكُمَ به فلَكِ العُتْـ ـبى ، وحَقّ ذاك وقَلاّ [5] .

لم أرَحّبْ بأنْ سَخِطْتِ ، ولكنْ مَرْحباً – إن رَضِيتِ عنّا – وأهلا .

انّ وَجهاً رأيتُهُ ليلةَ البَدْ رِ عليهِ انْثَنَى الجمالُ وحَلاّ [6] .

---

١ أثل (مرخمة من أثلة) : يا أثلة (استعمل الشاعر أثلة كناية كي لا يذكر اسم عائشة فتعرف صاحبته) . خبلا : جنونا .

٢ أنعم الله لي بذا الوجه عينا : أكرمني الله برؤية وجه عائشة (راجع القاموس ٤ : ١٨١ ، الاسطر ١٧ – ١٩) – يقصد : زارتني عائشة (المرأة التي يتغزل بها) .

٣ تجافي (ابتعدي) عن بعض ما كان زلا (بعض ما كان خطأ مني من قول أو عمل ، من غير قصد مني) : اصفحي عن ذلك الشيء اليسير الذي كنت قد أخطأت به اليك .

٤ في القاموس (١ : ٥٠) : المحب : الذي يحب غيره : الحب (بكسر الحاء) : المحبوب . حل : حلال ، جائز .

٥ العتبى : الرضا . لك العتبى : (لك مني الاعتذار حتى ترضي – بفتح الضاد) ... وهذا حق لك وقليل في سبيل رضاك .

٦ .... انثنى الجمال وحل (عليه) : رجع الجمال عن كل وجه واستقر على وجهها وحده .

وجهُها الوجهُ لو يُسالُ به المُـزْ ... نُ من الحسنِ والجمالِ استهلاّ[1].

جعَلَ اللهُ كلَّ أنثى فداءً ... لكِ ، بَلْ خدَّها لِرِجْلِكِ نعْلا .

إنَّ عندَ الطّوافِ حين أتَتْـهُ ... لَجَمالاً فَعْماً وخلقاً رِفلاً[2] .

وكُسينَ الجمالَ إنْ غِبْنَ عنها ، ... فاذا ما بَدَتْ لهُنَّ اضْمَحَلاّ[3] !

– وقال الحارثُ بن خالدٍ في ليلى بنت أبي مُرّةَ بن عَوْفِ بنِ مسعودٍ ، وأمّها مَيْمونةُ بنتُ أبي سُفيانَ بن حَرْبٍ :

لقد ارسَلَتْ في السرِّ ليلى تَلومُني ... وتزْعُمُني ذا مَلّةٍ طَرِفاً جَلْدا[4] .

وقد اخْلَفَتْنا كلَّ ما وَعَدَتْ بهِ ؛ ... وواللهِ ، ما أخْلَفْتُها عامِداً وَعْدا !

فقُلتُ مُجيباً للرسولِ الذي أتى : ... « تُراهُ لَكَ الوَيْلاتُ من قوْلِها جِدّا ؟

إذا جِئْتَها فاقرَ السّلامَ ، وقُلْ لها : ... دَعي الجَوْرَ ، لَيْلى ، واسْلُكي منهجاً قصدا »[5]

أفي مُكْثِنا عنكم لَيالٍ مَرِضْتُها ... تَزيدينَني ، لَيلى ، على مَرَضي جُهْدا[6] ؟

تَعُدّينَ ذَنْباً واحداً ـ ما جَنَيْتُهُ ـ ... عَلَيَّ ، وما أُحْصي ذُنوبَكُمُ عدّا[7]

فإنْ شِئْتِ حَرّمْتُ النساءَ سِواكُمُ ، ... وان شِئْتِ لم أطْعَمْ نُقاخاً ولا بَرْدا[8] .

---

١ يسال = يسأل (أهل الحجاز يسهلون الهمزة فلا تظهر في لفظهم) . المزن : المطر . استهل المطر : (سقط) . – يبلغ من جمال وجهها وكرامته أنه لو انقطع عنا المطر ثم سألنا المطر أن ينزل اكراماً لوجهها لنزل المطر .

٢ – اجتمع في الطواف (في الحج في ذلك الموسم الذي حجت فيه عائشة) نساء كثيرات ذوات جمال فعم (تام كامل في جميع الاعضاء) وخلقا (بفتح الخاء : بناء الجسد) رفلا (كبيراً) – الشاعر يحب الجسم العظيم الممتلىء ، وذلك كان الجمال المستحب في العصر الأموي .

٣ – إذا لم تكن عائشة موجودة بين أولئك النساء فانهن كلهن يبدون جميلات ، فاذا حضرت كسف جمالها جمالهن .

٤ .... ذا ملة (سؤوماً ، يمل من استمرار الشيء الواحد مدة طويلة) طرفا (رغيب العين : لا يرى شيئاً جديداً إلا أحب أن يكون له ثم يترك الذي كان له : يحب التبديل !) جلداً (صبوراً ، يتكلف الصبر عن من يحب ليغيظه أو ليذله أو ليعذبه) .

٥ اقر : اقرأ (راجع الحاشية الاولى على هذه الصفحة) . اسلكي منهجاً قصداً : سبيلا معتدلا (لا تلوميني فوق ما يستحق ذنبي) .

٦ – كان انقطاعي عنك (عن لقائك) أياماً قليلة بسبب مرضي . فلا تجعلي ذلك عذراً لزيادة جهدي (تعبي من لومك فوق تعبي من المرض) .

٧ ما جنيته : ما أذنبته (بل تتوهمينه علي) .

٨ النقاخ : الماء البارد ، النوم الهنيء . البرد : (هنا) النوم .

وان شِئتِ غُرْنا بَعْدَكم، ثم لَمْ نَـزَلْ بمكّةَ حتّى تَجْلُسي قابِلاً نَجْدا[1] .

٤ — .. الاغاني ٣ : ٣١٠ — ٣٤٣ ، ٩ : ٢٢٥ وما بعدها ؛ زيدان ١ : ٣٢٧— ٣٢٨ .

الشَمَرْدل بن شَريك

١ — هو الشَمَرْدَلُ بنُ شَريكِ بنِ عبدِ الملك بن رُوْبة بن سَلَمة من بني ثَعْلبةَ بن يَرْبوعٍ من بني تميمٍ ؛ ويُعْرَفُ عادةً بابن شَريكٍ اليَرْبوعي[2] وبابنِ الخَريطة أيضاً لأنه وُضِعَ ، وهي صبيّ صغيرٌ ، في خريطة[3] — وَهِيَ وِعاءٌ شِبهُ الحقيبةِ تُوضع فيه الأشياء .

نشأ الشمردلُ في جَنوبيّ العراق ، وربّما في البصرة ، مُولَعاً بالخمر ثم لم يتْرُكْ شُرْبَها بعد ذلك .

وكان للشمردل ثلاثةُ إخوةٍ : حَكَمٌ ووائلٌ وقُدامةُ ، فلمّا سار وكيعُ ابن أبي سُودٍ التميميُّ إلى خُراسانَ ، في أيامِ عبد الملك بن مروانَ ، كان الشمردلُ وإخوته الثلاثةُ في جيش وكيعٍ . وفي خُراسانَ بعث وكيع الاخوة الاربعة في أرْبَعِ وِجْهاتٍ مختلفةٍ فقُتِلَ حَكَمٌ ووائلٌ وقُدامةٌ في مدّةٍ يَسيرةٍ ، وبَقِيَ الشمردلُ بعد ذلك في خراسان زَمَناً ثم عاد إلى البصرة . في الاغاني (١٣ : ٣٥٦ — ٣٥٧) : « وقف الفَرَزْدَقُ على الشمردل وهو يُنْشِدُ قصيدةً له فمرّ فيها هذا البيتُ :

وما بيْنَ مَنْ لم يُعْطِ سَمْعاً وطاعةً وبينَ تميمٍ غيرَ جزّ[4] الحَلاقِيمِ ،

فقال له الفرزدقُ : واللهِ ، يا شَمَرْدَلُ ، لَتَتْرُكَنّ لي هذا البيتَ أو لَتَتْرُكَنّ لي عِرضَك ! فقال (الشمردلُ للفرزدقِ) : خُذْهُ ، لا باركَ

---

١ غرنا بعدكم ، نزلنا معكم غور تهامة (سكنا في مكة) ثم بقينا في مكة حتى تجلسي (تستقري) قابلا (في العام المقبل) نجداً (الهضبة المرتفعة شرق الحجاز) — أسكن حيث تشائين .
٢ الشعر والشعراء ٤٤٣ ؛ الموشح للمرزباني ١٠٨ ؛ الامالي ٣ : ٦٣ .
٣ الشعر والشعراء ٤٤٣ . ٤ الاصوب : حز .

اللهُ لك فيه . فادّعاه (الفرزدقُ) وجعَلَه في قصيدةٍ ذكر فيها قُتيبة بن مُسْلمٍ أوّلُها :

تَحِنّ بِزَوْراءِ المدينةِ ناقتي حَنينَ عَجولٍ تَبْتغي البَوّ رائمِ [1] .

وقد ذكر الفرزدق في هذه القصيدة مقتلَ قُتيبةَ بن مسلمٍ ووصولَ رأسه إلى دِمَشْقَ — وكان وكيعُ بن أبي سُودٍ تولّى قتلَ قُتيبةَ في خُراسانَ في ذي القَعْدة من سنة ٩٦ ﻫ (٧١٥ م) ، في أيام سُليمانَ بنِ عبد الملك . والمعقول أن يكونَ الفرزدقُ قد سَمِعَ الشمردلَ يُنْشِدُ قصيدتَه في سَنَةِ ٩٦ ﻫ وأن يكونَ قد ادّعى البيت الذي أعجبه فيها وهو على أُهْبة مدح سليمانَ ابن عبد الملك بالخلافة ، وسليمانُ بن عبد الملك قد جاء إلى الخلافة في نصف جُمادى الآخرةِ من سنة ٩٦ ﻫ (٢٥ — ٢ — ٧١٥ م) . وليس من المعقول قطّ أن يكونَ الفرزدقُ قد سَمِعَ الشمردل يُنْشِدُ قبلَ ذَهابهِ إلى خُراسانَ ، في أيامِ عبد الملك ، ثم انتظر بالبيت حتّى جاء سُليمانُ بعد عشرينَ سَنَةً أو خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً على الاقلّ فمدحه بقصيدة أدخلَ ذلك البيت فيها .

من هذا كلّه نَرى أن الشمردلَ قد عاد من خراسانَ إلى العِراق وأنه كان يحيا في أيام سليمانَ بنِ عبد الملك . وإذا كان الشمردلُ من أتْرابِ الفرزدقِ وجريرِ ، فمن المُنْتَظَرِ أن يكونَ قد عاش إلى ما بعد سنة ١٠٠ ﻫ (٧١٨ م) [2] .

٢ — الشمردل بن شريك شاعر وراجز مقتدر صحيح اللغة متين السبك ؛ وتجد له أحياناً شيئاً من غرابة الالفاظ . أما فنونه فأشهرها الرثاء في اخوته . وله طرد جيّد ، ثم له أشياءُ من المدح والخمر والغزل .

٣ — المختار من شعره ورجزه :

— قال الشمردلُ بن شريكٍ يرثي أخاه حَكَماً ، وقد جاء نَعْيُهُ بعدَ

---

١ راجع ديوان الفرزدق (عني بجمعه وطبعه والتعليق عليه عبدالله اسماعيل الصاوي)مصر (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٥٤ ﻫ = ١٩٣٦ م ، ص ٨٥١ .

٢ في الاعلام للزركلي (٣ : ٢٥٥) أن وفاة الشمردل بن شريك كانت نحو ٨٠ ﻫ (٧٠٠ م) ، ولا وجه لذلك . وكذلك ضبط الزركلي كلمة (شريك) بضم الشين ، وليس الضم صواباً .

أيّام قليلة من توجّهه إلى الغزو في خراسان (راجع الترجمة) :

يقولونَ : احتَسِبْ حكَماً ، وراحوا   بأبيضَ لا أراه ولا يراني [1] .
وقبلَ فراقِه أيقَنْتُ أنّي   وكلّ ابنَيْ أبٍ متُفارقان !
أخٌ لي لو دعَوْتُ أجابَ صوتي ،   وكنتُ مُجيبَه أنّى دعاني [2] .
فقد أفنى البكاءُ عليه دمْعي ،   ولو أنّي الفقيدُ إذاً بكاني .

– ورأى الشمردلُ بن شريكٍ ، فيما يرى النائمُ ، أن سِنانَ رُمْحه (النصلُ الذي في أعلى الرمح) قد سقط . فعبّرَ منامَه على بعض من يَعْبَر الرُّؤيا (طلب تفسيرَه من بعض من يفسّر المنامات) ففسّره له بأنه موتُ قريب له . وحدَسَ الشمردلُ أن يكون ذلك القريب أخاه وائلاً . وبعدَ ثلاثةِ أيّام من ورود نَعْيِ حكَمٍ وَرَدَ نَعْيُ وائلٍ ، فقال الشمردلُ (غ ١٣ : ٣٥٧ ، ٣٥٣ – ٣٥٥ ، أمالي اليزيدي ٣١ – ٣٤) ، وكان وائلٌ أيضاً في غزوِ خُراسان :

لعَمْري لئِنْ غالَتْ أخي دارُ فُرْقةٍ   وآبَ إلينا سيْفُه ورواحلُه [3] ،
وحلّتْ به أثقالَها الارض ، وانتهى   بمَثْواه منها ، وهو عفّ مآكِلُه [4] ،
لقد ضُمّنَتْ جلْدَ القُوى كان يُتّقى   بهِ جانبُ الثّغْرِ المَخوفِ زلازله [5] .

---

١ احتسب : عده أنه مات في سبيل الله وأن لك أجره على فقده . الابيض : الرجل النقي العرض . لا أراه ولا يراني (بعد الآن) .

٢ أنى : أين ، كيف ، متى . – المقصود : وكنت كلما دعاني (في أي وقت أو في أي مكان أو في أية حال) أجبته بلا تردد .

٣ غالت : قتلت . دار غربة (مات) غريباً في خراسان (بعيداً عن البصرة) . وآب الينا سيفه ورواحله (لما قتل وائل أرسل إلى الشمردل سيف وائل وفرسه) .

٤ أثقال الأرض : ما في باطن الأرض – راجع سورة الزلزال : « إذا زلزلت الأرض زلزالها وأخرجت الأرض أثقالها » (٩٩ : ١ – ٢) . حلت (جملت ، حسنت) بـه (بوائل لما دفن فيها) أثقالها (ما في بطنها من الموتى ، فهو أفضلهم ، أو من المعادن كالذهب والفضة ....) . انتهى بمثواه منها : وصل إلى مرقده المقدر له في الأرض (مات) .... وهو عف مآكله : لم يأكل إلا من حلال (من كسب يده أو من كسب سيفه) .

٥ جلد القوى : صبور ، قوي على أحداث الدهر ، بطل . يتقي بـه : يدافع به (كان يحمي) . الزلازل : البلايا . الثغر : المكان الذي يخشى مجيء العدو منه (بحراً أو براً) . – يتقي به جانب الثغر المخوف : يعهد اليه بالدفاع عن أشد جبهات القتال خطراً .

أقولُ ، وقد رَجَمْتُ عنه فأسْرَعَتْ ... إليّ بأخبارِ اليقينِ مَحاصله [1] :

إلى الله أشكو – لا إلى الناسِ – فَقْدَه ... ولَوْعَةَ حزنٍ أوْجع القلبَ داخلُه [2] ،

وتحقيقَ رُؤيا في المنامِ رأيتُها : ... فكان أخي رُمْحاً تَرَفَّضَ عامله [3] .

أبى الصبرَ أنّ العينَ بعدَك لم يَزَلْ ... يُخالِطُ جفنَيْها قَذىً لا يُزايله [4] .

وكنتُ أُعيرُ الدمعَ قَبْلَكَ مَنْ بكى ، ... فأنتَ على من مات بعدَك شاغله [5] !

فعينَيَّ – إذ أبكاكما الدهرُ – فابْكِيا ... لِمَنْ نَصْرُهُ قد بانَ منّا ونائله [6] .

فما كنتُ أُلْفي لامْرِىءٍ عند مَوْطِنٍ ... أخاً بأخي ، لو كان حيّاً أُبادله [7] .

وكنتُ به أغْشى القِتالَ ، فعزّني ... عليه من المِقْدارِ مَنْ لا أُقاتله [8] .

لَعَمْرُكَ ، إنّ الموتَ منّا لَمُولَعٌ ... بِمَنْ كان يُرْجى نفعُه ونوافله [9] .

فما البُعدُ إلاّ أنّنا بعد صُحْبَةٍ ... كأنْ لم نُبايِتْ وائلاً ونُقايله [10] !

– كان ذئبٌ قد لازم مرعى غنمٍ للشمردل ، وكان لا يزال يَفْتَرِسُ منها

---

١ رجمت عنه : لما رأيت المنام (راجع ص ٥٨٨) خطر لي أن يكون تفسيره موت أخي وائل . أسرعت .... الخ : صدق ظني ورجمي بالغيب .

٢ اللوعة : الحرقة (بضم الحاء) . قد أوجع قلبي داخل الحزن (الحزن العميق ، الشديد) .

٣ ترفض عامله : تشقق وتفرق عامله (العامل : صدر الرمح ، أعلاه) .

٤ قذى : وسخ يحدث في العين من الرمد (المرض) ومن ضعفها بالسهر أو البكاء . لا يزايله : لا يفارقه . – الدليل على عجزي عن الصبر على فقدك أن بكائي عليك دائم . الاصوب : لا يزايلها .

٥ لم يكن لي قبل اليوم حزن يبكيني ، فكان كلما مات أخ لانسان اعرته دمعي يبكي به على أخيه (كنت أبكي على الآخرين مواساة لأهلهم) فأصبح حزني عليك يذهب بكل دموعي (أصبح كل بكائي عليك) .

٦ .... نصره (ظفره في المعارك في الدفاع عنا) ونائله (عطاؤه ، تكرمه علينا) قد بانا (ذهبا ، انقطعا بموته) .

٧ – لو أردت أن أجد أخاً آخر بين الأحياء كفؤاً لأخي (في الشجاعة والكرم) أبادله به (يكون لي عوضاً عن أخي) لما ألفيت (لما وجدت) .

٨ كنت أغشى به القتال : (أملأ به ميدان المعركة وأسيطر على الخصوم المقاتلين) ، فعزني عليه (غلبني عليه ، سلبه مني) المقدار (القضاء والقدر الذي لا أستطيع أن أقاتله) .

٩ مولع : محب ، متعلق . النفع : الفائدة المنتظرة من الشيء . النوافل جمع نافلة : ما يتبرع به الانسان . الموت مولَع بأن يأخذ خيارنا .

١٠ بايته : قضى الليل معه في مكان واحد . قايله : عاوضه (بادله شيئاً بشيء) . والمقايلة يمكن أن تكون أيضاً : القيلولة معاً (النوم بعد الظهر في مكان واحد) . والملموح من المعنى : كأن لم نعاشره ليلا ولا نهاراً . – البعد الحقيقي أن ما بيننا قد انقطع الآن انقطاعاً تاماً (من غير أمل بالتقاء في هذه الدنيا) .

الشاةَ بعد الشاة . فرَصَدَ الشمردلُ ذلك الذئبَ ذاتِ ليلةٍ حتّى جاء الذئب لعادته ، فرماه الشمردلُ بسهم فقتله ثم قال :

هلْ خبّرَ السِرحانُ إذ يَستَخبرُ ... عنّي ، وقد نام الصِحابُ السُمَّرُ [1].

لمّا رأيتُ الضأنَ منه تَنفِرُ ... نَهَضْتُ وَسنانَ وطار المِئزَرُ [2]،

وراعَ منها مَرِحٌ مُستَيْهِرُ ... كأنّه إعصارُ ريحٍ أغبَرُ [3] .

فلم أزلْ أطرُدُه ويَعكِرُ ... حتّى إذا استَيْقَنْتُ أنْلاأُعذَرُ [4]

وأنَّ عَقرَى غَنَمي ستَكثُرُ ... طار بكفّي وفؤادي أوْجَرُ [5] .

ثُمّتَ أهْوَيْتُ له – لا أزْجَرُ – ... سَهماً فولّى عنه وهو يَعثُرُ [6]؛

وبِتُّ لَيْلي آمِناً أكبِّرُ [7] .

– وللشمردلِ أرجوزةٌ (غ ١٣ : ٣٦١ – ٣٦٢) تُذكّرُنا بموضوعها وبقوافيها وبالنَفَسِ الغالبِ عليها أرجوزةً لأبي نُواسٍ . قال الشمردلُ :

قد أغتَدي والصُبْحُ في حِجابِهِ ... والليلُ لم يأوِ إلى مآبِهِ

وعَرَفَ الصَوْتَ الذي يُدعى بهِ ... ولَمْعَةَ المُلْمِعِ في أثوابِهِ

فقلتُ للقانصِ إذْ أتى بهِ ... الخ ، الخ .

٤ – ٥٥ الاغاني ١٣ : ٣٥٠ – ٣٦٣٢ ؛ زيدان ١ : ٣٤٣ .

---

١ السرحان : الذئب . السمر جمع سامر : الذي يسهر مع أصحابه ويحادثهم .

٢ الضأن : أحد قسمي الغنم (الضأن والمعزى) . وواحد الضأن : خروف. لما رأيت الضأن منه تنفر (تتفرق) : شعرت باقترابه منها (وهو لا يزال بعيداً) . نهضت وسنان : يغلب علي النعاس . طار المئزر : أسرعت في نهوضي فسقط عني أزاري .

٣ مرح : أشر ، بطر ، اختيال ، نشاط . مستيهر : متكرر ، متماد ، كثير . راع : روع (أفزع ، أخاف وخوف) . في الأصل راع منها ، ولعل الأصوب : راع منه (راعها منه : أفزع الضأن منه مرح ...) . الاعصار : الريح الشديدة تثير السحاب ، أو تثير التراب من الأرض نحو السماء . أعصار أغبر : اعصار يحمل غباراً .

٤ يعكر : يهرب ثم يعود . ولم أستطع أن أصيبه (أقتله) ..... أن لا = أنني لا أعذر : (جربت قتله مراراً) حتى لم يبق لي عذر في عجزي عن قتله .

٥ عقرى غنمي : المعقور (المقتول) من غنمي . الشطر « طار بكفي ... » غير واضح المعنى ....

٦ أهويت له : أطلقت عليه. لا أزجر : (اقتربت كثيراً منه فزجرني الناس عن الاقتراب منه هذا القدر خوفاً من أن يؤذيني فلم أسمع من أحد) . ولي : هرب . يعثر : يسير فيقع ثم ينهض .

٧ أكبر : أكبر الله (حمداً لله على تخلصي من الذئب) .

زِياد الأعجم

١ – اسْمُهُ زِيادٌ ، وكُنيتُه أبو أُمامة ، واختلف الرُّواةُ في سِياقة نسبهِ . وقد كان مَوْلىً لبني عبد القيس .

قيل إنّ أصلَه ومَوْلِدَه ومَنشأه في أصبهانَ وكان ينزل إصْطَخْرَ . وقد لُقِّبَ زياداً الأعجمَ للُكْنة كانت في لسانه ، فقد كان يَعْجِزُ عن النطق بالعين والصاد وعما يَعْجِز عنه الاعاجم .

وكان زيادٌ الاعجم صديقاً لعُمَر بن عُبيد الله بن مَعْمرٍ ، فلما تولى عُمر ابن عبيد الله فارسَ من قِبَلِ عبدِ الله بن الزُّبير ، سنة ٦٧ هـ (٦٨٦ – ٦٨٧ م) قصده زيادٌ ومدحه ونال منه جوائزَ سَنِيّةً . وكذلك سكن زيادٌ خُراسانَ مدة ومدح والِيَها المُهَلّبَ بن أبي صُفْرة (٧٨ – ٨٢ هـ) . ويبدو أنه جاء بعدَ ذلك إلى العراقِ فكان يُنْشد شعره في مَرْبِدِ البصرة (غ ١٤ : ١٠٧ ، ١٠٨) .

وإذا نحن قَبِلْنا ما جاء في بعض الروايات من أن زِياداً الاعجمَ شَهِدَ فتح اصْطَخْرَ مَعَ أبي موسى الاشعري (٣٠ هـ = ٦٥١ م) ثم أدْرك هِشامَ بن عبد الملك [١] الذي جاء إلى الخلافة سنة ١٠٥ هـ (٧٢٤ م) ، فيجبُ أن يكونَ زيادٌ قد أسَنّ جِداً وزادت سِنّهُ على مِائةٍ . على أن شِبْهَ المُجْمَعِ عليه أنّ زياداً تُوُفّيَ سنة ١٠٠ هـ (٧١٨ م) ، قبلَ أن يتَولّى هشامٌ الخِلافةَ .

٢ – كان زيادٌ الأعجمُ خطيباً قديراً وشاعراً مجيداً وكاتباً داهياً على الرّغمِ من لُكْنَتِه [٢] . وأكثرُ شعرهِ الهِجاءُ ، وهجاؤه خبيثٌ : هاجى أبا جِلدةَ اليَشْكُريَّ وكعبَ الأشقريَّ وسواهما ، وتوعّد الفرزدقَ بالهجاء فأرْهَبَهُ ؛ ولكنه هاب أن يُهاجيَ جريراً [٣] . ولِزيادٌ رثاءٌ بارعٌ ومديحٌ وشيءٌ من الشعر الوُجداني الجيّد .

---

١ راجع البيان والتبيين ١ : ٧١ الحاشية الثالثة (تعليق محمد عبد السلام هارون) .

٢ مثله ١ : ٧١ .

٣ مثله ٢ : ٢٥١ .

٣ – المختار من شعره :

– قال زيادٌ الاعجمُ في الهجاء (وفيها شيء من الحكمة) :

لله درُّكَ مِنْ فَتىً لو كنتَ تفعلُ ما تقولْ .
لا خيرَ في كَذِبِ الجَوا دِ ، وحبّذا صِدقُ البخيلْ !

– وقال يرثي المغيرة بن المهلّب :

ان المُروءةَ والسّماحةَ ضُمّنا قبراً بمَروَ على الطريقِ الواضحِ .
فاذا مرَرْتَ بقبرهِ فاعقِرْ به كُومَ الهِجانِ وكلَّ طِرْفٍ سابحِ[1] .
وانْضَحْ جَوانبَ قبرهِ بدِمائها ، فلقد يكونُ أخا دمٍ وذبائحِ .
مات المغيرةُ بعدَ طولِ تَعَرّضٍ للموتِ بين أسِنّةٍ وصفائحِ[2] .

– وقال يتوعّد الفرزدقَ بالهجاء :

وما ترَكَ الهاجون لي ، ان أردتُه ، مَصحّاً أراه في أديمِ الفرَزْدقِ[3] .
وما تركوا لَحماً يَدُقُّون عَظمَه – لآكلِه – ألقَوْهُ للمُتَعرِّقِ[4] .
سأكْسِرُ ما أبقَوْهُ لي من عِظامه وأنكُتُ مُخَّ الساق منه وأنتقي[5] .
وإنّا – وما تُهْدي لنا إنْ هَجَوْتَنا – لكالبَحْرِ ،مهما يُلْقَ في البحرِ يغرق!

– وقال يهجو قوم كعب بن مَعدان الأشقري :

قُبَيّلَةٌ خيرُها شرُّها ، وأصدقُها الكاذبُ الآثمُ .
وضَيْفُهُمُ وسْطَ أبياتِهم ، وان لم يكنْ صائماً ، صائمُ .

٤ – •• الاغاني ١٥ : ٣٧٩ – ٣٩٤ ؛ بروكلمان ١ : ٥٧ ، الملحق ١ : ٩٢ ؛ زيدان ١ : ٣٠٨ – ٣١٠ .

---

١ عقر الناقة : ضرب ساقها لتقع أرضاً فيذبحها. الكوم جمع كوماء : الناقة العظيمة السنام . الكوم أيضاً : القطعة من الابل ، الابل الكثيرة . الهجان : الخيار من الابل البيض . الطرف : الكريم من الخيل . السابح : السريع .

٢ اسنة جمع سنان : رمح . صفائح : سيوف .

٣ – تناول الشعراء كل شيء في الفرزدق بالهجاء .

٤ المتعرق : الذي ينتزع اللحم عن العظم .

٥ نكت مخ العظم : استخرج المادة الدهنية من تجويف العظام .

الطِرِمّاحُ بن حكيم

١ – كان يُكنى أبا نَفْر وأبا ضُبَيْنةَ ، ويُلقَّب الطَرّاح . وهو الطِرِمّاح[1] ابنُ حكيمِ بنِ الحكَمِ بنِ نَفْر بن قيس بن جَحْدَر بن ثعلبة من بني ثُعَلَ ابن عمرو بن الغَوْث بن طَيِّء من قَحْطان .

وُلِدَ الطِرِمّاحُ قُبيلَ الهجرة ، فيما يبدو ، في الشام ونشأ فيها . ثم إنه قَدِمَ إلى الكوفة معَ جيوش الفتح . وفي الكوفة تلقّى الطِرِمّاحُ مذهبَ الشُراةِ الأزارقة[2] من الخوارج واعتقده .

ولقد نشأتْ بينَ الطِرِمّاحِ وبين الكُمَيْت بن زيدٍ صداقةٌ عجيبةٌ ، إذْ كانا يَعيشانِ على الوفاء الخالص . قيل مرّةً للكُميتِ : لا شيءَ أعجبُ من صفاء ما بينَك وبينَ الطِرِمّاحِ على بُعْدِ ما بينَكما من النسبِ والمذهب والبلاد : هو شاميٌّ قَحْطانيٌّ خارجيٌّ وأنت كوفيٌّ نِزاريٌّ شيعيٌّ[3] .

عاشَ الطرمّاحُ فقيراً لأنه كان أنوفاً لا يتكسّب بالشعر[4] ، وان كان قد حاول شيئاً منه . وقد اشْتَغَلَ الطرمّاحُ بالتعليم حيناً ، قال عبدُ الأعلى بنُ عامرِ البصريّ[5] : « رأيتُ الطرمّاحَ مؤدِّباً بالريّ[6] فلم أرَ أحداً آخذَ لِعقولِ الرجال ولا أجذبَ لأسماعِهم منه . ولقد رأيتُ الصِبيانَ يَخرُجون من عندِه وكأنّهم قد جالسوا العُلماءَ » .

وأسَنّ الطرِمّاحُ كثيراً ، إذ يبدو أنه تُوفّيَ بُعَيدَ سنة ١٠٠ هـ (٧١٨م) .

٢ – كان الطِرِمّاحِ بن حكيمٍ من فُحول الشعراء وفُصحائهم ومن الخطباء .

---

١ الطرماح : الطويل القامة .

٢ الازارقة : أتباع نافع بن الازرق (قتل ٦٥ هـ = ٦٨٥ م) ، وهم من أشد الخوارج تطرفاً يكفرون الذين اشتركوا في حربي الجمل وصفين من الطرفين ويبيحون قتل المخالفين لهم مع نسائهم وأطفالهم، ومرتكب الكبيرة (الذنب الكبير كشرب الخمر والزنا) كافر عندهم . ثم هم لا يجيزون التقية في عمل ولا في قول .

٣ القحطاني من عرب الجنوب (اليمن) ، والنزاري من عرب الشمال (قيس) .

٤ البيان والتبيين ٣ : ٢٠٠ ، راجع ٣٤١ .

٥ مثله ٢ : ٣٢٣ .

٦ الري على مسافة يسيرة من جنوب شرقي طهران (في فارس ، ايران) .

وشِعرُه متينٌ كثيرُ الغريبِ ، إلاّ أن شعره ليسَ حُجةً في اللغة لأنّه مولّدٌ ، فيما قيل [١] ولأنه كان يتكلّفُ إدخال الغريبِ في شِعره بعد أن يَسْأَلَ العلماءَ وأهلَ السّواد (الآراميين) عن الألفاظِ من كلامهم [٢] . وأكثرُ شعرِ الطرمّاحِ الحماسةُ والنقائض . وهو بارع في الوصف ، وفي وصف الثور والظَلِيم (ذكَرِ النّعام) خاصّة [٣] . وهجاؤه مؤلم ، ولكنّ فيه مبالغاتٍ وتكراراً يَنْحَدِرُ بها إلى عَقْلِيّةِ العامّة فيفقدُ بذلك كثيراً من قيمته الفنّيّة .

٣ – المختار من شعره :

– قال الطرمّاح بن حكيم يفتخر بنفسه ويصور نفراً من لؤماء النفوس :

لقد زادني حُبّاً لِنَفسيَ أنّني	بَغيضٌ إلى كلِ امْرِىءٍ غيرِ طائلِ [٤] .
وإنّي شَقِيٌّ باللئامِ ؛ ولا ترى	شقيّاً بهم الا كريمَ الشمائل .
إذا ما رآني قطّعَ الطَرْفَ بينَه	وبَيْنِيَ فِعْلَ العارفِ المُتَجاهل [٥] ،
ملأتُ عليه الارضَ حتّى كأنّها	من الضيقِ في عَيْنَيه كِفّةُ حابل [٦] .
أكل امرىءٍ ألْفى أباه مُقَصِّراً	**مُعادٍ لأهلِ المَكْرُماتِ الأوائل ؟**
إذا ذُكِرَتْ مَسْعاةُ والدهِ اضْطَنى ،	ولا يَضْطني من شَتْمِ أهل الفضائل [٧] .
وما مُنِعَتْ دارٌ ولا عزّ أهلُها	**من الناسِ إلاّ بالقنا والقنابل [٨] !**

– وللطرمّاح قصيدة اختارها أبو زيد القرشي في « الملحمات » من جمهرة اشعار العرب ، مطلعها :

---

١ الموشح ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٠٩ .

٢ غ ١٢ : ٣٦ ؛ الشعر والشعراء ٣٧١ ؛ الموشح ١٩٢ ، ٢٠٨ – ٢٠٩ .

٣ الشعر والشعراء ٣٧٤ ؛ كتاب الصناعتين ٨٥ ، ٢٥٣ ؛ ديوان المعاني ١٤١ .

٤ طائل : جدوى ، فائدة ، نفع .

٥ قطع الطرف (النظر) بيني وبينه : نظر إلي شزراً ، بغضب .

٦ الحابل : الذي يصنع الحبال ، والذي يعقد الحبل (ليجعله شركاً للصيد) . كفة حابل : شرك الصيد . ككفة حابل : ضيق .

٧ المسعاة : العمل الحميد . اضطنى من ضني : مرض مرضاً خفياً (تألم ، امتلأ أسفاً ثم حقد إذ ليس لأبيه مسعاة تذكر له) .

٨ القنا : الرماح . القنابل : جماعات الخيل (يقصد بالحرب) .

قلّ في شطّ نَهْروانَ اغتماضي ، ودعاني هوى العيونِ المِراضِ [1] .

ومنها :

فتطرّبْتُ للصبا ، ثُمّ أوْقفْـ ـتُ رِضاً بالتُّقى وذو البِرّ راضٍ [2] .
وأراني المَليكُ رُشْدي ، وقد كُنْـ ـتُ أخا عَنْجَهيّةٍ واعْتراض [3] ،
غيرَ ما رِيبةٍ سوى رَيّقِ الغُـرّ ةِ . ثُمّ ارْعَوَيْتُ بعدَ البياض [4] !
فاذْهَبوا ، ما إليكُمُ خفَضَ الدهـ ـرُ عِناني وعُرّيَتْ أنقاضي [5] .
إنّنا مَعْشَرٌ شمائلُنا الصبـ ـرُ ، إذا الخوفُ مال بالأحْفاض [6] :
نُصُرٌ للذليلِ في نَدْوةِ الحيّ مَرائيبُ للثأى المُنْهاض [7] .
لم يَفُتْنا بالوِتْرِ قومٌ ، وللضّيْـ ـمِ رجالٌ يَرْضَوْن بالإغماض [8] .
فسَلي الناسَ ، إن جَهِلْتِ ، وإنْ شئْـ ـتِ قضى بَيْنَنا وبينَك قاض !

— وقال الطرمّاح يتمنّى ميتة في معركة شهيداً في سبيل الله :

وإنّي لَمُقْتادٌ جَوادي فقاذِفٌ به وبنفسي ، العامَ ، إحْدى المَقاذِفِ [9]
لأكْسِبَ مالاً أو أؤولَ إلى غِنىً من الله يَكْفيني عِداتَ الخلائف [10] .

---

١ نهروان أو النهروان : نهر جنوب الكوفة قاتل الإمام علي قربه الخوارج وهزمهم .

٢ — عملت أعمال الصبا (مدة) ثم تركتها وذو البر (الله) راض عني (لأني لم أرتكب ما يغضبه) .

٣ المليك : الله . العنجهية : التكبر مع الجهل . اعترض : سار مزهواً بنفسه ، تدخل في أمور كثيرة (من أمور الصبا) .

٤ — من غير أن آتي بريبة (بعمل مشين) إلا ما يفعله الشبان من الاعمال الدالة على الغفلة . ارعوى: رجع البياض : المشيب .

٥ — اذهبوا عني ، اتركوني ؛ ان الدهر لم يخفض عناني(رسني: لم يذلني) من أجلكم ، ولا في سبيلكم عريت أنقاضي (بدا هزالي ، أجهدت نفسي) .

٦ الخوف : الحرب. مال بالاحفاض(جمع حفض: متاع البيت): عرضها للضياع أو النهب، إذا اشتدت الحرب .

٧ نصر (بضمتين جمع ناصر) . ندوة الحي : مجلس القوم أو العشيرة . مرائيب جمع مرأب بوزن منبر : الذي يضم الشق ويصلحه . الثأى : الضعف والفساد . المنهاض : المنكسر المتسع . — نصلح ما بين العشيرة مهما كان الفساد شديداً عاماً فيها .

٨ — لم يعتد علينا أحـد إلا أخذنا بوترنا منه . وهنالك أناس يغمضون أعينهم على الذل (يرضون به) .

٩ العام : هذا العام . — سأرمي بجوادي وبنفسي في احدى المعارك .

١٠ أؤول : أرجع . يكفيني : يغنيني عن . عدات جمع عدة (وعد بمال ...) الخلائف : الخلفاء .— يغنيني عن تكسب المال بشعري من الخلفاء ومن غيرهم .

فيا ربِّ ، إنْ حانَتْ وفاتي فلا تَكنْ على شَرْجَعٍ يُعْلي بخُضْرِ المَطارف [1] ،
ولكنّ قبْري بطنُ نَسْرٍ مَقيلُــه بجَوِّ السماء في نُسور عَواكِف [2] ،
وأُمْسي شَهيداً ثاوياً في عِصابةٍ يُصابون في فَجٍّ من الأرض خائف [3] .
فَوارِسُ من شَيْبانَ ألّفَ بينَهم تُقى اللهِ نَزّالونَ عند التَزاحُف [4] .
إذا فارقوا دُنياهُمُ فـارقوا الأذَى وصاروا إلى مِيعاد ما في المَصاحف [5] .

٤ — ديوان الطرمّاح (كرنكو) ، لندن ١٩٢٧ م .

** الطرمّاح بن حكيم لخليل مردم (م م ع ع ، المجلّد ١٧ ، عام ١٩٤٢م) غ ١٢ : ٣٤—٤٥ بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٧—٩٨ ؛ زيدان ١ : ٣١٦—٣١٨ .

المرّار بن المنقذ العدويّ

١ — هو المَرّارُ بنُ مُنْقِذٍ العَدَويّ بن عبدِ بنِ عمرٍو بن صُدَيّ بن مالك بن حنظلة من زيد مَناة بن تميم . وأمّ صُدَيّ هي الحرام بنتُ خُزيمةَ ابن تميم بن الدُّؤَل بن جَلّ بن عَديّ ؛ ولذلك يقال لصديّ ولأولاده بنو العدويّة .

والمَرّار بن المنقذ العدويّ أو الحنظلي [6] شاعر أمويّ من أهل نجد كانت بينَه وبين جريرٍ عداوةٌ ومُهاجاة . وقد قيل ان المرّار سعى بجريرٍ إلى سليمانَ بن

١ شرجع : نعش . يعلى (يغطى) بخضر المطارف (الاردية من الحرير) . — لا أريد أن أموت على فراشي .

٢ — (ولكن أريد أن أموت في المعركة) فتأكل لحمي النسور ثم تحوم (بما أكلت من لحمي) في السماء . عكفت الطيور حول القتيل : استدارت (القاموس ٣ : ١٧٦) حوله في حلقة (بسكون اللام) .

٣ ثاوياً : باقياً (ميتاً) . عصابة : جماعة تآلفوا على مبدأ . يصابون : يقتلون . الفج : الطريق الواسع بين جبلين . خائف : مخوف (يخيف الذي يسلكه أو ينزل فيه) .

٤ التزاحف : لقاء الجيشين في المعركة . نزالون : راكبون خيولهم يقاتلون بالسيوف في المعركة التي يشتبك فيها المتقاتلون .

٥ صاروا إلى ميعاد (تحقق لهم ما وعدوا به) في المصاحف (جمع مصحف : الكتاب الذي يدون فيه القرآن الكريم) : إلى الجنة أجراً لهم على استشهادهم في سبيل الله .

٦ معجم الشعراء ٣٣٨ .

عبد الملك (٩٦ – ٩٩ هـ) وقال له : كان جريرٌ يريد أنْ لَوْ يحول الوليد ابنُ عبد الملكِ ولايةَ العهد منك ليَجْعلَها في ابنه عبد العزيز بن الوليد [١] .

ومع أنّ المرّارَ كان أصغرَ سِناً من جرير ، فالظاهر أنه لَمْ يُعمَّرْ كثيراً ، ولعلّ وفاته كانت سنة ١١٠ هـ (٧١٨ م) أو بعد ذلك بقليل .

٢ – كانَ المرّارُ بن المنقذ العدوي شاعراً قليل الغريب رائقَ الأسلوب ظاهرَ المعاني على الرّغم من أنه جاهليّ المنحى في أغراضه . وهو شاعر غَزِلٌ من الطبقة الأولى . وكان له هجاء ، وقد هاجى جريراً ولكن لم يَثْبُتْ له ، وقد ردّ عليه جرير رداً قبيحاً .

٣ – المختار من شعره :

للمرّار بن المنقذ العدويّ في المفضّليات [٢] قصيدةٌ مقصورةٌ على الغزل أبياتُها خمسةٌ وتسعون بيتاً ومطلَعُها :

عَجَبٌ خَوْلَةُ إذْ تُنْكِرُني ، أم ترى خَوْلَةُ شَيْخاً قد كَبِرْ !

يقول فيها :

ما أنا اليومَ على شيءٍ مضى ، يا ابنةَ العَمِّ ، تولّى بِحَسِرْ [٣] .
قد لَبِسْتَ الدهرَ من أفنانِــهِ كلّ لونٍ حَسَنٍ منه حَبِرْ [٤] .
وتَعَلَّلْتُ ، وبالي ناعمٌ ، بغزالٍ أحورِ العَيْنَين غِرْ [٥] .
هل عَرَفْتَ الدار أم أنْكرتَها بين تِبْراكٍ فشَسَّيْ عَبَقُرْ ؟
قد نرى البيضَ بها مثلَ الدُّمى لم يَخُنْهُنَّ زمانٌ مُقْشَعِر [٦] .

---

١ مثله ٣٣٨ .
٢ (رقم ١٦) . وللمرار في المفضليات قصيدة أخرى (رقم ١٤) .
٣ أنا لست حزيناً على شيء مضى من عمري .
٤ قد عرفت جميع ضروب الحياة وتمتعت بأحسنها .
٥ وتمتعت كثيراً وبالي هادىء بفتاة سوداء العينين غريرة معجبة بنفسها غير مجربة « صغيرة السن » .
٦ البيض : النساء . الدمى : اللعب ، التماثيل « الجميلة » . لم يخنهن زمان مقشعر : لم يرمهن الدهر بالشيخوخة ولا بالمصائب .

يتلهّينَ بنَوْماتِ الضّحى — راجحاتِ الحِلم والأُنسِ خُفُر[1].

قُطُفُ المَشْيِ قريباتُ الخُطى — بُدَّناً مثل الغَمام المُزْمَخِرِ[2].

يتزاوَرْنَ كتَقَطّاء القطا — وطَعِمْنَ العيشَ حلواً غيرَ مُر[3].

لم يُطاوِعْنَ بصُرمٍ عاذلاً — كاد من شِدّة لَوْمٍ يَنْتَحِر[4].

وهوى القلبِ الذي أعجبه — صورةٌ أحسنُ منْ لاثَ الخُمُر[5]،

راقه منها بَياضٌ ناصعٌ — يُونِقُ العينَ وضافٌ مُسْبَكِر[6].

وإذا تَضْحَكُ أبدى ضِحْكُها — أُقْحواناً قَيّدتْهُ ذا أُشُر[7].

لو تَطَعّمْتَ به شَبّهته — عَسَلاً، شِيبَ به ثلجٌ، خَصِر[8].

صَلْتَةُ الخدِّ، طويلٌ جيدُها، — ناهدُ الثّدْيِ ولمّا يَنْكسر[9].

فهي هيفاءُ هضيمٌ كَشْحُها — فَخْمةٌ حيث يُشَدّ المُؤتَزَرْ[10].

تَطَأُ الخزَّ ولا تُكرِمُهُ — وتطيلُ الذّيلَ منه وتَجُر[11].

عَبَقَ العَنْبَرُ والمسك بها، — فهي صفراء كعُرجون العُمُر[12].

إنما النومُ عِشاءً طَفَلاً — سِنَةٌ تأخذُها مثلَ السُّكُر[13].

---

١ هن منعمات ينمن حتى ترتفع الشمس ، يؤنسن الصديق ولهن رجاحة عقل مع حياء كثير .

٢ قطف المشي : هادئات المشي . بدن : سمان . المزمخر : المرتفع ، وإذا ارتفع الغمام رق وابيض .

٣ تقطاء : مشي القطاة (نوع من الطير) ، مشي قصير الخطوات . طعمن : ذقن .

٤ نهاهن العاذل عن حبهن لي فلمنه لوماً شديداً حتى كاد ينتحر .

٥ هي أجمل من لبس خماراً .

٦ يونق : يعجب . ضاف مسبكر : شعر واف طويل .

٧ اقحوان : (اسنان . قيدته) : حزته بابرة ثم وضعت عليه اثمداً (كحلا) ليحلك لونه – فعلت ذلك بلثتها في الاغلب .

٨ تطعمت به : ذقته . شيب : مزج . خصر : بارد .

٩ صلتة الخد : منجردة الخد، خدها طويل أملس غير مترهل . ناهد : مرتفع . لم ينكسر ثديها بعد لأنها صغيرة السن .

١٠ هيفاء : ضامرة . هضيم كشحها : خصرها نحيف . فخمة حيث يشد المؤتزر : ضخمة الاوراك .

١١ غنية مترفة تجعل الخز «الحرير» موطئاً لها (فرشاً لأرض بيتها) . وإذا لبست حريراً جعلته طويل الذيل .

١٢ عرجون العمر : قرط بلح السكر ، لونه أصفر جميل ، والعرب تحب اللون الممزوج بصفرة .

١٣ الطفل : الاصيل ، وقت العصر . سنة : نوم .

والضُّحى تَغْلِبُها رَقْدتُهـا　　خرَقَ الجُوْذرِ في اليوم الخَدِرِ[1].
وَهْيَ لو يُعْصَرُ — من أردانها —　　عَبَقُ المسكِ لكادت تنعصر .
أملحُ الخَلْقِ إذا جرّدتّها ،　　غيرَ سِمطين عليها وسُوُرْ[2] ،
لَحسبْتَ الشمسَ في جِلبابها　　قد تبدّت من غَمام منسفر .
صُورةُ الشمسِ على صورتها　　كلما تَغرُب شمسٌ أو تَذُرّ[3] ،
تركتني ليسَ بالحيِّ ولا　　مَيِّتٍ لاقى وفاةً فقُبر .
يسألُ الناسُ : أحُمّى داوُهُ　　امْ به كان سُلالٌ مستسر[4] ؟
وهي دائي ، وشفائي عندَها　　مَنَعَتْه فهو مَلْوِيّ عَسِرْ[5] !

القَطاميّ التَغْلَبيّ[6]

١ — هو عُمير بنُ شُيَيْمِ بن عمرِو بن عبادِ بن بكر بن عامر من بني غُنْم بن تَغْلِبَ . وهو أول من لُقِّبَ « صريعَ الغواني » من الشعراء . أما مولده ونشأته فلا نَعرِف عنهما شيئاً ، ولا نكاد نَمُرّ بذكرٍ له قبل معركة مَرْجِ راهطٍ (٦٤ ﻫ = ٦٨٤ م) . منذ ذلك الحين نشأت العَداوةُ بين بني قَيْسِ عَيْلانَ ، ورئيسُهم يومذاك زُفَرُ بن الحارث الكِلابيّ ، وبين بني تَغْلِبَ . ثم نَشِبَتْ بين الفريقين حروبٌ منها يوم ماكسِينَ على الفرات جَنوبَ رأس العين ، نحو سَنَةِ ٦٦ ﻫ (٦٨٥ — ٦٨٦ م) فقُتِلَ من تَغْلِبَ زُهاءُ خمسمِائةِ رجلٍ ووَقعَ القَطاميّ أسيراً وأُخِذَتْ إبِلُهُ . فجاء القَطاميّ إلى زُفَرَ بن الحارث رئيسِ قيسٍ ، وكان بقَرقيسيا ، فخلّى سبيلَه وردّ عليه

١ في رواية : وقدتها (حرها) . خرق الجؤذز : كخمول الجؤذر (الظبيء الصغير) في اليوم الخدر (البارد) .
٢ السمط : العقد . السؤر جمع سوار .
٣ ذرت الشمس : اشرقت .
٤ السلال : السل . مستسر : مختف .
٥ ملوي : مطول ، أي أسألها دواء لدائي فتعدني ولكن لا تفي .
٦ هو غير القطامي الكلبي وغير القطامي بن الحصين (راجع القاموس ٤ : ١٦٦ ، الاسطر ٥ — ٧ من أسفل ؛ الطبري — ليدن ، ٢ : ١٣٢٦ ، ١٣٨٩)، وهو أيضاً غير أبي المياس القطامي (الامالي ١ : ٣٠). وقد كان هؤلاء أيضاً شعراء . والقطامي : الصقر .

مائةَ ناقة ، فكان ذلك سبباً لمدائحِ القَطاميّ في زُفرَ . ثم كان يومُ الحشّاك أو يوم الثّرثار ، أحد روافد الفُراتِ ، (سنة ٧٠ هـ) عند التل (تل عَبْدَة) قرب مدينة تكريت فَانْهزَمَتْ فيه تَغْلِبُ . ثم كان يوم رَحوب أو يوم البشر – والبِشر جبل الجزيرة في شمالي العراق – (٧٣ هـ) فانهزمت تغْلبُ أيضاً وقتل يومذاك أبو غياث ابْنُ الاخطل ، ونجا الاخطلُ نفسُه هرباً .

وقد ذكر الحاجي خليفة (٣ : ٥٦١٩) أن القَطاميّ تُوفّيَ سَنَةَ ١٠١ هـ (٧١٧ م) ، ولكننا لا نعلم من أين جاء بهذا التاريخ .

٢ – القَطاميّ شاعرٌ مُقِلّ يَفْضُلُ الأخْطلَ في ألفاظِهِ وتراكيبِهِ ومعانيه– ولا غروَ ، فهو بَدْوِيّ صميمٌ والأخطلُ قَرَوِيّ (حَضَرِيّ) وشاعرُ بَلاطٍ يُعَبِّر عن عاطفة الذين يتسكّب منهم أكثرَ ممّا يعبّر عن نفسه هو – ، ولكنّه أقلّ منه شُهرةً . والقطامي فَحلٌ رقيقٌ حواشي الكلام حُلوُ الشعر حَسَنُ التشبيه قريبٌ في نَفَسِهِ الشعريّ من جريرٍ . ثم هو مُجيدٌ للمديح وللفخر ، خبيثُ الهجاءِ ، ووصفُهُ بارعٌ جدّاً ، وله شيء من الغزل والنسيب . وهو في غزله وذِكْرِهِ للنساء يشبهُ الاخطل . وله شيء من الخمر . أمّا الامثال من الحكمة فهي كثيرة في شعره [١] . وهو من أحسنِ الشعراءِ ابتِداءاتٍ في مطالع قصائده [٢] .

٣ – المختار من شعره :

– قال القَطاميّ يمدح عبدَ الواحد بن الحارث الأمويّ بقصيدةٍ منها :

إنّا مُحَيّوكَ فَاسْلَمْ ، أيّها الطّلَلُ ، وإنْ بَلِيتَ وإنْ طالت بِكَ الطِّيَلُ [٣] .

أنّى اهْتَدَيْتَ لتسليمٍ على دِمَنٍ بالغَمْرِ غَيّرَهُنّ الأعْصُرُ الأُوَلُ [٤] .

---

١ راجع في ذلك كله معجم الشعراء ٧٣ ؛ طبقات الشعراء ١٢١ ؛ الشعر والشعراء ٤٥٣ ؛ ديوان المعاني ٢ : ١٢٧ .

٢ العمدة ١ : ١٩٢ ، راجع ١٩١ .

٣ بلي : درس (امحى ، زال معظم أثره) . الطيل جمع طيلة (بكسر الطاء وفتح الياء) : العمر ، المدة ، الدهر . – وان مر عليك زمان طويل .

٤ الدمنة : آثار الدار بعد فراق ساكنيها لها ، الطلل . الغمر : موضع .

كانت منازلَ منّا قد نَحِلّ بهـا حتى تَغيّرَ دَهْرٌ خائنٌ خَبِـلُ [1] .
ليس الجديدُ بـه تَبْقى بشاشتُـه إلاّ قليلاً ، ولا ذو خَلّةٍ يَصِلِ [2] .
والعيشُ لا عَيْشَ إلاّ ما تَقِرّ به عينٌ ، ولا حـال إلاّ سوف تَنْتَقِل [3]
والناسُ مَنْ يَلْقَ خيراً قائلون له ما يشتهي ، ولِأُمّ المُخْطِئِ الهَبَلُ [4].
قد يُدرِكُ المُتأنّي بعضَ حاجتِه ، وقد يكونُ مَعَ المستعجِل الزَّلَـل .
وقد تُباكِرني الصهباءُ يَرْفَعُهـا إليّ لَيِّنَةٌ أعْطافُه ثَمِـل [5] .
أقولُ للحَرْفِ لمّا أنْ شَكَتْ أُصُلاً مَتَّ السِفار ، وأفنى نَيّها الرحَل [6] :
إنْ تَرْجِعي من أبي عُثمانَ مُنْجِحَةً فقد يَهونُ على المُسْتَنْجِـع العَمَل [7] .
أهلُ المدينة لا يَحزُنْكَ شأنُهُمُ ، إذا تَخطّأ عبدَ الواحد الأَجَل [8] .
أما قريشٌ فلن تلقـاهُمُ أبـداً إلاّ وهُمْ خيرُ من يَحفى ويَنْتَعِل [9] :
إلاّ وهم جبلُ اللهِ الذي قَصُرَتْ عنه الجبالُ فما ساوَى به جَبَل [10] .
قوم هُمُ ثَبّتوا الإسلامَ وامْتَنَعُوا قومَ الرسولِ الذي ما بعدَه رُسُل [11] .
كم نالني مِنْهُمُ فضلٌ على عَدَمٍ ، إذ لا أكادُ من الإقتارِ أحْتَمِل.

---

١ خبل : مفسد ؛ مجنون .

٢ — كل جديد تبقى لذته مدة قصيرة ؛ والذي يريد بقاء دائماً لا يناله . الخلة : الفقر .

٣ — والعيش لا يكون عيشاً صحيحاً إلا إذا قرّت بـه عين صاحبه (إذا رضي صاحبه به) .

٤ — الناس يحكمون على نتائج أعمال الفرد : يمدحون الذي ينجح ويلومون الذي يخيب .

٥ تباكرني الصهباء : يؤتى إلي بالخمر صباحاً . لينة أعطافه : شاب . ثمل : سكران (من الشباب ، من غير خمر) .

٦ الحرف : الناقة الضامرة . شكت أصلا مت السفار : اشتكت من استمرار السفر إلى وقت العصر (والعادة أن السفر يكون ليلا ، ثم يتوقف مع طلوع الشمس) . المتّ : المدّ ، (الاستمرار) .

٧ ان ترجعي منجحة : ان تعودي بي وقد نلت عطاء من أبي عثمان (عبد الواحد بن الحارث). العمل : السفر ، السفر الطويل ، التردد بين البلدان .

٨ تخطأ : تخطي (لا يضر أهل المدينة مـا يصيبهم إذا ظل أبو عثمان حياً ، فانه يستطيع وحده أن يدفع عنهم جميع الشرور) .

٩ من يحفى وينتعل (يقصد : على كل حـال : في الضيق والشدة) : (قريش أفضـل من) جميع الناس .

١٠ — لم يبلغ جبل اليهم في الارتفاع (المجد) : لا يساويهم أحد (في علو مقامهم ومجدهم) .

١١ امتنعوا قوم الرسل : حموا المهاجرين الذين جاءوا (١ هـ = ٦٢٢ م) مع الرسول من مكة إلى المدينة . ما بعده رسل : محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل وآخرهم وبـه تمت الرسالة السماوية فلا يكون بعـده رسول .

هم الملوكُ ، وابناءُ الملوكِ هُمُ ، والآخذونَ بهِ والساسةُ الأوَلُ [1] .

— وللقطامي أبيات يفضّل فيها البداوة على الحضارة ويذكر أن الغزو طبيعة في البدوي ، فاذا لم يجد البدويّ غريباً يغزوه غزا أخاه وقريبه ونسيبه(الكامل٣٨) :

ومن تكُنِ الحضارةُ أعجبَتْهُ ، فأيُّ رجالِ باديةٍ ترانا [2] !
ومن ربَطَ الجحاشَ فإنّ فينا قناً سُلُباً وأفراساً حسانا [3] .
وكُنّ إذا أغرْنَ على قبيلٍ — فأعوزَهُنّ كونٌ حيثُ كانا — [4]
أغرْنَ من الضبابِ على حِلالٍ وضبّةَ ، إنّه من حانَ حانا [5] ؛
وأحياناً على بكرٍ أخينا إذا ما لم نجِدْ إلاّ أخانا [6] !

— ومن أقوال القطاميّ المشهورة والجارية مجرى الحكمة :

أمورٌ لو تدبّرَها حكيمٌ إذاً لنَهَى وهيّبَ ما استطاعا [7] .
ولكنّ الأديمَ إذا تفرّى بِلىً وتعيّناً غلَبَ الصّناعا [8] .

---

١ — هم ملوك فعلا (خلفاء) وأبناء الملوك (يفعلون فعل الملوك في الجود والكرم والسياسة والدهاءالخ) . الآخذون به (بالخير) : يفعلون الخير والعمل الصالح .

٢ ... فما أشد ايغالنا في الحياة البدوية !

٣ ربط الجحاش : اتخذ الجحاش (جمع جحش : ولد الحمار) أو الحمير للنقل البطيء في القرى . ان لنا (نحن نقتني) قنا (جمع قناة : قصبة) ، أي رماحاً ، سلباً (جمع سالب : يسلب الحياة ، يقتل) وأفراساً حساناً (جميلة) ، أي أصيلة كريمة .

٤ وكانت خيلنا هذه إذا أرادت الغارة (إذا أردنا نحن الغزو) على قبيل (جماعة) فأعوزهن (لم يجدن) كون (وجود قبيل غني نستفيد من غزوهم) حيث كانا : في مكان ما ....

٥ أغارت خيلنا (غزونا نحن) بني الضباب وبني ضبة ، مثلا (وليست هاتان القبيلتان من القبائل الغنية أو القوية) وهم حلال (نازلون ، مستقرون لا يفكرون بغزو) . انه من حان (قرب منا) حان : (هلك !) .

٦ — وفي بعض الاحيان نغزو أخانا (أخوتنا ، أبناء عمنا) بني بكر (بن وائل) إذا لم نجد أحداً غيرهم نغزوه .

٧ — (في الحياة) أمور لو تدبرها (نظر في عواقبها ، في نتائجها) الحكيم لنهى (انتهى عنها ، امتنع عن فعلها) . وفي القاموس (٤ : ٣٩٨ ، السطر ٦) أن « نهى » بهذا المعنى قليلة الاستعمال ، نادرة . هيب (خوف منها غيره) .

٨ الأديم : الجلد (هنا : الجلد المعد للصناعة) . تفرى (تقطع) بلى (اهتراء من القدم وطول الزمن). تعينا = تعين (تشوه) تشوهاً كبيراً غلب الصناع (لم يستطع الصانع الماهر أن يصنع منه شيئاً جيداً) . — المقصود : ولكن الطبيعة البشرية قد فسدت إلى درجة أن النصح لا يفيد الآخرين ، وأصبح الحكيم نفسه لا ينتصح أيضاً .

وَمَعْصِيَةُ الشفيقِ عليكَ مِمّا يَزيدُكَ مَرَّةً منه اسْتِماعا [1] .
وخيرُ الأمْرِ ما اسْتَقْبَلْتَ منه، وليسَ بأنْ تَتَبّعَهُ اتّباعا [2] .
تَراهُمْ يَغْمِزونَ مَنِ اسْتَرَكّوا ويَجْتَنِبونَ مَنْ صَدَقَ المِصاعا [3] .

٤ – ديوان القطامي (نشره يعقوب بارت) ، ليدن ١٩٠٢ م .
ديوان القطاميّ (تحرير ابراهيم السامرّائي وأحمد مطلوب) ، بيروت (دار الثقافة) ، ١٩٦٠ م .
غ ٢٠ : ١١٨ وما بعدها .

* بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٥ – ٩٦ ؛ زيدان ١ : ٣٤٤ – ٣٤٥ ؛ شعراء النصرانية بعد الاسلام ١٩١ – ٢٠٣ .

عمر بن عبد العزيز

١ – هو عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ بنِ مَروانَ بن الحَكَم بن أبي العاص الأُمويّ ؛ وأمه أمّ عاصم ، وهي ليلى بنت عاصم بن عمر بن الخطّاب .

وُلِدَ عُمَرُ بنُ عبدِ العزيز سَنَةَ ٦٣ هـ (٦٨٢ – ٦٨٣ م) في المدينة [4] ؛ وكان ابوه عبد العزيز وَلِيّاً للعهد ، الا ان عبدَ الملك كان يُحاول أن يُحَوّلَ وِلايةَ العهد من أخيه عبدِ العزيز إلى ابنه الوليد . ففي مُسْتَهَلِّ رَجَبَ من سنة ٦٥ هـ ولّى عبدُ الملك أخاه عبدَ العزيز على مِصرَ أرضاءً له وإبعاداً عن المطالبة بالخلافة . وحَرَصَ عبدُ العزيز على أن يَبْقى ابنُه عمرُ في المدينة يتعلّم فيها الحديثَ والفِقْهَ على علمائها ، وقد بَقِيَ عمر في المدينة حتّى تُوُفِّيَ أبوه عبدُ العزيز

١ إذا عصيت الناصح الشفيق مرة فانك ستضر نفسك وستكون مضطراً إلى أن تستمع منه نصحاً آخر جديداً (أو أن تطلب منه أن يعيد عليك نصحه) .

٢ أفضل الأمور ما تقبلتها في أولها (ما انتهزت الفرصة فيها ما دامت ممكنة) . وليس بأن تتبعه (تتتبعه) اتباعاً (تجهد في أن تتدارك الامور بعد أن تكون قد ولت أو أن تصلح الشيء بعد أن يكون فسد الخ ...) .

٣ – ترى الناس يغمزون (ينخسون ، يضايقون ، يؤذون ، يغلبون) من استركوا (من وجدوه ركيكاً ، ضعيفاً ، ليناً) ويجتنبون (يتجنبون ، يبتعدون ، يحاسنون) من صدق المصاع (من يثبت في المجالدة والمقاتلة : من يرد على الاعتداء بمثله أو بأشد منه) .

٤ في ذلك الحين كان عبد الله بن الزبير قد استبد بالحجاز (راجع فوق ، ص ٤٤٢) .

في مصر ، سنة ٨٤ هـ (٧٠٣ م) .

وكتب عبدُ الملك إلى عمرَ بنِ عبد العزيز يستقدمه إلى دِمَشْقَ ثم زوّجه ابنته فاطمةَ بنت عبد الملك .

وفي شوّال من سنة ٨٦ (٧٠٥م) تُوُفّيَ عبدُ الملك فخلَفَه ابنُه الوليدُ ، وفي ربيعِ الأوّل من سنة ٨٧ هـ (٧٠٦ م) ، بعد خمسة أشهر ، عيّن الوليدُ ابن عبد الملك ابنَ عمه عمرَ بن عبد العزيز والياً على المدينة ، فعاد عمر بن عبد العزيز إلى المدينة التي كان يحبها كثيراً والتي اتفق أن قضى فيها قسماً كبيراً من حياته .

وفي سنة ٩٣ هـ (٧١٢ م) استقدم الوليدُ بن عبد الملك ابن عمه عمرَ من المدينة إلى دمشق من غير أن يُعلِنَ خلْعه أو أن يُسيء اليه ثم عيّن مكانه عثمانَ بن حيّانَ . وكان سبب تنحية عمر بن عبد العزيز عن المدينة إلحاح الحجّاج ابنِ يوسفَ على الوليد بذلك . كان الحجاج يسير في العراق سيرةَ حزمٍ وبطشٍ أحياناً ، فكان نفرٌ كثيرون يَهْرُبون من العراق إلى المدينة فلا يستطيع الحجاج بعد ذلك أن يصل اليهم .

وفي صَفَرَ من سنة ٩٩ هـ (مطلع الخريف من عام ٧١٧ م) كان سليمان بن عبد الملك (٩٦ – ٩٩ هـ) في مرج دابقٍ (شمالي سورية) في حملة على بلاد الروم فتوفي ؛ ولم يكن أحد من ولديه أهلاً للخلافة فأشير اليه بأن يَعْهَدَ بالخلافة إلى ابنِ عمّه عمرَ بن عبد العزيز (وكان عُمَرُ مَعَ سليمانَ في مرج دابق) .

سار عمر بن عبد العزيز في الخلافة سيرةً صالحة : حكم بالعدل وعاملَ الرعيةَ بالاحسان ومَنَعَ الظلم ، فقد أمر بإبطالِ لَعْنِ علي بن أبي طالب على المنابر في عَقِبِ خُطبة يوم الجمعة [1] وجعل مكان اللعن الآية الكريمة من سورة النحل : « إنّ اللهَ يأمُرُ بالعَدْلِ والإحْسانِ وإيتاءِ ذي القُرْبى ويَنْهى عنِ الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ والبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لعَلَّكُمْ تَذَكّرون » (١٦ : ٩٠) . وأمر عمرُ بن عبد العزيز بردّ الجيوشِ الاسلامية من حِصار القُسطنطينية [2] ، كما

١ راجع فوق ، ص ٣٧٢ .

٢ راجع العرب والاسلام في الحوض الشرقي من البحر الابيض المتوسط للمؤلف . (بيروت ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م) ، ص ١١١ .

كان يريد أن يرد المسلمين من الاندلس . فلمّا قِيلَ له ان المسلمين أصبحوا كَثْرَةً قويةً في الأندلس أمر ببقائهم [1] . وعَمَّ الغِنى في أيامه فكان المسلمُ يحملُ زكاتَه ويطوفُ بها في الامبراطورية الإسلامية فلا يَجِدُ مُسْتَحِقّاً يدفعُها اليه . وكان بنو أمية يَتَشَدَّدون في السّماح لغير العرب بالدخول في الاسلام ، فجاء إلى عمر بن عبد العزيز وفودٌ من مِصْرَ ومن بلاد التركستان تشكو اليه ذلك . فأمر عمرُ بأن تُتْرَكَ الحرية للناس ، فدخل أهل مصر وأهل التركستان في الاسلام في أيامه .

ومنع عمرُ بن عبد العزيز أعضاء البيت المالك من بني أمية أن يأخُذوا من بيت المال فوقَ ما يستحقّون فنَقَمَ عليه هؤلاء ، ويبدو أنهم هم الذين دَسّوا له السّمَّ [2] . وإذا كان عمر بن عبد العزيز لم يَمُتْ من السم حالاً فإنه لم يُعَمِّرْ بعد ذلك طويلاً ، فقد كانت وفاته في رَجَبَ من سنة ١٠١ هـ (٧١٩م) ، في دمشق .

٢ – كان عمرُ بنُ عبدِ العزيز من خُطَباء بني أميّة المَعْدودين (راجع البيان والتبيين ٢ : ٣٥٣) . وقد كان لهُ اهتمامٌ بالتأليف فقد أشار على محمدَ بن مُسْلِمِ بن عبيد الله بن شِهابِ الزُّهْري (٥٠ – ١٢٣ هـ) بجمع أحاديثِ رسولِ اللهِ . ونحن لا نعلمُ إذا كان الزهريّ قد جمعها ثم ضاعت مجموعته ، أو انه لم يَجْمَعْها .

وعلى خطابةِ عمرَ بنِ عبدِ العزيز نفحةٌ دينية شديدة مَعَ سلاسة وعذوبةٍ . وله أقوالٌ مفردةٌ رائعة جداً تدل على تفكيرٍ صافٍ وعقلٍ نَيّرٍ بالإضافة إلى صِحةٍ في اللغة ومتانةٍ في التركيب .

٣ – المختار من خطبه وأقواله :

– لمّا تُوفِّيَ سُليمانُ بن عبدِ الملكِ اجْتَمَعَ الناسُ (وكان قد أوصى بالخلافة لعمرَ بنِ عبدِ العزيز) ، فسار عمرُ بن عبد العزيز إلى المسجد ثم خَطَبَ في الناس فقال :

---

١ راجع العرب والاسلام في الحوض الغربي .... للمؤلف (بيروت ١٣٧٨ هـ = ١٩٥٩ م) ، ص ١١٣ .

٢ سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكيم (راجع رقم ٤ من هذه الترجمة) ، ١١٨ – ١١٩ ، ١٧١ .

أيها الناسُ : إنّي قَدِ ابتُليتُ بهذا الأمر من غيرِ رَغْبةٍ كانت مني ولا مَشُورةٍ من المسلمين ، وإني قد خَلَعتُ ما في أعناقكم من بَيْعَتي فَاختاروا لِأنفسِكم .

(فصاح الناس كلهم أنهم يريدونه للخلافة ، فتابع كلامه وقال) :

أوصيكم بتَقْوى اللهِ فإنّ تقوى اللهِ خَلَفٌ من كلّ شيء ، وليس من تقوى الله عزّ وجل خَلَفٌ [1] . وَاعمَلوا لِآخرتِكم ، فانه من عَمِلَ لآخرتهِ كفاهُ الله تعالى أمرَ دُنياه . وأصْلحوا سَرائِرَكم يُصْلِحِ اللهُ الكريمُ علانِيَتَكم . وأكثِروا ذِكْرَ الموت وأحسنُوا الاستِعدادَ قبلَ أن ينْزِلَ بكم هادمُ اللذّات[2] . وإنّ مَنْ لم يذكر من آبائهِ — فيما بينَه وبين آدمَ — حَيّاً لَمُعْرِقٌ في الموت [3] .

وإنّ هذه الامةَ لم تختلفْ في ربّها عزّ وجلّ ، ولا في نَبيّها صلى الله عليه وسلّم ولا في كتابها ، وإنّما اختلفوا (أي أفراد الامة) في الدينار والدِرْهم . واني ، الله ، لا أعطي أحداً باطلاً ولا أمنعُ أحداً حقّاً . إني لست بخازنٍ ، ولكني أضَعُ حيثُ أُمِرْتُ [4] .

أيّها الناسُ : إنه كان قبلي وُلاةٌ تَجْتَرّون مَوَدّتَهُمْ [5] بأنْ تَدْفعوا بذلك ظُلْمَهم عنكم . ألا لا طاعةَ لمخلوقٍ في مَعْصِيَةِ الخالق . من أطاعَ اللهَ وَجبَتْ طاعتُه [6] ، ومن عصى اللهَ فلا طاعةَ له . أطيعوني ما أطَعْتُ اللهَ فيكم [7] ، فاذا عَصَيْتُ اللهَ فلا طاعةَ لي عليكم . أقول قولي هذا وأسْتَغْفرُ

---

١ لو أضاع الانسان كل شيء (من دنياه) لعوضته التقوى ذلك كله (في الآخرة) . ولكن لو ترك تقوى الله (في هذه الدنيا) لما نفعه شيء قط .

٢ هادم اللذات : الموت .

٣ إذا كان الانسان يعلم علم اليقين أن جميع أسلافه بلا استثناء قد ماتوا ، فهذا دليل على أنه هو أيضاً سيموت . معرق في الموت : الموت يأخذ من اسلافه واحداً واحداً منذ زمن قديم جداً .

٤ أنا لا أضن بشيء على أحد منكم ، ولكني أعطي من أمرني الله أن أعطيهم .

٥ تجترون مودتهم : تظهرون المودة لهم بأفواهكم (كالبهيمة تخرج الطعام من جوفها لتعيد مضغه من غير أن يكون في ذلك زيادة في طعامها) .

٦ إذا كان الخليفة يطيع الله فقد وجب على الرعية أن تطيع ذلك الخليفة .

٧ استمروا في طاعتي ما دمت أنا مستمراً في طاعة الله .

اللهَ العظيم لي ولكم .

– وخطب عُمَرُ بن عبد العزيز فقال :

أمّا بعدُ ، أيّها الناسُ : إنه ليس بعد نَبِيّكم صلى الله عليه وسلم نَبِيٌّ ، وليس بعد الكتاب الذي أُنْزِلَ عليه كتابٌ . فما أحَلَّ اللهُ على لِسانِ نَبِيِّهِ فَهُوَ حَلالٌ إلى يوم القِيامة ، وما حَرَّمَ على لسان نبيه فَهُوَ حرامٌ إلى يوم القِيامة . ألا إني لَسْتُ بقاضٍ ولكني مُنَفِّذٌ للهِ ، ولست بِمُبْتَدِعٍ ولكني مُتَّبِعٌ . ألا إني لست بخيرِكم ، ولكني رجلٌ منكم ، غيرَ أن الله جَعَلَني أثقَلَكُمْ حِملاً .

يا أيها الناسُ : إنّ أفضلَ العبادةِ أداءُ الفرائضِ وَاجْتِناب المحارمِ . أقول قولي هذا وأسْتَغْفِرُ الله العظيم لي ولكم .

– **ومن أقوال عمر بن عبد العزيز** (من البيان والتبيين) :

– ما قُرِنَ شيءٌ إلى شيء أفضلُ مِنْ حِلْمٍ إلى عِلْمٍ ، ومن عَفْوٍ إلى مَقْدِرة (١ : ٢٥٨) .

– من قال : لا أدري فقد أحْرَزَ نِصفَ العلم (١ : ٣٩٨) .

– وسأل رجلٌ عمرَ بنَ عبدِ العزيز عن القَتْلى في معركة الجَمل وصِفّين [1] فقال : تلك دماءٌ كَفَّ اللهُ يدي عنها ، فلا أُحِبّ أن أغْمِسَ لِساني فيها (٢ : ٢٨٩ ، راجع ٣ : ١٣٠) .

– مرّ عمرُ بنُ عبدِ العزيز برجلٍ يُسَبِّحُ بالحَصى ، فاذا بلغ مِائَةً عزَلَ حَصاةً [2] فقال له : ألْقِ الحَصى وأخْلِصِ الدّعاء (٣ : ٢٨١) .

– سَمِعَ الناسُ مرةً وَقْعَ الصواعق ودَوِيَّ الريح وصوت المطر ففَزِعوا ، فقال عمرُ بن عبد العزيز : هذه رَحْمَتُه فكيفَ عذابُه (٣ : ٢٨٥) !

٤ – ** سيرة عمر بن عبد العزيز لأبي محمد عبد الله بن عبد الحكم (أحمد عبيد) ، مصر (المطبعة الرحمانية) ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٧ م .

---

١ أيهم أصاب وأيهم أخطأ . راجع الكلام على معركتي الجمل وصفين ، فوق ، ص ٢٣٩ ، ٣٨٠ ، ٤٠٥ .

٢ وضع حصاة واحدة جانباً للدلالة على أن سبح الله مائة مرة .

- سيرة عمر بن عبد العزيز لجمال الدين بن الجوزي ، مصر ١٣٣١ هـ .
- عمر بن عبد العزيز ، لأبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير ، الطبعة الثانية (أحمد الشرباصي) ، القاهرة (الدار القومية للطباعة) بلا تاريخ .
- عمر بن عبد العزيز ، تأليف أحمد زكي صفوت ، مصر (دار المعارف) ، سلسلة « اقرأ » رقم ٦٥ ، ١٩٤٨ م .
- الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز ، تأليف عبد العزيز سيد الاهل ، بيروت (دار العلم للملايين) ١٩٥٣ م .

كعب الأشقري

١ - هو أبو مالك كعبُ بن مَعْدانَ الأشقري ، من الأزْد من بني عائذ ابن دَوْس من اليمن (جَنوب بلاد العرب) ؛ وأمه من بني عبد القيس من الأزد أيضاً . وكعبٌ من شعراء خُراسان [١] النازلين فيها ، كان مسكنه في مرو (غ ١٤ : ٢٩٢ ، السطر ١٢) .

كان كعبٌ الأشقري فارساً شُجاعاً من أصحاب المُهَلّبِ بن أبي صُفرة المذكورين المشهورين في حرب الازارقة من الخوارج . وكان قد هرب من الحجاج بن يوسُفَ وهجاه . فلما طلبه الحجاجُ ولم يَبْقَ له مَفَرٌّ من المجيء اليه بعثه المهلب إلى الخليفة عبد الملك بن مروان فأرسله عبد الملك إلى الحجّاج وأشار على الحجّاج بالإحسان اليه (الكامل ٦٩٤) . فناظره الحجّاج قليلاً ، ثم عفا عنه .

غير أن صلتَهَ كعبٍ الأشقريّ بيزيدَ بن المهلّب بن أبي صفرة كانت سيئةً جداً ، فلما تَوَلّى يزيدُ بن المهلب خُراسانَ ، للمرة الثانية (٩٧ - ٩٨ هـ) هرب كعبٌ إلى عُمانَ [٢] . ومع أنه لم يَستَطِبِ الإقامةَ في عُمانَ فقد بَقِيَ فيها إلى آخرِ عُمرِه . وقد كان بين كعبٍ وبينَ ابنِ أخٍ له عَداوةٌ ، فلما كانت

---

١ معجم الشعراء للمرزباني ٢٣٦ .
٢ الجانب الجنوبي الشرقي من شبه جزيرة العرب .

فِتنةُ يزيدَ بن المهلّب[1] ، سَنَةَ ١٠٢ ﻫ (٧٢٠ — ٧٢١ م) ، عدا عليه ابْنُ عَمّهِ فقتله ، في سنة ١٠٢ ﻫ نفسِها أو في السنةِ التي تليها .

٢ — كعبُ بن معدانَ الأشقريّ شاعرٌ مُجيد مُطيل قَرَنَهُ الفَرَزْدَقُ بنفسه (غ ١٤ : ٢٨٣) . في شعر كعبٍ الأشقري متانةٌ وشيء من المَرَح أحياناً . غير أن شعره ، على سُهولته قليل الطّلاوة . أما فُنونه فهي المدح والهجاء وشيء من الحماسة والفخر وقليل من الغزل وبعض الحكمة . وقدِ اسْتَفْرَغَ مديحه في آل المهلّب[2] ، ثم عاتبهم في آخر حياته فقال ، وهو في عُمانَ (غ ١٤ : ٢٩٢ السطر ١٥) :

أفْنَيْتُ خمسينَ عاماً في مديحِكُمُ ثُمّ اغْتَرَرْتُ بقول الظالم العادي .

وكان كعب الأشقريّ مُتَكَلّماً فصيحاً وخطيباً على البديهة أُعْجِبَ به الحجّاج (البيان والتبيين ١ : ٢٣١ ؛ الكامل ٦٩٤) .

٣ — المختار من شعره وكلامه :

— قال كعبٌ الأشقريّ يمدح المهلّبَ بن أبي صُفْرةَ وابناءه ويذكر قِتال المهلب للخوارج الازارقة . وفي هذه القصيدة مَعانٍ كان يُعْجَبُ بها عبدُ الملك ابنُ مروان (غ ١٤ : ٢٨٦) وابو جعفرٍ المنصورُ العباسيّ (معجم الشعراء للمرزباني ٢٣٦) . وفي هذه القصيدة مديح وفخر :

---

١ كانت سياسة سليمان بن عبد الملك (٩٦ — ٩٩ ﻫ) يمنية (يفضل بهـا عرب الجنوب على عرب الشمال في مناصب الدولة والعطاء) . فلما جاء يزيد بن عبد الملك (١٠١ — ١٠٥ ﻫ) انتهج سياسة قيسية فأغاظ اليمنية ، وهم الكثرة من القبائل التي كانت نازلة في الشام ، فثاروا بقيادة يزيد بن المهلب (وكان يزيد بن المهلب من المقربين إلى سليمان بن عبد الملك) . انتقل يزيد بن المهلب إلى العراق واستقر في البصرة وتسلط على الجزء الجنوبي من العراق وعلى جانب من غربي فارس أيضاً . عندئذ أرسل الخليفة يزيد بن عبد الملك إلى العراق جيشاً قوامه ثمانون ألفاً بقيادة أخيه مسلمة ، فنشبت بين مسلمة وبين يزيد بن المهلب معركة ضارية في واسط (جنوب الكوفة) ، في ١٤ صفر ١٠٢ ﻫ (٢٤—٨—٧٢٠ م) فانهزم يزيد بمن معه ثم سقط قتيلا .

٢ روى الطبري في أخبار سنة ٧٧ ﻫ (٦٩٦ م) لكعب الاشقري قصيدة طويلة (طبعة القاهرة ٧ : ٢٧٠ — ٢٧٣) يمدح بها المهلب بن أبي صفرة .

سلوا أهلَ الأباطحِ من قُرَيْشٍ — عن العِزِّ المُؤَيَّدِ أين صارا [1] ؟

ومَنْ يحمي الثّغورَ إذا اسْتَحَرَّتْ — حُروبٌ لا يَنُونَ لها غِرارا [2] ؟

لَقَوْمي الأزْدُ في الغَمَراتِ أمضى — وأوْفى ذِمّةً وأعزُّ جارا [3] !

هُموا قادوا الجيادَ على وَجاها ، — من الأمصار يَقْذُفْنَ المِهارا [4] ،

إلى كَرْمانَ يَحْمِلْنَ المنايا — بكلِّ ثَنِيَّةٍ يُوقِدْنَ نارا [5] ،

غَداةَ تركْنَ مَصْرعَ عَبْدِ رَبٍّ — يُثِرْنَ عليه من رَهَجٍ عِصارا [6] .

ويومَ الزَّحْفِ بالأهوازِ ظِلْنا — نُرَوّي منهمُ الأسَلَ الحِرارا [7] ،

فقرّتْ أعيُنٌ كانت حديثاً ، — ولم يَكُ نَوْمُها إلاّ غِرارا [8] .

فلولا الشيخُ بالمِصْرَيْنِ يَنْفي — عَدُوَّهُمُ لقد تركوا الديارا [9] .

١ أهل الاباطح : سكان مكة النازلين في وسطها (تمييزاً لهم من أهل الظواهر الذين نزلوا في خارج مكة في الجاهلية لأنهم لم يكونوا من القوة بحيث ينزلون في مكة نفسها ويتولون الحكم).
العز : القوة والمجد . المؤيد : الثابت ، الخالد . أين صار : من ورثه ؟ (ورثه المهلب بن أبي صفرة) .

٣ الثغور : المناطق التي يخشى منها مجيء العدو . إذا استحرت الحروب : اشتدت وكثر القتل فيها . ينون : يفترون ، يكلون ، يضعفون . غرار جمع غار (بتشديد الراء) : غافل . — يستمرون في الحرب ولا يغفلون بل لا يذوقون النوم .

٣ ان قومي الازد أمضى (أحسن معرفة وأحسن إقداماً في الحرب) . الغمرات جمع غمرة : معظم الماء من البحر (وسط المعركة حيث يشتد القتال) .

٤ الجياد : الخيول . على وجاها : على تعبها (لكثرة السير ولكبرها في السن) . والوجى أن يرق باطن القدم من كثرة السير . من الامصار : من كل بلد كبير (دلالة على قوتهم واتساع ملكهم) . يقذفن يسبقن . المهار : الخيل الصغيرة (كناية على مقدرة فرسانها : هم جعلوا خيلهم المسنة تسبق — ببراعتهم في الفروسية — المهار الصغار النشيطة التي يركبها غيرهم) .

٥ كرمان : بلد بفارس . الثنية : العقبة (الطريق الصاعدة في الجبل) . يوقدن ناراً (تقدح حوافرها النار من حجارة الجبال لشدة وقع حوافرها على تلك الحجارة) .

٦ عبد ربه الصغير تولى أمر الخوارج الازارقة بعد مصرع قطري بن الفجاءة (راجع فوق ، ص ٤٥٨) . ونشبت بينه وبين المهلب معركة فسقط عبد ربه قتيلا . الرهج (بسكون الهاء أو بفتحها) : غبار الحرب . العصار : الغبار الشديد .

٧ ... وفي معركة الاهواز (جنوبي غربي فارس) روينا منهم الاسل (الرماح) الحرار (العطاش) لكثرة من قتلنا منهم .

٨ قرت أعين : بردت ، اطمأنت ، رضيت . كانت حديثاً : (؟) في الاغاني (١٤ : ٢٩٦ ، الحاشية٨) : « ورواية ابن أبي الحديد : حزيناً . وحزين كقتيل يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنى والجمع .

٩ الشيخ : المهلب بن أبي صفرة (كناية عن حكمته واختباره وحسن رأيه) . المصران : الكوفة والبصرة . ينفي : يجلي ، يطرد . لولا أن الشيخ (المهلب بن أبي صفرة) قد رد الخوارج عن الكوفة والبصرة لكان أهل هاتين المدينتين قد هاجروا منهما .

ولكن قارع الابطالَ حتى أصابوا الأمْنَ وَاجْتَنَبوا الفِرارا[1].
شِهابٌ تنجلي الظَّلْماءُ عنه يُرَى في كل مُبْهِمَةٍ مَنارا[2] .
بَراكَ الله – حين براك – بحراً وفَجّر منك أنهاراً غِزارا[3] .
بَنُوكَ السابقون إلى المعالي إذا ما أعْظَمَ الناسُ الخِطارا[4] .
كأنّهمُ نجومٌ حول بَدْرٍ دراريٌّ تَكَمّلَ فَاسْتدارا[5] .
مُلوكٌ يَنْزِلونَ بكلِّ ثَغْرٍ ، إذا ما الهَوْلُ يومَ الرَّوْعِ طارا[6].
رِزانٌ في الأمور تَرى عليهمْ من الشيخ الشّمائل والنِجارا[7]
نجوم يُهتَدى بِهِمُ إذا ما أخو الظَّلْماء في الغَمَرات حارا[8] .

– في البيان والتبيين (٣ : ٣٥٨ – ٣٥٩) : قال كعب الأشقريّ لعمر بن عبد العزيز (يشير إلى أن عمر بن عبد العزيز نفسه عادل زاهد ، غير أن ذلك لا نفع منه ما دام العمال – جامعي الزكاة والضرائب – والولاة ليسوا مثله) :

---

١ – ولكن المهلب قارع (حارب) الابطال (الخوارج) . لعلها : « الابطال » (بكسر الهمزة) أي اعتقاد الخوارج الباطل . حتى أمن أهل الكوفة والبصرة وتركوا فكرة الهرب من مدينتهم .

٢ هو شهاب (نجم عظيم النور) تنجلي الظلماء عنه (يتبدد الظلام حيث يوجد) كأنه في كل مكان مظلم منار أو منارة يضيء ما حوله (يبدد الخوف في كل معركة : ينتصر فيها على أعداء الامة) . في الأغاني يرى (بفتح الياء) . « المبهمة » من أبهم الأمر : اشتبه (لا يرى فيه وجه الصواب) .

٣ براك = براك (خلقك) . وفجر منك أنهاراً غزاراً (كثرة الماء) : وهبك أبناء عظماء أخذوا عظمتهم منك .

٤ أعظم (استعظم ، خاف) الناس الخطار (المخاطرة والمجازفة) .

٥ كأنهم نجوم دراري (مضيئة) حول بدر تكمل (تمت له أربع عشرة ليلة) فاستدار (أصبح كاملا : أنت بدر تام وأبناؤك حولك نجوم مضيئة) .

٦ ملوك (كناية عن أن المهلب وأبناءه كانوا ولاة في الكوفة والبصرة والموصل وخراسان الخ) . ينزلون بكل ثغر : يحاربون في جميع أطراف الامبراطورية . الروع : الخوف . طار : تطاير واستطار (انتشر وعم) – إذا كانت معركة شديدة عهد الخليفة اليهم بخوضها (تترك المعارك الصغار لغيرهم) .

٧ رزان جمع رزين : وقور ، يتصرف بهدوء وحكمة . من الشيخ : من أبيهم (راجع الصفحة ٦١٠ ، الحاشية ٩) ، الشمائل جمع شمال (بكسر الشين) : الطبع ، الطبيعة . النجار : الأصل والحسب (العمل الحميد بالسليقة) .

٨ أخو الظلماء : السائر في الليل المظلم . في الغمرات : في الأماكن والاوقات الشديدة الظلام (في الأحوال الشديدة القاسية) .

إنْ كُنتَ تحفظُ ما يَليكَ فإنّما عُمّالُ أرضِكَ بالبلاد ذِئابُ [1] ،
لَنْ يَستَجيبوا للذي تدعو لـه حتى تُجلّدَ بالسيوف رِقاب [2] ،
بِأكُفِّ مُنْصَلِتِينَ أهلِ بصائرٍ في وَقْعِهِنَّ مَزاجرٌ وعِقاب [3] .
هلا قُرَيْشٌ ذكرت (؟) بثغورِها حَزمٌ وأحْلامٌ هناك رِغاب [4] .
لولا قريشٌ نصرُها ودِفاعها أُلْفيتُ مُنْقَطِعاً بِيَ الأسباب [5] !

فلما سمع (عمر) هذا الشعرَ قال : لمن هذا ؟ قال : لرجل من أزدِ عُمانَ ، يقال له كعبٌ الاشقريّ . قال : ما كنتُ أظن أهلَ عُمانَ يقولون مثل هذا الشعر !

– لما دخل كعب الأشقري على الحجّاج وأنشده قصيدةً سأله الحجّاج عن بني المهلب فقال كعب (الكامل ٦٩٤ – ٦٩٥ ؛ الاغاني ١٤ : ٢٨٥–٢٨٦) :

المُغيرةُ فارسُهُم وسيّدهم ، وكفى بيزيدَ فارساً شُجاعاً . وسَخيّهم قُبَيْصةُ ، ولا يَستَحْيي الشجاعُ أن يَفِرَّ من مُدْرِكٍ [6] . وعبد الملك سُمٌّ ناقعٌ [7] ، وحبيب موت ذُعاف ، ومُحمّدٌ لَيْثُ غاب [8] . وكفاك بالمُفَضّل نَجْدةً .

قال (الحجّاج) : فكيف خلّفْتَ جماعةَ الناس ؟ قال (كعب) : خلفتُهم بخيرٍ قد أدركوا ما أمّلوا وأمِنوا ما خافوا .... قال (الحجّاج) :

١ إذا كنت أنت تحفظ البلاد القريبة منك فان العمال (جامعي الضرائب) في البلاد البعيدة عنك ذئاب (يأكلون الناس) .
٢ لن يسيروا بسيرتك في الزهد و العدل حتى (تهددهم) بقتلهم أو حتى تقتل بعضهم فيرتدع الباقون عما يفعلون الآن .
٣ المنصلت : الرجل الحازم الذي يمضي (ينفذ) عزيمته بلا تردد . أهل بصيرة (عارفون) بالامور يعاقبون المجرم بالقتل فينزجر الذي يهم بالجريمة .
٤ – هل يتذكر بنو أمية المعروفون بالحزم ورجاحة العقل ما يمكن أن تصير اليه أطراف البلاد (من الضياع والثورات) إذا كان الولاة والعمال يستمرون في هذه السيرة الظالمة (؟) . رغاب : واسعة .
٥ لولا أنني حريص على نصرة بني أمية والدفاع عن ملكهم لقطعت صلتي ببني أمية .
٦ إذا أيقن الشجاع أن لقاء خصمه سيؤدي به إلى الهلاك فلا عار عليه في الهرب .
٧ سم ناقع : بالغ (يصل إلى القلب) ثابت (لا ينفع فيه ترياق : علاج) . – لا تتقي ضربته ، لا ينجو منه مقاتل .
٨ سم ذعاف : يقتل من ساعته .. غاب جمع غابة . – لا يستطيع أحد أن ينازله في معركة ، ومن تصدى له قتل من ساعته .

فكيف كنتم أنتم وعدوّكم ؟ قال (كعب) : كنا إذا أخذْنا عفَوْنا ، وإذا أخذوا يئسنا منهم [1] ، وإذا اجْتَهَدوا وَاجْتَهَدْنا طَمِعْنا فيهم . قال (الحجّاج) : فكيف كان لكم المهلب وكيف كنتم له ؟ قال (كعب) : كان لنا منه شَفَقَةُ الوالد وله منا بِرّ الولد .... قال (الحجّاج) : أكُنتَ أعْدَدتَ لي هذا الجوابَ؟ قال (كعب) : لا يَعْلَمُ الغَيْبَ إلاّ اللهُ !!

٤ — ** الاغاني ١٤ : ٢٨٢ — ٣٠٠ .

الحكم بن عبدل الأسدي

١ — هو الحَكَمُ بن عَبْدلِ بن جَبَلَة بن عمرو بن ثَعْلبةَ بن عِقال من بني غاضرة بن مالك بن ثعلبة بن دُودان بن أسد ، ولذلك شُهِرَ بِاسْمِ الحكمِ ابن عبدل الأسدي ، كما كان يُقال له أيضاً الحكم بن عبدل الغاضري . وقد كان منزلُه ومنشأه في الكوفة .

كان الحكم بن عبدل من أول أمره شِيعةً لبني أميّة . فلمّا ظَفِرَ عبد الله ابن الزبير بالعراق ، سنة ٦٤ ه ، وأخرج منه عُمّال بني أميّة **خرج الحكم ابن عبدل معَهم إلى الشام** . ويبدو أنه لم يتّصل بالبلاط الأمويّ اتّصالاً وثيقاً إلاّ بعد أن جاء عبد الملك إلى الخلافة ، (أواخر رمضان ٦٥ ه ، أوائل ايار — مايو ٦٨٥ م) ... ثم انّه كان فيما بعد يتردّد بين بلاط دمشق وبين الكوفة يتكسّب من الخلفاء ومن الولاة . وبما أن الحكم بن عبدل كان أعْرَجَ أحدبَ فقد كان يترك الوقوف كغيره من الشعراء بأبواب الممدوحين . وكان يكتب حاجته على عصاه التي يستعين بالمشي بها ثم يبعثها إلى الذين يأمل في نَواِلهم فلا يُحْبَسُ له رسولٌ ولا تُؤخّر له حاجة . ولقد أعفاه الحجّاج بن يوسف وعمر ابن هبيرة من الغزو للزمانة (العاهة الدائمة) التي كانت فيه .

اتّصل الحكم بن عبدل بعبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب

---

[1] إذا تمكنا منهم عفونا عنهم . وان تمكنوا منا يئسنا من النجاة . وإذا بذل كل واحد منا جهده كنا نحن أكثر أملا في الانتصار عليهم .

أميرِ الكوفة (البيان والتبيين ٣ : ٧٦) ؛ وعبد الحميد هذا ناب في الكوفة عن يزيد بن المُهلّب سنة ٩٩ هـ . ثم ان الحكم اتّصل بعُمَرَ بن ِ هُبيرة ، فأعفاه عمر بن هبيرة من الجهاد (الاغاني ٢ : ٤١٧) ... وبما ان عمر بن هبيرة لم يلِ البصرةَ إلاّ في سنة ١٠٢ هـ (٧٢١ م) ، فلعلّ وفاة الحكم بن عبدل الاسدي كانت بعد ذلك بمدّة (سنة ١٠٦هـ) ، لأن الحكم بن عبدل كان قد أقْعِدَ قبل موته.

٢ — كان الحكم بن عبدل بعيداً عن الخُلُق الكريم يتكسّب بالشعر ويُذلّ في ذلك نفسه بالخضوع وبالكذب ، وكان مدمناً للشراب كثير المُجون ، كما كان مَرِحاً في حياته فَكِهاً طيّب العِشرة والمُنادمة .

وكان الحكم بن عبدل شاعراً مُجيداً للقصيد وللرَجَز ، وفي المُقَطّعات والطِوال . وأكثر شعره الهجاء ، فقد كان هجّاءً خبيث اللسان . ولقد كان له مدح ورثاء وغزل ومجون وقول كثير جيّد في الأدب (الحكمة) . وقد كان يتهم بأن كثيراً من اغراضه اغراض غير شريفة ، في « الفأر » وأمثاله (راجع الامالي ٢ : ٢٦٥) .

٣ — المختار من شعره :

— اختار أبو تمّام في ديوان الحماسة للحكم بن عبدل أبياتاً في الأدب منها :

أطْلُبُ ما يَطْلُبُ الكريمُ من الـرزِ ... ق لنفسي ، وأُجْمِلُ الطلبا [١] .
إنّي رأيت الفتى الكريمَ إذا ... رَغّبتَه في صَنيعةٍ رَغِبا [٢] .
والعبدُ لا يطلب العَلاءَ ولا ... يُعْطيك شيئاً إلاّ إذا رَهِبا .
ولم أجِدْ عُروةَ الخَلائق إلاّ الد ... ينَ — لمّا اعتَبَرتُ — والحَسَبا [٣] .
قد يُرْزَقُ الخافضُ المُقيم وما ... شدّ بعَنْسٍ رَحْلاً ولا قَتَبا [٤] ،

١ أجمل الطلبا : أطلب (الرزق) بغير عنف أو فظاظة بل باللين والخطة الجميلة .
٢ الصنيعة : العمل الحميد الكريم.
٣ عروة الخلائق : جامع الاخلاق ، الأساس الذي تقوم عليه الاخلاق كلها . لما اعتبرت : لما تأملت وفكرت . الحسب : العمل الحميد .
٤ الخافض : العائش في نعمة وترف . المقيم : الذي لا يبرح بلده . العنس : الناقة الصلبة. الرحل والقتب : ما يشد على الناقة ليركب عليه المسافر . — قد يرزق الانسان رزقاً حسناً من غير أن يسافر في طلب الرزق أو يكد .

ويُحْرَمُ المالَ ذو المَطيّة والسرّ حلْ ومَنْ لا يزال مُغتربا .

– كان الحكم بن عبدل ممّن يدخل على عبد الملك ويَسْمُرُ عنده ، فقال ليلةً لعبد الملك يتحبّب اليه بالتعريض بعبد الله بن الزبير وأنصاره :

يا ليت شِعري – وليتٌ ربّما نَفَعَتْ – هل أبْصِرَنّ بني العوّامِ قد شُملوا [1]
بالذُلِّ والأسْرِ والتشريد ؟ إنّهمُ على البريّة حَتْفٌ أينما نزلوا ؛
أم هل أراك بأكنافِ العِراق ، وقد ذَلّت لعِزّكَ أقوامٌ وقد نُكِلوا [2] ؟

– كان الحكم بن عبدل الاسديّ مُنقطعاً إلى بِشْر بن مروان ، وكان بشرٌ يأنَسُ به ويُحِبّه ويستطيبه . فلمّا وَلِيَ بشرٌ البصرةَ اصْطحب الحكمَ بن عبدل اليها . فلمّا مات بشر جَزِعَ الحكم عليه وقال يرثيه (وفي هذه المرثية تحليل وفيها حكمة) :

أصبحتُ جَمّ بلابلِ الصّدْرِ مُتَعَجّباً لِتَصَرّفِ الدهرِ [3] .
ما زِلتُ أطلُبُ في البلاد فتىً لِيكونَ لي ذُخْراً من الذخر [4] ،
ويكونَ يُسْعِدني وأُسْعِده – في كل نائبةٍ من الأمر – [5] ،
حتّى إذا ظَفِرتْ يَدايَ به جاء القضاءُ بحَيْنه يجري [6] .
إنّي لَفي هَمٍّ يُباكرني منه وهمٍّ طارقٍ يَسْري [7] .
فَلأَصْبِرَنّ ، وما رأيتُ دَوًى لِلْهَمِّ غيرَ عزيمة الصبر [8] .

---

1 بني العوام : أسرة عبد الله بن الزبير بن العوام . شملوا : أحيط بهم (عمهم الذل والاسر والتشريد) .

2 أكناف : أطراف . نكلوا (بالبناء للمجهول) : أبعدوا عن المناصب وعن النعمة التي يتمتعون بها الآن ثم عذبوا .

3 البلابل جمع بلبال : شدة الهم والقلق . تصرف الدهر : سلوكه الغريب في الناس .

4 الذخر : ما يعده الانسان للمستقبل ليعتمده ويدفع به الأذى أو الحاجة عن نفسه . من الذخر : من أنواع الذخر المفيدة .

5 الاسعاد : المساعدة والعون على احتمال الصعاب والمصائب . كل نائبة من الأمر : كل مصيبة مهما كان نوعها .

6 القضاء : الأمر المحتوم على الناس . الحين : الموت .

7 يباكرني : يأتي علي باكراً (في الصباح) . الطارق : القادم مع مجيء الليل . يسري : يسير في الليل (يدوم طول الليل) .

8 الدوى : الدواء ، العلاج .

والله ، مَا استعظمتُ فُرقَتَـه حتّى أحاط بفَضْله خُبْري[1] !

– وللحكم بن عبدل أبيات في الأدب منها (الامالي ٢ : ٢٦٥ – ٢٦٦) :

وإنّي لأستَغْني فما أبطَرُ الغنى ، وأعرِض مَيْسوري لمَنْ يبتغي عَرْضي[2].
وأُعسِرُ أحياناً فتشتدّ عُسْرتي فأُدرِكُ مَيْسورَ الغنى ومعي عِرضي[3] ،
لأُكرِمَ نفسي أن أُرى مُتَخَشّعاً لذي مِنّةٍ يُعطي القليل على النّحْض[4] .
أكُفّ الأذى عن أُسْرتي وأذُوده ، على أنني أجزي المُقارِض بالقَرض[5] .
وأبْذُلُ معروفي وتصفو خليقتي إذا كُدّرَتْ أخلاقُ كلّ فتىً مَحْض[6] .
وأقْضي على نفسي ، إذا الحقّ نابَني ؛ وفي الناس من يُقْضى عليه ولا يَقْضي[7].
ولستُ بذي وَجْهَيْنِ في مَنْ عرَفْتُه، ولا البخلُ فاعْلَمْ من سمائي ولا أرضي

٤ – ** الاغاني ٢ : ٤٠٢ – ٤٢٦ ؛ معجم الأدباء لياقوت ١٠ : ٢٢٨ – ٢٣٩ (موجز ما في الاغاني !) .

---

١ – ما أدركت عظم المصيبة بموت بشر بن مروان إلا بعد أن كنت قد اختبرت فضله وكرمه اختباراً عاماً صحيحاً .

٢ أبطر الغنى : أبطر بالغني ، يبطرني الغنى (يجعلني متكبراً فأسيء التصرف به). « الغنى » مفعول به . وأعرض (أبدي استعداداً للمساعدة) ميسوري (بما يتيسر لدي من الخير ، بالخير القليل الحاضر لدي) لمن يبتغي (يريد ، يحتاج إلي ، يطلب ، يقبل) عرضي (استعدادي للمساعدة ، اقتراحي) .

٣ الاعسار والعسرة : اشتداد الحاجة إلى المال ، الفقر . أدرك : أنال ، أكسب . ميسور الغنى : الشيء الممكن من المال . ومعي عرضي : من غير أن أدنس عرضي (من غير أن أهدر كرامتي بعمل قبيح أو غير لائق ، من غير أن أذل نفسي) .

٤ متخشعاً : ذليلا ، مستكيناً ، راكعاً . النحض : كثرة اللحم (والمال) ؛ الالحاف (الالحاح) في السؤال . ذو المنة : الذي إذا أعطى أحداً شيئاً أذله وهو يعطيه ذلك الشيء ثم استمر يذكره بفضله عليه . – من الناس من يكون غنياً جداً ولا يعطي إلا شيئاً قليلا (بعد الحاح المحتاجين في الطلب منه) ثم هو يظل يذكرهم باحسانه اليهم .

٥ أذوده : أدفعه ، أرده (أحمي أسرتي من الأذى وأدفعه عنها) . أجزى المقارض (الذي يسلف إلي خيراً أو شراً) بالقرض (بمثل ما صنع معي من خير أو شر) .

٦ المحض : الخالص ، النقي . الفتى المحض : الرجل النبيل الشريف الاصل الحميد الافعال .

٧ – وأحكم على نفسي بما عليها من الحق أو الباطل . إذا الحق نابني (أصابني) : إذا كان الحق علي (إذا كنت مخطئاً) . وفي الناس فرد قد لا يعرف الحق من الباطل أو لا يحفظ كرامة نفسه فلا يرجع إلى الحق من تلقاء نفسه ، بل يجبره الآخرون دائماً على الاقرار على نفسه بأنه مخطئ .

كُثَيِّر عَزّة

١ – هو أبو صخر كُثَيِّرُ بن عبد الرحمن بن الاسود بن عامر من بني خُزاعة بن ربيعة من الازد من قَحطان (غ ٩ : ٣ – ٤) ، وقيل هو من بني عمرو بن خُزاعة بن الصَلت بن النَضْر بن كِنانة من مُضَر[١] . وأمّه جُمعة بنت الاشْيَم[٢] ، ولذلك كان يقال أيضاً : كثير بن أبي جمعة .

وُلِدَ كُثَيِّر ، فيما يبدو ، في بَيْسان بين المدينة وخيبر من شمالي الحجاز ، نحو سنة ٤٥ ه (٦٦٥ م) . ومات أبوه وكان هو لا يزال صغيراً فكفله عمه فكان يرعى غنماً لعمّه . ويبدو أن كثيّراً اعتنق منذ صباه مذهب الكَيْسانية ، وهم فرقة من غُلاة الشيعة ينتسبون إلى المختار بن أبي عبيد الثقفي ويزعُمون أن محمد بن الحنفية[٣] لم يمت وأنه موجود في جبل رَضْوى قرب المدينة وعنده ماء وعسل لمعاشه . وكذلك كان هؤلاء يؤمنون بالتناسخ وبالرَجعة[٤] .

وكذلك عشق كثيّر في صباه عَزّةَ بنت حُميل (بالحاء المهملة) بن وقّاص من بني حاجب من بني ضُمرة ، ولذلك يقال لها عزّة الضمريّة وعزّة الحاجبية . وأحب كثيّر عزّةَ وكانت لا تزال صغيرة جداً ، وكانت حُلوة حُميراء نظيفة الثوب حُلوة الحديث . وقد كان أهل عزّة يسكنون في شمالي الحجاز ، شرق أيْلة (العقَبة) ، ولكنّ كثيّراً رآها في المدينة فأحبها . وكرهت عزّة في أول الأمر كثيّراً ، فقد كان صغير الرأس قبيحاً قصيراً جداً ، لكنّها عادت فشُغِفت به . وتزوّجت عزّة فيما بعد ، غير أن كُثَيّراً ظل محبّاً لها . وقد زعم قومٌ أنه لم يكن مخلصاً في حبها ، وأنه أحب بعدَها فتاةً اسْمُها أم الحُوَيرث . وماتت عزّة قبل كثيّر ، ولكثيّر رثاء فيها .

ومع أن كثيّراً كان شيعياً غالِياً فانه نال حَظوةً عند بني أميّةَ فمدح

---

١ ديوان كثير ١ : ٥ – ٦ عن سيرة هشام (١ : ٦١ ؛ خزانة الأدب ٢ : ٣٨١) .

٢ الاشيم لقب الاسود جد كثير (راجع وفيات ٢ : ١٨٩) .

٣ خولة الحنفية زوج علي بن أبي طالب .

٤ التناسخ : تقلب النفس الواحدة في عدد من أجساد الناس والحيوان . الرجعة : رجوع النفس بعد الموت إلى الجسد الذي كانت فيه .

عبد الملك بن مروان وأخاه عبدَ العزيز واليَ مصر ؛ ومَعَ أن عمر بن عبدالعزيز لم يكن يُجيز الشعراء فقد أجاز كُثيّراً بثلاثمائة درهم .... ولكننا لا نرى لكثيّر اتصالاً بالوليد وبسليمان ابني عبد الملك .

وبعد مرض قصير توفّي كثير في المدينة ، سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣ م) .

٢ – كُثيّرُ عَزّةَ شاعر مكثر من فحول الشعراء من الطبقة الثانية من الاسلاميين بعد جرير والفرزدق . « وهو عندَ أهلِ الحجاز أشعرُ من البعيث والقَطاميّ ، ومن الفرزدق وجَرير والأخطل وراعي الابل » (طبقات الشعراء ١٢١ ، ١٢٢ ، راجع ١٢٣) . وكثيّر شاعر رقيق بَدْوِيّ الاسلوبِ يُجيد الغزل والوصف والمديح ، وله رثاء قليل .

٣ – المختار من شعره :

– قال كُثيّر عَزّة يَنْسِب بعزّة :

خليليّ ، هذا رَبْعُ عَزّةَ فاعْقِلا	قَلوصَيْكما ثم ابْكِيا حيثُ حلّتِ [١] .
ومُسّا تُراباً كان قد مَسّ جِلْدَها	وبِيتاً وظلاّ حيثُ باتتْ وظلّتِ [٢] .
ولا تَيْأسا أن يَمْحُوَ اللهُ عنكما	ذنوباً إذا صَلّيتما حيث صلّتِ .
وما كنتُ أدري قبل عَزّةَ ما البُكا	ولا مُوجعاتِ القلبِ حتى تَولّت [٣] .
وكانت لقطع الحبل بيني وبينها	كناذرةٍ نذراً فأوْفَتْ وحَلّت [٤] .
فقلت لها : يا عَزّ ، كلُّ مُصيبةٍ	إذا وُطّنت –يوماً– لها النفسُ ذلّت [٥] .

---

١ اعقلا قلوصيكما : اربطا ناقتكما . حلت : نزلت ، سكنت .

٢ بات : قضى الليل . ظل : قضى النهار .

٣ موجعات (بالرفع ، معطوفة على البكا : مبتدأ مؤخر). موجعات (منصوبة بالفعل أدري وعلامة نصبها الكسرة) . حتى تولت : حتى أصبحت والية على قلبي (ملكته بحبي لها) .

٤ الناذرة : التي أقسمت أن تعمل عملا معيناً . أوفت = وفت : نفذت أو حققت العمل الذي كانت قد أقسمت أن تعمله . حلت : خرجت من احرامها (النذر قسم أو يمين يجب تنفيذه، فما دام المرء لم ينفذه فهو آثم . فاذا نفذه فقد حل نفسه من الاثم) .

٥ – إذا عزم الانسان على احتمال المصيبة فان المصيبة تهون وتخف .

ولم يَلْقَ انسانٌ من الحب مَيْعَةً تَعُمُّ ولا عَمياء الا تجلّت [١] .
كأنّي أنادي صخرةً ، حين أعرضت من الصُّمّ لو تمشي بها العُصْمُ زلّت [٢] .
صَفوحاً فما تلقاكَ إلا بخيلةً ، فمَنْ ملّ منها ذلك الوصلَ ملّت [٣] .
فما أنصفتْ : أما النساءَ فبَغّضتْ إليّ ، وأما بالنّوالِ فضَنّت .
يُكلّفها الغَيْرانُ شتمي ، وما بها هَواني ، ولكنْ للمليك استذلّت [٤] .
هنيئاً مَريئاً — غيرَ داءٍ مُخامِرٍ — لعزّةَ من أعراضنا ما استحلّت [٥] .
أسيئي بنا أو أحْسني ، لا مَلومة لدينا ولا مَقْليّةٌ ان تَقَلّت [٦].
فما أنا بالداعي لعزّةَ بالجَوى ، ولا شامتٍ إن نَعْلُ عزّةَ زلّت [٧].
فلا يَحْسَبِ الواشون أن صَبابتي بعزّةَ كانت غَمرةً فتَجلّت [٨] .
فوالله ثم اللهِ ، ما حلّ قبلَها ولا بعدَها من خُلّةٍ حيث حلّت [٩] .

---

١ الميعة : عنفوان النشاط . العمياء : الضلالة . — كل شدة من الحب (ومن غيره أيضاً) ستتجلى (ستنكشف ، ستزول) .

٢ — كأني حينما أنادي عزة أنادي صخرة صماء قاسية (لا تسمع النداء فلا تجيب) من تلك الصخور التي إذا سارت عليها العصم (الظباء والوعول التي في أيديهما بياض ، وهي تألف الجبال) زلت (تعثرت) . أعرضت : صدت .

٣ صفوحاً : صادة ، معرضة ، ملتفتة عني . لا تلقاك إلا بخيلة : لا تنعم عليك إلا نادراً . ذلك هو أقصى ما تمنحه للمحب من الوصل ، فمن لم يرض ذلك منها تركته مرة واحدة .

٤ الغيران (يقصد زوجها) . ما بها هواني : لا تريد اهانتي وشتمي . للمليك : للمالك (لزوجها) . استذلت : أطاعت . — اتفق أن عزة أرادت أن تشتري سمناً فدخلت خباء كثير اتفاقاً ، وكان كثير يبري سهماً ، فلما رآها ذهل وجعلت الشفرة تصيب ذراعه فدميت ذراعه . فأسرعت عزة تمسح دمه بثوبها . ثم ان كثيراً أعطاها نحي سمن كان عنده . فلما عرف زوجها بالقصة أمرها أن تخرج اليه وتشتمه بصوت مرتفع . فاضطرت إلى أن تفعل ذلك .

٥ — إذا كانت عزة قد استحلت عرضي (شتمتني) فانني قد سامحتها بذلك من غير أن أضمر لها كرهاً أو حقداً .

٦ الملول والملولة : التي تمل (بالبناء للمعلوم بمعنى كارهة ، أو بالبناء للمجهول بمعنى مكروهة) . مقلية : مبغضة (بالبناء للماء للمجهول) . تقلت : تبغضت (أظهرت البغض) .

٧ الجوى : المرض (بالحب) ، الألم الذي يصحب المحب .

٨ غمرة : شدة (عارضة ، كالموجة التي تغمر شيئاً ثم تمر) . تجلت : انكشفت ، زال أثرها .

٩ الخلة : الحبيبة . — ما أحببت أحداً إلا عزة .

وانّي وتَهْيامي بعزّةَ بعد مـا تَخلّيتُ ممّـا بيننا وتخلّتِ [1] ،
لَكالمُرْتجي ظِـلَّ الغَمامةِ ، كُلّما تَبَوّأ منهـا للمَقيل اسْتقلّتِ [2] .
فان سأل الواشون : فيمَ هجرتَها ؟ فقل : نفسُ حرٍ سُلّيَتْ فتَسَلّتِ [3] .

— وقال كثيّر مشيراً إلى أمور من عقيدة الكيسانية . (غ ٩ : ١٤ — ١٥) :

ألا إنّ الأئمةَ — من قُريشٍ — ولاةَ الحقّ أربعةٌ سَواءُ [4] :
عَلِيٌّ والثلاثةُ من بَنيـه هم الاسباطُ ليس بهم خَفَاء [5] .
فسِبْطٌ سِبطُ إيمانٍ وبِرٍّ ، وسبط غَيّبته كَربلاء [6] .
وسبط لا تراه العين حتّى يَقودَ الخيلَ يَقدُمها اللواء [7] ،
تَغَيّب ، لا يُرى ، عنهم زماناً برَضْوى عنده عسلٌ ومـاء .

— وقال كثيّر يمدح عمر بن عبد العزيز :

وَلِيتَ فلم تَشْتُمْ عَليّاً ، ولم تُخِفْ بَرِيّاً ، ولم تقبلْ إشارة مُجرمَ ،
وصدّقتَ بالفعل المَقالَ ، مع الذي أتيتَ ، فأمسى راضياً كلّ مُسْلِم .
وقد لَبِستْ — لُبْسَ الهَلوكِ ثيابَهـا تَراءى لك — الدّنيا بكفٍّ ومِعْصَمِ [8] ،
وتُومض أحيانـاً بعينٍ مريضـةٍ ، وتَبْسِمُ عن مثل الجُمان المُنَظّم [9] .

---

١ و ٢ التهيام : شدة الهيام ، العشق الذي يؤدي بصاحبه إلى الوسوسة فالجنون . تخليت مما بيننا وتخلت : عزمت على ترك حبها وعزمت على ترك حبي. وتهيامي (الواو للقسم) : أقسم بحبي العظيم لعزة . ويجوز أن يكون « وإني وتهيامي بعزة.... لكا لمرتجي » : مثلي في حبي لعزة (ومثلها) كمثل الذي يريد أن يستظل من حر الشمس بظل الغيمة المارة كلما جلس في ظلها تابعت الغيمة سيرها فيظل هو في حر الشمس (يقصد أنه لايزال يحب عزة ، ولكن عزة لا تبالي به) .

٣ — وأخيراً حمل كثير نفسه على نسيان عزة فنسيتها نفسه .

٤—٧ الخلفاء أربعة فقط وهم في مقام واحد : علي بن أبي طالب وأبناؤه الثلاثة . السبط (بكسر السين) : الحفيد من البنت (يقصد أبناء بنت الرسول). سبط ايمان وبر : الحسن . سبط غيبته كربلاء : الحسين. وسبط لا تراه العين .... : محمد بن الحنفية ، وهو ليس من أسباط الرسول ولكن جمع من الحسن والحسين تغليباً . يقود الخيل يقدمها اللواء : يرجع بجيش للقضاء على الظالمين .

٨ الهلوك : الفاجرة المتساقطة على الرجال ؛ الحسنة التبعل لزوجها .

٩ أومضت المرأة : سارقت النظر ، غمزت بعينها . عين مريضـة : فاترة الجفون من الجمال والدلال . وتبتسم أسنانها كأنها الجمان (اللآلي الكبار) ، كناية عن الاغراء والاغواء .

فأعرضتَ عنها مُشْمئزّاً كـأنّمـا سقتك مَدوفاً من سَمام ٍ وعَلْقم [1] .
فلمّا أتاكَ المُلْكُ عفْواً – ولم يكن لطالب دنياً بعدَه من تكلّم – [2]
تركتَ الذي يفنى وان كان مُونِقاً ، وآثرتَ ما يبقى برأي مُصَمّم [3]
فما بين شرق الارض والغرب كلّها مُنادٍ يُنادي من فصيحٍ وأعجم ،
يقول : أميرَ المؤمنين ، ظلمتَني بأخذٍ لدينارٍ ولا أخذ دِرْهم –
ولا بَسطِ كفٍّ لامرئ غيرِ مُجْرم ، ولا السفكِ منه ظالماً مِلْءَ مِحْجَم [4] .
ولو يستطيع المسلمون لَقَسّموا لك الشطرَ من أعمارِهم غيرَ نُدّم !

٤ – شرح ديوان كثيّر بن عبد الرحمن الخزاعي المعروف بكثيّر عزّة (اعتنى بجمعه هنري بيرس) ، الجزائر ١٩٢٨ .
** العشّاق الثلاثة : جميل وكثيّر وعبّاس فوز ، تأليف زكي مبارك ، مصر ١٩٤٥ .
غ ٩ : ٣ – ٣٩ ؛
بروكلمان ١ : ٤٤ ، الملحق ١ : ٧٩ ؛ زيدان ١ : ٣٣٢ – ٣٣٤ .

نُصيب بن رَباح

١ – كان ابو الحَجناء أو أبو مِحْجَن نُصيبُ بنُ رباحٍ عبداً رقيقاً نُوبيّاً لرجلٍ من أهل وَدّانَ في وادي القُرى (شماليّ الحجاز) ، قيل من بني كعب بن ضُمرة من كِنانة ، وقيل من بَلِيّ بن قُضاعة . وكان والدا نُصيب عبدَيْن نوبيين أسودين ، فكان هو شديدَ السواد ، ولكنّه كان حَسَنَ الزيِّ نظيفَ الثياب .

وعاش نُصيب معَ أهله وولَدِه على الرِقّ زماناً . ثم قال الشعر فكاتب على نفسه [5] ورَحَلَ إلى والي مصر عبدِ العزيز بن مروان (٦٥ – ٨٤ هـ)

١ كأنها تريد أن تسقيك السم القاتل مدوفاً (مخلوطاً ، ممزوجاً) بالعلقم (بالمرارة) .
٢ عفواً : من غير طلب له . ولا يطمع انسان بشيء وراء الملك (؟) .
٣ المؤنق : الحسن الذي يعجب العين . مصمم : حازم لا يثنيه شيء عما أراد .
٤ لم تعاقب إلا المجرمين والظالمين .
٥ كاتب العبد مولاه على نفسه : اتفق مع مولاه على مبلغ يؤديه إلى مولاه (سيده ، صاحبه – بالتقسيط) على أن يصبح حراً إذا وفى المبلغ المتفق عليه .

ومدحه . وأعْجِبَ عبدُ العزيز بنصيب فاشتراه من مولاه مَعَ أهله وولده وأعتقهم جميعاً . فكان نصيب يَرْحَلُ في كل عامٍ إلى عبد العزيز مادحاً اعترافاً بفضله .

وبعد اتصال نصيب بعبد العزيز بن مروان اتصل بعبد الملك وبسُليمان بن عبد الملك ، ثم بعُمَرَ بن عبد العزيز والياً على المدينة وخليفةً . ثم إنّه اتصل أيضاً بيزيد بنِ عبد الملك وأدرك هشاماً . وعلى هذا يجب أن يكون نُصيب قد تُوُفِّيَ بين سنة ١٠٥ وسنة ١١٠ للهجرة (٧٢٤ — ٧٢٨ م) وعُمْرُهُ نحو ستين سنة أو تزيد قليلاً .

٢ — كان نُصيبُ بنُ رَباحٍ شاعراً فَحْلاً فصيحاً جيّد الكلام مُقَدّماً في المديح والنسيب والرثاء . وقد قال النسيب في مطلع حياته عفيفاً رقيقاً ثم تركه وتَوَفّرَ على المديح . وكان له رَجَزٌ أيضاً . ولنُصيبٍ شيء من الحكمة والفخر . وله في سوادِ لونه شِعْر كثير على مِثال شعر عنترة في مثل ذلك . وقيل لم يكن نصيبٌ يُحبّ الهجاءَ ، ولم يكن يحسنه .

٣ — المختار من شعره :

— قال نصيب يمدح عبد العزيز بن مروان لما رحل اليه بمصر :

لِعبدِ العزيزِ على قومِهِ ... وغَيْرِهِمُ نِعَمٌ غامِرَهْ :
فبابُك أَلْيَنُ أبوابِهِم ، ... ودارُك مأهولةٌ عامره ،
وكلبُك آنَسُ بالمُعْتَفينَ ... مِنَ الأُمِّ بالإبنة الزائره .
وكفّك ، حين تَرَى السائلينَ ، ... أنْدى من الليلة الماطره .
فمنك العطاءُ ، ومني الثناءُ ... بكلّ مُحَبَّرَةٍ سائره [1] .

— وقال يمدح سليمان بن عبد الملك :

أقولُ لِرَكْبٍ صادرين لَقيتُهُمْ : ... قِفُوا ، ذاتَ أَوْشالٍ ، ومولاك قاربُ —
قفوا خَبّروني عن سليمانَ ، انني ... لِمَعروفهِ من أهل وَدّانَ طالبُ .

[1] محبرة : (قصيدة) حسنة الديباجة (تشبيهاً لها بالحبرة ، وهي نوع من الثياب الحريرية تأتي من اليمن) . سائرة على الالسن ، مشهورة ، تروى بكل مكان .

فعاجوا فأثْنَوْا بالذي أنتَ أهلُـه ، ولو سَكَتوا أثْنَتْ عليكَ الحقائب [1] .
وقالوا : عَهِدْناه ، وكلَّ عَشِيّـَةٍ بأبوابهِ من طـالبِ العُرْفِ راكب ؛
هو البدرُ ، والناس الكواكبُ حولَه . ولا تُشْبهُ البدرَ المُضيءَ الكواكبُ.

– وقال يفتخر بنفسه ويذكر سواده :

ليس السوادُ بناقصي ما دام لي هذا اللسانُ إلى فؤادٍ ثـابتِ .
من كان ترْفَعُه منابتُ أصلهِ ، فبيوت أشعاري جُعِلْنَ منابتي .
كم بين أسودَ ناطـقٍ ببيـانه ماضي الجَنَانِ وبين أبيضَ صامتِ [2] !
اني لَيَحْسُدُني الرفيعُ بنـاؤه فضلَ البيانِ ، وليس بي من شامت [3] .

– أحب نُصيبٌ فتاةً من بني مُدْلـجٍ فكان أهلها يَحْرُسُونها منه . لذلك كان يَقفُ لها في الطريق ، فاذا مرت أشار اليها بعينيه أو حاجبيه . وقد قال فيها (غ ۱ : ٣٧٥) :

وَقَفْتُ لها كيما تَمُرُّ ، لَعَلّني أخالسُها التسليمَ إنْ لم تُسَلّمِ .
ولمّا رأتْني والوشـاةُ تَحَدّرتْ مَدامعُهـا خوفـاً ولم تتكلّم .
مساكينُ أهلُ العِشقِ ، ما كنتُ أشتري جميعَ نفوسِ العاشقين بدرهم !

٤ – ** الاغاني ١ : ٣٢٣ – ٣٧٧ ؛ شاعر بني مروان نُصيب بن رباح لشفيق جبري (الثقافة – مصر ، ١١–٤–١٩٤٤) ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٩ ؛ زيدان ١ : ٣٤٣ – ٣٤٤ .

---

١ – عاج : عطف رأس البعير بالزمام ووقف . أثنوا بالذي أنت أهله : قالوا فيك حقاً ، لم يبالغوا . ولو سكتوا .... : لو لم يمدحوك لدل على فضلك عطاياك التي كانت محملة في حقائبهم .
٢ ما أعظم « الفرق » بين رجل أسود اللون وهو حسن الكلام جيد البيان وبين رجل أبيض الجلد ولكنه صامت (لا يحسن من الكلام شيئاً) .
٣ – ان صاحب المجد (إشارة إلى ان نصيباً كان عبداً أسود رقيقاً) يحسدني على بلاغتي وحسن شعري .

دُكين بن رَجاء الفُقيميّ [1]

١ — هو دُكَيْنُ بنُ رَجاءٍ الفُقَيميّ ، من فُقَيم بني دارمٍ ، التّميمي [2] .

كان دُكينُ بن رجاءٍ يتكسّب بشعره ويَرْحَلُ به إلى الآفاق ، فقد مدح مُصْعَبَ بنَ الزّبيرِ في المدينة [3] في سنة ٦٦ هـ (٦٨٥ — ٦٨٦ م) أو في البصرة ، نحو سنة ٧٠ هـ (٦٨٩ — ٦٩٠ م) ، في الأغلب .

ووَفَدَ دُكينُ بن رجاء على الوليدِ بن عبد الملك (٨٦ — ٩٦ هـ) في دِمَشْقَ . واتّفق أن كان الوليدُ يتأهّبُ في ذلك الحين لإقامةِ سباقٍ للخيلِ ، فأنزلَ دُكينُ بن رجاءٍ في السباق فرساً لم يكن له غيرُه فجاء فرسُه هذا سابقاً [4] .

وكذلك وَفَدَ دُكين بن رجاءٍ على عُمَرَ بنِ هُبيرةَ الفَزاريِّ [5] ، سَنَةَ ١٠٣ هـ (٧٢١ — ٧٢٢ م) في الأغلب ، في الكوفة أو في البصرة ومدحه .

وكانت وفاةُ دُكينِ بن رجاء الفُقيميّ الدارمي التميمي سنة ١٠٥ هـ [6] ، في عام ٧٢٣ أو ٧٢٤ م .

٢ — دُكينُ بن رجاءٍ الفُقيميّ راجزٌ مشهور يَمْدَح رَجَزاً [7] . وابنُ قتيبةَ يَنْسبَ القصيدة :

---

١ هنالك دكين بن سعيد (أو سعد) الخثعمي المزني الذي كان من أصحاب رسول الله (تاج العروس ٩ : ٢٠١ ؛ راجع الاصابة ، رقم ٢٤٠١) . وهنالك أيضاً دكين بن سعيد الدارمي (توفي ١٠٩ هـ) ، وستأتي ترجمته .

٢ في القاموس (٤ : ١٦٠) : « النسبة إلى فقيم كنانة فقمي ، وإلى فقيم دارم فقيمي » .

٣ تولى مصعب بن الزبير المدينة لأخيه عبد الله بن الزبير من سنة ٦٥ إلى سنة ٦٨ هـ ، ثم تولى البصرة منذ عام ٦٧ هـ (٦٨٦ — ٦٨٧ م) إلى مقتله سنة ٧١ هـ (٦٩٠ م) . أما قول بروكلمان بأن دكين بن رجاء الفقيمي مدح مصعب بن الزبير في أيام الوليد بن عبد الملك (الملحق ١ : ٩١) فخطأ ظاهر .

٤ معجم الأدباء ١١ : ١١٣ .

٥ كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة (حيدر اباد الدكن ١٣٦٨ — ١٣٦٩ هـ = ١٩٤٨ — ١٩٤٩ م) ١١٦ ولسان العرب ١٩ : ١١١ .

٦ معجم الأدباء ١١ : ١١٧ .

٧ معجم الادباء ١١ : ١١٣ .

إذا المرء لم يدنَسْ من اللؤمِ عِرضه فكلّ رداء يرتديه جميلُ ،

إلى دُكَينِ بن رجاء الفقيمي [1] .

٣ ــ المختار من رجزه :

ــ قال دُكينُ بن رجاءٍ الفُقَيْمي يمدح مُصْعَبَ بنَ الزّبير :

يا ناقُ ، خُبّي بالقيودِ خَبَبَا [2]
حتى تَزوري بالعراقِ مُصْعَبَا .
قد علم الأنــام إذ ينتخبــا [3]
بيانَــه ورأيَــه المُجَرّبا [4]
وفي الأمور عَقْله المُؤدّبا .

* * *

يا مُرْسِلَ الريحِ الجَنوبِ والصَبا [5]
وآذِناً للفُلْكِ تَجْري خَبَبا [6]
وخالقَ الماءِ وَشِيجاً نَسَبا [7]
يُعيدُ خَلْقاً بعدَ خَلْقٍ عَجَبا [8] :

---

١ الشعر والشعراء ٣٨٨ ــ ٣٧٩ ؛ الاغاني ٩ : ٢٦١ ــ ٢٦٢ .

٢ الخبب (هنا) : السرعة . القيود جمع قيد : سمة في عنق الفرس أو البعير (كناية عن كرم الأصل والسرعة واحتمال السفر الطويل) .

٣ في معجم الأدباء (١١ : ١١٦) : علم الانام إذ ينتخبا (علم بفتح العين وكسر اللام ، الانام مرفوعة على انها فاعل . وقد حاول معلق أن يجد وجهاً لنصب الفعل المضارع (ينتخب) بعد « إذ » . ولعل الاوجه أن نقرأ : قد علم (بتشديد اللام المفتوحة) الانام (بالنصب على انها مفعول به) أن ينتخبا (أن يؤثر ، يفضل) .

٤ بيانه : فصاحة منطقه ووضوح كلامه وتعبيره .

٥ الجنوب (بفتح الجيم) : الريح الجنوبية (هنا) : الريح الحارة. الصبا : الريح الشرقية العليلة المنعشة. مرسل الجنوب والصبا هو الله الذي يسير الريح كما يشاء .

٦ الفلك : السفينة أو السفن (للواحد وللجمع) . الخبب : السرعة (لاحظ تكرار القافية) .

٧ خالق الماء : الخالق من الماء . الوشيج (جمع وشيجة) النسب : اشتباك القرابة بالنسب (بشراً ينتسب بعضهم إلى بعض) .

٨ يعيد خلقاً بعد خلق : يخلق النـاس واحداً بعد واحد يشبه كل واحد منهم الآخر في كل شيء .

عَظْماً ولحماً ودَماً وعَصَباً ،

خالاً وعمّاً وَابْنَ عَمٍّ وأبَا —

أعْطِ الأميرَ مُصْعَباً ما احْتَسَبا [1] ،

واجعلْ لهُ من سَلْسَبِيلٍ مَشْرَبا [2]

فَرْعاً يزينُ المِنْبَرَ المُنَصَّبا [3]

قلباً دَهِيّاً ولِساناً قَصْعَبا [4] .

هذا ، وإنْ قِيلَ له : هَبْ وَهَبا

جوارياً وفِضّةً وذَهَبا

والخَيْلَ يَعْلُكن الحديدَ المنشبا [5]

فوراً تلجلجن أبازِيمَ الشّبا [6]

قد جعلَ الناس اليه سببا

من صادرٍ واردٍ أيْدي سَبا [7] .

---

١ أعط الامير مصعباً ما احتسب (ما أنفق من ماله في سبيل الله و الكرم ثم ضاعفه له) .

٢ (ثم) اجعل له من سلسبيل (عين في الجنة) مشرباً (أدخله الجنة) .

٣ يبدو أن قبل هذا الشطر شطراً محذوفاً أو أكثر من شطر .... الفرع : شريف القوم وأعلاهم (سيدهم) المنصب : العالي ، المرتفع . (ان له) فرعاً (قامة ، مقاماً) يليق بالمنبر العالي (بالامارة) .

٤ الدهي : العاقل . القصعب (كذا في الاصل ، وفي القاموس القعضب) : الجريء ، الشديد (٣ : ١١٩) .

٥ ليس في القاموس معنى يوافق « منشب » في هذا الشطر . والملموح أن الخيل تعلك (تعض على) حديد اللجام (كناية عن الغضب وشدة المعركة) .

٦ فوراً (؟) تلجلجن (الصواب : يلجلجن) : يرددن ، يحركن بشدة . أبازيم جمع ابزيم وابزام (بكسر الهمزة فيهما) : لسان في طرف المنطقة (بكسر الميم وفتح الطاء) : الحزام يدخل في حلقة أو نحوها ليشد (بالبناء للمجهول) . الشبا جمع شباة : الفرس العاطية (الرافعة رأسها في العنان : اللجام) والتي تقف على قائمتيها الخلفيتين . — المقصود : .... يعطي خيلا فتية نشيطة قوية . اقرأ : قوراً (ضامرة) .

٧ قد جعل الناس (في الأصل بضم السين) إليه سببا (وسيلة ، قرابة) .... الصادر : الراجع من عنده (محملا بالعطايا) . الوارد : القادم (اليه وهو واثق بعطية كبيرة) . أيدي سبا : أشتات ، متفرقون ، مختلفون .

المعنى الملموح : ان كثرة عطاياه كانت سبباً في أن يكثر قاصدوه (آملين) من كل مكان ومن كل جنس وطبقة .

٤ — ** معجم الأدباء ١١ : ١١٣ — ١١٧ ؛ كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة ، حيدر اباد الدكن ١٣٦٨ — ١٣٦٩ هـ = ١٩٤٩ — ١٩٥٠ م ، ص ١٥٦، ١٧٨ — ١٧٩ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٩١ ،

Enc. Isl. (new edition) II 622 — 623 .

دكين بن سعيد الدارميّ

١ — كان دُكَيْنُ بنُ سعيدٍ القَطَنِيّ[١] الدارميّ التميميّ ، فيما يبدو ، من أهلِ المدينة .

حينما كان عُمَرُ بنُ عبدِ العزيز يتولّى المدينةَ (٨٦ — ٩٣ هـ) في أيامِ الوليدِ بنِ عبدِ الملك كان دُكَينُ بنُ سعيدٍ الدارميّ مُنْقَطِعاً إليه يُسامِرُه مع سالمِ بن عبد الله بن عُمَرَ بن الخطّاب ورجلٍ آخرَ اسْمُهُ أبو عَوْن[٢] . وقد مدحَ دُكينُ بنُ سعيدٍ عُمَرَ بنَ عبدالعزيز في المدينة فأجازه عمرُ بخَمْسَ عَشْرَ ناقةً . ثم لمّا آلت الخلافةُ إلى عُمَرَ ، سنة ٩٩ هـ (٧١٧ م) وفدَ عليه دُكينُ ابن سعيدٍ إلى دِمَشْقَ ومدحه فأعطاه عمرُ ألفَ درهم[٣] .

وكانتْ وَفاةُ دُكينِ بن سعيدٍ القطنيّ الدارميّ التميميّ سَنَةَ ١٠٩ هـ[٤] — في عام ٧٢٧ م — .

٢ — دُكَيْنُ بنُ سعيدٍ القَطَنِيّ الدارميّ التميميّ شاعرٌ بَدَوِيّ راجزٌ .

٣ — المختار من رجزه :

— لما وصل دُكينُ بن سعيد الدارميّ إلى دِمَشْقَ وجد الناسَ يُحيطون

---

١ من بني قطن بن دارم (معجم الأدباء ١١ : ١١٨ ، السطر الخامس) .

٢ معجم الأدباء ١١ : ١١٧ ، السطر ١٣ . في الشعر والشعراء (ص ٣٨٧ و ٣٨٨) وفي الاغاني (٩ : ١٦١ ، السطران ٨ و ١٧) : أبو يحيى مولى الامير .

٣ الشعر والشعراء ٣٨٨ . في الاغاني (٩ : ٢٦٢) خمسمائة درهم ؛ وفي معجم الأدباء (١١ : ١١٨ — ١١٩) ثلاثمائة درهم جمعها عمر من نسائه .

٤ معجم الأدباء ١١ : ١١٩ .

بعُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ لأنه كان جالساً لرَدِّ المظالمِ [1] فنادى :

يا عُمَرَ الخيراتِ والمكارمِ وعُمَرَ الدَسائعِ العظائمِ [2] ،
إنّي امرُؤٌ من قَطَنِ بنِ دارمِ أطلُبُ دَيْني من أخٍ مُكارمِ [3]
أسُدَّ حقَّ المُسْلمِ المُسالمِ ببَيْعَ يمينٍ بالإخاءِ الدائمِ [4] .
إذ نَنْتَجي – واللهُ غيرُ نائمِ – في ظُلمةِ الليلِ وليلٍ عاتمِ [5]
عندَ أبي عَوْنٍ وعند سالمِ .

٤ – ** معجم الأدباء ١١ : ١١٧ – ١١٩ ؛ راجع الشعر والشعراء ٣٨٧ – ٣٩٠ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٩١ ؛

Enc. Isl. (new edition) II 622 — 623 .

---

١ كان الخلفاء يجلسون للمظالم . قد يتفق أن يعتدي نفر من أهل البيت المالك أو من أهل الدولة أو الوجاهة على أحد من عامة الناس فلا يستطيع أن يأخذ بحقه ممن اعتدى عليه وظلمه ، أو لا يستطيع القضاة العاديين أن ينصفوا ذلك الرجل (محاباة لخصمه القوي أو عجزاً منهم) . فكان الخليفة يجلس في كل أسبوع مرة بلا حاجب ، فيأتي المتظلمون اليه من عامة الشعب فينصفهم على خصومهم الأقوياء الوجهاء .

٢ الدسائع جمع دسيعة : العطية الكبيرة .

٣ لما كان عمر بن عبد العزيز والياً على المدينة قال لدكين بن سعيد مرة : « يا دكين ، ان لي نفساً تواقة (متطلعة إلى المعالي : إلى الخلافة). ، فاذا أنا صرت إلى أكثر مما أنا فيه (في الولاية والامارة) فبعين مما أرينك (بتشديد النون) : إذا صرت خليفة فسأنظر اليك بعيني نظرة (بكسر النون) عطف وسأنعم عليك . فجاء دكين الآن يستنجز عمر بن عبد العزيز هذا الوعد .

٤ أسد حق المسلم المسالم : أي (بما سأناله منك) حقوقاً علي لنفر من المسلمين المسالمين (ربما أهله) . ببيع يمين بالاخاء الدائم : ولك علي العهد (الذي كان من قبل) بالصداقة الدائمة .

٥ إذ ننتجي (نتكلم فيما اتفقنا عليه من قبل بالنجوى : سراً بين أنفسنا لا يسمعنا أحد) إلا الله الذي ليس بغافل عن شيء ولا غائب عنه علن ولا سر . في ظلمة الليل (ليلا) وليل عاتم (بعد أن مر قسم من الليل فأصبح الليل شديد الظلام).

٦ في الشعر والشعراء (ص ٣٨٨) والاغاني (٩ : ٢٦٢) : عند أبي يحيى .

أعشى تغلب

١ – هو ربيعة (وقيل النُعمان) بن يحيى[١] بن مُعاوية بن جُشَمِ بن بكرٍ من بني تَغْلِبَ بن وائل، المعروف بِاسْم أعشى تَغْلِبَ[٢].

كان أعشى تغلب نَصْرانياً من أهل الجزيرة (شَماليّ العراق) يتنقل في البلاد؛ فكان إذا جاء إلى الشام سكن في الحَضَر (في دِمَشْقَ، مثلاً)، وإذا عاد إلى مساكن قومه في نواحي المَوْصل وديار رَبيعةَ نزل في البادية.

اتصل أعشى تَغْلِبَ بمَسْلَمَةَ بنِ عبد الملك ومَدَح الوليدَ أيضاً ونال عطاياهما. ثم اتصل – بحسب رواية الاغاني (١١ : ٢٨٣) – بعُمَرَ بنِ عبدِ العزيز فلم يُعْطِه شيئاً. وفي الاغاني أيضاً (١١ : ١٨١): «كان أعشى بني تَغْلِبَ يُنادِمُ الحَرَّ بن يوسف بن يحيى بن الحَكَم». والحُرّ هذا كان والياً على المَوْصل منذ سَنَةِ ١٠٨ ه (٧٢٦ م) إلى أن تُوُفِّيَ في سنة ١١٤ ه (٧٣٢ م). ويجب أن تكون مُنادمةُ أعشى بني تغلبَ للحرّ في أثناء ولاية الحر على الموصل. وقد اتفق أن أساء أعشى تغلب الأدبَ أمامَ قُبّةِ الحُرّ فلطمه عبدٌ خَصِيّ من عبيد الحُرّ، فجمع أعشى تغلب نفراً من قومه واقتحموا على الحُرِّ مكانَه (وكان في بُستانٍ له) ولطم الحُرّ. وفي ذلك يقول أعشى تغلب:

أنا الجُشَمِيّ – من جُشَمِ بنِ بكرٍ! – عَشِيّةَ رُعْتُ طَرْفَكَ بالبَنانِ[٣].

فما يَسْطِيعُ **ذو مُلْكٍ** عِقابي إذا اجْتَرَمَتْ يدي وجَنَى لِساني.

من أجل ذلك لا أرى وجهاً لما ذكره بروكلمان (الملحق ١ : ٩٥) من ان وفاة أعشى تغلب كانت في سنة ٩٢ ه (٧١٠ م)، ولعلّ وفاتَه كانت نحو سَنَةِ ١١٠ ه (٧٢٨ م).

---

١ وقيل اسمه عمرو بن الايهم بن أفلت أو عميرة بن الايهم (معجم الشعراء للمرزباني ٦٩، ٧٤)، وقيل: ربيعة بن نجران، نعمان بن نجوان، نعمان بن نجران، أو النعمان بن جاوان (راجع الاشارات إلى ذلك في «شعراء النصرانية بعد الاسلام» ١٢٢).

٢ يبدو أن الرواة قد مزجوا أخبار عدد من الاعشين (بفتح الشين وسكون الياء وفتح النون) الكثر الذين كانوا في الجاهلية وفي الاسلام.

٣ غ ١١ : ٢٨٢. – رعت (أخفت) طرفك (بصرك) بالبنان (أطراف الأصابع): لطمتك.

٢ ــ كان أعشى بني تغلب شاعراً مُكثِراً مُطيلاً ، في شعره جزالةٌ ومتانة أحياناً ، كما أن فيه ضَعْفاً في التركيب وإبهاماً في المعنى أحياناً أخرى ، إلى جانبِ ألفاظٍ غريبة في بعض الأحيان . وفي شعره شيء من الإقذاع (الألفاظ القبيحة) في الهجاء وشيء من المُجون (قبح المعنى) في الغزَل . وفنونُ شعرهِ المدحُ والهجاء والحَماسة والوصف والغزل والخمر . وقد كانت لـه نقـائض (راجع ، فوق ، ص ٣٦١) ، وكان يُعينُ الاخطلَ على جريرٍ .

٣ ــ المختار من شعره :

ــ لأعشى تَغْلِبَ قصيدة مَطلَعها (الحماسة البصرية ٢ : ١١٧ ، شعراء النصرانية بعد الاسلام ١٢٥ ــ ١٢٦) :

رَحَلَتْ أمامةُ للفِراق جِمالَها   كيما تَبِينُ ، وما نُحِبّ زِيالَها [١] .

قال أعشى تغلب هذه القصيدةَ يمدح بها مَسْلَمَةَ بنَ عبدِ الملك ، ثم يهجو جريراً ويُعينُ الأخطلَ عليه . وفي هذه القصيدة غزل وخمر وحماسة ، على مِثال النقائض .

ففي الاغاني من هذه القصيدة (١١ : ٢٨٠) في الغزل :

دارٌ لقـاتلةِ الغَرانِقِ مـا بِهـا   غيرُ الوُحوشِ خَلَتْ له وخلا لَها [٢] .

ظَلَّتْ تُسائِلُ بالمُتَيَّمِ ما به ،   وَهْيَ التي فَعَلَتْ به أفعالَهـا [٣] !

وفي هذه القصيدة :

ارْبَعْ على دِمَنٍ تَقادَمَ عهدُها   بالجَوْفِ ، واسْتَلَبَ الزمانُ حِلالَها [٤] .

---

٥ جمالها (مفعول به من الفعل « رحلت ») : انتقلت عنا إلى مكان آخر ، حتى تبتعد عنا (مضطرة). مع أنها هي لا تريد زيالنا (مفارقتنا ، البعد عنا) . ويمكن أن نقرأ : وما نحب (بالنون) .

٦ الغرانق (بضم الغين) : لفظ مفرد معناه : (الشاب الجميل) . قـاتلة الغرانق : التي تتيم الفتى الجميل بحبها (تأسره ، تكبله) . ــ خلت قـاتلة الغرانق (تلك المرأة الجميلة في تلك الأرض) لحبيبها وخلا حبيبها لها .

٧ المتيم : الذي نهكه (أضناه ، أنحله) الحب . وهي التي فعلت بـه أفعالهـا : صنعت بها ما صنعت (من النحول والضنى) .

١ اربـع : أقم ، ابق . الدمنة : الموضع الذي كانت فيه الدار . الجوف : المطمئن (المنخفض) من الأرض؛ أو اسم علم على مكان . استلب الزمـان حلالهـا (ساكنها) : أخذهم ، أماتهم ، كانوا يسكنونها ثم ماتوا أو تفرقوا .

دار لقاتلة الغرانق .... (؟)

ظلت تسائل .... (؟)

كانت تُريكَ ، إذا نظرتَ أمامَها ، مَجْرى السُّموطِ ومَرّةً خَلخالَها [1].

دعْ ما مضى منها ، فرُبَّ مُدامةٍ صهباءَ عاريةِ القَذى سَلساها [2]

باكَرْتُها عندَ الصباحِ على نجاً ووضعتُ غير جلالِها أثقالَها [3].

صَبّحتُها غُرَّ الوجوهِ غرانقاً من تَغْلِبَ الغلباءِ لا أسفالَها [4].

اخْسَأْ إليكَ ، جريرُ ، إنّا مَعْشَرٌ نِلْنا السماءَ : نجومَها وهلالَها [5].

ما رامَنا مَلِكٌ يُقيمُ قَناتَنا إلاّ استَبَحْنا خَيْلَه ورجالَها [6].

— قال أعشى تغلب يذكُرُ كرمَ الوليدِ (بن عبد الملك) بعد وفاته ويُعَرِّض بمن جاء بعده — قيل بعمر بن عبد العزيز (غ ١١ : ٢٨٣) — :

لَعَمْري لقد عاش الوليدُ حياته إمامَ هُدىً ، لا مُسْتَزادٌ ولا نَزْرُ [7].

كأنَّ بني مَروانَ ، بعدَ وفاتِه ، جلاميدُ لا تَنْدى وإن بَلّها القَطْرُ [8].

٤ — * الاغاني ١١ : ٢٨٠ — ٢٨٤ ؛ معجم الأدباء ١١ : ١٣٢ — ١٣٣ ؛

---

١ أمامها (اسم ، مفعول به من « تريك ») : الجانب الأمامي منها (صدرها) . مجرى السموط : مكان العقد من صدرها . و (تريك) مرة خلخالها (قدمها وأسفل ساقها) ...

٢ عارية (من) القذى : صافية ، لا رواسب فيها . السلسال : اللينة ، الخفيفة ، التي لا تسكر كثيراً . ان كلمة « سلساها » لا وجه لها في الاعراب معقولا ولا للضمير المتصل بها « ها » رجوع واضح إلى اسم سابق عليه .

٣ باكرتها : (شربتها) باكراً . على نجاً : على محل مرتفع (بعيداً عن الناس). ووضعت غير جلالها أثقالها ... (؟) .

٤ — سقيتها لجماعة من بني تغلب الغلباء (الغالبة لغيرها) غر الوجوه.(بيض الوجوه : وجهاء ، كرماء ، ومن أصل كريم) غرانقاً (جمع غرنوق بضم الغين : الشاب الجميل) لا اسفالها (لم أسقها للسفلة من بني تغلب) .

٥ خسىء : ذل وبعد . نلنا السماء : بلغ عزنا ومجدنا إلى السماء (إلى موضع النجوم منها) .

٦ رامنا : جاء الينا . يقيم قناتنا : (يريد) أن يؤدبنا (يعاقبنا) . استبحنا خيله ورجالها: اسرنا خيله وفرسانها .

٧ إمام هدى : خليفة . لا مستزاد : إسراف (في العطاء) ولا نزر (بخل ...) .

٨ جلاميد جمع جلمود وجلمد : صخر قاس . تندى : يبدو عليها ماء أو لين (لا يعطون مالا) . القطر : المطر (ولو كانوا أغنياء).

شعراء النصرانية بعد الاسلام ١٢٢ – ١٢٩ ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ٩٥ ؛ زيدان ١ : ٣٤٧ .

الحزين الكنانيّ

١ – الحَزِينُ الكِنانيّ هو أبو الحَكَمِ [١] عمرُو بنُ عبيدِ بنِ وُهيبِ بن أبي الشعثاء مالكٍ من بني بكرِ بنِ عبد مَناةَ بن كِنانةَ .

كان الحزينُ الكِنانيّ من أهلِ المدينة ، وكان قليل الرّغْبة في السفر ، قال الاصفهاني (الاغاني ١٥ : ٣٢٣) : و (الحزين الكنانيّ) ليس ممن خَدَمَ الخلفاءَ ولا انْتَجَعَهُمْ بمدحٍ [٢] ، ولا كان يَرِيمُ [٣] الحجازَ حتّى مات . ولكنْ يبدو أنه زار مِصْرَ والشامَ ، فقد ذكر الاصفهانيّ [٤] أنّ مِنَ الناسِ مَنْ يقول إنّ الحَزِينَ الكنانيّ كان في مصرَ مرّةً . وكذلك يذكر الحزينُ الكنانيّ نفسُه في شعرٍ له [٥] أنه كان أخاً صديقاً لِعُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وقيل كان أيضاً أخاً صديقاً لِيَزِيدَ بنِ عبد الملك . فاذا كانت صداقتُه لعُمَرَ بنِ عبد العزيز يمكنُ أن تكونَ قد نشأتْ حينما كان عمرُ بن عبد العزيز والياً على المدينة ، فلا بُدّ من أن يكون قد زارَ الشامَ وجاء إلى دِمَشْقَ حتّى تكونَ المَودّةُ قد نشأت بَيْنَه وبينَ الوليدِ وسُليمانَ ويَزِيدَ أبناءِ عبدِ الملك ... وكذلك يبدو من القصيدة التي مدح بها عبدَ اللهِ بنَ عبدِ الملك بن مروان (راجع المختار من شعره) أنه أكْثَرَ التَجْوالَ في اليمنِ والعِراقَيْنِ (البصرةِ والكوفةِ) وفي الجزيرةِ (شَماليّ الشامِ والعِراقِ) . ويُقالُ انه مدح بهذه القصيدةِ عبدَ العزيزِ ابنَ مروان لذِكْرِهِ الشامَ ومِصْرَ (غ ١٥ : ٣٢٩) .

---

١ يكنى أيضاً « أبا حكيم » (غ ١٥ : ٣٣٣ ، السطر ١٠) ، ويعرف أيضاً باسم « ابن أبي الشعثاء » غ ١٥ : ٣٣٤ ، السطر ٢) .

٢ الاغاني ١٥ : ٣٢٣ ، السطر ١٠ ، ١١ .

٣ لا يريم الحجاز : لا يبرحه ، لا يتركه (لا يسافر منه) .

٤ الاغاني ١٥ : ٣٢٩ ، السطر ٨ .

٥ الامالي لأبي علي القالي (مصر ، بولاق ١٣٢٤ هـ) ، ٣ : ١٠١ – ١٠٢ .

وكان الحزينُ الكِنانيّ يَشْرَبُ الخمرَ ، وقد حُدّ (عوقب بالجَلْد) على شُرْبها .

ويبدو أن وفاةَ الحزينِ الكناني كانت بعدَ سنة ١٠٠ هـ (٧١٨ م) . جاء في كتاب الامالي [١] أن سليمانَ بنَ نَوْفَلِ بن مُساحق سأل الحزينَ الكنانيّ أنْ يَرْثِيَ أباه نَوْفلاً . فرثى الحزين الكِنانيّ نوفلَ بن مُساحقٍ فلم يُنْبِهْ شيئاً (لم يَزِدْ شَيْئاً في مَكانةِ نوفلٍ بنِ مساحق عند الناس ولا في مكانةِ ابْنِهِ سُليمان) . ويبدو أن سليمانَ أعادَ الكرّةَ على الحزين الكِنانيّ بعدَ مُدّةٍ طويلة فلم يَشَأِ الحَزينُ الكِناني أن يَرْثِيَ نَوْفَلَ بن مساحق مرة ثانية ، بلْ قال :

فما كان مِنْ شَأني وشأنِ ابْنِ نَوْفَلٍ — وشأنِ بُكائي نَوْفَلَ بْنَ مُساحِقِ !
بَلَى ، إنّها كانت سَوابِقَ عَبْرَةٍ — على نَوْفَلٍ — من كاذبٍ غيرِ صادق .
فهَلاّ على قبر الوَليدِ بَكَيْتُما — **وقبرِ سُلَيْمانَ الذي عِنْدَ دابِق !**
وقبرَ أبي حفصٍ أخي وأخيكما — بَكَيْتُ بِحُزْنٍ في الجوانحِ لاصق.

وينقل أبو علي القالي (ص ١٠٢) تعليقاً على هذه الابيات فيقول : يَعْني (الشاعرُ) بالوليدِ وسليمانَ ابْنَيْ عبدِ الملك ، وبأبي حفصٍ عُمَرَ بنَ عبد العزيز ، ويُريدُ بقولهِ أخي وأخيكما يزيدَ بن عبد الملك .

إن الكلمات : « الوليدَ — أبا حفص — أخي وأخاكما » لا تُوجِبُ حُكْماً ، فأبو حفصٍ مثلاً يُمْكِنُ أن يكونَ عُمَرَ بنَ الخطّاب (توفي ٢٣ هـ = ٦٤٤ م) ؛ والوليدُ يمكن أن يكون أيّ وَليدٍ اتّفق . وأخي وأخيكما كلمتان تَرْجِعان — بِحَسْبِ النصّ — إلى أبي حفصٍ (بخلاف التعليق الذي نقله القالي) . على أن الملموح في الشطر « وقبر سليمان الذي عند دابق » أن سليمان هذا هو الخليفةُ الأموي سليمانُ بن عبد الملك الذي توفّي سنة ٩٩ هـ (٧١٧م) في مرج دابق في شماليّ الشام ودفن هناك .

فاذا كان هذا هكذا فالاحتِمالُ كَبيرٌ بأن تكونَ هذه الأبياتُ **قد قيلت** بعدَ سنة ٩٩ هـ . ولكن يَعْتَرِضُنا هنا أنّ نوفلَ بن مُساحق [٢] قد تُوفِيَ سَنَةَ ٧٤ هـ (٦٩٣ م) . فيكون الجمعُ بين التاريخين أنْ نقولَ إنّ سليمانَ بنَ نوفلٍ

---

١ مثله ٣ : ١٠١ س .

٢ أبو سعيد نوفل بن مساحق بن عبد الله الاكبر بن مخرمة بن عبد العزى ، كان قرشياً من أهل المدينة ، وقد تولى القضاء في المدينة . وكانت وفاته سنة ٧٤ هـ .

قد أراد بعد مدّة أن يَرْثِيَ الحزينُ الكِناني أباه نوفلاً حتّى تَعْلُوَ مكانةُ سليمانَ نفسِه .

ثمّ إننا إذا اعْتَبَرْنا عَدَداً من الاسماء التي اتّصَلَ الحزينُ الكناني بأصحابها، ومنهم سعدُ بنُ ابراهيمَ بنِ عبدِ الرحمن بن عَوْف الذي كان والياً في المدينة في أيامِ هِشامِ بن عبد الملك (١٠٥ – ١٢٥ هـ) أدْرَكْنا أنّ الحزينَ الكناني عاش إلى أواخرِ الدولةِ الأمويّةِ . وعلى هذا لا يَبْعُدُ أن تكونَ وفاةُ الحزين الكناني نحو سنة ١١٠ هـ (٧٢٨ م) .

٢ – قال الاصفهاني (غ ١٥ : ٣٢٣) : الحزينُ الكِنانيّ « من شعراءِ الدولةِ الاموية حِجازيٌّ [١] مطبوعٌ ليس من فُحول طبقتهِ . وكان هَجّـاءً خَبيثَ اللسان ساقطاً : يُرضيه اليَسيرُ ، ويتكسّبُ بالشرِ وهجاءِ الناسِ » ، كما كان سفيهاً نَذْلاً يَمْدَحُ بالنَّزْر (العَطاء القليل) إذا أعْطِيَهُ ويَهْجو على مِثْلِه (غ ١٥ : ٣٣٩ س) . وكان الحزين يُفْحِشُ في الهجاء ثم يُوَرّي فيه مَعانِيَ أعْظَمَ فحشاً ، ولو كانَ في ذلك ظالماً للمَهْجُوّ ظُلْماً كَبيراً . ولقدِ اعْتذر عن فعله هذا بأن الناسَ يَرْغبون في مثل هذا المَسْلَكِ في الشعر (غ ١٥ : ٣٣٩ ع) .

وشعرُ الحزين الكِنانيِّ فصيحٌ سهلٌ عَذْبٌ فيه أحياناً شيءٌ من المَرَح وفيه أيضاً شيء من الضَعَفِ والإقذاع . أما فنونه ، مما نرى من شعره في كتاب الاغاني ، فهي المديح والهِجاء ، وله عِتاب ورثاء وأدب (حكمة) .

٣ – المختار من شعره :

– قصيدةُ الحزين الكِناني في عبدِ الله بنِ عبدِ الملك بنِ مروانَ .

لمّا حجّ عبدُ الله بنُ عبدِ الملك بنِ مَروانَ ، فيما ذَكَرَ الاصفهانيّ (غ ١٥ : ٣٢٤) ، دخل عليه الحزينُ الكِنانيّ ومدحه . وكان عبدُ الله بنُ عبدِ الملك ابنِ مروان من فِتْيانِ بني أميّةَ وظُرَفائهم ، وكان حَسَنَ الوجهِ حَسَنَ

[١] رقيق العاطفة و الشعر ، غير متين السبك جداً (وهذا يكون في شعراء المدن ، بخلاف ما يكون عليه الشعراء البدو) .

المَذْهَبِ (غ ١٥ : ٣٢٣) . أما القصيدة (أو الباقي منها) فهي [١] :

اللهُ يَعْلَمُ أنّي جُبْتُ ذا يَمَنٍ ... ثُمّ العِراقَيْنِ لا يَثْنِينِيَ السّأمُ [٢] ،
ثمّ الجزيرةَ أعلاها وأسفَلَها ، ... كذاكَ تَسْري علىالأهوالِ بي القدمُ [٣]
ثمّ المَواسِمَ قد أوطَنْتُها زمناً ، ... وحيثُ تُحلَقُ عندَ الجَمْرةِ اللِّمَمُ [٤] .
قالوا دِمَشْقُ يُنَبِّيكَ الخبيرُ بها ، ... ثُمّ ائْتِ مِصرَ فثَمّ النائِلُ العَمَمُ [٥] .
لمّا وَقَفْتُ عليه في الجُموعِ ضُحىً ... وقد تَعَرّضَتِ الحُجّابُ والخَدَمُ [٦] ـ
حَيّيْتُه بِسَلامٍ وهُوَ مُرْتَفِقٌ ، ... وضجّةُ القومِ عند الباب تَزْدَحِمُ [٧] .
في كَفّهِ خَيْزُرانٌ رِيحُه عَبِقُ : ... في كفّ أرْوَعَ في عِرنينهِ شَمَمُ [٨] .

١ يذكر الاصفهاني أن من الناس من يروي هذه الأبيات أو بعضها للفرزدق يمدح بها زين العابدين علي ابن الحسين بن علي بن أبيالطالب (غ ١٥ : ٣٢٥) ؛ ومنهم من يرويها لداوود بن سلم (بفتح السين وسكون اللام) في مديح قثم (بضم القاف وفتح الثاء) بن العباس (غ ١٥ : ٣٢٧ س) أو في مدح زين العابدين (غ ١٥ : ٣٢٨) . ومنهم من قال : انها لخالد بن يزيد في قثم بن العباس (غ ١٥ : ٣٢٧ س) . ثم يقول الاصفهاني (غ ١٥ : ٣٢٨) : «والصحيح انها للحزين في عبد الله بن عبد الملك .... وأبيات الحزين مؤتلفة منتظمة المعاني متشابهة تنبىء عن نفسها» .

٢ جاب الرجل البلاد : أكثر التطواف فيها (من جانب إلى آخر) . ذو يمن : بلاد اليمن . العراقين : البصرة والكوفة . لا يثنيني السأم : لا أسأم ، لا أمل (بفتحالهمزة والميم) من التنقل فيها (مع كثرة ما تنقلت فيها) .

٣ الجزيرة : شمالي الشام والعراق (جزيرة ابن عمر) . تسرى على الاهوال بي القدم : أنا جريء تسري بي القدم (أسافر ليلا) على الأهوال (مع علمي بأن في بعض البلاد مخاوف وأهوالا) .

٣ المواسم : مناسك الحج حول مكة . أو الاسواق الدورية (حول مكة أيضاً) . الجمرة : مكان من ثلاثة أمكنة في مكة حيث يكون الرجم : القاء سبع حصيات (بضم الحاء : حجارة صغيرة) على صخرة يرمز بها إلى إبليس . وفي الاصل ، قبل الاسلام ، كان الرجم لقبر أبي رغال (بكسر الراء) الثقفي الذي دل الجيش الحبشي (في عام الفيل ، عام ٥٧٠ م) على منفذ إلى مكة من غير أن يشعر المكيون . حيث تحلق (اللمم)(في المكان الذي يحلق فيه الحجاج شعر رؤوسهم قبل الاحرام) قبل أن يلبسوا ثياب الاحرام ويبدأوا بالقيام بمناسك الحج .

٥ .... فثمت (هنالك) النائل (العطاء ، الكرم) العمم (العميم : الكثير الذي يعم كل شيء) .

٦ تعرضت الحجاب والخدم (وقفوا في صف عريض قد امتد مسافة طويلة ، كناية عن كثرة الحجاب والخدم مما يدل على الجاه والثروة) .

٧ ارتفق : اتكأ على مرفق يده أو على المخدة (بكسر الميم) . والمرتفق : الواقف الثابت (المعنى الأول كناية عن النعيم والاخلاد إلى الراحة لقلة العمل ولعظم الثروة ؛ والمعنىالثاني كناية عن اليقظة والسهر على الجند والتأهب للحرب) .

٨ — يحمل في كفه خيزران (بفتح الخاء وضم الزاي : عود لدن بسكون الدال ، أي طري) له رائحة =

يُغْضِي حياءً ويُغْضَى من مَهابَتِه ، فما يُكَلَّمُ إلاّ حينَ يَبْتَسِم [1] .
تَرى رُؤوسَ بني مَرْوانَ خاضِعةً يَمْشونَ حَولَ رِكابَيْهِ وما ظُلِموا [2] .
إنْ هَشّ هَشّوا لَهُ واستَبْشَروا جَذَلاً ،
وإن هُمو آنَسوا إعْراضَه وَجَموا [3] .
كِلْتا يَدَيْه ربيعٌ عند ذي خُلُفٍ : بَحْرٌ يَفيضُ وهادي عارِضٍ هَزِمُ [4] !

— قال الحزينُ الكِنانيّ يهجو عمرَو بنَ عمرِو بنِ الزّبير بن العوّام ويمدح محمدَ بنَ مَرْوانَ بنِ الحكم [5] . وفي القصيدة حِكَمٌ كثيرة وليس فيها الشتمُ الذي كان مألوفاً في العصر الأموي عندَ شعراءِ السياسة . قال الحزين :

إذا لم يكنْ للمرءِ فضلٌ يَزِينُه سِوى ما ادّعى يوماً فليس له فَضْلُ .
وتَلْقى الفتى ضَخْماً جميلاً رُواؤهُ يَروعُكَ في النادي وليس له عقل [6] ؛

= طيبة عبقة (قوية ولازمة له لا تفارقه) . ويمكن أن يكون المعنى : هو رجل يلازمه الطيب (كناية عن التنعم) ثم هو في الوقت نفسه يحمل خيزرانة (رمح : كناية عن الشجاعة والتأهب الدائم للحرب) . أروع : شجاع . العرنين : عظم الانف . شمم : ارتفاع (في عرنينه شمم : كناية عن شرف الأصل) .

١ — يغضي (يخفض بصره نحو الأرض) حياء (من الذين يخاطبهم) ويغضى من مهابته (يخفض الناس أبصارهم في حضرته خوفاً من أن ينظروا اليه وجهاً لوجه لوقاره وسطوته) .

٢ ترى رؤوس (رؤساء) بني مروان خاضعة (مطيعين له) يسيرون في ركابه (وهو راكب فرساً) يحمونه ويخدمونه وما ظلموا (لأنه فوقهم في المقام والمكانة: مقامه أن يركب فرساً ومقامهم أن يسيروا راجلين حوله) .

٣ ان هش (بدا السرور على وجهه ، أقبل بوجهه على الناس ، وجد في نفسه ميلا إلى محادثة الناس) هشوا له (فعلوا مثل ما فعل) . آنسوا : لمحوا ، استشعروا ، أحسوا . اعراضه : انقباضه ، كرهه للمباسطة . وجموا : سكتوا ، لزموا الصمت .

٤ كلتا يديه ربيع (هو كريم جداً يعطي باليدين معاً ، مع أن العادة أن يعطي الناس بيد واحدة) . ذو خلف (في القاموس بضم الحاء وسكون اللام) : الذي يخلف وعده . — إذا أخلف الكرام بوعدهم (فقراً أو بخلا) فانه يظل يعطي عطاء كثيراً (بكلتا يديه) . ثم هو بحر يفيض (كرمه وعطاؤه دائمان لا ينقطعان) كأنه هادي (أول) عارض (سحاب يعترض الأفق : كثيف متسع) هزم (يمطر بلا توقف) .

٥ الاغاني ١٥ : ٣٣٧ ، راجع ٣٣٦ .

٦ الرواء : المنظر . يروعك : يعجبك . النادي : مجتمع القوم . — .... إذا رأيته بين جماعة من الناس أعجبك من دونهم .

وآخرَ تَنبو العينُ عنه مُهَذّبٌ يجودُ إذا ما الضخمُ نَهْنَهَهُ البُخْلُ [1]
فيا راجياً عمرَو بنَ عمرٍو وسَيْبَه ، أتَعرِفُ عمراً أم أتاك به الجهلُ [2] ؟
فإنْ كنتَ ذا جهلٍ فقد يُخْطِيءُ الفتى؛ وان كنتَ ذا حَزمٍ ،اذن حارت النَبْلُ [3] !
جَهِلْتَ ابنَ عمرٍو فالْتَمِسْ سَيْبَ غيرِه ،
ودونَكَ مَرْمىً ليس في جِدّه هَزْلُ [4] :
عليك ابنَ مروانَ الأغرّ مُحمّداً تَجِدْهُ كريماً لا يَطيشُ له نَبْلُ [5] .

٤ ــ ** الاغاني ١٥ : ٣٢٣ وما بعدها .

الاحوص

١ ــ هو أبو محمّد عبدُ الله بنُ محمد بنِ عبد الله بن عاصم بن ثابت بن الأقلح الأنصاري من بني ضُبيعة بن زيد من الأوس . وأمّه أُثَيْلة بنت عُمير بن مَخْشِيّ .

وُلِدَ الاحْوَصُ في المدينة نحو عام ٣٥ ه (٦٥٥ م) ونشأ بها ، وكان أحمر أحوصَ العينين [6] . ثم إنّه كان دَنِيء الطبع ، قليل المُرُوءة والدين ، هَجّاء للناس مُخَنّثاً [7] . وبلغ من استهتاره أن سُكينة بنت الحسين افتخرت مرة بجَدّها

١ ــ وقد يكون هنالك رجل آخر تنبو العين عنه (تنفر منه ، تجده قبيحاً) ولكنه مهذب . نهنهه (كفه ، رده ، منعه) البخل (عن الكرم) .

٢ السيب : العطاء . ــ أتعرف أن عمراً بخيل ثم جئت اليه(على أملٍ أن يعطيك شيئاً قليلا) أم أتاك بهاالجهل : أتى بك اليه جهلك بأنه بخيل ؟

٣ .... وان كنت عارفاً ببخله ثم حزمت أمرك على أن تأتي اليهلتأخذ منه شيئاً من العطاء فقد خاب أملك.حار (البصر) : نظر إلى الشيء فغشي (بضم الغين وكسير الشين وفتح الياء) عليه ولم يهتد لسبيله(القاموس ٢ : ١٦) . النبل : الذكاء والنجابة .

٤ ودونك مرمى : أقصد مرمى (هدفاً ــ أقصد ممدوحاً كريماً موثوقاً يعطي عطاء كريماً) هو محمد بن مروان (المذكور في البيت التالي) .

٥ الاغر : الابيض ، النبيل . النبل جمع نبلة (بفتح النون) . طاش السهم : انحرف عن الهدف (لم يصب الهدف) . ــ لا يطيش له نبل : (هنا) يصيب الفراسة فيعلم الشعراء المجيدين الذين يستحقون العطاء .

٦ أحمر : شديد الشقرة . والحوص (بفتح ففتح) : ضيق في مؤخر العين .

٧ غ ٤ : ٢٣٣ ، ٢٣٥ ــ ٢٣٦ ، ٢٥٤ .

رسول الله ففاخرها الاحوص بجدّه فأمر الوليدُ بن عبد الملك واليَهُ على المدينة عمرَ بن عبد العزيز (٨٦ — ٩٣ هـ) بجَلْدِه لذلك ولِمَا كان قد شاع عنه من التخنيث والتّعدّي على الاعراض .

ويبدو أن الاحوص أصلح بعد ذلك علانِيَتَه واتّصل بالوليد ومدحه . وفي سنة ٩٦ هـ (٧١٤ م) ، في آخر أيام الوليد في الاغلب ، أثار الاحوص سُخْط قاضي المدينة أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بسوء أعماله وبشيء كان بينهما أيضاً فهجاه الاحوص . ثم جاء سليمان بن عبد الملك إلى الخلافة (نصف جُمادى الثانية ٩٦ هـ = أواخر شباط — فبراير ٧١٥ م) والاحوص على استهتاره واستخفافه بالحُرُمات ، فنفاه سليمان إلى جزيرة دَهْلَك في جنوب البحر الاحمر ، فبقي هنالك تتمّةَ أيام سليمان ثم أيام عمر بن عبد العزيز كلّها (٩٩ — ١٠١ هـ = ٧١٧— ٧٢٠ م) ، نحو خمس سنوات [١] . فلما تولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ، وكان خليعاً مستهتراً ، ردّ الاحوص من منفاه واتّخذه نديماً .

ولم يعشِ الاحوص بعد ذلك طويلاً فقد مرض مرض الموت وتوفّي سنة ١٠٥ هـ (٧٢٣ م) ، مع يزيد بن عبد الملك في عام واحد ؛ وقيل بل توفّي في سنة ١١٠ هـ (٧٢٨ م) .

٢ — الاحوص شاعرُ غَزَلٍ صريح كعمرَ بن أبي ربيعة ، وكان يَنْسِبُ بنساء ذوات أخطار . وكذلك له مديح وهجاء . وهو سَمْح الطبع سهل الكلام صحيح المعنى متين التركيب ، ولشعره رونق وديباجة صافية وحلاوة وعذوبة . على أن الاحوص أقل شهرة مما تستحق شاعريته ، فقد حطّ من منزلته دَناءة طبعه وتعرّضه للحرمات [٢] ، وإن كان هو يدّعي خلاف ذلك [٣] . وفنونه الغزل والفخر والحكمة والمدح والهجاء .

٣ — المختار من شعره :

— كان الاحوص مشغوفاً بامرأة من الانصار هي أمّ جعفرٍ بنتُ عبدِ الله بن

١ في الاغاني ٤ : ٢٥٢ أن الاحوص نفي إلى دهلك حينما كان عمر بن عبد العزيز والياً على المدينة (٨٦— ٩٣ هـ) .
٢ راجع غ ٤ : ٢٣٢ .
٣ الامالي ، راجع ١ : ٤٧ — ٤٨ .

عُرْفُطة من بني مالك بن الأوس أهل المدينة ، فأكثر فيها قولَ الاشعار واستهر في ذلك حتّى استَعْدى عليه أخوها أيمنُ واليَ المدينة عمرَ بنَ عبدِ العزيز . ومن أقوال الأحوص في أم جعفر هذه :

لقد مَنَعَتْ معروفَها أمُّ جعفرٍ ، وإنّي إلى معروفِها لَفَقيرُ .
وقد انكرتْ بعدَ اعترافِ زِيارتي ، وقد وَغَرت فيها عليَّ صُدور [1] .
أدورُ ، ولولا أنْ أرى أمَّ جعفرٍ بأبياتِكم ما دُرْتُ حيثُ أدور .
أزورُ البيوتَ اللاصقاتِ ببيتِها ، وقلبي إلى البيت الذي لا أزور [2] .

— ومن أقوال الاحوص في أمّ جعفر أيضاً :

وإنّي لَيَدْعوني هَوى أمِّ جعفرٍ وجاراتِها من ساعةٍ فأجيبُ [3] .
وإنّي لآتي البيتَ ما إنْ أحبّه ، وأُكْثِرُ هَجْرَ البيتِ وهو حبيب .
وأُغضي على أشياءَ منكم تَسوءُني ، وأُدْعى إلى ما سَرَّكم فأجيب .
هبيني امْرَأً — إمّا بريئاً ظَلَمْتِهِ وإمّا مُسيئاً مُذْنِباً فيتوب —
فلا تَتْرُكي نفسي شُعاعاً فإنّها من الحُزْنِ قد كادت عليك تذوب [4] .

— سمعت سُكينة بن الحُسين الاذان يوماً ففخرَت بأن تكون حفيدة لرسول الله ، فقال الاحوص وهو يدري أنْ قوله جهل :

فَخَرَتْ وانتمت ، فقلت : ذَريني ، ليس جهلٌ أتَيْتِه ببديعِ [5] .
فأنا ابنُ الذي حَمَت لحمَه الدَّبْرُ قتيلِ اللِحْيان يوم الرَّجيع [6] .

---

[1] وغرت (بفتح العين أو بكسرها) فيها علي صدور : امتلأت صدور كثير من الناس بالعداوة والحقد علي فيها (بسببها ، لأنني أحب أم جعفر) .

[2] كذا في الأصل ، واستقامة اللفظ تقتضي حرفاً متحركاً بين « لا » وبين « أزور » ، وذلك زحاف (بكسر الزاي) من عيوب الشعر الجائزة ، إلا أنه هنا بارز جداً .

[3] من ساعة : من مسافة ساعة (من مكان بعيد) .

[4] (ذهبت) نفسه شعاعاً : متقسمة متفرقة (من الخوف) .

[5] انتمت : ذكرت نسبها (وصلته برسول الله) . ذريني : اتركيني (افتخر أنا أيضاً) . بديع : بدعة أمر مبتدع ، جديد .

[6] استشهد جد الاحوص يوم الرجيع (٤ هـ) فحامت عليه الدبر (النحل) . وكان المشركون قد أرادوا أن يصلبوه فلم يتأت لهم ذلك لكثرة ما كان عليه من النحل .

غسلتْ خالِيَ الملائكةُ الأبـ ـرارُ ؛ طوبى لـه من صَريــع !

– مدح الاحوص يزيد بن عبد الملك فقال فيه :

كريمُ قريشٍ حين يُنْسَبُ ، والذي أقرّت لـه بالملـك كهلاً وأمردا .
وليس وان أعطاك في اليوم مانعـاً ، إذا عُدتَ ، من أضعافِ أضعافه غدا.
أهـان تِلادَ المـال في الحمد ، إنـه إمامُ هدىً يجري على ما تعوّدا [1] .
تشرّف مجـداً من أبيه وجدّه ، وقد ورِثا بنُنْيان مجدٍ تَشَيّدا .

– وللاحوص في تبرير استهتاره وفسقه :

ألا لا تَلُمْهُ اليومَ أن يَتَبَلّدا ، فقد غُلِبَ المحزونُ أن يَتَجَلّدا .
إذا كنت عَزْهاةً عن اللهو والصِبى فكن حَجَراً من يابس الصخر جَلْمدا [2].
فما العيشُ إلاّ ما تحبّ وتشتهي وإن لام فيه ذو الشَنان وفَنّدا [3] .

– واختار أبو بكر الأصفهاني في كتاب الزهرة للأحوص :

أدعو إلى هَجرها قلبي لِيَتْبَعَني ؛ حتّى إذا قلت : هذا صادقٌ ، نَزَعـا .
قد زاده كَلَفاً بالحبّ أن مُنِعَت ، **أحبّ شيءٍ إلى الانسان ما مُنعا !**

٤ – ** الاغاني ٤ : ٢٢٣ – ٢٦٨ ، ٦ : ٢٥٣ – ٢٥٩ ، ١٥ : ٢٩٢ وما بعدها ، ثم الاغاني (طبعة الساسي) ١٦ : ٨٨ وما بعدها ، ١٨ : ١٩٥ وما بعدها ؛ بروكلمان ١ : ٤٤ ، الملحق ١ : ٨٠ ؛ زيدان ١ : ٣٣٥ – ٣٣٦ .

ثابت قُطنة

١ – هو ابو العلاء ثابت بن كعب (أو ابن عبد الرحمن بن كعب) من بني أسد بن الحارث بن العَتيك من الأزْد ، وقيل بل كان مولىً لهم .

---

١ تلاد المال : المال القديم الموروث .
٢ العزهاة : المبتعد عن اللهو والنساء .
٣ الشنان لغة في الشنآن : البغض . فنده : نسبه إلى الفند (الجنون) .

كان ثابت بن كعب فارساً شجاعاً قضى معظم حياته ، فيما يبدو من أخباره ، ومنذ عام ٧٣ هـ (٦٩٢ م) ، في خراسان محارباً أو قائداً أو والياً [١] ؛ وقد كان يزيد بن المهلّب قد استعمله على بعض كُوَرِ خراسان [٢] لشجاعته ولحسن كتابته .

وكان ثابت يجالس في خراسان قوماً من الشُّراة (الخوارج) وقوماً من المُرْجئة فمال إلى رأي المرجئة وأصبح شاعراً لهم يتكلّم باسمهم .

والإرجاء مذهب كلامي سياسي يقوم على أن الايمان وَحْدَهُ يكفي لِعَدِّ الرجلِ مؤمناً ، ولو لم يعملْ عملاً صالحاً (وهذا خِلاف رأي الخوارج) . أما الذنوب عند المرجئة فلا تضُر مهما كانت . وأصحاب الذنوب يُرْجأ أمرهم إلى الله فهو الذي يحاسبهم على ما فعلوا ويَحْكُمُ عليهم بما يستحقون . وهم لا يجيزون قتال الفاسق (وهذا أيضاً خلاف رأي الخوارج) .

في سنة ١٠٢ هـ (٧٢٠ م) تولّى مَسْلَمَةُ بنُ عبدِ الملك الكوفةَ والبصرة ؛ ثم أضيفت اليه خراسانُ ، فعين مسلمةُ على خراسان سعيدَ بنَ عبدِ العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص نائباً عنه . وخاض ثابتٌ في ذلك الحين معاركَ في خراسانَ ذهبت في أحدها عينه فكان يضع عليها قُطنةً ، فسُمّي من أجلِ ذلك ثابت قطنة . وفي سنة ١٠٩ هـ (٧٢٧ م) غزا ثابت مع أشرس ابن عبد الله بلاد سَمَرْقَنْدَ . وفي العام التالي وجّهه أشرسُ في خيلٍ إلى آمُل (في طَبَرْستان) لقتال التّرك فقاتلهم وظَفِرَ بهم ثم ظفروا هم به فقتلوه (١١٠ هـ = ٧٢٩ م) .

٢ — ثابتُ قطنة خطيبٌ قدير وشاعر مُجيد مُوجز يبلغ المعاني الكثيرة بالالفاظ اليسيرة [٣] . ويبدو أيضاً أنه كان كاتباً مترسّلاً . أما في الشعر فكان ثابت قطنة مدّاحاً هجّاء ، ثم له رثاءٌ حسنٌ وشيء من الشعر الفلسفي في قصيدته الدالية المختارة في هذه الترجمة .

---

١ هنالك قائد آخر اسمه ثابت قطنة (راجع الطبري ، ليدن ٢ : ١٤٢٤) .
٢ تولى يزيد بن المهلب على خراسان مرتين من ٨٢ — ٨٥ هـ ، ومن ٩٧ — ٩٩ هـ .
٣ راجع البيان والتبيين ١ : ١٤٩ .

٣ ـ المختار من شعره :

ـ قال ثابت قطنة يُوجز عقيدةَ الإرجاء ، وهذه القصيدة من شعره القديم :

يا هِندُ ، فاستَمِعي لي : إنّ سيرتَنا ... أن نَعبُدَ اللهَ لم نُشرِكْ به أحَدا .
نُرجي الأمورَ إذا كانت مُشبَّهةً ، ... ونَصدُقُ القولَ في من حار أو عَنَدا [١].
المُسلمون على الإسلامِ كُلّهُمُ ، ... والمُشركونَ استَوَوْا في دينهم قِدَدا [٢].
ولا أرى أن ذَنباً بالغاً أحداً ... مِ الناسِ * شِركاً إذا ما وَحّدَ الصمَدا .
لا نَسفِكُ الدمَ ، إلاّ أن يُرادَ بنا ... سَفْكُ الدماءِ طريقاً واحداً جَدَدا [٣].
مَنْ يتّقِ اللهَ في الدنيا فإنّ له ... أجرَ التقيّ إذا وُفّي الحسابَ غَدا .
وما قضى اللهُ من أمرٍ فليس له ... ردٌّ ،وما يَقْضِ من شيءٍ يَكُنْ رَشَدا.
كلّ الخوارجِ مُخطٍ * في مَقالتهِ ، ... ولو تَعبّدَ في ما قالَ واجتَهَدا .
أمّا عليٌّ وعُثمانٌ فإنّهما ... عَبدانِ لم يُشرِكا باللهِ مُذْ عَبَدا [٤].
وكان بينَهما شَغْبٌ ، وقد شَهِدا ... شَقّ العَصا ، وبعينِ اللهِ ما شَهِدا [٥].
يُجزَى عليٌّ وعُثمانٌ بسعيِهِما، ... ولستُ أدري بحقٍّ أيّةً وَرَدا [٦].
اللهُ يَعلَمُ ماذا يَحضُرانِ بهِ ؛ ... وكلّ عَبدٍ سيلقى اللهَ مُنفردا !

٤ ـ ** الاغاني ١٤ : ٢٦٢ ـ ٢٨١ ؛ زيدان ١ : ٣١٠ ـ ٣١١ .

---

* م الناس = من الناس . مخط = مخطيء .

١ نُرجي الأمور : نرجيء (نؤخر) البت فيها (إلى الله يوم القيامة) . مشبهة : متشابهة (لا يتضح فيها الحق من الباطل) . حار : ضل جهلا منه . عند : ضل عن علم وأصر على ضلاله .

٢ ـ جميع المسلمين سواء في الايمان ، وجميع المشركين سواء في الكفر (مهما عمل المسلمون من الذنوب ومهما عمل المشركون من الاعمال الصالحة) ، لأن مدار الايمان عند المرجئة على الاعتقاد لا على العمل .

٣ ـ لا نقاتل إلا من يريد قتالنا قصداً . الجدد : الواضح .

٤ علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان .

٥ شغب : تهييج الشر (هنالك قوم أثاروا بينهما القتال) . شق العصا : اختلاف (المسلمين) . بعين الله ما شهدا : الله يعلم حقيقة ما كان بينهما ، وهو الحكم في أعمالهما .

٦ ـ لست على علم بالمكان الذي صاروا اليه (من جنة أو نار ؛ أو من سبيل مستقيم أو ضلال) .

اسماعيل بن يَسار

١ — كان إسماعيلُ بنُ يَسارٍ من العجم : أصله من آذربَيْجان ومولده ومنشأه في المدينة . وقد كان يَسارٌ والدُ اسماعيلَ يَبيع النَّجْد والفُرُشَ ويُعِدّ الطعامَ الذي يُتّخذُ للأعراس ، ولذلك سُمِّي « النِسائيّ » . وكان يسارٌ مولىً لبني مُرّة من بني التَيْم (تيم قُريش) من كِنانة .

نشأ اسماعيل بن يسار في أسرة عُرِفت بقول الشعر : كان أبوه يسارٌ شاعراً ، وكان أخوه موسى شَهَوات شاعراً[١] ؛ وكذلك كانَ ابْنُهُ مُحمّدٌ شاعراً ثم نشأ حفيدُه عُبيد الله بن محمد شاعراً[٢] .

وكان اسماعيل بن يسار طيّبَ النفس مَليح الحديث فَكِهاً كثيرَ الهَزْل والمُزاح . وقد كان منقطعاً إلى آل الزّبير لأنّه كان مُبْغضاً لبني أمية . وكذلك كان شعوبي اللسانِ يُفضّل العجمَ على العرب في شعره .

ووفد اسماعيل بن يسار على الوليد بن عبد الملك ثم على هِشام بن عبد الملك في الرُّصافة ومدحه ، ولكن لم يكن له حظّ ولا نصيب عند بني أُميّة لشعوبيّته . وكانت وفاة اسماعيل بن يسار نحو سنة ١١٠ ﻫ (٧٢٨ م) .

٢ — اسماعيل بن يسار شاعرٌ مُجيد فصيح الألفاظ سهل التراكيب قريب المعاني عَذْبُ الشعر ، وتكاد تكون خصائصه منقطعةً عن خصائص معاصريه من أمثال الفرزدقِ وجريرٍ ، إذ هي من حيثُ الاغراضُ والأسلوبُ أقربُ إلى أن تكونَ مُحْدَثَةً ، وفي بعض شعرِه شَبَهٌ بشعر عُمَرَ بن أبي ربيعة . وأغراضُه الغزلُ والهِجاء والفخر بقومه الفرسِ على العرب ، وله رثاء ومديح .

٣ — المختار من شعره :

— لإسماعيل بن يسار قصيدة يتغزّل في مطلعها فيقول :

---

١ الشعر والشعراء ٣٦٦ ؛ راجع الاغاني ٣ : ٣٥١ ومعجم الشعراء ٢٨٦ .

٢ معجم الشعراء ٣٤٦ .

ما علی رَسْمِ منزلٍ بالجنابِ لو أبانَ الغداةَ رَجْعَ الجوابِ [1] .
غيّرتْهُ الصَّبا وكلُّ مُلِثٍّ دائمِ الوَدْقِ مُكفَهِرِّ السحاب[2].
دارُ هندٍ ، وهل زماني بهندٍ عائدٌ بالهوى وصَفْوِ الجَنابِ
كالذي كان ، والصفاءُ مَصونٌ لم تَشُبْهُ بهجرةٍ واجتنابِ ؟
ذاكَ منها إذ أنتَ كالغُصْنِ غَضٌّ ، وهي رَوْدٌ كدُمْيَةِ المِحرابِ [3] .

— وفي هذه القصيدة يفخر بالعجم على العرب :

رُبَّ خالٍ مُتَوَّجٍ لي وعَمٍّ ماجدٍ مُجتَدَىً كريمِ النِصابِ [4] .
إنّما سُمِّيَ الفوارسُ بالفُرْ سِ مُضاهاةَ رِفعةِ الأنسابِ .
فاتْرُكي الفخرَ ، يا أمامَ ، علينا ، واتركي الجَوْرَ وانْطِقي بالصوابِ
واسألي — إنْ جَهِلْتِ — عنّا وعنكم كيف كنّا في سالف الأحقابِ :
إذ نُرَبّي بناتِنا ، وتَدُسّو نَ سَفاهاً بناتِكم في التّرابِ !

— وله مغامرة شعرية تشبه رائية عمر في بعض وجوهها ، منها :

كُلْثُمُ ، أنتِ الهَمّ ، يا كلثمُ ! وأنْتُمُ دائي الذي أكْتُمُ .
أكاتِمُ الناسَ هوىً شفّني ، وبعضُ كِتْمانِ الهوى أحزَمُ .
قد لُمْتِني ظُلْماً بلا ظِنّةٍ ، وأنت — فيما بينَنا — ألْوَمُ !
أُبْدي الذي تُخْفينَه ظاهراً : أرْتَدّ عنه فيه أو أُقْدِمِ ؟
أوْفي بما قُلْتِ ولا تَنْدَمي ، إنّ الوَفِيَّ القولِ لا يَنْدَمُ .
آيةُ ما جئتُ على رِقْبةٍ بعد الكرى والحيّ قد نَوّموا [5] .
أُخافِتُ المَشْيَ حِذارَ العِدى ، والليلُ داجٍ حالكٌ مُظْلِمُ .

---

١ الجناب (بفتح الجيم وكسرها) : اسم موضع . ليس من الضروري أن يكون الشاعر قد عنى به هنا موضعاً معيناً .
٢ الصبا : ريح الشرق . ملث : دائم . الودق : البرق . مكفهر السحاب : غيم أسود (دلالة على امتلائه بالماء) .
٣ رؤد : لين ، طري . دمية المحراب : تمثال العذراء عند النصارى .
٤ مجتدى : يقصده الناس لجوده . النصاب : الأصل .
٥ آية : بعلامة . رقبة : حذر .

حتّى دخلتُ البيتَ فاستذرفتْ   من شفقٍ عيناكِ لي تسجُمُ [1] .
فبِتّ في ما شئتُ من نعمةٍ   يمنحنيها نحرُها والفمُ .
حتّى إذا الصبحُ بدا ضوءُه   وغارتِ الجوزاء والمِرْزَمُ [2] ،
خرجتُ – والوطءُ خفيّ – كما   ينسابُ من مكمنهِ الأرقمُ [3] .

٤٤ – ** الاغاني ٤ : ٤٠٦ – ٤٢٧ ؛ بروكلمان ١ : ٦٠ ، الملحق ١ : ٩٥ ؛ زيدان ١ : ٣٢٠ .

الحسن البصريّ

١ – كان يَسارُ ، والدُ الحسن البَصريّ ، قد سُبِيَ في أيام الفُتوح في مَيْسان (جنوبيَّ العراق) ثم جِيء به إلى المدينة فأسلَمَ وأصبَحَ مولىً لزيد ابن ثابتٍ الانصاريّ .

أما أبو سعيد الحسنُ بنُ يَسارٍ البصريّ فقد وُلِدَ في المدينة ، سنة ٢١ هـ (٦٤٢ م) ، فنشأ في وادي القُرى (شَماليّ الحجاز) ثمّ انتقل إلى البصرة . وفي البصرة وَلِيَ الحسنُ البصريّ القضاءَ (الكامل ١٥٢) .

ولقد كان الحسن البصريّ يرى أنّ عثمانَ بنَ عفانَ قُتِلَ مظلوماً . وكذلك كان يرى أنّ التحكيمَ بين عليّ بن أبي طالبٍ وبين معاويةَ بن أبي سُفيانَ بعد معركة صِفّين لم يكن صواباً لأن صاحبَ الحقّ يجب ألاّ يقبل تحكيماً (راجع الكامل ٥٦٢) .

وإلى الحسن البصريّ ترْجِعُ نشأة الاعتزال :

كانت نشأةُ الاعتزالِ تقوم على قضيّتين : أولاهما : آلانسانُ مُسَيّرٌ أم مُخَيّرٌ ؟

---

١ استذرفت : استفرغت دمعها (؟) . شفق : اشفاق ، رحمة . تسجم : تهطل .
٢ الجوزاء : صورة (مجموع نجوم في رأي العين) ، والمرزم : نجم تابع للشعرى (الجوزاء والشعرى من مجموعات النجوم التي تظهر في سمائنا في الصيف) .
٣ انساب : زحف خفية . المكمن : المخبأ . الارقم : الحية .

الانسانُ في الاسلام مُسَيَّر ، واللهُ سُبحانَه وتعالى هو الذي كتب عليه جميعَ أعماله منذ الازل . ثم نشأ في أيام الحسن البصري من يقول بأنّ الانسانَ مُخَيَّر يَفْعَلُ جميعَ أعماله باختياره وإرادته ، وأنه مِنْ أجل ذلك يستحق الثوابَ على ما أحسن والعِقابَ على ما أساء . وقد قال بذلك واصلُ بن عطاءٍ وعمرو بن عُبيدِ بن بابٍ تلميذا الحسن البصري وخالَفَهُما الحسن.

وأما القضية الثانية فهي مَنْزِلَة صاحبِ الكبيرة .

الذنوب في الاسلام كبائر وصغائرُ . فالكبائر هي الإشراك بالله وتكذيبُ الرسل وإنكار البعث (وهذه كفر يُخْرِجُ من المِلّة) ثم شرب الخمر والزنا ومعصية الوالدين (وهذه هي التي نَشِبَ الخلاف فيها بين المعتزلة وبين خصومهم) :

(أ) يرى الخوارجُ أنّ الايمانَ «كُلّ» ، وأن كلّ ذنبٍ مهما كان صغيراً يُبْطِلُ الايمان ويَخْرُجُ بصاحبه إلى الكفر ، فيستحقّ صاحبه القتلَ في الدنيا والخلودَ في جهنّمَ في الآخرة ، كالسَّرِقة والكَذِب .

(ب) ويرى أهلُ السُّنّةُ والجماعة (المسلمون الاولون) أن الذنوب قابلةٌ للعفو من لَدُنِ الله ، وأن ما يستوجب القتلَ في الدنيا والخلودَ في النار في الآخرة «ذنوبٌ» نُصّ عليها في الدين كالارتداد عن الاسلام وزنا المُحْصَن (المتزوّج) والقاتلِ المُتَعَمّد للقتل بغيرِ حقّ .

(ج) وسُئِلَ الحَسَنُ البصريّ مَرّةً عن صاحبِ الكبيرةِ فتَوَقّفَ في الجواب قليلاً (كأنه كان يُريد أن **يَفْصِل في أمره**) ولكنّ تلميذَه واصلَ بنَ عطاء استَبقَ الجوابَ الفاصلَ وأعلن أن **صاحبَ الكبيرةِ** هو **في منزلةٍ بين منزلتينِ** (انه ليس مؤمناً مُطلقاً لأنه ترك أمراً من أمور الايمان ، ثم هو ليس كافراً مطلقاً لأنه لا يزال يَعْمَلُ أعمالاً كثاراً من الايمان) ولكنه **فاسق** (فهو إذَنْ في منزلةِ الفِسْق التي هي بين منزلةِ الإيمان ومنزلة الكُفْر) . فصاحب الكبيرةِ عند واصل إذَنْ لا يُقْتَلُ في الدنيا ولا يَخْلُدُ في الآخرة في النار (كما كان يرى الخوارج) .

من أجل ذلك فارقَ واصلٌ أستاذَه الحسنَ البصريّ ، وأخذ يُقرِّرُ على

الذين أرادوا أن يأخذوا برأيه أنّ الانسان حرّ في أفعاله يفعلُ ما يشاء بارادته وَحْدَه ، ومن ذلك الحين سُمّي الذين يذهبون هذا المذهب المُعْتَزِلة .

وكانت وفاة الحسن البصري في البصرة في أول رجب من سنة ١١٠ هـ ، (١٠–١٠–٧٢٨ م) .

٢ – كان الحسن البصري من رواة الحديث [١] وقصّاصاً واعظاً [٢] وخطيباً قيل فيه : أخطب الناس صاحب العِمامة السوداء ، أي الحسن البصري . كما كان فصيحاً بليغاً بارعاً في اللغة والفقه ، تقياً زاهداً ، واسع الحلم حسن الاخلاق .

٣ – المختار من كلامه :

– من أقوال الحسن البصري :

– التقديرُ نِصْفُ الكَسْبِ ، والتَوَدّد نصف العقل ، وحُسْنُ طلب الحاجة نصف العلم .

– بِعْ دنياك بآخرتِك تَرْبَحْهما جميعاً ، ولا تَبِعْ آخرتك بدنياك فتَخْسَرَهما جميعاً .

– تهادَيْتُمُ الاطباقَ ولم تَتَهادَوْا النّصائحَ .

– ما أطالَ عبدٌ الاملَ إلاّ أساء العمل .

– إذا سَرّك أن تنظر إلى الدنيا بعدَك فانظر اليها بعدَ غيرِك .

– كان مروانُ بن المهلّب بالبصرة يَحُثّ الناسَ على حرب أهل الشام ، فكان الحسنُ البصريّ يُثَبِّطُهُم عن ذلك ويقول :

أيّها الناسُ ، الْزَموا رِحالَكم [٤] ، وكُفّوا أيْدِيَكم ، واتّقوا اللهَ مولاكم . ولا يَقْتُلْ بعضُكم بعضاً على دنيا زائلةٍ وطَمَعٍ فيها يَسيرٍ ليسَ لأهلِها بباقٍ ،

---

١ راجع البيان والتبيين ٢ : ٢٣ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ١١٣ ، ٢٧٨ ، ٣ : ١٢٥ ، ١٧٨ الخ .
٢ مثله ١ : ١١٩ ، ٢٩٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ .
٣ مثله ١ : ٢٦١ ، ٣٥٤ ، ٣٩٨ ، ٢ : ٢٦٨ .
٤ الرحال جمع رحل (بفتح الراء) : مركب البعير ، والمسكن . الزموا رحالكم : ابقوا في بيوتكم (لا تشتركوا في الفتنة والقتال وفي ما يختلف فيه الناس) .

وليسَ اللهُ عنهم في ما اكْتَسَبوا بِراضٍ . انه لم يكن فِتنةٌ إلا كان أكثرُ أهلِها الخُطباءُ والشعراءُ والسّفهاءُ وأهلُ التيهِ والخُيَلاءِ ، وليس يَسْلَمُ منها إلا المجهولُ الخَفِيّ والمعروفُ التقيّ ....

– لما وَلِيَ عمرُ بنُ عبد العزيز الخلافة (٩٩ هـ = ٧١٧ م) كتب إلى الحسنِ البصريّ يسأله أن يَصِفَ له الإمامَ (الخليفة) العادل ، فكتب اليه الحسنُ البصريّ :

اعْلَمْ ، يا أميرَ المؤمنين ، أن الله جَعَلَ الإمامَ العادلَ قِوامَ كلِّ مائلٍ وقَصْدَ كل جائرٍ وصلاحَ كل فاسدٍ وقوة كلّ ضعيفٍ ونِصْفَةَ كل مظلومٍ ومَفْزَع كل مَلْهوف [1] .

والإمامُ العادل ، يا أميرَ المؤمنين ، كالراعي الشفيق على إبِلِهِ يرتادُ له أطيبَ المرعى ويَذودها عن مراتِعِ الهَلَكَةِ .... والامام العادل ، يا أميرَ المؤمنين، كالاب الحاني على وَلَده : يَسْعى لهم صِغاراً ، ويعلّمهم كِباراً ،ويَكْتَسِبُ لهم في حياته ويَدّخِرُ لهم بعد مماته .... [2] .

فالآنَ ، يا أميرَ المؤمنين ، وأنت في مَهْلٍ قبلَ حلولِ الأجلِ وانقطاع الأمل ، لا تَحْكُمْ في عِبادِ الله بحُكْمِ الجاهلين ولا تَسْلُكْ بهم سبيلَ الظالمين ، ولا تسَلِّطْ المُستكبِرين على المُسْتَضْعَفين فانهم لا يَرْقُبونَ في مؤمن إلاّ ولا ذِمّة فتبوءَ بأوزارِك وأوزارٍ مَعَ أوزارِك ، وتَحْمِلَ أثقالَك وأثقالاً مَعَ أثقالك . ولا يَغرّنّكَ الذين يَتَنَعّمون بما فيه بُؤْسُك ، ويأكلون الطيباتِ في دنياهم بإذهابِ طيّباتك في آخرتك ....

٤ – * الحسن البصري : سيرته ، شخصيّته ، تعاليمه وآراؤه ، تأليف احسان عبّاس ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٥٢ م .

---

١ قوام (بفتح القاف) : عدل ، إقامة ، الوسيلة إلى تصحيح الخطأ . القصد : الاعتدال (والرجوع إلى قصد الطريق : إلى الحق) . الجائر : الظالم ، المائل عن الحق . المفزع : الملجأ . المظلوم المضطر الذي يستغيث بالناس لينقذوه مما هو فيه .

٢ يرتاد : يطلب ، يبحث عن . يذودها : يدفعها (يدفع عنها) ، يحميها .

الفَرَزْدق

١ – هو أبو فِراسٍ َهمّامُ بن غالبِ بن صَعْصَعَةَ ، من مُجاشعِ بن دارمٍ من بني تميم .

كان الفرزدق من فرع قويٍّ من بني تميم . وعُرِفَ جَدّه صعصعة بأنه مُحْيِي المَوْؤودات لأنه كان في الجاهلية يَفدي كل فتاة يبلغ اليه أن أهلها يريدون أن يَئِدوها من فقر . وكان والده غالبٌ يَحْيا حياةً بَدْوية ويَمْلِك إبِلاً وأنعاماً كثيرة . فلما بُنِيَتِ البصرة (١٤ هـ) نَزَل جنوبَها ، واشتهر هنالك بكرمه . وأمّ الفرزدق لِينة بنت قَرَظة الضبّيّة * ، وجَدّته لأبيه ليلى بنت حابس [١] أختُ الاقرع بن حابس [٢] .

أما الفرزدق نفسه فقد وُلِدَ في كاظمة [٣] نحو سنة ٢٠ هـ (٦٤٢ م) في خِلافة عمر بن الخطاب ونشأ هنالك نشأةً بَدْوية . والفرزدق لقب له لِغِلَظ وجهه وشَبَهِه بالرغيف [٤] .

لم يتصلِ الفرزدقُ بأحدٍ من الخلفاء قبل الإمام عليٍّ : لما بدأ الفرزدق ينظم الشعر حمله أبوه إلى الإمام علي في البصرة نحو سنة ٣٦ هـ (٦٥٧ م) وعُمُرُه يومذاك نحو خَمْسَةَ عَشَرَ عاماً ، وجعله ينشد أمامه شيئاً من شعره . ويقال إن الإمامَ علياً نصحه يومذاك بأن يحفظ القرآن . إنّ ذلك يمكن أن يعني شيئين اثنين ، أولهما إنّ شعر الفرزدق جيد فيَحْسُنُ تثقيفُه بلغة القرآن ؛ وثانيهما ان شعره رديء فيجب أن يترك قول الشعر ويشتغل بالقرآن فذلك أعْوَدُ عليه . وعلى كل فانّ الفرزدق عمِل بنصيحة الإمام عليّ وقيّد نفسه بقيد من حديد ولم يَنزِعْه إلاّ بعد أن حفظ القرآن فيما يُروى [٥] . وقد اثرت شخصية الإمام علي في الشاعر الناشئ تأثيراً عميقاً .

---

* غ ١٩ : ٢ .

١ معجم الشعراء ٤٦٦ .

٢ راجع ، فوق ، صفحة ٢٧٢ ، راجع ٢٧٣ – ٢٧٤ .

٣ راجع الشعر والشعراء ٢٩٠ ، السطر الأخير . كاظمة : هي الجهرة الحالية ، شرق مدينة الكويت اليوم .

٤ الفرزدق : تعريب للكلمة الفارسية « برازده » (خبز ، رغيف) .

٥ الكامل ١٦ .

نشأ الفرزدق على حب آل البيت وعلى الاعتقاد بحقهم في الخلافة ، ولكنه كان أحياناً يتظاهر بغير ما يعتقد حرصاً على أن يتكسب من غير آل البيت أيضاً . وكانت حياة الفرزدق الشخصية حَفِلَةً بالقَصْف والمغامرات ، وخصوصاً في ولاية زياد بن أبيه على البصرة (٤٥ – ٥٣ هـ)،والفرزدق يومذاك في عُنْفوان شبابه .

وبعد استشهاد الحُسينِ (٦١ هـ = ٦٨٠ م) ومقتل عبدِ الله بن الزبير سنة ٧٣ هـ (٦٩٢ م) ، وكان العَلَويّون قد خَسِروا جاهَهم السياسي وخسروا معه أموالهم التي كانوا يُجيزون منها الشعراء ، انضمّ الفرزدق إلى شعراءِ الامويين تكسّباً لا اعتقاداً .

مهاجاة الفرزدق وجرير :

تزوّج تميم بن عُلاثةَ ، وهو رجل من بني سَليط ، بَكْرة بنت مُليص من بني كُليب ؛ وقد اتّفق يوماً أن ضربها فشَجّها ، فلَقيَه أخوها فلامه ، فوقع بينهما لِحاءٌ . فضرب أخو بَكْرة تميماً فشجّه . فهجا عَطِيّةُ بن الخَطَفى (والدُ جريرٍ) تميماً ، لأن بَكْرة كانت من بني كُليب قوم عطيّة ....

وبعد زمن تجاور بنو جُحيش من بني سَليط (أقارب تميم بن عُلاثة) وبنو الخَطَفَى (أقاربُ جريرٍ) في غدير بالقاع فتنازعوا ، فجعل بنو الخَطَفى يهجونهم . وكان بنو جُحيش لا يقولون الشعر فاستعانوا بغَسّان بن ذُهيل .... ابن سليط فهجا بني الخطفى .

عَلِمَ جرير بذلك – ولم يكن قد قال الشعر بعدُ – فانتصر لأهله وهجا غسّانَ بن ذُهيل برَجَزٍ هو أوّل ما قاله من الشعر .... ولَحِمَ الهجاء بين جرير وغسّان .... ثم ان البَعيثَ جعل يُعين غسّان على جرير ، فأخذ جرير يهجو البعيث (غ ٨ : ١٦) . ولمّا أعان الفرزدق البعيث انقَلَبَ جريرٌ إلى الفرزدق يهجوه .

وكانت وفاة الفرزدق في سنة ١١٤ هـ (٧٣٢ م) .

٢ – الفرزدق شاعر مقتدر ألفاظه جزَلة فخمة كثيرةُ الغريب . هذه الألفاظ

تبلُغ في ديوان الفرزدق نحو أربعين ألفاً حتّى قيل : لولا الفرزدقُ لَذَهَب ثُلُثُ اللغة ، وقيل لذهب ثُلُثاها . وتراكيب الفرزدق متينة شديدة الأسْر إلى حدٍّ أنها تميلُ إلى التعقيد . أما معانيه فهو كثيرة متنوّعة لأن الفرزدق من الشعراء الذين قالوا في كلّ باب من أبواب الشعر ، على أن في معانيه شيئاً من الغموض في بعض الأحيان . وكان في طبع الفرزدق جفاء حمل إلى شعره شيئاً من الخُشونة والصّلابة . وشعره مطوّلات ومقطّعات ، وهو ذو بَديهةٍ . ولقد جعله نفرٌ من الرواة والنقّاد شبيهاً بزهير بن أبي سلمى .

ومع كثْرة الفنون التي قال فيها الفرزدق فان فضلَه الأوّلَ في الفخر ، وهو أحسن شعراء العصر الأموي فخراً [1] . ثم ان فخره قد غَلَبَ على جميع فنونه حتّى أضرّ ذلك به في التكسب فقد كان لا يتمالك أن يُدخِلَ الفخرَ بنفسه وقومه في مدائح بني أمية فيغضب بنو أمية ثم يَقْطعونه ولا يُعْطونه . وقد أحسن الفرزدق في المدح والهجاء بعض الاحسان ، إلا انه شديد الإقذاع في هجائه . وقد أساء في الرثاء والغزل . ثم إن له أشياءَ تُستجاد في الوصف البَدوي كوصف الذئب مثلاً . وله أبيات مقلّدة (فيها حكمة) .

— للفرزدق نَقيضةٌ [2] من طوالِ قصائده تبلُغ مِائَةً وخَمْسَةً وعِشْرين بيتاً فيها نسيبٌ بَدويّ يُخالطه شيء من الألوان الحَضَرية ، إلاّ أن فيه أيضاً شيئاً من السَماجة . والفرزدقُ يمدح في هذه النقيضة (عبدَ الملك) بن مروان متكسّباً وهو يعتذر بالقَحْط الشديد الذي كان جاء على البلاد . قال الطبري في أخبار سنة ٦٨ هـ (٦٨٧ — ٦٨٨ م) : « وفي هذه السَنَة كان القحطُ الشديد بالشام حتّى لم يَقْدروا من شدّته على الغزو » (طبعة القاهرة ٧ : ١٦٧) . ويفهم من قصيدة الفرزدق أن القحط توالى ، ومن المُنْتَظَر أن يكون قد امتد إلى البلاد التي هي أقل خصباً في الأصل . وفي القصيدة أيضاً فخر شُهِرَ به الفرزدق وهجاء لجرير . وفيها بيتان ذكر الفرزدق فيهما أميرُ المؤمنين (عبد الملك) بن مروان ليتخلّص منهما إلى وصف القحط فالى الفخر بقومه وبكرم قومه حتّى في مثل هذا القحط . قال الفرزدق :

---

١ طبقات الشعراء ٨٧ ؛ العمدة ١ : ٧٩ .

١ راجع ، فوق ، ص ٣٦١ .

عَزَفْتَ بأعشاشٍ ، وما كنتَ تعزِفُ ، وأنكرتَ من حَدراءَ ما كنتَ تَعرِفُ[1] ،
ولَجّ بكَ الهِجرانُ حتّى كأنّما ترى الموتَ في البيت الذي كنتَ تألَفُ[2] :
لَجاجةَ صُرمٍ ليس بالوصلِ ، إنّما أخو الوصل من يدنو ومن يتَلَطّف[3] .
إذا انْتَبَهَتْ حَدراءُ من نَومة الضُحى دعت ، وعليها دِرع خَزّ ومُطرَف[4] ،
بأخضرَ من نَعْمانَ ثمّ جَلَتْ به عِذابَ الثنايا طَيّباً حين يُرشَف[5] .
ومُسْتَنْفِزات للقلوب كأنّها مَهاً حول مَنتوجاتها تَتَصَرّف[6] ،
إذا هنّ ساقَطْنَ الحديثَ كأنّه جَنَى النحل أو أبكارُ كَرمٍ تُقطَف[7] .
موانعُ للأسرارِ إلاّ لأهلِها ، ويُخلِفْنَ ما ظنّ الغَيور المُشَفْشَف[8] .

---

١ عزفت بأعشاش : صددت عن اللهو مع النساء في أعشاش وكرهته ، وما كنت تفعل ذلك من قبل . حدراء بنت زيق : فتاة نصرانية تزوجها الفرزدق بعد امرأته النوار . وماتت حدراء في أيام الفرزدق فرثاها الفرزدق رثاء يسيراً بلا مبالاة . أنكرت ما كنت تعرف : (أصبحت كارهاً للأمور التي كنت تحبها في حدراء) .

٢ وتطرفت في الكره حتى هجرت زيارة حدراء هجراً تاماً .....

٣ تطرفاً يدل على أنك تريد قطع صلتك بها من غير أن ترجع إلى وصلها (استئناف صلتك بها)، لأن أخو الوصل (الذي يريد انشاء صلة) يتقرب إلى الناس ويرفق في كلامهم ومعاملتهم .

٤ الضحى : ارتفاع النهار (كانت حدراء منعمة تنام إلى ارتفاع النهار لأنها لم تكن مضطرة إلى قضاء حاجات بيتها بنفسها) . الدرع : قميص تلبسه المرأة . خز : حرير . المطرف (بضم الميم أو كسرها وبالراء المفتوحة) : رداء من خز (حرير) مربع وفيه أشكال (يرتدى فوق الملابس) .

٥ – .... (طلبت غصناً) أخضر من (شجر الأراك الذي ينبت في وادي) نعمان (وراء جبل عرفات قرب مكة) ثم جلت به (غسلت أسنانها ثم فركتها بذلك الغصن) . غصن الاراك يتشعث ويصبح كالمرشاة . عذاب : حلوة (الريق) . الثنايا (المقصود الاسنان) . طيباً (ريقها) حين يرشف (يشرب ، يمص) .

٦ مستنفزات (محركات) للقلوب : مثيرات للعاطفة . مها جمع مهاة : البقرة الوحشية (نوع من الغزلان) . منتوجاتها : أولادها . تتصرف : تذهب وتجيء (إذا كان للانثى طفل فانها تكون ذات حنان وعطف) .

٧ ساقطن الحديث : تحدثن ، تبادلن الحديث ، إذا حاورن أحداً . جنى النحل : العسل . أبكار كرم : العنب في أول نضجه (يكون فيه شيء من الحموضة ومن الطعم الواضح) . تقطف : تقطع من الشجيرة (حديثاً) .

٨ الاسرار جمع سر : الزواج . موانع للأسرار إلا لأهلها : لا يتزوجن إلا أكفاءهن . المشفشف : الشديد الغيرة . – يخلفن ما ظن الغيور : لا يعملن ما يحمل أحداً على ظن السوء بهن (هن مصونات عفيفات) .

يُحَدِّثْنَ ، بعد اليأسِ من غير رِيبةٍ ، أحاديثَ تَشْفي المُدنَفين وتَشْغَف ١

إذا القُنْبُضاتُ السّود طَوّفْنَ بالضُحى، رَقَدنَ عليهن الحِجال المُسَجّف ٢ .

وإن نَبّهتْهُنّ الولائدُ بعدَما تَصعّد يومُ الصيف أو كاد ينصف ٣ ،

دَعَونَ بقُضبانِ الأراك التي جَنى لها الرّكْبُ من نَعمانَ أيام عرّفوا ٤

فمِحْنَ به عَذْباً رُضاباً غُروبُه رِقاقٌ وأعلى حيثُ رُكّبْنَ أعجف ٥ .

لَبِسْنَ الفِرِنْدَ الخُسْروانيّ ، دونه مشاعِرَ من خزّ العِراق المُفَوّف ٦ .

فكيف بمحبوسٍ دعاني ، ودونه دُروبٌ وأبوابٌ وقصر مُشَرّف ٧

وصُهْبٌ لِحاهُم راكزونَ رِماحَهم لهم دَرَقٌ تحت العَوالي مُصفّف ٨ .

---

١ يحدثن (يبذلن الحديث) بعد اليأس (بعد أن قنط المحب من عطفهن) من غير ريبة (تهمة ، سوء ظن ، ما يدعو إلى الفساد) . المدنف : الذي ثقل مرضه (من الحب) . تشغف : تمتلك العقل وتغلب على القلب .

٢ القنبضة : المرأة القصيرة الدميمة (المحتاجة إلى السعي على رزقها أو إلى خدمة بيتها) طوفن بالضحى (بدأن يعملن منذ الصباح الباكر) رقدن (أولئك النسوة الجميلات الغنيات المنعمات) عليهن (مسدولا عليهن) . الحجلة (بفتح ففتح) : ستر تنام المرأة وراءه : المسجف : المرخى

٣ الوليدة : الخادم . تصعد اليوم : مر قسم منه . نصف (بفتح الصاد) ينصف (بضم الصاد) وأنصف : صار نصفه .

٤ دعون بقضبان الاراك (راجع ، فوق ، ص ٥٦٢ ، الحاشية ٥) . التي جنى لها (قطفها خصيصاً لهن) الركب من نعمان أيام عرفوا (الحجاج بعد أن نزلوا من جبل عرفات) — لم يقطفها التجار بل الحجاج ثم قدموها اليهن هدية بعد أن تخيروا الأفضل منها (تحبباً اليهم واكراماً لهن لا حباً بالربح).

٥ ماح : استاك ، نظف أسنانه بالسواك أو بفرشاة الاسنان .عذباً رضاباً : (فما ذا ريق حلو) . غروبه : (أسنانه) . وأعلى حيث ركبن (أي اللثة) أعجف (نحيله، لأن اللثة المتضخمة تكون مريضة ومستسقية فيها دم فاسد وقيح) .

٦ الفرند الخسرواني: نوع من الثياب (ثياب ملوكية) . دونه : تحته : مشاعر جمع مشعر : ثوب يلبس مما يلي الجسد (مشاعز منصوبة على الحال) . مفوف : كثير الألوان .

٧ محبوس : (فتاة) مصونة . دعاني : دعاني الحب اليها . دونها : بينها وبين الناس (لا يصل اليها أحد) . الدرب : الطريق (الصعب) في الجبل. أبواب : أبواب كثيرة عليها حجاب . مشرف : له شرفات (كناية عن علوه) .

٨ — .... وحراس لحاهم صهب (حمر) ، فهم روم يونانيون . ركز الرمح : غرزه في الأرض (منصوباً) . درق جمع درقة (بفتح الدال والراء) : الحجفة (بفتح الحاء والجيم) : قطعة من جلد تلبس تحت الدرع لتزيد في حماية الصدر عند القتال (راجع القاموس ٣ : ١٢٦ ، ١٦٣ ، ٢٣٠) . مصفف : قطع جلد بعضها فوق بعض (؟) .

يُبَلِّغنا عنها بغير كلامِها ... إلينا من القصر البَنان المُطَرَّف [1] .
دَعَوتُ الذي سَوّى السماوات أيدُه ؛ ... ولَلّهُ أدني من وريدي وألطف [2] ،
لِيَشْغَلَ عنّي بَعْلَها بزَمانة ... تُدَلِّهُهُ عنّي وعنها فنُسْعَف [3]
بما في فؤادَيْنا من الهَمّ والهوى ... فيَبْرأ مُنهاضُ الفُؤادِ المُسَقَّف [4] :
فأرسلَ في عَيْنَيْهِ ماءً علاهُما . ... وقد علِموا أني أطَبّ وأعْرَف [5] .
فداوَيْتُه عامين ، وهْيَ قريبةٌ ... أراها وتدنو لي مِراراً فأرشُف [6]
سُلافةَ جَفْنٍ خالطَتْها تَريكةٌ ... على شَفَتَيْها والذكيّ المُسوّف [7] .
فيا لَيْتَنا كنّا بعيرين لا نَرِدْ ... على حاضرٍ إلاّ نُشلّ ونُقْذف [8] ،
كِلانا به عَرّ يُخاف قِرافه ... على الناس مَطْليّ المساعِرِ أخشَف [9] ،
بأرضٍ خَلاءٍ وحدَنا وثيابُنا ... من الرَّيط والدّيباج دِرع ومِلْحَف [10] .

---

١ البنان : أطراف الأصابع . المطرف : المصبوغ .– تشير الينا من القصر بيدها التي صبغت أطرافها باللون الأحمر (كناية عن الجمال والتنعم) فنفهم ما تريد .

٢ أيده : قوته . والله أدنى (أقرب) من وريدي (من حبل الوريد : العرق الناقل للدم حينما يصل إلى العنق) . اللطيف : العالم بخفايا الأمور .

٣ الزمانة : العاهة المزمنة (القديمة الصعبة الشفاء) . تدلهه : تحيره حتى يغفل عما حوله . نسعف ، نساعد ، (يتسع لنا المجال حتى نتلاقى) .

٤ المنهاض : (العظم) الذي كان قد كسر ثم جبر ثم كسر ثانية . المسقف (الكسر) الذي لا تزال عليه الجبيرة .

٥ الماء الازرق أو الأسود إذا علا العين (جاء تحت غشائها) منع البصر . أطب (أحسن تطبيباً) وأعرف (أكثر معرفة بهذا المرض) .

٦ أرشف : أمص الريق عند التقبيل .

٧ السلافة : أول عصير العنب . الجفن لعله نوع من العنب ينمو في الطائف (راجع القاموس ٤ : ٢٠٩ السطرين ٦ – ٧ من أسفل) . تريكة : بقية من ريقها (على شفتيها) . الذكي (المسك) الشديد الرائحة المسوف (المرغوب في شمه) .

٨ لا نرد على حاضر : لا نمر بمكان معمرر (مسكون) . نشل : نطرد . نقذف : نرمي بالحجارة . لا وجه لجزم « نرد » . في رواية : لا نرى .

٩ العر : الجرب . القراف : العدوى بداء يقتل (راجع القاموس ٣ : ١٨٤ ، السطرين ١٣ – ١٤) . مطلي : مدهون (بالقطران) . المسعر : أثناء الجسد (كالابط وما بين الأصابع) . أخشف : يابس (من اشتداد الجرب فيها) .

١٠ الريطة : ثوب من قطعة واحدة منسوجة نسجاً ليناً رقيقاً . الديباج : الحرير . الدرع : ثوب تلبسه المرأة مما يلي جسدها . الملحف : رداء يلبس فوق الثياب ليدفع البرد (القاموس ٣ : ١٩٥ ع).

ولا زادَ إلاّ فَضلتانِ : سُلافةٌ ... وأبيضُ من ماء الغَمامة قَرقَف [1] ،

وأشلاءُ لحمٍ من حُبارى يَصيدها ، ... إذا نحن شِئنا ، صاحبٌ متألّف [2] .

لنا ما تَمَنّينا من العيش ما دعا ... هديلاً حماماتٌ بنَعمان هُتّف [3] .

إليكَ ، أميرَ المؤمنين ، رمت بنا ... هُمومُ المُنى والهَوجَل المُتَعسِّف [4] .

وعضّ زمانٌ ، يا ابنَ مروانَ ، لم يدع ... من المال إلاّ مُسحَتاً أو مُجرّف [5]

إذا اغبَرّ آفاقُ السماءِ ، وكَشّفَت ... كسورَ بيوتِ الحيّ نكباءُ حَرجَف [6] ،

وهَتّكتِ الاطنابَ كلٌّ عظيمةٍ ... لها تامكٌ من صادق النيّ أعرَف [7] ،

وجاء قريعُ الشّول قبل إفالِها ... يَزِفّ ، وراحت خَلْفَه وهي زُفّف [8]

وباشرَ راعيها الصَّلى بلَبانه ... وكَفّيْه حرّ النارِ ما يَتَحرّف [9] ،

---

١ زاد : طعام . فضلة : بقية (شيء يكفي لدفع الجوع) . سلافة : خمر . وأبيض من ماء الغمامة : شيء من ماء المطر الصافي . القرقف : البارد (راجع القاموس ٣ : ١٨٥ ، السطر ٣) .

٢ أشلاء : قطع من لحم . حبارى : نوع من الطير . صاحب متألف : صقر أو بازي يحسن الصيد .

٣ الهديل (هنا) : فرخ الحمام (القاموس ٤ : ٦٧ ، السطر الأخير) . هتف جمع هاتف وهاتفة : صائح . ما دعت الحمام أفراخها (دائماً) .

٤ — جاء بنا اليك هموم المنى (آمالنا بما سنناله منك) والهوجل (الأرض الواسعة) المتعسف (الصعبةالمسلك إذ لا علامات يهتدى بها المسافر فيها) . — آمالنا العظيمة في عطاياك جعلنا نأتي من مكان بعيد ونقطع فلاة واسعة شديدة على المسافرين .

٥ — اشتد الزمان علينا بالقحط حتى أنه ما ترك شيئاً يقتات أحد به . المسحت : ما بقي من الشيء بعد استئصاله (القاموس ١ : ١٤٩ ، السطر ٧ من أسفل) . المجرف : الباقي من الشيءبعد أن يجرفه السيل الخ). وبعد هذا البيت أبيات في وصف الصحراء والناقة .

٦ إذا اغبر (أظلم) آفاق (أطراف : نواحي) السماء بالغبار الأحمر (للجفاف وقلةالغيوم) ثم ان النكباء (الريح التي تهب من كل مكان) الحرجف (الشديدة الهبوب الباردة) كشفت (أطارت الاستار والامتعة في) كسور البيوت (الكسر بفتح الكاف أو كسرها : جانب البيت) .

٧ — ثم جاءت النياق العظيمة ذوات التامك (السنام العظيم) من صادق الني (من السمن الخالص الصرف) . أعرف : طويل العرف . لها تامك أعرف (طويل) . وهتكت الاطناب (لما اشتد البرد جاء النياق تريد الدخول إلى البيوت من البرد فقطعت حبال الخيام وهدمت الخيام) .

٨ القريع : فحل الابل الذي يترك سارحاً ولا يربط بحبل . الشول : الابل التي شالت (ارتفعت ، خفت) ألبانها . افالها : صغارها . زف : أسرع . — جاء القريح (نحو الخيمة هرباً من البرد) وكانت الابل الصغار تتبعه مسرعة وراءه .

٩ — وألصق راعي الابل صدره وكفيه بموقد النار ولم يكن يتزحزح عنه أو يميل يمنة أو يسرة .

وأوقدَتِ الشِّعرى مَعَ الليلِ نارَها وأمست مُحولاً جِلدها يتَوسَّف [1]

وأصبح موضوعُ الصَّقيع كأنّه على سَرَواتِ النيب قُطنٌ مُنَدَّف [2] ،

وقاتل كلبُ الحيِّ عن نار أهلِه ليَربِضَ فيها والصِّلى مُتكَنَّف [3] ،

وَجَدتَّ الثَّرى فينا – إذا يَبِسَ الثَّرى – ومن هو يرجو فضلَه المُتَضَيِّف [4] :

ترى جارنا فينا يُجيز ، وإن جنى فلا هو ممّا يُنْطِفُ الجارَ يُنْطَف [5] .

وقد عَلِمَ الجيرانُ أن قُدورَنا ضوامنُ للأرزاقِ والريح زَفزَف [6]

نُعَجِّل للضِّيفان ، في المَحْل ، بالقِرى **قُدوراً** بمَعْبوطٍ تُمَدّ وتُغْرَف [7]

ترى حولَهن المُعْتَفين كأنّهم على صنمٍ في الجاهلية عُكَّف [8]

قعوداً ، وخَلْفَ القاعدين سُطورُهم جُنوحٌ وأيديهم جُموسٌ ونُطَّف [9] .

وما حُلَّ ، من جهلٍ ، حُبى حُلَمائنا ، ولا قائلٌ بالعُرفِ فينا يُعَنَّف [10] .

---

١ الشعرى الشامية : نجم يظهر في الشتاء أول الليل على الأفق الشرقي ثم يبلغ في منتصف الليل كبد السماء . أوقدت نارها : أصبحت في ذروة ظهور نورها (في منتصف الليل حينما يبلغ البرد أشده) . وأمست (الأرض) قاحلة يطير التراب عن وجهها لشدة القحط .

٢ – الثلج على ظهور الابل كالقطن المندوف .

٣ – وقاتل الكلب أهله ليبعدهم عن النار ويبرك هو مكانهم ، بينما كان الناس يتكنفون النار (يحيطون بها من كل جانب) .

٤ (في مثل هذه الحال من القحط) تجد الثرى (الخير الكثير والكرم) إذا يبس الثرى (وجه الارض بالقحط) ووجدت فينا الرجل المضياف الكريم الذي يثق الناس بكرمه .

٥ ثم ترى جارنا ضيفنا يجيز : يحمي (الناس الذين يلجأون اليه اعتماداً على قوتنا وعزنا وكرمنا) . ثم يكون عندنا آمناً ولا يهلك (بالجوع أو باعتداء الآخرين عليه ، كما يتفق لجيران غيرنا) .

٦ زفزف : شديدة الهبوب باردة .

٧ المحل : القحط . القرى : الضيافة . المعبوط : اللحم الطري الذي ذبحت ابله أو غنمه حديثاً . تمد (تملأ باستمرار كلما نقصت) وتغرف (يغرف منها ، يسكب منها للناس) .

٨ المعتفون : طالبو المعروف ، المحتاجون . عكف : يقفون حول شيء ما في دائرة (مع المواظبة والخشوع) .

٩ .... تجد قسماً منهم قعوداً ، وقسماً كبيراً آخر وقوفاً ، بعضهم قد أكل وشبع فكان السمن قد جمس (جمد) على كفه ، وآخرون لا يزالون يأكلون ولا تزال أيديهم تنطف (تقطر ، تسيل) بالسمن .

١٠ الحبوة (بفتح الحاء) : شملة يربطها سيد القوم من ظهره إلى ركبتيه ويجلس وقوراً يحكم بين الناس . يقول الفرزدق (حسب قراءة النقائض ٥٦٤ : حل بضم الحاء) : لا يبلغ الجهل من سادتنا أن يحل أحدهم حبوته (أي إلى أن يغضب) . وأود أنا أن أقرأ : حَل (بفتح الحاء) : لا يغضب سادتنا مهما خاطبهم الناس بجهل وافتراء .(من جهل : من حرف جر زائد ، جهل مجرور لفظاً مرفوع محلا على أنه فاعل «حل»). ولا يعنف : لا يلام (لا يخطئ) أحد منا مع أنه يقول بالعرف (بالحكم الشخصي مع غير رجوع إلى قانون موضوع – أقوالنا قوانين وقواعد للسلوك) .

وما قام منّا قائمٌ في نَدِيِّنا فينْطِقَ إلاّ بالّتي هي أعْرَفُ [1] .
ولو تَشْرَبُ الكَلْبى المِراضُ دِماءَنا شَفَتْها ، وذو الداء الذي هو أدنَفُ [2] .
وجدنا أعزّ الناس أكثرَهم حَصىً ، وأكرَمهم مَن بالمكارم يُعْرَفُ [3] .
وكلتاهما فينا إلى حيثُ تَلْتَقي قبائلُ لاقى بينهن المعرَّفُ [4] .
فما أحدٌ في الناس يَعْدِلُ دَرْأنا بعزٍّ ، ولا عزٌّ له حين نَجْنَفُ [5] .
سيعلَمُ من سامَى تميماً إذا هوَت قوائمهُ في البحر مَن يتَخلّفُ [6] .
لنا العِزّةُ القَعْساءُ والعددُ الذي عليه إذا عُدّ الحصى يتَخلّفُ [7] .
ولا عِزَّ إلاّ عزُّنا قاهرٌ له ؛ ويسألُنا النِصفَ الذليلُ فيُنصَفُ [8] .
ومنّا الذي لا يَنْطِقُ الناسُ عندَه، ولكن هو المُسْتَأذَنُ المُتَنَصّفُ [9]
تراهُم قُعوداً حولَه وعيونُهم مُكَسَّرَةٌ أبصارُها ما تَصَرّفُ [10].

١ الندي : مجتمع القوم . أعرف : أعلم (بالأمور ، لا يخفى عليه شيء منها) .
٢ ولو شرب المرضى المصابون بالكلب (بفتح الكاف واللام) دماءنا لشفوا (بفتح اللام وضم الشين والفاء) لأننا ملوك (تقول الخرافات : ان دماء الملوك تشفي من داء الكلب) . ومن هو أدنف (وكذلك دماؤنا شفاء لمن كان مرضهم أشد من مرض الكلب) .
٣ أعز الناس : أقواهم . أكثرهم حصى : أكثرهم عدداً . بالمكارم يعرف : يشتهر بالمكارم .
٤ المعرف : جبل عرفات حيث يجتمع الحجاج من كل أمة (حيث يجتمع كل الناس) . — نحن أقوى البشر وأكثر الأمم عدداً في كل مكان .
٥ يعدل : يوازي (يقاربنا ، يشبهنا) . الدرء : الدفاع (القدرة والشجاعة) . ولا عز له حين نجنف : ليس لأحد من الناس عز (قوة) يستطيع أن يدفع به جنفنا (ظلمنا ، اعتداءنا) عنه .
٦ الماء قليل في البادية ، لذلك كانت القبائل القوية إذا وردت الماء مع غيرها من القبائل تتقدم فتستقي هي أولا وتسقي انعامها . وإلى هذا يشير الفرزدق فيقول : إن من اراد أن ينافس بني تميم في عزهم وقوتهم سيعلم مقامه الحقيقي إذا ذهب إلى الماء ورأى الانعام التي تسبق إلى الشرب فيحكم لأصحابها بالتقدم . إنها أنعامنا نحن .
٧ العزة : القوة . القعساء : العالية ، العظيمة . عددنا يقل عنه عدد الحصى (الحجارة الصغيرة) .
٨ ويسألنا (الرجل الضعيف) الذليل النصف (الانصاف ، الانتصاف ، أن نأخذ له بحقه من الذين ظلموه) فينصف (فنستطيع أن نأخذ له بحقه من جميع الناس) .
٩ وفينا نحن فقط ذلك الرجل الذي إذا كان في مجلس ثم تكلم فلا يجسر أحد أن ينطق في حضرته (لا يجسر أن يقاومه ولا أن يقول كلاماً صائباً مثله) . المستأذن : الذي يطلب الآخرون الاذن منه بالكلام . المتنصف . السلطان (الوالي) الذي يلجأ اليه الناس طلباً للانتصاف من الذين ظلموهم (راجع القاموس ٣ : ٢٠٠ ، السطر ٧ من أسفل) .
١٠ عيونهم مكسرة أبصارها : مطرقون إلى الأرض احتراماً له وهيبة منه . ما تصرف = ما تتصرف : لاتنظر يمنة أو يسرة .

وبيتان : بيتُ اللهِ نحن وُلاتُـهُ ، وبيتٌ بأعلى إيلياءَ مُشَرّفُ [1] .
إذا هبَطَ الناس المُحَصّبَ من مِنًـى عَشيّةَ يومِ النّحْرِ من حيثُ عرّفوا [2]
ترى الناسَ ،ما سِرنا،يَسيرون خَلْفَنا ؛ وإن نحنُ أومأنا إلى الناس وقّفوا [3] !
أُلوفُ ألوفٍ من دُروعٍ ومن قَنـاً وخيلٌ كرَيْعانِ الجَراد وحَرشَفُ [4] .
فإنّك إن تسعى لِتُدرِكَ دارِماً لَأنتَ المُعَنّى ، يا جَريرُ،المُكَلّفُ [5] !

— هذه قصيدة طويلة تبلُغُ أبياتُها مِائَةً وأربعةَ أبياتِ هجا الفرزدقُ بها جريراً ، وكانت تُسمّى الفَيْصلَ (راجع البيت السادسَ عَشَرَ وشرحَه) . من هذه القصيدة :

إنّ الذي سَمَكَ السماءَ بنى لنا بَيْتاً دعائمُه أعزّ وأطولُ [6] :
بيتاً بناه لنا المليكُ ، وما بَنى حَكَمُ السماء فانّه لا يُنْقَلُ [7] ؛
بيتاً زُرارةُ مُحْتَبٍ بفِنائِـه ومُجاشِعٌ وأبو الفوارس نَهْشَلُ [8] ،
يَلِجُونَ بيتَ مُجاشعٍ ؛ وإذا احْتَبَوا بَرَزوا كأنّهُمُ الجِمالُ البُزّلُ [9] .

---

[1] بيت الله : الكعبة ، وايلياء القدس (يقصد المسجد الأقصى) .

[2] المحصب : المكان الذي يلقي فيه الحاج الحصباء (الحصا ، الحجارة) لرجم الشيطان ، وذلك من مناسك الحج . والمحصب في منى (بكسر الميم وفتح النون وياء مقصورة بلا تنوين) شرق مكة . النحر : ذبح الانعام وهو من مناسك الحج أيضاً . يوم النحر : يوم الذبح ، يوم عيد الأضحى ، بعد تمام مناسك الحج . عرفوا : وقفوا بعرفة (قبل يوم النحر) .

[3] أومأ : أشار .

[4] القنا : الرماح . كريعان الجراد : مثل الجراد في العدد وفي اشتداد الحركة . الحرشف : الرجالة (القاموس ٣ : ١٢٦ ، السطر ٤ من أسفل) ، المشاة في الحرب .

[5] لتدرك دارماً : حتى تبلغ منزلة دارم (قوم الفرزدق) . المعنى : الذي يتعب نفسه . المكلف : الذي يطلب منه أمر فوق طاقته !

[6] سمك : رفع . بنى لنا بيتاً (من العزة والجاه والحكم) . الدعائم جمع دعامة (بكسر الدال) : عمود البيت . أعز (أشد) وأطول (أعلى) من كل ما بنى الآخرون .

[7] المليك ، حكم السماء : الله . — ما جعله الله لنا لا يعطى لغيرنا .

[8] زرارة بن عدس (بضم العين والدال) و د[illegible] ونهشل ابنا دارم : من سادة بني تميم في الجاهلية. محتب : (راجع ص ٦٥٦ ، الحاشية ١٠) . فناء بيت : باحتـه . —هؤلاء المشاهير كانوا سادة في بني تميم ، ونحن ورثنا السيادة (على الناس) منهم .

[9] — كانوا إذا دخلوا بيت مجاشع ليعقدوا مجلس القبيلة ظهروا وكأن كل واحد منهم جبل قائم (لعظمتهـم وهيبتهم ووقارهم) .

لا يَحتبي بفِناء بيتِكَ مثلُهم أبداً إذا عُدّ الفَعالُ الأفضَل [1] .
مِن عِزّهم جَحَرتْ كُليبٌ بيتَها زَرَباً لَدَيْهِ كأنّهن القُمّل [2] .
ضربتْ عليكَ العنكبوتُ بنَسْجِها، وقضى عليك به الكتابُ المُنزَل [3]
إنّ الزِحامَ لغَيْرِكُم ، فتَحيّنوا وِرْدَ العَشيّ اليه يَصفُو المَنهَل [4] .
حُلَلُ الملوكِ لِباسُنا في أهلنا ، والسابغاتِ إلى الوَغى نَتَسَرْبَل [5] .
أحلامُنا تَزِنُ الجبالَ رَزانةً ، وتَخالُنا جِنّاً إذا ما نَجْهَل [6] .
فادْفَعْ بكَفّكَ –إن أردتَ بِناءَنا – ثَهْلانَ ذا الهَضَباتِ، هل يَتَحَلْحَل [7] ؟
يا ابنَ المَراغةِ ، أينَ خالُك ؟ إنّني خالي حُبيشٌ ذو الفَعال الأفضل [8] :

---

١ – لا يجتمع مثل هؤلاء ، يا جرير ، في بيتك (للأمور الحميدة العظيمة ، لكن قد يجتمع نفر منكم للشر والدناءة) .

٢ كان بنو كليب (في ذلك الزمن) يلزمون بيوتهم من خوفهم من هؤلاء (لم يكن لأسلافك ، يا جرير ، مكانة في أيام أسلافي هؤلاء) . القمل (هنا) : نوع من الجراد صغير لا أجنحة له . والقمل أيضاً : النمل الأحمر الصغير ؛ وحشرات صغيرة تكون في شعر الانسان وبدنه . والتشبيه هنا للاحتقار والهجاء، ولكن وجه الشبه فيه غير واضح .

٣ – أنت ضعيف إلى درجة أن نسج العنكبوت يقيدك ويمنعك الحركة . وقضى عليك به (دل على ضعف بيت العنكبوت) الكتاب المنزل (القرآن الكريم) : في القرآن الكريم في سورة العنكبوت : « .... وإن أوهن (أضعف) البيوت لبيت العنكبوت ، لو كانوا يعلمون » (٢٩ : ٤١) .

٤ الزحام : المنافسة ، المسابقة (لورود الماء في طليعة الواردين) لغيركم (يا بني تميم ، انه للأقوياء) . تحينوا : انتظروا انتهاء جميع الناس من ورود الماء للشرب وللاستقاء ، عند المساء ، حينئذ يكون المورد صافياً لكم (لا أحد عليه ، ولكن الماء نفسه لا يكون حينئذ صافياً ، ولا يكون هنالك أحياناً ماء أصلا) .

٥ الحلل جمع حلة (بضم الحاء) : ثوب من قطعتين له بطانة . السابغات جمع سابغة : الدرع . الوغى : الحرب . نتسربل : نلبس .

٦ الاحلام : العقول . رزانة : ثقل ، وقار . الجهل ؛ (الاندفاع مع العاطفة) .

٧ – إذا أردت ، يا جرير ، أن تهدم بناءنا (عزنا ، أن يأخذ قومك مكاننا في القبيلة) فجرب قوتك في زحزحة جبل ثهلان من موضعه . الهضبة : البقعة من الأرض المنبسطة إذا كانت مرتفعةعن سطح البحر . ذو الهضبات : كناية عن اتساع هذا الجبل وعظمه .

٨ المراغة : الاتان ، الحمارة . ابن المراغة : ام جرير لقبها بذلك الفرزدق (القاموس ٣ : ١١٢ ، السطر الثاني من أسفل) فلزمها وثبت عليها . أين خالك : ما مكانة خالك في الناس ؟ حبيش بن دلف (بضم الدال وفتح اللام) بن عسير بن ذكوان الضبي كان قد أسر عمرو بن الحارث بن أبي شمر (بفتح الشين وكسر الميم) الغساني من أمراء الشام فجز ناصيته واشترط عليه أن يبعث اليه في كل سنة بحباء (عطاء ، غرامة) حتى يموت . الفعال (بفتح الفاء : مفرد مذكر) : العمل الحميد .

خالي الذي غَصَبَ الملوكَ نفوسَهم ، واليه كان حِباءُ جَفْنَةَ يُنْقَل [1] .
إنّا لَنَضْرِبُ رأسَ كلِّ قبيلةٍ وأبوك خَلْفَ أتانِه يتقمّل [2] .
وشُغِلْتَ عن حَسَبِ الكرام وما بَنَوْا ، إنَّ اللئيمَ عنِ المكارم يُشْغَل [3] .
إنَّ التي فُقِئَتْ بها أبصارُكُمْ ، وهْيَ التي دَمَغَتْ أباك : الفَيْصَلُ [4] .

. . . . [5]

إنَّ استراقَكَ ، يا جريرُ ، قصائدي مثلُ ادِّعاءِ سوى أبيك تَنَقّل [6] .
ليسَ الكرامُ بناحِليكَ أباهُمُ حتّى تُرَدَّ إلى عَطِيّةَ تُعْتَل [7] .
وزَعَمْتَ أنّك قد رَضِيتَ بما بَنَى ؛ فاصبِر ، فما لكَ عن أبيكَ مُحَوَّل [8] .

– وقال الفرزدق يمدح الحجّاج بن يوسف :

أميرَ المؤمنين ، وقد بَلَونا أمورَك كلّها رُشْداً صوابا ،

---

١ آل جفنة : الغساسنة أمراء الشام (راجع الحاشية السابقة) .
٢ – نحن نقاتل الملوك بينما يقضي أبوك حياته قاعداً وراء أتانه يتقمل (ينقي ثيابه من القمل) .
٣ ان صغارة نفسك شغلتك (ألهتك) عن حسب الكرام (الاعمال الحميدة العظيمة التي يعملها كرام الناس وعظماؤهم) .
٤ – هذه القصيدة فقأت أبصاركم (سردت من مخازيكم ما لا تستطيعون انكاره وألزمتكم الخضوع) ، ثم هي دمغت أباك خاصة (أصابته على دماغه لأنها تناولت الكلام على دناءته وهوانه وضعفه) ، ثم كانت فيصلا (فاصلا بين الحق والباطل بيننا وبينكم فاقتنع الناس كلهم بقوتنا وبحقنا في رئاسة بني تميم دونكم) .
٥ هنا أبيات يفتخر فيها الفرزدق بأنه ورث الشعر الجيد عن نفر من القدماء (راجع ، فوق ، ص ٨٧) .
٦ استرق فلان شيئاً : جاء مستتراً إلى حرز (مكان مغلق) فأخذ ذلك الشيء منه (أنت تحاول ، يا جرير ، أن تسرق قصائدي : أن تنظم قصائد جياداً مثل قصائدي) . هذا العمل يشبه دعواك بأنك تنتسب إلى تميم (بينما أنت تنتسب إلى بني كليب بن يربوع الفرع الضعيف من بني تميم لا إلى مجاشع بن دارم الفرع القوي من تميم) . تنقل محاولة للانتماء إلى أب قوي عظيم (؟) لعلها « تنفل » (بالفاء بنقطة واحدة) : أن يطلب الانسان فوق حقه (راجع القاموس ٤ : ٥٩ ، السطرين ٧ – ٨ من أسفل) .
٧ – ان الكرام لا يهبونك آباءهم (لا يقبلون أن تنتسب اليهم ، بل يردونك إلى عطية) يذكرونك بأنك ابن عطية بن الخطفى الذي هو من بني كليب بن يربوع . وإذا أصررت على الانتساب اليهم ، ظلوا يعتلونك (يضربونك بالعتلة – بفتح العين والتاء – وهي الهراوة الغليظة) حتى تقنع بأبيك الحقيقي .
٨ – بعدئذ زعمت (ادعيت) أنك مسرور بأبيك وصرت تفتخر بأعماله . فاقتنع ، اذن ، بذلك ؛ انك لن تستطيع ان تتحول عن (الضعف والهوان اللذين ورثتهما عن) أبيك !

تَعلَّم أنما الحجّاجُ سيفٌ تَجُذّ به الجماجم والرِقابا .
هو السيفُ الذي نصر ابنَ أروى به مروانُ عثمانَ المُصابا [1].
فمن يَمْنُن عليك النصرَ يَكْذِبْ سوى الله الذي رَفعَ السحابا .
ولو أنّ الذي كَشّفْتَ عنهم من الفِتَنِ البَليّةَ والعَذابا .
جَزَوكَ بها نفوسَهُمُ وزادوا لك الأموالَ ما بلغوا الثوابا .

– وصف الذئب :

خرج الفرزدق في قافلة ومعه شاة مذبوحة قد أعجله المسيرُ عن أكلها . وشم ذئب رائحة الدم فلحق بالقافلة – والفرزدق في نوبته من الحراسة . خاف الفرزدق فقطع يد الشاة وألقى بها بعيداً عن القافلة . رجع الذئب وأكل اليد ثم تَبِعَ القافلة من جديد ... وما زال الفرزدق يقطع من الشاة عُضواً عضواً ويرميها للذئب حتى شبع الذئب من لحم الشاة ورجع عن اللحاق بالقافلة . ولكن الفرزدق يَروي في القصيدة أنه هو الذي دعا الذئب إلى القِرى (الضيافة) وإنه لم يقتله كرماً منه :

وأطلسَ عَسّالٍ ، وما كان صاحباً ، دَعَوتُ بناري مَوهِناً فأتاني [2]
فلما دنا قلت : «ادْنُ دونَك ، إنني وإياك في زادي لَمُشْتَركانِ » .
فَبِتّ أسوّي الزادَ [3] بيني وبينَه على ضَوء نارٍ مرّةً ودُخانِ .
فقلت له لمّا تَكَشّرَ ضاحكاً ، وقائمُ سيفي من يدي بمكان [4] :
« تَعَشّ ؛ فإن واثقتني لا تخونُني نكُنْ مثلَ مَنْ ، يا ذئبُ ، يصطحبان [5] .

[1] مروان بن الحكم نصر عثمان بن عفان المقتول ، واروى هي أم عثمان . والمعروف ان الحجاج بن يوسف انتقم من بعض الذين قتلوا عثمان .
[2] أطلس : (ذئب) أغبر ، لونه لون الغبار . عسال : يتلوى في مسيره لنحوله (من الجوع) . دعوت بناري أضرمت النار حتى يراها فيأتي . – كان الجاهليون يوقدون ناراً خاصة اسمها نار القرى تكون علامة لكل محتاج إلى الضيافة أو إلى الطعام . موهناً : بعد نصف الليل .
[3] أقسمه بالسوية .
[4] تكشر : أبدى أسنانه ، كناية عن التهديد . الفرزدق يفسر ذلك بأن الذئب مسرور بالضيافة . وقائم سيفي الخ : السيف قريب من يدي لأضربه به إذا هجم علي .
[5] نكن ، يا ذئب ، مثل من يصطحبان : أي صديقين .

وانتَ امرُؤٌ ، يا ذئبُ ، والغَدرُ كنتما أُخيَّيْنِ كانا أُرضِعا بلبـانِ [1] .
ولو غيرَنا نَبَّهْتَ تلتمسُ القِـرى أتاك بسهمٍ أو شَباة سِنانِ [2] .
وكلُّ رفيقَيْ كلِّ رَحْلٍ – وإن همـا تعاطى القَنا قوماهما – أخوانِ » [3] .

– حجَّ هشام بن عبد الملك في خلافة الوليد اخيه ومعه رؤساء أهل الشام ، فجَهِد ليستلم الحجر (الأسود) فلم يقدر من ازدحام الناس . فنُصب له مِنْبر فجلس عليه ينظر إلى الناس . وأقبل علي بن الحسين فطاف بالبيت فلما بلغ الحجر الأسود تنحى الناس كلهم وأخلَوا له الحجر ليستلمه هيبة وإجلالاً له . فقال رجل لهشام : من هذا ، أصلح الله الامير ؟ قال : لا أعرفه، وكان به عارفاً ، ولكنه خاف أن يَرغَب فيه أهل الشام ويسمعوا منه . فقال الفرزدق ، وكان لذلك كله حاضراً : أنا أعرفه . ثم قال :

هذا الذي تعرِفُ البطحاءُ وطـأته ، والبيتُ يعرِفه والحِلّ والحَرَمُ [4] .
هذا ابنُ فاطمةٍ ان كنت جاهِلَهُ ، بِجَدّه أنبياءُ الله قـد خُتِموا [5] .
وليس قولك : « من هذا ؟» بضائرِه ؛ العُربُ تعرِفُ من أنكرتَ والعجم .
ما قال : « لا » قطُّ إلاّ في تَشَهّدِه ؛ لولا التشهدُ كانت لاؤه نعم [6] !
يُغضي [7] حياءً ويُغْضَى من مهابتـه فما يُكَلّمُ إلاّ حينَ يبتسِمُ .
يَكادُ يُمْسِكُهُ – عِرفانَ راحتهِ – ركْنُ الحطيمِ إذا ما جاء يستَلِمُ [8].

---

١ اللبان (بفتح اللام) : الثدي ؛ (وبالكسر) : الرضاع ، اللبن. – يقول : كنت، يا ذئب،أنت والغدر أخوين صغيرين ورضعتما من ثدي واحد (الغدر) فالغدر طبع لك (رضعته مع الحليب) .
٢ الشباة : نصل الرمح . – لو طلبت ضيافة غيرنا في الليل لقتلك .
٣ كل رفيقين في السفر صديقان ، وان كان شعباهما عدوين .
٤ البطحاء : أرض مكة . وطـأته : سيره على الأرض . البيت : الكعبة . الحل : السنة ما عدا موسم الحج. الحرم : موسم الحج ، حينما يحرم الناس فينقطعون عن كل شيء إلا العبادة . – المعنى : كل الناس يعرفون هذا الذي تسأل عنه وكل الأشياء تعرفه .
٥ فاطمة بنت محمد رسول الله . بجده أنبياء الله قد ختموا : جده أفضل الأنبياء ، ولا نبي بعده .
٦ التشهد قراءة التحيات في جلوس الصلاة، وفيها : اشهد ان «لا» اله إلا الله . – لا يقول « لا » إلا في التشهد: يجيب الناس إلى كل ما يطلبون كرماً منه وحسن أخلاق .
٧ أغضى : غض من بصره . راجع ص ٦٣٥ ، الحاشية ١ ، وص ٦٣٦ السطر الاول .
٨ الحطيم : جانب الكعبة حيث يوجد الحجر الاسود . استلم : الحجر الاسود : قبله . – حتى الحجر الاسود يعرفـه : فـاذا جـاء ليقبله أمسك براحته لأنه يعرفهـا (يفهم من هـذا البيت ان الاستلام هو المس بالكف . ويمكن أن يكون هـذا من الادلة على ان القصيدة ليست للفرزدق ، لأن الفرزدق لا يمكن أن يجهل ان الاستلام هو التقبيل بالفم لا الأخـذ باليد ، كما أصبـح معنى الكلمة في الأعصر المتأخرة) .

ينشقّ ثوبُ الدّجى عن نور غُرّتِــه كالشمس تنجابُ عن إشراقها الظُلَمُ .
مِن معشرٍ[1] حُبُهُم دينٌ ، وبُغضُهم كُفرٌ ،وقُربُهُم مَنْجىً ومُعْتَصَم.

فحبسه هشام .

٤ – ديوان الفرزدق ، رواية محمد بن حبيب عن ابن الاعرابي R. Boucher
باريس ١٨٧٠ – ١٨٧٥ م .
ديوان الفرزدق ، مصر (المطبعة الوهبية) ١٢٩٣ هـ .
ديوان الفرزدق (القسم الثاني – تحرير J. Hell) ، منشن ١٩٠٠ –
١٩٠١ م .
كتاب النقائض : نقائض جرير والفرزدق (أنطوني أشلي بيفان) ليدن
(بريل) ١٩٠٥ – ١٩١٢ م .
نقائض جرير والفرزدق ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .
ديوان الفرزدق (جمعه محمد جمال) ، بيروت (المكتبة الأهلية) ، الطبعة
الثانية ١٣٥٢ هـ = ١٩٣٣ م .
ديوان الفرزدق (عني بجمعه .... عبد الله اسماعيل الصاوي) ، القاهرة
(المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٦ م .
الكواكب السماوية في شرح قصيدة الفرزدق العلوية : « هذا الذي تعرف
البطحاء وطأته » (محمد بن طاهر السماوي) ، النجف ١٣٦٠ هـ .
ديوان الفرزدق ، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٠ م .

** Das Leben des Farazdak, von Joseph Hell, Leipzig 1903.
الاغاني ١٩ : ٢ – ٥٢ .
الفرزدق ، بقلم خليل مردم ، دمشق (مكتبة عرفة) ١٣٥٨ هـ = ١٩٣٩ م .
الفرزدق ، تأليف ممدوح حقّي ، بيروت ١٩٥٠ م .
على هامش الأدب القديم : مكانة الفرزدق ، لعبد العزيز سيد الاهل ،
(الاديب – بيروت ، كانون الاول – ديسمبر ١٩٥٣ م وكانون الثاني
– يناير ثم شباط – فبراير ١٩٥٤ م) ؛ بروكلمان ١ : ٤٩ – ٥٢ ،
الملحق ١ : ٨٤ – ٨٦ ؛ زيدان ١ : ٢٩٣ – ٢٩٦ .

---

[1] من معشر ... : من آل بيت رسول الله .

جرير

١ – هو جَريرُ بن عَطِيَّةَ بن الخَطَفَى (وهو حُذَيْفة) بن بدرِ بن سَلَمَةَ بن عَوفِ بن كُليب بن يَربوع بن حَنْظلة بن مالك بن زيد مَناة بن تميم. وهو يلتقي بالفرزدقِ في جَدِّهما الاعلى تميم. وأمّه هي أمّ قيسٍ بنتُ معيد من بني كُليب بن يربوع. وكذلك كانت جدته لأبيه، وهي النوار بن يزيد، من بني كليب.

وُلِدَ جَريرٌ خَديجاً[1] لسبعة أشهر باليمامة، سنة ٣٠ هـ (٦٥٠ م)، ونشأ فقيراً يرعى إبِلَ قومه.

بدأ جرير نظم الشعر في مطلع حياته رجزاً، منذ المهاجاة بين غسّان بن ذُهيل وبني الخطفى[2]، في أيام معاوية في الاغلب. ثم ان جَريراً مدح يزيد بن معاوية وأخذ منه جائزة كانت أولَ جائزة نالها من خليفة. بعد هذا عاد إلى اليمامة.

ولمّا اشتدَّ النزاعُ بين بني أميّة وبين عبد الله بن الزّبير وقف جَريرٌ في صفوف القيسيين من أنصارِ ابن الزبير يُهاجي اليمانيين أنصارَ بني أميّة. ثم لَجّ الهجاءُ بين الشعراء فانحدر جريرٌ من اليَمامةِ إلى البصرة مركزِ الحركة السياسية ومَيْدان شُعراءِ المُناقضات، وذلك في أثناء ولاية بِشْر بن مروان على الكوفة (٧١ – ٧٤ هـ). ثم اتصل جريرٌ بالحَكَم بن أيوب، ابنِ عمِّ الحجّاجِ وزَوْجِ ابنتِه وعامله على البصرة (أواخر ٧٥ هـ = أوائل ٦٩٥ م)، فوجّهه الحكمُ إلى الحجّاج[3]، فوجّه به الحجّاجُ إلى عبد الملك[4]. وكان عبدُ الملك لا يستمع إلى شعراءِ القيسيين، ولَكنّ توصيةَ الحجّاج بجريرٍ أقنعت عبد الملك بالاستماع إلى جرير، فنال جريرٌ بعدَ ذلك حَظْوة عند عبد الملك.

وظل جريرٌ أثيراً عند الوليدِ بن عبد الملك، ولكنه هجرَ البَلاطُ الأمويّ في

---

١ الخديج والخديجة: الولد الذي يولد قبل تمام مدة الحمل (لأقل من ٢٨٣ يوماً).

٢ راجع ترجمة الفرزدق.

٣ لما مدح جرير الحجاج أعطاه الحجاج جارية اسمها أم حكيم أمامة فولدت له صبياً سماه موسى (راجع الكامل ٣٠٠ – ٣٠١).

٤ راجع تفصيل اتصال جرير بعبد الملك (الأمالي ٣: ٤٣ – ٤٦).

أيام سُليمان (٩٦ ــ ٩٩ هـ) وفي أيام عمر بن عبد العزيز (٩٩ ــ ١٠١ هـ) ، لأن جريراً كان قـد حَض الوليدَ على صَرْفِ الخلافة عن أخيه سليمان إلى ابنه عبد العزيز بن الوليد ، ثم لأن عمرَ بن عبد العزيز لم يكن يُجيز الشعراءَ . غير أن جريراً عاد فمدح يزيدَ بن عبد الملك (١٠١ ــ ١٠٥ هـ) وهشامَ بن عبد الملك (١٠٥ ــ ١٢٥ هـ) .

وكانت وفاة جريرٍ باليمامة سنة ١١٤ أو ١١٥ هـ ، بعد وفاةِ الفرزدقِ بستةِ أشهرٍ أو بعامٍ واحد .

٢ ــ جريرٌ شاعرٌ وُجْدانيّ مَطبوع يجمعُ وضوحَ المعاني إلى فصاحةِ الالفاظ ومتانة التركيب وعذوبةِ السبك. وشعره يجمع وضوح المعاني إلى فصاحة الالفاظ ومتانةِ التركيب وعذوبة السبك. وشعره كثير السَيْرورة على الألسن شديدُ العُلوق بالذاكرة ، مُطاوعٌ للغناء . وقـد امتاز جرير بالفنون الوجدانية : بالنسيبِ والغزلِ ، وبالرثاء وبالهجاء . ولجريرٍ براعة في المديح والوصف . وكان جرير يجيد الرجز أيضاً .

وهجاء جريرٍ حلوٌ مرّ : هو حلو بما ألْبسه شاعرُه من حسن اللفظ وقدّم بين يديه من الغزل ليجعل السامع أكثر استعداداً لسَماعه . وهو مُرٌّ أي مُمِضٌ يتألم منه المهجُوّ .

والاجماعُ واقعٌ على أن جريراً قد فاق أقرانَه في الغزل والرثاء والهجاء ، وأنه قـد تغلّب على جميع الذين هاجَوْهُ ثم أخملَ ذِكْرَهُمْ ما عدا الأخطلَ والفرزدقَ لأنهما اجْتمعا عليه ، ولو تفرّقا لغلَبهما وأخملَ ذِكْرُهُما أيضاً .

٣ ــ المختار من شعره :

ــ قال جرير يمدح الحجّاج بن يوسف :

دعا الحجاجُ مثلَ دعـاء نـوحٍ ... فأسمعَ ذا المعارج فاستجـابـا [١] .
صبرتَ النفسَ ، يا ابن ابي عقيل ، ... محافظةً ؛ فكيف ترى الثوابا [٢] ؟

١ دعاء نوح في سورة نوح من القرآن الكريم (٧١ : ٢٦) : « قال نوح : رب ، لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا » ، يقصد جرير أعداء بني أمية . ذو المعارج : الله (راجع سورة المعارج من القرآن الكريم) : « من الله ذي المعارج » (٧٠ : ٣) .

٢ صبرت النفس في الحرب .

ولو لم يرضَ ربُّكَ لم يُنزِّلْ مَعَ النصرِ الملائكةَ الغِضابا [1] .
إذا سَعَرَ الخليفةُ نارَ حربٍ رأى الحجّاجَ أثقَبَها شِهابا [2] .
ترى نصرَ الامامِ عليك حقاً إذا لَبِسوا بدينِهِمُ ارتيابا [3] .
تشُدّ فلا تُكَذِّبُ يومَ زحفٍ إذا الغَمَراتُ زعزعتِ العُقابا [4] .
عفاريتُ العراقِ شَفيتَ منهم فأمسَوْا خاضعين لك الرِقابا [5] .
وقالوا : لن يُجامِعَنا أميرٌ اقامَ الحدّ واتّبع الكتابا [6] .
إذا أخذوا — وكيدُهُمُ ضعيفٌ — ببابٍ يمكُرون فتحتَ بابا .

— وقال يمدح عبد الملك بن مروان :

أتصحو أم فؤادُكَ غيرُ صاحِ عَشيّةَ همّ صحبُكَ بالرَّواحِ [7] .
يقول العاذلات : علاك شَيْبٌ ، أهذا الشيبُ يمنعني مَراحي [8] ؟

*

تَعَزّتْ أمّ حَزْرَةَ ثم قالت : « رأيتُ المُوردين ذَوي لِقاحِ » [9] .
تُعَلِّلُ — وهْيَ ساغِبَةٌ — بنيها بأنفاسٍ من الشَّبِمِ القَراحِ [10] .
سأمتاحُ البحورَ فَجَنّبيني أذاةَ اللومِ وانتظري امتياحي [11] .

---

١ لو لم يرض الله عن حربك لا عدائك لما أنزل الملائكة يحاربون معك ، لما نصرك .
٢ إذا أراد الخليفة خوض حرب أمر عليها الحجاج .
٣ الإمام : الخليفة . لبسوا بدينهم ارتياباً : نافقوا ؛ كفروا .
٤ شد : هجم . كذب : جبن ، تراجع . زحف : حرب . الغمرات : اشتداد القتال في قلب المعركة. زعزعت العقاب : أخرت الراية عن مكانها . — إذا اضطرب أمر الجيش فأنت لا تتراجع .
٥ عفاريت العراق : يقصد الخوارج . خضع (فعل لازم ومتعد) : حنى .
٦ لا نقبل بأمير شديد العقاب لنا .
٧ الرواح : الذهاب في المساء . — واعترض النقاد على هذا المطلع في مخاطبة عبد الملك .
٨ المراح والمرح : الاندفاع في السرور .
٩ أم حزرة : امرأة جرير . الموردون : الذين يأخذون أنعامهم إلى الماء . — تقول له : ليس عندك لقاح (نياق) كثيرة نسقيها . تعزت : صبرت .
١٠ ساغب : جائع . تعلل بنيها الخ : إذا طلبوا طعاماً ليأكلوا أسكتتهم باسقائهم ماء بارداً صافياً(لاطعام فيه، ولا هو سخن أيضاً في أيام الشتاء) .
١١ امتاح : استقى من البئر . سأمتاح البحور : سأطلب العطاء من الكرماء ... فلا تلوميني الآن .

ثقي بالله ، ليس لـه شـريكٌ ، ومن عنـد الخليفـة بالنجـاح .

*

أغِثْني ، يا فِـداك أبي وأمي ، بسَيْبٍ منك إنك ذو ارتيـاح [1] .
فإني قـد رأيتُ عليّ حقّـاً زيارتِـيَ الخليفـةَ وامتداحي .
سأشكُرُ إن رَدَدتَ عليّ ريشي وأنبَتّ القوادِمَ في جَناحي [2] .
ألَسْتُمْ خيرَ من رَكِبَ المطـايـا وأندى العـالمين بُطونَ راح [3] !

— وقال جريرٌ يهجو الاخطل :

حَيِّ الغَداةَ بِرامَـةَ الأطـلالا رَسْماً تَحَمّلَ أهلُه فأحالا [4] .
طَرِبَ الفؤادُ لذِكْرهن وقد مضت بالليلِ أجنحـةُ النجوم فمـالا .
فجعلن بُرْقـة عـاقليْنِ أيامِنـاً، وجعلن أمْعَزَ رامَتَيْنِ شِمالا :
لا يتّصلن ، إذا اعْتَزَيْنَ [5] ، بتغلب ، ورُزِقن زُخرفَ نعمة وجمالا .
إني جُعلتُ ، فلن أعافِيَ تغلبـاً ، للظـالمين عُقوبـةً ونَـكالا .
قَبَحَ الإلَهُ وجوهَ تغلبَ إنهـا هانت عليّ مَراسناً وسِبالا [6] .
قبح الإلهُ وجوه تغلب كلمـا شَبَحَ الحجيجُ وكبّروا إهلالا [7] .
عبدوا الصليبَ وكذّبوا بمحمـدٍ وبجبرئيل وكذّبوا ميكالا [8] .
هل تملِكون من المشـاعر مَشْعـراً أو تَنزِلون من الأراك ظِلالا [9] ؟

---

١ السيب : العطاء . الارتياح : هو السرور الذي يجده الكريم إذا أعطى من ماله .
٢ القوادم جمع قادمة : الريشة الكبيرة في طرف الجناح (إذا قصت قوادم الطير عجز عن الطيران) . — سأشكرك إذا رددتني غنياً .
٣ الراح جمع راحة : باطن الكف (أكرم الناس يدا : أكرم الناس) .
٤ الغداة (مفعول فيه ، في الغداة) : باكراً . رامة مجرورة وعلامة جرها الفتحة لأنها ممنوعة من الصرف (اسم علم مؤنث) . الاطلالا مفعول به منصوب . رسماً بدل من الاطلال . تحمل : رحل : أحال : مر عليه حول (عام) ، تغير .
٥ انتسبن .
٦ مراسن جمع مرسن : الأنف . السبال : جمع سبلة (بفتح ففتح) : جانب اللحية ...
٧ شبح الحجيج : رفع الحجاج أيديهم بالتلبية (قولهم على جبل عرفات : لبيك اللهم لبيك ؟) كبروا إهلالا : رفعوا صوتهم بقولهم : الله أكبر !
٨ جبرئيل : جبريل ، الملك (بفتح اللام) الذي ينزل بالوحي على قلوب الرسل. ميكال : ملك من الملائكة .
٩ المشعر : المكان المقدس ، الحج . الأراك : شجر ، المقصود أراك عرفة. انكم لا تسكنون بقعة مقدسة ولا تحجون .

فَلَنَحْنُ أكرم في المنازل منزلاً ... منكم وأطولُ في السماء جبالا .
تمت تميمي [1] ، يا أُخيْطِلُ ، فاعترفْ : ... خزيَ الأخيطلُ حين قُلت وقالا .
ولَوَ انَّ تغلبَ جمّعت أحلافَها ، ... يومَ التفاضُل ، لم تزِنْ مِثقالا .
تلقاهمُ حُلَماءَ عن أعدائهم ... وعلى الصديق تراهُمُ جُهّالا .
لولا الجزا قُسِمَ السوادُ وتغلِبٌ ... في المسلمين فكنتمُ أنفالا [2] .

— قال جرير يرثي امرأته خالدة بنت سعد بن أوس بن معاوية بن خلف من بني أوس بن كليب ، وهي أم ابنه حزرة ، ولذلك كانت تكنى أمَّ حزرة . وقد شُهرت هذه القصيدة وسارت في البلاد فعرفت باسم الجوساء أو الحوساء . والقصيدة اثنان وسبعون بيتاً ثمانية وخمسون بيتاً من الغزل السهل الرقيق العذب ثم تليها أربعةَ عَشَرَ بيتاً من الهجاء .

قال جرير :

لولا الحياءُ لعادني استعبارُ ... ولَزُرْتُ قبركِ ، والحبيبُ يُزارُ [3] .
ولقد نظرتُ ، وما تَمتُّعُ نظرةٍ ... في اللّحْدِ حيثُ تمكّنَ المِحفارُ [4] .

---

١ تمت تميمي : بلغت ذروة المجد .
٢ الجزى والجزاء بكسر الجيم فيهما كما في الأصل (نقائض جرير والاخطل ٩٧) جمع جزية : ضريبة شخصية كانت تؤخذ من غير العرب إذا لم يدخلوا في الاسلام .
وأحب أنا أن أقرأها : الجزاء بفتح الجيم مرخمة من الجزاء أي المكافأة ، إذ لا معنى للجزا أو الجزى بالكسر ، لأن بني تغلب لم يكونوا يدفعون جزية ، بل كانوا يدفعون صدقة (كالمسلمين) ولكن مضاعفة . جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف : قال عبادة بن النعمان التغلبي لعمر بن الخطاب ... ان بني تغلب من علمت شوكتهم (قوتهم) وانهم بازاء العدو (الفرس والروم) . فان ظاهروا (نصروا) عليك العدو ، اشتدت مؤونتهم (احتجت إلى جند كثير للتغلب عليهم) . فان رأيت أن تعطيهم شيئاً (تخصهم بشيء) فافعل .. فصالحهم عمر على ألا يغمسوا أولادهم في النصرانية فيسقط عنهم الجزية ويضع عليهم الصدقة (كالمسلمين) ولكن مضاعفة (ص ١٤٣ — ١٤٥ ، ١٦١ ؛ راجع كتاب الخراج للقرشي ، ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٠ ، ٦٥ — ٦٧) .
يقول جرير : لولا مكافئة عمر بن الخطاب لبني تغلب على وقوفهم بجانب العرب ضد الفرس خاصة (في معركة القادسية بالعراق) لجعلت بلادهم انفالا (غنائم حرب) .
٣ الاستعبار : البكاء .
٤ لقد نظرت إلى قبرك طويلا . ولكن ما يفيد التطلع إلى قبر جعلته (المسحاة : اداة يحفر بها ، مجرفة) عميقاً ؟

ولَّهتِ قلبيَ إذ علتني كَبْرَةٌ   وذَوُو التمائمِ من بَنيكِ صغار [1] .
أرعى النجوم ، وقد مضت غَوْرِيَّةً   عُصَبُ النجوم كأنهنَّ صُوارُ [2] .
نعمَ القرينُ ، وكنتِ عِلْقَ مَضِنَّةٍ   وَارَى بنَعْفِ بُليَّةَ الأحْجار [3] .
عَمَرَتْ مُكرَّمةَ المساكِ ، وفارقت   ما مَسَّها صَلَفٌ ولا إقْتار [4] .
كانت مُكرَّمَةَ العَشيرِ ، ولم يكن   يخشى غوائلَ أمِّ حَزْرَةَ جار [5] .
صلّى الملائكة الذين تُخُيِّروا   والصالحون عليك والأبرار .
لا يُلبِثُ القرناءَ أن يتفرقوا   ليلٌ يكُرُّ عليهمُ ونهارُ [6] .
أفأُمَّ حَزْرَةَ ، يا فرزدقُ ، عِبتُمُ ؟   غَضِبَ المليكُ عليكُمُ الجبّار !
كانت إذا هَجَرَ الحليلُ فِراشَها   خُزِنَ الحديثُ وعَفّتِ الأسْرار [7] !
قَتَلَتْ أباكَ بنو فُقَيمٍ عَنْوةً   إذ جُرَّ ليس على أبيك إزار [8] .
عَقَروا رواحِلَه فليسَ بقتلِه   قَتْلٌ وليس بعَقْرِهِنَّ عقار [9] .
كَذَبَ الفرزدقُ ، ان عُودَ مُجاشعٍ   قَصِفٌ وإنَّ صَليبَهم خوّار [10] .

---

١ ملأت قلبي بالحزن بعد أن أصبحت كبير السن بينما أبناؤك لا يزالون صغاراً عليهم التمائم (جمع تميمة : حجاب أو حرز يعلق في عنق الصغار لدفع العين واذاها) .

٢ أراقب النجوم ، أسهر الليل حتى غابت مجموعات النجوم كأنها قطيع يسير معاً .

٣ نعم الزوج أنت . العلق : الشيء النفيس . مضنة : يضن به ، يصان ، يحفظ . وارته الحجارة (مدفون) في نعف بلية .

٤ عاشت طول عمرها في عصمتي (أي زوجة لي) وهي محترمة . فارقت : ماتت ولم اتكبر عليها ولم أبخل عليها بشيء أملكه .   ٥ العشير : الزوج . لم تسيء إلى جار من جيرانها .

٦ القرناء جمع قرين : الزوج . وفي رواية : لن يلبث . ـ ان مجيء الليل والنهار سيفرق كل زوجين بموت احدهما) .

٧ ـ إذا غاب حليلها (زوجها) في عمل أو في سفر كتمت الأحاديث التي كانت بينهما وعفت الاسرار (جمع سر : الزواج) . كانت عفيفة في نفسها بعيدة عن التهمة .

٨ عنوة : قوة واقتداراً . ثم جروه عارياً (احتقاراً له)

٩ الرواحل جمع راحلة : ما يرحل عليه (يركب عليه الانسان ويحمل أمتعته في السفر) . ليس بقتله قتل (رجل آخر) : لا يؤخذ بثأره . العقار (العين بفتح) : ذبح الابل . (القاموس ٢ : ٩٣ السطر ١٧) ليس بعقرهن عقار : (لا يعقر رواحل أولئك الذين عقروا رواحله : لا يثأر لنفسه ممن يعتدون عليه) .

١٠ العود : الخشبة ، المادة التي يصنع الشيء منها . قصف قابل للتقصف (ينكسر ويتقطع بسهولة) . عودهم قصف : عزيمتهم ضعيفة . الصليب : القاسي ، الشديد خوار : ضعيف . وصليبهم خوار : القوي الشديد منهم ضعيف ، فما بالك بغيره .

قد كان قومُك يَحْسَبونك شاعراً حتّى غَرِقْتَ وضمّك التيّار [1] .
ان الفرزدق لا يزال مقنّعاً ، وإليه بالعمل الخبيث يشار [2] .
لا يَخْفَيَنَّ عليكَ أنَّ مُجاشعاً لو يُنْفَخون من الخُؤور لَطاروا [3] :
إذ يُؤسَرون فما يُفَكّ أسيرُهم ، ويُقَتّلون فتَسْلَمُ الأوتار [4] .

— كان راعي الابل أبو جندل عُبيد بن حُصين بن معاوية بن جندل (راجع ترجمته) يميل إلى الفرزدق ويعادي جريراً ، وقد هجا جريراً بقصيدة مطلعها :

رأيت الجحش جحش بني كُلَيب تيمّم حوض دِجلة ثم هابا [5] .

فقال جرير يرد عليه [6] :

أقِلّي اللومَ ، عاذلَ ، والعتابا ، وقولي ، إن أصبتُ : « لقد أصابا [7] ! »
أجَدَّك ، ما تَذَكّرُ أهلَ نجدٍ وحيّاً طالما انتظروا الإيابا [8] ؟
وهاج البرقُ ليلةَ أذْرِعاتٍ هوىً ما تستطيع له طِلابا [9] .
فقلتُ بحاجةٍ وطويتُ أخرى ، فهاج عليَّ بينهما اكتئابا [10] .

---

١ — كان قومك يعدونك شاعراً حتى سمعوا شعري فاحتقروا شعرك ، ثم انك غرقت في بحري (تغلبت عليك وأخملت ذكرك) وضمك التيار (غمرك موج شعري كما غمر غيرك فنسيكم الناس جميعاً) .
٢ — عمل الفرزدق في حياته أعمالا مخجلة فهو الآن يتقنع (يغطي وجهه خجلا من سوء ما كان صنع) ولكن الناس لم ينسوا ذلك منه ، فكلما رأوا عملا قبيحاً أشاروا اليه (نسبوا ذلك العمل القبيح إلى الفرزدق) .
٣ بنو مجاشع قليلو العدد خفيفو الأوزان ضعاف في أنفسهم حتى لو أن أحداً من الناس نفخ عليهم لطاروا كلهم . الخؤور : الضعف .
٤ — إذا أسر أحد من بني مجاشع فلا يفتديه قومه (لفقرهم ولقلة الفائدة من ذلك الذي أسر) ، وإذا قتل أحد منهم لم يأخذ قومه بثأره (لعجزهم عن ذلك) .
٥ لهذا البيت روايتان ، غ ٢٠ : ١٧٠ و ١٧١ .
٦ راجع غ ٨ : ٢٠ ؛ ٢٠ : ١٦٩ وما بعدها ؛ الحيوان ١ : ٢٥٨ — ٢٥٩ ، ٣١٦ ؛ راجع نقائض جرير والفرزدق ٤٢٨ وما بعدها .
٧ عاذل : يا عاذلة (مرخمة بحذف التاء) : التي تلوم .
٨ تذكر = تتذكر . — الا تتذكر قومك في نجد واناساً ينتظرون رجوعك اليهم لشوقهم اليك .
٩ اذرعات بلد في الشام (سورية) . يظهر ان جريراً كان مرة هنالك ثم تذكر حبيبة له (أو هو يزعم ذلك) . — ما تستطيع له طلاباً : لا يمكن أن تناله .
١٠ هذا الهوى هاج اكتئاباً : أثار ، حرك (هاج فعل لازم ومتعد) .

سألناها الشفاءَ فما شفتْنا ، ومَنّتْنا المواعدَ والخِلابا [1] .
أباحت أمّ حَزْرَةَ من فُؤادي شِعابَ الحُبِّ ، إنّ له شِعابا [2] .
ابى لي ما مضى لِيَ من تميم وفي فَرْعَيْ خُزَيْمَةَ أنْ أُعابا [3] .
ستعلم مَنْ يَصير أبوه قَيْناً ، ومَنْ عُرفت قصائدُه اجتلابا [4] .
فلا وأبيك ، ما لاقيتَ حيّاً كيَرْبوعٍ إذا رفعوا العُقابا [5] .
وما وجد الملوكُ أعزَّ مِنّا وأسْرع من فوارسنا استلابا .
لنا تحتَ المحامِلِ سابغاتٌ كنسج الريح تَطّرِدُ الحَبابا [6] .
وذي تاجٍ له خَزَراتُ مُلْكٍ ، سلبناه السّرادقَ والحِجابا [7] .
ألا قبح الآلـه بني عِقالٍ وزادَهُمُ بغَدْرِهِمُ ارتيابا [8] .
اجيرانَ الزُبَيْر ، بَرِئْتُ منكم ، فألْقُوا السيفَ واتّخذوا العِيابا [9] .
لقد غرّ القُيونُ دماً كريماً ورَحْلاً ضاع فانْتُهِبَ انتهابا [10] .
علامَ تَقاعَسون ، وقد دعاكم ؟ أهانَكُمُ الذي وضع الكتابا [11] .

١ الخلاب : الكذب .
٢ أم حزرة : امرأة جرير . ام حزرة (امرأتي)ملكت علي جميع سبل الحب فلا أحب غيرها .
٣ فرعا خزيمة : بنو كنانة وبنو أسد .
٤ يعيره بأن أباه قين (حداد) .
٥ اذا رفعوا العقاب (الراية) : اذا ساروا للحرب .
٦ المحامل : جمع محمل (بكسر الميم الأولى) ، سير من جلد يعلق به السيف إلى الكتف . سابغات : دروع. تطرد : تدفع أمامها . الحباب : فقاقيع تطفو على وجه الماء . – دروعنا محبوكة جيداً وحلقاتها ظاهرة كالتعاريج التي يحدثها مرور الريح فوق الماء الهادي (يقصد : دروعنا جديدة متينة) .
٧ ذو تاج : ملك . الخرزات : جواهر التاج . السرادق : قبة يسكنها الملك . الحجاب : منع العامة من الدخول على الملك ؛ أو الذين يمنعون العامة من الدخول على الملك . – يقول رب ملك عظيم مهيب قد طردناه من ملكه ولم نحفل بحجابه .
٨ بنو عقال (بكسر العين) من اسلاف الفرزدق ، بنو عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع ابن دارم بن تميم . الارتياب : الاتهام . وزادهم بغدرهم ارتياباً: هم متهمون (من قبل) بالغدر ؛ والشاعر يدعو الله انيزيدهم تهمة بهذا الغدر .
٩ العياب جمع عيبة (بفتح ففتح) :صندوق أو وعاء توضع فيه الثياب . يقول لهم : أنتم نساء فاتركوا السيوف لأنها لا تنفع في أيديكم ، فقد قتل الزبير وأنتم جيرانه فلم تدافعوا عنه .
١٠ غر القيون دماً ... ظن ابن الزبير ان جيرانه (بني مجاشع) سيدافعون عنه ، ولكنه كان مخدوعاً بظنه هذا . الرحل متاع البيت . قتل الزبير وذهب ما يملك ثم لم يؤخذ بثأره .
١١ دعاكم الزبير لتنصروه فلم تفعلوا فلماذا تقاعستم : تأخرتم، تباطأتم . أهانكم الله(الذي وضع الكتاب: أنزل القرآن الكريم) .

لقد خَزِيَ الفرزدقُ في مَعَدٍّ ... فأمسى جُهدُ نُصرته اغتيابا [1] .
فما هِبْتُ الفرزدقَ ، قد علمتم ؛ ... وما حقّ ابنِ بَرْوَعَ أن يُهابا [2] !
أعَدَّ اللهُ للشعراء مني ... صَواعِقَ يَخْضَعون لها الرِّقابا [3] .
قرنتُ العبدَ عبدَ بني نُميرٍ ... مَعَ القَيْنَيْنِ إذ غُلِبا وخابا [4] .
أتاني عن عُرادَةَ قولُ سوء ؛ ... فلا وأبي ، عُرادَةُ ما أصابا [5] .
عرادة من بَقيّةِ قومِ لوطٍ ؛ ... ألا تَبّاً لِمَا عملوا تَبابا [6] .
أنا البازي المُدِلّ على نُمَيْرٍ ... أُتِحتُ من السماء لها انصبابا [7] ،
إذا عَلِقَتْ مَخالِبُه بقِرْنٍ ... أصاب القلبَ أو هَتَكَ الحِجابا [8] .
ترى الطيرَ العِتاقَ تَظَلّ منه ... جوانحَ للكلاكلِ أن تُصابا [9] .
إذا وُضعت فِقاحُ بني نُمير ... على خَبَثِ الحَديدِ إذاً لَذابا [10] .

---

١ يقول : اخزيته (بهجائي) فلم يكن عنده انتصار لنفسه (دفاع عنها وافتخار بها) إلا الاغتياب فقط – نقائض جرير والفرزدق ٤٤٢ .

٢ هاب : خاف . بروع اسم ناقة ذكرها راعي الابل في شعره، ولذلك كان جريريدعو الراعي « ابن بروع» وقيل بل بروع هي ام راعي الابل حقيقة (تاج العروس ٥ : ٢٧٣) .

٣ سلط الله على الشعراء قصائد لي كالصواعق،فأصبح الشعراء يخافون ثم يعترفون بمقدرتي في الشعر ثم يحنون رقابهم (خضع فعل لازم ومتعد) إذعاناً .

٤ قرن الحيوانات : ربط عدد منها بقرن (بفتح الراء : حبل) واحد . عبد بني نمير راعي الابل . القينان : الفرزدق ثم محمد بن عطارد في الاغلب (راجع ، فوق ، ص ٥٥٧) .

٥ عرادة : راوية راعي الابل . اتاني عنه قول سوء : كان عرادة صديقاً للفرزدق،وهو الذي اغرى راعي الابل بهجاء جرير (نقائض جرير والفرزدق ٤٢٧ – ٤٢٨) .

٦ قوم لوط كانوا يأتون الفاحشة . تباً : هلاكاً لهم .

٧ يروى : المطل ... من السماء له (لراعي الابل) . – انا البازي المحوم (بتشديد الواو) فوق بني نمير أنقض (بتشديد الضاد) عليهم .

٨ القرن : البطل – إذا أمسك ببطل في الحرب فعل به ما يفعل البازي : (نفذت مخالبه إلى قلب الطريدة فقتلها ، أو مزق حجاب القلب على الأقل ؛ فقتلها أيضاً) .

٩ عتاق الطير : الطيور الكاسرة كالنسر والبازي والصقر . جوانح : مائلات . الكلاكل : الصدور. – حتى عتاق الطير تخاف هذا البازي (يعني جرير نفسه) فتلصق صدورها بالارض حتى لا يراها فينقض عليها ويفترسها .

١٠ فقاح جمع فقحة : مقعد الانسان (بكسر الميم) ، المكان الذي يجلس عليه من جسمه . خبث الحديد : يقصد ما يرسب من الحديد بعد الصهر ، وهو قاس لا تصهره النار عادة . – وفي البيت كناية قبيحة جداً .

فلا صلّى الإلهُ على نُميرٍ ، ولا سُقِيَتْ قبورُهُمُ السّحابا .
وخضراءِ المغابنِ من نميرٍ يَشِينُ سَوادُ مَحْجِرِها النقابا [1] .
إذا قامت لغيرِ صلاةِ وِتْرٍ بُعَيْدَ النوم أنبحتِ الكلابا [2] .
وقد جلّت نساء بني نميرٍ ، وما عرفَتْ أناملُها الخضابا [3] .
ولو وُزِنَتْ حُلوم بني نميرٍ على الميزان ما وَزَنتْ ذُبابا [4] .
ألم نَعْتِقْ نساءَ بني نمير ؟ فلا شُكْراً جَزَيْنَ ولا ثوابا [5] .
فغُضَّ الطَرْفَ إنّكَ من نميرٍ فلا كَعْباً بلغتَ ولا كلابا [6] !
وحُقَّ لمن تَكَنَّفَهُ نُميرٌ وضَبّةُ ، لا أبَا لك ، أن يُعابا [7] .
لعلك ، يا عُبَيْدُ ، حَسِبْتَ حَرْبي تَقَلُّدَكَ الأصِرّةَ والعِلابا [8] .
إذا نَهَضَ الكِرامُ إلى المعالي نَهَضْتَ بعُلْبَةٍ وأثَرْتَ نابا [9] .

---

١ خضراء : سوداء . المغابن : ثنايا الجلد من جسم الانسان . المحجر : العظم الذي تستقر فيه العين . هي شديدة النحول ولذلك كان جلدها كثير الثنايا . ثم ان هذه الثنايا وسخة أيضاً . ما حول عينيها اسود (لنحولها وإسرافها في قواها) . يشين سواد محجرها النقابا – المفروض ان النقاب يستر المعائب . ولكن نقاب هذه المرأة (وربما مع كثافته واسوداده) لا يمنع سواد محجرها بالوسخ من البروز والظهور .

٢ صلاة الوتر : نافلة بعد العشاء (ليست بفرض) . إذا قامت لتصلي الصبح مع الفجر ظلت قذرة كريهة الرائحة (رغم غسلها ووضوءها) حتى ان رائحتها الكريهة تضايق الكلاب وتجعلها تنبح .

٣ الجلة (بالفتح والكسر والضم ، والكسر افصح) : البعر . وجل البعر بيده : لقطه وجمعه . يقول : ان ايدي نساء بني نمير مصفرة من التقاط الجلة لا من الخضاب . جل أيضاً : كبر واسن. ان نساء بني نمير قد شخن (أصبحن شيخات كبيرات في السن) ولم يعرفن الخضاب (التنعم) .

٤ حلوم : عقول .

٥ نعتق نساء بني نمير : نعفو عنهن ؛ نطلقهن من الرق ، أو من الأسر (؟) فلا هن اثبتنا بشيء ولا شكرن معروفنا اليهم بالكلام .

٦ نمير وكعب وكلاب : قبائل . اجمع النقاد ورواة الأدب على ان في هذا البيت هجاء مريراً شديداً . ولن يستطيع أحد ان يدرك ما عناه هؤلاء الا إذا أدرك افتخار العرب يومذاك بالانساب الكريمة . ومن النقاد من جعل قيمة هذا البيت في سهولة تركيبه سهولة جعلته يسير على الالسن .

٧ يعني قريع (بالتصغير) بن الحارث بن نمير وضبة بن نمير (نسب راعي الابل من جانب ابيه وجانب امه).

٨ الأصرة جمع صرار (بكسر الصاد) : خيط يربط به ضرع الناقة حتى لا يرضعها ولدها . العلاب جمع علبة (بالضم) : وعاء من جلد أو خشب يحلب فيه الحليب . – اتظن ان هجائي وعدائي شيء سهل كسهولة حملك للاصرة والعلب (لانك راع) .

٩ الناب : الناقة المسنة . إذا طمح الناس إلى العلا فأنت تحمل علبتك وتصيح بناقة مسنة (لا تملك غيرها) . يعيره بأنه راع وفقير.

إذا غَضِبَتْ عليكَ بنو تميمٍ حَسِبْتَ الناسَ كُلَّهُمُ غِضابا .
أَلَسْنا أكثرَ الثَّقَلَيْنِ رَجْلاً ببطن مِنًى وأعظَمَهُ قِبابا [١] ؟
لنا حوضُ النبيِّ وساقِياهُ ومن وَرِثَ النُّبُوَّةَ والكِتابا [٢] !

وكانت هذه القصيدة وحدها كافيةً لأن تُخْزِيَ بني نمير . ولقد سارت هذه القصيدة على الالسن سَيرورة لم تَسِرْ مثلها قصيدة ، حتى إن بني نمير بعد ان قال جرير هذه القصيدة — هربوا عن منازلهم فكانوا كلما جاءوا إلى منزل لينزلوه وجدوا أهله يَرْوُونها . وعلّق ابن رشيق على ذلك فقال [٣] :

« وممن وضعه .. الشعر حتى انكسر نسبه وسقط عن رتبته ... بنو نمير ، وكانوا جَمْرَةً من جَمَرات العرب ... وهذه القصيدة تُسَمِّيها العرب الفاضحة . وقيل سمّاها جريرٌ الدمّاغةَ والدَّهْقانةَ [٤] والمنصورة [٥] . وقيل عُرِفَت باسم الدامغة ، أي الضربة التي تَشِجّ الرأس حتى تَصِلَ إلى الدِماغ [٦] فتقتلَ لساعتها .

وكان أثر هذه القصيدة في راعي الابل عظيماً جداً حتى انه تُوُفِّيَ في العام الذي قيلت فيه ، كما ذكر ابن سلاّم .

— ولجرير أبيات من الغزل الرقيق في مقدمة نقيضة يهجو بها الاخطل :

يا أمَّ عمرٍو ، جزاكِ اللهُ مغفرةً ، رُدِّي عَلَيَّ فؤادي كالذي كانا .
ألستِ أملحَ من يمشي على قدمٍ ، يا أملحَ الناسِ كلِّ الناس إنسانا [٧] .

---

١ الثقلان : الانس والجن (جميع الناس ، العالمين) . رجلا : رجالا (الرجال المحاربون) . ببطن منى : في الحج . القبة : الخيمة العظيمة من الجلد (وتكون عادة للملوك) . — نحن كثيرو العدد وعظماء .

٢ حوض النبي : بئر زمزم في مكة (كانت بئر زمزم في الجاهلية في عهدة قوم يتولون سقاية الناس) . لعله يقصد : كان حق اسقاء الماء في الجاهلية من زمزم قبل الاسلام لنا ، ولا يزال هذا الحق لنا في الاسلام . ومنا أيضاً الذي ورث النبوة والكتاب (الحكم بما جاءت به النبوة وبما نزل في القرآن) : الخليفة .

٣ العمدة ١ : ٣٦ — ٣٧ .

٤ دهقانة ، لعلها فعلانة من دهق : ضرب .

٥ نقائض جرير والفرزدق ٤٣ س .

٦ القاموس ٣ : ١٠٥ .

٧ إنساناً تمييز من املح . — اجمل الاشخاص في الناس كلهم .

يَلْقَى غريمُكُمُ من غير عُسْرتِكم — بالبَذْلِ بُخْلاً وبالإحسان حِرْمانا [1] .
قد خُنتِ من لم يكن يخشى خيانَتَكم ؛ — ما كنتِ أوّلَ موثوقٍ بـه خانا .
لقد كتمتُ الهوى حتى تهَيّمَني ؛ — لا أستطيعُ لهـذا الحبِ كِتْمانا [2].
كاد الهوى يومَ سلمانَيْن يقتلني ، — وكـاد يقتلني يومـاً ببَيْدانـا .
لا بارك الله في من كان يَحْسَبُكم — إلاّ على العهد حتى كان ما كانا .
لا بارك الله في الدنيـا إذا انقطعـت — أسبابُ دُنياكِ من أسباب دنيانا [3] .
ما أحدثَ الدهرُ ممـا تعلمين لكم — للحبل صَرْماً ولا للعهد نِسْيانا [4] .
إنّ العيونَ التي في طَرْفها حَوَرٌ — قَتَلْنَنا ثم لَمْ يُحيِينَ قتْلانا [5] :
يَصْرَعْنَ ذا اللبِّ حتى لا حَراكَ به ، — وهُنّ أضعفُ خلق الله أركـانا !
يا حبّذا جبلُ الرّيّانِ من جبلٍ ، — وحبذا ساكنُ الرّيّانِ من كانا ،
وحبذا نفَحـاتٌ مـن يَمانيـةٍ — تأتيك من قِبَلِ الريان أحيـانا [6] .

ثم يلتفت جرير إلى هجاء الشعراء ويخصّ بالهجاء الأخطل . والهجاء في هذه القصيدة عفيف اللفظ والمعنى بخلاف ما نعرف من قصائد الهجاء الأخرى التي لا تخلو عادة من الاقذاع .

يقول جرير :

ما يَدّري شُعراءُ الناسِ ، ويْحَهُم ، — مِنْ صَوْلَةِ المُخْدِرِ العادي بخَفّانا [7] .

---

١ الغريم : الدائن ، وهنا : المحب . أنت تستطيعين أن تبذ لي لي قربك ولكنك لا تفعلين . وأنا أبذل نفسي لك وأنت تبخلين علي . وأنا أحسن في محبتك وأنت تحرمينني . – هذا البيت مبني على اشارة إلى القرآن الكريم في حق الدائن والمدين : وان كان ذو عسرة فنظرة (بفتح النون وكسر الظاء) إلى ميسرة (سورة البقرة ٢٨٠).
٢ تهيمني الحب : كاد يذهب بعقلي .
٣ لا لذة للعيش إذا ابتعدت عنك .   ٤ الصرم : القطع ، الهجر ، البعد .
٥ الحور : شدة بياض بياض العين وشدة اسوداد سوادها . يحيين فعل مضارع مبني على السكون في محل جزم بحرف الجزم لم ؛ والنون نون النسوة وهي فاعل .
٦ ما أحلى النسيم الذي يأتي من الجنوب (من جهة اليمن) .
٧ يدري الصيد : يختله (يحاول أن يمسكه على غفلة) . الصولة : الهجمة ، الوثبة ، السطوة . المخـدر : (الاسد) الساكن في الاجمة أو العرين . العادي : الاسد ، العدو ، الظالم . خفان : مأسدة (مكان يكثر فيه الاسود) في طريق الكوفة . – مـا يأمل هؤلاء الشعراء أن ينالوا بهجاء جرير (إلا كما يأمل الناس من صيد الاسد المخدر ، الشديد الصولة والسطوة) .

جهلاً تَمَنّى حُدائي من ضَلالتِهِم ، فقد حَدَوْتُهُمُ مَثْنى ووُحْدانا [1] :
غادرتُهم من حسير مات في قرَن وآخرين نسُوا التَهدار خِصيانا [2] .
ما زال حَبْلِيَ في أعناقهم مَرِساً حتّى اشْتَفَيْتُ وحتّى دانَ مَنْ دانا [3] .
إنّي امرُؤٌ لم أُرِدْ ، في من أناوئه ، للناسِ ظُلْماً ولا للحرب إدهانا [4] .
أحمي حِمايَ : بأعلى المجد منزلَتي من خِنْدِف ، والذُّرى من قَيسِ عَيلانا [5] .
قال الخليفةُ – والخِنزيرُ مُنْهَزِمٌ – ! ما كنتَ أول عبد مُجْلَبٍ خانا [6] .
لاقى الأُخَيْطِلُ بالجَوْلان فاقِرَةً مِثل اجتداعِ القوافي وَبْرَ هزّانا [7] .

٤ – ديوان جرير ، القاهرة (المطبعة العلمية) ١٣١٣ ه .
ديوان جرير (عبد الله اسماعيل الصاوي) ، مصر (المكتبة التجارية الكبرى) ١٣٥٣ ه = ١٩٣٥ م .
نقائض جرير والفرزدق (بيفان) ، ليدن ١٩٠٥ – ١٩١٢ م .
نقائض جرير والفرزدق ، القاهرة ١٣٥٣ ه .
نقائض جرير والاخطل (صالحاني) ، بيروت (المطبعة الكاثوليكيـة) ١٩٢٢ م .

---

٢ – كان كل واحد من هؤلاء الشعراء يظن أن بامكانه أن يحدوني (يسوقني ، يغلبني في الهجاء) فكان أن حدوتهم أنا (تغلبت عليهم) أفراداً وجماعات . لعلها : تمنوا (بتشديد النون المفتوحة) .

٣ – نازلتهم كلهم مرة واحدة ثم تركتهم ورائي : منهم الحسير (الذي تعب من كثرة الجري) في هجائي ثم مات (خمل ذكره) في قرن (واحداً بعد واحد !) . ومنهم من تركتهم خصياناً (تغلبت عليهم وفضحتهم فآثروا أن يتركوا قول الشعر) . التهدار : صوت البعير أو الثور (الخصاء يفقد المخصي كثيراً من أوجه نشاطه) .

٤ مرساً : ناشباً (معقوداً) ، فمنهم من شفيت نفسي منه (وهو لا يزال خصمي) ، ومنهم من خضع لي وسالمني .

٥ أناوئه : أعاديه . الادهان : المداراة . – لا أريد أن أظلم أحداً ، ولا أسكت عمن يريد أن يظلمني .

٦ أدافع عن نفسي . أنا من جهة أمي من خندف من أعلاهم ، والذرى (أعلى نسبي ، من جهة أبي) من قيس عيلان (من أسمى عرب الشمال – من تميم إحدى القبائل العظيمة من قيس) .

٧ الخنزير (كناية عن الاخطل) . العبد المجلب : المجلوب كبيراً ، خلاف الذي ربي صغيراً في الأسرة الذي هو فيها (كناية عن أن الاخطل جيء بـه لنصرة الامويين بأجر ، ولم يكن يشعر شعور الامويين) .

٨ الجولان : الحرب (الهجاء) . الفاقرة : الضربة التي تقطع فقار (بفتح الفاء) الظهر فتشل حركة الجسم (تقتل) . مثل اجتداع القوافي وبر هزانا : كما اتفق في شأن هزان .

ديوان جرير بن عطية ، بيروت (دار صادر ودار بيروت) ١٩٦٠ م .
** جرير ، قصة حياته ودراسة شعره ، تأليف جميل سلطان ، دمشق ١٩٣٦ م .
جرير بن عطية ، تأليف محمد ابراهيم جمعة ، بيروت (دار المعارف) ١٩٥٧ م .
غ ٨ : ٣ — ٨٩ ، ١١ : ٦١ — ٦٦ ؛
جرير بقلم خليل مردم (م م ع ع ، المجلّد ٣٠ ، ١٩٥٥ م ، ثلاث مقالات : ص ١٧٧ ، ٣٥٣ ، ٥٢٩) ؛ بروكلمان ١ : ٥٣ — ٥٥، الملحق ١ : ٨٦ — ٨٧ ؛ زيدان ١ : ٢٨٨ — ٢٩٢ .

ذو الرُّمّة

١ — هو أبو الحارث غَيلانُ بنُ عُقبَةَ بن بُهيش بن مسعود بن عمرو ابن ربيعة من بني عَديّ بن عبد مَناة بن أُدّ ؛ وأمّه امرأة من بني أسد يقال لها ظَبْيَة . وسُمّي ذا الرّمّة (بضمّ الراء : الحبل القصير) لأنه وصف وتداً قديمَ العهد لا تزال عليه قِطعةٌ من الحبل التي كانوا شدّوا بها اليه أحد جوانب الخيمة ، وقد تهرّأت أيضاً ، فقال (من بحر الرجز) : « أشْعَثُ باقي رُمّةِ التقليدِ » !

وُلِدَ ذو الرّمّة غَيلانُ بن عُقبة سنة ٧٧ هـ (٦٩٦م) ونشأ في البادية ، ولكنّه كان كثيرَ التّرْداد إلى الكوفة والبصرة فغَلَب عليه شيء من سيّئات الحضَر في حياته وفي كلامه . وقد ذكروا في صفته أنه كان قصيراً نحيلاً أسودَ دَميماً (قبيحاً) مُدوّرَ الوجهِ قد برز كَتِفاهُ فوقَ صَدرِهِ . وكذلك كان جَعْدَ الشعرِ أنزعَ (خفيفَ الشعرِ من جانِبَي الرأس) . على أنه كان فَطِناً بصيراً بالأمور فصيحاً يَخُطّ ويقرأ الخطّ مع أن ذلك كان عَيْباً في البادية . وكان رصيناً عفيفاً تَقيّاً . ثم انه كان يُعَلّم القراءةَ والكتابةَ في البادية [١] .

[١] غ ١٦ : ١٢١ ؛ الشعر والشعراء ٣٣٤ .

ذو الرمّة من عُشّاق العرب المشهورين ، وقد كانت له قِصّتا حبّ :

في نحو العشرين من العُمُرِ أحب ذو الرمّة ميّةَ بن مُقاتل بن طَلَبَةَ [1] ابن قيس بن عاصم المِنْقريّ ؛ ويبدو أنّها كانت متقدّمةً في السنّ وأمّاً لعدد من الأولاد ولكنّها كانت على جانب من الجمال الرائع . ولقد تغزّل بها ذو الرمّة عشرين سنة من غير أن ينالَ منها مَنالاً ؛ ولم تكن هي تميل اليه . فيقال إن ذا الرمّة أظهر الحبّ بفتاة شابّةٍ هي خَرَقاء العامرية (أو كذلك سمّاها ذو الرمّة) ، من بني البكّاء بن عامر بن صعصعة فكان يتغزّل بها ، فيما قيل ، إغاظة لميّةَ .

ولم يَعِشْ ذو الرمّة بعد أن عَرَفَ خرقاءَ هذه إلاّ عاماً أو بعضَ عامٍ ثم تُوُفّيَ سنة ١١٧ هـ (٧٣٥ م) بعد أن مَرِضَ أياماً ، وله من العُمُر نحوُ أربعين سنة . وقبره كان معروفاً في البادية .

٢ — ذو الرمّة شاعرٌ مُكثر مُطيل مُجيد مُشهور . وقد كان في أول أمره يقول رَجَزاً ثم وجد أنه مُقصّرٌ في ذلك عن العجّاج وابنهِ رُوْبة فانتقل إلى القَصيد جُمْلةً . وشعر ذي الرمّة مُتفاوتٌ في الجودة ، قال فيه ابن قتيبة [2] : « أحسن الناس تشبيهاً وأجودُهم تشبيباً (غزلاً) وأوصفهم لرمل وهاجرة [3] وفلاة وماء .... وأحسن الناس وصفاً للمطر ، فاذا جاء إلى المديح والهجاء خانه الطبع » ؛ ولم يكن يُحسن الفخر أيضاً . ومع أنه بَدَوِيّ الشعر فانه كان يُكرِهُ نفسَه عليه ، وربّما نقّح شعره أيضاً [4] . وهو لا يُحْسِنُ مطالعَ القصائد ولا خِطابَ الممدوحين [5] لبداوته في الأغلب . على أن علماء اللغة يهتمّون بشعره لما فيه من الكلمات الغريبة والكلماتِ النادرة في الاستعمال . وقد كان الشعراء والعلماء يسألونه عن الألفاظ في اللغة [6] .

---

١ وفيات ٢ : ١٣٧ ، أو بنت عاصم بن طلبة . وفي الشعر والشعراء (ص ٣٣٥) : مية بنت فلان بن طلبة . وفي الاغاني (١٦ : ١١٩) : مي بنت طلبة بن قيس .

٢ الشعر والشعراء ٢٩ ، ٤١ ، ٣٤١ ؛ راجع غ ١٦ : ١٢١ ؛ الكامل ٤٤٨ — ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، راجع أيضاً ٢٥٩ .

٣ الهاجرة : اشتداد الحر إذا تكبدت الشمس السماء (نصف النهار) .

٤ الموشح ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٨٤ ، ١٩٢ ، ٢٣٩ .

٥ الصناعتين ٤٣١ ؛ الموشح ٥٤ ، ١٧١ ، ٢٣٧ — ٢٣٨ ، ٢٣٩ ؛ وفي غيرها .

٦ الكامل ٧٩ — ٨٠ .

٣ – المختار من شعره :

– قال ذو الرمّة يتغزّل بميّة من قصيدة قالها في مديح عبد الملك بن مروان :

وَقَفْتُ على رَبْعٍ لِمَيَّةَ ناقتي ، فما زِلْتُ أبكي عنده وأُخاطبُهْ ،
وأسْقيهِ حتى كاد مما أبُثّه تُكلّمني أحجارُهُ وملاعبه .
وقد حَلَفَتْ باللهِ ميّةُ ما الذي أُكلِّمها إلاّ الذي أنا كاذبه .
إذاً فرماني اللهُ من حيثُ لا أرى ؛ ولا زال في أرضي عَدوّ أحاربه .
إذا نازعتك القولَ ميّةُ ، أو بدا لك الوجهُ منها ، أو نضا الدرع سالبه[1] ،
فيا لكَ مِنْ خدّ أسيلٍ ومَنْطِقٍ رخيم ومن خَلْق تَعَلّل جادبه [2] .
ألا لا أرى مثلَ الهوى داءَ مُسْلمٍ كريمٍ ، ولا مثلَ الهوى لِيمَ صاحبه!

– وقال يمدح بِلال بن أبي بُرْدة بن أبي موسى الاشعريّ :

ولم أمدحْ – لِأُرْضِيَهُ بشِعْري – لئيماً أنْ يكونَ أصاب مالا .
ولكنّ الكِرامَ لهم ثَنائي ، فلا أخزَى إذا ما قيل : قالا !
سمعت الناسَ ينتجعون غَيْثاً ، فقلت لصَيْدحَ : انْتَجعي بِلالا [3] .
تُناخيْ عند خيرِ فتىً يَمانٍ إذا النَكباء ناوحَتِ الشَّمالا [4] .
كأنّ الناسَ ، حين تَمُرّ ، حتّى عواتقَ لم تكُنْ تَدَعُ الحِجالا ،
– قِياماً ينظرونَ إلى بلالٍ – رِفاقُ الحج أبْصَرَتِ الهِلالا [5] .
وقد رفع الالـهُ بكل أرضٍ لضوئك ، يا بِلالُ ، سَناً طُوالا [6]

---

١ نازعتك القول : حادثتك . الدرع (. مذكر) : ثوب تلبسه الفتاة . نضا الدرع سالبه : عرى الرجل الفتاة من ثوبها .

٢ أسيل : طويل . رخيم : عذب ، حلو ، مطرب . الخلق : الخلقة ، بناء الجسم . تعلل جادبه .....

٣ صيدح : اسم ناقة ذي الرمة .

٤ النكباء : الريح التي تهب بين ريحين . ناوحت : قابلت . – إذا هبت الريح من الجهة الشمالية الشرقية أو الشمالية الغربية (كناية عن اشتداد البرد) .

٥ العاتق : الفتاة أول ادراكها . الحجلة (بفتح ففتح) : خباء المرأة . أبصر الهلال : استبشر بمجيء العيد ، باقتراب الموسم . – فرح الناس بقدومك ؛ حتى الفتيات اللواتي لم يسبق لهن أن غادرن بيوتهن خرجوا إلى الطريق وجعل الجميع ينظرون اليك .

٦ السنى : نور البرق . طوال (بضم الطاء) : طويل . – جعل الله نورك بعيد الانتشار يستضيء به كثيرون .

كضوء البدر ليس به خفاءٌ ، وأُعْطِيتَ المَهابة والجمالا !

– وقال ذو الرمّة :

إذا هبّتِ الأرياحُ من نحوِ جانبٍ به أهلُ ميّ ٍ هاج شَوْقي هُبوبُها :
هوىً تَذْرِفُ العَيْنانِ منه ، وإنّما هوى كلّ نفسٍ حيثُ حلّ حبيبُها !

– وقال أيضاً :

لها بَشَرٌ مثلُ الحرير ، ومَنْطِقٌ رخيمٌ الحواشي لا هَراءٌ ولا نَزْرُ [1] ،
وعينانِ قال اللهُ : كونا ، فكانتا ، فَعولانِ بالألبابِ ما تفعلُ الخمر .

٤ – ديوان غيلان بن عقبة المعروف بذي الرمّة (كارليل هنري هيس مكارتني) كامبردج ١٣٣٧ هـ = ١٩١٩ م .
ديوان ذي الرمّة (بشير يموت) ، بيروت (المكتبة الأهلية) ١٣٥٢هـ=١٩٣٤م .
الشوامخ (محمد صبري) الجزء الثالث : ذو الرمّة ، القاهرة ١٩٤٤–١٩٤٦ م .

** بروكلمان ١ : ٥٥ – ٥٦ ، الملحق ١ : ٨٧ – ٨٩ ؛ زيدان ١ : ٣٣٩–٣٤٠.

العَرجيّ

– هو عبد الله بنُ عُمَرَ بنِ عُمَرَ بن عُثْمانَ بن عَفّان ؛ وأمّه آمنة بنت عمر (وقيل بنت سعيد) بن عثمان . ولقّب بالعَرْجيّ لأنه كان يسكن عَرْجَ الطائفِ ، وهي قرية من نواحي الطائف في أول تِهامة ، على ثمانية وسبعين ميلاً من المدينة ، وكان له هنالك أراضٍ وأموالٌ .

كان العَرْجِيّ أشقرَ أزرقَ العينين جميلَ الوجه ، الا أنه كان كَوْسَجاً (خفيف اللحية) ناتئ الحنجُرة . وكذلك كان من الفرسان المعدودين ومن البارعين في صنع السِهام وفي الرماية . وقد غزا في بلاد الروم معَ مَسْلَمة بن عبد الملك ، وأبلى في القتال بَلاء حَسَناً وأنفق في سبيل الله أموالاً كثيرة . ويبدو أنه كان يأملُ بذلك أن يَصِلَ إلى مَنْصِب من إمارة في جيش أو وِلاية على بلد ، ولكن

١ البشر : ظاهر جلد الانسان . المنطق : الكلام . الرخيم : السهل اللين . الهراء : المنطق (الكلام) الكثير الفاسد الذي لا نظام له . النزر : القليل .

لم يَتِمّ له ذلك فاعتزل إلى الحجاز وانصرف إلى اللهو والمكائد .

لما جاء هشام بن عبد الملك إلى الخلافة (١٠٥ ه = ٧٢٤ م) ولّى على مكّة خالَه ابراهيمَ بنَ هشامٍ بن اسماعيل المخزومي (١٠٦ ه = ٧٢٥ م) ؛ وفي سنة ١١٤ ه (٧٣٢ م) ولّى عليها خاله محمداً ، فنَشِبَ النزاع بين العَرْجي ومحمد ابن هشام باطناً وظاهراً . وأراد العرجي أن يزيد في إغاظة محمد بن هشام فتغزّل بأمه جَيْداء . عند ئذ غَضِبَ محمد بن هشام على العرجيّ وألقاه في السجن إلى أن توفّي فيه ، في الاغلب ، سنة ١٢٠ ه (٧٣٨ م) .

٢ – كان العرجيّ من شعراء قريشٍ صاحبَ غزل وفُتوّة ينحو في شعره ومغامراته منحى عمر بن أبي ربيعة ، وفي الاستهتار وقلة المُبالاة منحى الأحوص . وشعر العرجيّ في الغزل ؛ ولكنّ له أشياءَ يسيرةً في الأدب والمدح والهجاء والفخر . وبعض شعره على النَمَط القديم ؛ وفي بعضه نفس مُحْدَث .

٣ – المختار من شعره :

– قال العرجيّ في الغزل ، وهو قول مشهور وفيه غناء :

أماطت كِساءَ الخزّ عن حُرّ وجهِها وأدنتْ على الخدّين بُرْداً مُهَلْهَلا [١] ؛
من اللاءِ لم يَحْجُجْنَ يَبْغِينَ حِسْبَةً ولكن لِيَقْتُلْنَ البرئَ المُغَفّلا [٢] .

– ومما قاله في جيداءَ أم محمد بن هشام المخزومي :

عوجي علينا ، ربّةَ الهَوْدَجِ ! إنّكِ ان لم تفعلي تَحْرَجي [٣] .
إني أُتيحَتْ لي يَمانيّةٌ : إحدى بنات الحارثِ من مَذْحِجِ .
نَلْبَثُ حَوْلاً كاملاً كلّهُ لا نلتقي إلاّ على مَنْهجِ [٤]
في الحجِّ ، إن حَجّت . وماذا مِنَى وأهلُه إنْ هِيَ لم تَحْجُجِ ؟

---

١ الخز : الحرير . حر الوجه : الوجه الابيض الناقي الجميل . المهلهل : الرقيق .
٢ حسبة : احتساباً ، ابتغاء رضى الله .
٣ عوجي : ميلي الينا ، انزلي عندنا ، زورينا . تحرجي : تأتين حرجاً ، ترتكبين ذنباً
٤ الحول : العام . المنهج : الطريق .

أيسرُ ما نال مُحبٌّ لدى بَيْنِ حبيبٍ قولُه : عرّج[١] !

— لمّا حُبِسَ العرجيّ قال في سجنه يذكر ما يلاقي من التعذيب :

أضاعوني ، وأيَّ فتىً أضاعوا ليوم كريهةٍ وسِداد ثغْرِ[٢]
وصبرٍ عندَ معْتَرَكِ المنايا وقد شُرِعَتْ أسِنّتُها بِنَحري[٣] .
أجرَّر في الجوامع كل يوم ، فيا لله مظلمتي وصبري[٤] .
كأنّي لم أكن فيهم وَسيطاً ، ولم تكُ نِسْبتي في آل عمرو[٥] .

— وقال في الأدب :

إذا أنت لم تَغْفِرْ ذُنوباً كثيرةً تُريبُك لم يَسْلَمْ لك الدهرَ صاحبُ .
ومن لا يُغَمِّضْ عَيْنَه عن صديقه وعن بعض ما فيه يَمُتْ وهو عاتب .

٤ — ديوان العرجي من رواية ابن جنّي (شرحه وحققه خضر الطائي ورشيد العبيدي) ، بغداد (الشركة الاسلامية للطباعة والنشر) ١٩٥٦ م .

•• غ ١ : ٣٨٢—٤١٧ . بروكلمان ١ : ٤٤ ، الملحق ١ : ٨٠ ؛ زيدان ١ : ٣٢٧ .

ابو النجم الراجز

١ — هو أبو النّجْم الفضلُ (أو المُفضّل) بن قُدامة العِجليّ ، من بني ربيعة بن مالك بن عِجل من بني بكر بن وائل . ويبدو أن مولده كان سنة ٤٠ هـ (٦٦٠ م) وأن مسكنه كان في ضواحي الكوفة ؛ وكان يأوي إلى المساجد .

اتّصل أبو النجم ببني أميّة منذ أيام عبد الملك ومدحهم ومدح الحجّاج أيضاً . ثم انّه وفد على هشام (١٠٥ — ١٢٥ هـ) ، وكان قد ناهز السبعين ، فأقطعه هشام

---

١ عرج : (بتضعيف الراء) مال الى المكان وأقام فيه.

٢ كريهة : حرب . سداد ثغر : دفاع عن حدود الوطن .

٣ شرعت : سددت ، وجهت . الاسنة : رؤوس الرماح . النحر : أعلى الصدر ، المكان الذي يكون فيه النحر (الذبح) .

٤ الجوامع جمع جامعة : القيد وسيط في قومه : ذو رئاسة و مجد . في آل عمرو : في آل عمرو بن عثمان بن عفان.

٥ الوسيط في القوم : أوسطهم نسباً (أصيل فيهم) وأرفعهم محلا .

موضعاً في سواد الكوفة يُدعى الفِرْك [1] فكان ينزله إلى ان توفي ، سنة ١٢٠هـ (٧٣٨ م) في الاغلب .

٢ – أبو النجم من رُجاز الاسلام الفُحول المُقَدّمين المشهورين ، ومن الطبقة الأولى منهم ، وكان مُكْثراً يقول رَجَزاً وقصيداً فيُجيد . غير أن شعره متفاوت فيه الجيّد وفيه الرديء . وربّما قال بَديهة أيضاً . أما فنون شعره فهي المديح والهجاء والطَّرْد – في وصف الفرس والابل خاصّة . – وكان مُظفّراً في الهجاء: كان يُهاجي العَجّاج ، هاجاه في مربد البصرة فغلبه . واجتمع الشعراء مرّة عند سليمان بن عبد الملك فأبَوْا أن يُفاخروه رَجَزاً ، فقال قصيداً وغلبهم (غ ١٠ : ١٥٣ – ١٥٤) .

٣ – المختار من شعره :

– يرى ابن قتيبة (الشعر والشعراء ٣٨١) أن أرجوزة أبي النجم التالية أجود أراجيز العرب ، قال فيها :

الحمدُ لله الوَهوبِ المُجْزِلِ	أعطى، فلم يبخلْ ولم يُبَخَّلِ [2] ،
كُومَ الذُرى من خَوَلِ المُخوَّلِ	تَبَقَّلَتْ من أول التَبَقُّلِ [3] ،
بين رِماحَيْ مالك ونَهْشَلِ	يدفع عنها العِزُّ جَهْلَ الجُهَّلِ [4] .
حتى إذا الشمسُ بَدَتْ للقُيَّلِ	بالنصف من حيث غدت والمنزلِ [5] ،
جاءت تَسامى في الرعيل الأول	والظِل عن أخفافها لم يَفْضُلِ [6] ،

[1] الشعر والشعراء ٣٨١ ؛ راجع القاموس ٣ : ٣١٥ « الفرك قرية قرب كلواذى » . وكلواذى (بفتح الكاف) قرية أسفل (جنوب) بغداد (القاموس ١ : ٣٥٨) .

[2] المجزل : المعطي كثيراً . لم يبخل (بتشديد الخاء) : لم ينسبه أحد إلى البخل .

[3] يصف أبو النجم الابل في الابيات التالية . كوم جمع كوماء (عظيمة) الذرى (السنام) . من خول (عطايا) المخول (الله تعالى) . تبقلت : رعت البقل . في أول التبقل : أول نبت البقل (أول الربيع) فأسنمت (عظم سنامها) وسمنت .

[4] – رعت في حماية بني مالك وبني نهشل ، فكان عزهم (قوتهم) تدفع عنها جهل الجهال (الذين يفكرون بالغارة عليها) .

[5] القيل الذين يقيلون (ينامون بعد الظهر) ، يقصد « حتى إذا انتصف النه[ار] »

[6] جاءت (إلى الماء) تسامى : رافعة أعناقها لنشاطها . في الرعيل الأو[ل] طليعة لسائر الابل (جاءت تشرب قبل جميع الابل لأننا نحن أصحابها أقوى سائر القبائل) . والظل عن أخفافها لم يفضل : الشمس في كبد السماء وظل كل شيء تحته تماماً .

مائرةَ الأيدي طِوال الأرجل ... يُهدى بها كلُّ نِيافٍ عَندل [1] .

لو جرّ شنٌّ وسْطَها لم تَحفِل ... من شهوة الماء ورِزٍّ مُعْضِل [2] ،

وهْي على عَذْبٍ رِواء المنهل ... دَحلِ أبي المِرقالِ خيرِ الأدْحُل [3] ،

من نَحْتِ عادٍ في الزمان الأول ... على جَوابٍ وخليجٍ مُرْسَل [4] .

وحَبْلِ جِلدٍ من جلود البُزّلِ ... أملسَ لا رثٍّ ولا مُوَصّل [5] ،

على دُموك أمرُها للأعجل ... تَئِطّ أحياناً إذا لم تَصهَل [6] .

حتى إذا الشمسُ اجتلاها المُجتلي ... بين سِماطَيْ شَفَقٍ مُهوّل [7] !

فهْيَ على الأفق كعين الأحول ... صَغْواءَ قد كادتْ ولما تفعل [8] .

نشّطها ذو لِمّةٍ لم تُغسَل ... صُلبُ العصا جافٍ عن التغزّل [9] ،

مختلط المَفرِق جَشْبِ المأكل ... إلا من القارص والمُمَحّل [10] .

---

١ مائرة الايدي : من صفات الابل الكريمة أنها تفتح ما بين أيدي عند الجري (مار : تحرك) . يهدى بها : يهتدى بها ، يتبعها . نياف : الجمل الطويل (ما بين العنق والذنب) المرتفع (كناية عن سرعته) . العندل : الغليظ (كناية عن قوته وقدرته على الجري) .—ومع ذلك فان إبلنا تهدى بها سائر الابل (تسبق الابل) .

٢ الشن : الجلد اليابس يقرقع به خلف الابل فتخاف وتنفر . ولكن إبلنا لا تخاف هذا الصوت لأنها كانت شديدة العطش حتى كأن العطش قد أصبح مرضاً في جوفها لا يشفى .

٣ الدحل : هوة في الأرض . أبو المرقال : رجل من بني عمرو بن تميم : وفي القاموس (٣ : ٣٨٦) كنية لآخرين .

٤ من نحت عاد : عظيمة الاجسام (يقصد الابل) . الجوابي جمع جابية : حوض ضخم . الخليج : النهر المرسل : المتدفق الذي لا يقف .

٥ الحبل : الرسن . البزل جمع بازل : الجمل الذي تمت أسنانه فبلغ أشده (أربع سنوات) . حبل جلد من جلود (غامضة المعنى) ؛ المقصود : لها ارسان جديدة (ورحال جديدة) !

٦ الدموك : بكرة عظيمة تكون على البئر لرفع الماء . أمرها للأعجل : يبدأ باستعمالها (باستقاء الماء) اسرع الواصلين إلى الماء . تئط : تحدث صوتاً من مرور الحبل عليها . إذا لم تصهل : إذا لم تستطيع أن تصهل كالخيل (لأنها خشب) .

٧ اجتلاها : رآها . سماط : صف ، طبقة . الشفق : احمرار الأفق عند المغيب . مهول : مختلف الألوان (لوجود غيوم قريبة من الأفق) .

٨ كعين الاحول (!) . صغواء : مائلة للغروب . قد كادت (تغيب) ولكن لم تفعل (لم تغب بعد) .

٩ نشطها : سمنها (أحسن رعايتها) . راع ذو لمة لم تغسل (لا يهتم بغسل شعره لأن كل اهتمامه منصرف إلى حسن القيام على الابل التي في عهدته) .

١٠ مختلط المفرق : مشعث الشعر (لا يفرق شعره بالمشط ولا يتعهده بالدهن) . جشب (غليظ) المأكل . القارص والممحل : اللبن إذا حمض كثيراً أو قليلا (كناية عن أن هذا الراعي يبقى أبداً مع أبله ولا يرجع إلى المدينة أو إلى بيته) .

يَحلِفُ باللهِ ، وان لم يُسأل ، ما ذاق ثُفلاً بعدَ عامٍ أوّل [1] .
يمرّ بين الغانيات الجُهّل كالصقر يجفو عن طِراد الدُخّل [2] .
فصَدَرتْ بعد أصيلِ المُوصل تمشي من الردّة مشي الحُفَّل [3] :
مشيَ الروايا بالمَزاد الأثقلِ يرْفِلْن بين الأدَم المُعدّل [4] .

٤ — الطرائف الأدبية (عبد العزيز الميمني) ، القاهرة (لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٣٧ م . ص ٥٥ وما بعدها .

** الاغاني ١٠ : ١٤٩ — ١٦١ ؛ م م ع ع (تموز ١٩٢٨ م) ؛ بروكلمان الملحق ١ : ٩٠ ، (دائرة المعارف الاسلامية — النسخة الانكليزية — الطبعة الثانية ١ : ١٤٢ ؛ زيدان ١ : ٢٩٧ — ٢٩٩ .

نابغة بني شيبان

١ — هو عبد الله بن المُخارق بن سُليم بن حُضيرة من بني ربيعة بن ذُهل ابن شَيْبان بن ثَعلبة من بني بكر بن وائل من بني أسد بن ربيعة بن نِزار . وهو شاعر أمويّ مدح عبد الملك بن مروان (٦٥ — ٨٦ هـ) والوليد بن عبد الملك ثم أدرك الوليد بن يزيد (١٢٥ — ١٢٦ هـ) ومدحه أيضاً .

قال أبو الفرج الاصفهاني (غ ٧ : ١٠٦) : « وكان ، فيما أرى ، نَصْرانياً لأنني وجدتُه في شعره يَحْلِفُ بالانجيل والرُّهبان وبالأيْمان التي يحلف بها

١ — يقسم أنه لم يذق ثفلا (حباً كالعدس أو الفول) ولم يتغذ إلا باللبن . بعد عام أول : منذ العام الماضي .

٢ — يمر بالغواني فلا يهتم بهن ، كما لا يهتم الصقر باصطياد الدخل (الطائر الصغير) . لأنه ، لطول مكثه في البادية البعيدة عن العمران ، قد نسي حياة الغزل .

٣ فصدرت : شربت ورجعت عن الماء . الاصيل : ارتفاع النهار (وقت العصر) . من الردة : من كثرة ما شربت (كناية عن أن قبيلة الشاعر قوية تشرب ابلها حتى ترتوي قبل أن يجوز لإبل القبائل الأخرى أن تشرب) الحفل : الممتلئة ضروعها لبناً (تمشي بتثاقل) .

٤ — كما تمشي الابل التي تحمل الروايا (أوعية الماء) متثاقلة على مهل وبحذر لئلا تصاب أوعية الماء التي تحملها بأذى . رفل اختال في أثوابه . الادم الجلد المصنوع أوعية للماء . المعدل : المتوازن (وعاء من كل جانب) .

النصارى » . واعتمد الأب لويس شَيْخو هذه الجملةَ — وجُمْلةً للصَّفَدي في « الوافي بالوفيات » هي « قيل : إنه كان نصرانياً » ، ثم على غضبةٍ لعبد العزيز بن مروان على نابغة بني شيبان أشار اليه فيها بأنه « ابن النصرانية » — فجعله من شعراء النصرانية بعد الاسلام (ص ١٣٧ — ١٦٢) .

على أن الذي يبدو من الديوان أن نابغةَ بني شَيْبانَ كان مُسلماً . وأما الجملتان الواردتان في الأغاني وفي الوافي بالوَفَيات للصَّفَدي ثم الجملةُ المَرْوِيةُ عن عبد العزيز بن مَروان فيُمْكِنُ أنْ تَدُلَّ على أن نابغةَ بني شَيبانَ نشأ نَصْرانياً ثم انْتَقَلَ إلى الاسلام . ففي ديوانهِ مثلاً (ص ١٧) :

وتُعْجِبُني اللَذّاتُ ، ثم يَعُوجني ويَسْتُرُني عنها من اللهِ ساتِرُ [1] .

ويَزْجُرُني الاسلام والشيبُ والتقى ، وفي الشيبِ والاسلام للمرء زاجر .

ومثلُ هذه الاشاراتِ الاسلاميةِ كثيرةٌ في ديوان نابغة بني شيبان ، كقوله مثلاً : « خير الجبَالِ حِراءُ [2] » .

ولمّا مدح نابغة بني شَيبانَ الخليفةَ الوليدَ بنَ عبدِ الملك أشار إلى فتحِ طُرَنْدَة ، وهي بلدةٌ في أواسط آسيةَ الصُغرى ، على يد مَسْلَمَةَ بنِ عبد الملك فأشار إلى الروم عامةً وخاصةً فقال (ديوان ٥٢ — ٥٣) :

يا أيها الأجدعُ الباكي لمَهْلِكِهِمْ ، هل بأسُ ربِّك عمّن رام مصروفُ [3] ؟

تدعو النصارى لنا بالنصر ضاحيةً ، والله يَعْلَمُ ما تُخْفي الشراسيف [4] .

قَلَعْتَ بِيعتَهُمْ عن جَوْف مَسْجِدِنا ،

فصخرُها عن جديدِ الارض منسوف [5] .

كانت إذا قامَ أهلُ الدينِ فابْتَهَلوا باتتْ تجاوِبُنا فيها الأساقيف [6] :

---

١ يعوجني : يردني.

٢ ديوان ٥١ . حراء : جبل قرب مكة كان يتعبد فيه محمد عليه الصلاة والسلام قبل البعثة .

٣ الاجدع : المقطوع الأنف .

٤ ضاحية : ظاهرة ، متظاهرة . الشراسيف : غضاريف تصل الاضلاع بالكتف ، يقصد : الصدر .

٥ البيعة (بكسر الباء) : معبد النصارى ، الكنيسة.

٦ أهل الدين : المسلمون . ابتهلوا : دعوا الله . الاساقيف جمع أسقف : رئيس النصارى . تجاوبنا (هنا) : تقطع صلاتنا .

أصواتُ عُجْمٍ إذا قاموا بقُرْبَتِهِمْ كما تَصَوَّتُ في الصبح الخَطاطيفُ [1] .

فاليومَ فيها صلاةُ الحقِّ ظاهرةٌ وصادقٌ من كتابِ اللهِ معروفُ !

٢ ــ نابغةُ بني شَيبانَ شاعرٌ بَدَوِيّ طويل النفس ، في ديوانه عشرونَ قصيدةً اثنتا عَشْرَةَ منها تزيدُ على خمسين بيتاً منها اثنتان تَعَدَّان مائةً وأحَدَ عَشَرَ بيتاً ومائةً وأرْبَعَةَ عَشَرَ بيتاً . وشعره كثير الغريب مَعَ سهولة في التركيب عموماً ومَعَ شيء من اللين أحياناً . وأغراضه الفخر والمديح . ويكثُر في ديوانه الغزل ووصف الخمر والأدب (الحكمة) وله شيء من الهجاء . وبعض قصائده وجدانية لا تختصّ بمدح أو هجاء ، بل يكثر فيها الوصف والحكمة والزهد . والاثر الديني في شعر نابغة بني شيبان بارزٌ جداً . وله معانٍ دينيةٌ واقتباسٌ من القرآن الكريم (راجع الامالي ٢ : ٢٧٢) .

٣ ــ المختار من شعره :

ــ قال نابغةُ بني شَيبانَ يمدحُ الوليدَ بنَ يزيدَ (١٢٥ ــ ١٢٦ هـ) . ونَجِدُ في هذه القصيدة أبياتاً كثيرة الغريب إلى جانب أبيات لا غريبَ فيها ، كما نجد فيها المعاني البَدَوِيةَ الجافيةَ إلى جانب المعاني الحَضَرِيةِ العادية السائرة . والعنصرُ الديني في هذه القصيدة بارز جداً ، والمديح فيها يسيرٌ عاديّ :

آذنَ اليومَ جيرتي بارتحالِ وبِبَيْنٍ مودّعٍ واحتمالِ ،

وانْتَضَوْا أينُقَ النّجائبِ صُعْراً أخذوها بالسير في الإرقالِ [2] ،

وعَلَوْا كلّ عَيْهَمٍ دَوْسَرِيٍّ أرْحَبِيٍّ يَبُذّ وسْعَ الجِمال [3] .

---

١ العجم جمع أعجم : لا يفصح ، غير العربي . هذا يدل على أن نابغة بني شيبان لم يكن مسيحياً قط ، والا لفهم كلام الاساقفة الذي كان بالسريانية ، وكانت السريانية لغة الكنائس ولغة الكثيرين من النصارى في حياتهم اليومية . ولا يزال أهل معلولا ، في الشام ، يتكلمون اللغة السريانية . القربة : العمل الذي يتقرب به الانسان من الله ، الصلاة . الخطاف : طائر أسود صغير .

٢ انتضى : جرد (وهنا معناها : أخرج الدابة وأسرجها استعداداً للسفر) . أينق جمع ناقة . النجيبة : الأصيلة . الصعراء : الناقة في عنقها أو جنبها ميل (شديدة البناء قوية فتية) . الارقال : السير صعداً بسرعة .

٣ علوا : ركبوا . العيهم : (الجمل) الشديد السريع . الدوسري : الضخم .

كلّ عيشٍ ولذّة ونعيمٍ وحياة تودي كفيء الظلال [1] .
كفّني الحلمُ والمشيبُ وعقلي ، ونهى اللهُ عن سبيل الضلال .
وأرى الفقرَ والغنى بيد اللهِ وحتفَ النفوس في الآجال .

وبعد أن يطيلَ الشاعر في الكلامِ على أحوالِ الحياة ، وبعد أن يتبسّطَ في وصف الفلاة والناقة يقول عن ناقته :

تنتوي من يزيدَ فضلَ يديه أريحيّاً فرْعاً سمين الفعال [2] ،
حكميّاً بين الاعاصي وحربٍ ، أبطحيّ الأعمام والأخوال [3] .
أمّه ملْكةٌ نمتْها ملوكٌ ، وهي أهلُ الإكرام والإجلال [4] .
أعطيَ الحلْمَ والعفاف مع الجو د ورأياً يفوقُ رأيَ الرجال .
يقطعُ الليلَ آهةً وانتحاباً وابتهالاً للهِ أيّ ابتهال [5] .

٤ ـ ديوان نابغة بني شيبان . القاهرة (دار الكتب) ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م .

** الاغاني ٧ : ١٠٥ ـ ١١٣ ؛ بروكلمان ١ : ٥٩ ، الملحق ١ : ٩٤ ؛ زيدان ١ : ٣٠٣ ـ ٣٠٤ .

---

١ أودى يودي : هلك ، زال . كفيء الظلال : كرجوع الظل (أي بمقدار انتقال الظل من الغرب إلى الشرق ، نصف النهار) .
٢ انتوى : قصد . الاريحي الكريم الذي يسر بصنع المعروف . الفعال (بالفتح) الكرم ، العمل النبيل .
٣ حكمياً بين الأعاصي : من نسل عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص . وحرب : منتسب أيضاً إلى أبي سفيان بن حرب (يقصد : جمع النسب الأموي من جانبيه العظيمين) . أبطحي الاعمام و الأخوال : نسله من قبل أبيه وأمه من البطحاء (مكة) .
٤ نمتها : رفعتها (في النسب) – هي تنتسب إلى ملوك .
٥ آهة : توجعاً (من الذنوب) ، انتحاباً : بكاء (حزناً على ما أذنب في الحياة) . ابتهالا : دعاء (لله) كي يعفو الله عنه .

الوليدُ بن يزيدَ

١ — الوليدُ بن يزيدَ هو الخليفةُ الأمويّ الحادي عَشَرَ وحفيدُ الخليفةِ الأموي الخامسِ عبدِ الملك بن مروان ؛ وأمه أمّ الحجّاجِ بن مُحَمّدِ بنِ يوسف الثقفي ، بنتُ أخي الحجاجِ المشهور . وكان الوليدُ بن يزيدَ يُكْنَى أبا العباس .

وُلِدَ الوليد بن يزيد سنة ٩٠ ه (٧٠٨ م) . وفي أواخر سنة ١٠١ ه (٧٢٠ م) أراد أبوه يزيد بن عبد الملك أن يَعْقُدَ له ولايةَ العهد فقالوا له إنّ الوليد طفلٌ فاجعلْ ولاية العهد لأخيك هِشامٍ ثم لابنِك الوليدِ ففعل . وتُوُفّيَ يزيدُ بن عبد الملك سنة ١٠٥ ه (٧٢٤ م) فخلفه أخوه هشام وبقي في الخلافة عشرين سنة ، وكان في أثناء ذلك يسعى إلى تحويل ولاية العهد إلى ابنه مَسْلَمَةَ فلم يتَأتّ له ذلك .

ولمّا توفي هشام سنة ١٢٥ ه (٧٤٤ م) خلفه الوليدُ . والوليد هذا « كان من فِتْيانِ بني أميّة وظُرَفائهم وشُجْعانهم وأجوادِهم وأشدّائهم ، مُنْهَمِكاً في اللّهْو والشراب وسَماع الغناء ، مُسْتَهْتِراً بالمعاصي عاكفاً على اللذات منتهكاً للحُرُمات زِنْديقاً »[١] . فلما وَلِيَ الخلافةَ أمْعَنَ في ذلك كله[٢] وترك أمرَ الدولة . فساءَ الناسَ ذلك منه وأطْمعَ به الطامحين إلى الخِلافة فقتلوه في ٢٧ من جُمادى الآخرة من سنة ١٢٦ (١٧ نيسان ٧٤٤ م) .

٢ — كان الوليدُ بن يزيد شاعراً مُجيداً في الخمر خاصة له فيها أشعاراً كثيرة أخذها الشعراء فأدخلوها في أشعارهم أو سَلَخوا مَعانِيَها كما فعل أبو نواس والحُسين الخليعُ بن الضحّاك[٣] . وكانت له أشياءُ في الفخر والرثاء والهجاء والحكمة والمُجون . وعلى شعره نَفْحَةٌ مُحْدَثَةٌ ، ولكنّ كثيراً من شعره في اللهو سخيفٌ تافه . ومُعْظَمُ شعره مُقَطّعاتٌ قِصارٌ . ومَعَ أن الخمريات الخالصة عنده قليلةٌ ، فإنّ خصائِصَها واقتصارَها على الخمرِ وَحْدَها تجعله أول من خرج

---

١ الفخري ٩٧ .
٢ غ ٧ : ٢ ، ٤٦ س ، ٥٩ الخ .
٣ راجع تحت ص ٦٩١ .

بالخمر من أن تكونَ غرَضاً ، كما رأينا عند الأعشى والاخطل مثلاً ، إلى أن تُصْبِحَ فَنّاً كما سنرى عند أبي نواس .

٣ – المختار من شعره :

– قال الوليد بن يزيد يفتخر بنسبه في بني أميّة وبني هاشم :

أنا ابن أبي العاصي ، وعثمانُ والدي ، ومَروانُ جَدّي ذو الفَعال ، وعامرُ[١].
أنا ابن عظيمِ القَرْيَتَيْنِ ، وعزّها ثقيفٌ وفِهرٌ والعُصاة الاكابر [٢] .
نَبِيّ الهُدى خالي ؛ ومن يكُ خالَهُ نبيُّ الهدى يَقْهَرْ به من يفاخر [٣] .

– لما نُعِيَ له هِشامُ وصارتِ الخلافةُ اليه قال :

طاب يومي ، ولَذّ شُربُ السُّلافَه إذ أتانا نَعِيُّ من بالرُّصافه [٤] .
وأتانا البَريدُ يَنْعَى هِشاماً ، وأتانا بخاتَمِ للخلافه ،
فاصْطَبَحْنا من خمرِ عانَةَ صِرْفاً ، ولَهَوْنا بقَيْنَة عَزّافه [٥] .

– وقال في الخمر أبياتاً « من بديعِ الكلامِ ونادرِه ، وقد جوّد فيه منذ

---

١ يشير إلى نفر من المشهورين في عمود نسبه : فهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس .... وكانت جدته لأبيه عاتكة بنت يزيد بن معاوية وأمها أم كلثوم بنت عبد الله بن عامر ، وأم عبد الله بن عامر كانت بنت عبد المطلب بن هاشم . وعبد المطلب هو جد الرسول . وعثمان : عثمان بن عفان – ويقصد بقوله والدي : متصل بعمود نسبي .

٢ كانت أم الوليد بن يزيد بنت محمد بن يوسف الثقفي من الطائف . ويقصد الوليد بن يزيد بعظيم القريتين (مكة والطائف) عروة بن مسعود الثقفي ، وهو أحد اللذين كانا في الجاهلية يطمعان بالنبوة ، وفيهما نزلت الآية الكريمة (٤٣ : ٣١ من سورة الزخرف) تقريعاً لجماعة من أهل تينك المدينتين : « وقالوا : لولا نزل (بضم النون وتشديد الزاي) هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » . فهر : قريش . العصاة الاكابر : أهل الطائف لأنهم حاربوا الرسول سنة ٨ هـ ، ثم دخلوا في الاسلام في العام التالي من تلقاء أنفسهم . وعزها (؟)

٣ نبي الهدى : محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ويلتقى نسب الوليد بن يزيد من جهة جدته لأبيه بنسب الرسول في عبد المطلب بن هاشم .

٤ النعي : الذي يحمل النعي (بسكون العين : خبر الموت) . الرصافة : مدينة بناها هشام بن عبد الملك غرب الرقة على الفرات .

٥ اصطبح : شرب الخمر صباحاً . عانة : بلدة على الفرات في أعلى العراق . القينة : الجارية الجميلة المغنية . عزافة : حسنة العزف (الضرب على العود) .

ابتدأ إلى أن ختَمَ . وقد نقلهـا أبو نواس والحسين بن الضحّاك في أشعارهما »[1] :

اصْدَعْ نَجيّ الهموم ِ بالطَّرَبِ ، وانْعَمْ ـ على الدهر ـ بابنة العِنَبِ [2] .
واستقبلِ العيشَ في غضارتـه ِ ، لا تَقْفُ منه آثار مُعْتَقِبِ [3] ،
من قَهوةٍ زانَهـا تقادُمُهـا ، فهي عجوزٌ تعلو على الحِقَبِ [4] ؛
أشْهى إلى الشَّرْبِ يومَ جَلوتِهـا من الفتاةِ الكريمـةِ النسب [5] .
فقد تَجلّتْ ، ورقّ جوهرُها ، حتى تبدّتْ في مَنْظَرٍ عَجَبِ :
فهي بغيرِ المِزاجِ مـن شَرَرٍ ، وهي لدى المَزْجِ سائلُ الذهب[6] .
كـأنّهـا في زُجاجِهـا قَبَسٌ تَذْكو ضياءً في عين مُرْتَقِبِ[7] .
في فِتْيـةٍ من أميّـةَ أهـ ـلِ المجد والمـأثُراتِ والحسب [8] .
ما في الورى مِثْلُهُمُ ، ولا فيـ ـهِمُ مثلي ، ولا مُنْتَمٍ لمثلِ أبي [9] .

٤ ــ ديوان الوليد بن يزيد (جمع وترتيب ف. غابريلّي وخليل مردم) ، دمشق ١٩٣٧ م .

** الوليد بن يزيد والدولة الاموية ، تأليف ابراهيم الابياري ، القـاهرة (مكتبة النهضة المصرية) ١٩٥٦ م .
مرح الوليد ، تأليف علي الجارم ، مصر ١٩٤٨ م .

---

١ غ ٧ : ١٢ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ؛ ثم راجع ديوان أبي نواس ٢٤٨ – ٢٤٩ .
٢ صدع : شق ، أعلن ، فرق ، جاهر . النجي : السر ، الخفي . نعم : تنعم ، رفه نفسه . على الدهر : طول الدهر . ابنة العنب : الخمر . – أزل همومك الخفية (حتى الصغير منها) بسماع الغناء ، وكن طول عمرك منعماً بشرب الخمر .
٣ غضارة العيش : لين العيش ورغده ولذيذه . قفا يقفو : تبع (قلد) . المعتقب : الحريص على المال. – لا تقلد البخلاء ولا تقتد بهم فتضيع عليك لذات العيش .
٤ القهوة : الخمر المطبوخة بالنـار . زانها تقادمها : جادت بطول الزمن عليها . تعلو على الحقب : يزيد عمرها على عمر الدهر . الحقب : جمع حقبة (بالكسر) : البرهة الطويلة من الزمن .
٥ الجلوة للخمر : استخراجها من الدن (من الخابية) .
٦ المزج والمزاج للخمر : خلطها بالماء . من شرر (نار) : شديدة الحمرة . وهي .... سائل الذهب : صفراء .
٧ ذكت النار : اشتعلت .
٨ المـأثرة : العمل الحميد :
٩ الورى : الناس . المنتمي : المنتسب .

الوليد بن يزيد لمحمد حسن (مجلّة كلّية الآداب بجامعة الاسكندرية ، المجلّد الاول ، عام ١٩٤٣ م ، ص ١٥٠ — ١٦٩) .

الاغاني ٧ : ١ — ٨٤ ، ٩ : ١٣٠ وما بعدها ؛ بروكلمان ١ : ٦٠ — ٦١ ، الملحق ١ : ٩٦ .

يزيد بن الوليد

١ — هو يزيدُ بنُ الوليدِ بنِ عبدِ الملك بن مَروانَ ، كان مولده سنة ٨٠ هـ (٦٩٩ م) .

كانت أحوال بني أميّة قدِ اضْطَربتْ في كل مكان فَنَشِبَتِ العَصبياتُ (القتال بينَ قيسٍ واليمن — بين عرب الشّمال وعرب الجَنوب) في الشام (وخصوصاً في فِلَسْطين) وفي العراق وفي خُراسان . ثم ان الدعوة العباسية قَوِيَتْ في خراسان .

وقد طَمِعَ يزيد بن الوليد بتولّي الخلافة فَاتّخَذَ من هذه الاحوال المضطربة ومن فِسْق ابنِ عمه الوليدِ بنِ يزيدَ (راجع ، فوق ، ص ٦٨٩) حُجة فجمع حوله نفراً من بني أميّة — وفيهم الذين كانوا طامعين في الخلافة مثله كمروانَ بنِ محمدِ بن مروان — وثار على الوليد بن يزيد . وفي ٢٧ جُمادى الآخرة من سنة ١٢٦ هـ (١٦—٤—٧٤٤ م) تولى يزيد بن الوليد الخلافة ، بعد أن قَتَلَ ابْنَ عَمّه الوليدَ بن يزيد .

وكان الوليد بن يزيد قد زادَ الأُعطياتِ والأرزاقَ للجند ولأهل الحجاز ، فلما جاء يزيدُ بنُ الوليد نَقَصَها [١] وردّها إلى ما كانت عليه من قبلُ ، فسُمّيَ يزيدَ الناقصَ . وكذلك كانت سياسته يَمَنية فاشتدت بعد مجيئه إلى الخلافة مقاومةُ المُضَرية (القيسية) . ثم امتنع مروانُ بن محمد عن بَيْعته ، وكان يتولّى قيادة الجيوش في ارمينية ، فَعَظُمَ الاضطرابُ في أيامه في كلّ مكان .

---

١ « نقص » فعل متعد مثل « انقص » .

وفي أواخر سنة ١٢٦ هـ (٧٤٤ م) مَرِضَ يزيدُ بن الوليد ثم توفي في دمشق، بعد أنْ كانت النِقْمة عليه قد عمّت .

٢ — كان يزيد بن الوليد يُظْهِرُ التنسّكَ ، ومع ذلك فقد كان يقولُ بالقَدَرِ [1] . فلمّا أظهر ذلك انصرف عنه كثيرون ممن كانوا يَنْصُرونه . وكان يزيد بن الوليد من خُطباءِ بني أمية المعدودين [2] .

٣ — المختار من خطبه :

— لمّا قَتَلَ يزيدُ بن الوليد ابنَ عمّه الوليدَ بن يزيد قام في الناس خطيباً فقال :

أيّها الناسُ : واللهِ ، ما خرَجْت أشَراً ولا بَطَراً ، ولا حِرْصاً على الدنيا ولا رَغْبةً في المُلك [3] ، وما بي إطراءُ نفسي وإني لَظَلومٌ لها [4] . ولقد خَسِرْتُ ان لم يَرْحَمْني ربّي ويَغْفِرْ لي ذنبي . ولكِني خرجتُ غَضَباً لله ودينِه ، وداعِياً إلى الله وسُنّة نَبيّه ، لمّا هُدِمَتْ معالمُ الهُدى وأُطْفِىءَ نورُ التّقى وظهر الجبّارُ العنيد ، وكَثُرَتْ حوله الحَزَقُ والجنود [4] ، المُسْتَحِلّ لكلِّ حُرْمة والراكب لكل بِدْعة . مَعَ أنه ، واللهِ ، ما كان يؤمن بيوم

---

١ القول بالقدر (بفتح القاف والدال) هو القول بقدرة الانسان على أن يعمل مايريد ويختار وبانكار القضاء والقدر (الاعتقاد بأن كل ما يصيب الانسان من خير أو شر مكتوب عليهم منذ الأزل) . والقائلون بالقدر يعتقدون أن الانسان مخير وليس مسيراً .

٢ الاشر : نشاط الجسم والنفس مما يحمل على الاسراف (في الاعتداء على الآخرين وعلى تجاوز ما ألفه الناس في سلوكهم) . البطر : قلة احتمال النعمة والطغيان بها(إذانالالانسان نعمة لايستحقها ثم كان ضعيف العقل فانه يسرف فيها ويتظاهر بالكزم والقوة) .

٣ وما بي اطراء نفسي : لا أحتاج إلى أن أمدحها وأقيم الدليل على قيمتها . ظلوم لنفسي : اكفها عن كثير مما هو حق لها .

٤ الجبار العنيد : الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، قيل انه استفتح في القرآن فاتفقت له الآية الكريمة : « واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد » ، فألقى المصحف من يده ورماه بسهم ثم أنشد :

تهددني بجبار عنيد ؛ نعم ! أنا ذاك جبار عنيد .
إذا ما جئت ربك ، يوم حشر ، فقل : يا رب ، خرقني الوليد .

الفخري — المطبعة الرحمانية بمصر — ص ٩٧ .
الحزق : جمع حزقة (بكسر الحاء) : الجماعة .

الحساب ولا يُصدّق بالثواب والعقاب ، وانه لابنُ عمّي في النسب وكفئي في الحسب .

فلمّا رأيتُ ذلكَ استخرتُ اللهَ في أمره وسألتُه ألا يكلني إلى نفسي [1] ، ودعوتُ إلى ذلك مَنْ أجابني إلى ولايتي حتى أراح اللهُ منه العبادَ وطهّر منه البلادَ بحَوْل الله وقوّته ، لا بحوْلي وقوّتي .

أيّها الناسُ : إنّ لكم عليّ ألاّ أضعَ حجَراً على حجرٍ ، ولا لَبِنةً على لبنةٍ ، ولا أكْري نهراً [2] ولا أكنزُ مالاً ولا أعطيه زوْجاً ولا ولَداً [3] ، ولا أنقلُ مالاً من بلد إلى بلد حتى أسُدَّ فقرَ ذلك البلدِ وخصاصةَ أهلهِ بما يُغنيهم ؛ فإنْ فَضَلَ شيء نقلتُه إلى البلد الذي يليه ممن هو أحوجُ اليه منه و (اني) لا أجمّرُكم في ثُغوركم فأفتنكم وأفتنَ أهاليكم [4] ، ولا أغلق بابي دونكم فيأكلَ قويُّكم ضعيفَكم ، ولا أحمِلُ على أهل جزيتكم ما أجليهم بهِ عن بلادهم وأقطعُ نسْلَهم . ولكم عندي أعطياتُكم في كل سَنَةٍ وأرزاقُكم في كلّ شهر حتى تستدِرّ المعيشةُ [5] بين المسلمين فيكونَ أقصاهم كأدناهم .

فإنْ أنا وفَيْتُ فعليكم السمعُ والطاعةُ وحُسنُ المؤازرة والمُكانفة [6] . وإن أنا لم أوفِ لكم فلكُمْ أن تخلعوني ، إلاّ أن تستتيبوني . فإنْ أنا تبْتُ

---

١ استخار الله : سأل الله أن يلهمه الصواب النافع . وكله إلى نفسه : تركه يكافح المصاعب بنفسه (تخلى الله عنه) .

٢ اللبنة (بفتح اللام وكسر الباء) : حجارة للبناء تصنع من طين . لا أضع حجراً على حجر ولا لبنة على لبنة : لا أبني بناء (لا اتخذ بناء لنفسي) . كرى النهر : نظف حوضه من الرواسب .

٣ لا اكنز مالا (لنفسي) ولا أعطي نسائي ولا أولادي مالا .

٤ سد فقره : كفاه حاجته . الخصاصة (بفتح الخاء) : الفقر . ممن هو أحوج (البيان والتبيين ٢ : ١٤٢) ولعلها « مما » .... جمر الجيش : تركه مدة طويلة في بلاد العدو . الثغر : المكان الذي يخشى منه مجيء العدو (مناطق الحدود) . أفتنكم (أجعل عيونكم تمتد إلى النساء الموجودات في البلاد التي تعسكرون فيها) أفتن أهاليكم : أجعل ذلك سبباً في ان تمتد عيون نسائكم (في اثناء غيابكم مع الجيش) إلى الرجال الباقين في بلادكم .

٥ لا أحمل على (لا أرهق وأظلم) اهل جزيتكم (غير المسلمين الذين يعيشون في مناطقكم) ما أجليهم به عن بلادهم (ما يحملهم على مغادرة البلاد حيث تقيمون – لأن ذلك يقود إلى اضطراب الحياة الاقتصادية) . الاعطيات والارزاق : الرواتب والمساعدات التي تستحق للناس من بيت المال . استدرت المعيشة (كثرت أسباب العيش) .

٦ المؤازرة : المساعدة والعون . المكانفة : (كأن تحوط الشيء وتحافظ عليه وترد عنه الاعتداء) .

قَبِلْتُمْ مني ، وان عَرَفْتُم أحداً يقومُ مَقامي – ممن يُعْرَف بالصلاح – يُعْطيكم من نفسهِ مثلَ الذي أعْطيكم فأرَدتُمْ أن تُبايِعوه فأنا أوّلُ مَن يُبايعه ويدخلُ في طاعته .

أيّها الناسُ : لا طاعةَ لمخلوقٍ في مَعْصِيَةِ الخالق . أقولُ قولي هذا وأسْتَغْفِرُ اللهَ لي ولكم .

– لما بايع الناسُ يزيدَ بن الوليد ثم جاءه الخبرُ عن مروانَ بنِ محمدٍ [1] ببعض التلَكّوء كتب اليه :

بِسْمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ . من عبدِ الله أميرِ المؤمنين يزيدَ بن الوليدِ إلى مروانَ بنِ محمدٍ . أما بعدُ ، فإني أراكَ تُقدِّمُ رِجْلاً وتُؤخِّرُ أخرى . فإذا أتاك كتابي هذا فاعْتَمِدْ على أيّهما شِئْتَ . والسلام .

حمزة بن بِيض

١ – هو حَمْزَةُ بن بيضٍ (بكسر الباء) من بني حَنيفة من بني بكر بن وائل ومن أهل الكوفة ، كان ماجناً خليعاً يتكسّب بالشعر ، ولكننا لا نعرف له أخباراً قبل عبد الملك بن مروان . انقطع إلى المهلب بن أبي صفرة والي خراسان (٧٨ – ٨٢ هـ) ثم إلى ابنه يزيد من بعده في خُراسان ثم في البصرة منذ سنة ٩٦ هـ (٧١٥ م) . فلما جاء عمر بن عبد العزيز إلى الخلافة ، سنة ٩٩ هـ (٧١٧ م) ، نقم من يزيد بن المهلب أنه كان يُسْرِفُ في العطاء للشعراء ويقصّر في أداء حقوق بيت المال [2] ، فعزله وسجنه فكان حمزة بن بيض يدخل السجن على يزيد ويمدحه . ولقد تكسّب حمزة من ممدوحيه مالاً جزيلاً ، إلاّ أنه كان مسرفاً فيما يبدو فافتقر في بعض أيامه .

وإذا صحّتْ رواية الاصفهاني (غ ٧ : ٢١) من أنّ الوليد بن يزيد لما تولى الخلافة (١٢٥ هـ = ٧٤٣ م) وعد أهل المدينة بأن يَرُدَّ عليهم الأُعْطياتِ

---

١ مروان بن محمد بن مروان بن الحكم كان والياً اسمياً في الموصل منذ سنة ١١٤ هـ (فقد كان معه ولاة تعاقبوا على الموصل رسمياً) . ثم كان مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين .

٢ أداء حقوق أصحاب الحقوق في بيت المال : الفقراء والمساكين .... الخ .

التي كان هِشامٌ قد منعها عنهم ــ ثم أخْلَفَ ــ وأن حمزة بن بِيض هجا الوليد من أجل ذلك ، فان وَفاةَ حمزة تكون في ١٢٦ هـ (فوات ١ : ١٨٨) لا في ١١٦ هـ = ٧٣٤ م (معجم الأدباء ١٠ : ٢٨٩) .

٢ ــ كان حمزةُ بن بِيضٍ شاعراً مُجيداً ظريفاً سائرَ الشعرِ ، ولكن كثيرُ المُجون . وشعرُه فصيحٌ متين فيه جِدٌ حيناً ومرحٌ حيناً . أما فنونه فهي الفخر والمديح والعِتاب والهِجاء ، وله مُقَطّعاتٌ في عدد من الاغراض الوجدانية .

٣ ــ المختار من شعره :

ــ وقع بين بني حنيفة ، في الكوفة ، وبين بني تميم شرّ حتى نَشِبت الحرب بينهم . فقال رجل لحمزة بن بِيض : ألا تأت هؤلاء القوم فتَدْفَعَهم عن قومك فإنك ذو بياض وعارضة[1] ؟ فقال حمزةُ :

ألا لا تَلُمْني ، يا ابنَ ماهانَ ، إنّني أخاف على فَخّارتي أن تَحَطّما .
ولو أنني أبتاع في السوق مِثلَها ، وجَدّك ، ما باليْتُ أن أتقدّما !

ــ وقال يمدح مَخلد بن يزيد بن المهلّب (غ ١٥ : ١٥) :

أتيناكَ في حاجةٍ فاقْضِها ، وقلْ : « مرحباً » ، يَجِبِ المرحبُ !
ولا تَتّكلنا إلى معشرٍ متى يَعِدوا عِدَةً يَكْذِبوا .
فانّك في الفرع من أُسرةٍ لهم خَضَعَ الشرقُ والمغرب .
وفي أدبٍ مِنْهُمُ ما نشأ تَ،ونِعْمَ ، لعَمرُك،ما أدّبوا!
بلغتَ لعَشرٍ مضت من سِنِيـ ـك ما يبلغ السيّدُ الأشْيب .
فهَمّك فيها جِسامُ الأمور ، وهمّ لِداتك أن يلعبوا[2] .
وجدتَ فقلت : ألا سائلٌ فيُعطى ولا راغبٌ يرغب .

ــ دخل حمزة بن بِيض على يزيد بن المهلّب السجن فأنشده :

أُغْلِق ، دون السَماح والجود والـ ـنجدة ، بابٌ حديدُه أشِبُ[3] .

---

١ ذو بياض وعارضة : (المقصود) أصل كريم ومقدرة في القول .
٢ اللدات : الأولاد الذين هم في سن واحدة .
٣ الاشب : (الباب) المغلق بحديد معترض عليه (سجن) .

ابنُ ثلاثٍ وأربعينَ مَضَتْ   لا صَرِعٌ واهن ولا نَكِب [1] .
لا بَطِرٌ ان تتابعت نِعَمٌ ،   وصابر في البلاء مُحْتَسِب .
برزتَ سبقَ الجوادِ في مَهَلٍ [2] ،   **وقصّرتْ دون سَعْيِك العرب !**

٤ – ** الاغاني (الساسي) ١٥ : ١٤ – ٢٥ ؛ زيدان ١ : ٣١١ – ٣١٢ .

الكُميتُ بنُ زَيْدٍ الاسدي

١ – وُلِدَ أبو المُسْتَهِلّ الكُميتُ بنُ زيدٍ الاسديّ نحو سنة ٦٠ هـ (٦٨٠ م) في الكوفة ونشأ فيها مُعلّماً للصبيان ، وكان أصمّ أصْلَخ [3] لا يسمع شيئاً . والكميت كان مُتَشيّعاً لآلِ البيت يمدح الهاشميين ويتعصّب لمُضَرَ على اليمنِ ؛ وكانت حياته مليئةً بالاضطراب والمُناقضات . قال ابن قتيبة (ص٣٦٩) : « وكان بين الكُميتِ وبينالطِرِمّاح من المودّة والمخالطة ما لم يكن بينَ اثْنَيْنِ ، على تباعُد ما بينهما في الدين والرأي : لأن الكميت كان رافضيّاً وكان الطِرِماح خارجياً صُفْرِياً [4] ، وكان الكميت عَدْنانياً عَصبياً وكان الطِرِماح قحطانياً عصبياً ، وكان الكميت متعصّباً لأهل الكوفة وكان الطِرِمّاح يتعصّب لأهل الشام ». على أن الطِرِمّاح كان أحسن تماسكاً في مذهبه وحياته : احتاج الشاعران إلى التكسّب فرَضِيَ الكميت أن يمدح بني أمية وأبى ذلك الطرماح .

غَضِبَ خالدُ بن عبد الله القَسريّ والي الكوفة (١٠٥ – ١٢٠ هـ) على الكميت لموقفه من بني أمية فسجنه ؛ ولكن الكميت فرّ من السجن ولجأ إلى هشام بن عبد الملك ومدحه ثم مدح خالداً ، فرضي عنه خالد فيما يبدو . ولما عزل هشامٌ خالداً القسريَّ عن الكوفة وولّاها يوسف بن عُمَرَ الثقفي (١٢٠ هـ = ٧٣٨ م)

---

١ في السنوات الثلاث والاربعين (قبل سجنك الآن) لم يتغلب عليك أحد : لم يصرعك ولم ينكبك (يطرحك أرضاً) ، ولا أنت كنت في خلالها واهناً ضعيفاً .

٢ سرت على مهلك فسبقت الناس كما يسبق الفرس الجواد سائر الخيل .

٣ أصلخ : الأصم جداً لا يسمع البتة .

٤ الصفرية : فرقة من الخوارج أتباع زياد بن الاصفر يوافقون الازارقة في أن أصحاب الذنوب مشركون ولكن لا يقتلون أولاد المشركين ونساءهم كما يفعل الازارقة .

اشتط يوسف في معاملة الكميت فأكثر الكميت من هجاء يوسف . وفي سنة ١٢٦ هـ (٧٤٤ م) استفزّ الكميتُ يوسفَ فثار الحرس بالكميت وقتلوه خبطاً بالسيوف .

٢ — كان الكميت من الفقهاء والخطباء والشعراء ، عالماً بآداب العرب ولُغاتها وأخبارها وأنسابها . وهو شاعر مُكْثر يقدر على القصائد الطِوال والمُقَطّعات القِصار ، غير أنه يتكلّف الغريب ويَقْصِد أحياناً إلى الصناعة اللفظية . وأشهر فنونه مدائحُه في الرسول وفي بني هاشم ، وتُدعى الهاشميّات . والقيمة التاريخية للهاشميات أكبر من قيمتها الأدبية ، إذ هي تعبّر عن رأي المعتدلين من الشيعة في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني للهجرة . ومع أنّ الكُميت مدح الأمويين تكسّباً فان مدائحه فيهم أجودُ من مدائحه في بني هاشم ؛ فالاجادة في المديح تَرْجِعُ أحياناً إلى الأمل بكثرة العطاء أكثر مما ترجع إلى الاعجاب والموافقة في المبادئ [1] . ومن المستغرب أن الكميت احتاط مرةً في مدح الرسول فقد قال :

إلى السِراج المنير أحمدَ لا تَعْدِلُني رَغْبَةٌ ولا رَهَبُ [2]
عنه إلى غيرِه ، ولو رَفَعَ الناسُ إليّ العيونَ وارتقبوا ،
وقيل أفرطْتَ — بل قَصَدتُ — ولو عنّفني القائلون أو ثَلَبوا [3] .

وقد فَنّدَ الجاحظُ رأيَ الكميت ثم قال [4] : « فمَنْ رأى شاعراً مدح النبيّ صلى الله عليه وسلم فاعترضَ عليه واحدٌ من جميعِ أصنافِ الناس حتى يَزْعُمُ هو أن ناساً يَعيبونه ويَثْلبونه ويُعنّفونه » .

٣ — المختار من شعره :

— قال الكُميتُ بن زيدِ الاسديّ يمدح مَسْلَمَةَ بنَ عبدِ الملك ، وقد اختار هذه الابياتَ أبو تمّام في الحماسة (٢ : ٣٤٣) :

---

١ راجع الشعر والشعراء ١٨ .

٢ ... — لا تميل بي عنه رغبة في عطاء (الأمويين) أو خوفاً منهم .

٣ قصد : اعتدل ، سار سيرة وسطا . ثلب : عاب ، ذم . — زعموا انني بالغت في مدحه ، مع أنني قصدت (كنت معتدلا جداً) .

٤ البيان والتبيين ٢ : ٢٣٩ — ٢٤٠ ، راجع الموشح ١٩٨ .

فما غابَ عن حِلْمٍ ولا شَهِدَ الخَنا ولا استَعْذَبَ العَوْراءَ يوماً فقالَها [1] .
وتَفْضُلُ أيْمانَ الرجالِ شِمالُه كما فَضَلَتْ يُمنى يدَيْهِ شِمالَها .
وما أجِمَ المعروفَ من طول كَرِّه وأمراً بأفعالِ النّدى وافْتعالِها [2] .
ويَبْتَذِلُ النَفسَ المَصونةَ نفسَه إذا ما رأى حقّاً عليه ابْتِذالَها [3] .
بَلَوْناكَ في أهل النّدى ففَضَلْتَهُمْ ، وباعَكَ في الأبواعِ قِدْماً فطالَها [4] .
فأنت النّدى في ما يَنوبُكَ والسَّدى إذا الخَوْدُ عدّت عُقْبَةَ القِدْرِ مالَها [5] .

– للكميت بن زيد الاسدي قصيدة طويلة يعاتب فيها قريشاً (بني أميّة) على عداوتهم لبني هاشم (وللعلويين خاصّة) . والقصيدة في جمهرة أشعار العرب ، ومنها أبيات في « الشعر والشعراء » (ص ٣٧٠ – ٣٧١) . من هذه القصيدة :

ألا لا أرى الايّامَ يَقْضي عَجيبُها بطولٍ ، ولا الأحداثُ تَفْنى خُطوبُها [6] ،
ولا عِبَرَ الايّامِ يَعْرِفُ بعضَها ببعضٍ من الأقوام إلاّ لبيبُها [7] .

---

١ الخنا : العمل القبيح . العوراء : الكلمة القبيحة .

٢ ما أجم (كره) المعروف (الأمر بالخير) من طول كره (من طول تكراره ، لكثرة ما فعل من الخير) ولا كره أيضاً الأمر بالمعروف على كثرة ما فعل من المعروف .

٣ ابتذل النفس المصونة : أذل النفس (في خدمة الناس وفي سبيل الخير) المصونة (التي من حقها أن تصان وتكرم لأنها تكون عزيزة على صاحبها) . نفسه = النفس المصونة (بدل من النفس المصونة) . – يغامر بنفسه في الحرب إذا ما وجب أن يغامر بها .

٤ بلوناك : اختبرناك . في أهل الندى : بين الكرماء . وبلونا باعك (مقدار ذراعيك ، المقصود يدك ، قدرتك) .... فكانت باعك أطول من جميع الابواع (كنت أقدر من جميع أصحاب القدرة).

٥ أنت الندى (الكرم) والسدى (المعروف) : أنت أكثر الناس كرماً وعملا للخير . إذا الخود (المرأة الجميلة) عدت عقبة القدر (الشيء اليسير من المرق يبقى في القدر ويرده الذي يستعير القدر عادة من القدر : شيء لا قيمة له) . – إذا كثر الجدب والقحط وأصبحت المرأة الجميلة (التي يخطبها الرجال ويدفعون مهرها مبالغ كبيرة) تعد كل ثروتها وقدرها الشيء القليل من المرق الذي يبقى عادة في القدر ، فأنت تكون كثير الكرم والعطاء .

٦ – مهما طالت الأيام فان عجيبها (عجبها أو الشيء الذي يتعجب الناس منه – القاموس ١ : ١٠١ ، السطر ١٣ وما بعده) لا يقضي (بفتح الياء) : لا ينقضي ، لا يفنى (القاموس ٤ : ٣٧٩) . الاحداث : أحداث الدهر (نائباته ومصائبه) . الخطوب جمع خطب : الشأن أو الأمر (سواء أكان صغيراً أو عظيما). – لا تنتهي الأمور التي تجلب المصائب على الانسان .

٧ – والانسان عادة لا يتعظ بعبر الأيام (لا يتعلم مما ينزل بغيره من المصائب) إلا إذا كان لبيباً (عاقلا ، موصوفاً ، معروفاً ومشهوراً ، بالعقل) .

ولم أرَ قولَ المرءِ إلاّ كنَبلِـهِ : به وله مَحرومها ومُصيبها [1].
وما غُبِنَ الأقوامُ مِثلَ عقولِهم، ولا مثلَها كسباً أفاد كسوبها [2].
وما غُيّبَ الأقوامُ عن مِثل خُطّةٍ تغَيّب عنها يومَ قيلت أريبها [3].
ولم أرَ بابَ الشرِّ سهلاً لأهلهِ، ولا طُرُقَ المعروف وَعْثاً كثيبها [4].
رمَتْني قُريشٌ عن قِسِيّ عَداوةٍ وحقدٍ، كأنْ لم تَدْرِ أني قريبها!
تُوقِعُ حَوْلي تارةً وتُصيبني بنَبْلِ الأذى، عفواً جزاها حَسيبها[5].
أفي كلّ أرضٍ جئتُها أنا كائن لخوفِ بني فِهْرٍ، كأنّي غريبها [6]!
وان كنتُ في جِذمِ العشيرةِ أقبلتْ عليّ وجوهُ القوم كَرْهاً قُطوبها [7].
لنا الرّحِمُ الدُّنيا وللناسِ عندكم سِجالٌ رَغيباتُ اللّهى وذَنوبها [8].
ملأتم حِياض المُلْحمين عليكُمُ، وآثارُكم فينا تَصُبّ نُدوبها [9].

١ النبل اسم جمع لا مفرد له من لفظه : السهام . – أقوال الانسان كالنبال (السهام) التي يطلقها هو المسؤول عنها (قادر على أن يجعلها تصيب أو تخطىء) .
٢ – لا يفقد الانسان شيئاً أعظم من عقله (مهما تعوض على فقد عقله) ، ولا استفاد شيئاً أعظم من العقل . الكسوب : الرجل الطيب الكسب .
٣ الخطة : الأمر المقدر ، الطريقة المرسومة المتفق عليها . الأريب : العاقل الحكيم (في وضع الأمور مواضعها) – ما جهل قوم تدبير أمورهم كجهلهم حينما يعملون عملا (أو يتفقون على عمله) من غير أن يستشيروا العقلاء الحكماء منهم .
٤ الكثيب : التل من الرمل . الوعث : اللين المتخلخل الذي تغيب القدم عند السير فيه (الذي يعسر السير فيه ويصعب) . – ليس عمل الشر سهلا (كما يظن الناس) ولا عمل المعروف (الخير) صعباً .
٥ توقع حولي (تسقط سهامها قريبة مني من غير أن تصيبني)..... – تنزل بي قريش (بنو أمية خصوم العلويين) الأذى حيناً وتوقع حولي (تهددني بالاذى) حيناً آخر . عفى الله عنها (الحسيب : الله الذي يرجع اليه حساب جميع الناس على ما يفعلون) .
٦ أنا كائن لخوف بني فهر (قريش) : أنا في كل مكان ألقى ما يخيفني من بني أمية .
٧ الجذم : الأصل . كره (بفتح الكاف) مكروه . القطوب : تقلص عضلات الوجه من الغضب أو البغض. – وإذا كنت مع جماعة من قومي (من مضر ، قيس ، عرب الشمال) فان بعضهم ينظر إلي وهو عابس غاضب (لأني أحب بني هاشم وأكره بني أمية) .
٨ الرحم : القرابة .
السجال جمع سجل (بفتح السين) : الدلو العظيمة إذا كانت مملوءة ماء . الرغيبة : العطاء الكثير . اللهى جمع لهوة (بضم اللام أو بفتحها) : العطية الكبيرة ، ألف دينار . الذنوب : الدلو الملأى . وأنتم تثيبون سائر الناس (غيرنا ، غير بني هاشم وأنصار بني هاشم) بعطايا كثيرة كريمة مع الاسراف .
٩ الملحم : الشاتم للعرض ، المقاتل ، الخصم والعدو . الندوب جمع ندبة (بفتح النون) : اثر الجرح الباقي على سطح الجسم . – تحسنون إلى أعدائكم وتسيئون الينا كثيراً (نحن أقاربكم) .

ستَلْقَوْنَ ما أحْبَبْتُمُ في عـدوِّكـم — عليكم ، إذا ما الخيلُ ثار عُصوبها [١]

فلم أر فيكم سيرةً غيرَ هـذه ، — ولا طُعمةً إلاّ التي لا أعيبها [٢] .

جَمَعْنا نفوساً صادياتٍ إليكُـمُ — وأفئِـدةً منّا طويلاً وَجيبها [٣] .

فقائبة مـا نحن يومـاً وأنتم ، — بني عبد شمس أن تفيئوا ، وقُوبها [٤] .

وهل يَعْدُوَنْ بين الحبيبِ فراقـه ؟ — نعم ، داء نفس أن يَبِنَ حبيبها [٥] .

ولكنّ صبراً — عن أخٍ لك ضـائرٍ — — عزاءٌ ، إذا ما النفس حَنّ طَروبها [٦] .

رأيت عِذاب الماء إن حِيل دونـه — كفاك لمـا لا بُدّ منه شَريبها [٧] .

وإن لم يكن إلاّ الأسِنّةَ مـركـبٌ — فلا رأيَ للمُضْطرِّ إلاّ ركوبها [٨] !

— وللكميت « هاشميّةٌ » مشهورةٌ طويلة تبلُغُ مِائَةً واربعين بيتاً مطلَعُها :

طَرِبْتَ ، وما شَوْقاً إلى البِيض أطـربُ — ولا لَعِباً منّي ، وذو الشوق يَلْعَبُ [٩] .

قال فيها :

---

١ — ومع ذلك فستجدون منا مـا يسركم من الدفـاع عنكم إذا حـاربكم أعداؤكم . العصوب جمع عصبة (بضم العين) : جمـاعة من الرجـال أو الخيل أو الطير عددها ما بين عشرة وأربعين .

٢ — لن يكون لنا خطة في معاملتكم غير هذه (الخطة الحسنة) . ولا طعمة (مأكلة ، دعوة إلى طعام ، تكسب) إلا التي لا أجد فيها عاراً علي أن أقبلها : لن أهجوكم ! الواقع أن هاشميات الكميت خاصة عتاب لبني أمية أكثر منها هجاء) .

٣ جمعنا نفوساً صاديات (ظماء ، عطاشاً) اليكم (يا بني أمية) ، وأفئدة (قلوباً) طويلا وجيبها (كثيراً خفقانها) : نحن نميل اليكم ونحبكم وقلوبنا تخفق عليكم (نخاف عليكم ونشفق) .

٤ — ولكن إذا لم تفيئوا (تعدلوا عن عداوتنـا وظلمنا) ، بني عبد شمس (يا بني أمية الحاكمين في دمشق) فسنكون يوماً ما كالقائبة (البيضة التي يخرج منها الفرخ) والقوب (الفرخ الذي يخرج من البيضة) :سينقطع ما بيننا وبينكم (لأن الفرخ إذا خرج من البيضة لا يعود اليها أبداً) .

٥ يعدو : يزيد على ، يتجاوز . البين : البعد (الموقت) ، الفصل . الفراق : الفرقة ...

٦ — إذا كان لك أخ يلحقك منـه ضرر ثم صبرت نفسك عنـه (عن لقـائه والاجتماع بـه) ، مع شوقك إلى لقائه ، فان ذلك يكون تعزية لك : احتمال القليل من فراقه في سبيل النجاة من الكثير من شره .

٧ — إذا تعذر عليك الحصول على (جرعات) عذاب (حلوة) من الماء فسيكفيك ما لا بد منه (سيكفيك القدر الضروري من الماء) الشريب : الذي تقبل النفس أن تشربه .

٨ الاسنة : رؤوس الرماح (المصاعب ، المكاره) .

٩ طرب الرجل : هاج شوقه . البيض جمع بيضاء : المرأة الحسنة الجميلة . اللعب : المزح والهزل (ضد الجد) . وذو الشوق يلعب : ان نفراً من الذين يبدون الشوق يكونون أحيانا كثيرة هـازلين غير جادين .

إلى النَّفَرِ البِيضِ الذين بِحُبِّهِم إلى الله فيما نابَني أتقَرَّبُ [1] :
بني هاشمٍ رهطِ النبيِّ ، فإنّني بِهِمْ ولَهُمْ أرضى مِراراً وأغضبُ [2].
خفَضْتُ لهم منّي جَناحَ مَوَدّةٍ إلى كَنَفٍ عِطفاه أهلٌ ومَرْحَبُ [3] .
إليكُمْ ، ذوي آلِ النبيِّ ، تطلّعتْ نَوازعُ من قلبي ظِماءٌ وألْبُبُ [4] ،
فإنّي عنِ الأمرِ الذي تكرَهونَه بقَولي وفِعلي–ما استطعتُ–لأجْنُبُ [5].
يُشيرون بالأيْدي إليَّ ، وقولُهم : «ألا خابَ هذا ! »والمُشيرون أخْيَبُ [6].
فطائفةٌ قد كفّرَتني بحُبِّكم ، وطائفةٌ قالوا : مُسيءٌ ومُذْنِبُ .
فما ساءَني تكفيرُ هاتيك منهُمُ ولا عَيْبُ هاتيك التي هي أعْيَبُ .
وقالوا : « تُرابِيٌّ هواه ورأيُه ! » – بذلك أُدعى فيهِمُ وأُلَقّبُ [7] .

* * *

وقالوا : « وَرِثْناها أبانا وأُمَّنا ! » وما ورّثَتْكم ذاك أمٌّ ولا أبُ [8] .
يَرَوْنَ لهم حقّاً على الناس واجباً سَفاهاً ، وحقُّ الهاشميّين أوْجَبُ !
ولكنْ مواريثُ ابنِ آمِنَةَ الذي به دانَ شَرْقِيٌّ لكم ومُغَرِّبُ [9] .

---

١ البيض جمع أبيض : الرجل النقي العرض ، الشريف ، النبيل . – أنا أتقرب إلى الله (أرجو ثوابه) على ما نابني (أصابني ، نزل بي من المصائب) بحبهم (بسبب حبي لآل البيت من بني هاشم) .

٢ رهط النبي : قوم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، آله ، نسله . أرضى وأغضب لهم (أرضى بما يرضيهم وأغضب لما يغضبهم ، في حياتهم) ، وأرضى وأغضب بهم : (.... بعد موتهم) . – أنا متمسك بولائهم (عامل بما يرضيهم تارك لما يسخطهم في حياتهم وبعد مودتهم) .

٣ – حبهم يحملني على خفض الجناح لهم (الخضوع في محبتهم خضوعاً كاملا) في كنف : ستر ، كتمان (لأن اظهار حب آل البيت كان يعرض صاحبه للاضطهاد) . كنفاه (جانباه) أهل (قرابة ، صلة وثيقة) ومرحب (سعة) .

٤ تطلع : استشرف (نظر من بعيد متشوقاً إلى قرب اللقاء) . نوازع جمع نازع (ونازعة): الناقة التي تحن إلى وطنها . نوازع من قلبي : عواطفي . ألبب جمع لب : العقل .

٥ جنب (بفتح النون) يجنب (بضم النون) الشيء : ابتعد عنه (المعجم الوسيط ١ : ١٣٨) .

٦ يقولون : خاب هذا : ضل الكميت (في حب آل البيت) .

٧ ترابي : يحب أبا تراب (علي بن أبي طالب) . هواه ورأيه : في العمل والقول .

٨ .... ورثنا (الخلافة) عن أبينا وأمنا (من عثمان بن عفان الأموي ثالث الخلفاء الراشدين– أو من بني عبد مناف (بفتح الميم) لأن عبد مناف والد أمية وهاشم (؟) .

٩ ابن آمنة : محمد رسول الله . – ان ارث الخلافة لم يأت من النسب وقرابة الدم حتى يكون لبني أمية حق فيها لاجتماعهم مع بني هاشم في بنوة عبد مناف ، بل جاءت من الدين (فحينما كان بنو هاشم يؤمنون بمحمد ويتبعونه كان بنو أمية يكذبونه ويقاتلونه) .

بلكَ اجْتَمَعَتْ أنسابُنا بعد فُرْقَة ، فنحن بنو الاسلام نُدعى ونُنْسب[1] .
يقولون : «لم يُورَثْ !» — ولولا تُراثُه لقد شَرِكَتْ فيه بكيل وأرحب[2]
وعكّ ولَخْم والسّكونُ وحِمْيَر وكِنْدة ، والحيّان: بكر وتَغْلِب[3] .
فإن هي لم تَصْلُحْ لقومٍ سواهم فإنّ ذوي القُرْبى أحقّ وأقرب[4] .

* * *

فيا مُوقداً ناراً لغيرك ضوءُها ويا حاطباً في غير حَبْلِك تَحْطِب[5] ،
ألم تَرَني من حبّ آلِ محمّد أرُوحُ وأغْدو خائفاً أتَرقّب[6] ؟
كأنّيَ جانٍ مُحْدِثٌ ، وكأنّما بِهِم — أُتّقَى من خشيةِ العار — أجْرَب[7] .
على أيّ جُرمٍ أم بأيّة سِيرة أُعنّف في تَقْريظهم وأُؤنّب[8] ؟
أناسٌ بهم عَزّتْ قُريشٌ فأصبحوا وفيهم خِباء المَكرُمات المُطنّب[9] !

---

١ — بعد أن كنا في الجاهلية متفرقين قبائل جئت أنت ، يا رسول الله، وجمعتنا بالاسلام ، فنحن ندعى اليوم مسلمين (والخلافة هي من أجل ذلك بالاسلام وبالصلة الروحية من محمد لا بصلة الدم) .

٢ و ٣ يقول الكميت : ان الامويين يقولون : ان محمداً رسول الله لم يورث (لم يترك الخلافة ارثاً لأحد). ولو لم تكن الخلافة ارثاً (لبني هاشم) لكانت لجميع القبائل : لبكيل وارحب وعك ولخم ... ولما أصر بنو أمية على الاستبداد بها .

٤ — فاذا كانت الخلافة لا تصلح إلا للذين هي ارث لهم ، فذوو القربى من محمد رسول الله أحق بها .

٥ الموقد النار لغيره والحاطب (الجامع الحطب) بحبله هو (ولكن لغيره) : هو الذي يتعب في سبيل الآخرين .
— في هذا البيت وفي الأبيات التالية يثبت (بتشديد الباء) الكميت اولئك الذين يحبون ال البيت ثم لا ينتفعون بهذا الحب بل ينالهم منه أذى ثم يشجعهم الكميت على الاستمرار في حبهم هذا .

٦ أروح وأغدو (أذهب وأجيء) : أقضي أيامي . أترقب : انتظر أن ينالني الأذى في كل ساعة (وأنا مستعد لقبول ذلك راض به) .

٧ جان : مجرم ، مرتكب جناية نزل بها ظلم على قوم آخرين ... المحدث : الذي ارتكب ذنباً لم يسبقه أحد إلى مثله . وكأنما أنا عند الناس جمل أجرب (يكرهونني ويبتعدون عني): يخافون أن تنالهم بسببي نقمة من بني أمية لأنني أحب آل البيت .

٨ — بعض الناس (أشياع الأمويين) يعنفونني (يوبخونني بشدة وقسوة) ويؤنبونني (يلومونني) على تقريظ (مديح آل البيت) ، فأي جرم (ذنب) في ذلك ؟ وما السيرة (السنة ، الطريقة ، العادة) التي تبرر هذا التعنيف والتأنيب ؟

٩ — (ان بني هاشم) هم الذين جعلوا جميع قريش عزيزة (قوية ، محترمة ، محبوبة) بالاسلام حتى أصبح في قريش خباء (خيمة ، قبة : خيمة من جلد كبيرة) المكرمات (المآثر والاعمال الحميدة) المطنب (الثابت . والطنب حبل تشد به الخيمة) ، كناية عن رسوخ الملك في قريش . — الملك ثبت في قريش من اتصالهم بالاسلام وبالخلافة من محمد رسول الله ، وليس من نسبهم وصلتهم بعبد مناف أو أمية !

٤ ــ القصائد الهاشميّات (هوروفيتس) ، ليدن ١٩٠٤ م .
الهاشميّات (اعتنى بتصحيحها محمد شاكر الخياط ، القاهرة ، بلا تاريخ .
الهاشميّات للكميت بن زيد ، القاهرة (مطبعة الموسوعات الاسلامية) ١٣٢١ ه .
الهاشميّات للكميت بن زيد ، القاهرة (شركة التمدن الصناعية) ١٣٢٩ ه.
شرح الهاشميّات بقلم محمّد محمود الرافعي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩١٢ م .

** الكميت بن زيد شاعر العصر المرواني وقصائده الهاشميّات ، تأليف عبد المتعال الصعيدي ، القاهرة (دار الفكر العربي) ١٩٤٣ م (؟)
الكميت بن زيد الاسدي شاعر الشيعة السياسي ، تأليف أحمد صلاح نجا ، بيروت ١٩٥٧ م .
الاغاني (طبعة الساسي) ١٥ : ١٠٨ ــ ١٢٤ ، أعيان الشيعة ؛
مجلة العرفان (صيداء) ٧ : ٢٧٩ ؛ بروكلمان ١ : ٦١ ، الملحق ١ : ٩٦ ــ ٩٧ ؛ زيدان ١ : ٣١٤ ــ ٣١٦ .

يزيد بن الطَّثْرية

١ ــ هو أبو المكشوح يزيدُ بن الصمّة القُشيري من بني عامر بن صعصعة ؛ والطَثْريّة (بفتح الثاء وبسكونها) أمّه لأنها من بني طَثْر وهم حيّ من اليمن ، من عرب الجَنوب . وكان يزيد بن الطَّثْرية جميلَ الوجه وافرَ الشعْر حلو الحديث حسن التحديث للنساء ، فكان يُلقّب مُودّقاً[1] لافتتان النساء به وبحديثه . وكان يزيد بن الطَّثْرية مع ذلك كله شريفاً سخيّاً شجاعاً صاحبَ نجدة وحربٍ كاملَ الأدبِ وافرَ المُروءة ، أتلف مالَه في وجوه الكرم حتى لَزِمَهُ الدينُ وحُبِس به .

في الكامل (ص ٣٣٣ ــ ٣٣٤) :

كان يزيدُ بن الطَثْريّة غَزِلاً (يحبّ محادثةَ النساء) ، وكان أخوه ثورٌ ذا

١ راجع غ ٨ : ١٥٦ والحاشية ٥ .

مال . فكان يزيدُ يأتي إلى العطّار (بائع العطر) فيقول (له) : ادْهُنّي دَهْنَة بناقة من إبِلِ ثورٍ ، فيفعل (العطّار) ذلك .... فاذا كَثُرَ عليه الدينُ هرب فتبَدّى (أقامَ في البادية زمناً) . فاذا ذَكَر حُوشيّة بنت أبي فُديك ابن قرّة بن حنظلة — وكان يشبّب بها — قَدِمَ واقتطع من إبِلِ أخيه ما يسدّد به دينَه . وفي ذلك يقول :

قَضى غُرمائي حبُّ أسماءَ بعدَ ما   تَخَوّنني ظُلْمٌ لهم وفجورُ .
فذلك دأبي ما حَيِيتُ ، وما مشى   لِثَوْرٍ على ظهرِ الفَلاة بعير !

(فشكا ثورٌ أخاه يزيدَ إلى الوالي فأمر الوالي بحلق رأس يزيد ، وكانت ليزيد جُمّةٌ حسنةٌ ، فقال يزيد) :

أقولُ لثورٍ ، وهو يَحلِقُ لِمّتي   بعقفاءَ مردودٍ عليها نصابُها[1] :
تَرَفّقْ بها ، يا ثورُ ، ليس ثوابُها   بهذا ؛ ولكنْ عند ربّي ثوابها .
ألا ربّما ، يا ثورُ ، فرّق بَيْنَها   أناملُ رَخْصاتٌ حديثٌ خِضابها[2] !

وليزيد بن الطثْرية مُغامرات غَزَلية في سبيل نِسْوة كثيراتٍ منهن وَحْشية الجَرْمية وأسماء الجعفرية ونساء أُخَرُ لم يذكر صاحب الأغانيّ أسماءهن ، مع أنهم ذكروا أن يزيدَ كان حَصوراً[3] .

وقُتِل يزيدُ بن الطثْرية يوم الفَلَج ، في اليمامة من شرقيّ بلاد العرب ، وهو يومٌ انتصر فيه بنو عامر — قومُ يزيدَ — على بني حَنيفة ، ويزيد يومذاك صاحب الراية . وكان يوم الفلج في النصف الثاني من سنة ١٢٦ هـ (٧٤٤ م) .

٢ — يزيد بن الطثْرية شاعر غَزِلٌ مطبوعٌ فصيح عفيف اللفظ .

٣ — المختار من شعره :

— قال يزيد بن الطثْرية في الغزل والنسيب ، وهذه القطعة من اختيارات أبي تمّام في ديوان الحماسة :

---

١ يقصد المقص .

٢ فرق بينها : فرق بعض شعري عن بعضه . أنامل : أصابع رخصات (لينة) حديث (جديد) خضابها (صباغها بالحناء) . — كم مر على شعري من أيدي النساء الجميلات تحبباً وغزلا !

٣ الحصور الذي لا يأتي النساء عفة أو عجزاً .

عُقَيْلِيَّةٌ أما مَلاث إزارِها … فدِعْصٌ ، وأما خَصْرُها فبَتيلُ [1] ؛
تَقَيَّظ أكنافَ الحِمى ، ويُظِلُّها … بنَعْمانَ من وادي الأراك مَقيل [2] .
أليسَ قليلاً نظرةٌ إن نظرْتُها … إليك ؟ وكلاّ ، ليس منك قليلُ [3] .
فيا خُلّةَ النفسِ التي ليس دونها … لنا مِن أخِلاّءِ الصفاء خليل [4] ،
ويا من كتمنا حبّه لم يُطِعْ به … عَدوّ ولم يُؤمن عليه دَخيل ،
أما من مَقامٍ أشتكي غُرْبةَ النَوى … وخوفَ العِدى فيه اليك – سبيلُ ؟
فَديتُكِ ؛ أعدائي كثيرٌ، وشُقّتي … بعيد ، وأشياعي لديك قليل .
وكنتُ إذا ما جِئتُ جئت بعِلّة ، … فأفنَيْتُ عِلاّتي فكيف أقول ؟
فما كلَّ يومٍ لي بأرضك حاجةٌ ، … ولا كلَّ يومٍ لي اليك رسول .
صحائفُ عندي للعتاب طويتُها … ستُنْشَر يوماً والعِتاب طويل.
فلا تَحْمِلي ذنبي وأنت ضعيفةٌ ؛ … فحملُ دمي يومَ الحساب ثقيل !

– وله بيتان وصفا بأنهما مُغَنِّجان :

بنفسيَ مَن لو مرّ بَرْدُ بَنانِه … على كَبِدي كانت شِفاءً أناملُه ،
ومَنْ هابني في كلّ شيء وهِبْته ، … فلا هوَ يُعطيني ولا أنا سائله !

– ومن أحسن الغزل العفيف قوله :

حَنَنْتَ إلى ريّا ، ونفسُك باعدتْ … مَزارَك من ريّا – وشعباكما مَعَا [5] .
فما حَسَنٌ أن تأتيَ الامرَ طائعاً … وتَجزَعَ إنْ داعي الصَبابة أسمعا .
قِفا ودّعا نجداً ومن حلّ بالحِمى ؛ … وقلّ لِنَجْدٍ عندنا أن يُوَدّعا .
ولمّا رأيتُ البِشْرَ أعرَضَ دونَنا ، … وحالت بَناتُ الشوق يُحْسَبْنَ نُزّعا [6] ،

---

[1] عقيلية : من بني عقيل . ملاث ازارها : محل عقد الازار من وسط الجسم (العجز والكفل) . الدعص : التلة من الرمل (كناية عن عظم كفلها) . بتيل : دقيق .

[2] تقيظ = تتقيظ : تقضي القيظ (الصيف) ، وتنام بعد كل ظهر (في الصيف) في وادي الاراك (كناية عن التنعم) .

[3] ليس منك شيء قليل (كل شيء تنعمين به كثير في نظرنا) .

[4] الخلة : الخليلة ، الصديقة . ليس لنا خليل غيرها .

[5] – لا تستطيع أن تلتقي بريا مع ان قومك وقومها يسكنان في مكان واحد .

[6] البشر : جبل في نجد . اعرض : ظهر منتصباً . حالت (أقبلت) بنات الشوق (الهموم) يحسبن (كأنهن) نزعا (نياق مسرعات !) .

بكتْ عينيَ اليُمنى ، فلمّا زَجرْتَهـا عن الجهلِ بعد الشَّيْبِ أسبلتا معـا .
وليستْ عَشيّاتُ الحِمى برواجـعٍ عليك ، ولكن خلِّ عَيْنيْك تَدْمَعا !
وأذْكرُ أيّامَ الحِمى ثم أنثـني على كَبِدي من خَشْيةٍ أن تَقطّعا!

٤ — ** الاغاني ٨ : ١٥٤ — ١٨٤ ؛ زيدان ١ : ٣٤٠ — ٣٤١ .

يزيد بن ضَبة الثقفيّ

١ — هو يزيد بن مِقْسَم ؛ وضبّة اسم أمّه غلبتْ على نسبهِ فعُرِفَ بها دون أبيه . وسبب ذلك أن مقسماً مات وترك ابنَه يزيدَ صغيراً ، فكانت ضبّة تَحضُن أولاد المُغيرة بن شُعبة الثَقَفي في الطائف ثم كانت تحضن أولادَ ابنه عُروةَ بنِ المغيرة ، وهكذا أصبحت نسبة يزيد بن مِقسم : يزيد بن ضبّة الثقفيّ .

ويزيد بن ضبّة هذا مولىً ، ولعلّ أباه مقسماً — لا أمّه ضبّه — لم يكن عربيّاً . ولعلّ يزيد هذا كان غير عربي من جهة أبيه وأمّه معاً . ولقد كان ولاؤه في ثقيف لبني مالك بن حُطيط ثم لبني عامر بن يَسار .

انتقل يزيد بن ضبّة من الطائف إلى الشام ثم اتّصل بالوليد بن يزيد وصَحِبَه مُنْذُ أيام أبيه يزيد بن عبد الملك بن مروان (١٠١ — ١٠٥ ه) ، ولم يكن يفارقه .

فلمّا أفْضَتِ الخلافةُ إلى هشام بن عبد الملك ، سنة ١٠٥ ه (٧٢٤ م) ، وَفَدَ يزيدُ بن ضبّة عليه مهنّئاً با لخلافة وأراد أن ينشده قصيدة يمدحه بها . فلم يقبل هشامٌ منه وقال له : « عليك بالوليدِ فامدَحْهُ وأنْشِدْهُ » . ثم أمر هشامٌ باخراج يزيدَ بن ضبّة من حضرته .

علم الوليد بذلك فبعث إلى يزيدَ بن ضبّة بخمسمائة دينار وأشار عليه بأن يترك الشام ويعودَ إلى الطائف ويعيش فيها على أموال له (للوليد) ، خوفاً من أن يذكره هشام مرّة ثم يأمر بسجنه أو قتله . وقد بَقِيَ يزيد بن ضبّة في الطائف مدّة خلافة هشام كلّها (١٠٥ — ١٢٥ ه) .

ولمّا مات هشام وبُويِعَ الوليدُ بن يزيد بالخلافة ، سنة ١٢٥ هـ (٧٤٣م) ، أقبل يزيد بن ضبّة من الطائف إلى الشام فقرّبه الوليد وأحسن اليه .

غير أن الوليدَ بن يزيد لم يَعِشْ في الخِلافةِ إلاّ نحوَ ثلاثة أشهر [١] ، ولا نعلم شيئاً من حال يزيد بن ضبّة بعد ذلك . ولكن بما أن يزيد بن ضبّة كان شاعراً قديماً في بني أميّة عرف عبد الملك وعرف أول الخلفاء [٢] معاوية ، كما نلمح في قصيدته التي قالها بعد حادثته مع هشام ، فان من المحتمل ألاّ تكون الحياة قد امتدّت به إلى ما بعد سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧ — ٧٤٨ م) .

٢ — يزيد بن ضبّة الثقفي شاعر مولّد وُجداني فصيحُ الالفاظ سهل التراكيب ، قال الاصفهاني (غ ٧ : ١٠٣) : « كان يزيد بن ضبّة مولى ثقيف ، ولكنّه كان فصيحاً ... وكان يطلب القوافي المُعْتاصة والحُوشيّ من الشعر [٣] » . فاذا نحن تأمّلنا شعر يزيد بن ضبّة وجدنا أن شعره في الطَرْد بدوي كثير الغريب ، وهذا راجع إلى طبيعة الطرديّات (القصائد التي تصف الصيد خاصة وأنواع الحيوان عامّة) . أمّا شعره الوجداني في المديح والعتاب والغزل فهو شعر فصيح سهل . ويزيد بن ضبّة شاعر مُكثر مُطيل ، روى الاصفهاني (٧ : ١٠٣) فقال : « قال يزيد بن ضبّة ألف قصيدة ، فاقتسمتها شعراء العرب [٤] وانتحلتها فدخلت في أشعارها » . وهذا يدلّ على ان الكثرة من قصائد يزيد بن ضبّة كانت بدويّة الاسلوب غريبة الألفاظ . وممّا يَلْفِتُ النظرَ في قصائد يزيد بن ضبّة التي وصلت الينا أنّها من بحورٍ قِصارٍ مُطربة ، ثم هي تحمل طابعاً مُحْدَثاً يجعلها كثيرة الشبه بالشعر العبّاسي .

٣ — المختار من شعره :

— لمّا أمر هشامُ بن عبد الملك بإخراج يزيدَ بن ضبّة من حَضْرته ، عادَ

١ راجع ترجمة يزيد بن الوليد ، فوق ، ص ٦٩٢ .

٢ راجع الاغاني ٧ : ٩٦ ، البيتين ١٦ — ١٧ ؛ ثم راجع المختار من القصيدة «أرى سلمى تصد وماصددنا» مع شرح البيتين المذكورين : وكان أبوك ... كذلك أول الخلفاء ....

٣ القوافي المعتاصة : القوافي التي يتكلفها الشاعر لغرابتها فلا يكاد القارئ أن يهتدي لمعناها في مكانها من البيت. الحوشي : الغامض من الكلام .

٤ شعراء البدو .

يزيدُ بن ضبّة إلى الطائف عمَلاً بنصيحةِ الوليد بن يزيد . وفي الطائف قال يزيدُ بن ضبّةَ قصيدةً فيها نسيب وفخر وتعريض بهشام بن عبد الملك :

أرى سَلْمى تَصُدّ وما صَدَدْنا ، وغيْرَ صُدودِها كنّا أرَدْنا [1] .
لقد بَخِلَتْ بنائِلِها علينا ، ولو جادتْ بنائِلِها حَمِدْنا [2] .
وقد ضَنّتْ بما وعدَتْ ، وأمْسَتْ تَغَيّرَ عهدُها عمّا عَهِدْنا .
ولو علِمَتْ بما لاقيْتُ سلمى فتُخبرَني وتعلمَ ما وَجَدْنا [3] .
تُلِمّ على تَنائي الدارِ منّا فيُسْهِرُنا الخيالُ إذا رَقَدْنا [4] .
ألَمْ تَرَ أنّنا لمّا وَلِينا أموراً خُرِّقَتْ فوَهَتْ سَدَدْنا [5] .
رأيْنا الفَتْقَ حين وَهَى عليهم ، وكم من مِثْله صَدْعٍ رَفَأنا [6] !
إذا هاب الكريهة من يَليها ، وأعظمَها الهيوبُ ، لها عمدنا [7] .
وجبّارٍ ترَكْناهُ كَليلاً ، وقائدَ فِتْنَةٍ باغٍ أزَلْنا [8] .
فلا تَنْسَوْا مَواطِنَنا ، فإنّا إذا ما عاد أهلُ الجُرْم عُدْنا .
وما هِيضَتْ مَكاسرُ من جبَرنا ، ولا جُبِرَتْ مُصيبةُ مَنْ هَدَدْنا [9] .

١ تصد : تعرض ، تبعد . وغير صدودها كنا أردنا : كنا ننتظر منها غير صدودها (قربها ووصالها) .
٢ النائل : العطاء (والمقصود هنا : الوصال) .
٣ ولم تعرف سلمى ما أصابنا (من المصائب بعد فراقها) فليتها تخبرني بما حدثها وليتها تسمع مني ما حدثلي. وجد : لقي . ووجد : أحب : عظم حبه .
٤ تلم : تزور زيارة خفيفة . تنائي الدار : بعد دارنا عن دارها . — أنا أقضي معظم الليل سهران من حبي لها ومن حزني لبعدها عني . فاذا اتفق أن نمت زارني خيالها (في المنام) فأكون كأني سهران .
٥ لما ولينا : لما تولينا الحكم (لما حكمنا ، أو لما حكم الذين هم أهل عصبيتنا) والدولة كثيرة الخروق (من الثورات والاضطراب والعجز المالي الخ) حتى وهت (ضعف أمرها وكادت تزول) سددنا (تلك الخروق : أصلحنا ما كان قد فسد) .
٦ — اتسع الفتق (الخرق ، الفساد) فعجزوا هم عن اصلاحه فأصلحناه ، نحن ؛ وكم كنا قد رفأنا (رتينا ، أصلحنا) صدعاً (شقاً ، انشقاقا ، نزاعاً بين أهل الدولة) مثل هذا من قبل .
٧ — إذا خاف الذي يلي الكريهة (يكون قائداً لخوض الحرب) وأعظمها الهيوب(وفزع الخائف من الاقدام عليها)، عمدنا نحن لها (قصدناها) .
٨ كليل : ضعيف ، عاجز . تركناه كليلا : حاربناه حتى فقد قواه . وأزلنا (قضينا على ، قتلنا) صاحب ثورة باغ (ظالم) .
٩ هيض العظم : انكسر . جبر العظم : رد المكسور منه إلى موضعه وشفاه . — من نصرناه نحن لم يستطع أحد أن يغلبه ، ومن غلبناه لم يستطع أحد أن ينصره .

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عنّي هِشاماً ، فما مِنّا البَلاءُ ، وما بَعُدْنا [١] .

وما كُنّا إلى الخلفاء نُفْضي ، ولا كنّا نُؤخَّرُ ان شَهِدْنا [٢] .

ألَمْ يَكُ بالبلاءِ لنا جزاءٌ فنُجزى بالمَحاسنِ ، أم حُسِدنا [٣] ؟

وقد كان الملوكُ يَرَوْنَ حقّاً لوافِدِنا فنُكْرَمُ إنْ وَفَدنا [٤] .

وَلِينا الناسَ أزماناً طِوالاً وسُسْناهم ودُسْناهم وقُدْنا [٥] .

وكانَ أبوكَ قد أسْدى إلَيْنا جَسيمةَ أمرِهِ ، وبهِ سَعِدنا [٦] .

كذلك أولُ الخُلَفاءِ كانوا بنا جَدّوا كما بهمُ جَدَدنا [٧] .

همُ آباؤنا ، وهُمُ بَنونا : لنا جُبلوا كما لَهُمُ جُبِلنا [٨] .

ونَكوي بالعَداوةِ مَن بَغانا ، ونُسْعِدُ بالمَودّة مَنْ وَدِدْنا [٩] .

نرى حَقّاً لسائِلِنا علينا فنَحبوه ، ونُجزِلُ إنْ وَعَدنا [١٠] .

ونَضْمَنُ جارَنا ونراه منّا فنَرْفُدُه ، ونجزِلُ ان رَفَدنا [١١] .

---

١ .... ان المصيبة التي نزلت بك ليست منا ، ولكننا ما بعدنا نحن عنها (كانت بسببنا ، أو كنا نحن نتمنى لك مثلها !) .

٢ — لم يكن من عادتنا أن نفضي (؟) إلى الخلفاء : نقصدهم ، نأتي اليهم . ومع ذلك فاننا كنا إذا حضرنا اليهم اتفاقاً اذن (بضم الهمزة وكسر الذال) لنا بالدخول عليهم حالا بلا تأخير .

٣ البلاء : بذل الجهد في الحرب (أو في خدمة الآخرين) . — أما كان الأولى (بك ، يا هشام بن عبد الملك) أن تكافئنا بالاحسان على ما كنا قد أحسنا إلى بني أمية من قبل ، أم انك تحسدنا (ترى أن ما نستحقه من المكافأة كبير جداً ؟)

٤ كان الملوك (الخلفاء الذين كانوا قبلك) يرون أن من حق الوافد (القادم) عليهم منا أن يكرموه .

٥ سسناهم : حكمناهم باللين (حينما كانوا طائعين) ودسناهم : أخضعناهم ، قمعناهم (لما اظهروا العصيان) وقدنا : قدناهم (تقدمناهم ، بالاحسان اليهم) .

٦ — وكان أبوك (عبد الملك بن مروان) قد ألقى الينا (اعتمد علينا) في جسيمة أمره : الخلافة حينما نازعه فيها عبد الله بن الزبير فنصرناه) ثم به سعدنا (نلنا عنده اكراماً) .

٧ أول الخلفاء : الخلفاء الأمويون الأولون . جدوا (نالوا حظاً) بنا وجددنا (نلنا حظاً) بهم .

٨ هم آباؤنا : يعطفون علينا . وهم بنونا : أبناؤنا (نعطف عليهم) . جبلوا لنا : طبعوا على محبتنا . ولهم جبلنا : طبعنا على محبتهم .

٩ بغانا = بغى علينا : ظلمنا ، جار في معاملتنا عن الحق . ود : أحب .

١٠ نحبوه : نعطيه . نجزل : نكثر .

١١ نضمن جارنا : نحميه ، ندافع عنه ، نجعله آمناً مطمئناً في جوارنا . نرفده : نعطيه .

وما نَعْتَدّ دون المجدِ مالاً ، إذا يُغلى بمَكْرُمة أفَدْنا [1] .
وأتْلَدُ مجدِنا أنّا كِرامٌ ، بحَدِّ المَشْرَفِيّةِ عنه ذُدْنا [2] .

– لمّا وَلِيَ الوليدُ الخلافةَ وَفَدَ عليه يزيدُ بن ضَبّة ومدحه بقصيدة سُرّ الوليدَ بها فأمر أن تُعَدّ أبياتُها ويُعْطى على كلّ بيتٍ منها ألفَ درهمٍ . فعُدّتْ أبياتُها فوجِدَتْ خمسين ، فأعطاه الوليدُ عليها خمسين ألفَ درهمٍ ، وهذا مبلغٌ كبير جداً حتّى بالاضافة إلى ما سنرى في العصر العبّاسي . وفي القصيدة نسيب ومديح . والقصيدة مطلعها :

سُليْمى تِلْكَ في العِيرِ ، قِفي نُخْبِرْكِ أو سيري [3] .

وبعد أن يَصِفَ يزيدُ بن ضبّة المطايا وصْفاً بَدْوِياً جميلاً يقول :

لِتَعْتامَ الوليدَ القَرْ مَ أهلَ الجودِ والخِيرِ [4] ،
كريمٌ يَهَبُ البُزْلَ مع الخُورِ الجَراجِيرِ [5] ،
ويُعْطي الذهبَ الأحمـ رَ وزْناً بالقناطيرِ .
بَلَوْناه فأحْمَدْنا هُ في عُسْرٍ ومَيْسورِ [6] .
إمامٌ يُوضِحَ الحقّ ؛ له نورٌ على نورِ .

---

1 – لا نعد المال غنيمة بلا مجد . فاذا وجدنامكرمة (عملا كريماً مجيداً) تنال بالمال الكثير وهبنا المال الكثير ونلنا نحن تلك المكرمة .

2 اتلد : (أقدم) ما في مجدنا أننا أناس كرام (لا يصبرون على ضيم أو ظلم أو أذى) . من أجل ذلك كنا دائماً نذود (ندافع) عنه (عن مجدنا) بحد المشرفية (السيوف) .

3 – العير : القافلة . سليمى ركبت جملها استعداداً للارتحال . قفي ، يا سليمى ، نخبرك (بحالنا) ، (وإذا لم تشائي أن تتوقفي لتسمعي مني ما أريد أن أخبرك به) فسيري (على بركات الله) .

4 تعتام : (تزور الزيارة السنوية ، مرة في كل عام) ؛ وفي حاشية الاغاني (٧ : ٩٩) « اعتام : اختار ، اصطفى . يريد : تقصد اليه مختارة له » . القرم : البطل الكريم. الخير (بكسر الخاء) كالخير (بفتح الخاء) .

5 البزل : جمع بازل : الجمل إذا بزلت نابه (انشقت لثته عن نابه الاخيرة ، وذلك في نحو التاسعة من عمره) ويكون حينئذ في تمام قوته . الخور (بالخاء المضمومة والواو المهملة بلا شدة) جمع خوارة (بالخاء المفتوحة والواو المشددة) : الناقة الغزيرة اللبن ... الجراجر (والجراجير) جمع جرجور (بضم الجيمين): الضخم من الابل (راجع القاموس ١ : ٣٨٨ ، السطر الثاني من أسفل) . والجرجور أيضاً: الابل الكريمة (القاموس ١ : ٣٨٩ ، السطر الثامن) .

6 بلوناه : اختبرناه ، جربناه .

مَقَالٌ من أخي وُدٍّ بحفظ الصِدق مأثور [1] .

– طلب الوليدُ بن يزيدَ من يزيدَ بن ضبّة قصيدةً في الغزل ليُغنّى بها فنظم يزيدُ بن ضبّة المقطوعةَ التالية :

إلى هِنْدٍ صَبا قلبي ، وهندٌ مِثْلُها يُصبي [2] .
وهِنْدٌ غادةٌ غَيْداءُ من جُرثومة غُلْبِ [3] .
وما إن وَجَدَ الناسُ مِنَ الأدواءِ كالحُبِّ [4] !
لقد لَجَّ بها الإعراضُ والهَجْرُ بلا ذنب [5] ،
ولمّا أقْضِ من هندٍ ومن جاراتِها نَحْبي [6] .

٤ – ** الاغاني ٧ : ٩٤–١٠٣ ؛ زيدان ١ : ٣٤٩ .

أبو حمزة الشاري [7]

١ – وُلِدَ أبو حَمْزَةَ المُختارُ [8] بن عَوْفِ بن سُليمانَ بنِ مالكٍ الأزدي

---

١ كذا البيت في الاغاني (٧ : ٩٩) ولعله :
مقال من أخي صدق بحفظ الود مأثور ،
بتبديل مكاني « صدق » و « ود » . الود والوداد : الصداقة والمحبة . مأثور : معروف بذلك منذ زمن قديم .

٢ صبا إلى المرأة : حن ، اشتاق . وأصبته المرأة: شاقته(أثارت في نفسه الشوق اليها) ودعته إلى الصبا (اللهو المتعلق بأيام الشباب) .

٣ الغادة : المرأة (الشابة الجميلة) الظاهرة الجمال واللينة . الغيداء : التي لا تزال في أول شبابها فيتثنى جسمها ويتمايل بسهولة . الجرثومة : أصل الشيء (من قبيلة قديمة كريمة الأصل) غلب (جمع أغلب : الاسد) : شجعان .

٤ « إن » زائدة . الأدواء جمع داء .

٥ الاعراض : الصد ، الابتعاد . الهجر : الفراق . بلا ذنب (مني ، وليس لي أنا ذنب ، لم أسيء اليها حتى تعرض عني وتهجرني) .

٦ ولما أقض (« أقض » مجزومة بحرف الجزم « لما ») : إلى الآن لم أتمتع بكل ما أريد . النحب : الحاجة .

٧ الشاري : أحد الشراة (بضم الشين) من الخوارج لأن الخوارج شروا (بفتح الراء: باعوا)أنفسهم في سبيل الله .

٨ البيان والتبيين (٢ : ١٢٢) : اسمه يحيى بن المختار ؛ وفي غ (٢٠ : ٩٩) المختار بن عوف الازدي.

السَّليمي [1] في البصرة ، وفيها نشأ ثائراً فتّاكاً وخطيباً بارعاً ثم أخذ بمذهب الإباضية [2] . وكان أبو حمزة يأتي في كل عام إلى مكّة في الموسم فيدعو الناس إلى الخروج على مروانَ بن محمد . وفي سنة ١٢٨ هـ (٧٤٦ م) التقى أبو حمزة بعبدِ الله بن يحيى الكِنْدي الشاري ولحق بـه إلى حَضْرَمَوْتَ وبايعه بالخلافة . ثم ان عبد الله بن يحيى أعلن خروجه على مروان بن محمد وتسمّى بطالب الحق وبث أتباعه لقتال ولاةِ بني أمية ، في منتصف سنة ١٢٩ هـ .

وبعد أن استولى طالب الحق على اليمن بعث أبا حمزة الشاريَ إلى الشام لقتال مروان بن محمد ، فمر أبو حمزة بالحجاز فشُغِلَ مُدةً بقتال أهل مكة والمدينة حتى قُتل على مُقرُبةٍ من مكة ، في منتصف سنة ١٣٠ هـ (٧٤٨ م) .

٢ — قال الجاحظ (البيان والتبيين ٢ : ١٢٢) : « أبو حمزة الخارجي ... أحد نُساكِ الإباضية وخطبائهم » . ويبدو من خطب أبي حمزة أنه كان مُلمّاً بالتاريخ عارفاً بالفقه ذا بَصَرٍ بالقرآن . وخطبه تشهد له بالبلاغة وقوّة الحجة وبالبراعة في الخطابة وعظم التأثير في السامعين .

٣ — المختار من كلامه :

بلغ أبا حَمْزةَ الشاري أن أهلَ المدينة يَعيبون أصحابهَ (أتباعه) بأنهم شُبّان صِغارُ السِن ، فخطب فيهم خطبة طويلة قال في آخرها :

.... شَبابٌ ، والله ، مُكْتَهِلون في شَبابِهم ، غَضيضة عن الشر أعينُهم ، ثقيلةٌ عن الباطل أرْجلُهم ، أنضاءُ عِبادةٍ وأطلاحُ سَهَرٍ [3] . ينظر الله اليهم في جَوْفِ الليل مُنْحَنِيَةً أصلابُهم على أجزاء القرآن ، كلما مر أحدُهم بآيةٍ من ذِكر الجَنّةِ بكى شوقاً اليها ، وإذا مر بآية من ذكر النار شَهِقَ شَهْقة

---

١ نسبة إلى سليمة على وزن « سفينة » .

٢ الاباضية : فرقة من الخوارج أتباع عبد الله بن اباض (بكسر الهمزة) ، وهم معتدلون في آرائهم الدينية والسياسية يتمسكون بالقرآن وبالسنة . ويقولون ان الله يغفر الصغائر من الذنوب ولا يغفر الكبائر . وهم يخالفون أهل السنة والجماعة في أشياء يسيرة كقولهم بأن عثمان وعلياً قد خالفا نهج رسول الله وأن القرآن كلام الله المخلوق الخ .

٣ النضو (بكسر النون) : المهزول ، النحيف من التعب والمشقة . الطلح (بكسر الطاء) : المتعب .

كأنّ زفيرَ جهنّمَ بين أذُنَيْه . موصولٌ كَلالُهم [1] بكَلالِهم : كَلالُ الليل بكلال النهار . قد أكلتِ الأرضُ رُكبَهم وأيدِيَهُمْ وأنوفَهم وجِباهَهم ، واستقلّوا ذلك في جَنْبِ الله . حتّى إذا رأوا السِهامَ قد فُوّقَتْ ، والرماحَ قد أُشْرِعَتْ ، والسيوفَ قد انتُضِيَتْ ، ورَعَدَتِ الكتيبة بصواعق الموت وبَرَقَتِ ، استخفّوا بوعيد الكتيبة لوعدِ الله ، ومضى الشابّ منهم قُدُماً حتى اختلفتْ رِجلاه على عُنُقِ فرَسه ، وتَخَضّبتْ بالدماء محاسنُ وجهه فأسرعتْ اليه سِباعُ الارض ، وانحطّتْ عليه طيرُ السماء . فكم من عينٍ في مِنقارِ طائرٍ طالما بكى صاحبُها في جوف الليل من خَوْفِ الله ، وكم من كَفٍّ زالت عن مِعْصَمِها طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله .

عروة بن أُذَيْنة

١ — هو أبو عامرٍ عُروةُ بن يحيى بن مالك بن الحارث من بني الليث (الشعر والشعراء ٣٦٧) ولذلك يقال له الليْثي (الكامل ١١٠) ، من بني كِنانة . وأذينة لقب والدِه يحيى .

كان عروة بن أُذَيْنَةَ من أهل المدينة ، وقد سمع الحديثَ من عبد الله بن عمرو بن الخطّاب (توفي ٦٣ هـ) . ولعلّ هذا يجعل مولدَ عُروةَ بن أذينة نحو عام ٤٠ هـ (٦٦٠ م) أو بعد ذلك بقليل .

وعُروة بن أذينة معدودٌ في الفقهاء والمُحَدّثين (غ ٢١ : ١٦٢) ، ثم هو من أعيان العلماء وكِبار الصالحين (وفيات ١ : ٣٧٧) ، وهو شيخ مالكِ بن أنَسٍ (الكامل ١١٠) . وعن عروة روى جماعة من العلماء والفقهاء .

وقد زار عروةُ بن أذينة مكّة مراراً . ومع أننا لا نعلم أن عروة قد تكسّب بشعره ، فان ابن قتيبة (ص ٣٦٧ — ٣٦٨) يذكر أن عروة وفد على هشام بن عبد الملك فأنّبه هشام (على وفادته في سبيل التكسّب) فأدرك عروة ذلك ورجع

[1] الكلال : التعب . كلال الليل موصول بكلال النهار : تعبهم (من العبادة) في الليل موصول بتعبهم (من القتال) في النهار .

من فَوْره « فأتبَعَهُ هشامٌ جائزَتَه » .

وتُوُفّـِيَ عروة بن أذينة في حدود سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧ م) ، وقـد أسنّ كثيراً .

٢ – عروة بن أذينة شاعر غَزِلٌ مُقَدّمٌ ، على ما كان عليه من العِفّة والتقوى . وله غَزَلٌ رقيق ورثاء بارع وحكمة كثيرة .

٣ – المختار من شعره :

– لعروة بن أذينة مقطوعة بارعة في الغزل (غ ٢١ : ١٦٨) اختار أبو تمّام منها أربعة أبيات في حماسته :

إن التي زعمتْ فؤادَك ملّها ... خُلقتْ هواك كما خلقتَ هوىً لها.
بيضاءُ باكرها النعيمُ فصاغها ... بلَباقة فأدقّها وأجلّها [١] .
حجبتْ تحيّتَها فقلتُ لصاحبي ، ... ما كان أكثَرَها لنا وأقلّها !
وإذا وجدتُ لها وساوسَ سَلْوةٍ ... شفَعَ الضمير إلى الفؤاد فسلّها .

– وله في الفخر والحكمة مع الزهد :

لقد علمتُ – وما الاسرافُ من خُلُقي – ... أن الذي هو رزقي سوف يأتيني .
أسعى له فيُعَنّيني تَطَلّبُه ، ... ولو جلست أتاني لا يُعنّيني [٢] .
وان حظّ امرِىءٍ غيري سيبلغه ؛ ... لا بدّ ، لا بدّ أن يَخْتارَه دوني .
لا خيرَ في طمع يُدني لمَنْقَصة ، ... وغُبَّرٌ من كَفاف العيش يكفيني [٣] .
لا أركب الأمر تُزْري بي عواقبه ... ولا يُعاب به عِرضي ولا ديني .
كم من فقيرٍ غنيٍّ النفس تَعْرِفه ، ... ومن غنيّ فقيرِ النفس مسكين !
إنّي لأَنْطِقُ في ما كان من أرَبي [٤] ، ... وأُكثِرُ الصمتَ في ما ليس يَعْنيني .

---

١ أدقها : جعل أعضاء جسمها دقيقة (لطيفة ، حسنة) . أجلها : عظم مكانتها في النفوس .
٢ يعنيني : يتعبني .
٣ غبر : بقايا (أشياء قليلة) .
٤ أربي : حاجتي .

لا أبتغي وصلَ من يبغي مُفارقتي ، ولا ألينُ لمَنْ لا يبتغي ليني .

٤ ـ ** الاغاني (طبعة الساسي) ٢١ : ١٠٥ ـ ١١١ ؛ زيدان ١ : ٣٤٨ .

أبو وَجزة السَعْدي

١ ـ هو أبو وَجْزَةَ يزيدُ بن عُبيد ، وقيل ابن أبي عبيد [١] ، أصله من بني سُليم بن ضَبيس بن هِلال من بني بُهثَةَ بن سُليم . غير ان عبيداً (والد ابي وجزة) ، أو أبا عبيد ، كان قد سُبي وهو صغير في الجاهلية فَبِيعَ بسوق المَجاز فابتاعه وُهيب بن خالد بن عامر من بني نصر بن سعد بن بكر بن هَوازن . ونشأ أبو وجزة مع أبيه في بني سعد وكان ولاؤه فيهم فانتسب اليهم فقيل : هو أبو وجزة السعدي .

ويبدو أن موالي عبيد قد عاملوه بالاحسان فلم يفكر بالتحرر . ثم جاء الاسلام ـ وكان قد اتفق أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مُسْتَرْضَعاً في بني سعد هؤلاء ، أرضعته حليمة بنت أبي ذُؤيب السعدية ـ فأصبح الولاء في بني سعدٍ والانتساب اليهم في النسب أيضاً شرفاً عظيماً .

وفي أيام عُمرَ بن الخطّاب (١١ ـ ٢٣ هـ) ضرب عُبيدٌ ناقةً لمولاه فأدمى ضِرعَها فضربه مولاه . وجاء عُبيد إلى عُمرَ يشكو اليه فقال : « يا أمير المؤمنين : أنا رجل من بني سُليم .... أصابني سِباء في الجاهلية .... وأنا معروف النسب . (وقد) أساء إليّ (مولاي) وضرب وجهي . وقد بلغني أنْ لا سباءَ في الاسلام ، ولا رقّ على عربي في الاسلام » . وجاء وُهيب ابن خالد ، مولى عُبيد ، فقال : « يا أمير المؤمنين : هذا غلامٌ ابْتَعْتُه (في الجاهلية) .... فأساء فضربته ضَربةً ، واللهِ ، ما أعلمني ضربتُه غيرَها قطّ ـ وإنَ الرجلَ لَيَضْرِبُ ابْنَهُ أشدّ منها ، فكيف بعبدِه ـ وأنا أُشْهِدُكَ على أنه حرّ لِوَجَهِ الله تعالى » .

---

[١] غ ١٢ : ٢٣٩ ؛ الشعر والشعراء ٤٤٢ . وفي الكامل : أبو وجزة السلمي (بضم السين) المعروف بالسعدي (ص ١٠٦) .

عندئذ قال عمر لعُبيد : « قَدِ امتَنّ عليك هذا الرجلُ وقطع مؤونةَ البيّنة (إقامة الدليل) ، فان أحببتَ فأقِمْ معه ، فله عليك منّة ، وان أحببت فالْحقْ بقومك » . فآثر عُبيد أن يبقى في بني سعد وقد قال (بعد أمد) : لا أتركُ قوماً يُكرمونني ويُشرّفونني [1] ، ولا أحبُ أن أرجِعَ إلى قومي فيُعيّرونني في كل يوم بأنني كنت عبداً ثم لا ينادونني إلاّ بقولهم : « يا عبدَ بني سعدٍ » !

فأقام عبيدٌ مع مولاه وُهيبِ بن خالد السعدي ، ثم تزوج زينب بنت عُرفُطةَ المُزَنيّةَ ، فولدت له يزيد (أبا وجزة) وعبيداً .

اتّصلَ ابو وجزة بعدد من الممدوحين منهم آل الزُبير بن العوّام وبنو الحسن ابن الحسن (مكررة مرتين) بن علي بن أبي طالب ، ومنهم عبد الملك بن يزيد ابن محمد بن عَطيّةَ السّعدي ، ومنهم عمرو بن سهل بن مُكَدّم بن عُقيل من بني مرّة بن مازن بن عوف .

ويبدو أنّ أبا وجزة يزيد بن عُبيد قد أسَنّ كثيراً ، ولكن كيف نَحُلّ المشكلةَ الناتجةَ من الروايةِ القائلةِ بأن أبا وجزة قد رأى عُمَرَ بن الخطاب — وعمرُ قد قُتِلَ سَنَةَ ٢٣ هـ — إلى جنب روايةِ ابنِ قُتيبة [2] التي تجعل وفاة أبي وجزة هذا سنة ١٣٠ هـ (٧٤٧ — ٧٤٨ م) ؟ وتتعقد هذه المشكلةُ حينما نجد لأبي وجزة قصيدةً في مديح عبدِ الله بن الحسن بن الحسن المُثنّى [3] بن عليّ بن أبي طالب (غ ١٢ : ٢٤٩) — وعبد الله هذا قد تُوفّي سَنَةَ ١٤٥ هـ (٧٦٢ م) .

في الاصابة لابن حجر العسقلانيّ [4] اثنانِ اسْمُ كل واحدٍ منهما أبو وجزة

---

١ لأن رسول الله قد أرضعته احدى نساء بني سعد (حليمة السعدية) .

٢ الشعر والشعراء ٤٤٢ . — ان ابن قتيبة لا يثبت سنوات الوفيات في العادة . ولعل السنوات القليلة المثبتة في كتابه في ترجمات أبي وجزة السعدي وأبي نواس وأبي العتاهية الخ (ص ٤٤٢ ، ٥٠١ ، ٥١١ الخ) زيادات من النساخ . ثم ان هذه السنوات مثبتة بالارقام والعادة القديمة ان تذكر السنوات بالاحرف . أضف إلى ذلك ان ابن قتيبة لا يهتم بسنوات الوفيات ، فانه لا ينسق تراجمه نسقاً تاريخياً دقيقاً .

٣ « الحسن » مكررة مرتين .

٤ الاصابة ٧ : ٢١٥ (رقم ١٢١٩) .

السعدي ، الاول منهما جَدّ الثاني . وقد كان الأول منهما أيضاً شاعراً مدح خالد بن الوليد في أيام عمر بن الخطاب . وهكذا يبدو ان الرواة أدخلوا حوادث حياة الجد بحوادث حياة الحفيد . فيبقى عندنا أن أبا وجزة يزيد بن عبيد قد توفي سنة ١٣٠ هـ ، أو قريباً من ذلك ، وأنه روى الحديث عن أبيه [1] . غير أننا نميل إلى أن نؤخّر ولادته قليلاً ثم نقدم وفاته شيئاً يسيراً .

٢ — أبو وَجْزَةَ السّعديّ رجل من التابعين رَوَى الحديثَ عن جماعة من أصحاب رسول الله ، ثم هو شاعر وراجز مُجيد مُطيل مُكثر ، وشعره كثيرُ الغريب أحياناً فصيح الالفاظ أحياناً أخرى . وتراكيبه صحيحة متينة . أما فنونه فهي المدح والهجاء والغزل ، وله تَشْبيبٌ بِعجوزٍ . وله شيء من الخمر (الموشح ٢٤٤) .

٣ — المختار من شعره :

— قال أبو وَجْزَةَ لابْنِه عُبيدٍ (يتخيل أنه يُحَمِّلَ شخصاً رِسالةً يُبَلّغها إلى عبيد) :

يا راكبَ العَنْسِ كمِرداةِ العَلَمْ — أصلحك اللهُ وأدنى ورَحِمْ [2] ،
إنْ أنت أبلغتَ وأدّيْتَ الكَلِمْ — عني عُبيدَ بنَ يزيدٍ لو عَلِمْ [3] —
قد علمَ الأقوامُ انْ سَيَنْتَقِمْ — منكَ ومن أمٍّ تَلَقّتْك وعَمّ
رَبٌّ يُجازي السيّئاتِ مَنْ ظَلَمْ. — أنذرتُكَ الشّدّةَ من لَيْثٍ أضِمْ [4]

---

١ هنالك في رواية أبي وجزة الحديث عن أبيه موضع نظر : كيف يمكن أن يكون عبيد (والد أبي وجزة) من رواة الحديث ثم لا يعلم « أن لا رق في الاسلام » حتى أيام عمرو بن الخطاب وبعد أن يكون مولاه قد أساء اليه ؟

٢ العنس : الناقة الصلبة . المرداة : الصخر الكبير الصلد . العلم : الجبل . — أيها المسافر على هذه الناقة القوية الشديدة (التي تستطيع أن تصل إلى المكان البعيد) . اصلحك الله وأدناك (من المكان الذي تقصده : أوصلك اليه) ورحمك .

٣ لو علم (مغبة ما يفعل. يبدو أن أبا وجزة لم يكن مرتاحاً إلى سلوك ابنه ولا مسروراً بمعاملة امرأته ومعاملة أخيه — عم ابنه) .

٤ « رب » فاعل « سينتقم » (في البيت السابق) . « من » مفعول بـه من « يجازي » (رب يجازي الذين ظلموا بسيئات مثل سيئاتهم) . الشدة (بفتح الشين) : الحملة ، الهجمة ، الوثبة . اضم : غاضب (يقصد أبو وجزة بقوله « من ليث أضم » نفسه) .

عادٍ أبي شِبْلين فَرفارٍ لَحِمِ . فَارْجِعْ إلى أمِّكَ تُفرِشْكَ ونَمْ [1] :
إلى عجوزٍ رأسُهـا مثل الإرَم ، وَاطْعَمْ فإنَّ اللهَ رَزّاقُ الطُعَمْ [2] !

— وقال أبو وجزة يمدح عبدَ الملكِ بنَ يزيدَ بنِ محمدِ بن عطيةَ السَّعديَّ بقصيدة أولها غزلٌ ونسيب رقيقان :

حَنَّ الفُؤادُ إلى سُعْدى ولم تُثِبِ . فِيمَ الكثيرُ من التَحْنان والطَرَبِ [3] !
قالت سُعادُ : أرى من شيبهِ عَجَباً ؛ مهلاً ، سعادُ ، فما في الشيب من عجب .
أما تَرَيْني كساني الدهرُ شَيْبَتَهُ ، فإنَّ ما مَرَّ منه عنك لم يَغِبِ [4] .
سَقْياً لسُعْدى على شيبٍ ألَمَّ بنـا وقبلَ ذلك : حينَ الرأسُ لم يَشِبِ [5] .
أهدي قِلاصاً عناجيجاً أضَرَّ بها نَصَّ الوجيف وتقحيمٌ من العُقَبِ [6]
يَقْصِدْنَ سَيِّدَ قيسٍ وابنَ سيدِها والفارسَ العِدَّ منها غيرَ ذي الكَذِبِ [7] .
مُحَمَّدٌ وأبوه وَابْنُهُ صنعـوا له صنائعَ من مجدٍ ومن حسب [8] .
إني مدحتُهمُ لمّا رأيت لهم فضلاً على غيرِهم من سائرِ العرب .

---

١ عاد : عدو ظالم . أبو شبلين : له ولدان (وذلك أبو وجزة نفسه) . الفرفار : الذي يفرفر الأشياء (يكسرها ، يحطمها) . لحم : ضار ، أكول اللحم . فارجع إلى أمك (تعيش في بيتي وأنا لها كاره) . تفرشك : تجعل لك فراشاً (في بيتي) .

٢ الارم : الحجارة .... ثم كل أيضاً في بيتي ، فان الذي تأكله (في بيتي) هو رزقك من الله الذي يرزق الناس كلهم ما يعيشون به .

٣ لم تثب : لم تنسل ، لم تصل (لم تمنحك ودها) . التحنان والطرب : التشوق والحزن (لقد جربت حبها فلم تنل منها وداً ، فلماذا هذا الاستمرار في الشوق اليها والحزن على ما يفوتك منها ؟) .

٤ .... ان الذي مر بي (أصابني من الدهر) لم يغب عنك (لقد عرفته) .

٥ سقى الله أيامنا مع سعدى ما أحسنها قبل أن أشيب و بعد أن شبت .

٦ أهدي (أدل ، اركب في السفر إلى مكان المحبوبة) قلاصاً (نياقاً) عناجيج (كريمة ، فتية) أضر بها (أهزلها ، جعلها نحيلة لبعد السفر ومشقة الطريق) نص (اجهاد الناقة بالسير) الوجيف : سير الابل (بسرعة) وتقحيم (موالاة السفر بلا راحة) من العقب (جمع عقبة بضم العين : النوبة، المرحلة من السير) . يقول : ان ناقته لا ترتاح بين سفر ليلة وسفر ليلة أخرى ، بل هو يسافر عليها ليلا ونهاراً .

٧ العد (بكسر العين) : الماء الذي لا ينفد . القرن (بكسر القاف) : الشجاع، الكفوء لكل خصم . الكذب : التراجع في المعركة والجبن .

٨ محمد (جد عبد الملك الممدوح) وابوه (عطية : والد جد الممدوح) وابنه (ابن محمد ، أي يزيد : والد الممدوح) . صنائع جمع صنيعة : فعل حميد .

إلاّ تُثيبْني بهِ لا يَجزِني أحدٌ . ومن يُثيبُ إذا ما أنت لهم تُثِب[1] ؟

– وكان أبو وجزة السعدي أحدَ من شبّب بعجوزٍ[2] :

يا أيّها الرجلُ المُوكّلُ بالصِبا ، فيمَ ابنُ سبعينَ المُعَمَّرُ من دَدِ[3] !
حتامَ أنتَ مُوكّلٌ بقديمةٍ أمست تَجَدّدُ كاليَماني الجيّدِ[4] .
زان الجلالُ كمالَها ، ورسا بها عقلٌ وفاضلةٌ وشيمة سيّدِ[5]
ضَنّتْ بنائلِها عليكَ ، وأنتما غِرّانِ في طَلَبِ الشبابِ الأغيد[6] ،
فالآنَ ترجو أن تُثيبكَ نائلاً ، هيهاتِ ! نائلُها مكانَ الفرقَدِ[7] .

٤ – ** الاغاني ١٢ : ٢٣٨ – ٢٥٢ .

واصل بن عطاء

١ – وُلِدَ أبو حُذيفةَ واصلُ بن عَطاء في المدينة سنة ٨٠ هـ (٦٩٩ م) ، وكان مولى لبني ضَبّة أو لبني مخزوم . ثم ان واصلاً هاجر إلى البصرة في مطلع حياته ولَقِيَ هنالك الحسنَ البصري ، والحسن في أواخر عمره . أما سبب الخلاف بينه وبين الحسن البصري فمبسوط في ترجمة الحسن .

---

١ إذا أنت لم تعطني (على هـذا المدح) لم يجزني أحـد : لم يعطني أحد غيرك (لن أجد أحداً غيرك يستحق المديح) . « ما » في الشطر الثاني زائدة . ورواية بعض الكلمات واردة باختلاف يسير عند ابن قتيبة (الشعر والشعراء ٤٤٢) .

٢ غ ١٢ : ٢٤٢ ؛ الشعر والشعراء ٤٤٢ (من قصيدة يمدح بها بني الزبير بن العوام) .

٣ الموكل بالصبا : المتعلق بالهوى . الدد : اللعب واللهو .

٤ قديمة : امرأة قديمة ، مسنة . تجدد كاليماني الجيد (تجدد لون وجهها حتى تجعله في كل مرة كالنسيج اليماني بألوانه المختلفة !) .

٥ تزين كمالها بجلال (بوقار وهدوء ؛ وليس ذلك من صفـات المرأة التي تصلح للغزل) . الفاضلة : الفضيلة .

٦ – بخلت عليك بنائلها (بوصالها) لأنها لا تستطيعه . وانتما غران : أنتما مغروران تطلبان في مثل سنكما (في الشيخوخة) شيئاً يطلبه الناس في الشباب . الاغيد : اللين .

٧ مكان الفرقد : بعيد يستحيل الوصول اليه . الفرقد : اسم على عـدد من النجوم أحدهما « النجم الذي يهتدي النـاس بـه في أسفارهم » (راجع القاموس ١ : ٣٢٣) ، لعله النجم القطبي أو نجم قريب منه .

ويبدو أن واصلاً كان قد اتّصل بجَهْم بن صَفْوانَ [1] وبشارِ بن بُرْد [2] وصادقهما من غير أن يتأثر بآرائهما . وكذلك كان قد اتّصل بعمرو بن عُبيد وأصْهر اليه [3] . وألِفَ واصلٌ سوقَ الغَزْل بالبصرة ، وكان يُجالس فيه أبا عبدالله مولى قَطَن الهِلالي [4] ، فلقّب بالغزّال .

وتوفّي واصل سنة ١٣١ هـ (٧٤٨ م) .

٢ – واصل بن عطاء رأسُ المعتزلة الذين يُقدّمون العقل (الأخذ بما يُوجبه العقلُ والمنطق) على النقل (الاخبار من طريق الرواية الدينية) إذا تعارض العقل والنقل . ويقول واصلٌ بأربعِ قواعدَ [5] :

(أ) نَفْيِ الصِفاتِ عن الله (لأننا لو قلنا ان لله صِفةً كالعِلم والارادة والسمع الخ ... لاقتضى أن تكون تلك الصفة قديمةً ، فتشاركَ اللهَ في القِدَمِ ؛ والقِدَمُ أخص صفاتهِ فكأننا نقول حينئذ بقديمين ، أي إلهين .

(ب) القولِ بالقَدَرِ ، أي بقُدْرَةِ الانسانِ على أعماله (إن الانسان مُخَيَّرٌ يفعلُ الخيرَ والشرَّ باختيارهِ وارادتهِ) .

(ج) القول بالمنزلةِ بين المنزلتين (إن مرتكب الذنب الكبير ليس مؤمناً حقّاً ولا كافراً مطلقاً ، ولكنّه فاسق : بين المؤمن والكافر) .

(د) كان أهلُ السُنّة والجماعة (المسلمون الأولون) يعتقدون أن المسلمين

---

١ جهم بن صفوان (قتل ١٢٨ هـ = ٧٤٦ م) ، كان يقول بالجبر (بأن الانسان مجبر على أعماله) وبخلق القرآن .

٢ بشار بن برد (قتل ١٦٦ أو ١٦٧ أو ١٦٨ هـ=٧٨١ – ٧٨٤ م) ، وكان زنديقاً قليل الاحتفال بأوامر الدين ، وكان يفضل ابليس على آدم لأن ابليس من نار وآدم من تراب ، والنار أفضل (في قول المانوية وقول بعض الفلاسفة) من التراب .

٣ عمرو بن عبيد (ت١٤٤ هـ = ٧٦١ م) من الزهاد المشهورين ومن أتباع واصل بن عطاء؛ وكان واصل قد تزوج أخت عمرو .

٤ الكامل ٥٤٦ ؛ البيان والتبيين ١ : ٣٣ . هنالك من يقول ان واصلا كان غزالا فعلا ، ومنهم من يقول ان واصلا كان يجلس في سوق الغزل لأن اللواتي يعملن في غزل الصوف في بيوتهن يكن من المتعففات المحتاجات ؛ فكان واصل يتصدق عليهن .

٥ راجع فوق (ص ٣٥٦ ، ٦٤٥ – ٦٤٦) ثم الشهرستاني ١ : ٥٧ – ٦٢ .

الذين اقتتلوا في معركة الجمل ومعركة صِفّين ليسوا مخطئين لأن كل فريق اجتهد برأيه وعمل باجتهاده فهو مُصيب في ما قصده ولا ذَنْبَ عليه . ولكنّ واصلاً قال : إنّ أحد الفريقين فاسقٌ لا مَحالةَ .

قالوا [1] : « كان واصلُ بنُ عطاء أحدَ الأعاجيب ، وذلك أنه كان ألثغَ قبيحَ اللثغة في الزاء فكان يُخلّص كلامه من الراء ولا يُفطَنُ لذلك لاقتداره وسهولة ألفاظه .... معَ إطالته الخطب واجتنابه الراء على كثرة تردادها في الكلام حتّى كأنّها ليست فيه .... وممّا يُحكى عنه ، وذَكَرَ بشاراً : « أما لهذا الأعمى المُكْتَنَى بأبي مُعاذ من يقتُله . أما ، والله ، لولا أن الغيلة خُلُقٌ من أخلاق الغالية [2] لبعثتُ اليه من يَبْعَجُ بطنَه على مَضْجَعه ثم لا يكون (ذلك الذي أبعثه) إلاّ سَدوسيّاً أو عُقيليّاً [3] » . قال : هذا الاعمى ، ولم يقلْ : بشاراً ولا ابنُ بَرْدٍ ولا الضريرُ ؛ وقال : من أخلاق الغالية ، ولم يقل : من أخلاق المُغيرية ولا المَنصورية ؛ وقال : لَبَعَثْتُ اليه، ولم يقل : لأرسلت اليه ؛ وقال : على مضجعه ، ولم يقل : على فِراشه ولا مَرْقَده ؛ وقال : يبعج ، ولم يقل : يَبْقُر .

٣ — المختار من كلامه :

وَلِيَ عبدُ الله بنُ عُمَرَ بنِ عبدِ العزيز الكوفة والبصرة (١٢٦ ﻫ = ٧٤٤ م) ليزيدَ بنِ الوليد فدخل عليه قوم فيهم شَبيبُ بن شَيبةَ وخالد بن صَفوان والفضل بن عيسى وواصل بن عَطاء ، فخطب شبيبٌ وخالدٌ والفضل ؛ ثم ارتجل واصلٌ خطبة عَرِيّةً من الراء قال فيها :

الحمدُ لله القديمِ بلا غاية ، الباقي بلا نهاية ، الذي علا في دُنُوّه ودنا في عُلُوّه فلا يَحْويه زمانٌ ولا يُحيط به مكانٌ ولا يَؤودُه [4] حِفْظُ ما خَلَقَ ، ولم

---

١ الكامل ٥٤٧ — ٥٤٨ ؛ راجع الكلام على لثغة واصل بن عطاء بالتفصيل (البيان والتبيين ١ : ١٤ — ١٧ ، ٢١ — ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٢ — ٣٣ ، ٣٦ ، ٣ : ٣٥٦).

٢ المغيرية والمنصورية من الغالية (من الشيعة المتطرفين كالباطنية) .

٣ كان بشار ينتسب بالولاء إلى بني عقيل ، وينزل في بني سدوس . — يقصد : لأرسلت اليه قريباً له (من قومه وجيرانه) ليقتله .

٤ يؤده : يعجزه .

يَخلُقُه على مِثال سَبَقَ ، بل أنشأه ابتداعاً وعدّله اصطناعاً فأحسنَ كلّ شيءٍ خَلْقَهُ وتَمَّم مَشيئته وأوْضَح حِكْمته فدلّ على ألوهيّته فسُبحانه لا مُعَقِّبَ لحُكْمِه ولا دافعَ لقضائه : تَواضعَ كلّ شيءٍ لعظَمته وذلّ كلّ شيء لسُلطانه ووَسِعَ كلّ شيء فضلُه ؛ لا يَعزُبُ عنه مِثقالُ حبّةٍ [1] ، وهو السميع العليم ...

عبد الحميد بن يحيى الكاتب

١ — هو أبو غالبٍ عبدُ الحميد بنُ يحيى بنِ سعد ، وكان جَدّه سعدٌ مولى العَلاء بن وَهْبٍ العامري من بني عامر بن لُؤيّ بن غالب ؛ وكان يُعرَفُ بعبد الحميد الأكبر [2] تمييزاً له من عبد الحميد الاصغر الذي كان كاتباً لسليمان ابن عبد الملك [3] .

ولعلّ مَوْلدَ عبدِ الحميد بن يحيى كان في سنة ٦٠ ه (٦٨٠ م) في مدينة الأنبار على نهر الفُرات ثم انتقل به أهلُه إلى الرّقّة ، وكانت نشأتُه في الشام . ومن الواضح أن عبد الحميد لم يكن عربياً ، بل كان مولّداً : فارسيّاً أو آراميّاً .

وتكسّب عبد الحميد بن يحيى في أول أمره بتعليم الصبيان . ثمّ انّه تعلّم صِناعة الكتابة على خَتَنِه (صِهره ، زوج اخته) أبي العلاء سالم بن عبد الله مولى هشام بن عبد الملك وكاتبه [4] .

وفي العِقد الفريد [5] أن عبد الحميد بن يحيى كَتَبَ ليزيدَ بن عبد الملك (١٠١ — ١٠٥ ه) . ثم ان عبد الحميد اتّصل بمروان بن محمّد بن مروان في أثناء وِلاية

---

١ لا معقب لحكمه : لا راد له . يعزب عنه : يغرب ، يغيب ، يفوته علم ذلك . مثقال : مقدار ، وزن .

٢ البيان والتبيين ١ : ٢٠٨ ؛ العقد ٤ : ٢١٨ ، ٢٢٤ ؛ غير أن بروكلمان (الملحق ١ : ١٠٥) يجعل عبد الحميد بن يحيى هذا « عبد الحميد الاصغر » .

٣ العقد ٤ : ٢١٩ .

٤ الفهرست ١١٧ .

٥ العقد ٤ : ٢١٩ .

مروانَ بن محمّد على أرمينية وآذربيجان (١١٤ – ١٢٦ هـ) وكتب له وأحسن خدمته . فلمّا انتقلتِ الخلافةُ إلى مروان بن محمّد في أوائل ١٢٧ هـ (أواخر ٧٤٤ م) انتقل معه عبد الحميد من أرمينية إلى دِمَشْقَ وأصبح الكاتب الأول (رئيس ديوان الانشاء) في الخلافة الأمويّة .

لمّا انتصرتِ الدعوةُ العبّاسية كان عبد الحميد بن يحيى في من قُتِلَ من أشياع بني مروان ؛ وكان مقتله مَعَ مروان بن محمّد ، في الاغلب ، في بوصير من أرض الفيوم بمصر ، في ٢٦ من ذي الحِجّة ١٣٢ هـ (٥–٨–٧٥٠ م) .

٢ – يبدو أن ثقافة عبد الحميد بن يحيى في العلوم الاسلامية والعلوم العربية كانت واسعةً ، ولا نستطيع أن نَجزِمَ بمقدارِ ما كان يَعْرِفُه من الفارسية والأرمنية مثلاً . لمّا نَقَلَ صالحُ بن عبد الرحمن ديوان العراق من الفارسية إلى العربية[1] « كان عبد الحميد بن يحيى يقول : لله دَرّ صالحٍ ما أعظمَ مِنّتَه على الكتّاب » (الفهرست ٢٤٢) .

وعبد الحميد بن يحيى كاتب مترسّل جعل من الترسّل فنّاً قائماً بنفسه له قواعدُه وأصوله ، وهو أول من أطال الرسائل واستعمل التحميدات في فصول الرسائل[2] وأطالها ... وعنه أخذ المترسّلون ولطريقته لَزِموا ، وهو الذي سهّل سبل البلاغة في الترسّل (الفهرست ١١٧) ثم جعل من الكتابة الديوانية صِناعة من الصناعات . ورسائل عبد الحميد كثيرة تبلغ نحو ألف ورقة (٢٠,٠٠٠ سطر) منها الرسائل القِصار جداً والرسائل الطِوال جداً ؛ وبعضها في أغراض غير ديوانية بَحْتٍ .

قال أبو هلال العسكري (توفي ٣٩٥ هـ = ١٠٠٥ م) : « وكان عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلةَ الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي فحوّلها إلى اللسان العربي »[3] . ويتابع أبو هلال العسكري كلامه فيقول : « ويدلك على ذلك

---

١ راجع ، فوق ، ص ٣٥٢ .

٢ في بدء كل مقطع من مقاطع الرسالة الواحدة .

٣ ديوان المعاني (عنيت بنشره مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٢ هـ) ص ٢ : ٨٩ ؛ راجع أيضاً كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ١٣٧١ هـ = ١٩٥٢م) ص ٦٩ .

أيضاً أن تراجم خطب الفرس ورسائلهم **هي على نَمَط خطب العرب ورسائلها**، وللفرس أمثال مثل أمثال العرب معنىً وصيغة(؟)، وربّما كان اللفظ الفارسي في بعضها **أفصحَ** من اللفظ العربي .... »

وبين الدارسين العرب وغير العرب خلاف على الأصل الذي اشتقّ منه عبدُ الحميد بن يحيى **أسلوبَه**[1] .

لا خلافَ في أن العرب قد نقلوا عدداً من كتب الفرس في السياسة وآداب السلوك ، من أجل ذلك نجد عدداً كبيراً من **المعاني** في السياسة والسلوك وغيرهما في كتابات العرب وأشعارهم منذ الجاهلية أيضاً معروفة مألوفة في الأدب العربي ، ولكن ما **صلة أسلوب عبد الحميد** بالاسلوب الفَهْلوي ؟

لا يمنعُ مانعٌ من أن يكونَ أسلوبُ عبدِ الحميد الكاتبِ في ترسّله قد **تأثّر** بشيء من الاسلوب الفَهلويّ في الخصائص اللفظية . غير أننا اليومَ لا نستطيع الجزمَ في مَدى ذلك الأثرِ ، ما لم يَقُمْ علماءُ اللغة الفَهلوية من المُستعربين ويستخرجوا من النصوص الفهلوية الباقيةِ خصائصَ **الاسلوبِ الفهلوي** في العهدِ الساسانيّ ثم يُوازنوا بينها وبين أسلوبِ عبد الحميد . على أن مثل هذا الجُهْدِ لن يكونَ كبيرَ الجَدْوى في ما أرى . قال الجاحظ[2] ! « ونحنُ لا نستطيعُ أن نعلمَ أن الرسائل التي بأيدي الناسِ للفرسِ ، أنها صحيحة غير مصنوعة ، وقديمةٌ غير مولّدة ، إذْ كان مثلُ ابنِ المقفّع وسهل بن هرون وأبي عبيدَ الله وعبدِ الحميد وغَيْلانَ يستطيعون أن يُولّدوا مثل هذه الرسائل ويصنعوا مثل تلك السِيَرِ » .

ثم ان هذا الاسلوبَ الانيقَ القائمَ في الدرجة الأولى على الموازنة[3] وعلى التّكرار في المواضع التي يَحتاج فيها القارئ إلى التكرار لإدراك مقاصدها واستيعاب معانيها وما يتّصل بذلك من الجِناس والطِباق معروف لدى العرب

---

[1] في كتاب « تطور الأساليب النثرية » للأستاذ أنيس المقدسي (الطبعة الأولى ١ : ١٥٦ – ١٥٩) كلام على خصائص عبد الحميد ومختارات من رسائله .

[2] البيان والتبيين ٣ : ٢٩ . « أنها » زائدة . ابو عبيد الله الكاتب وغيلان الدمشقي القدري (البيان والتبيين ١ : ٢٩٥) .

[3] الموازنة في البلاغة بناء جمل من كلمات تتقارب في العدد وفي الصيغ .

منذ الجاهلية قبل أن يتّصل العرب بالفرس اتّصالاً يُطْلِعهم على الاساليب الأدبية في اللغة الفهلوية . ثم إنّ في القرآن الكريم نماذجَ كثاراً من ذلك . وخُطَبُ العرب ورسائلهم قبل عبد الحميد كلّها مُمَهِّدة إلى ذلك الإغراق والتكلّف اللذين قَصَدَ عبدُ الحميد اليهما في رسائله .

في عام ١٩٤١ تقدّم مُحمّد مُحَمّدي إلى الجامعة الاميركية في بيروت برسالة (أطروحة) لنيل درجة أستاذ في الأدب موضوعها : « النظم الإدارية الساسانية في دولة الخلفاء الراشدين وما ظهر لها من أثر في الأدب العربي »[١] . في هذه الرسالة جُهْدٌ أبداه صاحبُه في جمع الشواهد على تأثر العرب بألوان الحياة الفارسية ، وخصوصاً من المصادر العربية . أن محمّد محمّدي قد مسّ الاسلوبَ الفهلويّ والاسلوبَ العربي مسّاً رفيقاً جداً (ص ٤٥ ، ٨٩) ثم قال (ص ١٢٢) : « إن الكتبَ والرسائلَ الفارسية كانت تفرّغ في العصر الساساني في قالب فنّي وسبك صناعيّ مقرّر وكان الكتّاب يُعْنَوْنَ بذلك عناية بالغة ، وكان يظهر فيها المَيْل إلى الصنايع البلاغية والمحاسن اللفظية بحيث كانت تُعَدّ من القطع الأدبية وتتجلّى فيها الظرافة والجمال » . ويشير محمّد محمّدي ، في أثناء ذلك ، إلى كتاب كريستنسن[٢] « ايران في عهد الساسانين » . غير أن المصادر الفهلوية الباقية لنا ، على ما ذكره كريستنسن (ص ٣٧ — ٦٠) ، لا تفي بشيء من الموازنة التي نحن بسبيلها .

فإلى أن يقومَ عالم بالأدب الفهلوي والأدب العربي ثم نجد نصوصاً فهلويةً صالحة لمثل هذه الموازنة يظلّ عبدُ الحميد الكاتب صاحبَ فنِّ الترسّل الذي شُهِرَ به ، استخرجه من الأساليب العربية السابقة على زمانه مع الإيغال في الصناعة المعنوية ثم الصناعة اللفظية خاصّة .

وكان لعبد الحميد الكاتب شيء يسير من الشعر ، قال الجاحظ[٣] : « وكان

---

١ رسالة غير مطبوعة في مكتبة الجامعة الاميركية في بيروت ، رقمها T 37 A .

٢ ايران في عهد الساسانيين ، ألفه بالفرنسية أرثر كريستنسن ، ترجمه يحيى الخشاب وراجعه عبد الوهاب عزام (نشرت هذا الكتاب وزارة التربية والتعليم — الادارة العامة ، قسم الترجمة) ، القاهرة (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ١٩٥٧ م :

L'Iran soue les Sassanides , par Arthur Christensen , 2 ème éd. Copenhague (Munkesgaard) 1944 .

٣ البيان والتبيين ١ : ٢٠٨ .

عبد الحميد الأكبرُ وابن المقفّع ، مع بلاغة أقلامهما وألْسِنَتِهما ، لا يستطيعان من الشعر إلاّ ما لا يُذْكَرُ مِثْلُه » (لانحطاطه عن مُستوى الجَوْدة) . على أن ابن قُتَيْبة[1] روى لعبد الحميد أبياتاً من الرَجَز .

٣ - المختار من رسائله :

- لعبد الحميد بن يحيى الكاتبِ تحميدٌ كَتَبَ به بعدَ أحد الفتوح (الانتصارات) . وهذا تحميدٌ مشهور يُسمَع بعضُه أحياناً في مُقدمة خُطبة يوم الجُمُعة :

الحمدُ لله العليِّ مكانُه ، المنيرِ برهانُهُ ، العزيزِ سلطانُه ، الثابتةِ كلماتُه ، الشافيةِ آياتُه ، الذي قَدَرَ على خلقه بمُلْكه ، وعزّ في سماواته بعظمته ، ودبّرَ الأمورَ بعِلمه ، وقدّرها بحُكمه على ما يشاء من عَزْمه ، مُبْتَدِعاً لها بإنشائه إياها وقدرته عليها واستصغارِ عظمها .... لا تجري إلاّ على تَقْديره ، ولا تنتهي إلاّ على تأجيله ، ولا تَقَعُ إلاّ على سَبْقٍ مِنْ حَتْمِه ، كلّ ذلك بلُطفه وقُدرته وتصريفِ وَحْيه ، لا مَعْدِلَ لها عنه ولا سبيلَ لها غيرُه ، ولا يَعْلَمُ أحدٌ بخفاياها ومَعادها إلاّ هو ، فإنه يقول في كتابه الصادق[2] : « وعِنْدَهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُها إلاّ هو ، ويَعْلَمُ ما في البَرِّ والبَحْرِ ؛ وما تَسْقُطُ من وَرَقَةٍ إلاّ يَعْلَمُها ، ولا حبّةٍ في ظُلُماتِ الأرضِ ولا رَطْبٍ ولا يابسٍ إلاّ في كتابٍ مُبين » .

- في سنة ١٠٦ وسنة ١١٥ وسنة ١١٦ هـ (٧٢٤ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ م) وَقَعَ في الشام طواعينُ . ويبدو أن هِشامَ بن عبد الملك أراد أن يكتبَ إلى الوُلاة ، في إحدى هذه السنوات ، ما يُطَمْئِنُهُمْ ويَزْجُرُ الرعيةَ عن الإرجاف والفِتَن ، فكتب عبد الحميد بن يحيى إلى يوسفَ بنِ عُمَرَ بنِ محمد بن الحكم الثقفي والي اليمن (١٠٦ - ١٢٠ هـ) رسالةً جاء فيها :

.... فان أمير المؤمنين كتب إليك ، وهو في نِعَمِ الله عليه وبلائه عنده في وَلَده وأهل لُحْمَتِه[3] ، والخاصَّ من أموره والعامَّ ، والجنودِ والقواصي

---

١ الشعر والشعراء ٥٥٣ .

٢ القرآن الكريم - سورة الانعام (٦ : ٥٩) .

٣ أهل لحمته : أقاربه .

والثغور والدَّهْماء[1] من المسلمين ، على ما لم يزل وَلِيَّ النِعَم يَتَوَلاّه من أمير المؤمنين حافظاً له فيه ، مُكرماً له بالحياطة لِما ألْهَمَهُ اللهُ فيه من أمر رَعِيَّتِهِ على أعْظم وأحسنِ وأكملِ ما كان يَحُوطُه فيه ويَذُبّ له عنه[2] . والله محمودٌ مشكور اليه فيه مرغوب .

وأحبّ أميرُ المؤمنين — بسرورك به — أن يكتبَ اليك بذلك لتَحْمَدَ اللهَ عليه وتَشْكُرَهُ به ، فان الشكرَ من الله بأحسنِ المواضع وأعظمِ المَنازل ؛ فازْدَدْ منه تَزْدَدْ بـه ، وحافظْ عليه تُحْفَظ به ، وارْغَبْ فيه يَهْدِ إليك مَزيدَ الخيرِ ونفائسَ المواهب وبقاءَ النِعَم . **فاقْرَأ على مَنْ قِبَلَكَ كتابَ أميرِ المؤمنين لِيُسَرَّ به جُنْدُك ورعيّتك ومَنْ حَمّلَه اللهُ النِعَمَ بأميرِ المؤمنين** ليَحْمَدوا ربّهم على ما رزق اللهُ عبادَه من سلامة أميرِ المؤمنين في بَدَنِه ، ورأفتهِ بهم واعتنائهِ بأمورهم ، فإن زيادةَ اللهِ تعلو شُكرَ الشاكرين . والسلام !

— رسالة موجزة في التوصية بصاحب حاجة :

« حق مُوصِلِ كتابي إليك كحقه عليّ ، إذْ جَعَلَكَ موضعاً لأمله ورآني أهلاً لحاجته . وقد أنجزتُ حاجتَه فصَدِّقْ أمَلَه » .

— رسالة موجزة في الرد على عامل أهدى إلى مروان عبداً أسودَ :

« لو وجدتَ لوناً شرّاً من السواد وعدَداً أقلّ من الواحد لأهديتَه ، والسلام » .

— رسالة مطولة جداً ، بل هي أطول رسائله ، كتبها إلى أبي مسلم الخراساني لما اتسعت دعوةُ بني العبّاس . قيل ان الرسالة حُمِلَتْ على جملٍ لطولها (المقصود أن الرسالة طويلة جداً وليس معنى ذلك انه كتبت على ورقٍ مقدارِ حمل جمل) .

وتقول الرواية إنّ أبا مُسْلمٍ أحرق هذه الرسالةَ لما وصلت اليه ، ولم يُعْرَفْ منها بعد ذلك إلاّ الجملة التالية :

---

[1] القواصي جمع قاصية : البعيدون عن حضرة الخليفة عن العاصمة . الثغور جمع ثغر : أطراف البلاد ، المواضع التي يخشى منها مجيء العدو ، طلائع الجند التي تحمي الحدود . الدهماء : جماعة الناس ، السواد الاعظم .

[2] يذب عنهم : يدفع عنهم ، يحميهم .

« ... إذا أراد الله إهلاكَ نَمْلة أنبتَ لها جناحين ... »

– رسالة مطولة [1] في نصيحة ولي العهد عبدِ الله بن مروان بن محمد – وكان على الجزيرة – لما خرَجَ الضحّاكُ بن قيسٍ الشَيْباني على الامويين ١٢٧ – ١٢٨هـ = ٧٤٤ – ٧٤٥ م) :

« أمّا بعدُ ، فإن أميرَ المؤمنين عندما اعتزمَ عليه من توجيهكَ إلى عدوِ الله الجِلْفِ الجافي ... أحبّ أن يَتَعَهَّدَ ... عهداً يُحَمِّلُك فيه أدبَه ويَشْرَعُ لك عِظَته ، وان كنتَ – والحمدُ للهِ – من دينِ الله وخلافته بحيث اصطنعك لِولاية العهدِ ...

« اعلمْ أن للحكمة مَسالكَ تُفضي مَضايقُ أوائلها ... إلى سَعَةِ عاقبتها ... وقد تَلَقَّتْكَ أخلاقُ الحكمة من كل جهة بفضْلِها من غير تعبِ البحثِ في إدراكها ...

« واعلم أن كل أعدائك لك عدوٌّ يُحاولُ هَلَكَتَك ويعترض غَفْلَتَك لأنها خِدَعُ إبليسَ وحبائلُ مكرِه ومَصائدُ مَكيدتِه فاحذرْها مُجانِباً ... وجاهِدْها إذا تناصرتْ عليك بعزمٍ صادقٍ لا وِنْيَةَ فيه ، وحَزْمٍ نافذٍ لا مَثْنَوِيَّةَ لرأيك بعد إصدارِه عليك ، وصِدْقٍ غالِبٍ لا مَطْمَعَ في تكذيبه ... فاجتلبْ لنفسكَ محمودَ الذكر وباقيَ لِسانِ الصِدْقِ بالحذر لِمّا تَقَدَّمَ فيه أميرُ المؤمنين ... »

– رسالة إلى الكُتّاب – هذه رسالة تخرج عن معنى الرسائل الإدارية ، إنها في الحقيقة « موضوعٌ في رسالة » أو هي أساسٌ لكتابٍ يُؤَلَّف في آداب الكتابة وقواعدها . وفي هذه الرسالة فكرة اجتماعية جديدة في تاريخ العرب وتاريخ غير العرب أيضاً ، فان عبد الحميد نظر إلى « كُتّاب الدواوين » على أنهم هيئة منظّمة ونِقابة محدودة . فأوصى بعضَ الكتّاب ببعضٍ وحثّ الاقوياءَ منهم وذوي الجَدّ واليَسار على مُساعدة الفقراء ومن عجَز عن متابعة صِناعته :

« أما بعدُ ، حَفِظَكُمُ اللهُ ، يا أهلَ صناعة الكتابة ... فان الله عزّ وجلّ جعل الناسَ بعد الأنبياء والمرسلين ، صَلَواتُ الله وسَلامُه عليهم أجمعينَ ،

---

[1] صبح الأعشى ١ : ١٩٥ – ٢٣٣ ، رسائل البلغاء (الطبعة الثانية) ١٣٩ – ١٦٤ .

ومن بعد الملائكة المُقرّبين أصنافاً – وإنْ كانوا في الحقيقة سَواءً – وصرّفهم في صنوف الصناعات وضُروب المُحاولات إلى أسباب مَعاشِهم وأبواب رِزقهم. فجعلكم – معشرَ الكُتّاب – في أشرف الجِهات، أهلَ الادب والمُروءات. بِكُم تنتظم للخلافة محاسنُها وتستقيم أمورُها ... فموقِعُكم من الملوك مَوْقعُ أسماعِهمُ التي بها يسمعون وأبصارِهم التي بها يُبْصِرون، وألْسِنَتِهِمُ التي بها يَنْطِقون وأيديهمُ التي بها يَبْطشون ...

فتنافسوا – يا معشرَ الكُتّاب – في صُنوف الآداب وتفقّهوا في الدينِ وابدأوا بعلمِ كتاب الله عزّ وجلّ، ثم العربيةِ فانها ثِقافُ ألسنتكم. ثم أجيدوا الخطّ فإنه حِلْيَةُ كُتُبكم، وارْوُوا الاشعارَ واعْرِفوا غريبها ومعانِيَها واياَمَ العربِ والعَجَمِ وأحاديثَها وسِيَرَها، فإن ذلك مُعِينٌ لكم على ما تسمو اليه هِمَمُكُم. ولا تُضيعوا النظرَ في الحِساب فانه قِوام كتابِ الخَراج. وارغبوا بأنفُسِكم عن المطامع سَنِيّها ودَنِيّها ... ونزّهوا صِناعتكم عن الدّناءة وارْبأوا بأنفسِكم عن السّعاية والنّميمة.

« وتحابّوا في اللهِ عزّ وجلّ في صناعتكم وتَواصَوا عليها بالذي هو أليَقُ لأهلِ الفضل والعدل والنُبْل من سَلَفِكم. وإن نبا الزمانُ برَجُلٍ مِنْكُم فاعْطِفوا عليه وواسوه حتى تَرْجِعَ اليه حالُه ... وإن أقْعَدَ أحداً مِنْكُمُ الكِبَرُ عن مَكْسبِهِ ولِقاء إخوانه فزوروه وعظّموه وشاوِروه واستظهروا بفضل تجرِبَتِهِ وقديم مَعْرِفته. ولْيَكُنِ الرجلُ منكم على مَنِ اصْطَنَعَهُ واسْتَظْهَرَ بـه ليومِ حاجتهِ اليهِ أحوطَ منه على وَلَدِهِ وأخَبَّ، فإنْ عَرَضَت في الشُّغْل مَحْمَدة فلا يَصْرِفْها إلاّ إلى صاحبه، وإن عرضت مَذَمّةٌ فَلْيَحْمِلْها هو مِنْ دونِه ... »

٤ – رسائل عبد الحميد بن يحيى (الشيخ طاهر الجزائري ومحمّد كرد علي) رسائل عبد الحميد الكاتب، تونس ١٣١٨ هـ.

•• رسائل البلغاء (عُني بجمعها محمّد كرد علي)، مصر (دار الكتب العربية الكبرى لمصطفى البابي الحلبي) ١٣٣١ هـ = ١٩١٣ م.

جمهرة رسائل العرب ٢ : ٤٣٢ – ٤٣٨، ٤٧٣ – ٥٥٦ ؛ عبد الحميد

الكاتب لخليل مردم (م م ع ع ، المجلّد الأول ، ١٩٣٦ م ، ص ٣٩٥ – ٤٠١) ؛ بروكلمان ، الملحق ١ : ١٠٥ ؛

Enc. Isl. (new ed.) I 65 — 66 .

زيدان ١ : ٣٥٥ – ٣٥٦ .

البعيث المجاشعي [١]

١ – هو أبو مالكٍ أو أبو يزيدَ خُداشُ بنُ بِشْرِ بن خالد من بني مُجاشع ابن تميم ؛ وأمّه أصفهانية (وقيل من سِجستان) يقال لها مَرْوة أو وردة (وقيل بل كانت تسمّى فَرْتنا ، كما ورد في شعر جرير ؛ ولكن من المحتمل أن يكون جرير قد كَنّى بفرتنا – في مَعْرِضِ هجائه للبعيث – عن المرأة الفاجرة ، وتلك كناية معروفة في القاموس) ، ولذلك كان يُقال له : ابن حمراء العِجان .

وكان البعيثُ من أهل البصرة دخل في الهجاء بين الشعراء وهاجى جريراً مدةً طويلة وأعانه الفرزدق (الكامل ١٦) . وقد توفي في البصرة نحو سنة ١٣٤ هـ (٧٥١ م) في الاغلب بعد أن أسَنّ .

٢ – ذكر الجاحظ [٢] أن الكميتَ والبعيثَ والطِرِمّاح كانوا شُعراءَ خُطباءَ ، وكان البعيثُ أخطبَهم ؛ أما في الشعر فعدّه ابن سَلاّم [٣] رأسَ الطبقة الثانية من الاسلاميّين (بعد جرير والفرزدق والاخطل) ، ووصفه بأنه فاخرُ الكلام حُرّ اللفظ . وأكثر شعر البعيث الهجاء .

٣ – المختار من شعره :

– ومن البارع الفصيحِ في بخل المعشوق قولُ البعيثِ (ديوان المعاني ١ : ٢٧٧) :

---

١ تمييزاً له من البعيث الهاشمي (راجع الامالي ١ : ١٩٩) .

٢ البيان والتبيين ١ : ٤٥ ، ٢٠٤ ، ٣٧٤ ، ٣ : ١١ ، ٤ : ٨٤ .

٣ طبقات الشعراء ١٢١ .

أزارتْكَ لَيْلى والنجومُ خواضعُ وقد بَهَرَ الليلَ النجومُ الطوالعُ ،
فأعْطَتْكَ آياتِ المُنى ، غيرَ أنها كواذبُ — إن حَصَّلْتَها — وخوادع !
على حينِ ضمَّ الليلُ من كلِّ جانبٍ جناحَيْه ، وانْقَضّتْ نجومُ ضواجعُ [1] .
وأعْجلَها عن زَوْرةٍ لم أفُزْ بها من الصبحِ حادٍ يُزْعِجُ الليلَ ساطع .

— وقال البعيثُ يهجو جريراً :

إذا أيْسَرَتْ مِعزى عَطيّةَ وارْتَعَتْ تِلاعاً من المَرّوتِ أحْوى جَميمُها [2] ،
تَعرّضْتَ لي حتى صَكَكْتُكَ صكّةً على الوجه يكبو لليدين أميمُها [3] .
ألَيْسَتْ كُلَيْبٌ ألأمَ الناسِ كلِّهم ؟ وأنت — إذا عُدّتْ كُليبٌ — لَئيمها ؟

— وله أيضاً في هجاء جرير :

كُليبٌ لئامَ الناسِ ، قد يعلمونها ، وأنت — إذا عدّت — كُليب لئيمها .
أترجو كُليبٌ أن يَجيءَ حديثُها بخيرٍ ، وقد أعيا كُليباً قديمها !

— جاء في البيان والتبيين (١ : ٢٠٤) : قال البَعيثُ الشاعرُ وكان أخطبَ الناس : إنّي ، واللهِ ، ما أرسلُ الكلامَ قضيباً خشيباً ، وما أريد أن أخطب يوم الحفل إلا بالبائتِ المُحَكَّكِ [4] .

٤ — ** Enc. Isl. (new ed.) I 951 — 2.

خالد بن صَفوانَ

١ — هو أبو صَفوانَ خالدُ بنُ صَفوانَ بنِ عبد الله بن عمرو بن الأهتم

١ الضواجع جمع ضاجع : النجم المائل الى المغيب . — صار آخر الليل .
٢ الجميم : العشب . الاحوى : الاصفر اليابس . المروت : أرض لا يجف ثراها (لأنها مستنقع) ولا ينبت مرعاها (بما يكفي لأن ترعاه الماشية) . التلاع : مساقط الماء . عطية : والد جرير . — يقول الشاعر عن معزى أهل جرير أنها أبداً جائعة وأن جريراً وأهله مهتمون دائماً بالبحث عن مراع لها . فاذا رعت هذه المعزى عشباً قليلا يابساً وشعر جرير بشيء من الراحة والفراغ تعرض لي (بدأ يهجوني) . ٣ صك : ضرب . كبا الفرس : سقط على وجهه . الاميم : الذي أصيب رأسه بشق .
٤ قضيباً : مقتضباً (ناقصاً) . خشيباً : فجاً لم يصقل . يوم الحفل : يوم اجتماع الناس . البائت : الذي بات صاحبه يجيل الرأي فيه . المحكك : المنقح ، المهذب .

المِنْقَري التميميّ ؛ ولعلّ أصلَ آلِ الأهتم قومٍ خالد من الحِيرة ، كانوا أُشابةً (أخلاطاً) من الروم فدخلوا في بني مِنْقر (الكامل ٦٤٩) . كان خالد ابن صفوان رجلاً من أهل البصرة معتدلَ القامة أسودَ . ولمّا تقدّمت به السن صَلِعَ وشَمِطَ ثم كُفّ بصرُه . وكذلك كانَ غَنِيّاً ولكن شديدُ البخل . وكان مِطْلاقاً مِزواجاً يحبّ أن يتبدّلَ امرأةً مكانَ امرأةٍ باستمرار .

وَفَدَ خالدُ بن صفوان على عُمَرَ بنِ عبد العزيز فسأله عمرُ أن يَعِظَه فوعظه عِظَةً بكى عمر منها بُكاء شديداً . ووَفَدَ أيضاً على هشام بن عبد الملك أميراً وخليفةً . وقد كانت بينَه وبين بِلال بن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري أميرِ البصرة وقاضيها (توفي ١٢٠ هـ) عداوةٌ ، وكان خالد قد كفّ بصره ، فعذّبه بلالٌ عذاباً شديداً (الكامل ٢٥٣ ، ٦٤٩) .

وأدرك خالد بن صفوان السَفّاحَ العبّاسي وجالسه ثم توفّي سنة ١٣٥ هـ (٧٥٣ م) قبل السفاح بنحو سنة .

٢ - كان خالد بن صفوان خطيباً مُفَوّهاً وفصيحاً بليغاً صاحبَ بديهةٍ ، ولكنّه كان يَلْحَنُ أحياناً فلازم مسجد البصرة حتّى تعلّم الإعراب (الكامل ٢٥٣) . وكان خالد بن صفوان معاصراً لشَبيب بن شَيْبة ومُنافساً له ، وهما أجود الناس خُطباً ، وكان خالد أسنّ من شبيب [١] . وكذلك كان خالد راوية للأخبار بارعاً . وقد جُمِعَ كلام خالد بن صفوان في كتب [٢] كانت متداولة في أيام الجاحظ [٣] . ويَرْوي المبرّد (الكامل ٢٥٤) أن خالد بن صفوان لم يكن يقول الشعر ، بينما ذكره ابن النديم في الذين وضع العلماء كتباً في أشعارهم [٤] ؛ وروى له الجاحظ (البيان والتبيين ١ : ٣٢) أحدَ عَشَرَ بيتاً من الشعر .

٣ - المختار من كلامه :

- إني عاهدتّ اللهَ عزّ وجلّ ألاّ أخلُوا بملك إلاّ ذكّرتُه اللهَ عزّ وجلّ.

---

١ البيان والتبيين ١ : ٤٧ ، ٣١٧ ؛ غ ١٨ : ١٧٣ .
٢ الفهرست ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٥ ، ١٢٥ .
٣ البيان والتبيين ١ : ٣٤٠ .
٤ الفهرست ١٠٤ ، السطر ٤ ، راجع ص ٣ .

— ان جعلكَ الأميرُ أخاً فاجعلْهُ سيّداً ، ولا يُحْدِثَنَّ لك الاستئناسُ بـه غَفْلَةً عنه ولا تَهاوناً .

— إنَّ أولى الناس بالعفو أقدرُهم على العقوبة ، وأنقص الناس عقلاً مَنْ ظَلَمَ مَنْ هو دونه .

— لا تطلُبوا الحاجاتِ في غيرِ حينها ، ولا تطلبوها إلى غيرِ أهلها ، ولا تطلبوا ما لستم له بأهلٍ فتكونوا للمنع أهلاً .

— سأل هشامُ بن عبد الملك خالد بن صفوان عن الاخطل والفرزدق وجرير، فقال خالد[1] :

أما أعظمُهم فخراً وأبعدهم ذِكْراً وأحسنهم عُذْراً وأسيرهم مَثَلاً وأقلّهم غزلاً وأحلاهم عِللاً ، الطامي إذا زَخَرَ[2] والحامي إذا زأر والسامي إذا خَطَر ؛ الذي إن قدر قال ، وإن خَطَرَ صال ، الفصيح اللسان الطويل العِنان فالفرزدق .

وأما أحسنُهم نَعْتاً وأمدحهم بيتاً وأقلّهم فَوْتاً ، الذي ان هجا وضع وإن مدح رفع فالاخطل .

وأما أغزرهم بَحْراً وأرقّهم شِعراً وأهتكهم لعدوّه سِتْراً ، الأغرّ الابلَقُ الذي إن طَلَب لم يُسْبَق وإن طُلب لم يُلْحق فجرير .

وكلهم ذكي الفؤاد رفيع العِماد واري الزِناد !

---

١ غ ٨ : ٨١ .

٢ أبعدهم ذكراً : أشهرهم . أحسنهم عذراً : عتاباً (؟) . وأسيرهم مثلا : أكثرهم أمثالا (حكمة) تسير على الألسن وتنتشر بين الناس . أحلاهم عللا : .... الطامي : (البحر أو النهر على الأصح) ، الطامي أي الكثير الماء الذي يغمر كل شيء . زخر : مد ، علا ، هاج وتدافعت مياهه .

٢ الحامي : المحامي ، المدافع (بالفخر أو بالمجاه) . إذا زأر : إذا غضب ورفع صوته (كالاسد) . السامي : المرتفع ، العالي (المنتصر) . خطر (الفحل) : ضرب بذنبه يميناً وشمالا (كناية عن النشاط والبطر) . ولعلها حضر : عدا (الفرس ، كناية عن الجري والسباق والمنافسة) . هدر : صوت من غير شقشقة (هياج يخرج به الريق إلى الشفتين) ، والملموح أن الذي يهدر هو الذي يكثر الصياح من غير قدرة على الفعل المنتج . قال : أحسن القول وأفصح واجاد الكلام (راجع القاموس ٤ : ٤٢) — إن هدره (أقل كلامه وضوحاً) كلام واضح جيد (بالاضافة إلى كلام غيره) .

– قال خالد بن صفوان لرجل يصف له رجلاً :

ليس له صديق في السر ولا علوّ في العلانية .

– قال خالد بن صفوان (الموشح ٢٣٢) :

فإنْ صورةٌ راقتْكَ فاخبُرْ فربّما أمرّ مَذاقُ العودِ والعودُ أخضرُ !

٤ – معجم الأدباء لياقوت الحموي ١١ : ٢٤ – ٣٥ ؛ بروكلمان ١ : ٥٧ – ٥٨ ، الملحق ١ : ٩٣ ، ١٠٥ .

أبو العباس الأعمى المكي

١ – هو أبو العبّاس الأعمى ، واسمُه السائبُ بن فرّوخ مَوْلى بني جُذيمة ابن عَدِي بن الدِيل بن بكر بن عبد مَناة من بني عبد شمس ؛ أصله من آذربيجان ، ومولده ومنشأه في المدينة . ثم انه انتقل إلى مَكّةَ فكان لا يُفارقها حتّى نفاه عبدُ الله بن الزبير إلى الطائف .

وكان أبو العبّاس الاعمى من شعراء بني أُميّةَ شديدَ التعصّب لهم منحرفاً عن حبّ آل البيت انحرافاً قبيحاً وخصيماً لآلِ الزُبير غيرَ مُصْعَبٍ لأنّ مُصعباً كان يُحسِنُ إليه ، ولمّا مات مُصعبٌ، سنة ٧٢ هـ (٦٩١ م) ، رثاه أبو العبّاس الأعمى .

وكان بنو أميّة يرْسلون جوائِزَهم وعطاياهم إلى أبي العبّاس الأعمى في مَكّة ، وكذلك كان سائر القرشيين يَبرُّونه بالعطايا خوفاً من لِسانه . ولم يدخلْ أبو العبّاس الأعمى في الهجاء القبَلي الذي كان مُستطيلاً في أيّامه ، ولكنّه هجا البَعيثَ هجاء شخصياً لأن البعيثَ كان سَؤولاً مُلْحِفاً قبيحَ الاقتضاء (قليل الذوق في طلب العطاء) . وقد هجا أيضاً عُمَرَ بن أبي ربيعة لأنّ عمرَ

٣ خطر الفحل (راجع الحاشية السابقة) . خطر (الرجل) بسيفه أو رمحه : رفعه (في الهواء) مرة ووضعه (خفضه) مرة أخرى . وخطر الرجل في مشيته (بكسر الميم) : رفع يديه ووضعهما (مرة بعد مرة) ، كناية عن تهديد الخصم . صال : سطا واستطال (تغلب) . العنان : سير (من جلد) تمسك به الدابة . طويل العنان : (الطويل النفس ، الذي يظل يجيد القول مهما طال كلامه) .

كان يحاولُ الوصولَ إلى جاريةٍ له .

وأبو العبّاس الأعمى من أهْلِ الحديث روى عن نَفَرٍ من الصّحابة منهم عبدُ الله بن عمرِو بن العاص (معجم الأدباء ١١ : ١٧٩) ومنهم عبدُ الله بن عُمَرَ[١] بن الخطّاب ، كما روى عنه جماعة . ثم روى له أصحاب الصِحاح الستّة[٢] .

وأدرك أبو العبّاسِ الأعمى خِلافةَ المنصورِ العَبّاسيّ[٣] ، ولعلّ وفاتَه كانت قُبيل ١٤٠ هـ (٧٥٧ م) .

٢ – أبو العبّاس الأعمى المَكّيّ شاعرٌ سهلُ الشعرِ عَذْب القول وعلى شعره دِيباجة مُحْدَثة . وأكثر شعره المديحُ والرثاء ، وله هجاء كثيرٌ في آل الزبير خاصّةً ، وفي عمرو بن الزبير بن العَوّام على الأخصِّ ، ولم يَهْجُ مصعبَ ابن الزبير . والوصف في شعره قليل .

٣ – المختار من شعره :

– قال أبو العبّاس الاعمى يَصِفُ مُنافقاً (البيان والتبيين ١ : ٢١٨) :

إذا وَصَفَ الاسلامَ أحْسَنَ وصفَه بفِيهِ ، ويأبى قلبُهُ ويُهاجِرُهْ[٤] .
وإن قام قال الحقَّ ما دام قائماً ؛ تَقِيّ اللسانِ كافرٌ ، بعدُ ، سائره[٥] .

– وقال في مدح بني أميّة ، في أيام مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويّين (الاغاني – طبعة الساسي – ١٥ : ٥٧) :

---

١ غ (طبعة الساسي) ١٥ : ٥٧ ، السطر ١٦ .
٢ أصحاب كتب الحديث الستة (وهي الكتب الصحاح الستة) هم : البخاري ومسلم والترمذي (بكسر التاء والميم) وابو داوود والنسائي (بفتح النون) وابن ماجة . ومن كتب الحديث الموثوقة أيضاً موطأ الإمام مالك بن أنس .
٣ راجع غ ١٥ : ٥٧ ، السطرين الخامس والسادس من أسفل .
٤ يهاجره : يهجره ، يبتعد عنه (يقول فيه قولا قبيحاً) .
٥ ما دام قائماً (على المنبر) ؛ ما دام بين الناس .... ثم هو يداري المسلمين بلسانه ، وكل شيء فيه بعد ذلك (كل أعماله) دال على الكفر .

لَيْتَ شِعري أفاحَ رائحةُ المِـ ـسك ؟ وما إنْ إخالُ بالخَيْف نفسي [1].
حين غابتْ بنو أميّةَ عنه والبهاليلُ من بني عبد شمس [2] ،
خطباءٌ على المنابرِ فُرسا نٌ عليها ، وقالَةٌ غيرُ خُرْس [3] .
لا يُعابون صامتينَ ؛ وإن قا لوا أصابوا ولم يقولوا بلَبْسِ [4] .
بحلومٍ إذا الحلوم تَقَضّتْ ، ووجوهٍ مثلَ الدنانيرِ مُلْسِ [5] .

– وقال يهجو آل الزبير :

بني أسد ، لا تذكروا الفخرَ ، إنكم متى تذكُروه تَكْذِبوا وتُحَمَّقوا .
متى تُسألوا فَضْلاً تَضِنّوا وتبْخَلوا ، ونيرانكم بالشَّرِّ فيها تَحَرّق [6] .
إذا استبقت يوماً قريشٌ خرَجْتُمُ ، بني أسدٍ ، سُكْتاً وذو المجد يَسْبِقُ [7] .
تَجيئون خَلْفَ القومِ سوداً وُجوهُكُمْ إذا ما قريشٌ للأضاميمِ أصفقوا [8] .
وما ذاكَ إلاّ أنّ لِلُّؤْمِ طابَعاً يلوحُ عليكم وَسْمُه ليس يَخْلَقُ [9] .

٤ – ** الاغاني (طبعة الساسي) ١٥ : ٥٦ – ٦١ .

---

١ ... المعنى الملموح : كيف تفوح رائحة المسك (كيف يكون للملك أبهة) وأنا لست في الخيف من منى (أحد مناسك الحج) .
٢ .... وكذلك ليس المالكين في الحجاز بنو أمية . البهلول : السيد الجامع لكل خير .
٣ قالة جمع قائل وقؤول : اللسن الحسن القول .
٤ اللبس : الغموض .
٥ إذا الحلوم (العقول) تقضت : فقدت من الناس . وجه أملس : ناضر .
٦ نيرانكم (حميتكم) تتحرق (تتقد) بالشر فقط لا بالخير .
٧ استبق القوم : خرجوا يتسابقون . السكت هي الخيل التي تأتي في آخر الحلبة .
٨ الاضاميم : جماعات الخيل التي تخرج للسباق . أصفقوا : أطبقوا . – إذا جاء قريش كلهم سابقين أمام جميع الخيل .
٩ الوسم : العلامة . يخلق : يمحي ، يتقادم عهده .

عدد من أعلام الاشخاص ورد في المقدّمة ولم يدخل في الفهرس العام

١٩٦٥ — ٧ — ٧

فهرس أبجدي لأعلام الاشخاص وللمدارك الأدبية

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

غ

ف

ق

ن

ي

كتب ودراسات أخر

تاريخ الأدب العربي : الأدب القديم	
(منذ مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية)	١٤٠٠
تاريخ الأدب العربي : الأدب المحدث	
(منذ مطلع العصر العبّاسي إلى سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٩م)	١٢٠٠
تاريخ الفكر العربي إلى أيّام ابن خلدون	١٢٠٠
الفكر العربي في منهاج البكالوريا	٨٠٠
تاريخ الجاهلية	٤٠٠
الشابـّي شاعر الحبّ والحياة	٣٥٠
القومية الفصحى	٣٠٠
التبشير والاستعمار في البلاد العربية (الطبعة الثالثة)	٣٠٠
الاسرة في الشرع الإسلامي	٤٠٠
عبقرية العرب في العلم والفلسفة	٣٠٠
وثبة المغرب	٥٠٠
أبو تمّام : دراسة تحليلية	٣٥٠
أبو نواس	١٥٠
أبو العلاء المعرّي	٢٠٠
حكيم المعرّة	٢٠٠
العرب والفلسفة اليونانية	٢٥٠
شاعران معاصران : ابراهيم طوقان وأبو القاسم الشابيّ	٣٠٠
العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط (ط ٢)	٣٠٠
العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط	٤٠٠

* * *

(الكتب الثلاثة التالية موضوعة حسب المنهاج الرسمي اللبناني)

المنهاج الجديد في الأدب العربي ، الجزء الأول (للسنة الأولى الثانوية ـ الخامسة قديماً) ٥٤٠ المنهاج الجديد في الأدب العربي ، الجزء الثاني (للسنة الثانية الثانوية ـ السادسة قديماً ، صف البكالوريا .

تحت الطبع

كتب منقولة عن اللغة الانكليزية

أصدقاء لا سادة

السيرة السياسية للمشير محمّد أيوب خان بقلمه ١٢٠٠

الطريق إلى النجوم

من تأليف فان در ريت وللي

(رئيس المرصد الفلكي في غرينيش) ٤٠٠

الإسلام على مفترق الطرق (الطبعة السادسة)

(من تأليف ليوبولد فايس – محمّد أسد) ١٥٠

الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط

(من تأليف المستشرق جورج سارطون

مؤلّف كتاب : مقدّمة إلى تاريخ العلم) ١٥٠

* * *

1000 Das Bild des Frühislam in der arabischen Dichtung von der Higra bis zum Tode Umars, 1–23 d. H. (622–644 n. chr).

300 Qur'anic Arabic.

300 L'arabe coranique.

1200 On Public and Private Law in Islam, by Ibn Taimiyya (728 A.H. = 1328 C.E.). — Translated from the Arabic.